بسم الله الرحمن الرحيم

العدد الحادي عشر

أهل البيت عليهم السلام

جمادى الأولى ١٤٣٢ هـ / نيسان ٢٠١٠ م.

مجلة فصلية محكمة تصدر عن جامعة أهل البيت عليهم السلام

رئيس التحرير: أ.د. عبود جودي الحلي

سكرتير التحرير: أ.م.د. باقر جواد الزجاجي

أعضاء هيئة التحرير

أ.د. محمد عبدالحسين الخطيب

أ. م. د. حسن حنتوش رشيد

أ. م. د. حكمت عبد حسين الخفاجي

أ. م. د. مهدي داخل العبيدي

أ.م.د. كمال عبدحامد آل زيارة

أ.م.د. عبد حمزة محسن

كربلاء، شارع فاطمة الزهراء عليها السلام، جامعة أهل البيت عليهم السلام

ص.ب: ١٠١٩، هاتف: ٩-٣٥١٢٥٧

Karbala, Fatimah-al-Zahra street, P.O.Box: 1019,Tel: 351257-9

karbala@ahlulbaitonline.com ، www.ahlulbaitonline.com

الهيئة الإستشارية

الأستاذ الدكتور
حسن عودة زعال
رئيس جامعة كربلاء

الأستاذ الدكتور
حاكم محسن محمد
عميد كلية الادارة والاقتصاد / جامعة كربلاء

الأستاذ الدكتور
ناظم رشيد شيخو
كلية التربية / جامعة الموصل

الأستاذ الدكتور
خديجة الحديثي
كلية الآداب/ جامعة بغداد

الأستاذ الدكتور
عباس زبون العبودي
كلية القانون / جامعة كربلاء

الأستاذ الدكتور
صبحي ناصر حسين
كلية البنات / جامعة بغداد

الأستاذ الدكتور
هادي حسين الكرعاوي
معاون عميد كلية الفقه / جامعة الكوفة

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد
٨٥٤ لسنة ٢٠٠٥
ISSN 1819-2033

قواعد النشر في المجلة

ترحب مجلة أهل البيت عليهم السلام بمساهمات الاساتذة والكتّاب والباحثين في مجالات الفكر الإسلامي، والعلوم الإنسانية والإجتماعية مع الإهتمام بقضايا المشكلات الثقافية في العالم العربي والإسلامي، والتجدد والبناء الحضاري، وكذلك قضايا الإنماء التربوي والتعليمي.

يشترط في المادة المرسلة:

أن لاتكون قد نشرت أو أرسلت للنشر في مجلات أخرى.

☑ أن تلتزم بقواعد البحث العلمي والأعراف الأكاديمية بتوثيق المصادر والمراجع، بذكر البيانات كاملة، مع تحقق الموضوعية والمنهجية والمعالجة العلمية، مع تخريج النصوص القرآنية والحديث النبوي الشريف بصورة دقيقة وكاملة.

☑ أن يراعي الباحث سلامة اللغة وحسن صياغتها.

☑ يقدم البحث من نسختين مطبوعة على الآلة الكاتبة والحاسوب ويرافقه ملخص في صفحة واحدة مع تعريف بالباحث.

☑ تخضع المادة المرسلة للنشر لمراجعة المقومين المتخصصين.

☑ لا تعاد المواد التي ترسل إلى المجلة ولا تسترد، نشرت أم لم تنشر. ولا تلتزم المجلة بإبداء أسباب عدم النشر.

ما ينشر في المجلة يعبر عن رأي كاتبه.

توجه جميع المراسلات إلى رئيس التحرير على العنوان.

كربلاء، شارع فاطمة الزهراء عليها السلام،
جامعة أهل البيت عليهم السلام
ص.ب: ١٠١٩، هاتف: ٩-٣٥١٢٥٧

محتويات العدد

كلمة هيئة التحرير ٥

نهج البلاغة بين صحة النسبة الى المؤلف وتوثيق النص دراسة في كتاب نهج البلاغة. ٦
أ. م. د. منصور مذكور شلش
د. صبري ابراهيم السيد

ابن العرندس الحلي (ت٨٤٠هـ) ١٩
أ.م.د. محمد حسن محي الدين

التطير في الكتاب و السنة و الادب ٤٤
د. السيد خليل باستان

جمالية بنية التكوين في الرسم الأوربي الحديث ٥٥
م.م. محمد عبيد ناصر
م.م. حازم عبودي كريم
د.محمد عبد فيحان

اثر استخدام أسلوب التقويم التكويني في تحصيل طلاب معهد إعداد المعلمين في مادة قواعد اللغة العربية ٧٣
م.م. ليث صاحب شاكر

التنظيم القانوني لانتخاب أعضاء مجلس النواب العراقي لعام ٢٠١٠ (دراسة في قانون الانتخابات العراقي رقم ١٦ لسنة ٢٠٠٥ المعدل والأنظمة الانتخابية) . . ١٠١
م.م. روافد محمد علي الطيار

موقف الشيخ محمد تقي الشيرازي الحائري من استفتاء (١٩١٨- ١٩١٩م) في العراق . . . ١٤٦
الدكتور جاسم محمد إبراهيم اليساري

دراسة أسلوبية في سورة « ص » ١٦١
د. نصرالله شاملي
سميه حسنعليان

دور اتفاق التحكيم في حل منازعات عقود الاستثمار الاجنبي ١٧٩
المدرس المساعد رشا موسى محمد

أُسلوب السُّخرية في قصيدة : (تنويمة الجياع) ـ للجواهري دراسة تحليلية، ودلالية ٢٠١
أ.م.د. علي رحيم هادي الحلو

تطور الاساليب الشعرية في لغة الدراما العالمية (الكلاسيكية انموذجاً) ٢١٨
م.د. محمد عبد فيحان

حق النقض (الفيتو Veto) في مجلس الأمن دراسة من منظور القانون الدولي. ٢٣٥
د. محمد حسين كاظم العيساوي

حسين علي محفوظ رائد الثقافة الفارسية في العراق ٢٥٤
م. م. الاء عبد الكاظم

الدلالات الجمالية في الفخار النحتي العراقي القديم (ماقبل التاريخ) ٢٦٧
م.م. حازم عبودي كريم

شعر قيس بن سعد الأنصاري دراسة في الأداء الموضوعي ٣١٢
م. د. حسن حبيب الكريطي

محطات الوجع عند السياب دراسة نفسية في شعره ٣٢٨
د. هاتو حميد حسن

موقف الحوزة العلمية من القضايا القومية بين عامي ١٩٢٥- ١٩٥٦ . . . . . ٣٣٧
م.م. احمد باقر علوان الشريفي

القسم الانكليزي

نظرية الالتزام ٨
محسن علي شريب

طول الجملة وتعقيدها في قصص مختارة للكاتبتين (فرجينيا وولف وكاثرين مانسفيلد) ٢٠
شيماء عبدالحسين المعمار

كلمة هيئة التحرير

علوم نهج البلاغة

نهج البلاغة، هو ما اختاره السيد الشريف الرضي من خطب وكلمات ووصايا وأدعية، وقد قسمه إلى ثلاثة أقطاب –كما يقول في ذلك- أولها الخطب والأوامر، وثانيها الكتب والرسائل وثالثها الحكم والمواعظ...

وتم اختياره على ضوابط ومعايير: "فأجمعت بتوفيق الله تعالى على الابتداء باختيار محاسن الخط – ثم الكتب ، ثم محاسن الحكم والأدب مفرداً لكل صنف من ذلك باباً".

وهذه الأبواب ما هي إلاّ مجموع ما أورده الشريف الرضي من أقوال قالها أمير المؤمنين (عليه السلام) في مناسبات، أو تعليقات على الأحداث، أو أجوبة لمسائل مختلفة سئل عنها. وهناك خطب ذكر فيها (عليه السلام) معلومات قيمة عن الكون الحياة والخلقة وكذلك عن مسائل يبتلى بها الإنسان في حياته. فهي علوم حجة ضمت بين دفتي هذا السفر العظيم، سكب فيها أمير المؤمنين (عليه السلام) من علومه في ميادين متنوعة من الفلك والطبيعة والحساب والهندسة، والفلسفة والتاريخ والفقه والأخلاق.

فإذا كان رسول الله (ص) مدينة العلم فعليٌ بابها (كما ورد في تاريخ بغداد (٤٨/١١)، المستدرك على الصحيحين (١٣٧/٣)، مجمع الزوائد (١١٤/٩)، المعجم الكبير (٤٠٧/١١)، تذكرة الحفاظ (١٢٣١/٤)، لسان الميزان (١٧٩/١)، ميزان الاستيعاب (١١٠٢/٣)، تهذيب الاسماء (٣١٩/١)).

من هنا فعليٌ (عليه السلام) مفتاح العلوم، بيده تفتح أبجديات المعارف العقلية والنقلية والمعارف الطبيعية والإنسانية، وكل العلوم التي تحتاجها البشرية لتحريك دواليب الحياة.

ولما كانت علوم أمير المؤمنين من علوم الرسول الأكرم (ص) فهي متناغمة مع الوحي، وهي تالياً حقائق ناصعة نصوع الشمس.

ولما كانت علوم أمير المؤمنين (عليه السلام) من المسلمات كان من المفترض ان يهبّ العلماء من كل صنف ونوع ويكبؤ على هذه المدرسة ويستلهموا منها المعارف البشرية ويفتحوا طرقاً لا زالت موصدة بوجه العلماء.

أليس أمير المؤمنين (عليه السلام) هو سلُوني قبل أن تفقدوني، فَلأنا بطرق السماء أعلم منّي بطرق الأرض.

وفي نهج البلاغة نجد بعض تلك الأجوبة التي سئُل عنها أمير المؤمنين وهي بحاجة إلى ذوي الاختصاص لفك رموزها واكتشاف بحورها وصولاً إلى الجوانب الغامضة من المعارف التي نحتاجها اليوم وغداً.

من هنا أما يستحق نهج البلاغة مزيداً من اهتمام العلماء من جميع الاختصاصات ليستخرجوا منه ما عجزت عنه البشرية من معرفته.

وهذه دعوة إلى المراكز البحثية في الجامعات ان تصب اهتمامها نحو نهج البلاغة لكشف الكثير من الألغاز والغوامض التي حيرت عقول العلماء ولازالت تحيرهم.

نهج البلاغة بين صحة النسبة الى المؤلف وتوثيق النص

دراسة في كتاب نهج البلاغة

أ. م. د. منصور مذكور شلش*
د. صبري ابراهيم السيد

مقدمة:

نهج البلاغة: هو كتابٌ جمعَ فيه الشريف الرضي مختارات من كلام امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام في جميع فنونه، ومتشعبات عصونه، وجعله يدور على اقطابٍ ثلاثة: الخطب والمواعظ، والعهود والرسائل، والحكم والآداب. وهو يتضمن عجائب البلاغة، وغرائب الفصاحة، وجواهر العربية، وثواقب الكلم الدينية والدنيوية، وهو ما لا يوجد مجتمعاً في كلام، ولا مجموعاً في كتاب.

وكيف لا يكون كذلك، وصاحبه مشْرَع الفصاحة ومورِدها، ومنشأ البلاغة ومولِدها. ومنه عليه السلام ظهر مكنونها، وعنه أُخذت قوانينها[1].

وهو يضمُّ (٢٣٧) كلاماً وخطبة و (٧٩) بين كتاب ووصية وعهد و (٤٨٠) من الكلمات القصار[2].

مقاربات البحث:

حظي هذا الكتاب بإهتمام أهل العلم والحديث واللغة والادب والبلاغة منذ عصر تأليفه الى وقتنا الحاضر. فكان مثار الاعجاب، ومحط الانظار، وبغية الحُفّاظ. ولا غروَ في ذلك فهو لإمام الفصحاء وسيد البلغاء "وفي كلامه قيل دون كلام الخالق وفوق كلامِ المخلوقين، ومنه تعلّم الناسُ الخطابة والكتابة. قال عبد الحميد بن يحيى(١٣٢هـ): حفظتُ سبعين خطبةً من خطب الأصلع ففاضت ثم فاضت، وقال ابن نباته: حفظت من الخطابةِ كنزاً لا يزيده الإنفاق إلا سعةً وكثرة، حفظت مائة فصل من مواعظ علي بن ابي طالب.

ولّما قال محفن بن ابي محفن لمعاوية: جئتكَ من أعيا الناس، قال له: ويحك كيف يكون أعيا الناس! واللهِ ما سنّ الفصاحة لقريش غيره[3].

---

* أستاذ مساعد رئيس قسم الفقه في جامعة أهل البيت

١) ينظر شرح نهج البلاغة: لأبن ابي الحديد: ج١/ ٦٧.

٢) مصادر نهج البلاغة واسانيده: عبد الزهراء الحسيني: ١/ ١٠٥.

وذكر الاميني (ت ١٣٩٠هـ) مجموعةً كبيرةً من العلماء الاعلام ممن حفظ نهج البلاغة. فقد حفظه في عهد قريب من المؤلف "القاضي جمال الدين محمد بن الحسين بن محمد القاساني كما ذكر الشيخ منتجب الدين في فهرسته، ومن حفّاظه في العصور المتقادمة الخطيب ابو عبد الله محمد الفارفي (ت ٥٦٤هـ) كما ذكر ذلك ابن كثير في تاريخه[٤]، وابن الجوزي في المنتظم[٥]، ومن حفظته المتأخرين العلامة الورع السيد محمد اليماني المكي الحائري، المتوفى في الحائر المقدس ١٢٨٠هـ، ومنهم العالم المؤرخ الشاعر الشيخ محمد حسين مروّة الحافظ العاملي[٦]. وما أصدق ما قاله الإمام محمد عبدة في مقدمته في شرح نهج البلاغة "وليس في اهل هذه اللغة إلاّ قائل بأنّ كلام الإمام علي بن ابي طالب هو اشرف الكلام وابلغه بعد كلام الله وكلام نبيه (2) - واغزره مادة وارفعه اسلوباً واجمعه لجلائل المعاني[٧]. والذي جاء في نهج البلاغة من خطب ومواعظ ورسائل ليس هو كل ما ورد عن علي عليه السلام "ولو ان الشريف الرضي (رحمه الله) ذكر كل ما ورد عن علي عليه السلام لجاء بأضعاف كتابه، ولكنه كان يلتقط الفصول التي هي في الطبقة العليا من الفصاحة من كلام امير المؤمنين عليه السلام فيذكرها ويتخطى ما قبلها وما بعدها"[٨].

واجه نهج البلاغة سيلاً من الإتهامات من أهل الشك والريبة (فقد ثار الجدل حول مؤلف هذا الكتاب، كما ثار الجدل حول النصوص الواردة فيه، ومدى صحة نسبتها الى الامام علي عليه السلام[٩].

وأخذ المشككون والمرتابون يتناقلون أقوالهم هذه دون تمحيص أو توثيق، بل ينقل بعضهم عن بعض، والغريب ان بعض المحدثين أخذ يردد هذه الاقوال دون ان يقرأ عشرات الكتب والبحوث التي كُتبت في هذا الباب، وهو توثق الموضوع بما لا يقبل الجدل والنقاش في هذا الامر[١٠].

فقد نشرت مجلة الكاتب المصرية في عدد شهر آيار (مايو) ١٩٧٥م مقالاً للاستاذ محمود شاكر حمل فيه حملةً شعواء على نهج البلاغة وعلى كل قائل بكونه من كلام الامام علي عليه السلام[١١].

وكذلك فعل الدكتور محمد الدسوقي في مجلة العربي العدد (٢٠٧) شباط ١٩٧٦[١٢] ثم بعد ذلك جاء مقال الدكتور شفيع السيد في مجلة الهلال المصرية العدد (١٢) ديسمبر سنة ١٩٨٣ مشككاً فيه بنسبة النصوص الى الإمام علي عليه السلام إذ يقول إن "نسبة الشريف الرضي –جامع الكتاب- الى البيت العلوي يمكن ان يكون مدعاة للشك ودافعاً الى الاتهام بالتحيّز والتعصب ... وقد قال عنه بعض واصفيه: كان شاعراً مُفلقاً، فصيح النظم، صخم الالفاظ... وكان مع هذا مترسلاً كاتباً بليغاً متين العبارات، فمن اليسير على مثله إذن أن يؤلف من الكلام ما يشاكل كلام علي رضي الله عنه في جزالة الالفاظ ومتانة السبك[١٣]".

وليس هؤلاء الكتاب الذين ذكرتهم الا نزر قليل من سيل جامح من الاتهامات والطعون التي وجهت الى النهج بدءاً من ابن خلكان (ت٦٨١هـ) حيث يقول: "وقد اختلف الناس في كتاب نهج البلاغة المجموع من كلام الامام علي بن ابي طالب رضي الله عنه، هل هو جمعه (يعني الشريف الرضي) ام جمع أخيه

---

٣) شرح نهج البلاغة: لابن ابي الحديد: ١/ ٤٩.
٤) تاريخ ابن كثير: ١٢/ ٢٦٠.
٥) المنتظم: ابن الجوزي: ١٠/ ٢٢٩.
٦) الغدير: الأميني: ٤/ ١٨٦- ١٩٤.
٧) نهج البلاغة: محمد عبده: ١/ ٢٢.
٨) مصادر نهج البلاغة واسانيده: الحسيني: ١/ ١٠٦.
٩) نهج البلاغة: تحقيق د. صبري ابراهيم السيد: ١٣.
١٠) ينظر على سبيل المثال لا الحصر (مدارك نهج البلاغة: هادي كاشف الغطاء، ما هو نهج البلاغة: الامام الحجة هبة الدين الشهرستاني، امتياز نهج البلاغة، امتياز على عرشي، مصادر نهج البلاغة واسانيده: عبد الزهراء الحسيني، ارشاد المؤمنين الى معرفة نهج البلاغة: السيد يحيى بن ابراهيم الجحاف، تأملات في نهج البلاغة، جعفر سبحاني).
١١) مجلة الكاتب المصرية: العدد ١٧٠/ مايو/ ١٩٧٥: ص٣٠.
١٢) مجلة العربي: العدد ٢٠٧ شباط ١٩٧٦: ص٤٨.
١٣) مجلة الهلال المصرية: العدد ١٢ لسنة ١٩٨٣ ص٩٥- ٩٦.

المرتضى؟ وقد قيل: إنّه ليس من كلام علي، وانما الذي جمعه ونسبه اليه هو الذي وضعه، والله اعلم"[١٤].

وتبع ابن خلكان الكثير في ترديد دعواه هذه كالذهبي (ت٧٤٨هـ) في ميزان الاعتدال[١٥]، واليافعي (ت ٧٦٨هـ) في مرآة الجنان[١٦]، وابن كثير (ت ٧٧٤هـ) في البداية والنهاية[١٧]، وابن حجر (ت ٨٥٢هـ) في لسان الميزان[١٨] وتابعهم من المحدثين جورجي زيدان في كتابه آداب اللغة العربية[١٩] حيث نسب فيه نهج البلاغة للشريف المرتضى والذي تابع فيه استاذه المستشرق بروكلمان الذي قال: "والصحيح انّه من جمع الشريف المرتضى"[٢٠].

ونسبة نهج البلاغة الى الشريف المرتضى من الاخطاء الجسيمة التي وقع فيها القدماء والمحدثون، فلو أنهم رجعوا الى كتابي الشريف الرضي: "حقائق التأويل والمجازات النبوية –وهما مطبوعان ومعروفان- لوقفوا على تكرار الإشارة من الرضي كونه هو الجامع لكتاب النهج[٢١].

ومشى على طريق التشكيك كذلك الدكتور شوقي ضيف في كتابة تاريخ الادب العربي - العصر الاسلامي- حيث عدّ اعتراف الشريف الرضي بجمعه للنهج دليلا على وضعه إياه"[٢٢].

وهذا الكلام من الدكتور ضيف لايتساوق مع البحث العلمي الرصين فالدكتور ضيف قد ذكر كثيرا من اشعار العصر الاسلامي في كتابه تاريخ الادب العربي –العصر الاسلامي- فهل هذا يعني إنّها من وضعه ومن عندياته، مع أن الدكتور لا يشير الى مصادر التوثيق في جميع اجزاء كتبه تارخ الادب العربي!!

وسار في هذا الاتجاه (التشكيك في نهج البلاغة) الدكتور صبري ابراهيم السيد في كتابه نهج البلاغة الصادر عن دار الثقافة للنشر والتوزيع في قطر –الدوحة- والذي يعدّه نسخة جديدة محققة وموثقة تحتوي كما يزعم على ما ثبت نسبته الى الامام علي عليه السلام من خطب ورسائل وحكم، وقدّم له العلامة المحقق الاستاذ عبد السلام محمد هارون وكان في كلام الدكتور السيد في كثير من الاحيان خروج عن اللياقة الادبية، ومجافاة للحقيقة العلمية، وخوضاً في ضروب الخلافات والفتن، مما يثير الحفائظ في النفوس، ويوغر القلوب في الصدور، ونحن في زمان أحوج ما نكون فيه الى الوحدة ولم الشمل، ونصرة الدين والإقتداء بأهل الفضل والعلم من الاولياء والصالحين حيث يقول السيد "وإذا كان بعض هؤلاء ممّن ينسبون الى مذهب الشيعة قد وصل به الأمر الى الكذب على الله تعالى، والخوض في آياته، أفلا نتصوّر بعد هذا أن يكون البعض قد خاض ايضاً في خطب علي، فضم اليها ما ليس له؟ ولماذا لا نجد مثل هذه الخطب إلاّ في كتب الشيعة؟ ولماذا لم نعثر على كثير من هذه الخطب في بطون الكتب الادبية المعروفة؟ وما الذي يغيّر علياً أن لا يكون له مثل هذا الكم الهائل من الخطب غير المعروفة المصدر أو الرواية؟ ومن العجيب ان نرى كل هذا الكم من خطب علي واقواله، بينما لا نرى مثل هذا يحدث لأحد من الصحابة كأبي بكر وعمر وعثمان مثلاً"[٢٣].

---

١٤) وفيات الاعيان: لإبن خلكان: ٣/ ٤١٦.
١٥) ميزان الاعتدال: الذهبي: ٣/ ١٢٤.
١٦) مرآة الجنان: اليافعي: ٣/ ٥٥.
١٧) البداية والنهاية: ابن كثير ١٢/ ٣، ٥٣.
١٨) لسان الميزان: ابن حجر العسقلاني: ٤/ ٢٢٣.
١٩) تاريخ آداب اللغة العربية: جورجي زيدان: ١/ ١٨١.
٢٠) تاريخ الادب العربي/ بروكلمان: ٢/ ٦٤.
٢١) ينظر: حقائق التأويل: الشريف الرضي: ١٦٧ والمجازات النبوية: الشريف الرضي: ٤٠، ٦٠، ١٥٢، ١٨٩، ٢٨٥. وينظر: نهج البلاغة... لمن؟ الشيخ محمد حسن آل ياسين: ١٢.
٢٢) تاريخ الادب العربي –العصر الاسلامي- : د. شوقي ضيف: ١٢٨.
٢٣) نهج البلاغة: د. صبري ابراهيم السيد: ٦٧.

وسيكون ردنا على هذه الإرهاصات والادعاءات بالحقائق العلمية تاركين الخوض في الاشكال الاول "وهو ما نسبه الى الشيعة من الكذب على الله تعالى والخوض في آياته"[٢٤].

وذلك للأسباب الآتية:

١. الدعوة الى وحدة الامة الاسلامية والابتعاد عن كل ما يفرق كلمتها، ويَفتُّ في عضدها.
٢. هذه المسألة متهافتة أصلاً في دعوتها ومضمونها.
٣. نترك الحكم فيها للتاريخ و للمنصفين من أبناء هذه الامة.

امّا بقية الشكوك والمزاعم فسيكون الرد عليها من كتاب الدكتور صبري السيد نفسه، قال تعالى ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[٢٥].

ففي (التقديم) الذي وضعه الاستاذ عبد السلام محمد هارون لهذا الكتاب قال: "فإن كثير من علماء القرن السادس الهجري "يزعمون" ان معظم النصوص لا يصح اسناده الى الخليفة الإمام، وإنما هو من صناعة قوم من فصحاء الشيعة، صنعوه ليزيدوا الناس يقيناً بما عرفوه من فصاحة الإمام واقتداره، مع أن فصاحته وبلاغته وسمو بيانه لا تحتاج الى دليل، او تفتقر الى برهان"[٢٦].

ولا يخفى على اهل العلم معنى كلمة "يزعمون" التي استعملها الاستاذ هارون ليدل على أنّ ما قالوه ليس من الحقيقة في شيء وختمها بقوله أنّ فصاحته وبلاغته وسمو بيانه لا تحتاج الى دليل او تفتقر الى برهان. فلم يترك الاستاذ المحقق لمتكلم كلاماً.

ولكن ما نأخذه على كلام المحقق الجليل الاستاذ هارون أنّه نسب الزعم لعلماء القرن السادس الهجري، والحقيقة أنّ هذا الزعم لا يقول به أحدٌ من علماء القرن السادس، وغاية الامر أنّ اول من زعم ذلك هو ابن خلكان (ت ٦٨١هـ) وهو من القرن السابع الهجري وتابعه بعد ذلك الذهبي (ت ٧٤٨هـ) واليافعي (ت ٧٦٨هـ) وابن كثير (ت ٧٧٤هـ) وهم من القرن الثامن الهجري[٢٧] اما قبل عصر ابن خلكان فلم يزعم احد شيئاً من هذا القبيل وذلك لوجود حقيقة مهمة لا تفوت العلماء المحققين وهي ان الشريفين (الرضي والمرتضى) قد عاصرا أربعةً من العلماء ممّن الّفوا في كتب التراجم وهم:

١. ابو منصور الثعالبي (ت ٤٢٩هـ) صاحب كتاب (يتيمة الدهر).
٢. العلامة النجاشي (ت ٤٥٠هـ) صاحب كتاب (الرجال).
٣. ابو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ) صاحب كتاب (الفهرست).
٤. الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ) صاحب كتاب (تاريخ بغداد).

فلم يذكر أحدٌ من هؤلاء العلماء ان نهج البلاغة من تأليف الشريف المرتضى أو يشك بنسبة النصوص الى صاحبها وهو الامام علي عليه السلام بل قال النجاشي (ت ٤٥٠هـ) ما نصه في ترجة الشريف الرضي (ت ٤٠٦هـ): "محمد بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن ابراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسن بن علي بن ابي طالب عليه السلام ابو الحسن الرضي نقيب العلويين ببغداد، أخو المرتضى، كان شاعراً مبرّزاً، له كتب منها: حقائق التأويل، كتاب مجاز القرآن، كتاب خصائص الأئمة عليهم السلام، كتاب نهج البلاغة، كتاب الزيادات في شعر ابي تمام كتاب تعليق خلاف الفقهاء، كتاب مجاز الآثار النبوية، كتاب

٢٤) المصدر نفسه.
٢٥) التوبة: ٣٢.
٢٦) نهج البلاغة: د. صبري السيد: ٥٠.
٢٧) ينظر وفيات الاعيان: ابن خلكان ٣/ ٤١٦، وميزان الاعتدال: الذهبي ٣/ ١٢٤ ومرآة الجنان: اليافعي ٣/ ٥٥، والبداية النهاية: لابن كثير ١٢/ ٣، ٥٣.

تعليقة في الايضاح لأبي علي، كتاب الجيد من شعر ابن الحجاج، كتاب مختار شعر ابي اسحاق الصابي، كتاب ما دار بينه وبين ابي اسحاق من الرسائل توفي في السادس من محرم سنة ست واربعمائة"[٢٨].

اما زعم الدكتور صبري السيد أنّ النصوص التي في نهج البلاغة لا توجد الا في كتب الشيعة المتأخرين، ولا توجد في كتب اهل السنة ولم يعثر عليها في بطون الكتب الادبية المعروفة[٢٩].

فقد كفانا الدكتور السيد عناء الرد، وسألزمه بما ذكره في كتابه فقط ومن خلال مسألتين مهمتين:

الاولى: لقد وثّق نصوص كتابه استناداً الى عشرات من المؤلفين الذين عاشوا وماتوا قبل ولادة الشريف الرضي، وجلّهم من اهل السنة وتعد كتبهم امهات الكتب التراثية التي يقوم عليها ادبنا العربي وسأذكر منهم:

ت	اسم المؤلف	سنة الوفاة	اسم الكتاب
١	نصر بن مزاحم (المنقري)	(ت ٢١٢هـ)	وقعة صفين
٢	محمد بن سعد (ابن سعد)	(ت ٢٣٠هـ)	الطبقات الكبرى
٣	ابو يوسف يعقوب بن اسحاق (ابن السكيت)	(ت ٢٤٦هـ)	إصلاح المنطق
٤	أبو عثمان عمرو بن بحر (الجاحظ)	(ت ٢٥٥هـ)	البيان والتبيين+ الحيوان+ البخلاء+ رسائل الجاحظ+ المائة كلمة المختارة من كلامه رضي الله عنه.
٥	ابو جعفر احمد بن محمد بن خالد (البرقي)	(ت ٢٧٤هـ)	المحاسن والآداب
٦	ابو محمد عبد الله بن مسلم (ابن قتيبة)	(ت ٢٧٦هـ)	ادب الكاتب+ عيون الاخبار+ المعارف+ الامامة والسياسة.
٧	احمد بن يحيى (البلاذري)	(ت ٢٧٩هـ)	انساب الاشراف
٨	ابو حنيفة احمد بن داود (الدنيوري)	(ت ٢٨٢هـ)	الاخبار الطوال
٩	احمد بن ابي يعقوب بن جعفر بن وهب (اليعقوبي)	(ت ٢٨٤هـ)	تاريخ اليعقوبي
١٠	ابو العباس محمد بن يزيد (المبرد)	(ت ٢٨٥هـ)	الكامل
١١	ابو العباس احمد بن يحيى (ثعلب)	(ت ٢٩١هـ)	مجالس ثعلب
١٢	ابو طالب المفضل بن سلمة بن عاصم (ابن سلمة)	(ت ٢٩١هـ)	الفاخر
١٣	عبد الله بن المعتز العباسي (ابن المعتز)	(ت ٢٩٦هـ)	البديع
١٤	ابو جعفر محمد بن جرير (الطبري)	(ت ٣١٠هـ)	تاريخ الطبري
١٥	ابو عبد الله محمد بن العباس (اليزيدي)	(ت ٣١٠هـ)	أمالي اليزيدي
١٦	ابراهيم بن محمد (البيهقي)	(ت ٣٢٠هـ)	المحاسن والمساوي
١٧	ابو بكر محمد بن الحسن (ابن دريد)	(ت ٣٢١هـ)	المجتنى+ الاشتقاق

٢٨) رجال النجاشي: ٣٩٨.

٢٩) ينظر نهج البلاغة: د. صبري السيد: ٦٧.

١٨	ابو عمر احمد بن محمد (ابن عبد ربه)	(ت ٣٢٨هـ)	العقد الفريد
١٩	محمود بن يعقوب (الكليني)	(ت ٣٢٨هـ)	اصول الكافي+ الروضة في اصول الكافي
٢٠	ابو عبد الله محمد بن عبدوس (الجهشياري)	(ت ٣٣١هـ)	كتاب الوزراء والكتاب
٢١	ابو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق (الزجاجي)	(ت ٣٣٧هـ)	أمالي الزجاجي
٢٢	ابو عمرو الزاهد (الزاهد)	(ت ٣٤٥هـ)	فائت الفصيح
٢٣	ابو الحسن علي بن الحسين المسعودي	(ت ٣٤٦هـ)	مروج الذهب
٢٤	ابو عمر محمد بن يوسف المصري (الكندي)	(ت ٣٥٠هـ)	كتاب الولاة وكتاب القضاة
٢٥	ابو علي اسماعيل بن القاسم البغدادي (القالي)	(ت ٣٥٦هـ)	أمالي القالي
٢٦	ابو فرج علي بن الحسن بن محمد (الاصفهاني)	(ت ٣٥٦هـ)	مقاتل الطالبيين
٢٧	ابو حنيفة النعمان بن محمد التميمي (ابو حنيفة)	(ت ٣٦٣هـ)	دعائم الاسلام
٢٨	ابو بكر محمد بن الحسن (الزبيدي)	(ت ٣٧٩هـ)	لحن العامة
٢٩	ابو جعفر محمد بن علي بن الحسن بن موسى بن بابويه (القمي)	(ت ٣٨١هـ)	التوحيد
٣٠	ابو احمد الحسن بن عبد الله (العسكري)	(ت ٣٨٢هـ)	المصون في الادب
٣١	ابو طالب محمد بن علي بن عطية الحارثي (المكي)	(ت ٣٨٦هـ)	قوت القلوب
٣٢	اسماعيل بن حماد (الجوهري)	(ت ٣٩٣هـ)	تاج اللغة وصحاح العربية (الصحاح)
٣٣	ابو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل (العسكري)	(ت ٣٩٥هـ)	جمهرة الامثال+ ديوان المعاني+ الصناعتين

أليس هؤلاء العلماء الجهابذة هم اعمدة التراث العربي الاسلامي، وكتبهم تمثل اللغة والادب والتاريخ والبلاغة، فضلاً عن العلماء الآخرين الذين ذكرهم في كتابه ووثّق النصوص من كتبهم، ممن عاصر الرضي او جاء من بعده فهل تثبت مزاعمه امام هذه الحقيقة!!

وأما الامر الثاني:

فإنّ خطب امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام لكثرة رواتها ومدونيها من العلماء وثّق الدكتور صبري السيد كل خطبة او قول بأكثر من ثلاثة مصادر، بل في بعض الاحيان اكثر من عشرة مصادر ونحن نذكر بعضاً منها، من الخطب العشرة الاولى فقط لغرض المثال والتوضيح:

رقم الخطبة ورقم الصفحة في كتاب صبري السيد	المصادر وارقام صفحاتها
خطبة رقم (٤) ص١٠٢	١. الإمامة والسياسة: لابن قتيبة: ١/ ٤٩. ٢. تاريخ الطبري: للطبري: ٤/ ٤٥٨. ٣. الصحاح: للجوهري. ٤. كتاب الغريبين: لابي عبيد الهروي. ٥. المسرشد: للطبري: ٧٤.
خطبة رقم (٦) ص١٠٤	١. عيون الاخبار: لابن قتيبة: ١/ ٢١٦. ٢. الاخبار الطوال: لابي حنيفة الدينوري: ٥١. ٣. البدء والتاريخ: للمقدسي: ٥/ ٢١٦. ٤. الجمل: للشيخ المفيد: ٢٠٣.
خطبة رقم (٨) ص١٠٥	١. دعائم الاسلام: لابي حنيفة النعمان: ١/ ٤٦٢. ٢. اثبات الوصية: للمسعودي: ١٢٤. ٣. الاوائل: لابي هلال العسكري (لا يوجد رقم صفحة)
خطبة رقم (٩) ص١٠٦	١. تاريخ اليعقوبي: اليعقوبي ٢/ ٢٥٠. ٢. البيان والتبيين: للجاحظ ٢/ ٥٠. ٣. عيون الاخبار: لأبن قتيبة ٢/ ٢٣٦. ٤. العقد الفريد: لابن عبد ربة الاندلسي: ٤/ ١٥١. ٥. الغيبة: النعماني: ١٠٧. ٦. قوت القلوب: للمكي: ١/ ٢٩٠. ٧. اثبات الوصية: للمسعودي: ١٢٤. ٨. المسترشد: للطبري: ٧٥. ٩. الجمل: للمفيد: ٤٦. ١٠. كما رواها ابو عبيدة معمر بن المثنى وفسر غريب الكلام منها. ١١. أوردها المدائني في كتبه. ١٢. اصول الكافي: للكليني: ٩٧. ١٣. رواها العسكري في كتابه الاوائل.
خطبة رقم (١٠) ص١٠٧	١. تاريخ اليعقوبي: اليعقوبي: ٢/ ٢٥٠. ٢. الكافي: للكليني: ١/ ٥٥. ٣. دعائم الاسلام: لأبي حنيفة النعمان ١/ ١١٨. ٤. الارشاد: للمفيد: ١٠٩. ٥. المسترشد: للطبري: ٧٥. ٦. قوت القلوب: ابو طالب المكي ١/ ٢٩٠. ٧. غريب الحديث/ لابن قتيبة.

وهنا نتساءل هل يوجد كتاب محقق من كتب التراث العربي يوثّق نص من نصوصه بأكثر من عشرة مصادر من المصادر العربية الموثوقة!!

فهل بقي شك أن نهج البلاغة هو ما فاض عن خاطر سيد البلغاء وامام الفصحاء علي بن ابي طالب عليه السلام.

وبقيت حقيقة تاريخية مهمة نضعها امام كل مشكك في مصادر نهج البلاغة وهي ان الشريف الرضي قد نشأ وبين يديه مكتبة كبيرة جداً لأخيه علم الهدى "المعروفة بدار العلم والتي حوت اكثر من ثمانين الف مجلد"[٣٠] كما وقريبة من داره مكتبة عظيمة اخرى هي مكتبة بيت الحكمة التي أنشأها ابو النصر سابور بن أردشير وزير بهاء الدولة بن بويه الديلمي في سنة ٣٨١هـ وكانت في محلة بين السورين بالكرخ، جمع فيها ما تفرّق من كتب فارس والعراق، واستنسخ من الهند والصين والروم كتبهم، وجعل فيها نيفاً وعشرة آلاف مجلد كلها بخطوط الأئمة المعتبرة. منها مائة مصحف نمقتها يد ابن مقلة، ثم أخذ العلماء يحبسون عليها نسخاً من مؤلفاتهم، حتى اصبحت من اغنى دور الكتب في عاصمة العباسيين[٣١].

وعنها يقول ياقوت الحموي: لم يكن في الدنيا أحسن منها، كانت كلها بخطوط الأئمة المعتبرة، واصولهم المحررة[٣٢].

ولهذه الخزانة ذكر مشتت في كثير من المراجع العربية قديمها وحديثها وقد عرفت في بعضها باسم (بيت الحكمة) وفي بعضها باسم (دار الحكمة)[٣٣].

ويذكر ياقوت الحموي هذه الخزانة عند حديثة عن محلة بين السورين بكرخ بغداد بقوله "بين السورين – تثنية سور المدينة- اسم لمحلة كبيرة كانت بكرخ بغداد وكانت من احسن محالّها واعمرها، وبها كانت خزانة الكتب التي وقفها الوزير ابو نصر سابور بن أردشير، وزير بهاء الدولة بن عضد الدولة، ولو لم يكن في الدنيا احسن كتباً منها، كانت كلها بخطوط الائمة المعتبرة واصولهم المحررة، واحترقت فيما احرق من محال الكرخ عند ورود طغرل بك أول ملوك السلجوقية الى بغداد سنة ٧٤٧هـ[٣٤].

إلاّ إن هذه المكتبات الكبيرة قد تعرضت للعبث والفساد، والحرق والدمار على يد المحتلين أيام غزو السلاجقة و التتر لبغداد حتى قيل: ان هولاكو اتخذ من الكتب الموجودة في خزائن بغداد يومئذ جسراً تعبر عليه جنوده، وامر باحراق ما تبقى منها[٣٥].

كما انّ النزاعات بين الفرق الاسلامية عرضت كثيرا من المكتبات العربية الاسلامية للتلف، وكذلك اتهام رجال الفلسفة بالزندقة واحراق كتبهم. فقد ورد كتاب الى الخليفة القادر بالله ببغداد من السلطان محمود بن سبكتين: أنه في سنة (٤٢٠هـ) حارب الباطنية والمعتزلة والروافض فصلب منهم جماعة، وحوّل من الكتب خمسين جملاً ما خلا الكتب المعتزلة والفلاسفة والروافض فإنها أُحرقت تحت جذوع المصلّبين إذ كانت اصول البدع[٣٦].

وعليه كما يقول السيد عبد الزهراء الحسيني مؤلف كتاب مصادر نهج البلاغة: فهل يطمع طامع بعد تلك الحوادث والكوارث في العثور على جميع مصادر (نهج البلاغة) بجميع مفرداته وفقراته[٣٧].

---

٣٠) الكنى والالقاب: ٢/ ٤٣٩.
٣١) خزائن الكتب العربية في الخافقين: ١٠١. وينظر: مصادر نهج البلاغة: ١/ ٣٨.
٣٢) معجم البلدان: مادة بين السورين.
٣٣) خزائن الكتب القديمة في العراق: الاستاذ كوركيس عواد: ١٠٥.
٣٤) معجم البلدان: ١/ ٥٣.
٣٥) مصادر نهج البلاغة: ١/ ٤٢.
٣٦) خزائنالكتب القديمة في العراق: ٣٠.
٣٧) مصادر نهج البلاغة: ١/ ٤٤.

وذات الشيء يقرره السيد امتياز علي عرشي (ت ١٤٠٥هـ) في بحثه الموسوم (استناد نهج البلاغة) إذ يقول: إن معظم محتويات نهج البلاغة توجد في كتب المتقدمين وإن لم يذكرها الشريف الرضي، ولو لم يعر بغداد ما عراها من الدمار على يد التتر، ولو بقيت خزانة الكتب الثمينة التي احرقها الجهلاء، لعثرنا على مرجع كل مقولة مندرجة في نهج البلاغة[٣٨].

وإجلاءً للحقيقة لا بدّ لنا أن نلتفت الى مسألة دقيقة، لنصل من خلالها الى الاسباب الحقيقية لهذا التشكيك لأن الشريف كما تذكر روايات العلماء الاعلام من أهل التراجم "إن لم يكن من أفضل الرواة وأوثقهم فهو ليس دون غيره في جميع الصفات المعتبرة في الرواية، كما أنّه يذعن بذلك كل خبير ترجم السيد وعارفٍ بحاله... ولا ادري لأي سبب يقع الريب فيما يرويه الشريف المذكور على جلالة قدره وعظيم منزلته وثقته وورعه، دون مرويات الجاحظ وابن جرير وامثالهما من العلماء الرواة، فيؤخذ بما يرويه هؤلاء بدون تردد وشك ولا بمطالبة من العلماء مصدر لذلك او مستند"[٣٩].

واتماماً لمعرفة الحقيقة الكامنة وراء اسباب التشكيك علينا ان نوازن بين شخصيتين رئيستين في هذا البحث وهما شخصية الشريف الرضي (ت ٤٠٦هـ) جامع كتاب نهج البلاغة وشخصية ابن خلكان (ت ٦٨١هـ) صاحب بذرة التشكيك في نهج البلاغة والذي تبعه الآخرون دون تمحيص وتدقيق فالشريف الرضي: كما يقول معاصره ابو منصور الثعالبي (ت ٤٢٩) في كتابه يتيمة الدهر "هو اليوم ابدع ابناء الزمان، وانجب سادة العراق، يتحلى مع محتده الشريف، ومفخره المنيف بأدب ظاهر، وفضلٍ باهر، وحظ من جميع المحاسن وافر"[٤٠].

ويعرفه ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) بقوله: كان الشريف الرضي نقيبٍ الطالبيين ببغداد، حفظ القرآن في مدة يسيرة بعد ان جاوز ثلاثين سنة، وعرف من الفقه والفرائض طرفاً قوياً، وكان عالماً فاضلاً وشاعراً مترسلاً، عفيفاً عالي الهمة متديناً"[٤١].

وممن شهد للشريف الرضي من المحدثين من اهل الإنصاف والعلم د. زكي مبارك بقوله: "والواقع أن الشريف كان قليل الرعاية للعصبية المذهبية، والظاهر أنه كان حر العقل الى حد بعيد، فقد كان يدرس جميع المذاهب الاسلامية ليمد عقله بالأنوار التي يُرسلها أختلاف الفقهاء"[٤٢].

واعجب بشخصيته المفكر الاديب محمد عبد الغني حسن في كتابه الشريف الرضي حيث يقول: "إن الشريف الرضي كان واسع العقل، رحب الصدر، حر الفكر، فلم يتعصب لرجال مذهب على رجال مذهب آخر، لقد كان من شيوخه الشيعي، والمعتزلي، والرافضي، والشافعي، والحنفي والمالكي فلم يتحرج أن يأخذ العلم من أي مصدر، وقد رأينا أنّ ابا اسحاق الطبري الذي منحه داره ليقيم فيها، كان فقيهاً سنياً على مذهب الامام مالك[٤٣].

أما الشخصية الاخرى، فهو ابن خلكان (ت ٦٨١هـ) فهذا الرجل من بقية البرامكة، بل إن آباءَهُ كانوا من المجوس عبدة النار، فهو يقرر هذه الحقيقة حيث "انه سأل بعض أصحابه عما يقولوه أهل دمشق فيه فاستعفاه، فألح عليه، فقال: يقولون أنّكَ تكذب في نسبك، وتأكل الحشيشة، وتحب الصبيان، فقال: أما

٣٨) استناد نهج البلاغة: ٢٠.
٣٩) مدارك نهج البلاغة: الهادي كاشف الغطاء: ٢٣٦.
٤٠) يتيمة الدهر: الثعالبي: ٣/ ١٣٦.
٤١) المنتظم: ابن الجوزي: ١٥/ ١١٥. وينظر: ترجمته في رجال النجاشي: ٣٩٨.
٤٢) عبقرية الشريف الرضي: ١/ ١٢٥.
٤٣) الشريف الرضي: محمد عبد الغني حسن: ٣٠.

النسب والكذب فيه، فإذا كان لا بد منه كنت أنتسبُ الى العباس أو الى علي بن ابي طالب او الى احد الصحابة، وأمّا النسب الى قوم لم يبقَ لهم بقية، وأصلهم قوم مجوس، فما فيه فايده"[٤٤].

وكان ابن خلكان ذا نزعة أموية مغرماً بشعر يزيد بن معاوية اعتنى بشعر يزيد وهو صغير، فحفظ شعره وجمعه، فهو يقول: وكنت حفظتُ جميع ديوان يزيد لشدة غرامي به سنة ٦٣٣هـ بمدينة دمشق، وعرفت صحيحه من المنسوب اليه[٤٥].

وعرف الرجل باستهتاره بالقيم الاخلاقية التي عرفها العرب وجاء بها الاسلام الحنيف، فقد ابتلي بأواخر أيامه بحب الغلمان يقول صاحب فوات الوفيات محمد شاكر الكتبي (٧٦٤هـ): وكان له ميل الى بعض أولاد الملوك[٤٦]، وله فيه اشعار رائقة. يقال: إنه أول يوم زاره بسط له الطرحة. وقال له: ما عندي أعز من هذه، طأْ عليها. ولما فشا أمرهما وعلم به اهله منعوه الركوب، فقال ابن خلكان:

يا سادتي إني قنعتُ وحقكم ... في حبّكم منكم بأيسر مطلبِ
إنْ لم تجودوا بالوصال تعطفاً ... ورأيتم هجري وفرطَ تجنبي
لا تمنعوا عيني القريحةَ أن ترى ... يوم الخميس جمالكم في الموكبِ
لو كنت تعلم يا حبيبي ما الذي ... ألقاه من كمدٍ إذا لم تركبِ
لرحمتني ورثيتَ لي من حالةٍ ... لولاكَ لم يكُ حملها من مذهبي
ومن البلية والرزية أنني ... أقضي وما تدري الذي قد حلّ بي
قسماً بوجهك وهو بدرٌ طالعٌ ... ويليك طرتك التي كالغيهبِ
وبقامةٍ لكَ كالقضيب ركبتُ من ... أخطارها في الحبّ اعظم مركبِ
وبطيبِ مبسمك الشهيّ البارد الـ ... ـعذب النميرِ اللؤلؤي الاشنبِ
لو لم تكن في رتبةٍ ارعى لها الـ ... ـعهد القديم صيانةً للمنصبِ
لهتكتُ ستري في هواك ولذّلي ... خلع العذار ولجّ فيك مؤنبي
لكن خشيت بأن تقول عواذلي ... قد جنّ هذا الشيخ في هذا الصبي

قال القاضي جمال الدين بن عبد القاهر التبريزي[٤٧]... كان الذي يهواه القاضي شمس الدين بن خلكان الملك مسعود بن الزاهر صاحب حماة، وكان قد تيمه حبّه، وكنتُ أنا عنده في العادلية، فتحدثنا في بعض الليالي الى ان راح الناس من عنده فقال: نم انت ها هنا، والقي عليّ فروةَ قرض، وقام بدور حول البركة في بيت العادلية: ويكرر هذين البيتين الي أن اصبح والبيتان هما:

أنا والله هالكٌ ... آيسٌ من سلامتي
أو أرى القامة التي ... قد أقامت قيامتي

ومما تقدم يمكن لنا الحكم بعيداً عن الميل والهوى من هو أحق بأن يكون ثقة يؤخذ بكلامه، ويستضاء برأيه، الشريف الرضي الذي وصفه أهل العلم من الثقاة كالثعالبي والنجاشي وابن الجوزي وغيرهم بالعفة والفضيلة والعلم وحفظ القرآن والتفقه في الدين والاحكام، أو هذا الرجل المبتلى بحب الغلمان، ولم يعر للقيّم أهتماماً، ولا للعرف منزلةً، ولا للدين حرمة. وهو أول من بذر بذرة الشكوك حول نهج البلاغة دون أن يذكر دليلاً واحداً على ذلك، والاعجب من هذا أنه نقل اختلاف الناس في نهج البلاغة من هو

٤٤) فوات الوفيات: محمد شاكر الكتبي: ١/ ١١٣.
٤٥) ينظر: تأملات في نهج البلاغة: ٢٢.
٤٦) فوات الوفيات: ١/ ١١٢.
٤٧) فوات الوفيات: ١/ ١١٣.

الجامع او المؤلف، هل هو الشريف الرضي او اخوه المرتضى؟ مع انه لم يختلف إثنان الى عصر ابن خلكان على ان جامع النهج هو الشريف الرضي وقد صرّح بذلك كل من عاصره او جاء من بعده من العلماء[٤٨].

الخاتمة:

لقد أثبت البحث النتائج الآتية:

١. إن الدكتور صبري ابراهيم السيد سار على نهج ابن خلكان (ت ٦٨١هـ) ومن جاء من بعده من المشككين كالذهبي (ت ٧٤٨هـ) واليافعي (ت ٧٦٨هـ) وابن كثير (ت ٧٧٤هـ) دون ان يتحقق او يتوثق من اقواله وهم من القرن السابع والثامن الهجريين وليس من القرن السادس الهجري كما ذكر ذلك الاستاذ المحقق د. عبد السلام محمد هارون في مقدمته لكتاب د. صبري السيد.
٢. إن الشريف الرضي والمرتضى قد عاصرا أربعة من العلماء ممن ألّفوا في كتب التراجم وهم ابو منصور الثعالبي (ت ٤٢٩هـ) صاحب كتاب يتيمة الدهر والنجاشي (ت ٤٥٠هـ) صاحب كتاب الرجال والطوسي (ت ٤٦٠هـ) صاحب كتاب الفهرست، والخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ) صاحب كتاب تاريخ بغداد فلم يذكر احد منهم ان نهج البلاغة هو من تأليف الشريف المرتضى، لأنهم يعلمون علم اليقين انه من تأليف الشريف الرضي، وهذا هو المتعارف عليه في عصرهم وهو عصر المؤلف.
٣. لقد وثّق الدكتور السيد نصوص كتابه استناداً لعشرات من المؤلفين الذين عاشوا وماتوا قبل ولادة الشريف الرضي، وجلّهم من أهل السنة وتعد كتبهم من أُمهات الكتب التراثية التي يقوم عليها ادبنا العربي مما يدحض زعمه "إن النصوص في نهج البلاغة لا توجد إلاّ في كتب الشيعة المتأخرين، ولا توجد في كتب أهل السنة، ولم يعثر عليها في بطون الكتب الادبية المعروفة".
٤. ثبت لنا من خلال البحث إن خطب امير المؤمنين الامام علي عليه السلام لكثرة رواتها ومدونيها من العلماء وثّق الدكتور صبري السيد كل خطبة او قول بأكثر من ثلاثة مصادر، بل في بعض الاحيان اكثر من عشرة مصادر.
٥. كما ثبت من خلال اقوال العلماء الاعلام وشهاداتهم ممن عاصروا الشريف الرضي انه من افضل الرواة واوثقهم، وكان عالماً فقيهاً فاضلاً، حافظاً للقرآن، شاعراً مترسلاً، عفيفاً، عالي الهمة، متديناً، وهو أحق أن يؤخذ بكلامه ويستضاء برأيه، أما الطرف الذي بذر بذرة التشكيك في نهج البلاغة فليس له من هذه الصفات نصيب، بل ابتلي في حياته بما لا يُحمد عليه.

المصادر والمراجع:

١. إرشاد المؤمنين الى معرفة النهج المبين: للسيد يحيى بن ابراهيم الجحاف تقديم السيد محمد حسين الحسيني الجلالي. حققه وعلق عليه محمد جواد الحسيني الجلالي. قم- ط١.
٢. البداية والنهاية في التاريخ: للحافظ عماد الدين بن ابي الفداء اسماعيل بن عمر القرشي المعروف بابن كثير (ت ٧٧٤هـ) ط مصر.
٣. تاريخ آداب اللغة العربية: جورجي زيدان. مطبعة الهلال. ط٣. ١٩٣٦م.
٤. تاريخ الادب العربي: بروكلمان- الترجمة العربية- القاهرة- بدون تاريخ.
٥. تاريخ الادب العربي- العصر الاسلامي. د. شوقي ضيف. القاهرة. ١٩٧٤.

٤٨) ينظر: رجال النجاشي: ٣٩٨، والمنتظم: لابن الجوزي: ١٥/ ١١٥.

٦. تأملات في نهج البلاغة (حوار مع الشيخ صالح بن عبد الله الدرويش) القاضي في المحكمة الكبرى بالقطيف: تأليف الفقيه المحقق جعفر سبحاني. نشر مؤسسة الإمام الصادق ١٤٢٤هـ ق- ط٢.
٧. حقائق التأويل: ابو الحسن محمد بن الحسين بن موسى الموسوي (الرضي) (ت ٤٠٦هـ)- مؤسسة البعثة- طهران- ١٤٠٦هـ.
٨. خزائن الكتب القديمة في العراق: الاستاذ كوركيس عواد ط بغداد.
٩. شرح نهج البلاغة: عز الدين ابي حامد عبد الحميد بن هبة الله مدائني الشهير بابن ابي الحديد المتوفى سة ٦٥٦هـ تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم- دار الكتاب العربي- بغداد ط١- ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٠م.
١٠. الشريف الرضي: محمد عبد الغني حسن، القاهرة- ط٢.
١١. عبقرية الشريف الرضي: دكتور زكي مبارك دار الكتب المصرية- القاهرة.
١٢. الغدير في الكتاب والسنة والآداب: عبد الحسين الاميني (ت ١٣٩٠هـ) ط بيروت.
١٣. فوات الوفيات والدليل عليها: تأليف محمد بن شاكر الكتبي (ت ٧٦٤هـ) تحقيق احسان عباس دار صادر- بيروت- ١٩٧٣م.
١٤. كتاب الرجال: ابو العباس احمد بن علي بن احمد بن العباس (النجاشي) (ت ٤٥٠هـ) ط- ١٣١٧هـ.
١٥. الكنى والالقاب: الشيخ عباس القمي ط- النجف الاشرف ١٣٧٦هـ.
١٦. لسان الميزان: شهاب الدين ابو الفضل احمد بن علي بن حجر(٨٥٢هـ) ط٢. مؤسسة الاعلمي بيروت- ١٩٧١هـ.
١٧. ما هو نهج البلاغة: بقلم هبة الدين الحسينة الشهرستاني مطبعة النعمان- النجف ١٣٨٠هـ- ١٩٦٨م.
١٨. المجازات النبوية: ابو الحسن محمد بن الحسين بن موسى الموسوي (الرضي) –ت ٤٠٦هـ- تحقيق مروان العطية والدكتور محمد رضوان الداية دمشق ١٤٠٨هـ.
١٩. مدارك نهج البلاغة: الشيخ هادي كاشف الغطاء ط١ مطبعة الراعي النجف الاشرف ١٣٥٤هـ.
٢٠. مرآة الجنان: ابو احمد عبد الله بن اسعد بن علي –اليافعي- (ت ٧٦٨هـ).
٢١. مصادر نهج البلاغة واسانيده: تأليف السيد عبد الزهراء الحسيني الخطيب بيروت- لبنان ط الرابعة ١٤٠٩- ١٩٨٨م.
٢٢. معجم البلدان: ياقوت الحموي ط بيروت –بدون تاريخ- .
٢٣. المنتظم في تاريخ الملوك والامم: عبد الرحمن بن علي الجوزي (٥١٠هـ- ٥٩٧هـ) دار الكتب العلمية –بيروت- ١٩٨٦م.
٢٤. ميزان الإعتدال في نقد الرجال: محمد بن احمد بن عثمان (الذهبي) –ت ٧٤٨هـ- تحقيق علي محمد البجاوي- دار احياء الكتب العربية ١٩٦٣م.
٢٥. نهج البلاغة: تحقيق وتوثيق دكتور صبري ابراهيم السيد تقديم العلامة المحقق الاستاذ عبد السلام محمد هارون. نشر وتوزيع دار الثقافة قطر –الدوحة- ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.
٢٦. نهج البلاغة: شرح الإمام الاكبر الشيخ محمد عبدة خرّج مصادره الشيخ حسين الاعلمي. منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات. بيروت لبيان ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

٢٧. نهج البلاغة... لمن؟ بقلم الشيخ محمد حسن آل ياسين منشورات جامع إمام طه بغداد- ط الثالثة ١٣٩٦هـ- ١٩٧٦م.
٢٨. وفيات الاعيان: ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد (ابن خلكان) (ت ٦٨١هـ) تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد- النهضة المصرية القاهرة- ١٩٤٩م.
٢٩. يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر: أبو منصور عبد الملك بن محمد (الثعالبي)- ت ٤٢٩هـ ط مصر.

المجلات والدوريات:

١. مجلة ثقافة الهند: استناد نهج البلاغة: امتياز علي عرشي تعريب عامر الانصاري- عدد ديسمبر ١٩٥٧م.
٢. مجلة العربي العدد ٢٠٧ شباط ١٩٧٦.
٣. مجلة الكاتب المصرية العدد ١٧٠ السنة ١٥- مايو ١٩٧٥م.
٤. مجلة الهلال المصرية العدد ١٢ لسنة ١٩٨٣م.

ابن العرندس الحلي (ت٨٤٠هـ)

أ.م.د. محمد حسن محي الدين

المقدمة:

يحفل تاريخ البشرية بأصناف من الناس، تختلف أهواؤهم وتتباين افكارهم، ومع هذا الاختلاف والتباين، تختلف اقدارهم وحظوظهم، واوفر الناس حظا من صدق ايمانه وقويت عقيدته، وهداه الله من الزيغ والباطل، وحين تكون عقيدة الانسان راسخة، تتجلى في مظاهر كثيرة، ولعل المظاهر التي تتجلى فيها عقيدة الشاعر هي اجلى المظاهر واشدها تاثيرا في الاخرين، ومن ثم اقومها واهمها في نشر العقيدة وترسيخ القناعات،

واذا توافرت لشاعرما ادوات صناعته، وسلامة عقيدته ورسوخها، امكن له ان يخلد على مر الدهور والسنين، وشعراء العقيدة هم سدنتها وحملة الفكر لابنائها، وشاعرنا من هؤلاء[1].

اسمه ولقبه:

هو الشيخ صالح بن عبد الوهاب بن العرندس الحلي الشهير بابن العرندس "احد اعلام الشيعة، ومن مؤلفي علمائها في الفقه والاصول"[2] توفي حدود ٨٤٠ بالحلة الفيحاء، ودفن فيها، وله قبر يزار.[3]

عقيدته:

نشا ابن العرندس في الحلة وهي يومئذ (القرن التاسع الهجري) تضم مدرسة علمية راسخة مضى على نشوئها اكثر من قرنين، وحفل تاريخها بعلماء اعلام اشتهر ذكرهم في علماء الامامية، في مختلف البقاع التي التي كانت علامات مضيئة في تاريخ الحوزات العلمية الامامية وكانت صلة الحلة وشيجة العرى مع مدن الامامية آنذاك كالنجف وكربلاء وجبل عامل وقم، فلا غرو ان يكون شعره العقيدي موسوما بوسام المدرسة الامامية، وعواطفها المشدودة، على طول الحقب الى سيد الشهداء الحسين بن علي عليه السلام ومصيبته.

١- كان البحث الاول من شعراء العقيدة بعنوان (من شعراء العقيدة، (١) الناشيء الضغير ت٣٦٦هـ)

٢- الغدير في الكتاب والسنة والادب، عبد الحسين الاميني، تحقيق مركز الغدير، ط٢، مطبعة محمد، قم، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٠م: ١٥/٧

٣- انظر: البابليات، محمد علي اليعقوبي، ط١، المكتبة الحيدرية، النجف، (د.ت): ٧٢/١. وشعراء الحلة، علي الخاقاني، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٣٧٢هـ/١٩٥٢م: ١٤٤/١. واعيان الشيعة، محسن الامين العاملي، تحقيق ولده حسن الامين، ط٥، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٠م: ١٩٩/٧. والغدير: ٣/٧.

وانظر: مراقد المعارف، محمد حرز الدين، حققه: محمد حسين حرز الدين، مطبعة الاداب، النجف الاشرف، ١٣٩١هـ/١٩٧١م: ٧٥/١

شعره:

سمات العصر:

بعد سقوط بغداد بيد المغول (سنة٦٥٦هـ) وما حدث خلال ذلك من احداث، بدات الثقافة الادبية العربية بالانحلال والتراجع، شأنها في ذلك شان العرب الذين اضحت دولتهم الاسلامية المترامية الاطراف تحت سلطة اقوام جدد نشروا حكمهم بحد السيف وسلطان القوة.

واستمرت هذه المرحلة قرونا عديدة تمتد حتى بدايات النهضة الادبية التي ظهرت بوادرها في العراق وبلاد الشام ومصر[٤]، وابرز سمات الادب – واول فنونه الشعر- في تلك الحقبة الجنوح نحو المحسنات اللفظية والبديعية التي حفل بها الشعر، وشعر ابن العرندس مثل ذلك أصدق تمثيل.

وكانت سمتا التقليد والعقم من أبرز سمات الشعر في الحقبة الممتدة من سقوط بغداد حتى بدايات النهضة الجديدة في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، فقد ظل الشعر يدور في معان مالوفة يكررها الشعراء ويجهدون في محاولة الوصول فيها الى الاصل الذي يقلدونه، ولم يستطع الشعراء الفكاك من اسر التقليد والثقافة المسيطرة على عقولهم.

لقد ظل الشعر في اطاره التقليدي من حيث اغراضه، فالمدح والرثاء يشغل الحيز الاكبر من اغراضه، وصار شعراء المناسبات رائجا، وهو لا يخرج في غرضه عن غرضي المدح والرثاء.

اما المحسنات الشكلية التي شاعت في هذه الحقبة فقد انتجت فنونا تُعنى بالجانب الشكلي للقصيدة دون معانيها، فشاع في هذه الحقبة، التخميس والتشطير، والقصيدة المشجرة والالغاز وامثال ذلك من الامور التي تصرف جهد الشاعر في امور لا تطور الفن الشعري، ولا تسهم في انتشاله من وهاد التخلف والتقليد.

والتخميس والتشطير لا يخلو من ان يكون اجترارا للمعاني التي تدور حولها القصيدة المخمسة او المشطرة، وتمطيطا لها مما يجعل شطري البيت يتحولان الى خمسة او اربعة اشطر.

ومثل هذا ينطبق على شعر ابن العرندس الذي ظلت معانيه تدور في تقليدية مكررة وروايات موروثة، ولكن ذلك لا يعني انه لم يقدم لنا في شعره في الامام الحسين عليه السلام فنا تظهر فيها ابداع في الصورة الشعرية وفي زاوية تناول الحدث الذي ظل تناوله في القصيدة الشيعية تقليديا رتيبا. وسيعرض البحث لطريقة تناوله هذه.

شعره في الدفاع عن العقيدة:

ذكرنا ان ابن العرندس كان إمامي المذهب ومن المؤلفين في الفقه والاصول، ومن الطبيعي ان يكون شعره في الدفاع عن عقيدته، ولا سيما اهم الاحداث التي تمثل معلما بارزا في هذه العقيدة وأفكارها.

ويمكن القول ان أغلب شعراء الشيعة الامامية، نظموا في امرين مهمين كانا السمة الرئيسة لشعر اهل البيت عليهم السلام وهما:

١. ولاية أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام
٢. مأساة الحسين عليه السلام وما رافقها من أحداث هزّت الضمير الإنساني وأثارت الشجون والحزن في النفوس، ولابد من ان تكون نفوس الشعراء اول المتأثرين بهذا الحدث.

وفي الأمر الأول (ولاية أمير المؤمنين عليه السلام) فان الطابع الغالب على معالجة شعراء الإمامية لهذه القضية ترتكز على أمور:

٤- انظر: المعارك الادبية في العراق في القرون الثلاثة الاخيرة ٧٠٠/٢٠٠٠، اطروحة دكتوراه لكاتب البحث، كلية الاداب جامعة الكوفة، ٢٠٠٥، وفيها عرض مسهب عن الحالة الثقافية في تلك الحقبة، وبديات النهضة الادبية التي انطلقت بمعركة الخميس في النجف الاشرف، بسعي واشتراك من اساطين الحوزة العلمية فيها (١٢٠٠هـ - ١٢٢٠هـ).

الاول: الروايات التي تواترت عن النبي صلى الله عليه واله والائمة المعصومين، وطرق اثباتها، مما يدخل تحت عنوان علم الكلام بطريقته التقليدية، وفي ضوء منهج اهل البيت عليهم السلام.

الثاني: اظهار كرامات الامام امير المؤمنين عليه السلام وبيان أفضليته وهو يدخل في جانب كبير منه تحت باب الاعتماد على الروايات التي نقلت.

الثالث: المحاكمة العقلية التي يعتمد عليها الشاعر في دحض حجج الخصوم، وقد حفل الادب الاسلامي منذ عصر صدر الاسلام بنماذج من الشعر يعبر كل منها عن وجهة نظر قائله في هذا الامر، حين نشا ما يعرف بالشعر السياسي، فكان للامويين شعراؤهم وللخوارج شعراؤهم، ولأهل البيت عليهم السلام شعراؤهم. وقد اعتمد هؤلاء الشعراء على المحاكمة العقلية في اثبات دعاواهم[٥]

ولا شك في ان المحاكمات العقلية تبتعد في طبيعتها عن روح الشعر، الذي من اولى صفاته مناجاة العاطفة الانسانية وترجمة انفعالات النفس، في التعبير عن تجربة شعورية يبحر بها الشاعر.

ومن هنا يبدو تميّز بعض الشعراء في معالجة مثل هذه القضايا، فكلما كان الشاعر متمكنا من صنعته "والشعر صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير"[٦] كان اكثر قدرة على التاثير وكان لشعره قدرة اكثر على البقاء والخلود، لان الطبيعة الانسانية، والعواطف الانسانية، باقية ما بقي الانسان وهي – دائما- شغل شاغل لبني البشر.

اما الموضوع الثاني الذي شغل شعراء أهل البيت عليهم السلام فهو قضية استشهاد الامام الحسين عليه السلام في عاشوراء وجميع أولاده وأصحابه... وهي القضية التي بقيت شعلة حيّة في ضمير المسلمين، لا تطمسها الأيّام ولا تمحو ذكرها السنون.

ولقضية الامام الحسين عليه السلام جانبان بارزان:

- جانب عقيدي يتمثل في ان المعركة التي وقعت في سنة ٦١هـ هي معركة صراع بين منهجين:
- الاول ينطلق من مفهوم اسلامي محمدي أصيل يمثله الامام الحسين عليه السلام وقد جاء الاسلام بخطاب موحد للعرب، فحارب دعوى الجاهلية وأمات الروح القبلية الي تنزع للقبيلة وكان بيانه الجديد متمثلا بقوله تعالى" يا أيها الناس إنا خلقتاكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير" (الحجرات /١٣).

وقد خاطب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحد اصحابه وقد عير احدهم بقوله "انك امرؤ فيك جاهلية"[٧] وهي حال العرب قبل الإسلام من الجهل بالشرائع، والمفاخرة بالانساب، والكبر، ولعل موقف الاسلام في صدره أشد ظهوراً في وضع مسميات جديدة للعرب المسلمين بعيدا عن الروح القبلية وعصبيتها مثل: جماعة الانصار وجماعة المهاجرين، وأصحاب بدر وغيرها من المسميات التي وان لم تلغ عصبية النسب تماما الا انها حولتها وجهة دينية[٨]

- والثاني منهج مرتد على الاسلام، يقوم على محو كل ما هو أصيل في الفكر الاسلامي وإحياء سنن الجاهلية بكل اشكالها، وإشاعة التخلف الفكري في إلهاء الناس بأمور جانبية من قبيل شعر الهجاء

٥- انظر: شعر البصرة في العصر الاموي، الشريف قاسم عون، ط٢، دار الجبل، بيروت، ١٩٩١م: ص٤٤ وما بعدها

٦- الحيوان، الجاحظ، ط٢، تحقيق: عبد السلام هارون، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٦٨م: ١٣١/٣

٧- النهاية في غريب الحديث والاثر، مجد الدين ابن الاثير (ت٦٣٠هـ)، تحقيق: طاهر الزوادي ومحمود الطناحي، مطبعة شريعت، ايران: ٣٢٣/١

٨- انظر: تاريخ التمدن الاسلامي، جرجي زيدان، دار الهلال، القاهرة، ١٩٥٨: ٤٣/٤. وانظر ايضا: مختصر تاريخ العرب والتمدن الاسلامي، سيد امير علي، ترجمة رياض رافت، ط١، دار الافاق العربية، القاهرة، ٢٠٠١م: ص٢١١ وما بعدها

وأدب النقائض الذي وجد سوقا رائجة في ظل حكم بني امية[٩] فقد اتخذ الامر وجهة جديدة حين جاء الامويون للحكم، اذ اعتمدوا على القوة العسكرية القبلية عتمادا كاملا، واوقعوا الخلاف الشديد بين العرب المضرية والعرب الكلبية[١٠]

بل ان قيام الدولة الاموية تمّ على أساس قبلي، وقد اشتركت قبائل الشام في فتوح الشام ومصر وفارس، ولا بد من ان معظمهم كان يحمل ولاءه القبلي جنبا الى جنب مع ولائه الديني، ولا سيما ان الدولة في منهجها تحبذ ذلك، فكانت هناك قبائل من قحطان احدى شعبتي العرب مثل جذام وكلب ولخم وغسان وطي وتغلب... وكانت هناك قبائل مضرية واخرى من ربيعة من قبائل قيس من مضر العدنانية وثقيف وباهلة وجشم وغيرها[١١] ولما كانت معظم قبائل مضر في الشام من قيس عيلان بن مضر فسموا قيسية اما اليمنيون فكانت غالبية قبائلهم تسمى الكلبية نسبة الى كلب بن وبرة الذي ينتمي الى قبيلة قضاعة[١٢]، ويعرف القيسيون او المضريون ب(عرب الشمال) في حين يعرف الكلبيون او اليمنيون بـ (عرب الجنوب) وحتى قيام الدولة الاموية لم يكن العرب يعرفون هذه التسميات القبلية[١٣]

ويجدر القول هنا: ان العصبية القبلية التي أحياها الامويون وجعلوها قاعدة لسلطانهم، قد نمت عندهم منذ ان تولوا أعمال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتقدموا على من سواهم من العرب، بل وحتى على بني هاشم، فقد تولى الحكم بن سعيد بن العاص بن امية على السوق، وتولى عمر بن سعيد بن العاص بن امية على خيبر ووادي القرى وتيماء وتبوك، وتولى خالد بن سعيد بن العاص بن امية على صنعاء، وتولى ابو سفيان على نجران، وابان بن سعيد بن العاص بن امية على البحرين، وعمرو بن العاص بن امين على عمان[١٤] ويعلق المقريزي على ذلك فيقول: ان هذا وشبهه "هو الذي حد انياب بني أمية وفتح ابوابهم، واترع كاسهم، وفتل أمرهم حتى لقد وقف أبو سفيان بن حرب على قبر حمزة رضي الله عنه فقال: رحمك الله أبا عمارة لقد قاتلتنا على امر صار الينا"[١٥] وكان ذلك ايام عثمان بن عفان، اذا ان ابا سفيان توفي في خلافته سنة احدى وثلاثين[١٦]

ان الامويين لم يكتفوا بذلك، بل عزّزوا سلطانهم وقوّوا شوكتهم باسلوب المصاهرة الى القبائل التي تناصرهم لكي تقوى عرى العلاقة معهم، وكان عثمان بن عفان قد أصهر الى بني كلب اليمنيين، فاقتدى

٩- للاستزادة انظر:
الاغاني، ابو الفرج الاصفهاني (ت٣٥٦هـ)، تحقيق: احمد عبد الستار فراج، دار الثقافة، بيروت، ١٩٥٥- ١٩٦١: ١٢٨/١٦
الكامل في اللغة والادب، محمد بن يزيد المبرد، تحقيق: د.عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٢م.
ويستفاد من النصوص التي نقلها في معرفة العصر
الامامة والسياسة، ابن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ) تحقيق علي شيري، مطبعة شريعت، ايران، ١٤٢٨هـ
الامامة والسياسة، ابن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ)، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٧/٢٠٠٦
١٠- انظر: عالم الاسلام، د.حسين مؤنس، دار الزهراء للاعلام ىالعربي، القاهرة، ١٩٨٩م: هامش ص١٩٥
١١- ينظر بتفصيل: اوفى: الاحكام السلطانية والولايات الدينية، ابو الحسن علي بن محمد البغدادي الماوردي(ت٤٥٠هـ)، دار الحرية، بغداد ١٩٨٩م: ٣٠٤
وانظر: جمهرة انساب العرب، ابن حزم، تحقيق: علي محمد البجاوي، مطبعة البابي الحلبي، مصر، ١٩٥٣م: ٣٠٣
١٢- انظر: جمهرة انساب العرب: ٤٥٥
١٣- انظر: عالم الاسلام: ١٩٥
١٤- انظر: تاريخ خليفة بن خياط، خليفة بن خياط بن ابي هبيرة الليثي العصفري (ت٢٤٠هـ)، مراجعة وضبط د.مصطفى نجيب فواز و د.حكمت كشلي فواز، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥: ٨٤
وانظر: النزاع والتخاصم فيما بين بني امية وهاشم، تقي الدين احمد بن علي المقريزي (ت٨٤٥هـ)، تحقيق: حسين مؤنس، مطبعة امير، قم، ١٤١٢: ٨٢- ٨٤
١٥- النزاع والتخاصم: ٨٤
١٦- تاريخ الخلفاء

به معاوية وتزوج ميسون بنت بجدل الكلبية وهي ام ولده يزيد (قاتل الحسين) عليه السلام وسرعان ما ظفر بنصرة قبائل كلب اليمانية[١٧] فزوجة عثمان نائلة بنت القرافصة الكلبية وزوجة معاوية ميسون بنت بجدل، وتزوج مروان بن الحكم من ليلى زبانة بن الاصبغ الكلبية وهي ابنة عم نائلة، ولما كان الصهر عند العرب كالنسب فان معاوية أفلح في استغلال مصاهرته بقبيلة كلب اليمانية، حتى انه ضمّ تحت لوائه جميع القبائل اليمانية الشامية[١٨] وتمضي سنة معاوية مع هذا الجناح او ذاك من قبائل العرب حتى اصبحت العصبية القبلية مفتاحا نصل به الى معرفة كثير من اسباب الحوادث التاريخية الكبرى في العصر الاموي، وفهم كثير من الشعر والادب ولا سيما الفخر والهجاء[١٩] والجانب الاخر في قضية الامام الحسين عليه السلام، الجانب العاطفي متمثلا في مخاطبة العاطفة واثارة الاحاسيس الانسانية التي تستبشع ما وقع في هذه المعركة من تجاوز على القيم الانسانية والاجتماعية والخلقية، قلّ نظيره في تاريخ الاسلام، وان لم يكن معدوما.

وفي هذا الجانب يتسع المجال امام الشاعر – لا سيما اذا كان مبدعا ومتمكنا من فنه – للابداع وتوخّي جوانب استنزال الدمعة والمشاركة العاطفية مع آل البيت عليهم السلام في مصيبتهم التي بقيت تفاصيلها تروى على مدى القرون .

وقد لجا ابن العرندس الى كلا الأمرين في الدفاع عن عقيدته ولا شك في ان ثمانية قرون (حتى عصر الشاعر) مرت على القضية الحسينية قد اكسبها طرحا ناضجا، بعد كل هذا التراث الطويل في رثاء الحسين عليه السلام والحديث عن أبعاد ثورته.

أما مدينة الحلة فمن بين ما روي عن الامام علي عليه السلام انه ذكر تمصير الحلة على يد المزيديين، اذ ورد عن علي ابن ابراهيم عن ابيه عن ابن ابي عمير عن ابي حمزة الثمالي عن الاصبغ بن نباتة قال: "صبّحت مولاي أمير المؤمنين عليه السلام عند وروده الى صفين وقد وقف على تل عرير، ثم أومأ الى أجمة ما بين بابل والتل وقال: مدينة واي مدينة، فقلت يا مولاي أراك تذكر مدينة أكان هاهنا مدينة وانمحت اثارها؟ فقال: لا ولكن ستكون مدينة يقال لها الحلة السيفية يمدنها رجل من بني اسد، يظهر بها قوم من الاخيار لو اقسم أحدهم على الله لابرّ قسمه"[٢٠]

وشهدت المدينة منذ تمصيرها على يد الامير سيف الدولة صدقة بن منصور الاسدي المزيدي سنة ٤٩٥هـ، ظهور مئات الاعلام فيها، من الذين اطبقت شهرتهم الآفاق، ولقبوا بالقاب دلت على عظيم منزلتهم ومبلغ علمهم[٢١]

ونبغت فيها أسر علمية ما تزال تذكر آثارها بعين الاحترام والتبجيل منهم: آل طاووس، وآل نما، وآل جيا، وآل سعيد، وآل المطهر، وآل معية... كانوا أركانا للنهضة العلمية لا سيما بعد نشوء الحوزة العلمية في الحلة، وتصدرها الزعامة الدينية، ولعل الاسهاب في الحديث عن هذا يؤدي الى الاطالة التي لا موجب لها.

١٧- انظر: تاريخ الطبري (تاريخ الامم والملوك)، محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٨: ٣/٢٦٢- ٢٦٤

وانظر: تاريخ الاسلام السياسي، حسن ابراهيم حسن، ط٣، مكتبة النهضة، مصر، ١٩٦٤: ١/٢٨٥

وانظر ايضا: تاريخ النقائض، احمد الشايب

١٨- انظر: العصر الاسلامي، شوقي ضيف، ط٢، دار المعارف، مصر، ص١٩٢، ١٩٧٨: ٢٣٠

١٩- فجر الاسلام: احمد امين، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م: ١/١٨٦

٢٠- انظر: المعالم التراثية والدينية في الحلة الفيحاء، سعد الحداد، الحلة، ٢٠٠٦: ١- ٢

وانظر: من مشاهير اعلام الحلة، د.ثامر الخفاجي، ط١، مكتبة المرعشي النجفي، قم، ١٣٨٤هـ/٢٠٠٧م

٢١- انظر: من مشاهير اعلام الحلة

لقد عرضت في البحث الاول (من شعراء العقيدة) الى الحديث عن الناشيء الصغير (ت ٣٦٦هـ) وتوظيفه فنه في نصرة قضية الإمام الحسين عليه السلام والذب عن عقيدته في دولة بني العباس، وفي هذا البحث سأعرض لشاعر يكاد يكون نهج السبيل نفسه الذي نهجه الناشئ الصغير، برغم الحقبة الطويلة التي تفصل بين عصريهما (خمسة قرون تقريبا) [٢٢].

هذا التراث الكبير، وغيره كثير، لابد من ان يكون امام عيني شاعر يتخذ من عقيدته ميدانا أوسع لفنه، ولذلك تجده يغرق في تفاصيل الحدث مقلبا صفحاته بلوعة شديدة، منقباً الصور التي هي أكثر تاثيرا من غيرها، وقد بقيت على طول السنين تثير في المسلمين ولا سيما أتباع منهج اهل البيت عليهم السلام اللوعة الشديدة والالم المحض، تلك التي جعلت الادب الحسيني واحداً من الاداب الخالدة في التاريخ .

وسوف أعرض في الاتي لشعر ابن العرندس في الامرين اللذين تقدم ذكرهما وهما: ولاية امير المؤمنين عليه السلام، واستشهاد الامام الحسين عليه السلام.

ابن العرندس وعرضه لقضية الولاية:

بقيت قضية الامامة والولاية واحدة من اهم القضايا التي شغلت الفكر الاسلامي منذ وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وحتى عصر الاسلام هذا، فقد نشأ صراع دائم بين منهجين في الامامة والولاية والخلافة، واحد يقول بان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يترك الناس هملا من دون تنصيب إمام لهم، يقود المسيرة الاسلامية، ويضع الحلول لما يستجد من احوال ومسائل، ويرى أتباع هذا المنهج ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم أوصى من بعده لامير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام وسلسلة الائمة الاثني عشر من بعده، في حين ان الفريق المقابل يرى ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم توفي ولم يوص لاحد من بعده، بل ترك الامر للمسلمين يرون فيه رأيهم، ولم يستطع الفريق الثاني ان يقدم أسسا موضوعية ثابتة لهذا الاختيار فقد تم مرة ببيعة أهل الحل والعقد (بيعة ابي بكر الصديق) ومرة بالوصية (وصية ابي بكر للخليفة الثاني) وبالشورى ثالثة (اختيار عثمان) وبالبيعة العامة رابعة (بيعة الخليفة الرابع)[٢٣]

وبغض النظر عن الخوض في تفاصيل هذه القضية (فليس هذا مكانه) فان هذين المنهجين بقيا يسيران متوازيين، وان كتبت الغلبة في الإستيلاء على السلطة للثاني منهما، ولكن المؤمنين بالمنهج الاول ظلوا يعلنون عقيدتهم في الوصية، وسلكوا في ذلك سبيلين يهمنا الاطلاع عليهما لما لهما من علاقة بفن ابن العرندس الشعري... هذان السبيلان هما:

١. الاستناد الى الرواية في ترسيخ القناعة بصدور الوصية من النبي صلى الله عليه وآله وسلم قبل وفاته، ولعل أجلى ما كُتب في ذلك موسوعة الغدير للعلامة الاميني[٢٤] التي عرض فيها المؤلف الى ما قيل من شعر في الغدير طول القرون الماضية، زيادة على الروايات المستندة الى الكتاب والسنة.

وتطلب هذا السبيل من الشاعر ان يعرض الرواية خلال النصوص الشعرية، والاشارة اليها في قصيدته

وقد افسح مؤلف الغدير في الجزء السابع من موسوعته محلا رحبا للحديث عن ابن العرندس ونقل بعض النصوص الشعرية له، معلقا عليها بذكر الروايات بتفصيل لا سبيل الى عرضه في هذا البحث[٢٥]

٢٢- انظر ملحق رقم(١) في نهاية البحث

٢٣- انظر: الامامة والسياسة، ابن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ)، ط٢، دار الكتب، بيروت، ١٤١٧هـ/٢٠٠٦م: ٢٨- ٣٤

٢٤- انظر: الغدير في الكتاب والسنة والادب وهو موسوعة في اربعة عشر جزءا تقصت باسهاب وتدقيق مصادر حديث الغدير والروايات التي وردت بشانه، وما ذكره الشعراء عنه من يوم غدير خم حتى العصر الحديث

٢٥- م.ن: ١١/٧- ٣٥

٢. الجانب الثاني: بيان أفضلية الامام علي عليه السلام وأحقيته بخلافة النبي وإمامة الامة، ولعل ذلك – ايضا- يتطلب عرضا للروايات في جانب منه

اما الموضوع الثاني الذي شغل شعراء أهل البيت عليهم السلام ونظموا فيه فهو قضية الامام الحسين عليه السلام.

وكان للشاعر اسهام واضح ومهم في هذا الجانب تمثل في القصائد الكثيرة التي قالها في رثاء الامام الشهيد عليه السلام وطريقة عرضه للقضية من جانبيها الفكري والعاطفي وطريقة الوصف اللافت والدقيق لكلا الامرين

وفي قضيتي الولاية وعرض قضية الامام الحسين آثرت ان اجمل الحديث في القصيدة الاولى التي نقلها صاحب الغدير، وقد اخترتها للتحليل لتكون موضوع البحث وذلك للاسباب الأتية:

١. طول القصيدة اذ بلغ عدد ابياتها ١١٢ بيتا[٢٦]
٢. ثبوت نصها الذي ذكرته ثلاثة مصادر مهمة باختلاف جدا يسير[٢٧]
٣. شمولها للمواضيع التي تقدم ذكرها فيما سبق من صفات البحث، فهي تمثل بحق فكرا ونظرة متكاملة للشاعر وبيانا واضحا عن عقيدته ومزايا اسلوبه في الدفاع عنها.
٤. انها تطرقت الى الامرين الاساسين في منهج اهل البيت عليهم السلام وهما: الحديث عن ولاية امير المؤمنين عليه السلام وعرض قضية الامام الحسين عليه السلام بجانبيها.
٥. احتوت فنونا من البلاغة سنشير اليها.

عرضه لولاية امير المؤمنين عليه السلام:

عمد ابن العرندس في عرضه لقضية الولاية الى السبيلين الذين تقدم ذكرهما وهما: سوق الروايات التي وصلت الينا عن امير المؤمنين عليه السلام وذكر المعجزات التي تحققت على يديه، من خلال شعره ففي قصيدته التي اخترناها ومطلعها:

اضحى يَمِيسُ كَغُصْنِ بانٍ في حلَى قمرٌ اذا ما مرَّ في قلبي حَلا

قال منوّها بالروايات التي وردت في امير المؤمنين عليه السلام:

والمعجزات الباهرات النيرا ت المشرفات المعذرات لمن غلا
منها رجوع الشمس بعد غروِ بها نبأ تصير له البصائرُ ذُهَّلا
ولسيرِهِ فوق البساط فضيلةٌ اوصافها تعيي الفصيح المقْوِلا
وخطاب اهل الكهف منقبةٌ علَتْ وعَلَتْ فجاوزت السماك الأعْزلا
وصعود غاربَ احمدٍ فضلٌ له دون القرابةِ والصحابةِ افضلا[٢٨]

ومن استناده على ما يروى من مناقب امير المؤمنين عليه السلام يقول:

وبه توسل آدمٌ لمّا عصى حتى اجتباهُ ربّنا وتقبّلا
وبه دعا نوحٌ فسارت فُلْكُهُ والارضُ بالطوفانِ مفعمةٌ ملَا
وبه الخليل دعا فأضحت ناره بردا وقد اذكت حريقا مُشْعَلَا

٢٦- انظر: الغدير في الكتاب والسنة والادب: ٧/١١- ١٨

٢٧- انظر: اعيان الشيعة: ١١/٣٩٩ وما بعدها

٢٨- هذه مناقب لامير المؤمنين عليه السلام وغيرها كثير يذكرها الشاعر يرشح فكرته التي قدمنا الحديث عنها، انظر واقعة رد الشمس والروايات والكتب التي الفت فيها: الغدير: ٣/١٨٦- ٢٠٢، وقد أوصلها الى ثلاث واربعين وفي غيرها من المناقب انظر: م.ن: ٧/١٨- ٢٤

وبه دعى موسى تلقّفت العصا ... حياتَ سِحْرٍ كُنَّ قُدْمَاً أَحْبُلَا
وبه دعا عيسى المسيح فانطق ... المَيْتَ الدَّفينَ به وقامَ مِن البِلَى
وبخم واخاه النبي محمد ... حقا وذلك في الكتاب مُنَزَّلَا

الى ان يقول:

وترابُ نعلِ أبي تُرابٍ كُلَّمَا ... مَسَّ القذا عينٍ يكون لها جِلَا
فعليه أضْعافُ التحيّةِ ما سضرى ... سارٍ وما سَمِحَ السَّحابُ وأهْمَلَا
سمعاً أمير المؤمنين قصائدا ... تزدادُ ما مَرَّ الزَّمان تجمّلَا

ولا ينسى ان يمدح شعره فيقول في خاتمة قصيدته:

عربيةٌ نشأت بِحِلَّةِ بابلٍ ... فغدَّتْ تُخَجِّلُ بالفصاحةَ جِرْوَلَا[29]
سادتْ فشادتْ للعرندسِ صالحٍ ... مجْدا على هام النجوم مؤثَّلَا
وسِمَتْ قلوبَ حواسدي وسمتْ على ... (نَمِّ العذارِ بعارضيْهِ وسَلْسَلا)[30]
وعلَتْ بمدحِكَ يا عليّ ووازنت ... (لم ابْكِ رَبْعَا للْاحبّةِ قد خَلَا)[31]

وفي سبيله الثاني في ذكر ولاية امير المؤمنين لجا الى بيان افضليته عليه السلام وتميزه بين الصحابة ومن هنا يرى أحقيته في الخلافة لكونه الافضل فيقول:

هذا الذي حاز العلوم بأسرها ... ما كان منها مُجْمَلاً ومُفَصَّلا
هذا الذي بِصلاته وصلاتِهِ ... للدينِ والدُّنيا أتمّ وأكْمَلا
هذا الذي بحُسامِهِ وقناتِهِ ... في خيْبَرٍ صَعْبُ الفتوحِ تَسَهَّلا
وأبادَ مَرْحَبَ في النزال بضربةٍ ... ألقت على الكفّار عِبْئاً مُثْقَلا
وكتائبُ الأحزابِ عمَّرها ... بدمائِهِ فَوْقَ الرِّمالِ مُرَمَّلا
وتبوكُ نازلَ شُوْسَها فأبادَهُمْ ... ضَرْباً بِصارمِ عزْمِهِ لَن يُفْلَلَا

وقال في مناقب امير المؤمنين عليه السلام:

ثمّ السلامُ مِنَ السلامِ على الّذي ... نُصِبَتْ له في خُمّ راياتُ الوَلا
تالي كتابَ اللهِ أكرمُ مَنْ تَلَا ... وأجلّ مَن للمُصْطَفَى الهادي تَلا
زوجُ البتولِ أخُ الرّسولِ مُطَلِّقُ ... الدنيا وقاليها بنيرانِ القِلَا
رجلٌ تسربل بالعفافَ وحبّذا ... رجل باثواب العفاف تسربلا
تلقاه يوم السلم غيثا مسبلا ... وتراه يوم الحرب ليثا مشبلا

اما في شعره في قضية الامام الحسين فان له جملة قصائد في رثائه عليه السلام نذكر منها

١. **قصيدته التي مطلعها:**

صدايا نظامي في الزمان لها نشرُ ... يعطّرها من طِيْبِ ذكراكم نشرُ[32]

٢٩- جرول: قال قي الغدير: "جرول من خطباء العرب وفصحائها المشهورين يضرب به المثل فيقال: اخطب من جرول": الغدير: ١٧/٧ واحسب انه اراد بجرول: الحطياة فان اسمه الاول جرول وهو اقرب

٣٠- مطلع قصيدة للشيخ علاء الدين الحلي، انظر في ترجمته: الغدير: ٣٨٣/٦، و: ١٨/٧

٣١- من قصيدة جمال الدين الخلعي، انظر في ترجمته: الغدير: ١٢/٦- ١٩

٣٢- انظر: الغدير ٣٠.٥./٧ وذكر منها ٥٧ بيتاًوأعيان الشيعة: ٣٩٩/١١-٤٠٠ وذكر منها ٤١ بيتاً ووردت في الغدير (ذكراكم) وفي الأعياان: (ذكركم)

٢. قصيته التي مطلعها:

ايا بني الوحي والتنزيل يا املي يامن ولاكم غدا في القبر يؤنسني[٣٣]

٣. وقصيدته التي مطلعها:

بات العذول على الحبيب مسهدا فاقام عذري في الغرام ومهدا[٣٤]

٤. وقصيدة ذكر مطلعها صاحب الغدير وهو قوله:

نوحوا ايا شيعة المولى ابي حسن على الحسين غريب الدار والوطن[٣٥]

وفي تناوله لقضية الامام الحسين عليه السلام في قصيدته التي اخترناها للبحث يبدا بذكر مناقب الامام مشيرا الى الروايات المنقولة في ذلك يقول:

القائم الصوّام والمتصدّق الطعّا م افرس من على فرس علا
رجل بصيوان الغمامة جده المختار في حر الهجير تظلا
وابوه حيدرة الذي بعلومه وبفضله شرح الكتاب تفصلا
والام فاطمة المطهرة التي بالمجد تاج فخارها قد كللا
نسب كمنبلج الصباح يزينه حسب شبيه الشمس زاهي المجتلى
السيد السند السعيد الساجد السبط الشهيد المستضام المبتلى
قمر بكت عين السماء لاجله اسفا وقلب الدهر بات مقلقلا[٣٦]

وهكذا تجده يعرض لمناقب الامام عليه السلام بتفصيل واف كانما يكتب بحثا مفصلا، مستقصيا في ذلك امورا تعد من المسلمات عند من يؤمن بمنهج اهل البيت عليهم السلام.

ويذكر شجاعة الامام عليه السلام فيقول:

فكأنه وجواده وحسامه يا صاحبيّ لمن اراد تامُّلا
شمس على الفلك المُدار بكفّه قمر منازله الجماجم والطِلا
والخيل محدقة بجيم جماله وقلوبهم في الغي تحكي المرجلا
والسبط يخترق المواكب حاملا بعزيمة تردي الخميس الجحفلا
فبسين سحر الخط يطعن أنجلا وبياء بيض الهند يضرب أهدلا
فتخال طاء الطعن انى أُعجمت نقطا وضاد الضرب كيف تشكلا

اما في السبيل الثاني لذكره قضية الامام الحسين عليه السلام وهو سبيل اثارة الجانب العاطفي لدى المتلقي فان الشاعر يسهب في تفصيل واقعة المعركة منبها على الجانب الماساوي فيها، ومشيرا الى خرق جيش بني امية لكل قيم العدالة والانصاف في حربهم مع الامام الحسين عليه السلام فيذكر في رثائه للامام عليه السلام الاحداث بلوعة صادقة وأسى شديد فيقول:

تالله لا أنساه فرداً ضامياً والماء ينهل منه ذيبان الفلا

فاستشهاد الامام الحسين عليه السلام ضامئا قضية ظلت تثير خيال الشعراء وأساهم، ولا تجد شاعرا يرثي الامام الا وقد اشار الى ضمإه ساعة استشهاده برغم وجود الماء بقربهم، بل ان الضمأ يستدعي ذكر

٣٣- انظر: أعيا ن الشيعة ١١/٤٠٠-٤٠١، وذكر منها تسعة أبيات، ولم يذكرها صاحب الغدير.
٣٤- انظر الغدير ٧/٣٥ وذكر منها ٥١ بيتاً، وأعيان الشيعة ١١/٤٠١، وذكر منها ١٢ بيتاً.
٣٥- انظر الغدير ٧/٣٥ وقال انها تناهز ٥٦ بيتاً، ولم يذكرها صاحب الأعيان.
٣٦- الغدير: ٧/١٢

استشهاد الامام مترافقا مع استشهاد اخيه العباس عليهما السلام في ذلك الموقف الذي ادى بالعباس عليه السلام الى الهجوم على الجيش للحصول على الماء لعيال اخيه الحسين عليه السلام فيذكر ابا الفضل العباس في قوله:

والسيّدُ العبّاس قد سلب العدا عنه اللباس وصيروه مجدلا (٣٧)

ونجده لا يمر بواقعة في المعركة الا ويعطيها حقّها في الحدث فيصف قتال الامام الحسين عليه السلام ويقول:

حتـى اذا مـا الـسبط آن مماتـه وعليـه سـلطان الحمـام توكّـلا
داروا بـه النفـر الطغـاة بنـو الزنـا ة العاهرات وطبقوا رحب الفلا(٢
ورمـاه بعـض المـارقين بعيطـل سـهما فخـر علـى الـصعيد مجـدلا
واتـى بغـي مـن ضـباب صـائلا بالقس تغميض القطامي الأجدلا(٣
وجثـا علـى صـدر الحـسين وقلبـه حقدا وعـدوانا عليـه قـد امتـلا
فـبرى بـسيف البغـي رأسـا طالمـا لـثم الـنبي ثنيتيـه وقبّـلا

ويذكر ما حدث في ساعة سقوط الشهيد عليه السلام وقد اسهبت الروايات في الحديث عن امور لافتة حدثت حينذاك ويقول بعد الابيات التي تقدمت:

واسود قرص الـشمس سـاعة قتلـه أسَفاً وشُـهب الفلـك أمْسَت أفّلا
ونعـاه جبريـل وميكـال واسـ ـرافيل والعـرش المجيـد تزلـزلا
والطـير في الاغـصان نـاح مغـرّداً والـوحش في القيعـان نـاح وأعـولا
واتـى الجـواد ولا جـواد فوقـه متوجعـا منفجعـا متوجـلا

وبعد استكمال وصف اركان الصورة كاملة قبل المعركة وخلالها وبعدها، يصف الشاعر ما حدث بعد مقتل الحسين عليه السلام وقد تقدم بعض الوصف في الحديث عن جواد الامام الحسين عليه السلام ويكاد يختم الصورة الرواية في قوله:

حتـى اذا قتـل الحـسين وأصـبحت مـن بعـده غُـرّ المدارس عطّـلا
ومنـازل التنزيـل حـل بهـا العـزا ومن الجليس انيس مربعها خـلا
بغـت البغـاة جهالـة سـبي النـسا وبغـت وحـق لمـن بغـى ان يجهـلا
نـصبوا بمرفـوع القنـاة كريمـة جهرا وجروا للمعاصي اذيـلا
وسـروا بنـسوته الـسراة بـلا مـلا حسرى يلاحظهـن الحـاظ المـلا
وغدوا بزين العابدين الساجد الـ ـحبر الامين مقيدا ومغلّـلا
وسكينة امسن وساكن قلبـها متحرك فيها الاسى لن يرحـلا

ولم يجحد الشاعر الخيل حقها في الوصف، فتراه يرصد فيها اوصافا طالما شغلت الشعراء الفرسان من العرب، منذ عنترة وتحمحم حصانه حتى اليوم، وطالما اخذت الخيل مكانها المميز في أذهان الشعراء وشعرهم فأعطوا للخيل أوصافاً تشير الى شدة اعتزازهم بها، ولا غرو فالخيل يرتبط ذكرها بالفرسان والمعارك والخيل معقود بنواصيها الخير، وهي دليل الشجاعة والفروسية واخلاقها التي انعدمت تماما في

٣٧- لعلها: (مجندلا) بدلا من (مجدلا) فيكون قد أصابها تصحيف

(٢) نشير هنا الى استعماله لغة ضعيفة في قوله (داروا) برغم أن لديه متّسع في عدم استعمالها، ويمكن أن يقول (دارت)ويبقى الوزن مستقيماً، ولذلك توجيه يطول القول فيه لعله كان مقصودا.

(٣) القس: السيف، والقطاميّ الأجدل: الصقر.

معركة الطف، وضاعت مقاييسها فيها، ولذلك فقد ظل الشعر العربي يستظل بذكر الخيل والمعارك والفرسان ونجد شاعرنا يقول:

فسطا عليهم بالنزال بعزْمَةٍ ... تذر الحسام المشرفيّ مفلّلا
من فوق طِرْف أعوجي سابحٍ ... كالبرق يسبق في سراه الشمألا
فرس حوافره بغير جماجم الـ ... ـفرسان في يوم الوغى لن تنعلا
أضحى بمبيض الصباح مجلّلا ... وغدا بمسود الظلام مسربلا

بل ان الشاعر يؤنسن تصرف الجواد، ويضفي عليه مسحة آدميّة تظهر تفجّعه، ويضفي عليه حركة وإيحاء رائعاً حين يصف رجوع الجواد بعد سقوط فارسه "الامام الحسين عليه السلام" الى المخيم فيقول:

واتى الجوادُ ولا جوادٌ فوقه ... متوجّعا مستفجّعا متوجّلا
عالي الصهيل بمقلة انسانها ... باكٍ يسحّ الدَّمْعَ نقْطا مُهْمَلا

فالجواد هنا يحس بمقتل فارسه ويعود الى مخيم الحسين عليه السلام بحال من الحزن والبكاء وصهيل الملتاع، ويسند هذا الوصف ما قيل عن جواد الامام الحسين عليه السلام من انه كان من كرام خيل النبي صلى الله عليه وآله وسلم وانه طلب فلم يلحق كما ذكر اصحاب المقاتل.

نظرة في فن الشاعر:

تقدم القول في ان الشعر يكاد يكون – في فنه- امتداداً لما حفلت به تلك الحقبة ابان حكم المغول وما بعده. ومما ينماز به فن الشاعر في قصيدته هذه:

أضحى يميس كغصن بان في حلى ... قمرٌ اذا ما مر في قلبي حلا
سلب العقول بناظر في فترة ... فيها حرام السحر بات محلّلا
وانحل شدّ عزائمي لمّا غدا ... عن خصره بندُ القَباء مُحَلّلا
وزها به كافور سالف خده ... لما بريحان العذار تسلسلا
وتسلسلت عينا سلاسل صدغها ... فلذاك بات مقيّدا ومُسلسلا
قمرٌ قويم قوامه كقناتِهِ ... ولحاظُه في القتل تحكي المنصلا

وتطول المقدمة حتى تبلغ سبعة عشر بيتا في الغزل لتخلص منها الى غرضه في رثاء الامام الحسين عليه السلام.

ونجد في هذه المقدمة صورة للمفردات الغزلية التي حفلت عصور الادب العربي من غزل حي يتجلى في وصف المحاسن، وفي تشبيه تقليدي فهو يميس كالغصن ويشبه القمر ويسلب العقول بنظرة فاترة، وقد داب الشعراء العرب على وصف النظرات بالفتور، وكانهم بهذا ياخذون على الانثى ان تكون ذات نظرات حادة، ويعدونه نوعا من الصلف، وهو انعكاس لعقدة يحملها الرجال الذين يريدون ان تكون المراة دائما مثالا للضعف وفتور النظر واحد من علامات ذلك الفتور المستحب.

ويخاطب الشاعر معشوقه بضمير المذكر، وهو ما جلب على الشعر كثيرا من النقد الاخلاقي واتهام الشعراء بالولع بالغزل بالمذكر، من دون ان يفطنوا الى ان الشار في غزله هذا وامثاله قد لا يعني شخصا محددا بذاته وانما هو تقليد بات مطلوبا وصار سنة لدى لاشعراء ينفسون بها عن عواطفهم. وان موضوع الغزل بالمذكر في الشعر العربي لا يفهم بهذه السطحية والسهولة[٣٨]، وهكذا فالقصيدة في مقدمتها الغزلية

٣٨- انظر في ذلك: المعارك الادبية في القرون الثلاثة الاخيرة واثارها في الحركة الادبية، رسالة دكتوراه لكاتب البحث، كلية الاداب، جامعة الكوفة، ٢٠٠٥. وفيها فصل عن معركة الادب الرفيع التي كان ابرز محاورها موضوع الشعر العربي والغزل بالمذكر

لم تكن الّا مظهرا من مظاهر التقليد الذي داب عليه شعراء هذه القرون، وان الشاعر سار على منهجهم واقتفى خطواتهم في ذلك.

ومن مظاهر التقليد في القصيدة لديه ما نجده من التاثر بالموروث الاسلامي من الحديث الشريف والاقوال الماثورة، ففي مقدمته الغزلية يقول:

سلب العقول بناظرٍ في فترة فيها حرام السِّحر بات مُحللا

وهو هنا يستلهم ما يقال عن الشعر انه السحر الحلال، فيرى الفتور في النظرة يسلب العقل كما يسلبه السحر مع فارق ان هذا السحر حلال.

ويفيد من الموروث في استناده الى الروايات التي تقدم الحديث عنها ومنها قوله في وصف النبي صلى الله عليه وآله وسلم

رجل بصيوان الغمامة جده ال مختار في حرّ الهجير تظلّلا

مشيرا الى الرواية الماأورة من ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان تظلله غمامة في السماء تسير معه أنى سار لتقيه حرّ الهاجرة.

ومن مظاهر التقليد في شعره اهتمامه بحسن التخلص الى غرضه من القصيدة فهو بعد المقدمة الغزلية التي تحدثنا عنها نجده يتخلص الى غرضه ببراعة فيقول بعدها مباشرة:

وجرت سحائب عبرتي في وجنتي كرم الحسين على اراضي كربلا
الصائم القوّام والمتصدّق الطعا م أفرس من على فرس علا

ولا تعدم ان تجد التضمين في شعره بمعناه المعروف في تعلق معنى البيت بالبيت الذي يأتي بعده ومن هذا قوله واصفاً الامام الحسين عليه السلام في المعركة يقول:

فكأنه وجواده وحسامه يا صاحبَيَّ لمن أراد تأمُّلا
شمس على الفلك المدار بكفّه قمر منازله الجماجم والطّلا

فجعل المشبه به في البيت الثاني بعد ان ذكر المشبه في البيت الاول.

ولعل ابرز مظاهر التقليد في شعره سعيه لمتابعة ما شاع في عصره من الاهتمام بالمحسنات اللفظية والمعنوية والسعي للاكثار منها في الشعر، والقول في اسباب ذلك يستلزم دراسة موسعة في العصر وما شاع فيه من هذا النوع من الفنون البلاغية.

ومن المحسنات اللفظية التي وردت في قصيدة ابن العرندس واسرف فيها كثيرا بيد انها لم تخل من صور من الجمال والتاثير فن الجناس[٣٩]

والجناس: بين اللفظين هو تشابههما في اللفظ مع الاختلاف في المعنى وهو انواع منه.

الجناس التام: وهو ان يتفق اللفظان في أنواع الحروف وأعدادها وهيئاتها وترتيبها وهو انواع.

ومن امثلة ما ورد من الجناس في شعر الشاعر الجناس الاشتقاقي[٤٠] في قوله:

وتسلسلت عينا سلاسل صدغه فلذاك بات مقيدا ومسلسلا

والجناس الاشتقاقي هنا في: تسلسلت وسلاسل ومسلسلا

- وقوله:

كسرى بعينيه الصحاح وخده النعمان بالخال النجاشي خولا

في (خال وخولا)

٣٩- والجناس بين اللفظين هو تشابههما في اللفظ مع الاختلاف في المعنى وهو انواع سنشير الى كل منها حين ترد في شعر الشاعر

٤٠- الجناس الاشتقاقي هو ان يجمع اللفظين الاشتقاق

- وقوله:

وتوارثوا من بعد سلب نفوسهم دار المقامة في القيامة موئلا

في (المقامة، القيامة)

- ومنه ايضا قوله:

وسكينة امست وساكن قلبها متحرّك فيه الأسى لن يرحلا

في (سكينة، ساكن)

ومن الجناس التام[٤١] في قصيدته:

- قوله:

وسروا بنسوته السراة بلا مِلا حسرى يلاحظهن الحاظ المَلا

والجناس التام في: ملا بمعنى جمع ملاءة

والملا: الناس

- وقوله:

واتى الجواد ولا جواد فوقه متوجّـعا مستفجعا متوجّلا

والجناس التام في الجواد بمعنى الحصان

والجواد الثانية بمعنى الفارس الكريم

ولا يفوتنك الجناس الناقص[٤٢] في قوله في البيت نفسه: متوجعا متوجلا

وفي الجناس الناقص في قصيدة ابن العرندس موضوع البحث قوله:

وجناته جورية وعيونه حورية تَسبي الغزال الأكحلا

والجناس الناقص في قوله: جورية وحورية

- وقوله

كتب العليّ على صحائف خدِّه نونَي قُسِيّ الحاجبين ومثّـلا

والجناس الناقص في علي وعلى

- وقوله:

ولقد برى فيَّ السقام وبتّ في لُجَجُ الغرامِ معالجاً كَرْبَ البلا

والجناس يظهر في: برى – البلى – بت

- وقوله في وصف الامام الحسين عليه السلام:

الصائم القوام والمتصدق المطعا م افرس من على فرس علا

فالناقص في: افرس – فرس

والتام في: على – علا

- وقوله:

شربوا بكاسات القنا خمرَ الفنا مزج البلاء به فامسوا في البلا

٤١- الجناس التام: هو ان يتفق اللفظان في انواع الحروف واعدادها وهيئاتها وترتيبها وهو انواع:

جناس مماثل: وهو ما كان طرفاه من نوع واحد كاسمين مثلا

جناس مستوفٍ وهو ما جاء طرفاه من نوعين مختلفين كاسم وفعل

جناس التركيب: وهو ما كان احد لفظيه مركبا وهو انواع.

٤٢- والجناس الناقص: هو ما اختلف لفظاه في اعداد الحروف فقط دون هيئاتها وانواعها وترتيبها وهو انواع.

والجناس في: القنا والفنا... والبلاء والبلا

- وقوله:

بذلوا النفوس وبدلوا من جهلهم ما ليس في الاسلام كان مبدّلا

وتجد الجناس الناقص في: بذلوا وبدّلوا

- وقوله:

يشفيك اذ يسقيك منه بوابلٍ عذبٍ له أَرَجٌ يحاكي المندلا

والجناس في: يشفيك ويسقيك

- وقوله:

وخطاب اهل الكهف منقبةٌ غلتْ وعلتْ فجاوزت السماك الأعْزَلا[٤٣]

والجناس في: غلت وعلت

- وقوله:

تلقاه يوم السلم غيثا مسْبلا وتراه يوم الحرب ليثا مشْبلا

والجناس في : غيثا وليثا ... ومسبلا ومشبلا

- وقوله

يا طَفّ طافَ على ثراك من الحيا هامٍ تسير به السحائبُ جَحْفَلا

والجناس في: طف وطاف وهو جناس ناقص

- وقوله:

ولألعنن زيادها ويزيدها ويزيدها ربّي عذاباً مُنْزَلا

والجناس الناقص في: زيادها ويزيدها

وتام في: يزيدها: الخليفة الاموي

ويزيدها: الزيادة وهنا زيادة اللعن

- وقريب من ذلك قوله يصف العصابة الاموية التي سارت بالسبايا الى يزيد في الشام:

تسري بهنّ الى الشآم عصابـةٌ أموية تبغي العطاء الأجْزِلا
ترضي يزيد لكي يزيدلها العطا جهلا ويتحفها السؤالَ معجّلا

والجناس في: يزيد الخليفة الاموي

ويزيد : يعطي المزيد

- ومنه:

والطفلُ شمس حياته قد أصبحت في الخسف في طَفَلٍ وجلَّ مُؤَثّلا[٤٤]

والجناس التام في قوله:

الطفل ويريد به الولد الصغير (الرضيع)

والطَفَل وهو هنا من طفلت الشمس: دنت للغروب

ومن المحسنات المعنوية التي ترد امثلة عليها في القصيدة الطباق.[٤٥]

٤٣- السماك الأعزل: احد السماكين وهما "نجمان نيران احدهما في الشمال وهو السماك الرامح والاخر في الجنوب وهو السماك الاعزل" المعجم الوسيط، معجم اللغة العربية، دار احياء التراث العربي، بيروت، نسخة مصورة في المكتبة العلمية، طهران (د.ت): ٤٥٢/١

٤٤- المؤثل: الدائم

٤٥- الطباق: وهو الجمع بين المتضادين ويكون ذلك على انواع:

- ومنه قوله:

فمحلَّلٌ قد صيَّروه مُحَرَّمَاً ومُحَرَّمٌ قد صيَّروه مُحَلَّلا

وهو من قبيل الجمع بين لفظين من نوع واحد، وهنا الجمع بين اسمين: محرم وحلل.

- وقوله في وصف الجواد:

اضحى بمبْيَضّ الصَّباح مُجَلَّلًا وغدا بمُسْوَدِّ الظلامِ مُسَرْبَلا

والطباق هنا في: مبيض ومسود ... والصباح والظلام

- وقوله:

ينثّونَ من جَوْن العيون مدامعاً حُمْراً على بِيْض السوالف هُطّلَا

والطباق هنا في: جون العيون، وبيض السوالف

- وقوله:

تلقاه يوم السلم غيثاً مُسْبِلَاً وتراه يومَ الحرب ليْثاً مُشْبِلَا

والطباق هنا في: يوم السلم ويوم الحرب

ومن الفنون البلاغية الأخر التي وردت في القصيدة:

رد الأعجاز على الصدور[٤٦]: وورد في قوله

وتسلسلت عينا سلاسل صَدغه فلذاك بات مقيدا ومسلسلا

وقوله:

وسلا الفؤاد بِحَرِّ نيران الجَوَى منّي فذابَ وعنْ سواهُ ما سَلا

- التكرار: وهو فن بلاغي يتمثل في تكرار اللفظ (حرفا او كلمة او جملة) بهدف ترسيخ المعنى وتوكيد تأثيره في ذهن المتلقي، وقد كرّر قوله (هذا) في ثلاث ابيات متتالية[٤٧] وكرّرَ الجار والمجرور وحرف العطف (وبه) خمس مرات في قصيدته في خمسة ابيات متتالية[٤٨]
- ومن ترديد الحرف وتكراره والمواءمة بين الكلمات التي تبدأ او تحتوي الحرف نفسه في البيت الواحد تجده يقول:

فاعجبْ لِعَيْن عبيرعنبر خاله في جيم جَمْرة خدِّهِ لن تُشْعَلا

فجمع هنا بين العين في العين وعبير وعنبر، وبين الجيم وجمرة في وقوله ويحسن الافادة من تكرار الحروف في جناس يجمع فيه قواعد الجناس، ولا يفقده تاثيرها وجرسها الجميل يقول:

جيشٌ ملا فوه الفلا وأتى فلا أمست سنابك خيله تفلي الفَلا

فكلمات: فلا فلا، تفلي الفلا، تعاقبت فيها الفاء واللام في تكرار مؤثر فأعطت زيادة على الجناس الذي تحمله جرساً لافتا أضفاه الحرفان على المعنى والجرس.

وتاخذ الحروف في شعره مركزاً مهما، وقد يصوغها صياغة لا تخلو من ابتكار من ذلك قوله:

فبسين سحر الخط يطعن أنجلا وبياء بيض الهند يضرب أهدَلا[٤٩]
فتخال طاء الطعن أنّى أُعجِمت نقطا وضاد الضرب كيف تشكّلا

الجمع بين لفظين من نوع واحد: اسمين او فعلين او حرفين

الجمع بين لفظين من نوعين: كالجمع بين الاسم والفعل

طباق السلب: وهو الجمع بين فعلي مصدر واحد مثبت ومنفي او امر ونهي.

٤٦- ورد الاعجاز على الصدور: هو ان تكون للفظ قافية البيت علاقة اشتقاقية بلفظ يرد في نسيجه

٤٧- انظر الابيات في القصيدة في الغدير: ١٧/٧

٤٨- انظر الابيات في: م.ن

ومثل ذلك تجده في قوله يصف حال سكينة بنت الحسين عليهما السلام عند السبي فيقول:

وبدال دمع العين منها غرّقت صاد الصعيد وأنبتت كاف الكَلا

ولامر ما قصده الشاعر قال غرّقت ولم يقل أغرقت، ويسلم الوزن فيهما

وهكذا فانك لا تجد في القصيدة بيتا يخلو من فن بلاغي يوشّح به أبياته، ولكنّ السمة الغالبة على فنّه انه لا يسوق الفن البلاغي الذي يريد سوق تعمّل ومبالغة في التحري عنه، إنما يأتي في معظم حالاته عفو الخاطر، يوشح الصورة البلاغية ويضفي عليها جرسا موسيقيا مؤثرا يرافق دائما فن الجناس حين ياتي عفو الخاطر منسجماً مع الصورة الفنية التي تحتويه.

من ذلك الصورة التي يرسمها بفنّه البلاغي الحافل بالحركة والتجنيس حين يصف موقف الامام الحسين عليه السلام وهو ضامٍ يواجه عشرات الألوف من عسكر بني امية الذين احاطوا بالماء يمنعونه من وصوله فيقول:

ضامٍ إلى ماء الفرات فإن يَرُمْ نهلاً يرى البيض الصوارم مَنْهَلا

فالجناس في (نهل ومنهل) جاء متناغما مع الصورة الشعرية التي يرسمها النص، سيما اذا عرضناه بتمامه فيقول بعد البيت المتقدم:

والقوم مُحْدِقَةٌ عَلَيْهِ بجحْفَلٍ كالبحر آخرُه يحاكي الأوّلا
متلاطم سغبت به أسيافهم فغدا لهم لحم الفوارس ماكَلا

ويختم الصورة برسم ما يثير عجبه من المفارقة في الموقف التي يجدها في البيت الاتي:

ومِن العجائبِ انّه يشكو الظما وأبوه يسقي في المعاد السلسلا[٥٠]

وبعد ذلك ينتقل الى تعميق الصورة بربْطها بصورة أخرى تكاد تنبثق منها فيقول:

حَامَتْ عليه للحِمَام كواسِرٌ ظمئت فأشْرَبَت الحِمَام دمَ الطِّلا
أمست به سُمْرُ الرِّمَاح وزُرْقُها حُمْراً وشُهْبُ الخيلِ دُهْماً جُفَّلا
هاتيك بالدم قد صُبِغن وهذه صُبِغَتْ بنَقْع صِبْغَةً لَنْ تَنْصِلا

ومن توظيف الألوان في الصورة، وجعلها برغم تنافرها واختلافها تبدو منسجمة متناغمة، تتكامل من خلالها جوانب الصورة كما تتكامل في ريشة فنان تشكيليّ بارع يقول في إحدى الصور التي يرسمها بالكلمات مع الأبيات التي مرت:

حامَتْ عليه للحِمَام كواسِرٌ ظمِئَت فأشْرَبَت الحِمَام دمَ الطِّلا
أمْسَتْ به سُمْرُ الرِّمَاح وزُرْقُها حُمْراً وشُهْبُ الخَيْل دُهْماً جُفَّلا[٥١]
هاتيك بالدم قد صُبِغن وهذه صُبِغَتْ بنقع صِبْغَةً لَنْ تَنْصُلا
عقدتْ سنابكُ صافناتِ خيولِهِ مِنْ فَوْقَ هاماتِ الفوارس قَسْطَلا[٥٢]

٤٩- الانجل: ذو العينين النجلاوين
الاهدل: المسترخي المشافر (الشفاه)

٥٠- يشير في هذا البيت الى رواية تواتر نقلها تفيد ان الامام عليه السلام هو الساقي على حوض الكوثر يوم القيامة بنص نقله الفريقان عن النبي صلى الله عليه واله وسلم

٥١- الشهب والشهباء: بياض يتخلله سواد، والدهمة: السواد، الجفل: اجفل القوم: هرعوا مسرعين، والجفل: النافرة قال في لسان العرب: جفلها: نفرها، انظر لسان العرب، : ١٣٦/١١

٥٢- السنبك: طرف الحافر والجمع سنابك، الصافنات: جمع الصافن وهو من الخيل القائم على ثلاث قوائم مطرفا حافر الرابعة، القسطل: الغبار (لسان العرب: ٦٦٣/١١) وأخطا صاحب الغدير حين قال القسطل: المنية، انظر: الغدير: ١٣/٧ هـ٣

فانت تراه جمع بين سمرة الرماح وزرقتها وجعل مآلها واحدا الى الحمرِ لاصطباغها بالدم، وجعل شهب الخيل (أبيضها المشرّب بالسواد) دُهماً: أي شديدة السواد، ولم يقل حُمراً، ولعله أشار الى آثار النقع فوق رؤوس الخيل الجُفّل، التي لا يقرّ لها قرار فهي سريعة نافرة كثيرة الحركة، فاصطَبَغَت بالسواد لكثرة إثارتها للغبار في حركتها السريعة الكثيرة الحمرة قريبة من السواد ممّا أضفى على الصورة الانسجام في الالوان الذي نتج عن شدة المعركة، وكثرة الدماء التي أهرقت فيها حتى يقول مجملا ملامح الصورة:

ودجت عجاجته ومد سواده ... حتى أعاد الصبح ليلاً أليلا
وكأنما لمع الصوارم تحته ... برق تألق في غمام فانجلى

وتجده يبدع في تشكيل لوحته بالالوان المختلفة فيوائم بينها لاستكمال التشكيل اللافت فيصف موقف عيال الامام الحسين عليه السلام بعد عودة الجواد خاليا من فارسه:

فسمعن نسوانُ الحسين صهيلَهُ ... فبرزنَ من خلَلِ المضاربِ ثُكّلا
ينثونَ من جونِ العيون مدامعاً ... حمراً على بيضِ السوالفِ هُطّلا

الصورة الفنية في شعره:

لعل مقولة الجاحظ الآنفة الذّكر التي تقول ان الشعر "صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير" توحي بوضوح انه لا يمكن تصور شعرٍ خالٍ من الصورة، فما هي الصورة؟ "انها في أبسط معانيها رسم قوامه الكلمات"[٥٣] او هي "تشكيل جمالي تستحضر فيه لغة الابداع الهيئة الحسية او الشعورية للاجسام او المعاني بصياغة جديدة تمليها قدرة الشاعر وتجربته وفق تعادلية بين طرفين هما المجاز والحقيقة دون ان يستبد طرف باخر"[٥٤]

ان الشعر نشاط تخيلي يتم برعاية العقل، والتخيل جوهر العملية الشعرية ولا يتم الا بمقدمات تخيلية، ووزن ذي ايقاع مناسب يتيح له التاثير في المتلقي ليستجيب لتخيله وان الشعر لا يقدم نوعاً معرفياً مميزاً، بل هو لا يقدم معرفة على الاطلاق، وليست هذه وظيفته، انما هو تخيل فحسب، ولذلك فلا قيمة لان تكون مادته صادقة او كاذبة في الجانب المعرفي، وانما يجب ان يتوافر على الصدق الفني، فالمهم ما يحدثه من أثر في المتلقي، وما يصاحب ذلك من انفعال.

والشاعر يحاكي ما يتوافق وطبائع الانسان، وما يتحكم في هذه الطبائع من ثوابت أساسية بطريقة قائمة على الاحساس والتخيل والانفعال مع ما يرافق ذلك من متعة ذهنية خالصة عن طريق براعة الشاعر في صنع صوره، وفي إكساب مفرداته دلالتها المتجددة والمؤثرة.

واذا كان الشعر نشاطا تخيليا، والتخيل يشير – فيما يشير اليه – الى الانواع البلاغية للصورة فلذلك اختص الشعر بها دون غيره من فنون القول الأخر، وهي وان توافرت امكانية استعماله في النثر، الا انها تظل لصيقة بالشعر، ووثيقة الصلة به لان الانواع البلاغية، ملازمة أصلا للطبيعة التخيّلية للشعر وهي التي توصل الفعل التخيلي للمتلقي، فالشعر نتاج فاعلية الخيال وهذه الفاعلية ليست نسخا للعالم وانما اعادة تشكيل لعلاقاته.

"والخيال المصور يدرك ما في المعاني من عمق وما يتصل بها من اسرار جميلة ادراكا حادا رائعا، والذوق يختار أصفى العبارات وأليقها بهذا الخيال الجميل"[٥٥]

٥٣- الصورة الشعرية: س دي لويس، ترجمة احمد نصيف واخرين، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨٢م: ٢١
٥٤- الصورة الفنية معيارا نقديا، د.عبد الاله الصائغ، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٧م: ٩
٥٥- الاسلوب، احمد الشايب، ط٧، مكتبة النهضة المصرية، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م: ١٩٩

فالاشياء التي ندركها تقع على أعضاء الحس لدينا وتنتج صوراً في الذهن، وتبقى هذه الصورة مخزونة في الذاكرة عندما لا يغدو للاشياء ذاتها وجود... "فاذا اقتضت حاجة للقيام بأي عمل فني وجدت قدرة التصوير موادها أمامها جاهزة للاستعمال"(٥٦)

ولا بد هنا من البحث عن مدى براعة الشاعر في صوره ولا شك في ان "مقياس البراعة أو المفاضلة بين أديبين تعرّضا لفكرة واحدة او موضوع واحد، هو قدرة كل منهما على تصويرها من وجهة نظره الخاصة في اسلوب راق يجمع بين صدق الشعور وصدق التصوير"(٥٧)

ان الصورة تنطلق من مجموع العلاقات القائمة أو المحتملة بين الانسان والمظاهر الوجودية المحيطة به وهي بلا شك "تركيبة معقدة يتدخل في تركيبها عنصران مهمان، أحدهما ظاهري يقوم في الحواس المتخيّلة، والثاني باطني يقوم في النفس وموطن التجربة، ويكون الاول معادلا للثاني وعلى قدر انفعاله"(٥٨)

وهكذا فان لونا ما أو رائحة أو حركة يستو حيها الشاعر من موقف ما، قد توقظ في الذهن سيلا من الصور المختزنة في الذاكرة، وتستدعي الصور بعضها بعضاً، فتنتج أنماطا أخر قد تكون أكثر طرافة وإثارة، والشاعر يملك كثيراً من وسائل التصوير، لانه يحاول دائما ان يقترب باللغة من روحها البدائية الاولى "وكلما قربت اللغة من موضعها البدائي كلما كانت تصويرية"(٥٩)

وليس من طرق محددة لصنع وتشكيل الصورة، ولا يمكن تحديد أنواع معينة لها، فلكل شاعر طريقته في رسم صورته كما يراها، ولهذا فان الشعراء منذ أقدم الأزمنة عبّروا عن معان واحدة، ولكن في صور متعددة، ولهذا أيضا يجهد كل شاعر في استقصاء الصورة في محاولة تنجح أحيانا في توليد صورة جديدة.

وفي قضية الامام الحسين عليه السلام فلا بد من ان نطالب الشاعر بصورة فيها من الابتكار والجدّة ما يتجاوز فيه التناول المعتاد لشعراء سبقوه، فهل أفلح في ذلك؟

يقول:

وبنو أميةَ في جسوم صِحابِهِ ... قد حَطّموا السُّمْرَ اللّدان الذُّبّلا
شربوا بكاسات القنا خَمرَ الفَنَا ... مُزِجَ البلاءُ به فأمسوا في البِلا
وتقاطعت أرحامهم وجُسومهم ... كَرَماً وأوصَلت الرؤوس الأرْجُلا
وتوارثوا من بعد سلب نفوسهم ... دار المقامة في القيامة موئلا

ويقول ايضا:

ومِن العَجائبِ إنه يشكو الظَمَا ... وأبوه يَسْقي في المَعاد السَلْسَلَا

وكل جزئيات الصورة هذه تعتمد على الحقائق المادية، ولذلك فالحس يعتبر من ابرز مصادر صور الشاعر فهو يقول:

حامت عليه للحمام كواسرٌ ... ظمئت فأشربت الحمام دمَ الطِّلا
أمست به سُمر الرِماح وزرقها ... حمْراً وشهب الخيلِ دهْماً جُفّلا
هاتيك بالدم قد صبِغن وهذه ... صبِغت بنقع صِبغة لن تنصلا

٥٦- التصوير والخيال: ر.ل.بريت، ترجمة: عبد الواحد لؤلؤة، موسوعة المصطلح النقدي (٦) دار الحرية، بغداد، ١٩٧٩م: ١٥

٥٧- في النقد الادبي دراسة وتطبيق، د.كمال نشات، مطابع النعمان، النجف الاشرف، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م: ٢٦

٥٨- الصورة الشعرية ومجالات الحياة عند زهير بن ابي سلمى، د. عبد القادر الرباعي، (فعال) مجلة المورد، مجلد ٩، عدد٣، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م: ١٥

٥٩- الصورة في الشعر العربي، د.على البطل، دار الاندلس، بغداد، ١٩٨٠م: ٢٦

وهكذا تبدو الصورة وهي تمور بالحركة، حتى ليكاد الشاعر يقيمها أمامنا جسداً حيّاً متحرّكاً يصدر فيها موجات متدفّقة من الحركة الرائعة، تشمل كل جزئية فيها بالتشكيل العام، ويلحظ فيها تاثير الجانب الديني في خيال الشاعر في تكوين صوره، وذلك أمر لا بد منه لانه يظلّ مؤثرا في الذهن وهو يؤدي الى نوع من النمطية والتكرار في الصورة بين الشعراء ذوي العقيدة الواحدة، نتيجة استلهامهم ذلك التراث الفكري، ولذلك في دراستنا لشاعر تمثل العقيدة الدينية جانبا مهما من تكوينه الفكري، لا بد من ان نلحظ تلك العلاقة الوثيقة بين صوره الفنية، ومعتقداته الدينية التي هي منبعه الاساس في توليد الصور، وهكذا يمثل الفكر المصدر الآخر في الصورة لديه عندما يستكمل تشكيل صورته ننتقل الى صورة اخرى نجدها في قوله:

وسروا بنسوتهِ السراة بلا مِلا ... حسرى يلاحظهنّ ألحاظ المَلا
وغدوا بزين العابدين الساجد الـ ... ـحبر الامين مقيدا ومغللا
وسكينة امست وساكن قلبها ... متحرك في الاسى لن يرحلا

ولا تعوزه القدرة على توليد الصورة والتقاطها ببراعة واضحة مؤثرة، من ذلك قوله مصورا الدمع:

ولابكين على الحسين بمدمع ... قان أُبلّ به الصعيد المُمْحِلا
ياطَفّ طَافَ على ثراك من الحيا ... هامٍ تسير به السَّحائبِ جُفَّلَا
ذو هَيْدَبٍ متراكبٍ متلاحمٍ ... عالي البروق يسحّ دَمْعاً مُسْبَلا
يشفيك إذْ يسقيك منه بوابلٍ ... عَذْبٍ له أرجٌ يحاكي المَنْدَلا

ويختم صورته عن الحسين عليه السلام ومعركته بالتحول الى ذكر أمير المؤمنين عليه السلام فيقول:

ثمّ السّلامُ ن السّلامِ عِلِي الّذِي ... نُصِبَتْ له في خُمّ راياتُ الوَلا
تالي كتابَ اللهِ أكرم من تلا ... وأجلّ من للمصطفى الهادي تلا

معددا مناقبه قائلا:

زَوْجُ البتولِ اخُ الرسولِ مُطَلّقُ الـ ... دّنيا وقاليها بنيرانِ الفِلا
رجلٌ تَسَرْبَلَ بالعفافِ وَحَبَّذا ... رجلٌ بأثوابِ العفافِ تَسَرْبَلا
تلقاه يوم السّلم غَيْثاً مُسْبلا ... تراه يوم الحرب ليثاً مُشبلا

وندخل معه في موضع اخر يحتاج وقفة أخرى مع هذا الشاعر العقيدي المبدع الذي تفصلنا عنه سته قرون وما يزال صوته يُشجي النفوس التي تتذكر مصيبة الحسين عليه السلام فتتقد أفئدتها بالحزن والأسى ولسان حالها ولسانها يقول ما قاله ابن العرندس قبل ستة قرون:

فلألْعننّ بني أميةِ ما حَدا الْـ ... حادي وما سِرْبُ الكتائبِ قَلْقَلَا
ولألْعننّ زيادَها ويزيدَها ... ويزيدُها ربّي عذاباً مُنْزَلَا
تَبّاً لهم فعلوا بِآ ل مُحَمّدٍ ... ما ليس تفعلُه الجبابرةُ الأُلَى

وبرغم ان بحثاً موجزاً لا يمكن ان يفي شاعراً بهذا المستوى الفني، وهذا القدر من الشعر، والذيوع الذي حظي به، ومن الضروري الإلتفات الى بذل الجهد لجمع ديوانه، لكي يشغل مكانه في المكتبة العربية، ولعل هذا البحث، مساهمة في ذلك.

نتائج البحث:

لقد ظهر من خلال البحث:

١. ان ابن العرندس الحلي لم يحظ باهتمام الدارسين ولم يكن فنه مجالا للدراسة والكشف عن مميزاته الفنية.
٢. ان الشاعر زيادة على شاعريته كان عالماً وفقيهاً، وله في الاصول نشاط وبحث.
٣. ان شاعر العقيدة يبقى دائما مشدودا في فنه الى عقيدته، والدفاع عنها، ورد الشبهات التي تواجهها.
٤. تظهر آثار ثقافته الدينية في شعره، كعلم الكلام والاقتباس من القرآن الكريم.
٥. تبين في شعره تاثره بما شاع في عصره من اهتمام بالمحسنات اللفظية والمعنوية، وشيوعها في عصره.
٦. قلة المصادر التي تعنى بدراسة شعراء العقيدة ولا سيما اذا كان الشاعر على مذهب تناصبه السلطات العداء وتحارب أفكاره وتحاصره كمذهب أهل البيت عليهم السلام.
٧. اعتمد في شعره على الروايات، وعرضها لإثبات عقيدته التي يؤمن بها، وتقصّى رواياته بجدّ وتحرّ.
٨. بقيت قضية الحسين عليه السلام برغم القرون الطويلة تستقطب اهتمام شعراء العقيدة، وتأخذ مساحات واسعة من شعرهم، بل انها قد تكون المدار الرئيس الذي تتمحور حوله الافكار الاساس في شعرهم.
٩. بينت الدراسة حاجة كثير من شعراء العقيدة (ولا سيما أتباع منهج أهل البيت عليهم السلام) للدراسة والبحث لاستجلاء ملامح شعرهم وطريقة تناولهم لجوانب العقيدة التي يؤمنون بها.
١٠. تهافت ما يطلق من أحكام من ان الشعر العربي في معظمه شعر مدح وتكسّب... وان الشعراء متقلبو الاهواء والنزعات، سريعو التحول عن مبادئهم، اذا دهمتهم مواطن الخوف، فقد تبين ان ابن العرندس (والناشئ الصغير قبله) ظل ملتزما في شعره بالدفاع عن عقيدته.
١١. ان كثيرا من الشعر قد ضاع، ودليل ذلك في شعر ابن العرندس، فان شعرا بهذه القوة والمستوى الفني الرفيع لا يمكن ان يكون قليلا، فالذي وصل الينا بضع قصائد منه ولعل أسبابا كثيرة وراء ضياعه منها الدوافع السياسية وتمادي السلطات في منع الاصوات المعارضة التي تدافع عن الحقيقة ومنهج الرسالة المحمدية الأصيلة في منهج أهل البيت عليهم السلام.

ملحق رقم(١)

لقد ظلت قضية الامام الحسين عليه السلام منذ استشهاده وحتى العصر الحاضر ميدانا واسعاً للبحوث الفكرية والعقيدية، والفنية وعلى سبيل المثال فان ما كتب من مقاتل تتحدث عن تفاصيل مقتله يمثل تراثا اسلاميا هائلا، واكثر كتب المقاتل القديمة لم يبق منها الا الاسم، فقد حرفت واتلفت وسرقت، ولو عرضنا لكتب المقاتل التي كتبت حتى زمن السيد بن طاووس(ت٦٦٤هـ) الذي اشتهر كتابه: اللهوف على قتلى الطفوف وعرض فيه لجملة ما ألف في المقاتل حتى عصره نجد الاتي على سبيل التمثيل وليس على سبيل الحصر فدون ذلك خرط القتاد: -

فقد الف في المقاتل:

١. الاصبغ بن نباتة المجاشعي التميمي الحنظلي:

من خاصة اصحاب أمير المؤمنين عليه السلام ومن شرطة الخميس عمر بعد علي عليه السلام طويلا، توفي بعد المئة له كتاب مقتل الحسين عليه السلام[٦٠] والظاهر انه أول من الف وكتب في مقتل الحسين عليه السلام ويعد من معاصري واقعة كربلاء.

٢. ابو احمد عبد العزيز بن يحيى بن احمد بن عيسى الجلودي من اصحاب ابي جعفر عليه السلام[٦١]

٣. ابو مخنف لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف بن سالم الاسدي الغامدي روى عن جعفر بن محمد عليه السلام وقيل انه من اصحاب الامام علي عليه السلام والحسن والحسين، وهو بعيد اذ ان اباه قد عاصرهم... له كتاب مقتل الحسين عليه السلام، والكتاب المتداول الان بهذا العنوان والمنسوب له، ليس الكتاب الذي ألفه قطعا، وانما من تآليف من تاخر عن وفي ذلك آراء[٦٢]

٤. ابو عبد الله –ابو محمد- جابر بن يزيد الجعفي لقي أبا جعفر وأبا عبد الله عليهما السلام ومات في ايامه سنة ١٢٨هـ له كتاب مقتل ابي عبد الله الحسين عليه السلام

٥. ابو عبد الله محمد بن حمد الواقدي المدني البغدادي، صاحب كتاب الاداب (ت٢٠٧هـ) له كتاب مقتل ابي عبد الله الحسين عليه السلام[٦٣]

٦. ابو عبيدة معمر بن المثنى التميمي (ت٢١٠هـ) له كتاب مقتل ابي عبد الله الحسين عليه السلام[٦٤]

٧. المفضل نصر بن مزاحم المنتصري العطار، كوفي مستقيم الطريقة (٢١٢هـ) له كتاب مقتل الحسين عليه السلام ٦٥ وهو صاحب كتاب صفين

٨. ابو عبيد القاسم بن سلام الهروي (ت٢٢٤هـ) له كتاب مقتل الحسين عليه السلام[٦٦]

٩. ابو الحسن علي بن محمد المدائني، عامي المذهب، كتبه سنة (ت٢٢٤هـ) له كتاب مقتل الحسين عليه السلام او السيرة في مقتل الحسين عليه السلام[٦٧]

١٠. عبد الله بن احمد – او محمد- بن أبي الدنيا، عامي المذهب (ت٢٨١هـ) له كتاب مقتل الحسين عليه السلام[٦٨]

١١. ابراهيم بن محمد بن سعيد هلال بن عاصم بن سعد بن مسعود الثقفي، اصله كوفي سكن أصفهان (ت٢٨٣هـ) له كتاب مقتل الحسين عليه السلام[٦٩]

١٢.ابن واضح اليعقوبي احمد بن اسحاق الاخب اي الشهيد (صاحب تاريخ اليعقوبي) (ت٢٩٢ او ٢٨٤هـ) وهو متأخر عن أبي مخنف له كتاب مقتل الحسن عليه السلام[٧٠]

٦٠- الفهرست: الشيخ الطوسي (ت٤٦٠هـ)، تحقيق: جواد القيومي، مؤسسة النشر الاسلامية التابع لجماعة المدرسين، قم، ١٩٧٠هـ: ٢٧ برقم: ١٠٨

٦١- الذريعة الى تصانيف الشيعة، اغا برزك، دار الاضواء، بيروت، ١٤٠٣هـ/٢٠٠٣م: ٢٥/٢٢، برقم: ٥٨٥١

٦٢- انظر: رجال النجاشي: ٣٣٠، برقم: ٨٧٥، والفهرست، للطوسي: ١٢٩، برقم: ٥٧٣، وانظر: معالم العلماء، لابن شهرآشوب: ٩٣، برقم: ٦٤٩، والذريعة: ٢٧/٢٢، برقم: ٥٨٥٩، ولاستاذنا الدكتور عبد الله فياض (رحمه الله) دراسة مستفيضة في المقتل المتداول بين فيها وجود كثير من التناقضات والماخذ عليه

٦٣- الذريعة: ٢٨/٢٢، برقم: ٥٨٦٩

٦٤- الذريعة: ٢٨/٢٢، برقم: ٥٨٧٣

٦٥- رجال النجاشي: ٤٢٧- ٤٢٨، برقم ٣١٤٨

٦٦- فهرست الطوسي: ٩٥، برقم: ٣٩٥

٦٧- م.ن: ١٠٤، برقم: ٤٣٨

٦٨- الذريعة: ٢٨/٢٢، برقم: ٥٨٦٩

٦٩- م.ن: ٢٨/٢٢، برقم: ٥٨٧١

٧٠- م.ن: ٢٣/٢٢، برقم: ٥٨٣٣

١٣. ابو عبد الله محمد بن زكريا بن دينار الغلابي، مولى بني غلاب، كان وجها من وجوه اصحابنا بالبصرة (ت٢٩٨هـ) له كتاب مقتل الحسين عليه السلام[٧١]

١٤.عبد الله بن عبد العزيز اليعقوبي (ت٣١٧هـ) له كتاب مقتل الحسين عليه السلام[٧٢]

١٥.ضياء الدين ابو مؤيد الموفق بن احمد الخوارزمي (ت٥٦٨هـ) وله كتاب الحسين عليه السلام كبير في جزئين[٧٣]

١٦.ابو القاسم محمود بن مبارك الواسطي (ت٥٩٢هـ) وله كتاب مقتل الحسين عليه السلام[٧٤]

١٧.نجم الدين جعفر بن نجيب الدين محمد بن جعفر بن البقاء هبة الله ابن نما الحلّي (ت٦٤٥هـ) وله كتاب مثير الاحزان ومنير سبل الاشجان في مقتل الحسين عليه السلام[٧٥]

١٨.عز الدين عبد الرزاق الجزري (ت٦٦١هـ) وله كتاب مقتل الحسين عليه السلام[٧٦]

١٩.ممن لم تذكر سنوات وفاتهم وكتبوا في المقاتل، ويرجح ان تكون تآليفهم قبل وفاة الشيخ ابن طاووس (ت٦٦٤هـ) ومنهم:

- هشام بن محمد بن السائب بن بشر بن زيد العالم بالأيام المشهور بالفضل والعلم له مقتل الحسين عليه السلام[٧٧]
- ابو زيد عمار بن زيد الخيواني الهمداني له كتاب مقتل الحسين عليه السلام[٧٨]

٢٠. ابو جعفر محمد بن احمد بن يحيى بن عمران بن عبد الله بن سعد بن مالك الاشعري القمي... له كتاب مقتل ابي عبد الله الحسين عليه السلام[٧٩]

٢١.ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي (ت...) له كتاب مقتل الحسين عليه السلام[٨٠]

٢٢.محمد بن علي بن الفضل بن تمام بن سكني شيخ بن الغضائري وفي طبقة الصدوق، كان ثقة عينا صحيح الاعتقاد، جيد التصنيف له كتاب مقتل الحسين عليه السلام[٨١]

هذه المقاتل أمثلة على ما كتب في القرون التي سبقت السيد ابن طاووس منذ القرن الاول الهجري حتى عصره (ت٦٦٤هـ)، وقد كتب السيد ابن طاووس كتابين في مقتل الامام الحسين عليه السلام هما:

١. الملهوف (اللهوف) على قتلى الطفوف[٨٢]، وهو كتاب مميّز في بابه وشهرته، ذكره الشيخ محمد حسن آل ياسين في بحثه عن السيد ابن طاووس وقال: طبع في النجف وايران غير مرة، ونقل قول (اتاك كلبرك) في دراسته عن السيد ابن طاووس: "اللهوف من اشهر مؤلفات رضي الدين علي"[٨٣]

٧١- م.ن: ٢٨/٢٢، برقم: ٥٨٧٠

٧٢- كشف الظنون، حاجي خليفة، تحقيق: دار احياء التراث العربي، بيروت، ط١، (د.ت): ١٧٩٤/٢

٧٣- انظر: الملهوف على قتلى الطفوف، السيد علي بن طاووس، تحقيق: فارس تبريزيان، منشورات الشريف الرضي، قم، ١٣٤٦

مقتل الحسين للخوارزمي (ت٥٦٨هـ)، تحقيق: محمد السماوي، مطبعة الزهراء، النجف ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م

٧٤- الماهوف على قتلى الطفوف: ١٤١

٧٥- م.ن

٧٦- م.ن

٧٧- رجال النجاشي: ٤٣٤، برقم ١١٦٦

٧٨- م.ن: ٣٠٣، برقم: ٨٢٧

٧٩- الذريعة: ٢٧/٢٢، برقم: ٥٨٦١

٨٠- فهرست الشيخ الطوسي: ١٥٦- ١٥٧، برقم: ٥٩٥

٨١- الذريعة: ٢٨/٢٢، برقم: ٥٨٦٨

٨٢- انظر: الذريعة ٤٢٣/٢٢

وقد قسم المؤلف كتابه على ثلاثة مسالك:

الاول: تحدث فيه عن الامور المتقدمة على القتال... ومبايعة يزيد ورفض الحسين عليه السلام... وإرساله ابن عمه مسلم الى الكوفة بعد إرسال أهل الكوفة المراسيل له ومبايعته ومقتل مسلم... ومسير الحسين الى العراق مع عياله وأهل بيته وانصاره

المسلك الثاني: في وصف حال القتال بتفصيل واف

والمسلك الثالث: تحدث عن الامور المتأخرة عن قتله عليه السلام وبقي الكتاب موضع اهتمام الناس ورعايتهم وتوجد منه عدة نسخ مخطوطة وطبع الكتاب أكثر من سبع طبعات وترجم الى الفارسية[٨٤]

٢. اما كتابه الثاني في مقتل الامام الحسين عليه السلام فهو: مصرع الشين في مقتل الحسين[٨٥]

المصادر:

القران الكريم

٣. الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ابو الحسن علي بن محمد البغدادي الماوردي (ت٤٥٠هـ)، دار الحرية، بغداد، ١٩٨٩م

٤. أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

٥. الاسلوب، احمد الشايب، ط٧، مكتبة النهضة المصرية، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م

٦. أعيان الشيعة، محسن الامين العاملي، تحقيق: ولده حسن الامين، ط٥، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٠م

٧. الاغاني، ابو الفرج الاصفهاني (ت٣٥٦هـ)، تحقيق: عبد الستار فراج، دار الثقافة، بيروت، ١٩٥٥م- ١٩٦١م

٨. الامامة والسياسة، ابن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ)، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ/٢٠٠٦م

٩. البابليات، محمد علي اليعقوبي، ط١، المكتبة الحيدرية، النجف، د.ت

١٠. البلاغة وعلم الاسلوب، د.محمود احمد ابو عجمية وصاحبيه، جامعة العلاقات الدولية، عمان، ٢٠٠١م

١١. تاريخ الاسلام السياسي، حسن ابراهيم حسن، ط٣، مكتبة النهضة، مصر، ١٩٦٤م

١٠. تاريخ التمدن الاسلامي، جرجي زيدان، دار الهلال، القاهرة، ١٩٥٨م

١١. تاريخ الحلة، يوسف كركوش، دار انتشارات، مطبعة شريعت، قم، ١٤٣٠هـ.

١٢. تاريخ الخلفاء، جلال الدين السيوطي(ت٩١١هـ) دار المنار، لبنان، ٢٠٠٠ م.

١٣. تاريخ خليفة بن خياط، خليفة بن خياط بن ابي هبيرة الليثي العصفري (ت٢٤٠هـ) مراجعة: د.مصطفى نجيب فواز وصاحبه، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥م

١٤. تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك)، محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٨م

١٥. تاريخ النقائض في الشعر العربي، أحمد الشايب، ط٣، مكتبة النهضة، القاهرة، ١٩٦٦م.

٨٣- دراسة عن السيد علي بن طاووس، محمد حسن آل ياسين "مقال" مجلة المجمع العلمي العراقي، ج١٨، مح٢: ١٨

٨٤- الذريعة: ٢٩٦/١٨. وانظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الحافظ الهيثمي (ت٨٠٧هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت): ١٩٦

٨٥- انظر: الذريعة: ١٤٠/١٤، برقم: ١٩٨٣

١٦.التصوير والخيال، ر.ل.بريت، ترجمة عبد الواحد لؤلؤة، موسوعة المصطلح النقدي، ط٦، دار الحرية، بغداد، ١٩٧٩م
١٧.جمهرة انساب العرب، ابن حزم (ت)، تحقيق: محمد البجاوي، مطبعة البابي الحلبي، مصر، ١٩٥٣م
١٨.الحيوان، الجاحظ (ت٢٥٦هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، ط٢، القاهرة، ١٣٨٥هـ\١٩٦٥م
١٩.الذريعة الى تصانيف الشيعة، انما برزك الطهراني، دار الاضواء، بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ
٢٠.رجال النجاشي، ابو العباس بن احمد النجاشي الاسدي (ت٤٥٠هـ)، تحقيق: موسى الشبيري، ط١، مؤسسة النشر الاسلامي، قم
٢١.شعراء الحلة، علي الخاقاني، المكتبة الحيدرية، النجف الاشرف، ١٣٧٢هـ\١٩٥٢م
٢٢.شعراء البصرة في العصر الاموي، الشريف قاسم عون، ط٢، دار الجيل، بيروت، ١٩٩١م
٢٣.الصورة الشعرية، سي دي لويس، ترجمة: احمد نصيف واخرين، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨٢م
٢٤.الصورة الفنية معيارا نقديا، د.عبد الاله الصائغ، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٧م
٢٥.الصورة في الشعر العربي، د.علي البطل، دار الاندلس، بغداد، ١٩٨٠م
٢٦.الطليعة في شعراء الشيعة، الشيخ محمد السماوي (ت)، نسخة مصورة في مكتبة أمير المؤمنين العامة
٢٧.عالم الاسلام، د.حسين مؤنس، دار الزهراء، الاعلامي العربي، القاهرة، ١٩٨٩م
٢٨.العصر الاسلامي، شوقي ضيف، ط٨، دار المعارف، مصر، ١٩٧٨م
٢٩.الغدير في الكتاب والسنة والاداب، عبد الحسين الاميني، تحقيق: مركز الغدير، ط٢، مطبعة محمد، قم، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٠م
٣٠.فجر الاسلام، احمد امين، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م
٣١.الفهرست، الشيخ الطوسي (ت٤٦٠هـ)، تحقيق: جواد القيومي، مطبعة مؤسسة النشر الاسلامية، قم، ١٤١٧هـ
٣٢.في النقد الادبي، دراسة وتطبيق، د.كمال نشات، مطابع النعمان، النجف الاشرف، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م
٣٣.الكامل في اللغة والادب، محمد بن يزيد المبرد (ت)، تحقيق: د.عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٢م
٣٤.كشف الظنون، حاجي خليفة، تحقيق دار احياء التراث العربي، بيروت، د.ت
٣٥.لسان العرب، ابن منظور (ت٧١١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٢م
٣٦.مجمع الزوائد ومنبع العوائد، الحافظ الهيثمي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت
٣٧.مختصر تاريخ العرب والتمدن الاسلامي، سيد امير علي، ترجمة: رياض رافت، ط١، دار الافاق العربية، القاهرة، ٢٠٠١م
٣٨.مراقد المعارف، محمد حرز الدين، حققه: محمد حسين حرز الدين، مطبعة الاداب، النجف الاشرف، ١٣٩١هـ/١٩٧١م
٣٩.معالم العلماء، محمد بن علي السروي المازندراني ابن شهر آشوب (ت ٥٨٨) عني بنشرهعباس إقبال، طهران، ١٣٥٣ هـ ش .
٤٠.المعالم التراثية والدينية في الحلة الفيحاء، سعد الحداد، الحلة، ٢٠٠٦م
٤١.المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، دار احياء التراث العربي، بيروت، نسخة مصورة في المكتبة العلمية، طهران، د.ت

٤٢.مقتل الحسين عليه السلام، الخوارزمي، ابي المؤيد الموفق بن احمد الخوارزمي (ت٥٦٨هـ)، تحقيق: محمد السماوي، مطبعة الزهراء، النجف، ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م

٤٣.الملهوف على قتلى الطفوف، السيد علي بن طاووس، تحقيق: فارس تبريزيان، ط١، منشورات الشريف الرضي، قم، ١٣٤٦هـ

٤٤.من مشاهير اعلام الحلة، د.ثامر الخفاجي، ط١، مكتبة المرعشي النجفي، قم، ١٣٨٤هـ/٢٠٠٧م

٤٥.النزاع والتخاصم فيما بين امية وهاشم، المقريزي (ت٨٤٥هـ)، تحقيق: د.حسين مؤنس، مطبعة امير، قم، ١٤١٢

٤٦.النهاية في غريب الحديث والاثر، مجد الدين بن الاثير (ت٦٣٠هـ)، تحقيق: طاهر الزواوي ومحمود الضاحي، مطبعة شريعت، ايران.

المقالات:

١. دراسة عن السيد علي بن طاووس، محمد حسن ال ياسين، مجلة المجمع العلمي العراقي، ج١٨، مجلد٢

٢. الصورة الشعرية ومجالات الحياة عند زهير بن ابي سلمى، د.عبد القادر الرباعي، مجلة المورد، المجلد٩، العدد ٣، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م

- اطروحة: المعارك الادبية في العراق في القرون الثلاثة الاخيرة، اطروحة دكتوراه، د.محمد حسن محيي الدين، كلية الاداب- جامعة الكوفة، ٢٠٠٥م.

التطير في الكتاب و السنة و الادب

د. السيد خليل باستان

المقدمة:

الحديث حول الخرافات ذو شجون، و القرآن الكريم يشير في آياته الى أن الخرافات تزامنت مع الانسان منذ عهد طويل، فمن التطير بالنبي صالح والنبي موسى عليهما السلام و الى شعوب و أمم متوالية حتى ظهور الإسلام، فأحياناً لما كان العقل يصل الى الإفلاس فالخرافات و التطير كانت قائمة على قدم و ساق، و عند سيطرة العقل و الدين تزول هذه السيئات . ولكن يؤسفنا اليوم الذي نعيش فيه تحت ظل الدين و القرآن الحكيم والنبي (ص) وآله الأطهار أن نرى حكومة الخرافات و التطير التي نفاها القرآن الكريم و الحديث الشريف ما زالت قائمة بين الشعوب و الامم المختلفة و خاصة الامة الاسلامية، فعسى هذه المقالة أن تؤثر في أصحابها و تعمل فيهم عمل السحر، لإزاحة الخرافات و التطير عن وجه المجتمع الاسلامي، و ما توفيقي إلا بالله عليه أتوكل و اليه انيب.

الكلمات الأساسية:

التطير، القرآن الكريم، الحديث الشريف، الأمثال، الأدب.

١- التطير لغة و بياناً

التطير ظاهرة إجتماعيةيصاب بها الفرد و الجماعات بعدما يفلس العقل ويرتحل الدين وتزول القيم الإنسانية، فيقبل الناس على الجهل والضلالة والحيرة، فيستعمل الخرافات بديلا عن الحقائق، والجهل عوضاً عن العقل، حتى يسد عجزه بما لاتحمد عقباه، ويسير تحت ظل الشيطان، وأخيراً يستضيف الشر والخمول و...و...ويبدأ بالتشاؤم الذي يصيب النفوس البشرية عن غير قصد، لاسيما في لحظات الضعف والترقب والانتظار لخير قادم أو شرّ يلوح في الافق. و قيل إنه كان في الجاهلية عادة إذا خرج أحدهم لأمر، و رأى الطير طار يمينه تيمن به و استمر، و إن طار يسرة تشاءم منه و رجع.

و الآن ننظر في التعاريف التي ذكرها أصحاب الفن في هذا الباب:

١. يقول الراغب الاصفهاني(م/٥٠٢) في مفرداتة ص: ٣٠٩، تطير فلان و اطّير، أصله التفاؤل بالطير، ثم يستعمل في كلّ ما يتفائل به و يتشاءم.
٢. يرى صاحب مجمع البيان(م/٥٦١) في ج٢ : ٤٦٦، ان تطير و الطير من الشئ هو التشاؤم به، و اشتقاقه من الطير، و طائر الانسان عمله، أخذ من ذلك، لأن العرب كانت تزجر الطير فتشاءم

بالبارح و هو الذي يأتي من جهة الشمال، و تتبرك بالسانح و هو الذي يأتي من قبل اليمين، قال الشاعر:

زجرة لها طير الشمال فإن يكن هواك الذي تهوى يصبك اجتنابها

و جاء في ص: ٢٦٥ تفسير قوله تعالي: اطيرنا بك اي تطيرنا اي تشاءمنا، و مثله قوله: يطيروا بموسى و من معه اي تشاءموا بهم و يقولون لولا مكانهم لما أصابتنا سيئه ألا انّما طائرهم عند الله، اي ألا إنّما الشؤم الذي يلحقهم هو الذي وعدوا به العقاب عند الله بفعله بهم في الاخرة، لا ما ينالهم في الدنيا... يقال التطير بالسوانح، والبوارح من الطير و الظباء و غير ذلك، و كان ذلك بصدهم عن مقاصدهم، فنفاه الشرع.

١. قال الزبيدي صاحب شرح تاج العروس في ج٣ : ٣٦٤، و من المجاز الطائر ما تيمنت به أو تشاءمت، و أصله في ذي الجناح و قالوا للشيء يتطير من الإنسان و غيره.
٢. يقول الطريحي(م/١١٠٠) صاحب مجمع البحرين في ص٢٦٦، و أصل الطيرة التشاؤم بالطير، ثم اتسع فيها فوضعت موضع الشؤم، فيكون الشؤم بمعنى الكراهة شرعاً أو طبعاً.
٣. ويرى الزمخشري(م/٥٢٨) في الكشاف ج٤ : ٩، ان منشاء الطير هو عادة الجهال أن تيمنوا بكلّ شيء مالوا اليه و اشتهوه و آثروه وقبلته طباعهم، و يتشاءموا بما نفروا عنه و كرهوه، فإن أصابهم نعمة أو بلاء قالوا ببركة هذا و بشؤم هذا، كما حكى الله عن القبط: و إن تصيبهم سيئة يطّيروا بموسى و من معه.
٤. و يرى ابن قتيبه(م/٢٧٦) في أدب الكاتب ص١٦٢، إن القارية و القواري جمعها، و هي طير خضر تتيمن بها الاعراب... و الاخيل هو الشقران، و العرب تتشاءم به، و الحاتم الغراب سمية بذلك لأنه عندهم يحتم بالفراق.

نظرة الى التعاريف:

إن أصلها مشتقة من الطير كما جاء في العبرانية طير[Tayyar]، فهي من نفس الأصل الذي أخذ العرب منه التسمية، و يقال لها في الانجليزية، [Augury]، و يطلق مجازاً على الظباء و غيرها، و تعني التفاؤل و التشاؤم، و منشأه الجهل. و اعلم إن الفأل من طريق حسن الظن بالله، و الطيرة لا تكن إلا في السوء.

فلسفة التفاؤل و التشاؤم:

يرى الطبرسي(م/٥٦١) في مجمع البيان ج٣: ٤٠٣، بأن الطير السانح هو الذي يجعل ميامنه الى مياسرك، و البارح الذي يجعل مياسره الى ميامنك، و الأصل في هذا انه إذا كان سانحاً أمكن الرامي، و إذا كان بارحاً لم يمكنه.

٢- الجديد في التطير القرآني:

إن الطير من أقوى الامور في نقض العزائم و الهمم بين البشر، فإنه لا شيء أضرّ بالرأي و لا أفسد للتدبير منها. و خاصة إذا عارضته المقادير و صدّه القضاء وإن غلب اليأس عليه تمسك بالمعاذير الواهية النابعة عن الطيرة. و هنا نشير الى الرأي الجديد للطيرة في القرآن الكريم الذي لم يكن معروفاً من قبل ألا و هو العمل الصالح أو الطالح للانسان.

يرى صاحب الميزان في ج٨: ٢٢٧، إن التطير مشتق من الطير باعتبار اشتماله على نسبة من النسب، و هي نسبة التشاؤم، فانهم(بني اسرائيل) كانوا يتشائمون ببعض الطيور كالغراب، فاشتق منه ما يفيد معنى التشاؤم و هو التطير، و معناه التشاؤم بالطير حتى سمي مطلق النصيب أو النصيب من الشرّ و الشآمة طيراً.

يبدو إن التشاؤم رافق النبي صالح(ع) كما في قوله تعالي: قالوا اطّيرنا بك و بمن معك قال طائركم(عذابكم) عند الله بل أنتم قوم تفتنون(النمل/ ٤٧)، و معنى الآية حسب ما جاءت على لسان صاحب الميزان في ج١٩: ٣٧٣، قال القوم تطّيرنابك يا صالح و بمن معك، فلن نؤمن و لن نستغفر، قال صالح: طائركم الذي فيه نصيبكم من الشر عند الله هو كتاب أعمالكم و لست أنا و من معي ذوي أثر فيكم حتى نسوق اليكم هذه الابتلاءات، بل أنتم تختبرون و تمتحنون بهذه الامور ليمتاز مؤمنكم من كافركم و مطيعكم من عاصيكم.

و كذلك ابتلي النبي موسى(ع) مع بني اسرائيل كما جاء في قوله تعالي: و إن تصبهم سيئة يطّيروا بموسى و من معه(الاعراف/١٣١)، فقد وصف الله تعالى في الآيات أعداء الرسول بالتطّير و التشاؤم على وجه الذم و التقبيح و التجهيل و التسفيه لعقولهم، فهم لا يفقهون و لا يعلمون و في هذا أعظم زاجر عن هذه الخصلة الذميمة.

و اما ما جاء في قوله تعالى (في مجمع البيان ج٣: ٤٠٣): و كلّ انسان ألزمناه طائره في عنقه(الاسراء/١٣)، إن الطائر ها هنا عمل الإنسان شبه بالطائر الذي يسنح و يتبرك به، و الطائر الذي يبرح فيتشاءم به... و إنّما قال طائره في عنقه و لم يقل في يده لينبه على لزوم ذلك له و تعلقه به، كما يقال طوقتك كذا اي قلدتك كذا، علما أن العنق محل الطوق الذي يزن المحسن، و الغلّ الذي يشين المسئ، و قيل طائره يمنه و شؤمه، وحظّه من الخير و الشرّ، وكتابه، ودليله.

٣- الطير لغة وايضاحاً:

أولاً: الطير في اللغه كما يقول الراغب الاصفهاني ص٣٠٩ في مفرداته: يطلق الطائر على كلّ ذي جناح يسبح في الهواء، يقال طار يطير طيراناً، و جمع الطائر طير، كراكب و ركب، قال و لا طائر يطير بجناحيه... .

ثانياً: جاء استعمال الطير في القران على تسعة أوجه، كما ذكر الدامغاني في قاموسه ص:٣٠٦، الأول الطائر يعني الشدة والرخاء، قوله سبحانه [قالوا طائركم معكم] (يس/١٩) اي شدتكم و رخاؤكم، كقوله تعالى [قالوا طائركم عند الله بل أنتم...](النمل/٤٧) و مثلها في سورة الأعراف. الثاني: الطائر الكتاب، قوله سبحانه {وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه}(الإسراء/١٣)، يعني كتابه، اي كتاب اجابتة في القبر لمنكر ونكير، ويقال سعادته و شقائه، خيره وشرّه .الثالث: الطائر الطيربعينه. قوله سبحانه {ولا طائر يطير بجناحيه} (الأنعام/٣٨)، اي لا طير من سائر الطيور.الرابع: الطير الهدهد.قوله تعالى {وتفقد الطير}(النمل /٢٠)، ...الخامس: الطير الخفاش. قوله سبحانه في قصة عيسى في سورة المائدة {وإذ تخلق من الطين كهئتة الطير بأذني فتنفخ فيها فتكون طيرا بأذني}(المائدة/١١٠)، يعني الخفاش. السادس: الطير ما أتى من قبل البحرين. قوله سبحانه {وأرسل عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل}(الفيل/٣). السابع: الطير الطاووس والديك والغراب والبط. قوله سبحانه {فخذ أربعة من الطير}(البقرة/٢٦١)، يعني هذه الطيور. الثامن: الطير يعني به سائر الطيور .قوله سبحانه {أولم ير الى الطير مسخرات في جو السماء}(النحل/٧٩). التاسع: الطير الدجاج والدراج. قوله سبحانه {ولحم طير مما يشتهون}(الواقعة/٢١)، يعني لحم الدجاج و الدراج، قاله بعض المفسرين.

٤- من صفات الطير في القران الكريم:

ذكرالله تعالى صفات عديدة للطيور، ويبدو أنها تدرك من حيث النطق، وسرعة الخطف، والصلاةلله والتسبيح له، والتوبة اليه، وإنها من جند لله، و..و..و.. كما نرى فيما يلي: ١- سرعة الخطف: قال تعالي{ومن يشرك بالله فكأنّما خرّ من السماءفتخطفه الطير}(الحج/٣١).٢- الصلاة والتسبيح لله: قال تعالى {ألم تر أن الله يسبح له من في السماوات والارض والطير صافات كلّ قد علم صلاته

وتسبيحه} (النور/٤١).٣- النطق : قال تعالي {وورث سليمان داود وقال ياأيها الناس علمنا منطق الطير} (النمل/١٦).٤- جند الله وجند سليمان: قوله تعالي {وأرسلنا عليهم طيراً أبابيل} (الفيل/٣)وقوله عزّوجلّ {وحشرنا لسليمان جنوده من الجنّ والانس والطير} (النمل/١٧).٥- التوبة: قوله تعالى {ولقد آتينا داود منّا فضلا يا جبال أوبي معه والطير} (سبأ/١٠).

٥-الجديدفي الطائرالقرآني:

استعمل القران الكريم معنى جديداً للطائر الا وهو الاعراض عن الحقّ والاقبال على الباطل كما جاء في قوله تعالي {قالوا طائركم معكم أئن ذكرتم بل أنتم قوم مسرفون} (يس/١٩)، و يرى صاحب الميزان ج١٧/٧٤: ان الطائر في الاصل في الطير وكان يتشاءم به ثم توسع واستعمل في كلّ ما يتشاءم به، وربما يستعمل فيما يستقبل الانسان من الحوادث، وربما يستعمل في البخت الشقي الذي هو أمر موهوم يرونه مبدأ لشقاء الانسان وحرمانه من كلّ خير.ويرى في موطن آخر من التفسير ج٧٥: ١٧، في قوله تعالى طائركم معكم، ظاهر معناه أن الذي ينبغي أن يتشاءمون به هو معكم وهو حالة إعراضكم عن الحقّ الذي هو التوحيد .إقبالكم الى الباطل الذي هو الشرك.وقيل المعنى طائركم اي حظّكم ونصيبكم من الخير والشرّ.

٦- بين الحسنةوالسيئةفي القرآن الكريم:

اعلم إن الله تعالى يختبر عباده بالحسنات والسيئات كما جاءفي قوله تعالى {وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون} (الاعراف/١٦٨)، فانه تعالى يصيب عباده بالأذى اليسر لاختبارهم، كماجاءفي قوله تعالي {ولنبلونّكم بشئ من الخوف و الجوع و نقص من الاموال و الانفس و الثمرات و بشّر الصابرين} (البقرة/١٥٥) فما بالهم لو اصيبوا بالكثير؟فانظر كيف تطيروا بالانبياء(ع)؟والان ننظر في كلامي الزمخشري والطبرسي في قوله تعالي {فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطّيروا بموسى ومن معه} (الاعراف/١٣١)، امّا الزمخشري فيقول في ج١٢: ١٤٥، فإن قلت كيف قيل : فإذا جاءتهم الحسنة، بإذاوتعريف الحسنة، وإن تصبهم سيئة بإن وتنكيرالسيئة؟قلت جنس الحسنة وقوعه كالواجب لكثرته واتساعه، وامّا السيئة فلا تقع إلافي الندرة، ولايقع إلاشيءمنها، ومنه قول بعضهم: قد عددت أيام البلاء، فهل عددت أيام الرخاء؟ وامّا الطبرسي فيقول في ج٨: ٢٢٦، ثم ذكر الحسنة بكلمة(إذا) والسيئة بلفظ (إن) حيث قال : فإذا جاءتهم الحسنة.... وإن تصبهم سيئة... فقد جعل مجئ الحسنةكالاصل الثابت فذكره بإذاوالتعريف بلام الجنس، ثم ذكر إصابة السيئة بطريق الشرط ونكر السيئةليدل على ندرتها وكونها اتفاقية.

٧- الطيرة في الحديث :

اتّخذ الحديث الشريف موضع الضدّ للطيرة والتشاؤم، ونهي عنها، فإنها النظرة الصائبة التي تنشأ من نفس مطمئنة بالقضاء والقدر، والتسليم لأمر المولى عز وجل، إنها سمو الروح عن الجهل والفشل في الحياة، إنها الحياة الموجبة للرحمة والغفران.ومن جانب آخر لو نظرنا الى الاحاديث الواردة عن رسول الله(ص) سنجد الخير والامان و الامل، وقيل كانت العرب مذهبها في الفأل والطيرة واحد، فأثبت النبي (ص) الفأل واستحسنه وأبطل الطيرة ونهى عنها.

لقد ذكر الطريحي(م/١١٠) في مجمعه ص: ٢٦٥ ما يلي: -

١. ثلاث لا يسلم منها أحد الطيرة و الحسد و الظن، قيل فما المخرج؟ قال إذا تطيرت فلا ترجع، و إذا حسدت فلا تتبع، و إذا ظننت فلا تحقق، (ذكره أيضاً عقد الفريد ج٢ : ١٦٠).
٢. لاعدوى و لا طيرة و لا هامة و لا صفر(أخرجه البخاري في الطب، باب: لاهامة(٥٧٥٧)، و مسلم في السلام(٢٢٢٠) ذكره أيضاً عقد الفريد ج٢ : ١٦٠).

٣. رفع عن امتي تسعة اشياء، و عدّ منها الطيرة.
٤. ثلاثة لم ينج منها نبي فما دونه، التفكر في الوسوسة في الخلق و الطيرة و الحسد.
٥. الطيرة شرك... (اخرجه أبو داوود في باب الطب(٣٩١٠)، و الترمذي (١٦١٤).
٦. الطيرة على ما تجعلها، إن هوّنتها تهوّنت، و إن شددتها تشددت، و إن لم تجعل سئياً لم تكن سئياً.
٧. ليس منا من تطير أو تطيرة له(عزاه المنذري في الترغيب الى البزاز(٤/٢٥) و ايضاً ذكره عقد الفريد ج٢: ١٦٠).
٨. قال إذا رأى أحدكم الطيرة فقال: اللهم لاطير الا طيرك و لا خير الا خيرك و لا إله غيرك لم تضره.(المستطرف ج٢ :٩٥).

فمن يقرأ هذه النصوص الشريفة يفرّ من التشاؤم كفراره من الطاعون، و ستكون حياته سعيدة هنيئة في الدارين.

٨- الطير و الأمثال:

كثرت الأمثال بالطيور بين الامم و الشعوب و خاصةً العرب، و نظروا اليها بمنظار النفي و السلب فمنها ما ذكره الميداني(م/٥١٨) في أمثاله في ج١: ٤٣٣، و ما بعدها:

١. طار طائر فلان، إذا استخف وغضب، كما يقال في ضده: وقع طائره، إذا كان وقوراً.
٢. طارت بهم العنقاء، يقال لقوم هلكوا فلم يبق منهم أحد.
٣. طيورٌ فيوء: يضرب للسريع الغضب، السريع الرجوع.
٤. طارت عصا بني فلان شققاً، إذا تفرقوا في وجوه شتي.

و منها ما جاء في المنجد ص: ٤٧٧

٥. هو ميمون الطائر، مبارك الطلعة.
٦. سر على الطائر الميمون، دعاء للمسافر.
٧. هو ساكن الطائر، اي حليمٌ هادئ وقور.
٨. لاطير الّا طير الله، كما يقال لا أمر الّا أمر الله.
٩. طير الله لا طيرك، كما يقال صباح الله لا صباحك.
١٠. كأنّ على روؤسهم الطير، اي هم ساكنون هيبة، و أصله أن الغراب يقع على رأس البعير فليتقط منه القراد فلا يتحرك البعير لأن لا ينفر عنه الغراب.
١١. ازجر احناء طيرك، اي جوانب خفتك و طيشك.
١٢. اياك و طيرات الشباب، اي طيشه.
١٣. الطير بالطير يصاد، كما يقال الحديد بالحديد يفلح.
١٤. ان الطيور على اشكالها تقع، كما يقال في الفارسية: كبوتر با كبوتر، باز با باز.
١٥. قالوا من تطير من شيء وقع فيه.

فمن خلال الأمثال أعلاه تجد المعاني السلبية حاكمة عليها من الغضب و الطيش و خفة العقل و التفرق و الهلاك و عدم التحرك، و الى جانبها القليل من المعاني الايجابية من البركة و الدعاء والوقار، فالنظرة السلبية ناشئة من سوء الظن بالطير، و حالة نفسية مريضة، ليس لها وعي و ادراك و لا حول و لا قوة و لا مقاومة امام الصعوبات في الحياة.

٩- الفرق بين الطيرة و الفأل :

قال ابن منظور في لسان العرب ج٣: ٦٣٦ ، اصل الفأل: الكلمة الحسنة يسمعها عليل فيتفاءل منها ما يدلّ على برئه... و الطيرة ضدّ الفأل.

يعتقد اهل النظر و المعرفة بينهما فرق، وذلك ان الفأل تقوية للعزيمة، و تحضيض على البغية، و اطماع في النية، و الطيرة تكسر النية و تصدّ عن الوجهة و تثني العزيمة. و قال اهل المعاني: الفأل فيما يحسن و فيما يسوء، و الطيرة فيما يسوء فقط. و ان الفأل عن طريق حسن الظن بالله، و الطيرة لا تكون الا في السوء. و حكى ان الوليد بن يزيد بن عبد الملك تفاءل يوماً في المصحف فخرج له قوله تعالي: واستفتحوا و خاب كلّ جبار عنيد (ابراهيم/١٥)، فمزق المصحف و انشأ يقول:

اتوعـــد كـــلّ جبـــار عنيـــد فهـــا أنـــا ذاك جبـــار عنيـــد
إذا مـا جئـت ربّـك يـوم حـشر فقـــل يـــا ربّ خـــرقني الوليـــد

فلم يلبث الّا اياماً حتى قتل شرّ قتلة، وصلب رأسه على قصره، ثم على سور بلده نعوذ بالله من البغي و مصارعه، و الشيطان و مسايده، و هو حسبنا و عليه توكلنا (أدب الدنيا و الدين ص ٢٧٤).

١٠- مواقف الأدباء:

قيل لصياد معه بومتان كبيرة و صغيرة، بكم؟ فقال الكبيرة بدرهم و الصغيرة بدرهمين. قيل له: و لِمَ ذلك؟ فقال لان شؤمه في اقبال(محاضرات الادباء ج٢: ٦٧٩).

للادباء مواقف مشرفة اتجاه الخرافات من دحرها و رفضها و الاحتراز منها، و نكتفي بذكر موقفين منها، احدهما للكميت الذي وقف ضدّ الخرافات السائدة في عصره، و الآخر لابي تمام ضدّ المنجمين الجهلة، علماً هناك مواقف اخرى للشعراء لا تسعها هذه المقالة.

امّا الكميت فانّه الثائر الاول من بين الشعراء ضدّ القديم على اساليب العصر الجاهلي، من الوقوف على الاطلال و الدمن و البكاء طويلاً على الآثار المندرسة للحبيبة، حيث يقول:

يلـــهني دارٌ ولا رســـمُ منـــزل ولم يتطـــربني بنـــانٌ مخـــضبُ

و من جهة اخرى يقف موقف الصمود و التحدي للخرافات المنتشرة في عصره من زجر و فأل الطير، والطير السانحة و البارحة، و الحيوانات السالمة او المكسورة القرن، حيث يقول:

ولا أنـا ممـن يزجـرُ الطـير همّـه أصـاح غـرابٌ أم تعـرض ثعلـبُ
ولا الـسانحات البارحـات عـشيةً أمـرّ سـليم القـرن أم مـرّ أعـضبُ

و بموقفه الرافض للقديم من البكاء على الاطلال و الدمن و...و... يطرح بديلا جديداً مناسبا في ساحة الادب و الغزل خاصة، الا و هو التغزل بالرسول(ص) و آل بيته(ع)، حيث يقول:

ولكن الى أهل الفضائل و النهيالى و خـير بـني حـواء و الخـيرُ يطلـبُ
النفـر البـيض الـذين بحبّهمـبني الى اللّـه فيمـا نـالني أتقـرّبُ
هاشـــم رهـــط الـــنبيّ فـــأنني بهم و لهم أرضى مراراً و أغضبُ

(الروضة المختارة ص٢٥)

و امّا الثاني فابو تمام الذي تصدى للمنجمين الذين ليس لهم مبلغا من العلم يغوون الناس، يزخرقون الكلام، بحيث تميل اليها قلوب الجهال، و اخرى يحذرونهم من دهياء مظلمة و مصائب غير متوقعة، بل اكثرها ظنون، وما الظن يغني من الحقّ شيئاً، فانظر الى قصيدته، حيث يقول:

الـسيفُ أصـدقُ انبـاءً مـن الكتـب في حـدّه الحـدّ بـين الجـدّ و اللعـبِ
بيضُ الصفائح لاسودُ الصحائف في متـونهن جـلاء الـشك و الريـبِ

و العلـــمُ في شـــهب الارمـــاح بين الخميسين لا في السبعةِ الشهبِ
لامعةٌ تخرّصـــاً و احاديثـــاً ملفقـــةً ليـست بنـعِ اذا عـدّت و لا غـربِ
عجائبـــاً زعمـــوا الايـــام مجفلـــةً عـنهن في صَفرِ الاصفار أو رجبِ
و خوّفوا النـاس مـن دهيـاء مظلمـةٍ اذا بـدا الكوكبُ الغربي ذو الـذنبِ
وصـــيروا الابـــرج العليـــا مرتبـــةً مـــا كـــان منقلبـــاً أو غـــير منقلـــبِ
يقـضون بـالامر عنهـا و هـى غافلـة مـــا دار في فلـــك منهـــا و في قطـــبِ

(المجاني الحديث ج٣: ٨٥).

هجوم عنيف ضدّ اصحاب النجوم و التابعين لهم، فانهم الكذابون الخراصون الخائفون و الموخوفون للناس من القتال، يقضون عن النجوم بلا علم منها، و ليست لها حول و لا قوة، بل الشاعر يعكس الامور قائلاً بان الحقيقة ما هى الا الخوض في غمار الحرب و اشهار السيف و الصمود و الجهاد في ساحة المعركة و اخيراً اكتساب الفوز و النصر على الاعداء.

و هناك موقف ثان يسيئ بعض الشعراء الظن به، و ذلك لاتباعهم الهوى و الجهل باتّخاذهم النحس و السعد سنةً في حياتهم، يروجون للخرافات اى ترويج، سالكين مسلك الجهال، يتفاءلون بالطير و الزجر، و على رأس هذه الطيور:

الغراب و نعيقه و شجرة البان. و قد اختلط امر تشاؤمهم، و اعتقد بعض الادباء القدامى ان تشاؤمهم من الغراب جعلهم يشتقون من اسمه الغربة و الاغتراب و الغريب، فوقع اللبس اللغوي، و قال صاحب المستطرف(م/٨٥٠)، ج٢: ٩٥. ان العرب اعظم ما يتطيرون منه الغراب، فالقول فيه اكثر من ان يطلب عليه شاهد، و يسمونه حاتماً، لانه يحتم عندهم بالفراق، و يسمونه الاعور على جهة التطير اذ كان اصح الطير بصراً، وفيه يقول بعضهم:

إ لانـت علـى العـشاق أقـبح منظـراً ترفـق رمـاك اللّـه يـا طـير بالبعـدِ
تـــصيح بـــبين ثـــمّ تعثـــر ماشـــياً و أبشع في الابصار من رؤية اللحدِ
و ذا مـا غـراب الـبين صـاح فقـل لـه تـبرز في ثـوب مـن الحـزن مـسودِ
متى صحت صح البين و انقطع الرجا كانـك مـن يـوم الفـراق علـى وعـدِ

و يقول المتنبي:

أبـــني أبينـــا نحـــن أهـــل منـــازل أبـــداً غـــراب الـــبين فيهـــا ينعـــقُ

(شرح ديوان المتنبي ج٢: ٧٥)

فانه يخاطب الجميع باننا اهل منازل لا نلبث حتى نتفرق، و كنى عن الفراق بنعيق الغراب. و يقولون اذا صاح الغراب في دار تفرق اهلها.

وانظر الى كلام ذو الرمة كيف يتشائم من نعيق الغراب:

رأيـــتُ غرابـــاً ناعبـــاً فـــوق بانـــةٍ من القضيب لم ينبت لها ورق نضرُ
فقلـــت غـــرابٌ لاغـــتراب و بانـــةٌ لبـيني النـوى هـذا العيافـة و الزجـر

(عقد الفريد ج٦: ٢٦٣)

فاضافة الى التشاؤم بالغراب يتشائمون بشجرة البان و يشتق منه البين و الفراق. قال ابو الشيص:

اشـــاقك و الليـــل ملقـــى الجـــرانِ غـــرابٌ ينـــوح علـــى غـــصن بـــانِ
و في نعبـــات الغـــراب اغـــترابٌ و في البـــان بـــين بعيـــد التـــدانيَ

وكذلك يرى كثير عزة طبقاً لما جاء في المجاني(ج٢ : ٢٠٦) :

أأن زُم اجمـــال و فـــارق جـــيرة و صـاح غـراب الـبين انـت حـزينُ

و يفول العديل ابن الفرخ العجلي، كما جاء في شرح ديوان الحماسة(ج١ : ١٨٩)

إذا مـا نعقـن قلـتُ هـذا فراقهـا و ان هن لم ينعقنَ سكن من وجدي

و من اصحاب الخرافات في هذا المجال يزيد الاموي الذي يعتقد ان نعيق الغراب شوما لما رأى رؤوس الشهداء قادمة اليه من كربلاء :

لما بـدت تلـك الجمـولُ و أشـرقت تلـك الـرؤوسُ علـى ربـا جـيرون
نعب الغرابُ فقلتُ صح او لا تـصح فقـد قـضيتُ مـن الرسـول ديـوني

(نفحات الهداية ص١٠٤)

اذن صراخ الغراب الذي لا يدرك و لا يعقل شيئاً يعتبر عند اصحاب الخرافة ايذاناً بالرحيل و الفراق و الشؤم، فما اقربهم من الجهل و الضلال.

❖❖❖

البوم، كانوا يتشائمون بها اذا وقعت على بيت احدهم، يقول: نعت اليّ نفسي او احداً من اهل داري. و مع الاسف هذه الحالة موجودة ليومنا هذا.

❖❖❖

الابل، جاء في المستطرف ج٢ : ٩٥، و اعرض بعضهم عن الغراب و تطير بالابل، و ذلك لكونها تحمل اثقال من الرتحال، و في ذلك قال بعضهم مفرداً و أجاد :

زعمـوا بـأن مطـيهم سـبب النـوى و المؤذنـــات بفرقـــة الاحبـــاب

❖❖❖

العطاس، و كذلك ذكر صاحب المستطرف ج٢ : ٩٥، قائلا : و كانت العرب تتطير باشياء كثيرة منها العطاس، و سبب تطيرهم منه ان دابة يقال لها العطوس كانوا يكرهونها. يقول المسبب ابن علس :

أرحلـتُ مـن سـلمى بغـير متـاع قبـل العطـاس و رعتهـا بـوداع

❖❖❖

النحس و الفأل: ينقسم الشعراء في هذا المجال الى موافق و مخالف فانظر الى الشنفرى يقول: (المجاني ج١ : ١١)

وليلـة نحـس يـصطلى القـوس ربّهـا و أقطعـه و اللاتـي بهـا يتنبـل

حيث نسب النحوسة الى اليل فلا علم بها. و يقول ذو الاصبع العدواني(شرح اختيار المفضل ج٢ : ٧٣٣)

و الـنحسُ يجـرى امامهـا صُـعدا و سـعدها اى ذاك مـا طلعـا
فيـسعدوا النـائم المـدثر بـالس د ويلقـي الـشقاء مـن شـبعا

جعل النحس والسعد منسوبين الى الشمس و الفلك على عادتهم في نسبة الحوادث. و يرى ابو تمام ان فتح عمورية كانت شوماً عليها و على اهلها حيث يقول :

جـرى لهـا الفـأل نحـساً يـوم أنقـرة اذ غودرت وحشة الساحات و الرحب

و انظر الى تعاسة البحتري كما يقول (المجاني ج٣ : ١٢٠) :

عكست حظّه الليالي و بات المشتري فيـــه، وهـــو كوكـــب نحـــسُ

فبئس البؤس و الشقاء لاصحاب الجهل والظلال. و لكن لونظرنا الى الادباء المخالفين للسعد و النحس فانهم يرفضونها و يذمونها كما جاء في قول الحارث ابن حلزة(شرح الاختيارات للمفضل ج٢ : ٦٤٠) :

لا يرتجـــي للمـــال ينفقـــه سُعد النجـوم اليـه كـالنحسِ

وانظر الى الشريف الرضي يقول (المجاني ج٣ : ١٨٧) :

و مـا العـيشُ الّـا ان تـصاحب فتيـةً مطاعين لا يعنيهم النحسُ والسعدُ

فالسعد و النحس ما هو الا عمل الانسان صالحاً كان او طالحاً.

❖❖❖

امّا التطير: فيمثله بعض الشعراء كما قرره القرآن الكريم حيث جاء في الاصمعيات ص ٩٢ للبرجمي و هو في حبس عثمان ابن عفان :

وما علات التطير تُدني من الفتى رشـاداً و لا عـن ريـثهن يخيـبُ

حيث يستسلم للقضاء و القدر الرباني . و جاء في المستطرف ج٢ : ٩٥ رداً على الطير و الفأل و... و...

لا يعلـم المـرء لـيلاً مـا يـصبحه الّـا كـواذب مـا يجـري بـه الفـألُ
و الفألُ و الزجر و الكهان كلهم مـضللون و دون الغيـب اقفـالُ

قال لبيد :

لعمرى ما تدري الطوارق بالحصى و لا زاجرات الطير مـا الله صـانعُ

و قال شاعر :

و ما عاجلات الطير تدني من الفتى نجاحـاً و لا عـن ريـثهن قـصورُ

و قال آخر :

تعلـــم انـــه لا طـــير الّـــا علـــى مـــتطير و هـــو الثبـــورُ
بلـى شـيء يوافـق بعـض شـيء أحايينـــا و باطلـــه كـــثير

و قال آخر :

عرفت الليالي قبل مـا صنعت بنا فلمّـا دهـتني لم تزدنـي بهـا علمـا
الا لا أرى الاحداث مدحاً و لازماً في بطـشها جهـلاً و لا كفهـا حلمـا

فانه لا يعتقد الخرافات. و انظر الى قول الطغرائي يقول (المجاني ج٣ : ٣٤١) :

أهبـتُ بـالحظّ لـو ناديـت مـستمعاً و الحـظّ عنـي بالجهـال في شـغل

❖❖❖

الجديد في البحث :

١. يبدو ان التطير مرافق للانسان منذ القدم.
٢. يبدو ان القرآن الكريم هو السباق في اختراع المعاني الجديدة و تطوير استعمالها كما في كلمة التطير التي كانت تدل على الشؤم فاصبحت في منطق القرآن الكريم تدل على الصالح و الطالح من الاعمال، و كذلك الطائر اطلق على الاعراض عن الحق.
٣. يبدو ان الاذى القليل يسبب الطيرة فما بالك بالكثير؟
٤. ان الامثال لها نظرة سلبية للطير.

٥. انقسام الشعراء بالنسبة الى السعد و النحس الى قسمين فمنهم من يميل اليها، و منهم من يرفضها.

المصادر

١. القرآن الكريم
٢. ابن قتيبة – عبدالله بن مسلم- ادب الكاتب- مصر- مطبعة السعادة ١٣٨٢- ١٩٦٣- الطبعة الرابعة.
٣. ابن عبد ربه– احمد بن محمد- العقد الفريد- لبنان دار الكتب العلمية- ١٤٠٧- ١٩٨٧- الطبعة الثالثة.
٤. ابن منظور- لبنان- دار لسان العرب- بلا.
٥. الابهيشي- محمد بن احمد- المستطرف من كلّ فن مستظرف- لبنان- دار الامم- بلا- الطبعة الاخيرة.
٦. الخطيب التبريزي- شرح اختيارات المفضل- بيروت- دار الكتب العلمية- ١٤٠٧- ١٩٨٧- الطبعة الثانية.
٧. عبد الملك بن غريب- لبنان- دار و مكتبة الهلال ١٩٨٨- الطبعة الاولي.
٨. الاعلم الشنتمري- يوسف بن سليمان- لبنان- دار الفكر المعاصر- ١٤١٣- ١٩٩٢- الطبعة الاولي.
٩. البرقوقي- عبد الرحمن- شرح ديوان المتنبي- لبنان- دار الكتاب العربي- بلا.
١٠. الحسين بن محمد- قاموس القرآن- بيروت- دار العلم- ١٩٧٠- الطبعة الاولي.
١١. الراغب الاصفهاني- الحسين بن محمد- المفردات- طهران- المكتبة المرتضوية- بلا.
١٢. الراغب الاصفهاني- الحسين بن محمد- محاضرات الادباء- بلا.
١٣. الزبيدي- محمدمرتضى الحسين- شرح تاج العروس- مصر- دار احياء التراث العربي- ١٣٠٦- الطبعة الاولي.
١٤. الزمخشري- محمد بن عمر- الكشاف- قم- مكتبة الاعلام الاسلامي- ١٤١٤- الطبعة الاولي.
١٥. المنجد في اللغة- بيروت- دار المشرق- بلا.
١٦. الشيرازي- السيد صادق- نفحات الهداية- قم- ياس الزهراء- ١٤٢٦- الطبعة الثالثة.
١٧. الصالح- صالح علي- الروضة المختارة- لبنان- مؤسسة الاعلمي- ١٣٩١- ١٩٧٢- الطبعة الاولي.
١٨. الطباطبائي- سيد محمد حسين- الميزان- بيروت- الاعلمي - ١٣٩٣- الطبعة الثالثة.
١٩. طبرسي- الفضل بن الحسن- مجمع البيان- لبنان – احياء التراث العربي- ١٣٧٩.
٢٠. الطريحي- فخر الدين- مجمع البحرين- طهران- كتابفروشي بوذرجمهري- بلا.
٢١. لويس شيخو- المجاني الحديثة- قم- انتشارات ذوي القربي- ١٤١٩- ١٩٩٨- الطبعة الرابعة.
٢٢. الماوردي- على بن محمد- ادب الدنيا و الدين - بيروت- دار الكتب العلمية- ١٣٩٨- ١٩٧٨- الطبعة الرابعة.

٢٣. الميداني- احمد بن محمد- الامثال- مصر- ١٣٧٤- ١٩٥٥.
٢٤. محمد فؤاد عبد الباقي- المعجم المفهرس- القاهرة- دار الكتب المصرية- ١٣٦٤.

جمالية بنيـة التكوين في الرسم الأوربي الحديث

د.محمد عبد فيحان
م.م محمد عبيد ناصر
م.م حازم عبودي كريم

ملخص البحث

تمثل البنيوية لمدارس الفن الحديث، دراسة لأهم المتحولات على مر العصور، مما تتيح لنا تتبع المسارات الفنية في تلك الفترة والعوامل المؤثرة عليها، ومثل البحث يؤدي إلى فهم أوسع لمجريات فن الحداثة وما حصلت خلاله من تطورات فكرية وفنية.

اشتمل البحث على أربعة فصول، خصص الأول الى طرح الموضوع من خلال المشكلة وأهميتها وأهداف البحث المتمثلة في التوصل إلى بني الفن الحديث، والتوصل الى مجموعة من المفاهيم التي سارت عليها المدارس الفنية ابتدئا من الانطباعية وانتهاءا بالسريالية، وهي الفترة التي تحدد بها البحث.

إما الفصل الثاني فشمل الاطار النظري للبحث في الموضوع، وشمل ثلاثة مباحث تطرق الأول الى عرض مفهوم البنية وآلية تطبيقه في مجال فن الرسم، وتحديد هذه الإلية وفق مجموعة من المفاهيم، اما المبحث الثاني فقد تناول السياق الثقافي للحداثة ومؤثراته على السياق الفني من حيث تطور المفاهيم الفكرية والكشوفات العلمية والفلسفية التي كان لها الدور الكبير في تكوين فن تميز بتحولاته المؤثرة والسريعة نسبيا، اما المبحث الثالث فخصص لعرض مفاهيم عامة على ماوصلت اليه بنية الفن الحديث بعد المؤثرات البيئية والفلسفية التي طرحت في المبحث الثاني، وفي الفصل الثالث تعرضنا لإجراءات المنهجية الى اعتماد الباحثين على المؤشرات التي أسفر عنها الإطار النظري والتي تحقق تحليل العينة في التوصل الى تحقيق أهداف البحث.وعلى أساس تبني الإعمال الفنية للون والخط والمنظور والزمن، وفق المنهج البنيوي.

ويختم البحث بدراسة النتائج ومناقشتها، في ضوء الأهداف وفي تحديد بنية كل مدرسة من خلال معالجتها للمفاهيم المذكورة ثم المصادر والمراجع والملخص باللغة الانجليزية.

الفصل الأول

الإطار النظري
مشكلة البحث وأهميته والحاجة إليه
أهداف البحث
حدود البحث

تحديد المصطلحات

مشكلة البحث

تميز القرن التاسع عشر بالتحولات الجذرية في جميع مجالات الحياة، نتجت عن ما شهده هذا القرن من كشوفات علمية وتطورات صناعية بسبب تصاعدالارهاصات الإيديولوجية، رافقتها الثورات الأدبية والفكرية، وشملت أوربا والعالم من بعدها، وتمخض عنها العديد من الحركات الفنية التي استلهمت من التطور التكنولوجي والإيديولوجي مقوماتها، كل هذا انعكس أسلوبيا وتقنيا وفكريا على اعمال فناني الحداثة.كما تحددت بداية الفن الحديث بالحركة الرومانسية الممثلة بالفنان(ديلاكروا)، وسيادة الفن الحديث في مبدأ اللذة والمنفعة، وحلول النظريات الجمالية حول المبادئ والقيم الجمالية والأخلاقية والميتافيزيقيا.(وكان لتلك العوامل الاثر البليغ في الأسس والقواعد التي قامت عليها المذاهب الحديثة ومختلف طرق الأداء فيها)[1].

كما وحدد (الآن باونيس) الفن الحديث بالمدرسة الانطباعية في عام

١٨٨٢-١٨٨٣ من قبل (ادوارد مانيه)حينما قدم لوحته غذاء على العشب وتم استبعادها في معرض الصالون الباريسي (إلا أنها عرضت ضمن المرفوضات ومجموعة أخرى لفناني أخر في صالون المرفوضات تجنبا لإجحاف حق الفنانين الذي توقعه من محكمي (الصالون)[2]. ومن تلك اللحظة خضع الفن الحديث الى قواعد غير جامدة تميزت خلالها الانطباعية بتغير اللون والمضمون، وجاءت التكعيبية والتعبيرية والدادائية والسريالية والتي نهجت الحداثة في الموضوع والطرح، مما حدي إلى بني الفن الحديث وتعرف الإبعاد الفكرية المسببة لها، وتبرز مشكلة البحث في محاولة تحليل الإعمال الفنية المرسومة والوقوف على أهم إشكاليات سماتها وأسسها التكوينية، ضمن عنوان (جمالية بنية التكوين في الرسم الأوربي الحديث).

أهمية البحث والحاجة اليهتميز الفن الحديث بعدة مقومات جعلت مدارسه وحركاته في مقدمة الحركات والمذاهب الفنية على مر العصور، ومن هذه المقومات رفضه لما كان يعتبر جميلا على مدى المنصرم من العصور، الامر الذي جعل من دراسته امرا مهما لتعرف بنيات مدارس وحركات حقبة، اذ تتلخص مشلة البحث بدراسة مشكلة البنية في الرسم الحديث وتوضح القواعد الجمالية والأسس التنظيمية المعتمدة في ابراز مدارس الفن الحديث، مما يفسح المجال للمتلقي ودارسي الفنون والنقاد، تحديد وانتماء اللوحة الفنية .

هدف البحث

يهدف البحث الحالي إلى كشف آليات جمالية بنية التكوين في الرسم الأوربي الحديث.

حدود البحث

يتحدد البحث بما يلي:

رمانيا: أولمعرض انطباعي عام١٨٧٤ الى اخر معرض في امريكا عام ١٩٧٧.

مكانيا: أوربا

موضوعيا: النماذج المصورة من اللوحات الفنية في مدارس الرسم الأوربي الحديث

تعريف المصطلحات

البنية: عرفها (جان بياجيه)

١- حسن، محمد حسن: الأصول الجمالية للفن الحديث، دار الفكر العربي، بلا، ص١٠.

٢- باونيس، الآن: الفن الأوربي الحديث، ت: فخري خليل، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد، ١٩٩٠، ص١٥.

: "نسق من التحولات لها قوانينها الخاصة باعتبارها نسقا، يظل قائما بفضل الدور الذي تقوم به التحولات دون ان يكون من شأن هذه التحولات ان تخرج من حدود ذلك النسق "[٣].

وعرفها (البير سوبول)

"انها مفهوم العلاقات الباطنة، الثابتة، المتعلقة وفقا لمبدأ الأولوية المطلقة للكل على الاجزاء، بحيث لايمكن فهم أي عنصر من عناصر البنية خارجا عن الوضع الذي يشغله داخل تلك البنية، اعني داخل المنظومة الكلية الشاملة [٤].

كما عرفها (حسين خمري)"رصد الظواهر الشكلية والأنساق البنائية، وتحديد وظائف هذه الانساق داخل العمل"[٥].

اما كلود ليفي شتراوس فعرفها: "البنية تحمل اولا وقبل كل شيء طابع النسق او النظام، فالبنية تتألف من عناصر يكون من شأن أي تحول يعرض للواحد، منها ان يحدث تحولا في باقي العناصر الاخرى.

البنية (إجرائيا): هي كل يحتوي على مجموعة من الأجزاء تتحكم بها مجموعة من الأنظمة تحدد العلاقات الضمنية بين الاجزاء، ويترتب على ذلك نسق من التحولات، تصب في ذات البنية لتحقق نوعا من التنظيم الذاتي.

يتبنى الباحثين التعريف الثاني (البير سوبول)للبنية كونها تحقق هدف البحث.

الفصل الثاني / الإطار النظري

المبحث الأول:مفهوم الجمال في الفن

تعد بنية الجمال اللغوي من المفاهيم الحديثة في ميدان الدراسات الادبية والفنية، وقد أدخلت على يد الباحث اللغوي(دي سوسير) بحدود ١٩٦٦ وتنطوي في اللغة العربية على دلالة معمارية ترتد الى الفعل (بني/يبني/بناء/بناية/بنية) وتعني بنية الشء تكوينه، ومن هنا فأننا نتحدث عن بنية المجتمع وبنية الشخصية وبنية اللغة... وإما في اللغات الأجنبية فأن كلمة بنيةstructureمشتقة من الفعل اللاتيني يبني او يشيد (وانه موضوع منتظم له صورته ووحدته الذاتية)[٦].

وان مفهوم البنية في نظر(كلود ليفي شتراوس) يحمل وقبل كل شيء طابع النسق او النظام، فالبنية تتألف من عناصر يكون من شأن أي تحول ان يحدث تحولا في باقي العناصر.وان العبرة من دراسة الظواهر او النظم الاجتماعية هي الوصول الى العلاقات القائمة بينها، والواقع ان حقيقة الظواهر لاتمثل في ظاهراتها على نحو ما تبدو عيانيا للملاحظ، بل هي تكمن على مستو ى اعمق، الا وهو مستوى دلالتها [٧].

والفكرة هنا كما تعرض أليها (زكريا إبراهيم) لايريد النظر الى الظواهر أنها موضوعات منعزلة فلا بد من تفسير كل ظاهرة منها على حدة بالاستناد الى تاريخها الخاص، بل نريد مقابلة او معارضة تلك الظواهر بعضها ببعض، (البنية تتحكم في صميم العلاقات الباطنية للأشياء)[٨]،

اما (فؤاد زكريا)"هي تذهب الى ان العقل ينمو نموا عضويا، بحيث تظل فيه الصورة هي اشبه بالنواة الثابتة، وان كنا نريدها على الدوام توسيعا وتعميقا "[٩].

٣- إبراهيم، زكريا: مشكلة البنية، مكتبة مصر، بلا، ص٣٣.
٤- إبراهيم، زكريا: مشكلة البنية، المصدر نفسه، ص٢٩
٥- خمري، حسين: بنية الخطاب النقدي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٠، ص٧٨.
٦- إبراهيم، زكريا: مشكلة البنية، مكتبة مصر، بلا، ص٣٢.
٧- فهيم، حسين: قصة الانثروبولوجيا، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٨٦، ص٢٢٧.
٨- فهيم، حسين: نفس المصدر، ص٢٢٨.

ويميز (جان بياجيه)ثلاث خواص للبنية: الكلية والتحول والتنظيم الذاتي.

الكلية: تتشكل البنية من عناصر ولكن هذه العناصر تخضع لقوانين تميز المجموعة كمجموعة وهذه القوانين المسماة تركيبية لا تقتصر على كونها روابط تراكمية ولكنها تضفي على الكل ككل خصائص المجموعة المغايرة لخصائص العناصر، الاعداد الصحيحة، مثلا، لاتوجد على انفراد ولم يتم اكتشافها في ا ترتيب كان لكي يعاد جمعها في كل، فأنها لاتظهر الا تبعا لتسلسل الاعداد نفسه، وهذا التسلسل يبدي بنيوية، فرق، اجسام، حلقات... متميزة عن خصائص كل عدد[١٠]. بمعنى ان البنية لاتتألف من عناصر خارجية تراكمية مستقلة عن الكل، وانما هي تتكون من عناصر داخلية خاضعة لقوانين النسق (أي النظام الواحد).ان الكلية ميزة البنية النموذجية، تتمسك بقوانين تركيبها وتكون عندئذ بناءة بطبيعتها، تفسر كمفهوم عند(كورنو)حالة خاصة بالنسبة للبنيات الرياضية، معقوليته بممارسته هو نفسه، وهكذا لايمكن انشاط بنائي الا ان يقوم على مجموعة تحويلات[١١].

التحول: ان المجاميع الكلية تنطوي على ديناميكية ذاتية، تتألف من سلسلة من التغيرات الباطنة التي تحدث داخل النسق او المنظومة، خاضعة في الوقت نفسه لقوانين البنية الداخلية، وان الحلم الاكبر لكثير من البنيويين هو تثبيت البنيات فوق دعائم لازمانية شبيهة بدعائم الانظمة المنطقية الرياضية، وثمة علاقة متينة بين مفهوم البنية ومفهوم التغير او بين فاعلية البنيات وتكوينها، ونشوئها [١٢].

التنظيم الذاتي: أي أن في وسع البنيات ان تنظم نفسها بنفسها، مما يحفظ لها وحدتها، ويكفل لها المحافظة على بقائها، ويحقق لها ضربا من الانغلاق الذاتي، ومعنى هذا ان

للبنيات قوانينها الخاصة التي لاتجعل منها مجرد مجموعات ناتجة عن تراكمات عرضية او ناجمة عن تلاقي بعض العوامل الخارجية المستقلة عنها.هي انسقة مترابطة تنظم ذاتها سائرة على نهج مرسوم وفقا لعمليات منتظمة، خاضعة لقواعد معينة، ألا وهي القوانين / الأسس التكوينية، الكل الخاص بهذه البنية او تلك [١٣].بمعنى ان الضبط الذاتي يؤدي الى الحفاظ على البنية والى نوع من الانغلاق، وهذا يعني ان التحويلات اللازمة لبنية معينة لتؤدي الى خارج حدودها ولكنها لاتولد الا عناصر تنتمي دائما للبنية وتحافظ على قوانينها.

وعليه اشتق من لفظة البنية، لفظ البنيوي والبنيوية، أي دراسة الأسس البنائية للعمل الفني في مجال الفن، فأن لكل نتاج فني بنية، ولدراسة هذه البنية يجب ان نحللها او نفككها، الى عناصرها المؤلفة منها، بدون أن ننظر الى آية عوامل خارجية عنها [١٤].

كما واهتم البنيويون بمفهوم الرمز في دراسة العديد من الظواهر الإنسانية كاللغة والأسطورة، واهتمام هذا الفريق من الفلاسفة بمفهوم الرمز قد انبثق بصفة أساسية من اهتمامهم بمفهوم البنية والبناء والبنائية تمجد البناء على حساب مقوماته، والتحليل البنائي على حساب الاستقراء والتعميم، فاصحاب النظرة البنائية ينظرون الى العناصر المقومة على انها مجرد عناصر رابطة، والاشياء التي يربط بعضها ببعض تبتلعها العلاقات بينها، (والعلاقات وحدها هي المصدر الشيء الثابت وانها تؤلف الموضوعات الحقيقية لعلم ما، اما الصفات او

٩- فهيم، حسين: نفس المصدر، نفس المكان

١٠- جان بياجيه: البنيوية، منشورات عويدات، بيروت، ١٩٧١، ص٨.

١١- جان بياجيه: البنيوية، المصدر نفسه، ص١١.

١٢- ابراهيم، زكريا: مشكلة البنية، المصدر السابق، ص٣٤.

١٣- إبراهيم، زكريا: مشكلة البنية، المصدر السابق، ص٣٥.

١٤- الجزيري، مجدي: الفن والمعرفة الجميلة عند كاسيرر، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ٢٠٠٢، ص٢١.

الخصائص فلا تزيد عن كونها شيئا عابرا وهميا)[١٥].اذ ان موضوع المعرفة عبارة عن كل يتألف من عدد من الاجزاء.

والتحليل البنائي مرحلة لابد من ان تمر بها المعرفة، ولايستطيع الفكر ان يصور الخصائص الجوهرية انظام من الاشياء قبل ان يكتشف كيفية ارتباط العناصر المكونة لكل شيء من الاشياء المنتمية الى ذلك النظام فيما بينها[١٦]. فيرد اصحاب هذه النزعة الانسان الى العلاقات التي يأتي بها الى الوجود ويحقق نفسه، واستوعبت النزعة البنائية سؤال العالم، كيف يكتب هذا الكتاب [١٧].

عليه ان بنية الجمال تقوم على فكرة الكلية او المجموع المنتظم، اهتمت بجميع نواحي المعرفة الانسانية، وان كانت قد اشتهرت في مجال علم اللغة والنقد الادبي، ويمكن تصنيفها ضمن مناهج النقد المادي، وا عملية دراسة البنية الكلية للعمل الفني تعني رصد الظواهر الشكلية والانساق الفنية وتحديد وظائف هذه الانساق داخل العمل[١٨].

والبنيوية في الفن تشابه ميدان اللغة الام، او علم اللغة، في صياغتها الصارمة، لاتحاول ان توضح لماذا نطق فرد معين بسلسلة من الكلمات في لحظة معينة، ولكن تبين لماذا تملك هذه السلسلة الشكل والمعنى اللذين نجدهما فيها، وذلك عن طريق ايجاد علاقة بين هذه السلسلة ونظام اللغة، واذن ربط النظام الوظيفي والمعايير والأصناف يعتمد على الحدث وتجعله ممكنا[١٩].

المبحث الثاني:مفهوم البنية وعناصر التكوين الفني في الرسم

تميز العصر الحديث بتعدد المفاهيم الجمالية لظهور فلسفات وفلاسفة عديدون اهتموا بمفهوم الفن والجمال وحاولوا ان يجدوا التفسير ويضعوا أيديهم على مفهوم الجمال الذي اختلف عليه الفلاسفة على مر العصور، منذ العصور القديمة بدأ بأفلاطون وارسطووصولا الى الفكر الحديث، وبحدود النصف الثاني للقرن التاسع عشر ظهرت الحادثات العديدة وشكلت بمفهومها البنية أسسا للفن الحديث، ابتدءا من النظرية الانفعالية ومرورا بالشكلية.

ان الاهتمام بفلسفة الفن في القرن التاسع عشر قد اقترن بالكثير من الاهتمامات العملية والأخلاقية والاجتماعية، وحرص(تولستوي)على ان يكون الفن ضرب من ضروب النشاط البشري، بينما (تين) اعتبره ظاهرة بشرية تخضع لشروط حتمية وهي الجنس والعصر والبيئة (باعتباره ظاهرة حضارة تتطور مع التاريخ وتتأثر بأوضاع المجتمع وتتفاعل مع غيرها من الظواهر الاجتماعية الأخرى)[٢٠]. أي ان تطور الفن في عصرنا الحاضر قد استطاع أن يحقق جانبا مما دعا أليه أفلاطون في فلسفته، من حيث التعبير عن الجوهر دون العرض، او على الأقل عن الحقيقة النسبية التي يمكن لفناننا أن يتخيلها.

النظرية الانفعالية والفن

أدرك (هيغل) أن وحدة الأثر الفني لا تقتصر على كونها وحدة شكلية، وانما وحدة الشكل والمضمون، وحدة الدلالات والمعاني، التي بلغت اقصى درجات العمق، مع المظهر الفني المحسوس.(أساليب فنية تقنية

١٥- الجزيري ، مجدي: الفن والمعرفة الجميلة عند كاسيرر، المصدر نفسه، ص٢٢.
١٦- الجزيري ، مجدي: ، المصدر نفسه، ص٢٢.
١٧- الجزيري ، مجدي : نفسه، ص٢٢.
١٨- خمري ،حسين : المصدر السابق ، ص٧٨.
١٩- راي ، وليم : المعنى الأدبي ، ت: يوئيل يوسف ، دار المأمون للترجمة والنشر ، بغداد ، ١٩٨٧، ص١٢٦
٢٠- ابراهيم ، زكريا: فلسفة الفن في الفكر المعاصر، مكتبة مصر، بلا ، ص٩.

وانفعالات وتأثرات ومقاصد ونيات وافكار مبدع الاثر الفني)[٢١].إي ان ممارسة الفن ليست بديلا للحياة الواقعة، وانما الفن هو الاسطورة للحياة والتعبير عن الحقيقة الواقعية.

لقد قسم هيغل فلسفته الى أنماط حددت من خلالها علاقة الشكل بالمضمون، لتحقيق غايته في الوصول الى الروح المطلق من خلال النمط الرمزي والكلاسيكي

والنمط الرومانسي، باعتبار الأخير من أكثر الأنماط تحقيقا لفلسفته كونه يتمتع بالمرونة والصدق والروحية، مما تمكنه من تحقيق اهدافه.

ومن خلال الافكار المبينة خلقت حركة فنية عاصرت هيغل بداياتها، اتسمت بكونها إحدى أهم بواكير الفن الحديث، وهي الرومانتيكية، لما اتسمت به من خروج على القوانين الكلاسيكية من تحرر في الألوان والمنظور والموضوعات، أي الخروج على المألوف في الشكل والمضمون مجسدة انطباع الفنان.في(الشكل١)

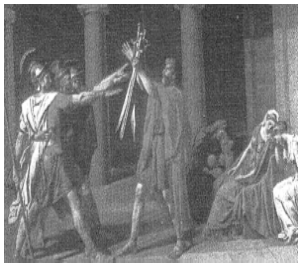

لوحة بعنوان قسم الاخوة /لويس دايفيد /المدرسة الرومانتيكية.

وللتقدم التكنولوجي دور في نشوء الحداثة الفنية، لما عاناه الفنان من صدمات في اختراع التصوير الضوئي / الفوتوغرافي، وذلك طريقة لتسجيل الوقائع والميزات الطبيعية، فالمصور الفوتوغرافي لايعطي تفسيرا او تأويلا للحقيقة (غير ان الفنان الرسام مايزال بامكانه ان يناضل استنادا الى طريقة فريدة لرسم الحقيقة الموضوعية للناس والأشياء)[٢٢].

ومن اهم ما أسند اليه الفن الحديث هو التقدم التكنولوجي وعلب الالوان والكشوفات وعلوم الضوء والالوان التي ظهرت بواكيرها في منتصف القرن التاسع عشر، مصطحبا معه بدايات نشأة الحركة الانطباعية. فاستخدم (مونيه) الموضوع او الحادث الذي يعرضه التصوير له أهمية، نظرا لاهتمامه بمظهر الضوء والكون والعالم (فقد ركزت انتباهها على السطوح الخارجية للاشياء، وبذلك اتجهت الى التقليل من تكتل الموضوعات التي تصورها وصلابتها)[٢٣].(الشكل٢)/مونيه/ منظر في الهواء الطلق.

وبفضل (سيزان) اتخذ عنصر الشكل او القالب (فورم /form) مكانة جيدة في البنية التكوينية لمشاهده الفنية اصبح بفضله في تسمية النظرية الشكلية، حيث الشخوص والاشياء التي تؤلف اعماله لها صلابة حقيقية، بل ان لها قيمة جمالية وتقنية، وهو يستخدم اللون من اجل التعبير عن ثقل الاشياء وكتلتها، ولايقل عن هذا أهمية ذلك العمق الكبير الذي تتسم به لوحات (سيزان)، نراه يستطيع ان يخلق ايقاعيا بين العلاقات البنائية التي تمتد الى ماوراء مسطح اللوحة. هذه العلاقات التشكيلية بين الكتل المصورة تؤلف جزءا من معنى الشكل او القالب عند سيزان [٢٤](الشكل/اعلاه٣)لوحة لاعبو الورق

٢١- لوفافر، هنري: علم الجمال، ترجمة: محمد عيتاني، دار الحداثة للطباعة والنشر، بيروت، بلا، ص٢٢.
٢٢- ريد، هربرت: الفن والمجتمع، ترجمة: فارس متري، دار القلم، بروت، بلا، ص١٦٤
٢٣- الجزيري، مجدي: الفن والمعرفة الجميلة عند كاسيرر، المصدر السابق، ص٢٦٥
٢٤- الجزيري، مجدي: الفن والمعرفة الجميلة عند كاسيرر، المصدر السابق، ص٢٦٦

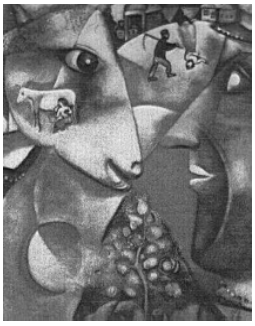

.وبتطورالمفاهيم الانطباعية ظهرت مايسمى بالانطباعية المحدثة او الجديدة والتي استفادت من الطروحات العلمية في مايخص اللون، ومن فنانيها (جورج سورا) لخص بأن ليس هناك ادراكات مبهمة بضربات الفرشاة، وقد حلل الانطباعيين الجدد منهجية اللون المحلي للاشياء ولون الضوء وانعكاساتهما الواحد فوق الاخر، واستوعبوا قانون التضاد المتزامن، واطلعوا على اعمال الفيزيائيين (هيلمولتز.وان.او.روود) وعملوا على بالاستفادة من التقنيات العلمية، وبدلا من اللجوء الى مزج الالوان على البليت تمكنوا من مزجها بصريا. من خلال الوانهم جنبا ال جنب على القماشة في اللوحة.لقد كان القصد من لمساتهم ان تكون مناسبة وحجم الصورة، فقد ركزوا على شكل البقعة الصغيرة او النقطة، ومنها سنت كلمة التنقيطية، واحتج (سينياك) قائلا: الانطباعية الجديدة لاتضع نقطة بل تقسيما للون، والتقسيم كل من زايا اشراق اللون والانسجام [٢٥].وكما كتب (فان كوخ) الى اخيه واصفا فن الرسم انه يبشر بأن يصبح اكثر رقة واقرب الى الموسيقى واقل شبها بالنحت واخيرا انه

يبشر باللون.مما يعني تحرر الفنان وتحقيق ماكان يصبو اليه (كوخ) في بدايات القرن العشرين.

لم يساير الفن في القرن العشرين سرعة هذا القرن، بل سبقه في بعض الاحيان، ولم يعكس فقط مايجري حواليه، وانما تنبأ الى ماسيحدث، فقد استهل بتفجر الالوان المتمثل بالحركة الوحوشية، ولم تمض الاعوام، الا وانبثقت الحركة التكعيبية التي عمدت الى تفتيت الاشكال، وقد مهد لهاتين الحركتين الرسامون الاربعة (سورا/سيزان/فان كوخ/جوجان) فاهتم الاوليان بالحركة الانطباعية، والاخريان في انشاء الحركة الوحوشية[٢٦].(الشكل٤ المجاور)للفان شاغال من المدرسة الوحوشية.

اذ ان البداية كانت في معرض(كوخ) التعبيري عام ١٩٠١، حينما استطاع الفنان فان كوخ ان يقدم اسلوبه في اللون، بمضمون عاطفي.فالمهم كان الوصول الى جوهر الاشياء، حيث بات الفنان متشبثا بالصور المرئية، معتبرا اياها رمز التجريد، فشرع الرسام في تفتيت الاشكال وتشقيقها الى شرائح، ثم استخدمت فيها العناصر الفنية بشكل لبنات، لإعادة بناء الشكل الأصلي، في صورة يصعب التعرف اليها، او تشتيت العناصر في لوحة مغايرة، ولعل (جورج براك) انتسب في بداياته إلى المدرسة الوحوشية (فهو اشد من غيره عناية بالشكل وبنية الصورة)[٢٧].(الشكل٥)للفنان بيكاسو.ولاشك ان النماذج التي قادت بيكاسو الى الحركة التكعيبية هو ماتلقاه في متحف الانسان (تروكاديرو) وغرب إفريقيا، وان الحركة طرحت واقعا متصورا وليس واقعا مرئيا، وان التكعيبيون كانوا يبحثون عن الحقيقة في التجربة المرئية [٢٨].

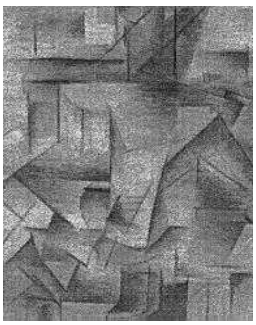

٢٥- جي.اي، مولر. فرانك ايغلر: مئة عام من الرسم الحديث، المصدر السابق، ص٥٣.
٢٦- نيومايير، سارة: قصة الفن الحديث، ت: رمسيس يونان، سلسلة الفكر المعاصر، بلا، ص١١٨.
٢٧- نيومايير، سارة: قصة الفن الحديث، المصدر نفسه، ص١٣٣.
٢٨- فراي، ادوارد: التكعيبية، ت: هادي الطائي، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد. ١٩٩٠، ص٦٢

كما كان للحرب الفرنسية والعالميتين دورا تعبيريا مهما في الرفض لما وصلت اليه قيمة الانسان، ففي احد مقاهي زيورخ الالمانية عام ١٩١٦، ولدت الدادائية على يد مجموعة من الفنانين والكتاب والشعراء الثائرين، وهكذا اختاروا لفظة دادا على حركتهم الفنية، وتعني حصان الاطفال الخشبي.ولم تقتصر الحركة الدادائية على عدد من الرسامين بل كا مؤسسها الروماني الشاعر تريستان، وحملها الى نيويورك الرسامان(مارسيل دوشامب/ فرانسيس بيكابيا) ومن ابرز اعمال دوشامب التي عرضت، صورة الموناليزا مضيفا اليها الشارب على الشفتين.**النظرية الشكلية والمفهوم الجمالي**تعد النظرية الشكلية من اكثر النظريات أهمية وفاعلية على تطور مفهوم الجمال في الرسم الحديث، حيث كانت الغلبة لنظرية(المحاكاة) والتي هي اقدم نظرية في الفن، فأن النظرية الشكلية، هي واحدة من احدث النظريات، فهي تحاول ان تبين ان مايعده المشاهد فنا، ليس في حقيقته فنا على الاطلاق وان معظم الناس يأتون الى الفن من غير الطريق الصحيح، وبالتالي تفوتهم قيمته [٢٩]. واذن النزعة الشكلية تعارض مبدأ المحاكاة، فهي ترى ان الفن الصحيح منفصل تماما عن الافعال والموضوعات التي تتألف منها التجربة المعتادة، فالفن لايمكن ان يوجد في لي مجال اخر من مجالات التجربة البشرية، فالفن اذا شاء ان يكون فنا، ينبغي ان يكون مستقلا مكتفيا بذاته [٣٠]. كما اصبحت الفلسفة الجمالية طريقا للفن الحديث ومن اهم فلاسفة الجمال (كانط) الذي شكل مقابلة المحتوى والشكل، فهو يرى ان الشكل يتغلب ويحدد الأثر الفني ويعينه، وللاثر الفني وحدة وطبيعة نهائية داخلية، تؤلف كلا واحدا، وهذه الخاصة مستقلة عن المحتوى المحسوس، حسب ماقاله (كانط).

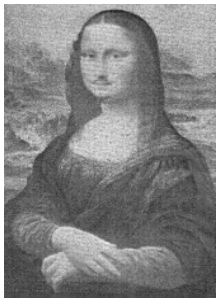

ويضيف ان هذه الخاصة تزول حينما يتلاشى المحتوى، كما يحدث في الفن الزخرفي الصرف، وبهذا عرف(كانط) (علم الجمال الشكلي او الجمالية الشكلية) [٣١].

بمعنى يتمثل تأثير المدرسة الشكلية من خلال زيادة اهتمام فناني الحداثة بمفهوم الشكل الى حد الوصول الى شكل خالص خالي من المضمون في المدرسة التجريدية، وتعد التجريدية احدى اهم خلاصات الفن الحديث.

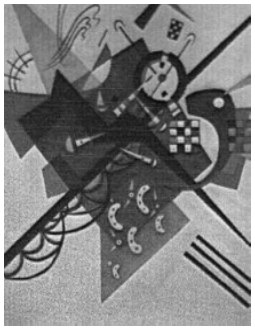

لقد كانت بداية الفن التجريدي حين دخل (كاندنسكي) الى مرسمه يوما فأدهشه ان رأى بجوار الحائط لوحة غريبة لاتمثل شيئا معينا، الا انها تفتن بجمال الوانها، وسرعان ما أدرك انها احدى لوحاته، وكانت تمثل مشهدا طبيعيا، ولكنه قد وضعها مقلوبة من غير قصد، اخذ كاندنسكي يرسم بالالوان والاشكال المجردة دون غيرها، مشبها فنه بالموسيقى، وذاهبا الى ان فن التصوير، بانصرافه عن محاكاة الطبيعة المرئية والحقائق المادية، يصبح اقدر على التعبير عن الحقائق النفسية الباطنة[٣٢].(الشكل٧) للفنان كاندنسكي وان التوصل الى المرحلة التجريدية كان بمعنى غلبة الشكل على المضمون، جاءت نتيجة تحولات نسقية عديدة لتحولات الفن الحديث، وتجارب الاختزال الذي بدأته التكعيبية، الذي اختزلت الشكل لصالح المضمون، مرورا بالتعبيرية والرمزية الى حيث تجلى مفهوم الفلسفة الشكلية في المدرسة التجريدية.ولعل الاتجاه الى الواقع تسجيل فني، الا انه

٢٩- ستولنتيز، جيروم: النقد افني، المصدر السابق، ٥١٢
٣٠- ستولنتيز، جيروم: النقد افني، نفس المكان
٣١- لوفافر، هنري: علم الجمال، المصدر السابق، ص١٩.
٣٢- نيومايير، سارة: قصة الفن الحديث، المصدر السابق، ص١٤٩

اخذت المدارس الفنية تبتعد عن الجوانب الرومانسية وعن القضايا الجمالية وتبتعد عن التكامل الفني، في ايذان فقدان الايمان بالواقع الملموس، والانبهار باللاوعي، والاهتمام بضغوط البيئة الصناعية وتزايد وتأثر التغيير، والرغبة في اكتشاف بناء فني مهم من فوضى

الحياة.وكان هنالك اختلافات جوهرية بين تلك الحركات قادتها الى قضايا جمالية (السريالية والمستقبلية) والى اجراءات فنية مختلفة والى وجهات نظر متباينة: ان الاهتمام المتزايد بالتجريد بتحطيم الاطر التقليدية العامة بالاشكال التصويرية والرمزية الجديدة، وباهتمامها ببعض الموضوعات مثل الماكنة والمدينة الحديثة، واغلب الحركات تتعامل مع الحيز.(لم تنموا تلك الحركات نموا ديالكتيكيا لتحدد مع بعضها، وان كان بعضها يمتلك الخصائص الموجودة في بعضها الاخر، مكا هي حال التعبيرية التي تلتقي احيانا مع الدادائية والسريالية، وعليه ان فهمنا لحركة واحدة لايساعدنا على فهم الحركات الاخرى)[٣٣].

وكان للتطور العلمي والصناعي في القرن التاسع عشر مصدر الهام لعقول الفنانين لما ادخلته مفاهيم الصناعة كالميكانيكا والمرونة والسرعة في اعمالهم من اجل خلق فن جديد يتسم بالحركة والديمومة.جديدة مثل الميكانيكا والمرونة والسرعة.[٣٤]وذكر الشاعر مارينيتي بيانا في المدرسة المستقبلية جاء فيه:

"ان جميع الحقائق التي تلقن في المدارس والمراسم لم يعد لها وجود بالنسبة الينا، لقد اطلقنا ايدينا حرة نقية... ان كل شيء في حالة جريان وتحول سريع والاشياء التي تحركها تتضاعف الى ما لا نهاية، ويتغير شكلها مع تدافعها، كأهتزازا ت منطلقة في رحاب الفضاء، وهكذا فالفرس الراكض ليس له اربعة سيقان، وانما عشرون، وحركة هذه السيقان ترسم مثلثات"[٣٥].

(الشكل(٨)للفنان بوشيني.

السريالية و التحليل النفسي جاء العالم النفسي (فرويد) عام ١٨٥٦/١٩٣٩ بنظرية نفسية في مجال الفن، وان النظرية التحليلية تعد المصطلح العام الذي يطلق على الافكار الفرويدية حول

الشخصية، واللاسواء، والعلاج النفسي، فقد اعتمد فرويد على جمع المعلومات على التداعي الحر، وتتمثل بالاستماع الى كل ما يرد على الذهن اللانساني، وسرد الاحلام، لتتم عملية البيانات والمعلومات الصادرة بحثا عن الرغبات والمخاوف والافكار والذكريات التي تكمن بعيدا عن الشعور والوعي [٣٦].

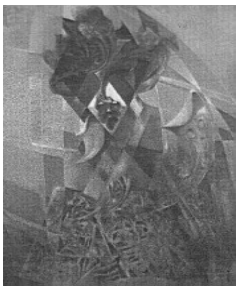

وتعد هذه النظرية الدوافع اللاشعورية، والذكريات والمخاوف والصراعات والاحباطات مظاهر هامة للشخصية، وان اخراج تلك الدوافع الى الشعور يعد علاجا حاسما للاضطرابات الشخصية [٣٧].لقد دعت السريالية الى الاخذ بفضائل اللاعقلانية مسترشدة (بفرويد) وان الاعلان السريالي رفع شعار

٣٣- برادلي ،مالكم واخرون : الحداثة ،ت: مؤيد حسن فوزي، دار المأمون للترجمة والنشر ،بغداد ، ١٩٨٧ ،ص٢٠٧.

٣٤- غربال ، محمد شفيق واخرون: الموسوعة العربية الميسرة ، دار نهضة لبنا ن،بيروت، ١٩٨٧ ،ص٥٨٦.

٣٥- ريد ، هربرت :الموجز في تاريخ الرسم الحديث ،المصدر السابق، ص٦٤

٣٦- دافيدوف ،ل،لندا : مدخل علم النفس ،ط٤ ،ت: سيد الطواب واخرون ، الدار الدولية للنشر ، القاهرة ، ١٩٨٣ ، ص٤٣.

٣٧- دافيدوف ،ل،لندا : ، المصدر نفسه ، نفس المكان.

"العمل اللا ارادي النفسي البحت"[٣٨].(الشكل٩)للفنان ماكس ارنستهذا وقد تعددت النزعات الفنية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، فكان منها مايتعلق بالشكل ومنها مايتعلق بالمضمون، كما وانتقل النشاط الفني الى مراكز عدة من بقاع العالم حتى حلت نيويورك محل باريس في ١٩٤٠ وعاصمة للفن الحديث [٣٩].

المبحث الثالث: مقاربات في البنية الثقافية والفنية في العصر الحديث

بعد ان رافقت التغيرات في الفكر الجمالي حصلت تغيرات في الرسم الحديث وفي بنيته بالتحديد، وتكوينه الداخلي، أي العلاقات التي ترتبط بعناصر واجزاء العمل الفني، وسنتناول اهم الحركات الفنية:

المدرسة الانطباعية

من اهم خصائص هذه الحركة تسجيل الانطباعات المرئية المتغيرة ونقلها عن الطبيعة مباشرة، وقد برع الانطباعيون في تصوير ضوء الشمس، والتصوير في الهواء الطلق، ومثل العام ١٨٦٣ علامة مميزة في تاريخ الرسم، (التحول من الواقعية الدرامية التي تلعب بالعواطف الى الطبيعة المتحررة من الالتزامات العاطفية والاجتماعية والموضوعية، الذي احتله مانيه وانطباعيوا المستقبل بالنسبة لـ كوربيه)[٤٠]. فشملت الاشكال الرشيقة والالوان البراقة للنساء المتأنقات في ضوء الشمس.(الشكل١٠)للفنان كوربيه

فكانت الانطباعية غزوا تدريجيا للضوء، تلاشت خلاله التحديدات، كما وولدت مع الحركة دراسة القوام البشري والفضاء والتكوين، وكان ثمرة ذلك نشوء طريقة جديدة لرؤية العالم، عززت من جرأتها الموجهة التي صاحبت انذاك ذيوع المطبوعات اليابانية وتطور فن التصوير الفوتوغرافي [٤١].

لقد شرع في عام ١٨٧٣ كل من (مانيه/ديغا/سيزان) باستعمال الوان براقة، ومنذ ذلك الحين نبذ (مونيه/رينوار/ بيسارو/سيسلي) الضلال الباهتة او الرصاصية، ليصبح اللون الوسيلة الاساسية في التعبير عن الحركة، فاستخدموا الوان الطيف الشمسي واستبعدوا اللون الاسود والابيض والالوان القاتمة.وحلول اللالوان الشديدة التباين، كاحساس بصري ايهامي بوجود لون ثالث لاوجود له فعلا.(الشكل ١١)للفنان سوراه

المدرسة الوحوشية/

كان اللون في عالمهم عنيفا مثيرا اشبه بالهدير، وعندما نظر الناقد الفني (لويس فوكسيل)عام ١٩٠٥ في صالون الخريف ان ذكر"الحيوانات الوحشية" المتوحشة، وبذا اعطى المجموعة اسما تسموا به في التاريخ، مع ذلك لم يلزم الوحشيون انفسهم بتصعيد اللون اكثر مما فعل (جوجان)بل منحوه اكثر حرية، ليس من علاقته بالعالم الخارجي بل من علاقته بالقواعد التي كبله بها اسلافهم، وللتدليل على الضلال لم يكتفوا باستعمال الالوان الباردة، وانما عمدوا الى استعمال

٣٨- جي.اي، مولر. فرانك ايغلر: مئة عام من الرسم الحديث ، ، ص١٢١.
٣٩- باونيس ، الآن: الفن الحديث ، المصدر السابق ، ص٢٥١.
٤٠- ليماري ، جان : الانطباعية ، ت: فخري خليل ، دار المأمون للترجمة والنشر ، بغداد ، ١٩٨٧ ، ص٣٣.
٤١- جي.اي، مولر. فرانك ايغلر: مئة عام من الرسم الحديث ، المصدر السابق، ص١٩.

الارجواني والاحمر، ولم يلجأوا الى الالوان المكملة نظاميا، وطرقوا انسجامات غير مألوفة منها التنافر اللوني او النغمات الصارخة[٤٢].(الشكل١٢)للفنان ماتيس

المدرسة التعبيرية

نبعت هذه الحركة من قلب المانيا، فالتعبيرية تعني المثالية والواقعية فهي لاتخص المفاهيم الضمنية الثانوية مثل الانطباعية، وانها ترمز الى اساليب القاعدية من حيث الادراك الحسي، وانها لاتحتاج الى تفسير (تحاول ان تكون اكثر صوابا من حيث رسم الطبيعة)[٤٣].وان التعبيرية تنفذ المعاني التي تتضمنها تسميتها، انها تعبر عن انفعالات الفنان العاطفية، وتكون في المبالغة والتشويه للمظاهر التي تشابه فنون الغروتسك. واعلامها (فن كوخ/مونج/كاندنسكي/كوكوشا)، اذ رفضوا العوالم المبتذلة في المجتمع الصناعي (وهكذا اصبح كل الفضاء حلما للفنان التعبيري، ولايوجد سوى طيف الشمس)[٤٤].

المدرسة التكعيبية

اقترنت الحركة بالفنان بيكاسو، ذلك لما ابداه الفنان في الابتعاد عن النمط التقليدي لشكل الانسان والإيهامية الفضائية للمنظور المبني على نقطة التلاشي، ومن خلال توقف التكعيبيون عام ١٩١١ عن العمل وفق الموديل المباشر من الطبيعة، في اعمال التلصيق وان نتاجهم الفني يعد تراكما للمعرفة ومدركات تعدد الفضاء والزمان "وبدلا من تقدم التكعيبيون مباشرة نحو تدوين تخيلي، لاشكال كانت مساوية لاشياء في العالم المرئي دون ان تكون هذه الإشكال قد صورت تلك الاشياء بأي حال من الاحوال تصويرا إيهاميا"[٤٥].

فيصف بيكاسو التكعيبية (انها فن التعامل المبدئي مع الإشكال، ويعد مهم للشكل يترك الفنان حياته ليش حياته الخاصة)[٤٦].وان ادخال الاشارة التكعيبية التركيبية استكمالا لجميع الامكانات الابداعية للوسائل الشكلية وتشمل الشكل واللون والتركيب والصورة الظلية /السلويت[٤٧].

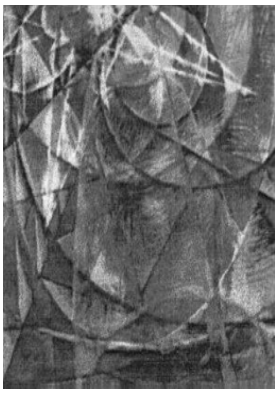

المدرسة المستقبلية

انتقد المستقبليون التكعيبية بوصفها فنا خاليا من الحركة /الاستاتيك[٤٨]، فقد الهم (الفنان مارينيتي)عام ١٩١٠ بالدينامية والتزامن، ليعنيان الدراسات الغربية في الحركة والتجارب السينمائية، مثالها فتاة راكضة في الشرفة للفنان(بالا) حضرت بثماني لقطات، ولوحة الحيوان المتحرك، بعدة ارجل "ان العنصر المرئي هو جزء اساسي في ادب الحركة"[٤٩].(الشكل١٣)للفنان (بالا).

٤٢- جي.اي، مولر. فرانك ايغلر : مئة عام من الرسم الحديث ، المصدر السابق، ص٦٦.
٤٣- ريد ، هربرت : الفن والمجتمع ، المصدر السابق ص١٦٧
٤٤- برادلي ،مالكم واخرون : الحداثة ،المصدر السابق ،٢٧٠
٤٥- فراي ،ادوارد : التكعيبية ،المصدر السابق ، ص٦٤.
٤٦- ريد ، هربرت : الموجز في تاريخ الرسم الحديث ، المصدر السابق ، ص٤٨
٤٧- فراي ،ادوارد : التكعيبية ،المصدر السابق ، ص٦٥.
٤٨- نيومار ، سارة : قصة الفن الحديث، المصدر السابق ، ص١٤٥

المدرسة التجريدية

التجريد معناه الاختزال وهو ماينطبق على المدرسة التكعيبية التي تعمد الى التجريد او الاستخلاص كونه عنصرا مهما من عناصر الشيء الموضوعي، ليتخذوه نواة تكوين لتكوين اكثر جدة، ويعني التجريد ايضا بما ينطبق على الفن، لاينطوي على اصله بشيء واقعي، وهذا هو الفن التجريدي او اللاموضوعي.فالفن لايهدف الى تصوير موضوع خارجي بل مايمكن تسميته بالموضوع الداخلي او الخيالي (تكون الصورة المرسومة نوعا من الاسقاط لهذا الموضوع)[٥٠].

وينقسم الفن التجريدي الى: التعبيرية التجريدية، وتزعمها الفنان (كاندنسكي)و (التجريدية الهندسية) تزعمها (موندريان)، وكليهما يعبران عن النزعة الصوفية التي تعمل على نزع الصورة العضوية (تشف عن الصفات العميقة والمعاني الكامنة، وعن الحقائق المستترة وراء مظاهرها وظواهره المتعددة)[٥١].كما ولا يعتمد الفن هنا على المنظور ولاكيان ولاوجود له، ولايتعامل مع الموضوعات ذات الاجسام (الفن التجريدي يتعامل مع ما يسمى بالانماط الاصيلة في الطبيعة، والفنان التجريدي يحاول ان يستخرج نظم الكون وان يصور حقيقته)[٥٢].**المدرسة السريالية**انها التلقائية النفسية الخالصة، ليست لديها حدود زمانية ومكانية تحدد العلاقة بين الاشياء وتنظمها، ومن الممكن ان تجتمع في اللحظة الواحدة اشياء متباعدة بالقياس للزمن الموضوعي كل التباعد، او اشياء متباعدة لايمكن ان يضمها مكان واحد في عالم الواقع المحسوس[٥٣].لقد انطلقت السريالية من عالم الاحلام والابعاد النفسية ساحة لها، وترتبط بنظرية التحليل النفسي(لفرويد).

مؤشرات الإطار النظري

لقد اسفر الاطار النظري عما يلي:

١. تعني البنية وينظر الى المنجز الفني في كيفية انجازه.
٢. اعتمدت البنية في تعدد الأجزاء وشمولية الكل.
٣.تميز ت بالتحول والتنظيم الذاتي.
٤. البنية انظمة وانساق.
٥. اعتمدت المدارس الفنية في الرسم الأوربي على الفلسفات الجمالية والانفعالية والشكلية.
٦.الانطباع سمة جسدها الفنان الانطباعي.
٧. الوحوشية نظام تحرر اللون من قواعده
٨.التعبيرية نقل أحاسيس الفنان الوجدانية والعاطفية الى السطح التصويري.
٩.التكعيبية هو الاختزال في الشكل غاية الالتحاق بالجوهر.
١٠. المستقبلية اعتمدت على تسجيل الحركة.
١١.التجريدية تجريد للشكل والفكرة.
١٢. السريالية خلصت الى اعتماد مبدأ التحليل النفسي والاحلام.

٤٩- برادلي ،مالكم واخرون: الحداثة ،المصدر السابق ،٢٣٥
٥٠- اسماعيل ، عز الدين: الفن والانسان ،ط١ ،دار القلم ، بيروت ، ١٩٧٤ ،ص١٩٤.
٥١- حسن ، محمد حسن : الاسس الجمالية للفن الحديث،المصدر السابق ، ص١٣٤.
٥٢- اسماعيل ، عز الدين: الفن والانسان،المصدر السابق،ص٢٠١
٥٣- اسماعيل ، عز الدين: الفن والانسان،المصدر نفسه،ص١٨٤

الفصل الثالث/ إجراءات البحث

مجتمع البحث:

يتمثل البحث بنماذج الرسم الأوربي الحديث، الذي عرض في المعرض الانطباعي عام ١٨٦٠ الى آخر معرض سريالي عرض في نيويورك عام ١٩٧٧، ويغطي المجتمع اغلب المدارس الفنية التي تناولها البحث والمتوافرة في المصادر والمراجع وشبكة الانترنت.

عينة البحث: تم اختيار عينة البحث بواقع (٥) عينة ولاهمية المدرسة الفنية بما يتفق ومساحة بحوث الترقية.

منهج البحث: اعتمد الباحثون المنهج التاريخي التحليلي في تقصي عيناتهم بما يلبي والحاجة البحثية، بعد استشارة الأساتذة التدريسيين بمجال الاختصاص الفني

التحليل البنائي والتطبيقات/

أنموذج (١)

انطباع شروق الشمس

للفنان كلود مونيه

زيت على قماش

١٨٧٢م

الانموذج لوحة زيتية للفنان كلود مونيه مثلت انطباع شروق الشمس، جسدت مفهوم الحركة الانطباعية في الخليج الانكليزي ساعة الفجر، تعامل الفنان في تجسيد البنية الشكلية لالوان الشمس في تلك اللحظة العابرة والآنية بضربات من فرشاته، ناسجا الوانه في برتقالي السماء وازرق الماء الضبابي وبشكل استاتيكي في تتابع حركة الزورق والسفينة والشمس ذاتها.اذ تتمثل العلاقات البنيوية في نظام اللون، كونه النظام الاكثر ارتكازا الى العين، وباعتماد ألوان الموشور للاقتراب ن الطبيعة ومحاكاتها، فجاءت الالوان الحارة ومعها الضلال الباردة بالوانها الرمادية.وقد اعتمد الفنان في نظام الخطوط على الوهمي منها للاقتراب من الطبيعة، فلايمكن ملاحظتها بشكل مباشر بل تعامل مع اللون بدلا عنه.كما اعتمد في بناء اللوحة على المنظور الخطي وبشكل بسيط مضافا اليه المنظور اللوني، وفاعل القيم اللونية في تسيدها من خلال تعرض ماهو بعيد من الأجسام إلى الضبابية، وخلق حالة من المسافات الفاصلة بين الإشكال، اذ السفن يغلب عليها اللون القاتم اسوة بالقريب منها، في حين كان نظام الشكل يحاكي الواقع لكنها لم تصور بشكل واقعي، مازجته سرعة استعمال الفرشاة وأعطته شيء من التموجية.عليه فما كان من الزمن إلا إن تمت معالجته وفق الإيهام الحركي وذلك بحركة الزورق في وسط المشهد والبعض من السفن يتجه صوب الميناء ليعرب عن حركة في الزمن المكاني.

ومع ان البنية ترتكز الى الكلية، فتظهر في خضوع أجزاء اللوحة الى علاقة كلية تتبلور في العلاقات الضمنية، وتستند الأنظمة الى التعامل مع العناصر الأنفة الذكر، في استخدام الألوان والفرشاة وخلق جو من الضبابية الانطباعية. خضعت من خلالها الإشكال والأجزاء الى نسقيه التحولات في اللون والمساحات سواء على مستوى الفضاء او الماء، بحيث ان القوانين المقيدة جسدت تطبيق مفهوم البنية الحركي المرتبط بالزمن، ومن خلال القوانين والأنظمة تم استيعاب الموضوع وإدراكه جماليا في آنية الحدث، فلم يكن من الطبيعي إن تسجل البنية خصائصها دون التنظيم الذاتي لبنية الأجزاء، فالشكل وأسلوب تجسيد السماء

والبحر يخضع الى أنظمة واحدة تحدد باقي مفردات اللوحة التصويرية حيث كل عنصر يشتغل في ظل آلية التنظيم ذاته ليشكل بالتالي الخصائص الفنية والجمالية في البنية لمدرسة الانطباعية الحديثة في الرسم الأوربي.

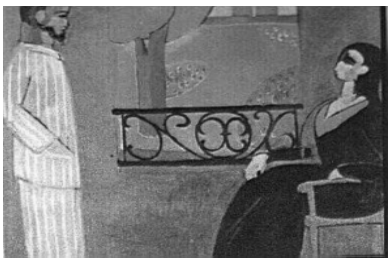

أنموذج (٢)
الفنان والموديل
ماتيس
زيت على قماش
١٩١٧

الأنموذج رسم من المدرسة الوحوشية للفنان ماتيس، اعتمد الفنان اسلوبا للتعامل مع اللون والشكل، أي تفجير اللون بوحشية، وبتنفيذ خطوطا مبتعدة عن البنية الكلاسيكية، من خلال هدم الشكل الواقعي واختزاله، فالنظم الشكلية واللونية هي خصائص البنيوية الوحوشية، بالاعتماد على نظم أكثر تكوينية ذات طبيعة حرة مختزلة من حيث الخط وأسلوب صارخ من حيث اللون.

امتاز النظام اللوني بمفهوم اللون النقي الصارخ الذي نتج عنه استخدام ألوان صريحة وكتل انعدم فيها التدرج اللوني وتجلت المسطحات الخضراء من خلال الشباك، وهذا ما وفق خلاله الفنان في استحضار الخط وتحديده وفق المساحات

اللونية السوداء، والألبسة، فكانت لتأكيد قوة الشكل.الا ان المنظور تم التعامل معه ببساطة في تناول الحجوم، من شخوص وشجرة وشباك، كتأكيد عل البساطة في تناول المنظور.عليه جاء نظام الشكل بدائي في التعبير عن الموضوع، فالإشكال مختزلة أهملت تفاصيلها، ولم يشكل الزمن نقطة دالة سوى مشهد ضوء النهار من الشباك.عليه ان الكلية تفرض هيمنتها في الاجزاء وتتضح ان بنية اللوحة تستند الى مجموعة من الأنظمة في اللون والخط والشكل والمنظور والزمن، فاستخدمت الالوان الصريحة والقوية لتفاصيل الشكل، في حين ان التحولية ظهرت باختزال الخطوط والتفاصيل وتغيرات اللون الواقعي وانعدام التدرج، وكلها اندرجت تحت نسق هوية العمل، ليشتمل العمل وفق التنظيم الذاتي من جمع عناصر واجزاء اللوحة في البنية الفنية التي مافتأت ا أحدثت خاصية جمالية ترتقي الى وجود المدرسة الوحوشية، وهذا يسجل هدف البحث.

انموذج (٣)
عيد ميلاد
مارك شاغال
١٩١٥
متحف نيويورك

يعد العمل من المدرسة التعبيرية، والتي تهتم باظهار العواطف والاحاسيس والمشاعر، بطابع ميتافيزيقي، يستند الى بنية شكلانية تحقق الواقع الشكلي واللوني وقوانين المنظور، فقد تمثل اللون بتناغمه مع الموضوع في استحضار منطقة التحليق في السعادة من خلال الملابس والوضعيات الإنسانية، ولون الارض الحمراء، في حين خلص الخط من خلال الفصل بين المساحات اللونية في عدم اظهار الخط بشكل مباشر، وهمي، بين لونين، وفي انتقال من كتلة الملابس الى الارضية كذلك، اما المنظور اصبح حرا

لاتقليديا، غير ان المنظور بدى واضحا في الشباك، اما الاشكال فلم تخضع الى المنظور وقواعده مثل المنضدة ومحتوياتها

والكرسي كذلك، الا ان نظام الاشكال هنا معقد بعض الشيء يحاكي الواقع بمنظار خيالي، في افتراض ان الموضوع يصب في الخيال وان جسد الرجل والتواءه في حركة طيران تظهر مفهوم الزمن الذي أكدته حركة المرأة ايضا. وبالتالي ان الشمولية في الكل هو اخضاع العناصر والأجزاء الى اقامة العلاقة الضمنية التي اتضحت في البنية الشكلية من جهة والجمالية من اخرى، التزمت بالتحولات واستوعبت الموضوع، واكد على ادخال الفكر الميتافيزيقي في البنيتين الجمالية والفنية وادى ايضا الى استيعاب الفهم من خلال الإدراك. لذا تمثل التنظيم الذاتي في العمل عن طريق جميع العناصر واجزاء السطح التصويري تؤدي وتنتج اشكالا تصب في بنية العمل، وان شكل الفنان والموديل والمنظر تخضع لانظمة واحدة تحددها وتحدد باقي مفردات اللوحة.

أنموذج (٤)
الموسيقيون الثلاثة
بابلو بيكاسو
زيت على قماش
١٩١٥

يعد هذا العمل من نتاج المدرسة التكعيبية للفنان بيكاسو، والذي عمد الى التجريد والاختزال وتحويل اللوحة الى مكعبات من اجل اللحاق بالجوهر. والابتعاد عن الخطوط المنحنية والمنظور مما خلق اشكالا ذات ملامس تتساوى فيها جسم الانسان والآلات الموسيقية والاثاثبشيء من السطحانية، اذ تحدد البنية بمجموعة الأنظمة والعلاقات الضمنية بين اجزاءها وعناصرها في نظام اللون كانت المسطحات اللونية خالية من التدرج وان الملابس هي الاخرى التزمت بذات التوزيع، اما نظام الخط اعتمد على اظهار الخط بشكل واضح في ملابس الموسيقي وآلته وحتى في المساحة اللونية التي مثلت الفاصل بين اللونين هي مساحة خطية، كما جاء المنظور لا خطي لالوني، غلب عليه التسطيح في الموسيقي وعدم الايهام بالتجسيم، ومنظورها غير دقيق.

وفي نظام الشكل يعمل على اختزال الاشكال جميعا وعلى حد سواء الى اشكال مكعبة وخطوط منكسرة في تداخل شكلي، من خلال تجسيد الموسيقين وآلاتهم، واختزلت الشكلية الواقعية. واذا ماتناولنا نظام الزمن فهو لايشكل جانبا مهما وان اللوحة تؤكد على جوهر ثابت غير متحرك، حيث لاتوجد حركة لاتوجد دلالة للزمن. ونتيجة لهذه الانظمة اكتسبت البنية نسقها الخاص من التحولات الشكلية، في تحول العازفين والآلات الموسيقية الى مجموعة من المسطحات اللونية التي تعبر عنهم بشكل مختزل، ويتجسد الشمول والكل في استناد الانظمة لتجسيد العمل وان جميع اجزاء هذا العمل تتمتع بالتنظيم والتحول مما يؤكد نجاح البنية الشكلية والجمالية في المدرسة التكعيبية.

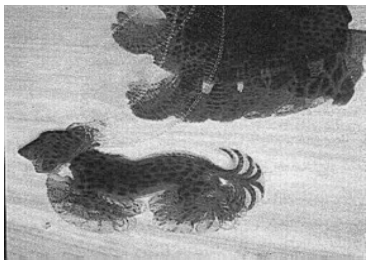

انموذج (٥)
حركة الكلب
جياكومو بالا
زيت على قماش
١٩١٢

ظهرت الاعمال في المدرسة المستقبلية اثر التطور الصناعي وازدهار الماكنة، فسجات ايقاعها وفق الحركة السريعة في البنية العامة لهذا العمل والمتولدة من خلال فترة زمنية في وقت واحد كالخطوط التي رسم بها تكرار ارجل الكلب والمرأة للدلالة على الحركة.فما كان من نظام الالوان ان استخدم الفنان الالوان الغامقة والاسود والازرق في ثياب المرأة والكلب، وجاء الخط القوي والسريع والمنحني من اجل الدلالة على الحركة السريعة، في حين لانجد المنظور فلا نلاحظ الايهامية او العمق، ليتقدم نظام الشكل المختزل والمتكرر والمعتمد على الزمن والحركة المرتبطان سوية.

من هنا يتجسد الكل وينهض بالبنية الى مستوى الشمول وفق الاجزاء،لتتوحد نسقية التحول الشكلي نتيجة الحركة باقدام المرأة او الكلب لعدة مرات، تستوعب الفهم والاطلاع بقصدية الوعي المدرك الى التنظيم الذاتي.

الفصل الرابع /نتائج البحث

١. تستند كل مدرسة من مدارس الفن الحديث على بنية خاصة تميزها عن غيرها من البنى الفنية.

٢. توفرت في كل بنية من بنى المدارس/ البنية نسق من التحولات/البنية كل متكون من عدة اجزاء/ تتحد البنية بمجموعة من الأنظمة تحدد العلاقات الضمنية بين عناصرها وأجزاءها الداخلية.

٣. بنية الانطباعية نظام الوانه يستند الى الكشوفات العلمية الحديثة/الابتعاد عن اللون الاسود/اتباع علاقات لونية جديدة في تحديد الوان الظلال كالالوان الباردة كظل للالوان الحارة/ تعاملت مع المنظور الخطي واللوني./اشكال المدرسة مستمدة من الواقع/ تعاملت الانطباعية مع الزمن الآني/ امتازت بحركة السريعة للفرشاة.

٤. المدرسة التعبيرية تقترب من الواقع /خطوط وهمية /منظورها حر/ نظام الشكل معقد/ ظهر مفهوم الزمن تأكيد للحركة.

٥.التكعيبية ذات بنية لونية خالية من التدرج / الخط دقيق وفاصل بين الالوان / كما لاتعتمد بنية المنظور الا على الإيهامية وخالية من العمق/ الاشكال واقعية مختزلة ومتداخلة، متحولة الى مربعات ومساحات هندسية.

٦. اما نتائج المدرسة المستقبلية فالوانها متداخلة ومتدرجة ومعتدلة في قوتها وتميل الى استخدام الالوان الاساسية / الخطوط قوية وحادة ومنها بشكل اقواس او منحنيات لدلالة الحركة/ لاوجود للمنظور واشكالها مسطحة/الزمن يلعب دورا وان موضوعة الحركة والسرعة أشبه برسم الإشكال خلال فترة زمنية محددة.

الاستنتاجات

١. من خلال النتائج التي توصلت اليها الدراسة، استطاع الباحثون ان يتوصلوا الى ٠ادخلت الحركات الفنية مفاهيم علمية وفكرية ونظريات فلسفية جديدة ضمن أساسها الفكري، كادخال الانطباعية لمفاهيم تحليل الالوان، والسريالية لنظرية التحليل النفسي، وتجسد المستقبلية للحركة الميكانيكية السريعة، وادخال التجريدية للنظرية الشكلية اساسا لعمله

٢. تعامات الحركات الفنية الحديثة مع مفهوم الزمن من عدة وجهات، مثل اعتماد المدرسة الانطباعية التثبيت لوقت المشهد، فضلا عن اعتماد المستقبلية مفهوم الحركة المبني على أساس الزمن، والسريالية والتكعيبية التي تعاملت مع الزمن المطلق الغير محدد٠

التوصيات

ضرورة توفير المصادر الفنية الخاصة بالمدارس الفنية الاوربية في الرسم قي مدارس التربية والتعليم لاجل الاطلاع عليها من قبل الطلبة وذوي الاختصاص

المقترحات

١. اجراء دراسة مقارنة بين بنية التكوين للحداثية في المدارس والحركات الفنية ذات العلاقة بالبحث.
٢. اجراء دراسات متقاربة بين التكوين الفني الحداثة قي التكعيبية والرومانسية
٣. اجراء دراسة فنية بين تكوين المدرسة الانطباعية والدادائية

المصادر والمراجع

١. إبراهيم، زكريا : فلسفة الفن في الفكر المعاصر، مكتبة مصر، بلا
٢. إبراهيم، زكريا : مشكلة البنية، مكتبة مصر، بلا،
٣. إسماعيل، عز الدين : الفن والإنسان، ط١، دار القلم، بيروت، ١٩٧٤
٤. باونيس، الآن: الفن الأوربي الحديث، ت: فخري خليل، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد، ١٩٩٠
٥. برادلي، مالكم وآخرون : الحداثة، ت: مؤيد حسن فوزي، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد، ١٩٨٧
٦. الجرجاني، علي بن محمد الشريف: كتاب التعريفات، ط١، بيروت، ١٩٦٠
٧. الجزيري، مجدي : الفن والمعرفة الجميلة عند كاسيرر، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية
٨. جان بياجيه : البنيوية، منشورات عويدات، بيروت، ١٩٧١
٩. جي.اي، مولر. فرانك ايغلر : مئة عام من الرسم الحديث، دار المأمون للترجمة، بغداد، ١٩٨٨
١٠. حسن، محمد حسن : الأصول الجمالية للفن الحديث، دار الفكر العربي، بلا'
١١. خمري، حسين : بنية الخطاب النقدي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٠
١٢. دافيدوف، ل، لندا : مدخل علم النفس، ط٤، ت: سيد الطواب وآخرون، الدار الدولية للنشر، . القاهرة، ١٩٨٣
١٣. راي، وليم : المعنى الادبي، ت: يوئيل يوسف، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد، ١٩٨٧
١٤. ريد، هربت : الفن والمجتمع، ترجمة: فارس متري، دار القلم، بيروت، بلا
١٥. ستولنتيز، جيروم : النقد افني، مطبعة جامعة عين، القاهرة، ١٩٧٤
١٦. غربال، محمد شفيق وآخرون: الموسوعة العربية الميسرة، دار نهضة لبنا ن، بيروت، ١٩٨٧
١٧. فراي، ادوارد : التكعيبية، ت: هادي الطائي، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد. ١٩٩٠،
١٨. فهيم، حسين : قصة الانثروبولوجيا، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٨٦
١٩. لوفافر، هنري : علم الجمال، ترجمة: محمد عيتاتي، دار الحداثة للطباعة والنشر، بيروت، بلا
٢٠. ليماري، جان : الانطباعية، ت: فخري خليل، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد، ١٩٨٧\
٢١. مسعود، جبران : معجم الرائد ي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٠\

٢٢. نيومايير، سارة : قصة الفن الحديث، ت: رمسيس يونان، سلسلة الفكر المعاصر، بلا، \
٢٣. هيغل : المدخل الى علم الجمال، ط١، ت: جورج طرابيشي، بيروت، ١٩٨٥\

اثر استخدام أسلوب التقويم التكويني في تحصيل طلاب معهد إعداد المعلمين في مادة قواعد اللغة العربية

م.م. ليث صاحب شاكر

الفصل الاول: التعريف بالبحث

اولا :مشكلة البحث:

من المعلوم إن دراسة قواعد اللغة العربية تسهم في تقويم وسلامة السنة المتعلمين من الخطأ وتنمي ثروتهم اللغوية وتيسر إدراكهم للمعاني وتعبر عنها بوضوح (البجة، ٢٤٥، ٢٠٠٠) لكن ما نراه من شكوى من اللغة العربية بسبب ضعف الطلبة في درس النحو أصبح امرأ لا يستطيع المدرس إغفاله فيُلحظ بأبسط استماع وبأيسر نظرة إلى الجمل والعبارات المكتوبة، بل إن هذه الظاهرة باتت غير مقتصرة على الطلبة وإنما شملت قسما كبيرا من مدرسي المادة أيضا. (البجة، ٢٠٠٠، ٢٥٠- ٢٥١)وضمن البحث عن الأسباب التي تقف وراء هذه الشكوى وهذا الضعف نجد عددا غير قليل من المربين والباحثين يعزون ذلك إلى استخدام المدرسين لطرائق تدريس تقليدية قائمة على التلقين والاستظهار مبتعدين عن الجانب التطبيقي في تدريس قواعد اللغة العربية . الأمر الذي أدى بالكثير من الطلبة إلى استصعاب هذه المادة مما دفع البعض منهم إلى الانصراف عن دراستها خاصة في المرحلتين المتوسطة والإعدادية معتمدين على النظام ألامتحاني الذي يجعل من فروع اللغة العربية مادة واحدة فيسمح للطلبة الحصول على درجة النجاح من المطالعة والنصوص والإنشاء دون الحاجة إلى دراسة القواعد والتدريب عليها .(نعمة، ١٩٧٨، ٥)وفضلا عن الطرائق التقليدية المتبعة من قبل المدرسين، نرى أخفاق عدد منهم في استخدام التقويم كأسلوب تدريسي أثناء عرض مادة الدرس، إذ يلجأ البعض منهم إلى اختبار الطلبة في نهاية الفصل الدراسي لغرض إعطاء الدرجات لهم دون الاستفادة من هذه النتائج في تقويم التعلم أو استخدامها أداة لتحسين سير العملية التعليمية، الأمر الذي زاد من تدني مستوى الطلبة في هذه المادة ، لذا يمكن تحديد مشكلة البحث في الإجابة عن السؤال الأتي: (هل إن لأسلوب التقويم التكويني أثرا في تحصيل طلاب الصف الثالث معهد إعداد المعلمين في مادة قواعد اللغة العربية)

ثانيا:اهمية البحث :

تبرز أهمية اللغة في أنها تمثل مقياسا دقيقا يقاس به مدى عظمة وأصالة أي شعب من الشعوب أو مجتمع من المجتمعات، فضلا عن كونها أداة للتفاهم والاتصال بين الناس ووسيلة للفكر الذي يستمد مقوماته الأساسية منها . من ألفاظ وعبارات (محافظة، ١٩٩٦، ٩)، فضلا عما سبق فان اللغة العربية تعد رمزا لوحدة

الأمة وأقوى عامل من عوامل بقائها (الدمرداش، ١٩٧٩، ٩).وبناء على ما تقدم فان الواجب تجاه هذه اللغة يستلزم العناية بها عناية خاصة والعمل على تذليل ما يكتنفها من صعاب (الديب، ١٩، ١٩٧٠) وأولى الخطى في تحقيق قدرة المتعلم على التحدث بعربية سليمة تتجلى في دراسة قواعد اللغة العربية التي تمثل المرتكز الأساس للغة، إذ تعد احد مقومات الاتصال الصحيح والسليم، فالخطأ في ضبط الكلمات يؤثر في نقل المعنى المقصود ويسبب العجز في فهمه (مجاور، ٣٧٩، ١٩٧١) فقواعد اللغة العربية تعد العمود الفقري لها، لما تقوم به من دور في تقويم السنة الطلبة وعصمتها من الخطأ في الكلام والكتابة وتنمي الثروة اللغوية للمتعلم وتصقل ذوقه الأدبي (سمك، ٢٥٢، ١٩٦٩). ومن اجل الوقوف على مدى نجاح عمليات التطوير في التدريس ومدى تحقيقها للأهداف المرجوة في العملية التعليمية لابد من الوقوف على نتائج عملية تدريس قواعد اللغة العربية ومستوى النجاح الذي وصلت أليه عملية التطوير، ولا يتم ذلك ألا عن طريق عملية التقويم الذي يبرز دوره بوصفه "عملية لازمة في أي مجال من مجالات الحياة، فهو يمثل احد أركان العملية التعليمية وبه يحدد مدى تحقيق الأهداف وتحدد نقاط القوة والضعف في مختلف المواقف التعليمية بهدف تطوير وتحسين عملية التعلم "(جامل، ٢٠٠٠، ١٦٩)ومن متابعة أدبيات التقويم وجد إن هناك عدة أنواع للتقويم بحسب وظائفها والتوقيت الذي تستخدم فيه في إثناء عمليتي التعليم والتعلم ويميز من بينها أربعة أنواع هي : التقويم التمهيدي Initial Evaluation والتقويم التكويني Formativ Evalution والتقويم الختامي Summtive Evaluation والتقويم التتبعي Follow-up Evaluation(الشبلي، ٣٨، ١٩٨٣) ولكي تكون العملية التعليمية ناجحة يشير البعض من المربين الذين يحرصون على أهمية اعتماد التقويم في التعليم إلى ضرورة الخروج عن المألوف المتمثل باكتفاء المدرسين بعمليات التقويم الختامية، منوهين عن أهمية الأساليب التقويمية التي تحدث أثناء التدريس والمسماة بالتقويم التكويني .فالتقويم التكويني يحدث عدة مرات أثناء التدريس وبعد الانتهاء من تدريس موضوع أو وحدة دراسية أو فصل دراسي ويهدف إلى الوقوف على نقاط الضعف في تحصيل الطلبة واقتراح الأساليب المناسبة للتغلب عليها ويزود كلا من المدرس والطالب بالتغذية الراجعة فهو يساعد في الوقوف أيضا على نقاط الضعف في التدريس ومعالجتها وتعديل المدرس طرائق التدريس بالشكل الذي تصبح فيه ملائمة لمستوى الطلبة. (العتاب، ١٦٨، ٢٠٠٠) وكأداة شائعة تستخدم في عمليات التقويم يلجا الكثير من القائمين على العملية التعليمية إلى الاختبارات التي تعد من أكثر الأساليب استخداما في قياس نواتج التعلم والتي يستفاد منها في تحسين سير التعلم وتقويم نواتجه (البجة، ١٦٥، ٢٠٠٠) مما تقدم نجد إن موضوع التقويم بأسلوبه التكويني واستخدام الاختبارات كأداة لهذا الأسلوب قد لا يخلو من بعض الصعوبات التي قد تواجه البعض ممن يلجئون إلى هذا الأسلوب ألا إن هذه الصعوبات لا تشكل عبأً قياسا بدورهما في العملية التعليمية وما يسهمان به من رفع مستوى التحصيل الدراسي.وفي الوقت الذي يقتصر فيه البعض من المدرسين على إجراء اختبارات نهائية (ختامية) بعد كل وحدة دراسية أو فصل دراسي من دون الرجوع إلى نتائج هذه الاختبارات وعدها أداة للتقويم، ونقطه ينطلق منها لتطوير وتحسين التعلم.ومن هنا ولأهمية استخدام هذا الأسلوب التقويمي في العملية التعليمية ولتردي التحصيل الدراسي للطلبة في قواعد اللغة العربية، عمد الباحث إلى القيام بهذا البحث الذي يهدف إلى معرفة اثر استخدام أسلوب التقويم التكويني في التحصيل الدراسي لطلاب الصف الثالث في معهد إعداد المعلمين في مادة قواعد اللغة العربية.

ثالثا:هدف البحث:

يهدف البحث الحالي إلى تعرف اثر استخدام أسلوب التقويم التكويني في تحصيل طلاب الصف الثالث معهد إعداد المعلمين في مادة قواعد اللغة العربية

رابعا:فرضية البحث:

يمكن تحقيق هدف البحث من خلال الفرضية الصفرية الاتية :

لا يوجد فرق ذو دلالة إحصائية بين متوسط تحصيل طلاب المجموعة التجريبية الأولى الدين يدرسون قواعد اللغة العربية باسلوب التقويم التكويني ومتوسط تحصيل طلاب المجموعة الضابطة الدين يدرسون قواعد اللغة العربية بالطريقة الاعتيادية .

خامسا:حدود البحث :

يقتصر البحث الحالي على :

١. طلاب الصف الثالث معهد إعداد المعلمين الصباحي / كربلاء
٢. ستة مواضيع من موضوعات كتاب قواعد اللغة العربية ابتداء من صفحة (١٥) وانتهاء بصفحة (٥٩) والمقرر تدريسها خلال الفصل الاول من السنة الدراسية٢٠٠٩/٢٠١٠

سادسا:تحديد المصطلحات:ـ

١- التقويم (Evaluation) عرفه (الديب - ١٩٧٠):- "عملية تشخيصية علاجية وقائية، تستهدف الكشف عن مواطن القوى والضعف في التدريس بقصد تحسين عمليتي التعليم والتعلم وتطويرها بما يحقق الأهداف المنشودة" (الديب، ١٩٧٠، ٢٤٥)

- عرفه (الدمرداش - ١٩٧٩) : "تحديد ما بلغناه من نجاح في تحقيق الأهداف التي نسعى إلى تحقيقها بحيث يكون عونا لنا على تحديد المشكلات وتشخيص الأوضاع ومعرفة العقبات والمعوقات بقصد تحسين العملية التعليمية ورفع مستواها ومساعدتها على تحقيق أهدافها". (الدمرداش، ١٩٧٩، ١١٥)

- عرفه (كراجه- ١٩٩٧) :" عملية تقدير وقياس للعملية التعليمية في مجال الكم والنوع ليس بهدف المحاسبة في نهاية العمل ولكن بهدف التشخيص والعلاج والوقاية ". (كراجة، ١٩٩٧، ١٥٠)

- عرفه (سلامة- ٢٠٠١) :" عملية منظمة متسلسلة تسير في خطوات منطقية بهدف الرقي بالعملية التدريسية ".(سلامة، ٢٠٠١، ١٣٥)

التعريف الإجرائي للتقويم:

اعتمد الباحث تعريف" الديب "، سابق الذكر إجرائيا بعد أعادة صياغته بما يلائم البحث وعلى النحو الأتي : "عملية تشخيصية وقائية علاجية تستهدف الكشف عن مواطن الضعف في عملية تدريس مادة قواعد اللغة العربية لدى طلاب الصف الثالث معهد إعداد المعلمين بقصد تحسين نواتج تعلم هذه المادة وقد تجري أثناء عملية التدريس أو بعد الانتهاء منها وتسمى تكوينية وفي كلا الحالتين تكون على مراحل".

٢- الاسلوب Style - عرفه (حمدان -١٩٨٥): " الطريقة التي يدرك بها التلميذ الأشياء حوله سواء كانت هذه معلومة أكاديمية أو خبرة أو نشاطا تربويا أو اجتماعيا أو مهنيا أو مادة من نوع محدد". (حمدان، ١٩٨٥، ١٩)

- عرفاه (محمد ومحمد -١٩٩١) :" الجزء الإجرائي من طريقة التدريس التي يعتمدها المدرس لنقل أو إيصال مادته أو خبرات المنهج إلى التلاميذ". (محمد، ١٩٩١، ١٥)

- عرفته (عبيد - ٢٠٠١) :" مجموعة النشاطات التي يقوم بها المعلم في موقف تعليمي لمساعدة الطلبة في الوصول إلى الأهداف التربوية ". (عبيد، ٢٠٠١، ١٩)

التعريف الإجرائي للأسلوب :

"الأنشطة التي يقوم بها المدرس أثناء تدريس مادة قواعد اللغة العربية، ويراها مناسبة لتحقيق أهداف درسه والموضوعة مسبقا".

- التقويم التكويني Formative Evaluation
- عرفه (سماره وآخرون – ١٩٨٩): ((عملية تقويمية منظمة في أثناء التدريس وخلال الفصل الدراسي، وغرضها الوقوف على نقاط الضعف في التدريس ومعالجتها)). (سمارة، ١٩٨٣، ٢٣)
- عرفاه (محافظة والسامرائي – ١٩٩٦): ((نشاط تقويمي يجري أثناء عملية التعليم والتعلم ويتخلل خبرة التعليم والتعلم من اجل تحسينها وتطويرها، وهو يعمم لتحسين تعلم الطالب وتحسين تدريس المدرس، وتحسين عناصر الخبرة التدريسية في تنظيمها وخطتها ومنهجيتها ووسائلها)). (محافظة، ١٩٩٦، ٢٩٠)
- عرفه (توق وآخرون – ٢٠٠١): ((التقويم الذي يجري للطالب أثناء وخلال عملية التعليم بهدف تعزيز التحصيل والتعرف على نقاط القوة والضعف وخلق الحافز لدى الطالب من خلال التغذية الراجعة التي يحصل عليها المدرس عن طلابه من التقويم لمزيد من التعلم ورفع وتحسين مقدرة الأداء لتحقيق المستوى المطلوب)). (توق، ٢٠٠١، ٥٠٩)

التعريف الإجرائي للتقويم التكويني :

((عملية تقويمية منظمة ذات طابع علاجي يستخدمها المدرس بعد الانتهاء من تدريسه لوحدة دراسية للكشف عن جوانب ضعف الطلاب كي يقدم لهم تغذية راجعة بقصد تحسين عملية تعلمهم، ويمكن أن تكون على مراحل))

- **التحصيل الدراسي :**
- عرفه (دباح –١٩٩٢): ((اكتساب المتعلم خبرات في احد المجالات الدراسية من خلال مواقف تعليمية داخل الصف وخارجه تحقيقا لأهداف سلوكية مقررة)). (دباح١٩٩٢، ٢٠٥)
- عرفه (الوارفي –٢٠٠٠): ((مجموعة المعارف والخبرات والمهارات المكتسبة من خلال تعلم المواد الدراسية ويعبر عنها بالدرجات التي يحصل عليها الطالب في نهاية الفصل الدراسي الواحد أو نهاية العام نتيجة للامتحانات المدرسية أو تقديرات المدرسين أو كليهما معا، وقد تحدد بالمعدل التراكمي لمجمل نشاطات الطالب أثناء الدراسة)). (الوارفي، ٢٠٠٠، ١٧)

التعريف الإجرائي للتحصيل الدراسي :

((نواتج تعلم طلاب الصف الثالث معهد إعداد المعلمين لمادة قواعد اللغة العربية بعد تدريسهم هذه المادة، وتقاس بالدرجات)).

- قواعد اللغة العربية : Grammar of Arabic
- عرفه (الثعالبي –١٩٧٥): ((ويضم علما النحو والصرف، والأول يبحث في تغيير الكلمات إعرابا وبناءا، والثاني يبحث في عما يحدث في الكلمة المفردة من تغيير في صيغها أو بيان للمزيد فيها أو تثنية أو جمع أو تصغير أو نسب)). (الثعالبي، ١٩٧٥، ٥٢)
- عرفه (دمعة وآخرون –١٩٧٨): ((وسيلة لضبط الكلام وتمكين المتعلمين من لغتهم لإجادة التعبير والبيان، وهو ليس غاية تقصد بذاتها وإنما وسيلة تعصم الألسنة والأقلام من اللحن وتمكن من الفهم والإفهام بصورة جيدة)). (دمعة، ١٩٧٨، ١١١)
- عرفاه (ظافر والحمادي –١٩٨٤): ((مصطلح محدد الدلالة يشمل قواعد النحو والصرف تنظيم هندسة الجملة ومواقع الكلمات فيها ووظائفها من ناحية المعنى وما يرتبط بذلك أوضاع أعرابية تسمى علم النحو، ومجموعة القواعد التي تتصل ببنية الكلمة وصياغتها ووزنها والناحية الصرفية فيها تسمى علم الصرف)).(ظافر، ١٩٨٤، ٢٨١)

التعريف الإجرائي لقواعد اللغة العربية :

((المدلولات التي يهدف تعليمها طلاب الصف الثالث معهد اعداد المعلمين، محتوى كتاب قواعد اللغة العربية .

الفصل الثاني : الدراسات السابقة

٤ـ دراسة السعدون (٢٠٠٠)

أجريت الدراسة في العراق، وهدفت إلى معرفة اثر استخدام استراتيجيه التقويم التكويني في تحصيل طالبات الصف الثاني المتوسط في مادة التربية الإسلامية.تكونت عينة البحث من (٤٢) طلبة، وزعن على مجموعتين بواقع (٢١) طالبة في كل من المجموعتين، دُرسّت مجموعتا البحث على النحو الأتي:

١. المجموعة الأولى (التجريبية): دُرسّت باستخدام استراتيجيه التقويم التكويني.

٢. المجموعة الثانية (الضابطة): دُرسّت وفق الطريقة الاعتيادية.

تكونت أداة البحث من (٦) اختبارات تكوينية، واختبار تحصيلي من نوع الاختيار من متعدد والتكميل والصواب والخطأ والمزاوجة. وباستخدام الاختبار التائي لعينتين مستقلتين، ظهر إن هناك فروقا ذات دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠٥) بين متوسط درجات طالبات المجموعة التجريبية والتي دُرسّت باستخدام استراتيجيه التقويم التكويني ومتوسط درجات طالبات المجموعة الضابطة التي دُرسّت وفق الطريقة الاعتيادية ولصالح المجموعة التجريبية.(السعدون، ٢٠٠٠، أ- د)

- دراسة سلمان (٢٠٠٠) أجريت الدراسة في العراق، وهدفت إلى معرفة اثر استخدام الأسئلة الامتحانية القبلية والبعدية في تحصيل طالبات الصف الثاني متوسط في مادة الكيمياء.

تكونت عينة البحث من (٩٩) طالبة، وزعن على ثلاث مجموعات بواقع (٣٣) طالبة في كل مجموعة، دُرسّت مجموعات البحث على النحو الأتي:

١. المجموعة الأولى (التجريبية الأولى): دُرسّت باستخدام الأسئلة الامتحانية القبلية.

٢. المجموعة الثانية (التجريبية الثانية): دُرسّت باستخدام الأسئلة الامتحانية البعدية.

٣. المجموعة الثالثة (الضابطة): دُرسّت وفق الطريقة الاعتيادية.

تكونت أداة البحث من الأسئلة الامتحانية القبلية والبعدية كذلك من اختبار تحصيلي من نوع الصواب والخطأ والتكميل، وباستخدام تحليل التباين والاختبار التائي لمعرفة دلالة الفروق ظهر إن هناك فرقا ذا دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠٥) بين:

١. متوسط درجات طالبات المجموعة التجريبية الأولى اللائي درسن باستخدام الأسئلة الامتحانية القبلية ومتوسط درجات طالبات المجموعة التجريبية الثانية اللائي درسن باستخدام الأسئلة الامتحانية البعدية، ولصالح التجريبية الثانية.

٢. متوسط درجات طالبات المجموعة التجريبية الأولى ومتوسط درجات طالبات المجموعة الضابطة اللائي درسن وفق الطريقة الاعتيادية ولصالح التجريبية الأولى.

٣. متوسط درجات طالبات المجموعة التجريبية الثانية ومتوسط درجات طالبات المجموعة الضابطة ولصالح التجريبية الثانية. (سلمان، ٢٠٠٠، أ- د)

- دراسة العتاب وال ياسين (٢٠٠٠) أجريت الدراسة في العراق، وهدفت إلى معرفة اثر التقويم البنائي في التحصيل الدراسي لطلبة كلية المعلمين في مادة تكنولوجيا

الفن. تكونت عينة البحث من (٦٠) طالبا وطالبة من طلبة المرحلة الثانية فرع التربية الفنية/ كلية المعلمين، وزعوا على مجموعتين بواقع (٣٠) طالبا وطالبة في كل مجموعة، ودُرسّت مجموعتي البحث على النحو الأتي:

١. المجموعة الأولى (التجريبية): درست وفق الطريقة البنائية
٢. المجموعة الثانية (الضابطة): دُرسّت وفق الطريقة الاعتيادية.

تكونت أداة البحث من (٨) اختبارات بنائية (تكوينية)، واختبار تحصيلي من نوع الاختيار من متعدد، وباستخدام معادلة (t – test) لمعرفة دلالة الفروق بين مجموعتي البحث، ظهر ان هناك فروقا ذات دلالة إحصائية عند مستوى (٠.٠١) بين متوسط درجات المجموعة التجريبية ومتوسط درجات المجموعة الضابطة، ولصالح المجموعة التجريبية. (العتاب، ١٥٦، ٢٠٠٠- ٢٠٠)

مؤشرات ودلالات مستنبطة من الدراسات السابقة:

بعد عرض الدراسات السابقة، نعرض لأهم الجوانب التي تناولتها هذه الدراسات والتي استفادت منها الدراسة الحالية:

١. هدفت الدراسات السابقة معرفة اثر الاختبارات باختلاف مواقع تقديمها (قبل التدريس أو أثنائه أو بعده) على التحصيل، وبهذا فان الدراسة الحالية تتفق بعض الشيء مع الدراسات السابقة في هذا المجال.

٢. تراوح حجم العينات التي اعتمدتها الدراسات السابقة في أجراء تجاربها ما بين (٤٢ – ٢٢٢)، وقد يعود هذا الاختلاف إلى هدف كل دراسة.

٣. تباين اختيار الدراسات السابقة للتصميم التجريبي، فقد استخدم بعضها تصميما ذي ثلاث مجموعات مثل دراسة (سلمان)، في حين استخدم بعضها الأخر تصميما تجريبيا ذي المجموعتين مثل دراستا (السعدون، والعتاب) أما الدراسة الحالية فقد اتفقت مع الدراسات التي اشتملت على مجموعتين.

٤. أجريت الدراسات على مراحل تعليمية متنوعة إذ أجريت دراسة العتاب، على المرحلة الجامعية، أما دراسة (السعدون، وسلمان) فقد أجريت على المرحلة المتوسطة، أما الدراسة الحالية فأنها تتناول طلاب معهد إعداد المعلمين

٥. اعتمدت جميع الدراسات السابقة الاختبار التحصيلي كأداة للبحث، وتتفق الدراسة الحالية في ذلك مع بقية الدراسات.

٦. تباينت الدراسات السابقة فيما بينها في تحديد المواد الدراسية التي تم أجراء الدراسة عليها، فمنها تناولت التربية الإسلامية كدراسة السعدون... وهكذا، أما الدراسة الحالية فقد تناولت قواعد اللغة العربية .

٧. كافأت الدراسات السابقة بين أفراد عيناتها في بعض المتغيرات من مثل : العمر الزمني والتحصيل والجنس والمستوى التعليمي للأبوين واختبار المعلومات السابقة، وتتفق الدراسة الحالية مع الدراسات في مكافأتها في بعض المتغيرات، إذ سيتم تكافؤ المجموعات في المتغيرات الآتية: (العمر الزمني، درجات العام السابق، الذكاء، المستوى التعليمي للأبوين).

الفصل الثالث إجراءات البحث

أولا – التصميم التجريبي

إن طبيعة المشكلة هي التي تحدد التصميم الذي يلائمها (فان دالين، ١٩٧٧، ٤٠٥)، ولتحقيق أغراض البحث اختير التصميم التجريبي ذو المجموعتين وذو الاختبار البعدي وهو من التصاميم ذات الضبط الجزئي، ويتضمن عدة خطوات تبدأ باختيار مجموعات البحث والتأكد من تكافئها، وإدخال المتغير المستقل وأخيرا أجراء الاختبار البعدي

جدول (١)

المجموعة التجريبية	تكافؤ المجموعات	المتغير المستقل / أسلوب التقويم التكويني	الاختبار البعدي
المجموعة الضابطة		الطريقة الاعتيادية	

ثانيا: مجتمع وعينة البحث:ـ

اختير معهد إعداد المعلمين الصباحي /كربلاء ،كمجتمع وعينة للبحث،لتواجد الباحث فيه ،وتوافر متطلبات التجريب من حيث استقرار الدوام وتوفر متطلبات التدريس ووجود ثلاث شعب للصف الثالث في المعهد المذكور، وبالاختيار العشوائي اختيرت شعبة (أ) لتكون المجموعة التجريبية التي تدرس بأسلوب التقويم التكويني، وشعبة (ج) لتكون المجموعة الضابطة التي تدرس بالطريقة الاعتيادية إذ بلغ عدد طلاب كل شعبة من الشعب الثلاث (٣٢) طالبا بعد استبعاد الطلاب الراسبين من النتائج النهائية مع أبقائهم في الصف حفاظا على نظام المعهد والجدول (٣) يوضح ذلك

جدول (٢)

اعداد طلاب مجموعات البحث

الشعبة	المجموعة	أسلوب التدريس	العدد الكلي	عدد الراسبون	عددافراد العينة النهائية
أ-	التجريبية الأولى	أسلوب التقويم التكويني	٣٧	٥	٣٢
ب-	الضابطة	الطريقة الاعتيادية	٣٦	٤	٣٢
المجموع			٧٣		٦٤

ثالثا – تكافؤ المجموعتين :

"على الباحث تكوين مجموعات متكافئة فيما يتعلق بالمتغيرات التي لها علاقة بالبحث" **(فان دالين، ١٩٧٧، ٣٧٩)**ونظرا إلى كون تصميم البحث من التصاميم ذات الضبط الجزئي عُمدّ إلى أجراء التكافؤ بين مجموعتي البحث في بعض المتغيرات وهي :

١. العمر الزمني محسوبا بالشهور
٢. التحصيل الدراسي (درجات مادة اللغة العربية للصف الثاني معهد للعام الدراسي ٢٠٠٨/٢٠٠٩)
٣. القدرة العقلية (اختبار الذكاء)
٤. التحصيل الدراسي للأب
٥. التحصيل الدراسي للام

وتم الحصول على بيانات من أدارة المعهد ومن الطلاب أنفسهم

تحديد العوامل الداخلية وكيفية ضبطها :

حددت بعض المتغيرات التي يعتقد الباحث إن لها تأثيرا في نتائج التجربة لغرض ضبطها ومحاولة الحد من تأثيرها وفيما يأتي عرض لهذه المتغيرات وكيفية ضبطها :

١. **الاندثار التجريبي :** ويقصد به انقطاع بعض أفراد التجربة عن الاستمرار فيها لأسباب معينة **(عدس، ١٩٦٩، ١٦٩)** ولتلافي هذا الأمر سجلت عناوين الطلاب للاتصال بهم في حال حدوث الانقطاع عن المعهد (ترك الدوام)

٢. **اختبار أفراد العينة :** ان الوقوف على اثر المتغير المستقل في التجربة يعتمد إلى حد كبير على تكافؤ مجموعات البحث (جابر، ١٩٨٩، ١٩٨). وتم ذلك في البحث الحالي عن طريق التحقق من تكافؤ أفراد العينة في بعض المتغيرات (المشار أليها سابقا)

٣. **الحوادث المصاحبة :** يقصد بها الحوادث التي قد يتعرض لها أفراد التجربة والتي من شانها التأثير على سير التجربة، كان يتعرض أفراد التجربة إلى حادث معين يمنعهم من الاستمرار في التجربة، واتفق الباحث مع أدارة المعهد للتعاون معا على تذليل الصعوبات التي قد تنجم عن هكذا حوادث .

٤. **أداة القياس :** استخدمت أداة قياس موحدة بين مجموعتي البحث وهي (الاختبار التحصيلي) الذي اتصف بقدر من الموضوعية والصدق والشمول.

٥. **اثر الإجراءات التجريبية :** جرت السيطرة على هذا العامل من خلال :

أ – عدم معرفة طلاب مجموعتي البحث بموضوع التجربة.

ب- قيام الباحث بتدريس مجموعتي البحث بنفسه باستخدام الطريقة الاستقرائية في التدريس.

ج- توحيد موضوعات الدراسة لمجموعتي البحث.

د- السيطرة على جدول توزيع الحصص على مجموعتي البحث بصورة متساوية

هـ- استخدام الوسائل التعليمية ذاتها مع المجموعتين (السبورة، الطباشير الأبيض والملون).

و- توحيد مدة التجربة بين مجموعتي البحث*.

رابعا – مستلزمات البحث

أ- تحديد المادة العلمية :

حددت المادة العلمية بعد الرجوع إلى خطة وزارة التربية وبعد استشارة عدد من مدرسي المادة والاطلاع على خططهم السنوية واليومية إذ حددت الموضوعات المقرر تدريسها من كتاب قواعد اللغة العربية للصف الثالث معهد–طبعة سنة ٢٠٠٠، والجدول (٤) يوضح ذلك.

جدول(٣)

يبين الموضوعات المقرر تدريسها خلال فترة التجربة

ت	الموضوعات	الصفحات
١-	كان واخواتها	١٥-٢٠
٢-	ان واخواتها	٢١-٢٨
٣-	بناء الفعل الماضي	٢٩-٣٧
٤-	رفع الفعل المضارع	٣٨-٤٤
٥-	نصب الفعل المضارع	٤٥-٥١
٦-	جزم الفعل المضارع	٥٢-٥٩

* بدأت التجربةفي ٦/١٠/ ٢٠٠٩وانتهت في ٢٣/١٢/٢٠٠٩

ج- الأهداف السلوكية

يعرف الهدف السلوكي بأنه (نوع من الصياغة اللغوية التي تصف سلوكا معينا، يمكن ملاحظته وقياسه ويتوقع من المتعلم أن يكون قادرا على أدائه في نهاية النشاط التعليمي – التعلمي المحدد)**(قطامي، ٢٠٠٠، ٣٧٥)**وفي ضوء المفردات الموضوعة – والمقرر تدريسها خلال مدة التجربة – وبعد الاطلاع على الأهداف العامة التي تتصف بالشمول وصعوبة القياس ولعدم اشتقاق هذه الأهداف من قبل العاملين في وزارة التربية، صيغت الأهداف السلوكية وفقا لتصنيف بلوم وللمستويات الثلاثة الأولى (التذكر- الفهم- التطبيق) وبلغت (٤٠) هدفا، موزعة على الموضوعات المقررة. عرضت هذه الأهداف على مجموعة من الخبراء والمحكمين في اللغة العربية والعلوم النفسية والتربوية (ملحق١) للحكم على وضوحها وتغطيتها المحتوى وفي ضوء أراء المحكمين قبلت جميعها بنسبة اتفاق (٨٠٪) مع بعض التعديلات الطفيفة .(ملحق ٥)

د- إعداد الخطط التدريسية :

تعرف عملية تخطيط التدريس أنها " تصور مسبق لعناصر ومتغيرات الموقف التعليمي من اجل الوصول إلى الغايات المنشودة ". **(دمعة، ١٩٧٨، ١٣٩)** ولكون الخطط التدريسية من مستلزمات التدريس الناجح، أعدت نموذجين للخطط التدريسية وللمجموعتين، الأولى المجموعة التجريبية باستخدام اسلوب التقويم التكويني، والثانية للمجموعة الضابطة باستخدام الطريقة الاعتيادية في التدريس، وعرض النموذجين على مجموعة من الخبراء والمحكمين في اللغة العربية والعلوم التربوية والنفسية وعدد من مدرسي المادة للإفادة من أرائهم التي في ضوئها أجريت بعض التعديلات الطفيفة في الصياغة اللغوية والعلمية،

هـ- إعداد الاختبارات التكوينية :

تعد الاختبارات من أكثر أساليب التقويم وأدواته شيوعا إذ يمكن الاستفادة منها في تحسين أساليب التعلم، كما تسهم في تقويم نواتج التعلم وإجادة التخطيط والسيطرة على التنفيذ. **(البجة، ٢٠٠٠، ١٦٩)** وتحقيقا لهدف البحث عمد إلى إعداد اختبارين تكوينيين بالاعتماد على محتوى الموضوعات المقرر تدريسها ضمن أطار خطة البحث من كتاب قواعد اللغة العربية، والأهداف السلوكية لهذه الموضوعات وقد ارتئ الباحث اختيار الاختبارات الموضوعية من نوع الاختيار من متعدد، والتكميل كونها تتطلب إجابات قصيرة ولا تستغرق وقتا طويلا فضلا عن موضوعيتها في التصحيح.

أعدت هذه الاختبارات وفق الخطوات الآتية :

إعداد اختبارين تكوينيين، ملحق (٢) لقياس ما أصبح ضمن خبرة الطلاب من نواتج التعلم الخاصة بجزء محدد من المادة الدراسية . ويتضمن الاختبار الأول (١٦) فقرة، والثاني (٢٧) فقرة، وعمد إلى جعل هذه الفقرات الاختيارية بصيغة مكافئة وتطبق هذه الاختبارات بعد تدريس الموضوعات في كل وحدة والتي عالجها كل اختبار من الاختبارين . وكما موضح في جدول (٥)

ب- عرض الاختبارات على مجموعة من الخبراء والمحكمين في اللغة العربية والعلوم التربوية والنفسية وعدد من مدرسي المادة لإبداء أرائهم وملاحظاتهم في صدق هذه الاختبارات وصلاحيتها وتغطيتها للأغراض السلوكية المحددة، وفي ضوء هذه الملاحظات عدلت بعض الفقرات ولم تهمل ايا منها لبلوغ نسبة الموافقين عليها اكثر من (٨٠٪) جدول (٤) الاختبارات التكوينية والموضوعات التي عالجتها

الاختبارات التكوينية	تاريخ التطبيق	المحتوى
الاختبار التكويني الاول		- كان واخواتها- ان واخواتها

الاختبار التكويني الثاني		بناء الفعل الماضي –رفع الفعل المضارع- نصب الفعل المضارع- جزم الفعل المضارع

خامسا – اداة البحث (الاختبار التحصيلي)

تعد الاختبارات التحصيلية جزء أساسيا من برامج القياس والتقويم التي يعتمدها المدرس في الصف للتعرف على نواتج التعلم . **(البجة، ٢٠٠٠، ١٦٠)** ولما كان من متطلبات البحث الحالي إعداد اختبار تحصيلي يستخدم في قياس تحصيل الطلاب في نهاية التجربة وحسب تصنيف بلوم (Bloom) وللمستويات الثلاثة (التذكر – الفهم –التطبيق) بالاستناد إلى المحتوى التعليمي والأهداف السلوكية المحددة مع مراعاة شروط الاختبار من تحقيق الصدق والثبات والشمول والموضوعية، عمد إلى إعداد اختبار تحصيلي بعدي وحسب الخطوات الآتية :

أ- اعداد جدول المواصفات يعد جدول المواصفات من المتطلبات المهمة في إعداد الاختبار التحصيلي إذ يوفر للمدرس أو الباحث على حد سواء درجة عالية من ضمان صدق محتوى الاختبار (الحيلة، ٣١٦، 1999). وعليه عمد إلى عمل جدول مواصفات يشمل الموضوعات المقرر تدريسها لطلاب الصف الثالث معهد من كتاب قواعد اللغة العربية للسنة2010/2009 والأهداف السلوكية للمستويات الثلاثة الأولى من تصنيف بلوم (تذكر-فهم-تطبيق)

واعتمد الزمن المستغرق لتدريس كل موضوع في تحديد وزن المحتوى

اداة البحث :- اختيرت الاختبارات الموضوعية في صياغة فقرات الاختبار التحصيلي (أداة البحث) لما تتصف به من دقة وصدق وشمولية فضلا عن سهولة تصحيحها وتنوعها وميل الطلاب أليها. (البجة، ٢٠٠٠ :١٦٤- ١٦٥) ووجد الباحث ان (٢٢) فقرة من نوع (الاختيار من متعدد- التكميل) عددا مناسبا يمكن ان يغطي الموضوعات والاهداف بمستوياتها الثلاث في ضوء جدول المواصفات – ويتفق البحث في هذا العدد مع الدراسات المناظرة بنسبة معقولة- وهو يمثل نسبة (٤٠٪) من الاهداف السلوكية الخاصة بالموضوعات المقرر تدريسها .(ملحق٤) ويتضمن الاختبار (١٣) فقرة من نوع الاختبار من متعدد الذي يتصف بانه الاكثر انتشارا وصدقا وثباتا وموضوعية في التصحيح (سلامة، ٢٠٠١ :١٤٢) و (٩) فقرة من نوع التكميل الذي يتصف بسهولة وضع وصياغة فقراته، وتغطيته قدرا كبيرا من الموضوعات (خاطر، ٢٠٠٠ :٣٢٨)

أ. صدق الاختبار:

يعد صدق الاختبار من الشروط الأساسية والمهمة الواجب توافرها في أداة القياس الفاعلة (ابو جادو، ٢٠٠٠ :٤٣٩) ولغرض التحقق من صدق الاختبار وقدرته على تحقيق الأهداف التي وضع من اجلها عرض الاختبار مرفقا معه جدول المواصفات والأهداف السلوكية والكتاب المقرر، على مجموعة من الخبراء والمتخصصين في العلوم التربوية والنفسية وعدد من مدرسي المادة لابداء ملاحظاتهم في مدى توافق الفقرات الاختبارية مع الأهداف السلوكية المصاغة .وفي ضوء تحليل ملاحظات الخبراء عدلت بعض فقرات الاختبار وقبلت الفقرات التي حصلت على نسبة (٨٠٪) فما فوق من موافقة الخبراء وبهذا الأجراء تحقق للاختبار صدقه الظاهري وصدق المحتوى .

ب. اعداد تعليمات الاجابة

قام الباحث بإعداد تعليمات للإجابة عن فقرات الاختبار التحصيلي وهي كما يأتي :

- امامك اختبار يتكون من عدد من الفقرات الهدف منها قياس مدى معرفتك، وفهمك وقدرتك على تطبيق ما تعلمته. المطلوب الاجابة عن فقرات الاختبار جميعها دون ترك أي واحدة منها
- لا تكتب على أوراق الاختبار بل على ورقة الإجابة المرفقة مع الاختبار
- في حال وضع أكثر من أشارة على الاختبارات في فقرات الاختيار من متعدد تعد الإجابة خاطئة
- فكر جيدا قبل إن تثبت أجابتك التي تعتقد أنها صحيحة

وقد طلب الباحث من الطلاب قراءة التعليمات قبل البدء بالإجابة.

ج- التجربة الاستطلاعية :

لغرض معرفة الوقت الذي تستغرقه الاجابة عن الاختبار، وللتحقق من وضوح فقرات الاختبار ومدى صعوبتها وقوة تمييزها وفاعلية بدائلها، تم تطبيق الاختبار على عينة استطلاعية مماثلة لعينة البحث الاساسية بلغ عددها (٣٥) طالبا من طلاب الصف الثالث معهد اعداد المعلمين /كربلاء(الشعبة ب)، بعد ان تم التحقق من اتمامهم دراسة الموضوعات المقررة ضمن اطار خطة البحث وبعد تطبيق الاختبار تبين ان جميع فقراته واضحة وكان معدل زمن الاجابة عن الفقرات الاختبارية يتراوح (٤٤- ٥٠) دقيقة وبمتوسط قدره(٤٦) دقيقة، لذا يعد زمن الاجابة المحدد بـ(٥٥) دقيقة زمنا كافيا

ج- التحليل الاحصائي لفقرات الاختبار:

ويراد به عملية التحقق من صلاحية الفقرات الاختبارية في عدد من العوامل التي يعتقد انها ذات فاعلية في اصدار الحكم على صلاحيتها وقدرتها على قياس ما تهدف لقياسه.ولتحقيق هذا الغرض صححت اجابات العينة الاستطلاعية وثبتت الدرجات تنازليا واختيرت الفئة العليا بنسبة (30%) والفئة الدنيا بنسبة (30%)ثم جرى بعد ذلك حساب :

١- معامل الصعوبة ٢- قوة تمييز الفقرة ٣ - فاعلية البدائل.

هـ- ثبات الاختبار :

يقصد بالثبات "مدى الاتساق بين البيانات التي تجمع عن طريق اعادة تطبيق الاختبار او المقياس على الافراد انفسهم. وتحت الظروف نفسها او تحت ظروف مشابهة الى اكبر قدر ممكن" (ملحم، ٢٨٠، ٢٠٠٠) ، ولايجاد ثبات الاختبار التحصيلي البعدي طبق الاختبار على عينة استطلاعية ضمت (٣٥) طالبا من طلاب الصف الثالث معهد اعداد المعلمين/كربلاء(الشعبة ب)، وقد بلغ معامل الثبات (٠,٩٣) وهو معامل جيد اذ يعد معامل الثبات مقبولا اذا كانت قيمته لا تقل عن (٠,٦٥) (عودة، ١٩٨٥ :١٥٤) وبهذا تحقق ثبات الاختبار .

و- الشكل النهائي للاختبار :

بعد الانتهاء من الاجراءات الاحصائية المتعلقة بفقرات الاختبار، اصبح الاختبار جاهزا بصورته النهائية التي تمثلت بـ (٢٢) فقرة اختبارية موزعة على سؤالين ضم السؤال الاول (١٣) فقرة من الاختيار من متعدد، وضم السؤال الثاني (٩) فقرة من نوع التكميل. ملحق (4)

سادسا – تطبيق التجربة :

١- اجراء التجربة: باشر الباحث بتطبيق التجربة في ٢٠٠٩/١٠/٦وامتدت الى ٢٠٠٩/١٢/٢٣م .

أ- المجموعة التجريبية : درست باستخدام اسلوب التقويم التكويني اذ يطبق بعد تدريس كل وحدة اختبار تكويني اعد ليعالج مجموعة الاهداف السلوكية التي تتضمنها تلك الوحدة ويقيس الاختبار التكويني مدى تعلم الطلاب للجوانب المعرفية الخاصة بموضوعات تلك الوحدة، وفي ضوء اجابات الطلاب تحدد جوانب الضعف والقصور في التعلم بالاستعانة بخريطة خاصة تتضمن درجة كل طالبة عن كل فقرة وبالتعاون مع ادارة المعهد قام الباحث باعادة تدريس الطلاب في الدرس الاضافي المخصص كتغذية راجعة

لمعالجة جوانب الضعف والقصور في التعلم والتاكيد على الجوانب المعرفية التي تمثل نقاط ضعف عند الطلاب والمحددة مسبقا كذلك العناية بالطلاب غير الجيدين علمياً الذين حصلوا على درجات قليلة عن فقرات الاختبار هذا ولم تتعرض تجربة البحث لاي من العوامل الداخلية التي اشير اليها سابقا

ب- المجموعة الضابطة : استخدم الاسلوب الاعتيادي في تدريس طلاب المجموعة الضابطة (أي دون استخدام أي من اساليب التقويم) واكتفى الباحث بتدريسهم وفق الطريقة الاعتيادية المعمول بها حاليا من لدن مدرسي اللغة العربية

٢- تطبيق الاختبار البعدي : اخبر الباحث الطلاب بان ثمة اختبار سيجري لهم قبل فترة زمنية قدرها اسبوع كي تعمل عينة البحث بالتهيئة له. وطبق الاختبار على طلاب المجموعتين واسندت عملية المراقبة الى مدرسين من المعهد نفسه ليسهل على الباحث الاشراف على الطلاب بصورة متساوية وللمحافظة على سلامة التجربة وقد سارت عملية الاختبار سيرا طبيعيا من دون حدوث أي مؤثر.

سابعا – الوسائل الاحصائية :

استخدم في اجراءات البحث وتحليل نتائجه الوسائل الاحصائية الاتية :١- تحليل التباين الاحادي (One-Way Analysis of variance) استخدم في التحقق من تكافؤ مجموعتي البحث في بعض المتغيرات كذلك في الكشف عن وجود فروق في متوسط تحصيل طلاب مجموعة البحث في الاختبار البعدي

٢- معامل الصعوبة (Difficulty Equation) استخدم لمعرفة معاملات صعوبة فقرات الاختبار التحصيلي البعدي

٣- معامل التمييز (Discrmination Equation)

استخدم لاستخراج معامل تمييز الفقرة

$$\text{معامل التمييز} = \frac{\text{عدد الاجابات الصحيحة في المجموعة العليا} - \text{عدد الاجابات الصحيحة في المجموعة الدنيا}}{\text{عدد الطلاب في احدى المجموعتين}} \times ١٠٠$$

٦- طريقة (Sheffe)

استخدمت لاختبار دلالة الفروق بين الاوساط الحسابية بعد دلالة تحليل التباين

$$F = \frac{X1 - X2}{\sqrt{NSW\,(1/N1 + 1/N2)}}$$

حيث (F) = قيمة (Sheffe) المحسوبة

X1= الوسط الحسابي للمجموعة الاولى

X2= الوسط الحسابي للمجموعة الثانية

NSW = متوسط المربعات داخل المجموعات

N1 =عدد افراد المجموعة الاولى

N2 = عدد افراد المجموعة الثانية

وتحسب قيمة (Sheffe) الجدولية وفق القانون التالي : $= \sqrt{F(K-1)}$

حيث F = القيمة الفائية عند مستوى ٠.٠٥

K = عدد المتوسطات لمجموعتي البحث

(103: P.356-360) (98: P.394)

الفصل الرابع : عرض النتائج وتفسيرها

اولا- عرض النتائج : بعد الانتهاء من اجراء تجربة البحث سيجري عرض النتائج لغرض التعرف على اثر استخدام الاساليب التدريسية، وهي أسلوب التقويم التكويني، والاسلوب الاعتيادي، ومعرفة دلالة الفروق الاحصائية بينها ومن ثم التحقق من فرضيات البحث وهل ان النتائج التي حصل عليها تؤيد صحة الفرضيات او عدم صحتها. لقد تم استخراج الاوساط الحسابية والانحرافات المعيارية لمجموعتي البحث كما موضح في الجدول(٥)

جدول (٥) الاوساط الحسابية والانحرافات المعيارية لمجموعتي البحث

عينةالبحث / المستوى الاحصائي	المجموعة التجريبية	المجموعة الضابطة
الوسط الحسابي	٤١,٠٣	٢٩,٣٧
الانحراف المعياري	٥,٢١	٦,٣

تشير البيانات الرقمية في الجدول رقم (٥) الى ان هناك فروقا ظاهرية بين المجموعتي ولكن الاوساط الحسابية والانحرافات المعيارية لا توضح معنوية الفروق، عليه استخدم تحليل التباين الاحادي لمعرفة معنوية الفروق كما هو مبين في جدول رقم (٦) وكانت النتائج على النحو الاتي :

جدول ٦) تحليل التباين الاحادي لاختبار دلالة الفروق بين الدرجات التي حصل عليها طلاب مجموعتي البحث في الاختبار التحصيلي

مصدر التباين	درجة الحرية	مجموع المربعات	متوسط المربعات	القيمة الفائية		مستوى الدلالة
				المحسوبة	الجدولية	
بين المجموعتين	٢	٢١٧٥,٣٩	١٠٨٧,٦٩	٢٩,٠٩٨	٣,١٩	٠,٠٥
داخل المجموعتين	٩٣	٣٤٧٦,٤	٣٧,٣٨			
المجموع	٩٥	٥٦٥١,٨				

المقارنة بين مجموعتي البحث : لغرض معرفة وجود فروق بين مجموعتي البحث استخدم تحليل التباين الاحادي وكما هو مبين في الجدول (٦)

اذ يبين الجدول ان القيمة الفائية المحسوبة قد بلغت (٢٩,٠٩٨) وحين مقارنتها مع القيمة الفائية الجدولية تحت مستوى دلالة (٠,٠٥) ولدرجة حرية(٢، ٩٣) والبالغة (٣,١٩) ولما كانت القيمة المحسوبة اكبر من القيمة الجدولية فهذا يعني ان هناك فرقا معنويا بين متوسط تحصيل طلاب مجموعتي البحث في الاختبار التحصيلي.

ان تحليل التباين الاحادي يكشف عن وجود فروق معنوية بين مجموعتي البحث او عدمها الا انه لا يحدد لنا اتجاه الفروق ولا يحدد المجموعات التي تكون الفروق في صالحها، ولهذا الغرض وللتحقق من صحة فرضيات البحث تمت المقارنة بين تحصيل كل مجموعة من مجموعتي البحث باستخدام طريقة شيفيه(Sheffe) اذ يوضح نتائج الفروق بين مجموعتي البحث وبحسب فرضيات البحث وكما ياتي :

١- المقارنة بين المجموعة التجريبية التي درست باستخدام اسلوب التقويم التكويني والمجموعة الضابطة التي درست وفق الطريقة الاعتيادية، اذ تنص فرضية البحث الخاصة بهذه المقارنة على انه: "لا يوجد فرق ذو دلالة احصائية بين متوسط تحصيل طلاب المجموعة التجريبية الدين يدرسون قواعد اللغة العربية باسلوب التقويم التكويني والمجموعة الضابطة الدين يدرسون قواعد اللغة العربية وفق الطريقة الاعتيادية"، وللتحقق من صحة الفرضية ولمعرفة وجود فرق بين تحصيل طلاب المجموعتين ظهر ان متوسط درجات طلاب المجموعة التجريبية كان (٤١.٠٣) ومتوسط المجموعة الضابطة (٢٩.٣٧) وحين اختبار معنوية الفروق باستخدام طريقة (Sheffe) ظهر ان الفرق بينهما ذو معنوية احصائية عند مستوى دلالة (٠.٠٥) حيث بلغت القيمة المحسوبة عند المقارنة بين المتوسطين (٧.٦) وهي اكبر من القيمة الحرجة البالغة (٢.٥٢) وبذلك ترفض الفرضية الصفرية التي تنص الى عدم وجود فرق وتقبل الفرضية البديلة التي تذهب الى وجود فرق دال احصائيا لصالح المجموعة التجريبية .

ثانيا - تفسير النتائج يلاحظ من خلال عرض النتائج التي توصل اليها البحث ما ياتي تشير النتائج الى تفوق المجموعة التجريبية التي درست باستخدام اسلوب التقويم التكويني على المجموعة الضابطة التي درست وفق الطريقة الاعتيادية وبمستوى دلالة (٠.٠٥) وقد يعزى ذلك الى الدور الذي يلعبه هذا الاسلوب، فهو يساعد على :

١- قيادة تعلم الطلاب وتوجيهه في الاتجاه الصحيح وذلك من خلال تدخله المستمر في عملية التعلم.

٢- تحديد الخلل في تعلم الطلاب ومحاولة تشخيص اسبابه التي قد ترتبط بالمعهد او طريقة تدريسها او المنهاج .

٣- تزويد المعهد والطالب بالتغذية الراجعة الفورية

٤- تقويم دافعية التعلم لدى الطلاب نتيجة المعرفة الفورية بنتائجهم واخطائهم وكيفية تصحيحها (القمس، ٢٠٠٠ :٢٥- ٢٦) ونخلص من ذلك الى ان هذا الاسلوب له اثر فاعل في نتائج التحصيل الدراسي للمتعلمين وهذه النتيجة تتفق والنتائج التي توصلت اليها دراسة (السعدون ٢٠٠٠) ودراسة (سلمان ٢٠٠٠) ودراسة (العتاب ٢٠٠٠)

الفصل الخامس

اولا: الاستنتاجات:

في ضوء النتائج التي توصل اليها البحث الحالي يمكن استنتاج ما ياتي :

١. استخدام اسلوب التقويم التكويني يسهم في زيادة فاعلية عملية التدريس، ورفع كفايتها مقيسة بالتحصيل الدراسي

٢. استخدام اسلوب التقويم التكويني يزيد من نشاط الطلاب وفاعليتهم اثناء الدرس، وذلك بتحفيزهم على التفكير والتركيز وتذكر وفهم ما تعلموه

ثانيا: التوصيات

في ضوء نتائج البحث يوصي الباحث بما ياتي :

١. ضرورة استخدام مدرسي اللغة العربية ومدرساتها لاسلوب التقويم التكويني.

٢. تنظيم دورات خاصة لتدريب معلمي ومعلمات ومدرسي ومدرسات اللغة العربية على استخدام اسلوب التقويم التكويني، الاستخدام الامثل في التدريس.

٣. الاكثار من الاختبارات اليومية او الأسبوعية التكوينية لما تسهم به هذه الاختبارات في تحسين عمليتي التعليم والتعلم.

ثالثا : المقترحات : استكمالا للبحث الحالي يقترح الباحث اجراء الدراسات الاتية :

١. دراسة مماثلة للدراسة الحالية في فروع اللغة العربية الاخرى كالنقد والبلاغة والادب وغيرها.

٢. دراسة مماثلة للدراسة الحالية لمعرفة اثر استخدام الاسلوب التقويم التكويني في اكتساب المفاهيم النحوية لطلبة معهد اعداد المعلمين.

الملاحق

(ملحق ١)

م/صلاحية أهداف سلوكية

الأستاذ الفاضل ..... المحترم

تحية طيبة

يروم الباحث إجراء بحثه الموسوم بـ (اثر استخدام أسلوب التقويم التكويني في تحصيل طلاب الصف الثالث معهد اعداد المعلمين في قواعد اللغة العربية) ولما يجد فيكم من دقة وأمانة علمية فضلا عن خبرتكم، يرجى التفضل بإبداء آرائكم السديدة وملاحظاتكم القيمة في صلاحية الأهداف السلوكية، وصياغتها لموضوعات كتاب اللغة العربية للصف الثالث معهد اعداد المعلمين التي اشتقها الباحث وصاغها من موضوعات الكتاب المقرر.وتقبلوا شكر الباحث .

ت	الهدف السلوكي	المستوى	صالحة	غير صالحة	تحتاج إلى تعديل
١	يبين عمل (كان واخواتها) عند دخولها على المبتدا والخبر	فهم			
٢	يمثل لفعل من الافعال الناقصة في جمل مفيدة	تطبيق			
٣	يميز بين اسم (كان واخواتها) وخبرها في جمل تعرض عليه	فهم			
٤	يصنف الافعال الناقصة حسب التصرف	فهم			
٥	يمثل في جمل يكون فيها خبر الافعال الناقصة خبر مفرد	تطبيق			
٦	يعرب الافعال الناقصة او اسمها او خبرها في جملة تعرض عليه	تطبيق			
❖❖	ان واخواتها : جعل الطالب قادرا على ان				
٧	يعرف ان واخواتها	تذكر			
٨	يعدد اخوات ان	تذكر			

٩	يبين فائدة ان او احدى اخواتها	فهم			
١٠	يبين عمل ان او احدى اخواتها عند دخولها على المبتدا او الخبر	فهم			
١١	يضبط اخر المبتدا او الخبر بالشكل عند دخول ان او احدى اخواتها عليها.	تطبيق			
١٢	يمثل لكل من (ان او احدى اخواتها) في جمل مفيدة	تطبيق			
١٣	بناء الفعل الماضي : جعل الطالب قادرا على ان				
١٤	يعرف الفعل الماضي	تذكر			
١٥	يصنف حالات بناء الفعل الماضي	فهم			
١٦	يحدد حالات بناء الفعل الماضي على الفتح	تذكر			
١٧	يمثل بجمل لفعل ماض مبني على الفتح	تطبيق			
١٨	يحدد حالات بناء الفعل الماضي على السكون	تذكر			
١٩	يمثل بجمل لفعل ماض مبني على السكون	تطبيق			
٢٠	يحدد حالة بناء الفعل الماضي على الضم	تذكر			
٢١	يمثل بجمل لفعل ماض مبني على الضم	تطبيق			
❖❖	رفع الفعل المضارع الصحيح الاخر : جعل الطالب قادرا على ان				
٢٢	يعرف الفعل المضارع الصحيح الاخر	تذكر			
٢٣	يعرف الفعل المضارع المعتل الاخر	تذكر			
٢٤	يعطي افعال مضارعة صحيحة الاخر واخرى معتلة الاخر	تطبيق			
٢٥	يحدد علامة رفع الفعل المضارع الصحيح الاخر	فهم			
٢٦	تعرب الفعل المضارع الصحيح الاخر في جمل تعرض عليه اعرابا صحيحا	تطبيق			
❖❖	نصب الفعل المضارع الصحيح الاخر والمعتل الاخر : جعل الطالب قادرا على ان				
٢٧	يذكر الاحرف الناصبة للفعل المضارع	تذكر			
٢٨	يبين معنى حرف من الاحرف الناصبة(ان- لن -كي -لام التعليل)	فهم			
٢٩	يبين علامة نصب الفعل المضارع الصحيح الاخر	فهم			
٣٠	يبين علامة نصب الفعل المضارع المعتل الاخر بالالف	فهم			

٣١	يبين علامة نصب الفعل المضارع المعتل الاخر بالواو والياء	فهم			
٣٢	يمثل في جمل مفيدة لفعل مضارع صحيح الاخرمنصوب	تطبيق			
٣٣	يمثل في جمل مفيدة لفعل مضارع معتل الاخر منصوب	تطبيق			
❖❖	جزم الفعل المضارع الصحيح الاخر والمعتل الاخر : جعل الطالب قادرا على ان				
٣٤	يعرف الجزم كحالة من حالات الاعراب	تذكر			
٣٥	يعدد ادوات الجزم	تذكر			
٣٦	يبين معنى كل اداة من ادوات الجزم	فهم			
٣٧	يبين علامة جزم الفعل المضارع الصحيح الاخر	فهم			
٣٨	يبين علامة جزم الفعل المضارع المعتل الاخر	فهم			
٣٩	يمثل في جملة مفيدة لفعل مضارع صحيح الاخر مجزوم باحد ادوات الجزم	تطبيق			
٤٠	يعرب الفعل المضارع الصحيح الاخر والمعتل المجزوم	تطبيق			

(ملحق ٢)

م/ صلاحية فقرات اختبار تكويني (١)

الاستاذ الفاضل المحترم

تحية طيبة

يروم الباحث إجراء بحثه الموسوم بـ (اثر استخدام اسلوب التقويم التكويني في تحصيل طلاب الصف الثالث معهد اعداد المعلمين في قواعد اللغة العربية)، والاختبار الذي بين ايديكم جزء منه، وهو يمثل الاختبار التكويني الاول الخاص بالبحث، ويشمل الموضوعات (كان واخواتها – ان واخواتها) لذا يرجى التفضل بابداء ارائكم السديدة في صلاحية فقرات الاختبار.

وتقبلوا شكرالباحث

ت	الهدف السلوكي	الفقرة الاختبارية	صالحة	غير صالحة	تحتاج إلى تعديل
❖❖	كان واخواتها : جعل الطالب قادرا على ان	س١ ارسم دائرة ◯ حول الحرف الذي يسبق الاجابة الصحيحة فيما ياتي			

١	يعدد الافعال الناقصة	من اخوات كان : أ- ان واصبح وما زال ب- ليت واصبح ولكن ج- صار وكأن ولعل د- امسى وظل وعسى			
٢	يذكر فائدة احد الافعال الناقصة	يفيد الفعل الناقص (ما زال) : أ- التحويل ب- ملازمة الخبر للاسم ج- بيان المدة د- النفي			
٣	يمثل لفعل من الافعال الناقصة في جمل مفيدة	أي الجمل الاتية فيها فعلٍ ناقصٍ التحويلِ ؟ أ- قال تعالى ﴿فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ ب- صار الخشب اثاثاً ج- باتت سعاد مسرورة د- امست بغداد جميلة			
٤	يمثل في جمل يكون فيها خبر الافعال الناقصة خبرمفرد واخرى خبرجملة	أي الجمل فيها فعل ناقص خبره جملة فعلية؟ أ- امسيت في البيت ب- ظل الجندي يقاتل الاعداء ج- بات الحق دعاته كثيرون د- كان المؤمن سباقاً للخير			
٥	يبين فائدة ان او احدى اخواتها	يفيد الحرف المشبه بالفعل (لكن) أ- الاستدراك ب- التشبيه ج- الترجي د- التمني			
٦	يضبط اخر المبتدا او الخبر بالشكل عند دخول ان او احدى اخواتها عليها.	أي الجمل الاتيةِ مضبوطة بالشكل الصحيحِ؟ أ- كأن الجنديَ اسداً ب- كأن الجنديَ اسدٌ ج- كأن الجنديُ اسدٌ د- كأن الجنديُ اسداً			

		س٢ اكمل الفراغات بما يناسبها :			
٧	يعرف الافعال الناقصة	تعرف (كان واخواتها) بأنها - - - - - - -			
٨	يبين عمل كان او احدى اخواتها عند دخولها على المبتدأ والخبر	عند دخول (كان) او(احدى اخواتها) على المبتدا والخبر - - - - - - اسما لها و- - - - - - خبرا لها			
٩	يميز بين اسم كان او احدى اخواتها وخبرها في جمل تعرض عليه	(ما فتيء الطلاب يدرسون)، خبر (ما فتيء) في هذه الجملة - - - - - - - - -			
١٠	يصنف الافعال الناقصة حسب التصرف	تنقسم الافعال الناقصة من حيث التصرف الى - - - - - -			
١١	يعرب الافعال الناقصة او اسمها او خبرها في جمل تعرض عليه	(احترمك مادمت صادقاً) يعرب ما تحته خط - - - - - -			

	اعراباً صحيحاً				
١٢	يعرف ان واخواتها	تعرف ان واخواتها بانها - - - - - - - -			
١٣	يعدد اخوات ان	من اخوات انّ - - - - - - - - - - - -			
١٤	يبين عمل (ان او احدى اخواتها) عند دخولها على المبتدأ والخبر	عند دخول (ان او احدى اخواتها) على المبتدا والخبر - - - - اسما لها و- - - - خبرا لها			
١٥	يميز بين اسم (ان او احدى اخواتها) وخبرها في جمل تعرض عليها	(لعلك محبٌ) اسم لعل- - - - - - - وخبرها - - - - - - -			
١٦	يعرب (ان او احدى اخواتها) او اسمها او خبرها في جمل تعرض عليه	(البيت جديد لكن اثاثه قديم) يعرب ما تحته خط - - - -			

(ملحق ٣)

م/ صلاحية فقرات اختبار تكويني (٢)

الاستاذ الفاضل المحترم

تحية طيبة

يروم الباحث إجراء بحثه الموسوم بـ (اثر استخدام اسلوب التقويم التكويني في تحصيل طلاب الصف الثالث معهد اعداد المعلمين في قواعد اللغة العربية)، والاختبار الذي بين ايديكم جزء منه، وهو يمثل الاختبار التكويني الثاني الخاص بالبحث، ويشمل الموضوعات (بناء الفعل الماضي – رفع الفعل المضارع – نصب الفعل المضارع - جزم الفعل المضارع) لذا يرجى التفضل بابداء ارائكم السديدة في صلاحية فقرات الاختبار.

وتقبلوا شكر الباحث.

ت	الهدف السلوكي	الفقرة الاختبارية	صالحة	غير صالحة	تحتاج إلى تعديل
❖❖	جعل الطالب قادرا على ان:	س١ ارسم دائرة◯ حول الحرف الذي يسبق الاجابة الصحيحة مما ياتي:			
١	يحدد حالات بناء الفعل الماضي على الفتح	- يبنى الفعل الماضي على الفتح اذا أ.كان معتل الاخر ب.كان مجردا واتصل به الف الاثنين وتاء التانيث جـ.اتصل بضمير			

		رفع متحرك د.اتصل بضمير نصب			
٢	يمثل بجمل لفعل ماضي مبني على الفتح	- أي الجمل فيها فعل ماضي مبني على الفتح؟ أ.يرمي ألاعب الكرة ب.قال تعالى (...وأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا)[١١] جـ.قال تعالى (وإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ)[٢] د.قال تعالى (وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا)[٣]			
٣	يضبط اخر الفعل الماضي على الفتح	- أي الجمل الاتية فيها الفعل الماضي مضبوطا بالشكل الصحيح : أ.كَتَبَ عليٌ رسالةً ب.كَتَبَ عليٌ رسالةً جـ. كَتَبْ عليٍ رسالةً د. كَتَبُ عليُ رسالةً			
٤	يمثل بجمل لفعل ماضي مبني على السكون	- أي الجمل فيها فعل ماضي مبني على السكون؟ أ.يدعُوا المؤمنُ ربهُ ب.قرأتْ سعادُ القصةَ جـ. المقاتلون قاتلُوا ببسالةٍ د.رأيْتُ محمداً مسروراً			
٥	يمثل بجمل لفعل ماضي مبني على الضم	- أي الجمل فيها فعل ماضي مبني على الضم؟ أ.صبرَ العراقيون على الاذى ب.الطلابُ فهموا الرس جـ.كلَمْتُ ابي د.نَظَفَتْ عبير غرفةَ الصفِ			
٦	يبين متى يرفع الفعل المضارع	- يرفع الفعل المضارع اذا أ.سبقه اداة حرف جر ب.سبقته اداة نصب جـ.سبقته اداة جزم د.لم تسبقه اداة نصب او جزم			
٧	يحدد علامة رفع الفعل المضارع الصحيح الاخر	- يرفع الفعل المضارع الصحيح الاخر وعلامة رفعه : أ.الفتحة المقدرة ب.الضمة المقدرة جـ.الضمة د.الواو			
٨	يذكر الأحرف الناصبة	- من الاحرف الناصبة للفعل المضارع :			

١.سورة مريم، اية (٣)
٢.سورة القصص، اية (٥٦)
٣. سورة القمر، اية (١٣)

	للفعل المضارع	أ.لن ب.لام الامر ج.لكن د.ليت			
٩	يبين معنى حرف من الأحرف الناصبة (أن – لن – كي – لام التعليل)	- (أنْ) حرف تصب يفيد أ.الاستقبال ج.ما بعده سبب لما قبل ب.النفي والاستقبال طلب ترك الفعل			
١٠	يمثل لفعل مضارع صحيح الاخر مجزوم بأحد أدوات الجزم	- أي الجمل فيها فعل مضارع صحيح الاخر مجزوم؟ أ.لم يؤدِ المقصر واجبه ب.ليرجُ المؤمنُ ربَه ج.قال تعالى: (ولا تُصعِّر خدَّكَ للنَّاس)[1] د.قال الشاعر: لا تنهِ عن خلق وتاتي بمثلَه...			

		س[2] اكمل الفراغات بما يناسبها:			
١١	يحدد حالات بناء الفعل الماضي على السكون	- يبنى الفعل الماضي على السكون اذا- - - - و- - - -			
١٢	يحدد حالة بناء الفعل الماضي على الضم	- يبنى الفعل الماضي على الضم اذا- - - -			
١٣	يعرب الفعل الماضي المبني على الضم في جمل تعرض عليها اعراباً صحيحاً	- (المجاهدون رفعوا راية الله اكبر عاليا)يعرب ما تحته خط - - - - - - -			
١٤	يعرف الفعل المضارع الصحيح الاخر	- يعرف الفعل المضارع الصحيح الاخر بانه - - - - -			
١٥	يعرف الفعل المضارع المعتل الاخر	- يعرف الفعل المضارع المعتل الاخر بانه - - - - - -			
١٦	يذكر أحرف العلة	- من أحرف العلة - - - - - -			
١٧	يبين علامة رفع الفعل المضارع المعتل الاخر	- (يرجو العبدُ ربه)، ما تحته خط فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه- - - -			
١٨	يعرب الفعل المضارع المعتل الآخر في جمل تعرض عليها اعراباً صحيحاً	قال الشاعر: (كل من تلقاه يشكو دهره...)، يعرب ما تحته خط- - - - -			
١٩	يبين علامة نصب الفعل المضارع الصحيح الآخر	ينصب الفعل المضارع الصحيح الاخر بإحدى أدوات النصب وعلامة نصبه- - - - -			
٢٠	يبين علامة نصب الفعل	- (خرج الراعي باكراً ليرعى الغنمه) ما تحته خط			

١.سورة الإسراء، آية (٢٨)

	المضارع المعتل الآخر بالالف	فعل مضارع معتل بالالف منصوب وعلامة نصبه- - - - - -			
٢١	يبين علامة نصب الفعل المضارع المعتل الآخر بالواو والياء	- (عليك ان تعفو عن زلات اخيك) ما تحته خط فعل مضارع معتل بالواومنصوب وعلامة نصبه- - - - - - -			
٢٢	يعرف الجزم كحالة من حالات الأعراب	- يعرف الجزم بأنه- - - -			
٢٣	يذكر متى يجزم الفعل المضارع	- يجزم الفعل المضارع حينما- - - -			
٢٤	يعدد أدوات الجزم	من أدوات الجزم- - - -			
٢٥	يبين الصفات المميزة لأدوات الجزم	- (لام الأمر) اداة جزم وهي تفيد- - - -			
٢٦	يبين علامة جزم الفعل المضارع الصحيح الآخر	- (ليلتزم كل منا بالواجب) ما تحته خط فعل مضارع صحيح الاخر مجزوم وعلامة جزمه- - - -			
٢٧	يبين علامة جزم الفعل المضارع المعتل الآخر	- (لم يتوان العامل في عمله) فعل مضارع معتل الاخر مجزوم وعلامة جزمه- - - -			

(ملحق ٤)

م/ صلاحية فقرات اختبار تحصيلي

الاستاذ الفاضل المحترم

تحية طيبة يروم الباحث إجراء بحثه الموسوم بـ (اثر استخدام اسلوب التقويم التكويني في تحصيل طلاب الصف الثالث معهد اعداد المعلمين في قواعد اللغة العربية)، وتتطلب هذه الدراسة اختبارا تحصيليا للموضوعات التي شملتها الدراسةوقد اعتمد الباحث في صياغة الفقرات الاختبارية تصنيف بلوم للمجال المعرفي فقط وللمستويات الثلاثة الاولى منها (التذكر والفهم والتطبيق) ونظرا الى ما يكنه الباحث من ثقة عالية بما تتمتعون به من خبرة وسعة اطلاع لذا يضع الاختبار الذي بين ايديكم لابداء ارائكم فيه وملاحظاتكم السديدة ..... وتقبلوا شكر الباحث

ت	الهدف السلوكي	الفقرة الاختبارية	صالحة	غير صالحة	تحتاج إلى تعديل
١	يذكر فائدة احد الافعال الناقصة	يفيد الفعل الناقص (ظل) حصول معنى الجملة في أ- النهار ب- الضحى جـ- المساء د- الماضي			
٢	يعرب احد الافعال الناقصة او اسمها او خبرها في جمل تعرض عليه اعرابا صحيحا	(ليس المهمل محبوبا) تعرب كلمة (ليس) أ- فعل ماض ناقص يفيد التحويل مبني على الفتح .			

		ب- فعل ماض ناقص يفيد النفي مبني على السكون جـ- فعل ماض ناقص يفيد التحويل مبني على السكون د- فعل ماض ناقص يفيد النفي مبني على الفتح			
٣	يضبط اخر المبتدا والخبر المفرد بالشكل عند دخول ان او احدى اخواتها عليها	الجملة المضبوطة بالشكل الصحيح مما ياتي هي : أ- لعل اباك قادما ب- لعل ابوك قادم جـ- لعل اباك قادم د- لعل ابوك قادما			
٤	يمثل بجمل يكون فيها خبر (ان واخواتها) مفرد واخرى خبر جملة	أي الجمل فيها حرف مشبه بالفعل خبره جملة فعلية ؟ قال الشاعر : كانك شمس والملوك كواكب....الخ قال تعالى : ﴿ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَاباً ﴾(٢) جـ- لعل الله يصلح امرك د- زيد شجاع لكنه نحيل			
٥	يصنف حالات بناء الفعل الماضي	يبنى الفعل الماضي على : أ- الكسر والفتح والسكون ب- الفتح والسكون جـ- الكسر والضم والفتح د- الفتح والضم والسكون			
٦	يمثل بجمل لفعل ماض مبني على الضم	أي الجمل فيها فعل ماض مبني على الضم ؟ المقاتلون يقاتلون في سبيل وطنهم ب يجتهد احمد في دروسه جـ- الطلاب استضاؤا بنور العلم د- كتبت قصيدة جميلة			
٧	يعرب الفعل الماضي المبني على السكون في جمل تعرض عليه اعرابا صحيحا	(نحن صمدنا في وجه الطغيان) تعرب كلمة (صمدنا) أ- فعل امر مبني على السكون لاتصاله بالضمير (نا) ب- فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة			

(٢) النبأ: من الآية٤٠

		ج- فعل ماضي مبني على السكون لاتصاله بضمير (نا) د- فعل ماضي مبني على السكون لاته صحيح الاخر			
٨	يمثل لفعل مضارع صحيح الاخر في جملة مفيدة	أي الجمل فيها فعل مضارع صحيح الاتخر مرفوع بالضمة المجاهد يناضل من اجل النصر قال تعالى: ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ﴾(٣) ج- الطلاب يدرسون باجتهاد د- قال الشاعر: تعدو الذئاب على كلاب له .... الخ			
٩	يعرب الفعل المضارع المعتل الاخر في جمل تعرض عليه اعرابا صحيحا	قال الشاعر : كل من تلقاه يشكو دهره ليت شعري هذه الدنيا لمن تعرب كلمة (يشكو) : أ- فعل ماضي مبني على الضم لاتصاله بواو الجماعة ب- فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة المقدرة على الواو للثقل . ج- فعل مضارع منصوب وعلامة نصبه المقدرة على الواو د- فعل ماضي مبني على السكون لانه معتل الاخر			
١٠	يبين فائدة احد الاحرف الناصبة للفعل المضارع (ان -لن -كي -لام التعليل)	قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾(٤) (ان) من الاحرف الناصبة للفعل المضارع تفيد أ- النفي والاستقبال ب- الاستقبال ج- ما بعدها سبب لما قبلها د- الاستدراك			
١١	يبين علامة نصب الفعل المضارع المعتل الاخر بالواو او الياء	ينصب الفعل المضارع المعتل الاخر بالواو والياء وعلامة نصبه: أ- الفتح ب- الضم ج- الكسر د- السكون			
١٢	يمثل لاحد احرف النصب في	أي الجمل فيها حرف نصب يفيد النفي			

(٣) التوبة: من الآية٣٢
(٤) الأحزاب: من الآية٣٣

	جمل مفيدة	والاستقبال أ- قال تعالى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ (٥) ب- قال الشاعر : ليس عار بان يقال فقير انما العار ان يقال بخيل جـ- نطيع الوالدين لنفوز برضا الله د- اذهب الى المدرسة كي اتعلم			
١٣	يبين علامة جزم الفعل المضارع المعتل الاخر	يجزم الفعل المضارع المعتل الاخر باحد ادوات وعلامة جزمه : أ- السكون ب- السكون المقدرة جـ- الفتحة د- حذف حرف العلة			
		س٢/ اكمل الفراغات بما يناسبها :			
١٤	يعدد اخوات ان	من الاحرف المشبهة بالفعل- - - -			
١٥	يميز بين اسم (ان واحدى اخواتها) وخبرها في جمل تعرض عليها	قال الشاعر: اصابع كف المرء في العد خمسة ولكنها في مقبض السيف واحد اسم لكن في البيت الشعري هو- - - - - - -			
١٦	يعرف الفعل الماضي	يعرف الفعل الماضي بانه- - - -			
١٧	يعرف الفعل المضارع المعتل الاخر	يعرف الفعل المضارع المعتل الاخر بانه- - - - -			
١٨	يبين متى يرفع الفعل المضارع	يرفع الفعل المضارع حينما - - - - - - - -			
١٩	يعرف الجزم كحالة من حالات الاعراب	يعرف الجزم بانه- - - - -			
٢٠	يذكر الاحرف الناصبة للفعل المضارع	من الاحرف الناصبة للفعل المضارع- - - -			
٢١	يعدد ادوات الجزم	من ادوات الجزم- - - -			
٢٢	يعرب الفعل المضارع المعتل الاخر المجزوم في جمل تعرض عليه اعرابا صحيحا	لا تستغن عن صداقة الاصدقاء) تعرب كلمة (تستغن)- - - - - - - -			

(ملحق٥)

قائمة باسماء الخبراء والمحكمين

(٥) آل عمران: من الآية٩٢

١- الإستاد المساعد الدكتور خضير درويش/اللغة العربية / معهد اعداد المعلمين
٢- المدرس الدكتوراحمد جبار العابدي /طرائق تدريس اللغة العربية / معهد اعداد المعلمين
٣- المدرس الدكتورجعفر علي عاشور / اللغة العربية / معهد اعداد المعلمين
٤- المدرس الدكتورحاكم موسى الحسناوي /طرائق تدريس /الكلية التربوية المفتوحة
٥- المدرس الدكتور عبد عون عبود جعفر/علم نفس/ الكلية التربوية المفتوحة
٦- المدرس الدكتورغانم كامل سعود / اللغة العربية / معهد اعداد المعلمين
٧- المدرس الدكتورمسلم كاظم /طرائق تدريس /الكلية التربوية المفتوحة

المصادر

١. ابو جادو، صالح محمد علي، ٢٠٠٠، علم النفس التربوي، ط٢، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الاردن.

٢. البجة، عبد الفتاح حسن، ٢٠٠٠، اصول تدريس اللغة العربية بين النظرية والممارسة للمرحلة الأساسية الدنيا، ط١، دار الفكر، عمان، الاردن

٣. توق، محي الدين واخرون، ٢٠٠١، اسس علم النفس التربوي، ط١، دار الفكر، عمان، الاردن.

٤. الثعالبي، يحيى، ١٩٧٥، طرائق تدريس اللغة العربية، مجلة المعلم الجديد، ج١، المجلد٣٧، وزارة التربية، جمهورية العراق.

٥. جابر، جابر عبد الحميد واحمد خير كاظم، ١٩٨٩، مناهج البحث في التربية وعلم النفس، دار النهضة العربية، القاهرة، مصر.

٦. جامل، عبد الرحمن عبد السلام، ٢٠٠٠، طرائق التدريس العامة ومهارات تنفيذ وتخطيط عملية التدريس، ط٢ دار المنهاج للنشر والتوزيع، عمان، الاردن.

٧. حمدان، محمد زياد، ١٩٨٥، خرائط واساليب التعلم، دار التربية الحديثة، عمان، الاردن.

٨ الحيلة، محمد محمود، ١٩٩٩، التصميم التعليمي نظرية وممارسة، ط١، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الاردن.

٩. خاطر، محمود رشدي ومصطفى رسلان، ٢٠٠٠، تعليم اللغة العربية والتربية الدينية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر.

١٠. دباح، جهاد فؤاد، ١٩٩٢، علاقة المدرس بالطالب وايجابياتها عليهما، مجلة التربية، العدد(٩٦ – ٩٨).

١١. الدمرداش، سرحان، ١٩٧٩، المنهاج المعاصر، الكويت.

١٢. دمعة، مجيد واخرون، ١٩٧٨، طرق تدريس اللغة العربية وتعليم القراءة والكتابة للمبتدئين للصف الثالث دور المعلمين، ط١، مديرية مطبعة وزارة التربية رقم (٣)، بغداد.

١٣. الديب، فتحي عبد المقصود وابراهيم بسيوني عميرة، ١٩٧٠، تدريس العلوم والتربية العلمية، دار المعارف بمصر، القاهرة.

١٤. السامرائي، مهدي صالح، ١٩٨٥، دراسة في التقويم والقياس التربوي، رسالة الخليج العربي، العدد(١٤)، مكتب التربية العربي لدول الخليج العربي، الرياض، المملكة العربية السعودية.

١٥. السعدون، عادلة علي ناجي، ٢٠٠٠، اثر استراتيجية التقويم التكويني في تحصيل طالبات الصف الثاني المتوسط في مادة التربية الاسلامية، جامعة بغداد، كلية التربية (ابن رشد)، أطروحة دكتوراه غير منشورة.

١٦. سلامة، عبد الحافظ، ٢٠٠١، تصميم التدريس، ط١، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، الاردن.

١٧. سلمان، عبد الستار احمد مراد، ٢٠٠٠، اثر استخدام الاسئلة الامتحانية القبلية والبعدية في تحصيل طالبات الصف الثاني المتوسط في مادة الكيمياء، مجلة ديالى للبحوث العلمية والتربوية، العدد (٧)، الجامعة المستنصرية، كلية التربية، ديالى.

١٨. سمارة، عزيز واخرون، ١٩٨٩، مبادئ القياس والتقويم في التربية، ط٢، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، الاردن.

١٩. سمك، محمد صالح، ١٩٦٩، فن تدريس اللغة العربية والتربية الدينية، ط٣، مكتبة الانجلو المصرية.

٢٠. الشبلي، ابراهيم مهدي، ١٩٨٣، انواع التقويم، محاضرات في التقويم التربوي، مكتب التربية العربي لدول الخليج العربي، المركز العربي للبحوث التربوية لدول الخليج، الكويت.

٢١. ظافر، محمد اسماعيل ويوسف الحمادي، ١٩٨٤، التدريس في اللغة العربية، دار المريخ .

٢٢. عبد العال، عبد المنعم سيد، ب.ت، طرق تدريس اللغة العربية، دار غريب للطباعة، القاهرة

٢٣. عبيد، ماجدة السيد، ٢٠٠١، مناهج واساليب التدريس لذوي الحاجات الخاصة، ط١، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، الاردن

٢٤. العتاب، عبد الجبار خزعل ومجيد ابراهيم ال ياسين، ٢٠٠٠، اثر التقويم البنائي في تدريس مادة تكنولوجيا الفن في تحصيل طلبة المرحلة الثانية، فرع التربية الفنية /كلية المعلمين، مجلة كلية المعلمين، العدد (٢٥)، الجامعة المستنصرية .

٢٥. عدس، عبد الرحمن، ١٩٩٢، اساسيات البحث التربوي، ط١، دار الفرقان

٢٦. عودة، احمد سليمان، ١٩٨٥، القياس والتقويم في العملية التدريسية، جامعة اليرموك، ط١، دار الامل، عمان

٢٧. فان دالين، ديو بولد، ١٩٧٧، مناهج البحث في التربية وعلم النفس، ترجمة محمد نبيل نوفل واخرون، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة .

٢٨. قطامي، يوسف واخرون، ٢٠٠٠، تصميم التدريس، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، الاردن

٢٩. كراجة، عبد القادر، ١٩٩٧، القياس والتقويم في علم النفس (رؤية جديدة)، ط١، جامعة ال البيت.

٣٠. مجاور، محمد صلاح الدين علي، ١٩٧١، تدريس اللغة العربية اسسه وتطبيقاته التربوية، ط٢، دار المعارف بمصر .

٣١. محافظة، سامح محمد وهاشم جاسم السامرائي .١٩٩٦، اساليب مقترحة لتقويم الاداء التدريسي الجامعي، مجلة دراسات (العلوم التربوية)، المجلد (٢٣)، العدد (٢).

٣٢. محمد، داود ماهر ومجيد مهدي محمد، ١٩٩١، اساسيات في طرائق التدريس العامة، كلية التربية - جامعة الموصل.

٣٣. ملحم، سامي محمد، ٢٠٠٠، مناهج البحث في التربية وعلم النفس، ط١، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الاردن .

٣٤. نعمة، مجيد ابراهيم وآخرون . ١٩٧٨، طرائق تدريس اللغة العربية للصفين الاول والثاني معاهد اعداد المعلمين، ط١، وزارة التربية، جمهورية العراق، مطبعة مؤسسة الثقافة العمالية، بغداد .

التنظيم القانوني لانتخاب أعضاء مجلس النواب العراقي لعام ٢٠١٠ (دراسة في قانون الانتخابات العراقي رقم ١٦ لسنة ٢٠٠٥ المعدل والأنظمة الانتخابية)

م.م.روافد محمد علي الطيار*

المقدمة

مع انهيار النظام الدكتاتوري في العراق وتحرر الشعب العراقي من ناره تفتحت أمام جميع أبناء هذا الشعب فرص المشاركة الواسعة في إعادة بناء الوطن وأعماره وانتشاله من مستنقع التخلف الذي أوقعه فيه النظام المقبور وعملية البناء التي انطلقت منذ اللحظات الأولى لسقوط النظام السابق عملية تاريخية كبيرة متعددة المجالات والمستويات، وأهم ما في هذه العملية هو إنها تتطلب مشاركة أبناء الشعب جميعا" فيها من الرجال والنساء.

وتعد الحياة السياسية والمشاركة الانتخابية من أهم المجالات التي تشملها عملية أعادة البناء، إذ يتعين أعادة تنظيمها وبنائها من أجل ضمان قيام حياة سياسية سليمة وبناء دولة عراقية على أسس ديمقراطية دستورية تصون حقوق الإنسان وتحترم المجتمع العراقي.

وعلى المواطن العراقي أن يعي دوره في هذه العملية خاصة على مستوى الاشتراك الفعال في العملية الانتخابية تصويتا" وترشيحا" مدفوعا" بذلك من شعور وطني بضرورة المساهمة في بناء الوطن ومن وعي الفرد بأهمية الدور الذي يلعبه عند مشاركته في الانتخابات النيابية واختيار الأشخاص المناسبين والصالحين للقيام بالمسؤوليات النيابية وتولي منصب تمثيلي في مجلس النواب نظرا" لخطورة هذا المنصب لما يمارسه أعضاء مجلس النواب من دور مهم ومؤثر حيث تتمثل أهمية البرلمان (مجلس النواب) من خلال النظر إلى مهامه التي تتمحور في إصدار وتعديل وإلغاء القوانين بما يتناسب وحاجة المجتمع وعدم تكرار الدكتاتورية من خلال دور البرلمان باختيار رئيس الجمهورية، والرقابة على الأداء الحكومي ومحاسبة المسئولين الحكوميين، إضافة إلى دور البرلمان في التداول السلمي للسلطة وفق إرادة الجماهير من خلال ترشيح البرلمان لرئيس مجلس الوزراء والرقابة والإشراف على المال العام من خلال التصديق على الموازنة العامة ورقابة تنفيذها وتحقيق تكافؤ الفرص بين أبناء الشعب اذ يحق للجميع المشاركة في الحياة السياسية كمرشح وناخب

* تدريسية في كلية القانون بجامعة اهل البيت عليهم السلام

وضمان حقوق جميع مكونات الشعب العراقي اذ تتاح فرصة تمثيل كل مكون من هذه المكونات في البرلمان.

مشكلة البحث

إن مشاركة الشعب العراقي في تجارب انتخابية سابقة واستنادا إلى قانون الانتخابات رقم (١٦) لسنة ٢٠٠٥ نتج عنه نضج الوعي الانتخابي لدى المواطن العراقي وترتب عليه المطالبة بتطبيق أنظمة انتخابية مغايرة لما تم تطبيقه في التجربة الانتخابية السابقة وعليه تم تعديل قانون الانتخابات بقانون رقم (٢٦) لسنة ٢٠٠٩، فهل وفق المشرع العراقي في إيجاد نظام انتخابي يتفق مع متطلبات الرأي العام العراقي ورغبة الكيانات السياسية ويحقق الاستقرار السياسي للعراق ويحافظ على تماسك نسيجه الاجتماعي؟

خطة البحث

ولابد أن يشير القانون الانتخابي في أي بلد إلى أغلب المسائل الإجرائية المتعلقة بالعملية الانتخابية ومن بين ذلك وجوب تحديد مفهوم مبسط للمشاركة الانتخابية وتحديد طبيعة هذه المشاركة من حيث كونها حق أم وظيفة يؤديها المواطن العراقي وكذلك شروط المشاركة الانتخابية كمرشح وناخب وهذا ما سنتناوله في المبحث الأول من البحث أما المبحث الثاني سنهتم بدراسة أشكال المشاركة الانتخابية والمتمثلة في مرحلتين وهما مرحلة الترشيح ومرحلة التصويت وأخيرا" تحديد النظام الانتحابي المعمول به في العراق لاختيار أعضاء مجلس النواب العراقي وهذا ما سنبحثه في المبحث الثالث.

المبحث الأول: ماهية حق المشاركة الانتخابية

إن حق المشاركة الانتخابية كان وما زال من الحقوق التي تثير جدل فقهاء القانون الدستوري لتحديد مضمون هذا الحق، وذلك نتيجة اختلاف الفقهاء في تحديد العناصر التي يتألف منها هذا الحق، ففريق أهتم بالفرد بوصفه العامل المؤثر في المشاركة الانتخابية، وفريق آخر عبر عن المشاركة الانتخابية من خلال تحديد العناصر القانونية التي تتكون منها وفريق ثالث عده حقا سياسيا بكل عناصره أو بالاقتران مع عناصر اجتماعية وقانونية أخرى، ومن جهة أخرى فقد اختلف فقهاء القانون الدستوري في تحديد الطبيعة القانونية للمشاركة الانتخابية وحيث إن هذا الاختلاف يجد أساسه الفلسفي في نظرية سيادة الشعب ونظرية سيادة الأمة، ولكي نتمكن من الإلمام بكل جوانب مضمون حق المشاركة الانتخابية لابد من البحث في التنظيم الدستوري للمشاركة الانتخابية من خلال بيان الشروط اللازم توافرها للتمتع بالمشاركة الانتخابية وممارستها أيضا.

ووفقا لما تقدم سوف نقوم بدراسة ماهية حق المرأة في المشاركة الانتخابية ضمن المبحثين الآتيين: -

- المطلب الأول: مضمون حق المشاركة الانتخابية.
- المطلب الثاني: الشروط القانونية للمشاركة الانتخابية.

المطلب الأول: مضمون حق المشاركة الانتخابية

يتحدد مضمون حق المشاركة الانتخابية من خلال استقراء أراء الفقه العربي والغربي، لا سيما وان الفقه لم يتفق على رأي محدد في هذا الصدد، ومن أجل إعطاء صورة أوضح للمشاركة الانتخابية لابد أن نستعرض أراء الفقه حول الطبيعة القانونية للمشاركة الانتخابية علاوة على بيان التنظيم التشريعي للمشاركة الانتخابية من خلال بيان شروط التمتع بالمشاركة الانتخابية وشروط ممارستها.

وتبعا لذلك ستكون دراستنا لهذا المبحث ضمن مطلبين: -

- الفرع الأول: مفهوم حق المرأة في المشاركة الانتخابية

- الفرع الثاني : الطبيعة القانونية للمشاركة الانتخابية

الفرع الأول: مفهوم حق المشاركة الانتخابية

إن الحق في المشاركة الانتخابية هو من الحقوق التي تحتل أهمية بارزة في الدراسات القانونية ولدى الفقه الدستوري على وجه الخصوص، حيث أختلف الفقه في وضع تعريف للحق في المشاركة الانتخابية وذلك نتيجة لاختلاف العوامل التي استندوا إليها في تعريف هذا الحق سواء أكانت عوامل سياسية أم قانونية أم اجتماعية، وبناء على ما تقدم سنبحث الاتجاهات الفقهية في ثلاثة فروع:

- أولا": المفهوم السياسي
- ثانيا": المفهوم القانوني
- ثالثا": المفهوم الاجتماعي

أولا": المفهوم السياسي

تقوم المشاركة الانتخابية على أساس تمكين الشعب السياسي من ممارسة السلطة السياسية في الدولة وذلك أما مباشرة أو بواسطة من ينتخبهم من نواب، أو باشتراك الشعب السياسي مع هؤلاء النواب في ذلك، وبذلك فإن المشاركة الانتخابية لا تسعى إلا إلى تحقيق ممارسة الشعب للسلطة ولا تتعدى ذلك إلى محاولة إنجاز أهداف اقتصادية أو اجتماعية، وبهذا المعنى فإن المشاركة الانتخابية مذهب سياسي محض وليس مذهبا اقتصاديا أو اجتماعيا[١].

وعلى هذا الأساس عرف(حسن علوان البيج) المشاركة الانتخابية بأنها نشاط سياسي يرمز إلى مساهمة المواطنين ودورهم في إطار النظام السياسي [٢].

وبين (د.عبد الغني بسيوني) صور النشاط السياسي حيث عرف المشاركة الانتخابية بأنها الحق الذي يخول للأفراد المساهمة والمشاركة في حكم أنفسهم وتتضمن هذه المشاركة، ما يمارسه الأفراد في الحياة السياسية من الاشتراك في الانتخابات المختلفة، وحق الترشيح لعضوية الهيئات النيابية والمجالس المنتخبة، وبصورة عامة المشاركة في اتخاذ القرارات التي تصدرها الأجهزة والسلطات الحكومية[٣].

ويرى (جلال عبد الله معوض) أنها في أوسع معانيها تعني حق المواطن في أن يؤدي دورا معينا في عملية صنع القرارات السياسية[٤].

وعرف (د.ثامر كامل) المشاركة الانتخابية بأنها أي فعل طوعي يستهدف التأثير في انتقاء السياسات العامة، وإدارة الشؤون العامة واختيار القادة السياسيين على أي مستوى حكومي، محليا كان أو وطنيا [٥]

وأتفق كل من (د.محي شحاتة) و(د.كمال المنوفي) على أن المشاركة الانتخابية ما هي إلا أفعال طوعية أو اختيارية غير ملزمة للفرد، حيث عرف (د.محي شحاتة) المشاركة الانتخابية بأنها تلك الجهود الاختيارية التي يبديها أفراد المجتمع بهدف التأثير على بناء القوة والإسهام في صنع القرارات الخاصة بالمجتمع، وتتم هذه

١- د.عبد الغني عبد الله بسيوني، النظم السياسية، ط٤، منشأة المعارف، الإسكندرية، ٢٠٠٢، ص٢٠٤

٢- حسن علوان البيج، المشاركة السياسية والعملية السياسية في الدول النامية، مجلة المستقبل العربي، بيروت، العدد١٩٩٧، ٢٢٣، ص٦٤

٣- د.عبد الغني بسيوني، النظم السياسية –أسس التنظيم السياسي، أشار إليه د.داود ألباز، حق المشاركة في الحياة السياسية دراسة تحليلية للمادة (٦٢) من الدستور المصري مقارنة مع النظام في فرنسا، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠٦، ص١٩

٤- جلال عبد الله معوض، أزمة المشاركة السياسية في الوطن العربي، مجلة المستقبل العربي، بيروت، العدد١٩٨٣، ٥٥، ص١٠٨

٥- د.ثامر كامل، الدولة في الوطن العربي على أبواب الألفية الثالثة، ط١، بيت الحكمة، بغداد، بلا سنة طبع، ص١٨٨

المشاركة بصورة متعددة ابتداء من الاهتمام بأمور المجتمع السياسية ومرورا بالتصويت الانتخابي وانتهاء بالعنف السياسي[٦].

ويعرف (د.كمال المنوفي) المشاركة الانتخابية بأنها حرص الفرد على أن يكون له دور ايجابي في الحياة السياسية من خلال المزاولة الإرادية لحق التصويت أو الترشيح للهيئات الانتخابية،أو مناقشة القضايا السياسية مع الآخرين، أو بالانضمام إلى المنظمات الوسيطة[٧].

وفي الفقه الغربي يرى الفقيه البريطاني (Alan R. Ball) المشاركة الانتخابية على أنها وسيلة الاتصال السياسي بين الحكام والمحكومين فهي وسيلة لجعل صناع القرارات السياسية خاضعين لطلبات الناخبين السياسية وهي أداة لإضفاء الشرعية على حق الحاكم في الحكم [٨].

كما يقول (Myron wiener) إن المشاركة الانتخابية تعني أي فعل طوعي،ناجحا كان أم فاشلا،منظما أم غير منظم،عرضيا أم متواصلا،مستخدما وسائل مشروعة أم غير مشروعة القصد منه التأثير على انتقاء السياسات العامة وإدارة الشؤون العامة واختيار القادة السياسيين على أي مستوى حكومي محليا كان أم وطنيا [٩].

ثانيا": المفهوم القانوني

حاول بعض الفقه الدستوري إبراز الجانب القانوني في المشاركة الانتخابية وذلك بإلقاء الضوء على التنظيم القانوني لهذا الحق في الدساتير والتشريعات العادية.

وبناءا على ما تقدم يعرف (د.داود ألباز) المشاركة الانتخابية بأنها وسيلة الاتصال بين الحكام والمحكومين،وبتعبير أدق تعد المشاركة الانتخابية هي التنظيم القانوني لمبدأ مشروعية ممارسة السلطة باسم الشعب عن طريق فريق من النواب المكلفين بممارسة سياسة معينة معلن عنها في برامجهم السياسية[١٠].

وعرف (د.محمود حلمي) المشاركة الانتخابية بأنها الإجراء الذي يقوم به كل من تتوفر فيه الشروط التي حددها الدستور والقانون في كل دولة وفقا للاتجاهات السياسية والدستورية السائدة فيها لاختيار ممثلين عنهم يمارسون السلطة نيابة عنهم[١١].

ويرى (د.كمال الغالي) أن المشاركة الانتخابية تكرس مشروعية الحاكمين وتعبر عن إرادة الشعب والتي تعكس صورة الرأي العام وتنبثق منه أغلبية تتولى الحكم،حيث عرف (د. كمال الغالي) المشاركة الانتخابية بأنها سلطة ممنوحة بالقانون لبعض أفراد الأمة، المواطنين الذين تتكون منهم هيأة الناخبين للمساهمة في الحياة العامة مباشرة أو عن طريق الإفصاح عن إرادتهم فيما يتعلق بتعيين الحكام وتسيير شؤون الحكم [١٢].

٦- د.محي شحاتة، المشاركة السياسية طبيعتها ومحدداتها، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٦، ص١٨

٧- د.كمال المنوفي،الثقافة السياسية المتغيرة،أشار أليه د.داود ألباز،حق المشاركة في الحياة السياسية،٢٠٠٢،ص١٨٨

٨- Alan R. Ball: Modern politics and government, P127

أشار أليه د.كريم كشاكش،نحو قانون انتخاب أردني ديمقراطي متطور،ط١،دار المكتبة الوطنية، الأردن،١٩٩٨،ص٩

٩- Myron Weiner ,political participation:crises of the political process ,1971, p.164

أشار إليه حسين علوان البيج،مصدر سابق، ص٦٤- ٦٥

١٠- د.داود ألباز،الشورى والديمقراطية النيابية- دراسة تحليلية وتأصيلية لجوهر النظام النيابي (البرلمان) مقارنة بالشريعة الإسلامية، بلا مكان نشر، ٢٠٠٤، ص٨٤

١١- د.محمود حلمي،المبادئ الدستورية العامة، ط٦، ١٩٨٣، ص١٦٢، أشار إليه د.سلمان الغويل، الانتخابات النيابية والديمقراطية – دراسة قانونية مقارنة، ط١، أكاديمية الدراسات العليا،طرابلس، ٢٠٠٣، ص٤٤٨

١٢- د.كمال الغالي، مبادئ القانون الدستوري والنظم السياسية، منشورات جامعة دمشق، سوريا، ١٩٩٤، ص١٩٧

ويعرض (د.ماجد راغب الحلو) مفهوما مبسطا للمشاركة الانتخابية، فهو يشير إلى أنها تعني اختيار الناخبين لبعض المرشحين لولاية أمرهم نيابة عنهم[١٣].

وفي الفقه العراقي عرف (د.منذر الشاوي) المشاركة الانتخابية بأنها السلطة التي يمنحها القانون لبعض المواطنين الذين يكونون هيأة الناخبين والذين يسهمون في الحياة السياسية مباشرة أو عن طريق اختيار ممثلين ينوبون عنهم في ممارسة السلطة[١٤].

وعرف (د.صالح جواد كاظم) المشاركة الانتخابية بأنها مكنت المواطنين الذين تتوفر فيهم الشروط القانونية من المساهمة في اختيار الحكام لما يرونه صالحا لهم [١٥].

وفي الفقه الغربي عرف الفقيه (verba) المشاركة الانتخابية بأنها الأنشطة القانونية الشرعية التي يقوم بها جماعة من المواطنين بهدف التأثير من قريب أو من بعيد على عملية اختيار الحكام والأفعال التي تتخذها هذه الجماعة إزاء ذلك الهدف[١٦].

ثالثا": المفهوم الاجتماعي

حاول جانب من الفقه إبراز الجانب الاجتماعي، فالفرد هو عضو في الجماعة يخضع للتنظيم الاجتماعي الذي يهدف إلى الصالح المشترك، وإن القانون يأخذ أو يعتز بمواقف الفرد عندما تكون ذا تأثير اجتماعي، وأن مساهمة الفرد في العملية الانتخابية تكون ذات تأثير ملموس لصياغة نمط الحياة الاجتماعية لمجتمعه [١٧] ونتيجة لذلك ظهر الاتجاه الاجتماعي ومن أبرز مؤيدي هذا الاتجاه (د.جابر جاد نصار) والذي عرف المشاركة الانتخابية بأنها العملية التي يمارس الفرد من خلالها الإسهام الحر الواعي في صياغة نمط الحياة لمجتمعه في مجالات الاقتصاد والاجتماع والسياسة ذلك بأن تتاح له الفرصة الكافية للمشاركة في وضع الأهداف العامة لحركة المجتمع، وتصور أفضل الوسائل لتحقيق هذه الأهداف مع تحديد دور كل مواطن في أنجاز المهام التي تتجمع على المستوى القومي في أهداف عامة، يقتنع بها الأفراد[١٨]

وفي الفقه الأمريكي عرف الكاتب (Giovanni Satori) المشاركة الانتخابية هي اللحظة الحاسمة التي تعبر بها الإرادة الشخصية عن نفسها[١٩]

ويرى(Gabriel A. Almond) & (Lucian W. Pye) أن المشاركة الانتخابية تتحقق في مشاركة أعداد كبيرة من الأفراد والجماعات في الحياة السياسية [٢٠]

نلاحظ اختلاف الفقه الدستوري العربي والغربي في وضع تعريف محدد للمشاركة الانتخابية لذلك ارتأينا وضع تعريف يشمل الاتجاهات الثلاثة، وبناء على ما تقدم يعرف حق المشاركة الانتخابية (بأنه نشاط

١٣- د.ماجد راغب الحلو، الدولة في ميزان الشريعة، النظم السياسية، دار المطبوعات الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٦، ص١٤٥

١٤- د.منذر الشاوي، الاقتراع السياسي، مجلة العدالة، بغداد، العدد الأول، ٢٠٠١، ص١٨

١٥- د.صالح جواد كاظم، د.علي غالب العاني، الأنظمة السياسية، دار الحكمة، بغداد، ١٩٩١، ص٣٥

١٦- Verba, C."Participat Citizenship in six Developing Countries" 1969 ,P.4 -6

أشار إليه د. محي شحاتة، مصدر سابق، ص ١٧

١٧- د.نعيم عطية، في النظرية العامة للحريات الفردية، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٥، ص٨٣

١٨- د. جابر جاد نصار، الاستفتاء الشعبي والديمقراطي – دراسة دستورية للاستفتاء الشعبي وتطبيقاته في مصر وفرنسا، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٣، ص٥٢٣

١٩- Giovanni Satori: Democratic theory, Second Green wood ,U.S.A., 1976, P.73

أشار أليه د.كريم كشاكش، مصدر سابق، ص٦

٢٠- Lucian W. Pye: Aspects of Political development, 1960, p.63-67 & Gabriel A. Almond: Political, 1966, P.52 أشار إليه يحيى الو زكاني، المشاركة السياسية للمرأة في ضوء المواثيق الدولية لحقوق الإنسان، الموقع الالكتروني، المركز التقدمي لدراسات وأبحاث مساواة المرأة، الرابط الالكتروني: www.rezgar.com

الفرد الإرادي في إطار النظام السياسي ومساهمته في عملية صنع السياسات العامة والقرارات السياسية أو التأثير فيها واختيار القادة السياسيين).

الفرع الثاني الطبيعة القانونية للمشاركة الانتخابية

ثار جدال بين الفقهاء في تحديد الطبيعة القانونية للمشاركة الانتخابية وإن هذا الجدل مرتبط إلى حد كبير بتطور مفهوم السيادة وبيان صاحبها.

ففي الوقت الذي ساد فيه مبدأ سيادة الشعب اعتبرت المشاركة الانتخابية حقا، أما في الوقت الذي ساد فيه مبدأ سيادة الأمة اعتبرت المشاركة الانتخابية واجبا عاما، علاوة على من حاول أن يختط طريقا وسطا ما بين الاتجاهين السابقين، وهذا ما سوف نبحثه في الفروع الأربعة الآتية:

- المشاركة الانتخابية بوصفها واجبا" عاما"
- ثانيا": المشاركة الانتخابية بوصفها حقا"
- ثالثا": المشاركة الانتخابية بوصفها ذات طبيعة مزدوجة
- رابعا": المشاركة الانتخابية بوصفها سلطة قانونية

أولا": المشاركة الانتخابية بوصفها واجبا" عاما"

يرى جانب من الفقه الدستوري أن المشاركة الانتخابية ما هي إلا وظيفة وواجب دستوري وذلك تزامنا" مع مبدأ سيادة الأمة الذي يعد السيادة وحدة واحدة غير قابلة للتجزئة وهي ملك للأمة، ولكي تعبر الأمة عن سيادتها لابد من وجود ممثلين عن الأمة يمارسون سلطاتها ولذلك تقوم الأمة باختيار الأفراد الذين يقومون بانتخاب هؤلاء النواب [٢١]، ويترتب على هذه النظرية النتائج التالية:

١- يحق للمشرع أن يقيد المشاركة الانتخابية على نحو يضمن حسن اختيار نواب الأمة، أي التضييق من نطاق هيأة المشاركة وبالتالي يتلاءم هذا الاتجاه مع مبدأ الاقتراع المقيد الذي يشترط في الناخب أو الناخبة شروطا خاصة من حيث الثروة والقدرة العلمية وغيرها وهذا ما قررته الجمعية التأسيسية للثورة الفرنسية ١٧٩١[٢٢]

٢- إن تكييف المشاركة الانتخابية واجب يجعلها تتجه دائما" إلى تحقيق الصالح العام وليس الصالح الشخصي للمواطن وبذلك فهو يدلي بصوته عن نفسه وعن غيره من الأشخاص الذين لا يحق لهم المشاركة الانتخابية، وهم لا تخلو منهم دولة مهما وسعت رحابة الاقتراع العام[٢٣]

٣- يمكن للقوانين أن تجعل عملية التصويت إلزامية والامتناع عنها يؤدي إلى فرض العقوبات من قبل الفئة القابضة على السلطة، فالناخب أو الناخبة قد وليا وظيفة ليمارسوها لمصلحة الكل فهي تكليف اجتماعي لا يمكن التخلص منه بشكل نهائي وحتى إنهم لا يستطيعون إهمال القيام به مؤقتا"[٢٤]

وجد هذا المبدأ تطبيقا" له في العهد الملكي العراقي، وان عالج القانون الأساسي العراقي لسنة١٩٢٥ هذا الموضوع بصورة غامضة و مرتبكة [٢٥] فقد اخذ بالديمقراطية النيابية حيث جعل السيادة للأمة[٢٦] وفق المادة (١٩) منه والتي تنص " سيادة المملكة العراقية الدستورية للأمة" [٢٧]

٢١- د.حميد ألساعدي، مبادئ القانون الدستوري وتطور النظام السياسي في العراق، دار الحكمة للطباعة والنشر، الموصل، ١٩٩٠، ص٨٨

٢٢- د. محمد رفعت عبد الوهاب، مبادئ النظم السياسية، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، بلا سنة طبع، ص٢٥٩-٢٦٠

٢٣- د.داود ألباز، النظم السياسية الدولة والحكومة في ضوء الشريعة الإسلامية، دار الفكر العربي، الإسكندرية، ٢٠٠٦، ص٢٤٥

٢٤- د. منذر الشاوي، الاقتراع السياسي، مجلة العدالة، بغداد، العدد الأول، ٢٠٠١، ص٤٨

ثانيا": المشاركة الانتخابية بوصفها حقا"

يذهب هذا الاتجاه إلى أن المشاركة الانتخابية حق، ويعد هذا الاتجاه الأكثر تأييدا" لدى الفقه الدستوري، وأن تكييف المشاركة الانتخابية يتفرع إلى رأيين:

١ـ حق شخصي

٢- حق سياسي

١- المشاركة الانتخابية بوصفها حقا شخصيا

يذهب هذا الاتجاه إلى أن المشاركة الانتخابية حق طبيعي للفرد وفقا" لما آلت إليه نظرية الأصل الطبيعي للفرد التي تذهب إلى اعتبار الأفراد أحرارا ومتساوين في حقوقهم الطبيعية[٢٨]

وقد عبر عن ذلك العلامة الفرنسي جان جاك روسو (Jean –Jacques Rousseau) في عقده الاجتماعي حيث يقول روسو "إن التصويت حق لا سبيل لسلبه من المواطنين" [٢٩]

وان أساس هذا الرأي يقوم على مبدأ سيادة الشعب الذي نادي به أيضا" روسو وفحواه أن السيادة تجد مستقرها أساسا" في الشعب، أي في الأفراد الذين يتكون منهم الشعب، فالسيادة هي مجموع السيادات الفردية [٣٠]

وقد لقي هذا الاتجاه تطبيقا في العراق فقد أشار الدستور العراقي الحالي لسنة ٢٠٠٥ في المادة الخامسة منه إلى أن " السيادة للقانون، والشعب هو مصدر السلطات وشرعيتها..." [٣١].

ويذهب أنصار هذا الاتجاه إلى أنه حقق بعض النتائج الايجابية في حماية حقوق الإنسان وحرياته الأساسية وأهم هذه النتائج:

١- إن تكييف المشاركة الانتخابية حق طبيعي للفرد يستمده من الطبيعة بحكم آدميته وبذلك فهي تعلو على السلطة وعلى القانون الوضعي ذاته، أي إنها سابقة على المشرع نفسه وملزمة له، فهي بطبيعتها حريات عامة مطلقة لا تقبل التقييد فإذا صدر تشريع يقيدها، كان هذا التشريع باطلا[٣٢]

ويترتب على ذلك إن المشرع يقتصر دوره على تنظيم هذا الحق ومنع استعماله بالنسبة للأشخاص الذين لا يستطيعون مزاولته كعديمي الأهلية والقصر[٣٣] ومرتكبي الجرائم المخلة بالشرف[٣٤]

٢٥- د.رعد ناجي الجدة، التطورات الدستورية في العراق، ط١، دار الحكمة، بغداد، ٢٠٠٤، ص٨١

٢٦- د.حميد ألساعدي، مصدر سابق، ص١٥٣

٢٧- ويجد هذا المبدأ تطبيقا" له في المادة (٢٤) من الدستور الأردني لسنة ١٩٥٢ والفصل الثاني من الدستور المغربي لسنة١٩٩٦

٢٨- را يموند كارفيليد كيتيل، العلوم السياسية، ترجمة فاضل زكي محمد، مكتبة النهضة، بغداد، بلا سنة طبع، ص٣٠

٢٩- د.رأفت دسوقي، هيمنة السلطة التنفيذية على أعمال البرلمان، منشأة المعارف، الإسكندرية، ٢٠٠٦، ص٨

٣٠- د.منذر الشاوي، نظرية السيادة، منشورات العدالة، بغداد، ٢٠٠٢، ص٧١

٣١- إن أغلب الدساتير العراقية الصادرة في العهد الجمهوري قد اعتمدت مبدأ سيادة الشعب منها دستور العراق لسنة١٩٥٨ المؤقت حيث أشار في المادة (٧) إلى إن" الشعب مصدر السلطات" وكذلك أشار دستور العراق لسنة١٩٦٨ في المادة (٣) منه إلى إن "الشعب مصدر السلطات " وتضمن دستور العراق لسنة ١٩٧٠ لهذا المبدأ في المادة الثانية منه حيث أشار إلى إن "الشعب مصدر السلطة وشرعيتها، يمارسها عن طريق ممثليه أو بالاستفتاء" وقد نص قانون إدارة الدولة للمرحلة الانتقالية لسنة٢٠٠٤ في المادة العاشرة منه "تعبيرا عن سيادة الشعب العراقي وإرادته الحرة..."

٣٢- د. عبد الرزاق أحمد السنهوري، مخالفة التشريع للدستور والانحراف في استعمال السلطة التشريعية، مجلة مجلس الدولة، السنة الثالثة، دار النشر للجامعات المصرية، القاهرة، ١٩٥٢، ص٧٤

٣٣- د.محمد أنس قاسم جعفر، النظم السياسية والقانون الدستوري، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٩، ص١٩٥

٣٤- الشرف كما يراه البعض هو القيمة الاجتماعية للمرء كسمعته واعتباره، د. عبد الستار ألجميلي، جرائم الدم – الجرائم الواقعة على الأشخاص في قانون العقوبات رقم (١١١) لسنة ١٩٦٩، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٧٠، ص٣٩٢

وحدد قانون العقوبات العراقي رقم (١١١) لسنة ١٩٦٩ الجرائم المخلة بالشرف في المادة (٢١) الفقرة السادسة والتي تنص " الجرائم المخلة بالشرف كالسرقة والاختلاس والتزوير وخيانة الأمانة والاحتيال والرشوة وهتك العرض"

٢- الأخذ بمبدأ الاقتراع العام الذي يقوم على أساس مشاركة جميع أفراد الشعب على أساس من المساواة في إدارة شؤون بلادهم ولا يجوز حرمان صاحب الحق منه لأسباب تتعلق بالقدرة العلمية أو الثروة المالية أو الطبقة الاجتماعية[٣٥].

٣- يترتب على تكييف المشاركة الانتخابية حق الأخذ بمبدأ التصويت الاختياري، فلكل فرد حرية ممارسة هذا الحق من عدمها بمقتضى ما يختص به من جزء من السيادة الشعبية [٣٦] وذلك تعزيزا لحرية المواطن واحتراما لأرادته ولاختياراته، حيث انه في حالة عدم الإدلاء بصوته ذلك لا يعرضه لأية عقوبة مهما كانت طبيعتها أو نوعها وبذلك فهي تتفق مع فكرة التصويت الاختياري[٣٧]

إن هذا الاتجاه الذي يكيف المشاركة الانتخابية حقا وجد له صدى كبيرا عند القلة من رجال الثورة الفرنسية [٣٨] إلا انه لم يتم الأخذ به في دساتير الثورة الفرنسية نفسها، فهي لم تطبق فكرة الحق الذاتي، ففي دستور عام١٧٩١ لم يعترف به إلا للرجال العاملين الايجابيين وهم الذين يتمتعون بالحقوق السياسية والمدنية المنصوص عليها في إعلان حقوق الإنسان و المواطن، ولكي يكون المواطن ايجابيا يشترط فيه إكمال ٢٥ سنة علاوة على امتلاكه نصابا ماليا وليس من خدم المنازل وأن يقيم في المدينة أو الناحية منذ الوقت الذي يحدده القانون ولديه ولاء مدني[٣٩]

٢- المشاركة الانتخابية بوصفها حق سياسي

وفق هذا الاتجاه يعد الحق في المشاركة الانتخابية من الحقوق العامة لأنه ذو طبيعة سياسية يستمد أساسه من الدستور والقوانين القائمة [٤٠] ويترتب على ذلك إمكانية لجوء صاحبه إلى القضاء لإثبات الحق في ممارسة المشاركة الانتخابية وصدور حكم قضائي لصاحب الحق فيه متى توافرت شروط ثبوته وممارسته يلزم جهة الإدارة بإقراره أو الاعتراف به وما يترتب على ذلك من آثار [٤١]. كما أن إسباغ هذا الوصف على حق المشاركة الانتخابية يترتب عليه خضوع ثبوته وضوابط ممارسته لإحكام القانون العام ومن ثم فإنه من المتصور خضوع هذا الحق للتقييد أو التعديل وفقا" لنصوص آمرة واجبة النفاذ [٤٢].

ومن التشريعات الدستورية التي جعلت المشاركة الانتخابية حقا سياسيا الدستور العراقي لسنة ٢٠٠٥ إذ أشار إلى أن للمواطنين سواء أكانوا رجالا أم نساء حق التمتع بالحقوق السياسية كحق التصويت وحق الترشيح [٤٣]

٣٥- د.ماجد راغب الحلو، النظم السياسية والقانون الدستوري، منشأة المعارف، الإسكندرية، ٢٠٠٥، ص٥٧

٣٦- د. كمال الغالي، مصدر سابق، ص ٢٠٩

٣٧- د. سعيد السيد علي، المبادئ الأساسية للنظم السياسية وأنظمة الحكم المعاصرة، ط١، دار أبو المجد للطباعة، القاهرة، ٢٠٠٥، ص٣٥١

٣٨- ذكر بتيون وهو أحد رجال الثورة " إن لكل فرد من الأفراد الذين تتألف منهم الجماعة حق مقدس في الاشتراك في سن القوانين، فلا يجوز حرمان أحد من هذا الحق مهما كانت العلة"

أشار إليه د.محمود حلمي، المبادئ الدستورية العامة، دار الفكر العربي، الإسكندرية، ١٩٦٥، ص٣٨٠

٣٩- د.داود ألباز، النظم السياسية، مصدر سابق، ص٢٤٣

٤٠- د.مصطفى محمود عفيفي، الوجيز في مبادئ القانون الدستوري والنظم السياسية المقارنة، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٧، ص١٤٥، ود.رأفت دسوقي، مصدر سابق، ص٨

٤١- فيصل الشنطاوي، النظم السياسية والقانون الدستوري، ط١، الحامد للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠٠٣، ص١٦٨

٤٢- د.صلاح الدين فوزي، النظم والإجراءات الانتخابية- دراسة مقارنة، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٥، ص٥٥، ود.حسام الدين محمد أحمد، الحماية الجنائية للمبادئ الحاكمة للانتخاب السياسي في مراحله المختلفة، دار النهضة العربية، القاهرة، بلا سنة طبع، ص٥٠

٤٣- المادة (٢٠) من الدستور العراقي لسنة ٢٠٠٥

ثالثا": المشاركة الانتخابية بوصفها ذات طبيعة مزدوجة

ذهب جانب من الفقه الدستوري إلى الجمع بين الاتجاهين السابقين في اتجاه واحد وتكييف المشاركة الانتخابية على أنها حق وواجب في الوقت ذاته[٤٤] فالمشاركة الانتخابية إذا كانت حقا فهي في الوقت نفسه وظيفة اجتماعية واجبة الأداء [٤٥] وذلك لتلافي أوجه القصور الموجودة في الاتجاهين السابقين، حيث إن المشاركة الانتخابية ليست حقا مطلقا وإن الأخذ بهذا التكييف على أطلاقه يعاب عليه أن كثيرا" ما تقتضي الاعتبارات العملية حرمان فئات معينة من ممارسة هذا الحق كالمحكوم عليه لارتكابه جرائم تخل بالشرف والأشخاص التي تؤدي مشاركتهم إلى الأضرار بأمن الدولة لفساد المجتمع.

ومن جهة أخرى فإن وصف المشاركة الانتخابية بأنها واجب يفقده أهميته كحق ويجعله رهينا" بإرادة المشرع في تحديد نطاق هيئة المشاركة والذي يعمد دائما" إلى تضييقها تحت تأثير النخب المسيطرة سياسيا" واقتصاديا" على الشأن العام في الدولة[٤٦]

ولذلك ذهب جانب من الفقه المؤيد لهذه النظرية إلى القول بأن الجمع بين فكرتي الحق والوظيفة لا يعني تحقيق هاتين الفكرتين في وقت واحد بل الصحيح أن الانتخاب يعد حقا شخصيا تحميه الدعوى القضائية في البداية وذلك عند قيام الناخب بقيد أسمه في جدول الانتخابات وإنه يتحول إلى مجرد وظيفة تتمثل في الاشتراك في تكوين الهيئات العامة في الدولة عند ممارسة عملية التصويت ذاتها[٤٧]

وأخذ بهذا الاتجاه الدستور العراقي الصادر في تشرين الثاني ١٩٦٣ [٤٨] ونجد النص ذاته في الدستور العراقي لسنة ١٩٦٨ [٤٩]

رابعا": المشاركة الانتخابية بوصفها سلطة قانونية

يذهب جانب كبير من الفقه الدستوري وفي مقدمتهم (بار تملي ودويز) [٥٠] إلى تكييف المشاركة الانتخابية على إنها سلطة قانونية مصدرها الأساس الدستور الذي ينظمها من أجل اشتراك المواطنين في اختيار الحكام [٥١] وبذلك فهي لا تعد حقا" طبيعيا" يجب على المشرع الاعتراف به لكل مواطن بحكم آدميته وإنما هو سلطة قانونية مستمدة من مركز موضوعي ينشئه القانون من أجل مساهمة المواطنين في اختيار السلطات العامة في الدولة[٥٢]

ويرى (بار تملي) أن هذه السلطة القانونية لم تقرر لصاحبها من أجل مصلحته فحسب وإنما قررت كذلك بل وقبل ذلك من أجل الصالح العام[٥٣]

وبذلك تترتب على الأخذ بهذا الاتجاه نتيجتان:

٤٤- من أنصار هذا الاتجاه د.محمد أنس قاسم جعفر، مصدر سابق، ص١٩٦. ود.محمود حلمي، مصدر سابق، ص٣٨٢

٤٥- صلاح جبير ألبصيصي، نظم الانتخاب في العالم ومعطيات الواقع العراقي، ٢٠٠٦، الموقع الالكتروني، مركز الفرات، الرابط الالكتروني: www.fcdrs.com

٤٦- د. إبراهيم عبد العزيز شيحا، النظم السياسية الدولة والحكومات، دار المطبوعات الجامعية، القاهرة، ١٩٩٢، ص٣١٧

٤٧- د.عبد الغني عبد الله بسيوني، مصدر سابق، ٢٢٦

٤٨- د.داود ألباز، النظم السياسية، مصدر سابق، ص٢٤٣

٤٩- د.مصطفى محمود عفيفي، الوجيز في مبادئ القانون الدستوري والنظم السياسية المقارنة، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٧، ص١٤٥، ود.رأفت دسوقي، مصدر سابق، ص٨

٥٠- فيصل الشنطاوي، النظم السياسية والقانون الدستوري، ط١، الحامد للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠٠٣، ص١٦٨

٥١- د.صلاح الدين فوزي، النظم والإجراءات الانتخابية- دراسة مقارنة، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٥، ص٥٥، ود.حسام الدين محمد أحمد، الحماية الجنائية للمبادئ الحاكمة للانتخاب السياسي في مراحله المختلفة، دار النهضة العربية، القاهرة، بلا سنة طبع، ص٥٠

٥٢- المادة (٢٠) من الدستور العراقي لسنة ٢٠٠٥

٥٣- من أنصار هذا الاتجاه د.محمد أنس قاسم جعفر، مصدر سابق، ص١٩٦. ود.محمود حلمي، مصدر سابق، ص٣٨٢

١. لا يمكن للمشرع تعديل شروط المشاركة الانتخابية تخفيفا" أو تشديدا" طبقا" لمعطيات الصالح العام دون حق الاعتراض عليها بفكرة الحق المكتسب[٥٤]
٢. يحق للمواطن عدم ممارسة هذا الحق إذا كان اختياريا" أما إذا كان إجباريا" فيتحمل الجزاء المقرر لذلك[٥٥]

المطلب الثاني: الشروط القانونية للمشاركة الانتخابية

تتجلى أهمية تنظيم المشاركة الانتخابية وتحديد الشروط القانونية اللازمة لممارسة المشاركة الانتخابية في أن التنظيم يساعد على تحديد هيأة الناخبين ومن هم الأفراد الذين يحق لهم المشاركة كناخبين يشاركون في الانتخابات العامة لاختيار النواب عن الشعب على المستوى السياسي أو المحلي.

وبناء" على ما تقدم عمد المشرعون إلى تنظيم المشاركة الانتخابية بوضع شروط معينة لتمتع الفرد بالمشاركة الانتخابية ولممارستها، إذ لا يمكن المشاركة في الانتخابات إلا من قبل من تتوفر فيهم الشروط المطلوبة في قوانين الانتخاب، وإن هذا الأمر لا يتعارض مع مبدأ الديمقراطية الصحيحة ومبدأ عمومية الاقتراع إذ إنه لا يمكن السماح بالمشاركة الانتخابية لمن لا يملك القدرة على ممارستها.

وبذلك سنقوم ببحث هذه الشروط في مطلبين:

الفرع الأول: شروط التمتع بحق المشاركة الانتخابية

الفرع الثاني: شروط ممارسة حق المشاركة الانتخابية

الفرع الأول: شروط التمتع بحق المشاركة الانتخابية

لكي يتمتع الفرد بحق المشاركة الانتخابية لابد من توفر وجود الشروط اللازمة للتمتع بهذا الحق، وأن هذه الشروط تعد بمثابة قواعد مشتركة بين أغلب التشريعات وتتمثل في شرط الجنسية والأهلية الانتخابية.

أولا: الجنسية

الجنسية هي رابطة قانونية سياسية بين الفرد والدولة تنسب وترد كل فرد للدولة التي ينتمي إليها وتسبغ عليه صفة المواطن فيها وتنشأ عنها حقوق وواجبات متقابلة [٥٦]

فمن خصائص الحقوق الانتخابية أن تقتصر ممارستها على مواطني الدولة وحدهم وهم الذين يمكنهم المساهمة في توجيه مصير البلاد وهذا ما أخذ به كل من العراق ومصر وفرنسا [٥٧] مثال ذلك ما نص عليه الدستور العراقي لسنة ٢٠٠٥ " للمواطنين رجالا" ونساء"، حق المشاركة في الشؤون العامة والتمتع بالحقوق السياسية، بما فيها حق التصويت والترشيح" [٥٨]

أما الاجنبي فلا يحق له المشاركة الانتخابية وذلك لأنه بصورة عامة يعوزه الشعور بالولاء نحو الدولة، ومن ثم يصعب التسليم له بممارسة الحقوق السياسية التي تخوله المشاركة في الحكم، مثل حق الانتخاب

٥٤- صلاح جبير ألبصيصي، نظم الانتخاب في العالم ومعطيات الواقع العراقي، ٢٠٠٦، الموقع الالكتروني، مركز الفرات، الرابط الالكتروني: www.fcdrs.com

٥٥- د.عثمان خليل عثمان، مصدر سابق، ص٢٦٠

٥٦- د.حسن الهداوي، الجنسية ومركز الأجانب وأحكامها في القانون العراقي، ط٤، بغداد، بلا سنة طبع، ص١١

٥٧- د.علي يوسف ألشكري، مبادئ القانون الدستوري والنظم السياسية، ط١، ايتراك للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٤، ص٣٠١

٥٨- المادة (٢٠) من الدستور العراقي لسنة ٢٠٠٥

وحق الترشيح للمجالس النيابية والبرلمانية[٥٩] فالجنسية هي الوسيلة الوحيدة التي يمكن أن تفتح لهم الطريق إلى صناديق الاقتراع.

ويذهب جانب من الفقه الدستوري إلى أنه لا يجوز منح الأجنبي حق الانتخاب ومن باب أولى حق الترشيح لأنه لا يدين للوطن بالولاء ولا يأبه بما يحقق مصلحته العامة وتقدمه ومن المسلم به ألا يشارك في حكم البلد إلا أبناؤه [٦٠]

وإزاء اشتراط حصول الأجنبي على الجنسية لممارسة حقوقه السياسية ومنها حق المشاركة الانتخابية، فقد صدر في هذا الصدد اتجاهان، اتجاه يعمل على التمييز بين صاحب الجنسية الأصلية وصاحب الجنسية المكتسبة، إذ لا يحق للأخير ممارسة حقوقه السياسية إلا بعد مضي مدة زمنية معينة، يتم التأكد من خلالها مدى ولائه للدولة صاحبة الجنسية وتسمى هذه الفترة بفترة الاستيثاق [٦١] أما الاتجاه الثاني فلا يفرق بين صاحب الجنسية الأصلية وصاحب الجنسية المكتسبة في هذا الشأن [٦٢]

وقد أحال المشرع الدستوري العراقي تنظيم شروط الناخب إلى القانون العادي وفق المادة (٤٩/ثالثا") من الدستور العراقي لسنة ٢٠٠٥ حيث أشار إلى أنه "ينظم بقانون شروط المرشح والناخب وكل ما يتعلق بالانتخاب"وأشار المشرع الدستوري إلى انه تنظم أحكام الجنسية بقانون [٦٣] وعند الرجوع إلى قانون الانتخابات رقم (١٦) لسنة ٢٠٠٥ [٦٤] فقد نص في المادة الثالثة منه " يشترط في الناخب أن يكون: ١- عراقي الجنسية...." ويعد عراقي الجنسية وفق المادة الثانية قانون الجنسية رقم ٢٦ لسنة ٢٠٠٦ [٦٥] كل من حصل على الجنسية العراقية بموجب أحكام قانون الجنسية العراقية رقم (٤٢) لسنة ١٩٢٤ الملغي وقانون الجنسية رقم (٤٣) لسنة ١٩٦٣ وقانون منح الجنسية العراقية للعرب رقم (٥) لسنة ١٩٧٥ وقرارات مجلس قيادة الثورة المنحل (الخاصة بمنح الجنسية العراقية)، وقد أشار قانون الجنسية في المادة التاسعة منه " يتمتع غير العراقي الذي يحصل على الجنسية العراقية بطريق التجنس وفقا للمواد الرابعة والخامسة والسادسة والسابعة والحادية عشرة من هذا القانون بالحقوق التي يتمتع بها العراقي إلا ما استثنى بقانون خاص...."، وبالنسبة للمرأة غير العراقية المتزوجة من عراقي فيحق لها ممارسة حق الانتخاب بعد مضي مدة خمس سنوات على زواجها وإقامتها في العراق خلال هذه المدة وبتحقق باقي الشروط المنصوص عليها في المادة (١/١١) من قانون الجنسية رقم ٢٦ لسنة ٢٠٠٦.

ونلاحظ إن المشرع العراقي قد اخذ بالاتجاه الثاني فيما يتعلق بممارسة حق الانتخاب فهو لم يفرق بين المواطن الأصلي والمجنس بالنسبة لحق الانتخاب [٦٦] إلا انه لم يستمر على الاتجاه ذاته عند تنظيمه لحق

٥٩- د.هشام علي صادق، الجنسية والمواطن ومركز الأجانب، المجلد الثالث في مركز الأجانب، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٧٧، ص٨٠

٦٠- د.سعاد الشرقاوي، القانون الدستوري والنظام السياسي المصري، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠١، ص٢٢٦. ود.رأفت فودة، دراسة تحليلية لقضاء مجلس الدولة المصري في مجال الطعون الانتخابية، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠١، ص١٤٨

٦١- د.سعيد السيد علي، مصدر سابق، ص٣٥٩

٦٢- د.حسن البدراوي، الأحزاب السياسية والحريات العامة، دراسة تأصيلية وتحليلية مقارنة في ١- حرية تكوين الأحزاب ٢- حرية النشاط الحزبي ٣- حق تداول السلطة، دار المطبوعات الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٠، ص٧١٦

٦٣- المادة(١٨/سادسا") من الدستور العراقي لسنة ٢٠٠٥

٦٤- الوقائع العرقية، العدد ٤٠١٠ بتاريخ٢٣/١١/٢٠٠٥

٦٥- الوقائع العراقية، العدد ٤٠١٩ الصادر بتاريخ ٧ آذار ٢٠٠٦

٦٦- لا تمنح الجنسية العراقية للأجنبي إلا بعد إقامته بصورة مشروعة في العراق لمدة لا تقل عن عشر سنوات متتالية سابقة على تقديمه الطلب / المادة ٦ من قانون الجنسية رقم ٢٦ لسنة ٢٠٠٦.

الترشيح بل كان أكثر تشددا باشتراطه مضي مدة عشر سنوات على تجنس الأجنبي بالجنسية العراقية لكي يكون عضوا في هيأة البرلمان، فقد أشار قانون الجنسية إلى انه

" لا يجوز لغير العراقي الذي يحصل على الجنسية العراقية بطريق التجنس وفقا للمواد الرابعة[٦٧] والخامسة [٦٨]والسادسة [٦٩] والسابعة[٧٠] والحادية عشر[٧١] من هذا القانون أن يكون وزيرا أو عضوا في هيئة برلمانية قبل مضي عشر سنوات على تاريخ اكتسابه الجنسية العراقية " [٧٢]

نلاحظ إن المشرع العراقي عند تنظيمه لحق الترشيح قد ميز ما بين صاحب الجنسية الأصلية وصاحب الجنسية المكتسبة فاشترط مضي مدة عشر سنوات قبل ممارسة الأخير لحقه في الترشيح لعضوية البرلمان، وكان يجدر بالمشرع العراقي اقتصار الترشيح على صاحب الجنسية الأصلية وذلك للتأكد من مدى ولائه للوطن.

هذا في حالة إذا كان الفرد يتمتع بجنسية واحدة متمثلة بجنسية الدولة التي ينتمي إليها ويمارس فيها حقه في المشاركة الانتخابية، أما في حالة تعدد الجنسية ويقصد به " الوضع القانوني الذي يكون فيه لنفس الشخص جنسية دولتين أو أكثر وذلك وفقا لقانون كل دولة من الدول التي يحمل هذا الشخص جنسيتها" [٧٣].

فقد أجاز الدستور العراقي تعدد الجنسية بصريح العبارة وفق المادة (١٨/ رابعا) " يجوز تعدد الجنسية العراقية.... " وكذلك أشار قانون الجنسية رقم ٢٦لسنة ٢٠٠٦ في المادة العاشرة إلى جواز احتفاظ العراقي بالجنسية العراقية في حالة اكتسابه جنسية أخرى ما لم يعلن تحريريا تخليه عن الجنسية العراقية، وبذلك فإن

٦٧- تشير المادة الرابعة إلى " للوزير أن يعتبر من ولد خارج العراق من أم عراقية وأب مجهول أو لا جنسية له عراقي الجنسية إذا اختارها خلال سنة من تاريخ بلوغه سن الرشد إلا إذا حالت الظروف الصعبة دون ذلك بشرط أن يكون مقيما" في العراق وقت تقديمه طلب الحصول على الجنسية العراقية "

٦٨- والتي تشير إلى " للوزير أن يعتبر عراقيا" من ولد في العراق وبلغ سن الرشد فيه فيه من أب غير عراقي مولود فيه أيضا" وكان مقيما فيه بصورة معتادة عند ولادة ولده، بشرط أن يقدم الولد طلبا" بمنحه الجنسية العراقية "

٦٩- والتي تشير إلى " أولا": للوزير أن يقبل تجنس غير العراقي عند توافر الشروط الآتية:

أن يكون بالغا" سن الرشد.

دخل العراق بصورة مشروعة ومقيما فيه عند تقديم طلب التجنس ويستثنى من ذلك المولودون في العراق والمقيمون فيه والحاصلون على دفتر الأحوال المدنية ولم يحصلوا على شهادة الجنسية.

أقام في العراق بصورة مشروعة مدة لا تقل عن عشر سنوات متتالية على تقديم الطلب.

أن يكون حسن السلوك والسمعة ولم يحكم عليه بجناية أو جنحة مخلة بالشرف.

أن يكون له وسيلة جلية للتعيش.

أن يكون سالما" من الأمراض الانتقالية.

ثانيا": لا يجوز منح الجنسية العراقية للفلسطينيين ضمانا لحق عودتهم إلى وطنهم.

ثالثا": لا تمنح الجنسية العراقية لأغراض سياسة التوطين السكاني المخل بالتركيبة السكانية في العراق.

رابعا": يعاد النظر في جميع قرارات منح الجنسية العراقية التي أصدرها النظام السابق لتحقيق أغراضه.

٧٠- والتي تشير إلى " للوزير أن يقبل تجنس غير العراقي المتزوج من امرأة عراقية الجنسية إذا توافرت فيه الشروط الواردة في المادة (٦) من هذا القانون. على أن لا تقل مدة الإقامة المنصوص عليها في الفقرة (ج) من البند (أولا) من المادة (٦) من هذا القانون عن خمس سنوات مع بقاء الرابطة الزوجية "

٧١- والتي تشير إلى " للمرأة غير المتزوجة من عراقي أن تكتسب الجنسية العراقية بالشروط الآتية:

تقديم طلب إلى الوزير.

مضي مدة خمس سنوات على زواجها وإقامتها في العراق.

استمرار قيام الرابطة الزوجية حتى تاريخ تقديم الطلب ويستثنى من ذلك من كانت مطلقة أو توفي عنها زوجها وكان لها من مطلقها أو زوجها المتوفى ولد. "

٧٢- المادة ٩/ثانيا من قانون الجنسية رقم ٢٦ لسنة ٢٠٠٦

٧٣- د.حفيظة السيد الحداد، الموجز في الجنسية ومركز الأجانب، ط١، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، ٢٠٠٥، ص٦٥

المشرع لم يمنع الفرد في حالة تمتعه بأكثر من جنسية من ممارسة حقه في المشاركة الانتخابية إذ انه اكتفى باشتراط أن يكون متمتعا" بالجنسية العراقية.

ثانياً: الأهلية

تنقسم الأهلية الانتخابية في مجال المشاركة الانتخابية إلى أهلية سياسية وأهلية عقلية وأهلية أدبية:

١- الأهلية السياسية:

يحدد المشرع في كل دولة سنا" معينة في الفرد حتى يستطيع المشاركة في ممارسة حقوقه الانتخابية إذا استوفى الشروط الأخرى [٧٤] وبلوغ السن المطلوبة للمشاركة الانتخابية قرينة على نضج المواطن وقدرته على إدراك الأمور العامة وممارسة حقوقه السياسية [٧٥].

وإن مفهوم سن الرشد السياسي يختلف عن مفهوم سن الرشد المدني حيث إن سن الرشد السياسي هو السن الذي يصبح للفرد فيها حق مباشرة حقوقه السياسية غير سن الرشد المدني الذي يكون الفرد فيه كامل الأهلية في تصريف شؤونه الخاصة [٧٦] غير انه إذا كانت كل الأنظمة السياسية تلتقي فيما بينها فيما يتعلق باشتراط بلوغ سن معينة لممارسة حق الترشيح، إلا أنها تختلف عن بعضها فيما يتعلق بتحديد السن المطلوبة لذلك [٧٧].

في العراق ذكرنا سلفا أن المشرع الدستوري أحال تنظيم شروط المشاركة الانتخابية إلى قانون الانتخابات العراقي رقم ١٦ لسنة ٢٠٠٥ والذي أشار إلى أنه " يشترط في الناخب أن يكون: ٣- أكمل الثامنة عشرة من عمره في الشهر الذي تجري فيه الانتخابات " [٧٨] وبذلك يحق للمواطن الاشتراك في عملية الانتخابات متى أكمل الثامنة عشرة من عمره وهو سن يتفق مع سن الرشد المدني.

وبالنسبة الى شخص المرشح لعضوية مجلس النواب فقد نص القانون سالف الذكر على أنه " يشترط في المرشح أن يكون ناخبا بالإضافة إلى ما يأتي: ١- لا يقل عمره عن ثلاثين سنة.." [٧٩]

ويلاحظ أن المشرع يشدد عادة عند تحديده لسن المرشح لعضوية البرلمان وذلك لكي يكون لديه الحد الأدنى من الخبرة والحنكة السياسية التي تمكنه من تولى هذه المناصب والقيام بأعبائها الصعبة.

٢- الأهلية العقلية:

يشترط لتمكن الناخب أو الناخبة من ممارسة حقهم في المشاركة الانتخابية أن تتمتع بقوى عقلية سليمة يتحقق بها الإدراك اللازم لممارسة الحقوق الانتخابية، وبحالة ذهنية ونفسية سليمة تمكنهم من إدراك الأمور إدراكا" صحيحا"، وتمتع الفرد بهذه القوى يكون في حالة إذا لم يكن مصاب بمرض عقلي أو ذهني أو نفسي مثل الجنون أو العته أو الهذيان أو الاضطراب النفسي أو الانفصام في الشخصية أو أي مرض عقلي أو نفسي آخر، يؤثر على إدراك الفرد ويؤثر بالتالي على أهليته لممارسة حقه في المشاركة الانتخابية[٨٠]، وان

٧٤- د.حسن البد راوي، مصدر سابق، ص٧١٩

٧٥- د.جورجي شفيق ساري، دراسات وبحوث حول الترشيح للمجالس النيابية، مصدر سابق، ص٦٧

٧٦- د.سعيد السيد علي، مصدر سابق، ص ٣٦١

٧٧- د.جورجي شفيق ساري، دراسات وبحوث حول الترشيح للمجالس النيابية، مصدر سابق، ص٦٧

٧٨- المادة الثالثة من قانون الانتخابات رقم ١٦ لسنة ٢٠٠٥

٧٩- المادة السادسة من قانون الانتخابات رقم ١٦ لسنة ٢٠٠٥

٨٠- CHARLS DEBBASCH et AUTRES. DR. Const;et;inst;poli;Paris:Economica 1988.p:465 et.s أشار إليه د. داود ألباز، القيد في جداول الانتخاب ومنازعاته أمام القضاء دراسة في فرنسا ومصر، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٥، ص٨.

الحرمان من ممارسة المشاركة الانتخابية بسبب فقدان الأهلية العقلية مؤقت ينتهي بزوال السبب، وبذلك فهو لا يحمل معنى الجزاء[٨١].

وقد أشار القانون الانتخابي رقم ١٦ لسنة ٢٠٠٥ في المادة الثالثة منه " يشترط في الناخب أن يكون: ٢- كامل الأهلية.... " إلا أن المشرع لم يوضح ما المقصود بكمال الأهلية هل يقصد بها الأهلية العقلية أم الأهلية الأدبية أو كلاهما بالإضافة إلى انه لم يحدد الحالات التي يفقد بها الأهلية العقلية، ونجد الشرط ذاته بالنسبة للمرشح لعضوية مجلس النواب في المادة (٤٩/ ثانيا) من الدستور العراقي لسنة ٢٠٠٥.

٣- الأهلية الأدبية:

يقصد بالأهلية الأدبية اكتمال الاعتبار لدى الفرد، ويفقد الشخص أهليته الأدبية في حالة الإدانة لارتكاب جرائم كبرى، أو جرائم تمس الشرف والاعتبار كالسرقة والنصب وغيرها، ففي هذه الحالة يحرم من ممارسة حقوقه حتى يرد إليه اعتباره، وبذلك فان هذا الحرمان يحمل معنى الجزاء لارتكابه أفعال غير مشروعة[٨٢] وتكاد تجمع الدساتير وقوانين الانتخاب على أنه يلزم لتمتع الفرد بحق المشاركة الانتخابية لابد أن يكون متمتعا بالأهلية الأدبية إلا إنها لا تتوسع في هذا المجال وإنما تحصره في نطاق ضيق[٨٣]

وفرقت التشريعات في هذا الصدد بين أنواع الجرائم المرتكبة ففي حالة ارتكاب جناية فانه يحرم من ممارسة حقوقه السياسية بصورة مؤبدة وبقوة القانون دون الحاجة إلى النص عليها في الحكم، أما الجنح فلا يحرم مرتكبها من المشاركة السياسية إلا عند النص عليها في الحكم وبذلك يكون الحرمان مؤقتا، أما المخالفات فلا يترتب عليها الحرمان من المشاركة الانتخابية، في كل الأحوال يزول هذا الحرمان في حالة العفو الشامل عن الجريمة المرتكبة أو إذا رد الاعتبار بإجراء قضائي [٨٤]

اكتفى المشرع العراقي كما ذكرنا سابقا عند بحثنا في شرط الأهلية العقلية بالنص على شرط كمال الأهلية بالنسبة للناخب وفق قانون الانتخابات رقم ١٦ لسنة ٢٠٠٥ دون تحديد لنوع الأهلية وكذلك الجرائم التي يفقد الشخص بها الأهلية الأدبية.

وبالرجوع إلى قانون العقوبات العراقي رقم ١١١ لسنة ١٩٦٩ المعدل نجده قد حدد الجرائم المخلة بالشرف في المادة (٢١) حيث ذكر أن " الجرائم المخلة بالشرف كالسرقة والاختلاس والتزوير وخيانة الأمانة والاحتيال والرشوة وهتك العرض"

علاوة على ذلك أشار المشرع الجنائي العراقي كعقوبة تبعية في المادة (٩٦) تفرض وبحكم القانون على كل من حكم عليه بالسجن المؤبد أو المؤقت من يوم صدور الحكم وحتى إخلاء سبيل المحكوم عليه أن يكون ناخبا أو منتخبا في المجالس التمثيلية.ويفيد هذا الحرمان أن المحكوم عليه طيلة مدة وجوده في قسم الإصلاح الاجتماعي، يحرم من حقه في أن يكون ناخبا أو منتخبا في المجالس التمثيلية، بكلمة أخرى لا يحق له أن يدلي بصوته لمصلحة احد، كما لا يمكنه مباشرة هذه الحقوق بسبب وجوده في قسم الإصلاح

٨١- المادة (٥/١) من القسم الأول من النظام رقم ١ لسنة ٢٠٠٥

٨٢- عماد كاظم دحام، حق المشاركة في الحياة السياسية –دراسة مقارنة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بابل، كلية القانون، ٢٠٠٧، ص٦٣.

٨٣- د. إبراهيم عبد العزيز شيحا، مصدر سابق، ص٢٧٧.

٨٤- رشاد احمد يحي الرصاص، النظام الانتخابي في الجمهورية اليمنية - دراسة مقارنة، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة عين الشمس، كلية الحقوق، ١٩٩٥، ص٤٢٣، و د. حسن البد راوي، مصدر سابق، ص٧٤٠.

الاجتماعي ينفذ عقوبة فرضت عليه بحكم قضائي، ثم إن الحرمان مؤقت ينقضي بانتهاء مدة العقوبة التي من اجلها وجد في قسم الإصلاح الاجتماعي [٨٥]

واشترط المشرع الدستوري في المرشح أو المرشحة لرئاسة الجمهورية أن يكون غير محكوم عليه بجريمة مخلة بالشرف [٨٦]

الفرع الثاني: شروط ممارسة حق المشاركة الانتخابية

إن مجرد توافر شروط التمتع بحق المشاركة الانتخابية في أي شخص لا يكفي لوحده، وإنما يجب أن تتوفر شروط أخرى، لكي يستطيع الشخص ممارسة أو استعمال هذا الحق، وبناء" على ما تقدم سوف نبحث هذه الشروط في الفقرتين الآتيتين: -

أولا": القيد في سجل الناخبين

ثانيا": الإقامة

أولا": القيد في سجل الناخبين

السجل الانتخابي هو الكشف الذي يحتوي على أسماء من لهم حق الانتخاب، وهي قوائم قاطعة في دلالتها يوم الانتخاب على اكتساب عضوية هيأة المشاركة، بحيث لا يجوز حينذاك إثبات عكس ما جاء فيها.

وعرف الفقه الفرنسي السجل الانتخابي هو الوثيقة التي تحصي الناخبين، وترتب فيها أسماءهم ترتيبا هجائيا، وتحتوي على البيانات المتعلقة من حيث اسمه الشخصي والعائلي ومحل الإقامة أو السكن في الدائرة [٨٧]

وأشار قانون الانتخابات العراقي رقم ١٦ لسنة ٢٠٠٥ إلى هذا الشرط في المادة الثالثة من هذا القانون حيث نصت على أن " يشترط في الناخب أن يكون: ٤ – مسجلا للإدلاء بصوته وفقا للإجراءات الصادرة عن المفوضية العليا المستقلة للانتخابات في العراق وعرف السجل الانتخابي في النظام رقم (١) لسنة ٢٠٠٥ الخاص بسجل الناخبين والصادر عن المفوضية العليا للانتخابات في العراق بإنه " سجل يحتوي على أسماء الناخبين المؤهلين للتصويت في الاستفتاء على مسودة الدستور وانتخابات الجمعية الوطنية " [٨٨]

وبالنسبة للمرشح لمجلس النواب فقد اشترط قانون الانتخابات في المرشح أن يكون ناخبا (أي تتوافر فيه جميع الشروط المتعلقة بالناخب ومنها أن يكون مسجلا في سجل الناخبين وذلك بموجب المادة ٦ والتي أشارت إلى " يشترط في المرشح أن يكون ناخبا... " وقد تم التأكيد على هذا الشرط في الفقرة الأولى من المادة الخامسة من نظام رقم ٩ لسنة والصادر عن ٢٠٠٥ المفوضية العليا المستقلة للانتخابات.

ويعد شرط القيد في السجل الانتخابي الشرط القانوني لممارسة الحقوق الانتخابية [٨٩] وان القيد في السجل الانتخابي هو إجراء إقراري لحق الانتخاب وليس عملا إنشائيا له حيث إن هذا الحق يثبت للفرد

٨٥- د. سعاد الشرقاوي و د. عبد الله ناصف، نظم الانتخابات في العالم وفي مصر، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٤، ص٢٨٢.

٨٦- محمود عيد، نظام الانتخاب في التشريع المصري المقارن، أطروحة دكتوراه منشورة، كلية الحقوق، جامعة فؤاد الأول، القاهرة، ١٩٤١، ص١١٢.

٨٧- CHARLS DEBBASCH et AUTRES. DR. Const;et;inst;poli;Paris:Economica 1988.p:465 et.s
أشار إليه د. داود ألباز، القيد في جداول الانتخاب ومنازعاته أمام القضاء دراسة في فرنسا ومصر، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٥، ص٨.

٨٨- المادة (٥/١) من القسم الأول من النظام رقم ١ لسنة ٢٠٠٥

٨٩- عماد كاظم دحام، حق المشاركة في الحياة السياسية –دراسة مقارنة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بابل، كلية القانون، ٢٠٠٧، ص٦٣.

بمجرد توافر الشروط سالفة الذكر، أما القيد في سجل الناخبين فلا يعدو أن يكون قرينة على تمتع كل من أدرج اسمه في السجل بالحق الانتخابي [٩٠]

ونظرا لأهمية هذا الشرط لذلك سوف نبحثه في النقطتين الاتيتين: -

١- خصائص السجل الانتخابي

أ- صفة العمومية:

صفة العمومية تأتي من كون إن السجل يعد على مستوى المركز في الدائرة ففي كل دائرة جدول واحد يكون صالحا لكل الانتخابات ذات الطابع السياسي، انتخابات الرئاسة، مجلس النواب والمجالس المحلية وغيرها [٩١].

ب - صفة الدوام:

يراد بصفة الدوام أن يكون الجدول الانتخابي معدا مسبقا على سبيل الدوام والاستمرار، دون أن يخل ذلك باستبقاء الإجراءات الواجبة الإتباع نحو الجدول لاسيما المراجعة، حيث يتم مراجعة السجل الانتخابي على كل المستويات سنويا والتي تتعلق بإضافة أسماء من بلغوا سن الرشد السياسي خلال هذه السنة وحذف أسماء من فقد صفة الناخب في حين تذهب بعض الدول إلى مراجعة السجل الانتخابي قبل إجراء العمليات الانتخابية الهامة [٩٢]

صفة دوام السجل الانتخابي تعد ضمانة لعدم المساس بما يغير من هذه السجلات حيث إن دوام السجل الانتخابي مدة كبيرة مع الإضافة والحذف السنوي يقرب السجل الانتخابي من مطابقة الواقع بقدر الإمكان [٩٣]

ومن هنا فان الناخبين المقيدة أسماؤهم في السجل الانتخابي ينشئ ذلك القيد قرينة لصالحهم على استمرار قيدهم وان هذه القرينة لا تسقط إلا بتقديم الدليل على أن الناخب أو الناخبة لم تعد مستوفية لشروط اكتساب صفة الناخب المنصوص عليها في قانون الانتخاب[٩٤]

٢- أنظمة القيد في السجل الانتخابي

أ- نظام القيد الإرادي والقيد التلقائي:

نظام القيد الإرادي هو نظام يقوم على مبادرة الناخب بنفسه واتصاله المباشر بمكتب التسجيل في تاريخ معين، حيث يقوم الناخب بتقديم طلب شخصي إلى مكتب التسجيل لإدراج اسمه في السجل الانتخابي أو حذفه

أما القيد التلقائي فيعتمد هذا النظام على قيام الجهات الإدارية المختصة بأعداد السجل الانتخابي من واقع المعلومات المتوفرة لديها عن كل شخص دون حاجة لتقديم طلب من قبل الناخب إلى الجهة الإدارية المختصة لإدراج اسمه حيث تقوم جهة الإدارة بذلك من تلقاء نفسها دون القيام بأي اتصال شخصي مع

٩٠- د. إبراهيم عبد العزيز شيحا، مصدر سابق، ص٢٧٧.

٩١- رشاد احمد يحي الرصاص، النظام الانتخابي في الجمهورية اليمنية - دراسة مقارنة، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة عين الشمس، كلية الحقوق، ١٩٩٥، ص٤٢٣، و د. حسن البد راوي، مصدر سابق، ص٧٤٠.

٩٢- د. سعاد الشرقاوي و د. عبد الله ناصف، نظم الانتخابات في العالم وفي مصر، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٤، ص٢٨٢.

٩٣- محمود عيد، نظام الانتخاب في التشريع المصري المقارن، أطروحة دكتوراه منشورة، كلية الحقوق، جامعة فؤاد الأول، القاهرة، ١٩٤١، ص١١٢.

٩٤- د. داود ألباز، القيد في جدول الانتخابات ومنازعاته أمام القضاء دراسة في فرنسا ومصر، مصدر سابق، ص٦٠.

الناخبين [٩٥] وهذا ما هو متبع في العراق وفق المادة ٧ من القسم الثالث من النظام رقم ٢ لسنة ٢٠٠٤ وقد جاء فيه " أية معلومات يحتويها سجل الناخبين ولم يتم تعديلها تعتبر صحيحة "

ب- نظام القيد الإلزامي والقيد الغير إلزامي:

يستوجب نظام القيد الإلزامي تسجيل اسم الشخص في السجل الانتخابي قبل أن يتقدم للانتخاب أي أن الشخص لا يستطيع ممارسة حقوقه الانتخابية ما لم يكن اسمه مدرجا في سجل الانتخاب خلال الفترة المحددة من قبل حلول موعد التقدم إلى صناديق الاقتراع، بغض النظر عن تحديد من يقع عليه هذا الالتزام سواء كان الشخص نفسه أم الجهة المكلفة بإعداد الجداول الانتخابية[٩٦]

وقد اشترط قانون الانتخابات العراقي رقم ١٦ لسنة ٢٠٠٥ في الناخب أن يكون مسجلا للإدلاء بصوته وفقا للإجراءات الصادرة عن المفوضية العليا المستقلة للانتخابات[٩٧]

أما نظام القيد غير الالزامي فهذا النظام لا يستوجب لكي يمارس الشخص حقه في الانتخابات أن يكون اسمه مدرجا في السجل الانتخابي[٩٨]

ج- نظام القيد الدائم والقيد الدوري:

يقتضي نظام القيد الدوري إعداد السجل الانتخابي كل سنة أو سنتين أو أربع سنوات، إلا أن هذا النظام لم يستطع الصمود في الوقت الحاضر لمواجهة نظام القيد الدائم ولذلك اخذ نظام القيد الدوري بالتراجع تدريجيا ليحل محله في معظم الدول نظام القيد الدائم.

ونظام القيد الدائم هو النظام الذي بمقتضاه يقوم الشخص بتقديم طلب إلى الجهة الإدارية المكلفة بالتسجيل لقيد اسمه في الجداول الانتخابية مرة واحدة، فإذا ما تبين لجهة الإدارة المكلفة بالتسجيل أن الشخص قد استوفى شروط الأهلية الانتخابية وتم قبول طلبه وتم قيده في السجل الانتخابي فان اسمه يظل مقيدا في السجل الانتخابي ما لم يغير محل إقامته أو يفقد أهليته الانتخابية ويذهب أنصار هذا النظام إلى أنه لا يوجد مبرر على الإطلاق لقيام الشخص بإعادة قيده[٩٩].

في العراق يبدو للوهلة الأولى أن النظام المتبع في الانتخابات العراقية هو نظام القيد الدوري وذلك بسبب إجراء حملات تسجيل قبل كل انتخابات برلمانية شهدها العراق بعد تغيير النظام السياسي عام ٢٠٠٣، إلا أن الحقيقة أن النظام المتبع في العراق هو نظام القيد الدائم، أما تلك الحملات فقد كانت مخصصة لتصحيح ما قد اعترى السجل من أخطاء أو تغيرات كالوفاة أو الانتقال، أو لتسجيل الناخبين الجدد من الذين بلغوا العمر الانتخابي، وغير ذلك من التغيرات التي تطرأ على مفردات السجل الانتخابي، أما من أدرج اسمه في السجل ولم تحدث على بياناته أية تغيرات فان قيده يعد مستمرا" وصحيحا" [١٠٠]

ثانيا: الإقامة

لاشك أن شرط الإقامة مرتبط بشكل جوهري بشرط القيد في السجل الانتخابي، حيث إن الشخص لا يقيد اسمه إلا في الدائرة الانتخابية التي تقع في النطاق الجغرافي الذي يقيم فيه واسمه مدرج في جداولها.

٩٥- د. سليمان الغويل، مصدر سابق، ص٩٩.

٩٦- عماد كاظم دحام، مصدر سابق، ص٦٦.

٩٧- المادة (٣ فقرة ٤) من قانون الانتخابات رقم ١٦ لسنة ٢٠٠٥المعدل.

٩٨- المادة ٤ من قانون مباشرة الحقوق السياسية رقم ٧٣ لسنة ١٩٥٦.

٩٩- د. سليمان الغويل، المصدر نفسه، ص١٠١- ١٠٢.

١٠٠- سعد مظلوم عبد الله العبدلي، ضمانات حرية ونزاهة الانتخابات – دراسة مقارنة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية القانون، جامعة بابل، ٢٠٠٧، ص١٣٧

وفي العراق خصص المشرع مراكز انتخابية للعراقيين المقيمين في خارج العراق تحددها المفوضية العليا المستقلة للانتخابات العراقية المستقلة[١٠١] وقد تولت السفارات العراقية في بعض الدول المختارة تنظيم وتنفيذ الاقتراع بمساعدة منظمات الأمم المتحدة المختصة بعد ان قامت مؤسسة IOM (المنظمة الدولية للهجرة) بتنظيم وتنفيذ التصويت خارج العراق ويجري التصويت في الخارج في ١٥ دولة هم: الأردن، وإيران، وسوريا، ولبنان، وكندا، والنمسا، و استراليا، وألمانيا، وتركيا، والولايات المتحدة، والسويد، والدنمارك، وبريطانيا، وهولندا، والإمارات العربية[١٠٢]

المبحث الثاني: أشكال المشاركة الانتخابية

تتألف عملية المشاركة الانتخابية من مرحلتين هما مرحلة الترشيح ومرحلة التصويت، وان إعمال مبدأ الديمقراطية يتطلب فتح باب الترشيح على مصراعيه وبصورة متساوية أمام جميع المواطنين لاكتساب صفة المرشح وهو ما يسمى بمبدأ " عمومية الترشيح " وان تقييد هذا المبدأ بتحديد طائفة من الشروط الموضوعية لابد أن يخضع لمعايير قانونية بعيدة كل البعد عن الاتجاهات السياسية والحزبية أو الأعراف القبلية التي تسود المجتمع وتسيطر عليه[١٠٣]

أما مرحلة التصويت فإنها تعد أهم مراحل العملية الانتخابية، فبواسطته يعبر كل ناخب بإرادتهم الحرة عن موقفهم بشأن انتخاب مرشح أو مرشحة معينة، مما يترتب عليه آثار قانونية كانتخاب أعضاء المجالس النيابية الإقليمية والمحلية أو اختيار أعضاء السلطة التنفيذية.

وبناء على ما تقدم سيتم تقسيم المبحث إلى مطلبين:

المطلب الأول: حق الترشيح

المطلب الثاني: حق التصويت

المطلب الأول: حق الترشيح

ستناول في هذا المبحث مضمون حق الترشيح، ومن ثم التنظيم القانوني لحق المرأة في الترشيح في مطلبين وهما:

الفرع الأول: مفهوم حق الترشيح

الفرع الثاني: التنظيم القانوني لحق الترشيح

الفرع الأول: مفهوم حق الترشيح

يعد حق الترشيح تجسيدا حقيقيا" للبعد الديمقراطي في إتاحة الفرصة للمواطنين في المشاركة الفعلية في إدارة شؤون بلادهم من خلال التمثيل النيابي، فضلا عن تفعيله لممارسة المواطنين لحقهم في انتخاب من يمثلهم في المجالس النيابية [١٠٤]

وقد حرصت المحكمة الدستورية المصرية على تأكيد أهمية حق الترشيح وكفالته وأنه لا ينبغي للسلطة التشريعية النيل منه، وحرصت المحكمة على المراقبة وبحزم لأية نصوص تقيد من حق الترشيح لما له من قيمة دستورية، وأوضحت ذلك في أحكام عديدة لها[١٠٥]

١٠١- المادة ١٩ من قانون الانتخابات العراقي رقم ١٦ لسنة ٢٠٠٥

١٠٢- العراقيون يصوتون في الخارج، مقال منشور على شبكة النت في الموقع الالكتروني: www.niqash.org

١٠٣- د.مصطفى عفيفي، نظامنا الانتخابي في الميزان، مصدر سابق، ص١٨٣

١٠٤- د.هشام عبد المنعم عكاشة، مصدر سابق، ص١١١

١٠٥- حكم المحكمة في القضية رقم ٨ لسنة ٧ ق، جلسة ١٥ ابريل ١٩٨٩، وحكمها الصادر في ١٦ مايو ١٩٨٧ وحكمها الصادر في ١٥ ابريل ١٩٨٩، أشار إلى الأحكام د.داود ألباز، حق المشاركة في الحياة السياسية، مصدر سابق، ص٣٠٧

كما أكد المجلس الدستوري في فرنسا على أهمية حق الترشيح وكفالة الدستور له، بإقراره بعدم جواز تغيير هذا الحق بالنسبة للبعض دون البعض الآخر بناء على اعتبارات الجنسية أو السن أو الأهلية [١٠٦].

وبناء" على ذلك يمكن تعريف حق الترشيح بأنه (الحق في أن يكون الفرد نائبا عن الشعب ويمارس مظاهر السيادة نيابة عنه) [١٠٧]

الفرع الثاني: شروط الترشيح

إن من أهم المبادئ الدستورية التي تحرص الدولة الديمقراطية على تطبيقها والالتزام بمضمونها في انتخاباتها العامة اعتناق مبدأ حرية الترشيح، والذي تم بموجبه فتح باب المنافسة على مصراعيه للفوز بأصوات الناخبين أمام أكبر عدد من المرشحين لنيل مقاعد العضوية بالمجالس النيابية، لكن ذلك لا يعنى بكل حال من الأحوال أن يخلو حق الترشيح من شروط قانونية تنظمه، ولما كانت مهمة النائب أهم وأدق من مهمة الناخب ولذلك كان طبيعيا" أن تكون الشروط التي يستلزمها المشرع في المرشح أشد منها في الناخب، وأولى هذه الشروط أن يكون المرشح ناخبا" وفقا" لقاعدة (كل مرشح ناخب) أي يجب أن تتوفر في المرشح بدء" شروط الناخب مع الأخذ بنظر الاعتبار التشدد الذي أشترطه المشرع بالنسبة للمرشح وهذا ما بحثناه في الفصل الأول وهو شرط الجنسية والأهلية الانتخابية وشرط الإقامة والقيد في السجل الانتخابي، علاوة على هذه الشروط العامة التي يشترك فيها المرشح والناخب، وخص المشرع المرشح ببعض الشروط التي يتطلبها أهمية الدور الذي يمارسه والمتمثلة بشرط الولاء السياسي والتميز العلمي.

أولا": الولاء السياسي

أوجبت بعض الدساتير أن يكون المرشح للمناصب التشريعية الانتماء لحزب أو تنظيم سياسي معين في الدولة وهو ما يعرف بالولاء السياسي كما في الدستور العراقي لسنة ١٩٧٠ حيث كان الولاء لمبادئ حزب البعث والالتزام بثورة ١٩٦٨ العربية الاشتراكية شرط الترشيح لعضوية المجلس الوطني [١٠٨] أما مجلس قيادة الثورة وهو الهيأة العليا في الدولة ففي ظل دستور ١٩٧٠ أصبح اختيار الأعضاء الجدد للمجلس محصورا" فقط بأعضاء القيادة القطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي، حيث عضوية المجلس مقتصرة على أعضاء القيادة القطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي فقط، وفي ضوء هذا الوضع الجديد فإن الشروط العامة لاختيار أعضاء مجلس قيادة الثورة من بين أعضاء القيادة القطرية انتقلت من النص الدستوري إلى نصوص النظام الداخلي لحزب البعث العربي الاشتراكي فقد ترك المشرع الدستوري هذا الموضوع الدقيق دون النص عليه رسميا" [١٠٩].

أما الدستور العراقي لسنة ٢٠٠٥ فإنه لم يشترط في المرشح أي ولاء سياسي وعلى خلاف الدستور العراقي لسنة ١٩٧٠ فقد حضر الدستور العراقي لسنة ٢٠٠٥ أن يكون ضمن التعددية السياسية أي كيان أو نهج يتبنى أفكار البعث ألصدامي [١١٠] وقد تم تأسيس الهيئة الوطنية العليا لاجتثاث البعث استنادا" إلى قراري مجلس الحكم المرقمين (٢١- ٤٨) والصادرين عام ٢٠٠٣ كما نص عليها قانون إدارة الدولة

١٠٦- د.هشام عبد المنعم عكاشة، مصدر سابق، ص١١١

١٠٧- د.رأفت فوده، مصدر سابق، ص١٤٤

١٠٨- النظام التشريعي العراقي، الموقع الالكتروني، ملتقى المرأة العربية، الرابط الالكتروني: www.awfonline.org

١٠٩- د.رعد ناجي الجدة، دراسات في الشؤون الدستورية العراقية، مطبعة الخيرات، بغداد، ٢٠٠١، ص٢٧

١١٠- أشارت المادة ٧ " يحظر كل كيان أو نهج يتبنى العنصرية أو الإرهاب أو التكفير أو التطهير، أو يحرض أو يمهد أو يمجد أو يروج أو يبرر له، وبخاصة البعث ألصدامي في العراق ورموزه، وتحت أي مسمى كان ولا يجوز أن يكون ذلك ضمن التعددية السياسية في العراق، وينظم ذلك بقانون"

العراقية الصادر عام ٢٠٠٤ في المادة (١٣٥) وكذلك الدستور العراقي لعام ٢٠٠٥ [١١١] وهي تعد مؤسسة مستقلة ترتبط بمجلس النواب لا علاقة لها بأي جهة سياسية أو حزبية أو طائفية تستند في عملها إلى قانون اجتثاث البعث من القطاع العام وقطاع الدولة في العراق [١١٢]

ثانيا": التميز العلمي

إن اشتراط الحصول على قدر معين من التعليم أمر ضروري لعضوية المجالس التشريعية، حيث يعهد إليه بمهمة التشريع فلابد أن يكون قادرا" على قراءة هذا التشريع وفهمه حتى يستطيع أن يناقشه [١١٣]

علاوة على اطلاعه على التقارير والأبحاث وفحص الميزانيات ومراجعة الحساب الختامي وغير ذلك من الأمور التي لا يتصور قيام العضو الأمي بها على النحو المطلوب [١١٤]

إلا أن هذا الشرط لا تنص عليه معظم الدساتير الأوروبية وذلك لأنه لا يشكل خطورة خاصة بسبب قلة الأميين فيها وتوافر الكفاءات مما يجعل نجاح الأميين مستحيلا أو متعذرا [١١٥]

إلا أن أهميته تظهر في الدول النامية ومنها الدول العربية، ففي العراق اكتفى المشرع في قانون الانتخابات رقم ١٦ لسنة ٢٠٠٥ في المرشح لعضوية مجلس النواب توفر الشهادة الثانوية أو ما يعادلها [١١٦]

وكذلك اشترط الدستور العراقي لسنة ٢٠٠٥ أن يكون رئيس مجلس الوزراء حاصلا" على الشهادة الجامعية أو ما يعادلها [١١٧] ومع أن المشرع الدستوري لم ينص على الشرط ذاته في المرشح أو المرشحة لرئاسة الجمهورية، إلا أن توفر هذا الشرط يعد أمرا بديهيا بوصفه يشغل أعلى منصب في الدولة.

وإن اكتفاء المشرع العراقي بحصول عضو مجلس النواب على شهادة الثانوية يعد أمرا" معيبا" بحق هذا المجلس ودوره المهم في إصدار القانون بوصفه سلطة تشريعية لما تمتاز هذه المهمة من خطورة وأهمية وكان لابد على المشرع أن يشترط حصول العضو على الشهادة الجامعية كحد أدنى أو ما يعادلها.

المطلب الثاني: حق التصويت

ستناول في هذا المبحث مفهوم حق التصويت ومن ثم مبدأ المساواة في حق التصويت وأخيرا سيتم الإشارة إلى أهم المبادئ التي تحكم حق التصويت وذلك في ثلاثة فروع:

الفرع الأول: مفهوم حق التصويت

الفرع الثاني: مبدأ المساواة في التصويت

الفرع الثالث: المبادئ التي تحكم حق التصويت

الفرع الأول: مفهوم حق التصويت

يمكن تعريف حق التصويت بأنه الامتياز الخاص بأحقية الناخب المؤهلين في الإدلاء بأصواتهم لصالح من يرغبونهم من المرشحين، وهو الحق الذي يضمنه لهم القانون [١١٨].

١١١- والتي تنص (أولا: تواصل الهيئة الوطنية العليا لاجتثاث البعث أعمالها بوصفها هيئة مستقلة بالتنسيق مع السلطة القضائية والأجهزة التنفيذية في إطار القوانين المنظمة لعملها، وترتبط بمجلس النواب)

١١٢- الهيئة الوطنية العليا لاجتثاث البعث www.debaath.com/site

١١٣- د.حسن محمد هند، مصدر سابق، ص٥٥

١١٤- د.عبد الكريم علوان، النظم السياسية والقانون الدستوري، مصدر سابق، ص٢٠٠

١١٥- حمدية عباس محمد، مصدر سابق، ص٧٠

١١٦- المادة ٦ / خامسا" من قانون الانتخابات رقم ١٦ لسنة ٢٠٠٥

١١٧- المادة ٧٧ من الدستور العراقي لسنة ٢٠٠٥

وعرفه (د. هشام عبد المنعم عكاشة) بأنه إجراء يعبر به الناخب عن إرادتهما ورغبتهما في اختيار الحكام والنواب من بين عدة مرشحين، وقد يكون التصويت مباشرا أو غير مباشر، فرديا أو بالقائمة، محليا أو قوميا، بالأغلبية أو بالتمثيل النسبي، وهو وسيلة إسناد السلطة في النظام الديمقراطي [١١٩]

وكذلك عرف (د.علي عبد الفتاح) التصويت بأنه إجراء يعبر به الناخب عن إرادتهم ورغبتهم في اختيار الحكام والنواب من بين عدة مرشحين، وقد يكون مباشرا أو غير مباشر، فرديا أو بالقائمة محليا أو قوميا [١٢٠]

وعرفه(د.كريم كشاكش) بأنه الوسيلة التي يتم بها اختيار الهيأة صاحبة السلطة في النظام [١٢١]

وفي الفقه العراقي يعرف (د.حميد ألساعدي) التصويت بأنه قيام الناخبين باختيار الأفراد الذين يباشرون السلطة باسمه [١٢٢]

وفي الفقه الفرنسي يرى الفقيه (Jean. Paul Charany) أن التصويت هو " ممارسة حق الاختيار على نحو تتسابق فيه الإرادات المؤهلة لتلك الممارسة " [١٢٣]

ويتضح من ذلك أن التصويت عمل جماعي ومشروط ويخول من يستوفي الشروط الحق في اختيار من يمثلهم في السلطة.

الفرع الثاني: مبدأ المساواة في التصويت

يقتضي البحث في هذا الموضوع أن نبحث في معنى المساواة في الصوت الانتخابي أولا ومن ثم الاستثناء الذي يرد عليه:

أولا": معنى المساواة في الصوت الانتخابي

إن المقصود بالمساواة في الصوت الانتخابي هو أن يكون لكل ناخب صوت انتخابي واحد، وان يتم تحرير الجداول الانتخابية بطريقة منظمة ودقيقة حتى يتمكن أي مواطن من مباشرة الانتخاب مرة واحدة وفي مكان واحد[١٢٤]

وان قاعدة لكل ناخب أو ناخبة صوت واحد تكاد تكون قاعدة عامة في العالم الديمقراطي [١٢٥] ومع ذلك فإن دولا ديمقراطية اتبعت نظما يتمتع بمقتضاها بعض الناخبين بأكثر من صوت واحد [١٢٦] إذ ظهرت نظرية تعدد الأصوات وأعطت بعض الأفراد حق التصويت عدة مرات بسبب تمتعهم بميزات خاصة، وهذا يؤدي إلى جعل الانتخاب لا يتسم بالمساواة وان أتسم بالعمومية [١٢٧] وبهذا يترتب على المساواة في الصوت الانتخابي عدة استثناءات.

ثانيا": الاستثناءات التي ترد على المساواة في الصوت الانتخابي

١١٨- د. عبد الفتاح مراد، شرح قوانين الانتخابات الرئاسية، الإسكندرية، بلا سنة طبع، ص ٣٩٦

١١٩- د.هشام عبد المنعم عكاشة، مصدر سابق، ص٨٢

١٢٠- د.علي عبد الفتاح محمد خليل، الموظف العام وممارسة الحرية السياسية، ط١، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠٢، ص١٤٢

١٢١- د.كريم كشاكش، مصدر سابق، ص١٠٨

١٢٢- د.حميد ألساعدي، مصدر سابق، ص٨٧

١٢٣- Jean, Paul Charany " Le suffrage Politique en France " Mouton &Co. Paris, 1965, P.24 ، أشار إليه د. داود ألباز، حق المشاركة في الحياة السياسية، مصدر سابق، ص١١٥

١٢٤- محمد عبد العزيز محمد علي حجازي، مصدر سابق، ص٤٧

١٢٥- رشاد يحيى احمد الرصاص، مصدر سابق، ص٣٢٦

١٢٦- د. محمد نصر مهنا، في النظم الدستورية والسياسية – دراسة تطبيقية، المكتب الجامعي الحديث، مصر، ٢٠٠٥، ص٥٦٩

١٢٧- محمد عبد العزيز محمد علي حجازي، مصدر سابق، ص٤٨

١- التصويت المتعدد: ويعني منح بعض الناخبين حق التصويت في أكثر من دائرة انتخابية واحدة إذا توافر فيه عدة شروط في الانتخابات ذاتها بينما لا يحق لغيره من الناخبين سوى التصويت في دائرة انتخابية واحدة.

وهذا ما كان معمولا به في بريطانيا حتى عام ١٩٥١ حيث كان يسمح للشخص أن يصوت في المنطقة الانتخابية التي يوجد فيها محل سكناه وفي المنطقة الانتخابية التي يوجد فيها محله التجاري وفي المنطقة الانتخابية للجامعة التي تخرج منها (إذ تبعث بعض الجامعات بعدد من النواب إلى مجلس العموم، شريطة أن يقوم بكل هذه التنقلات الضرورية)[١٢٨] إلا أن قانون الانتخاب الصادر عام ١٩١٨ قد ضيق من هذه الدائرة وذلك بتقديره عدم جواز التصويت في أكثر من دائرتين مع تقرير وجوب إجراء الانتخاب العام في جميع دوائر المملكة في يوم واحد [١٢٩].

٢- التصويت الجمعي: ويعني منح الناخب الحق في التصويت أكثر من مرة في الدائرة الانتخابية نفسها ولهذا التمييز أسباب متعددة كأن يكون الناخب ذا مركز اجتماعي مرموق أو أن يؤدي ضريبة الدولة أو لكونه متعلما تعليما عاليا يفضله على الجاهل، ولكن يجب أن تكون هذه الصفات ظاهرة ويتفهمها كل إنسان بحيث انه يدرك مدى ما فيها من تميز وعدالة [١٣٠]

ومثال ذلك في فرنسا صدر قانون التصويت المزدوج عام ١٨٢٠ وهو النظام الذي يمنح حق التصويت مرتين للناخبين الذين يدفعون الرسوم والضرائب المرتفعة، وبسبب الانتقادات الكثيرة التي وجهت إلى القانون عمد المشرع إلى إلغاءه بموجب دستور ١٨٣٠ [١٣١]

٣- التصويت العائلي: ويقوم هذا النوع من التصويت على منح رب العائلة اصواتا إضافية بالإضافة إلى صوته الانتخابي في حين لا يعطي للعازب سوى صوت واحد وتبريرهم في ذلك أن رب العائلة لا يلعب الدور نفسه الذي يلعبه الأعزب في المجتمع وفي ذلك الوقت كانت المرأة لا تملك حق التصويت، وإن الأعزب لا يتحمل المسؤولية والعبء نفسيهما الذي يتحمله المتزوج، ولذلك لابد أن يكون الثقل السياسي لرب العائلة أكبر من الثقل السياسي للعزاب[١٣٢] وهذا النوع من التصويت يتخذ أشكالا متعددة:

- تصويت عائلي كامل: في هذه الحالة يمنح رب العائلة عددا من الأصوات مساويا لعدد أبنائه القاصرين الذين يعيشون في منزله فبدلا من رفع شعار " إنسان واحد صوت واحد " يرفع شعار " حياة واحدة صوت واحد " وعلى هذا الأساس فأن كل الذين يكونون العائلة سيمثلون عن طريق إعطاء رب العائلة، عادة الأب وفي غيابه الأم عددا أضافيا من الأصوات يساوي عدد أعضاء عائلته [١٣٣]

١٢٨- د.منذر الشاوي، مصدر سابق، ص٤٨

١٢٩- د. عثمان خليل عثمان، المبادئ الدستورية العامة، مصدر سابق، ص٣١٥

١٣٠- موريس دفرجيه، دساتير فرنسا، ترجمة احمد حسيب عباس، المطبعة النموذجية، مصر، بلا سنة طبع، ص٧٨.

١٣١- موريس دفرجيه، دساتير فرنسا، ترجمة احمد حسيب عباس، المطبعة النموذجية، مصر، بلا سنة طبع، ص٧٨.

وفي بريطانيا كان يمنح لأصحاب المصانع ورؤساء المشاريع التي تزيد قيمتها عن حد أدنى ليس مرتفعا للغاية بالتصويت مرتين، واخذ الدستور البلجيكي بمبدأ التصويت الجمعي سنة ١٨٩٣، فجعل لكل فرد بلغ من العمر ٢٥ سنة له الحق في التصويت وجعل صوت زيادة لكل من بلغ ٤٥ سنة، وصوت لمن يدفع ضريبة معينة وصوتين لمن حصل على درجة جامعية بحيث لا يزيد عدد الأصوات لكل فرد عن ثلاثة، ولكن حدث أنه بعد سنة ١٩١٩ إن الغي هذا النظام وأخذت بمبدأ الاقتراع المتساوي. أشار إليه د. صلاح الدين فوزي، مصدر سابق، ص ٢٧٢

١٣٢- د.منذر الشاوي، مصدر سابق، ص٤٩

١٣٣- د.منذر الشاوي، المصدر نفسه، ص٥٠

- تصويت عائلي مختلط : وفي هذه الحالة يمنح رب العائلة صوتا أضافيا ابتداء من عدد معين من الأبناء وهذا ما كان معمولا به في بلجيكا [١٣٤] في الفترة ما بين ١٨٩٣ إلى ١٩٢١ وفي فرنسا سنة ١٩٢٣ [١٣٥].

إلا أن هذا الأمر لم يعد مقبولا لما يمثله من خرق لمبدأ المساواة في التصويت ولذلك عمدت أغلب القوانين الانتخابية إلى اعتبار تعدد التصويت جريمة تستوجب العقاب عليها.

وقد أشار المشرع العراقي ضمن الفصل السادس من قانون الانتخابات رقم ١٦ لسنة ٢٠٠٥ والذي يحمل عنوان (جرائم الانتخابات) إلى انه " يعاقب بالعقوبات المنصوص عليها في القوانين النافذة كل من ارتكب أي فعل من الأفعال الآتية : أ. الاقتراع أكثر من مرة واحدة...."

الفرع الثالث: المبادئ التي تحكم حق التصويت

يحكم حق التصويت بصورة عامة عددا من المبادئ التي نظمتها قوانين الانتخاب وتتمثل في شخصية التصويت وحرية التصويت و سرية التصويت ، وهذا ما سنبحثه في الفقرات الثلاث التالية :

أولا" : مبدأ حرية التصويت

ثانيا" : مبدأ سرية التصويت

ثالثا" : مبدأ شخصية التصويت

أولا": مبدأ حرية التصويت

لمبدأ حرية التصويت مفهومان : فمن ناحية يعني حق الناخب أو الناخبة في ممارسة العملية الانتخابية من عدمه ، فليس هنالك أي ألزام بالذهاب يوم الانتخاب للتصويت ، ودون أن يتعرضوا لأي جزاء نتيجة الامتناع عن الاشتراك في التصويت فواجب الناخب أدبي محض [١٣٦] مما يترتب عليه عزوف عدد كبير من الناخبين عن المشاركة في الانتخابات قد تصل في بعض الأحيان إلى أكثر من نصف عدد المسجلين في القوائم الانتخابية ، ولذا تلجأ بعض النظم لتفادي مثل هذا القصور بجعل الانتخاب إجباريا.

النظام القانوني لانتخاب أعضاء مجلس النواب العراقي ومن ناحية ثانية تعني مبدأ حرية التصويت حرية الناخب أو الناخبة في تحديد اختيارهم للمرشح أو المرشحة الذين يفضلونهم أي أن يحددون اختيارهم بإرادتهم الحرة دون الخضوع لأي ضغط أو تأثير سواء أكان ذلك من طرف السلطة الحاكمة أو من المرشحين أو أي جهة أخرى لها مصلحة في توجيه إرادتهم نحو هدف معين [١٣٧] وتأمين حرية الناخب تكون عن طريق إيجاد الضمانات العملية والتدابير القانونية الكفيلة بإيجاد الحماية للناخب لممارسة حقه في التصويت [١٣٨] وهذا ما سنبحثه في النقطتين الآتيتين :

١- التصويت الاختياري والتصويت الإجباري

يقصد بالتصويت الاختياري أن كل ناخب حر في الإدلاء بصوتهما أو عدم الإدلاء به دون أن يتعرضوا لأي نوع من أنواع العقوبات بسبب امتناعهم عن التصويت [١٣٩]

١٣٤- موريس دفرجيه ، القانون الدستوري والمؤسسات السياسية ، مصدر سابق ، ص٨٤

١٣٥- د.عبد الفتاح مراد ، شرح قوانين الانتخابات الرئاسية ، مصدر سابق ، ص٩٧

١٣٦- د.صلاح الدين فوزي ،مصدر سابق ، ص ٢٣٨

١٣٧- د.علي عبد القادر مصطفى ، ضمانات حرية الأفراد في الانتخابات – دراسة مقارنة بالنظام السياسي الإسلامي ، بلا مكان طبع ، مصر ، ١٩٩٦ ، ص٩٢

١٣٨- رشاد احمد يحيى الرصاص ، مصدر سابق ، ص٣٢٣

١٣٩- . أشار إليه د.على عبد القادر مصطفى ، مصدر سابق ، ص٨٦- ٨٧

أما التصويت الإجباري فيقصد به إرغام كل ناخب أو ناخبة على التوجه إلى صناديق الاقتراع للإدلاء بصوتهم في كل انتخاب وإلا تعرضوا لعقوبة معينة [١٤٠]

وأما الفقه الدستوري فقد تباينت آراء الفقهاء حول الأخذ بالتصويت الاختياري أو التصويت الإجباري، إذ يستند أنصار التصويت الاختياري في وجهتهم هذه إلى مبدأ سيادة الشعب كون إن الانتخاب حق، إذ لما كان الانتخاب حقا شرعيا فإنه يترك للناخب حرية مباشرة حقه في التصويت، ومن ثم لا يترتب على الامتناع عن مباشرة الحق أي جزاء مادي أو غير مادي [١٤١]

إلا أن خصوم الانتخاب الاختياري يرون أنه يؤدي إلى الامتناع عن التصويت وإلى ظهور ظاهرة التغيب عن المشاركة، والتي تعتبر من اخطر المسائل التي تهدد النظام النيابي، وذلك لأنها تجعل البرلمانات غير معبرة إلا عن رأي الأقلية من الناخبين، وهذه الظاهرة تعتبر كارثة بالنسبة للعملية الانتخابية وكذلك للديمقراطية لأنها تحول دون تطبيق ديمقراطية الأغلبية [١٤٢]

وان ظاهرة التغيب عن الانتخابات تبدو ظاهرة طبيعية بل ومشروعة لدى أنصار التصويت الاختياري الذين يرون في التغيب عن الانتخابات مدلول سياسي تتجه إليه إرادة هيأة المشاركة [١٤٣]

أما التصويت الإجباري، فإن أنصاره يرون أن التصويت الإجباري يجد تبريره في نظرية سيادة الأمة إذ يعد التصويت وظيفة اجتماعية وسياسية، بمقتضاها يكلف الناخبون بأداء التصويت، أي أن المشرع من حقه فرض نظام التصويت الإجباري على مواطن مقيد في سجل الناخبين، ويتعين على الناخبين أن يتصرفوا باسم الجماعة الوطنية بأكملها لممارسة دور جماعي أساس [١٤٤]

إلا أن هذا الإلزام غير مقرون بإلايذاء الجسدي، إذ لا يكره الناخبون على الذهاب إلى صناديق الاقتراع بل تطبق على الممتنعين نوعين من العقوبة:

أ- عقوبة مادية: تتمثل أساسا الغرامة التي تتفاوت قيمتها بين الدول [١٤٥] وتزداد في حالة تكرار التخلف [١٤٦]

ب- عقوبة معنوية: وتتمثل في التشهير الأدبي بمن يتخلف عن التصويت لتقاعسه عن أداء الواجب الوطني، بالإضافة إلى الحرمان من حق الانتخاب ذاته لفترة زمنية عن طريق سحب البطاقة الانتخابية [١٤٧]

١٤٠- د.سعاد الشرقاوي د. عبد الله ناصف، مصدر سابق، ص٦٨

١٤١- د.محمد نصر مهنا، مصدر سابق، ص٤٥٧

١٤٢- حيث وصلت نسبة التغيب في الانتخابات العراقية لسنة ٢٠٠٥ (٣٠٪ تقريبا) أشار إليه مقالة بعنوان من أجل مشاركة فعالة للنساء في السلطة السياسية، ٢٠٠٥، الموقع الالكتروني، الشبكة العربية لمعلومات حقوق الإنسان، الرابط الالكتروني: www.hrinfo.net

١٤٣- مثال ذلك تبني الحزب الشيوعي الفرنسي لخيار مقاطعة الانتخابات الرئاسية لسنة ١٩٦٩ مدعيا بأنه لا مجال للخيار بين الكوليرا والطاعون، وكذلك في الانتخابات النيابية العامة في لبنان سنة ١٩٩٢ قاطع اللبنانيون بشكل عام والمسيحيون بشكل خاص الانتخابات وكانت نسبة المشاركة العامة تصل إلى (٢٩٪)، أشار إليه عبدو سعيد و آخرون، النظم الانتخابية، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، بلا سنة طبع، ص١٠٤

١٤٤- د.داود ألباز، النظم السياسية الدولة والحكومة في ضوء الشريعة الإسلامية، مصدر سابق، ص ٢٥٨

ومن الدول التي أخذت بالتصويت الإجباري بلجيكا وايطاليا و استراليا واليونان وشيلي والبرازيل ومصر والنمسا والدنمارك والأرجنتين ورومانيا وتركيا وفي ثلاث ولايات من سويسرا وهولندا لغاية سنة ١٩٧٠ ولكسمبورغ وفرنسا بالنسبة لانتخابات مجلس الشيوخ.

١٤٥- مثال ذلك ما أشارت إليه المادة ٣٩ من قانون مباشرة الحقوق السياسية رقم ٧٣ لسنة ١٩٥٦ والمعدلة بقانون رقم ٢٢٠ لسنة ١٩٩٤ " يعاقب بغرامة لا تتجاوز ٢٠ جنيها كل من كان اسمه مقيدا بجدول الانتخاب وتخلف بغير عذر عن الإدلاء بصوته في الانتخاب والاستفتاء "

١٤٦- د.محمد فرغلي محمد علي، مصدر سابق، ص٧٥٨

١٤٧- د.داود ألباز، حق المشاركة في الحياة السياسية، مصدر سابق، ص٢٦٠

وكذلك حرمانه من التعيين في الوظائف العامة أو حرمانه من الترقية فيها أو عدم منحه رتبة أو نيشانا أو أي امتياز آخر [١٤٨]

وقد اخذ المشرع الدستوري العراقي بالتصويت الاختياري إذ أشار في المادة (٢٠) من الدستور العراقي لسنة ٢٠٠٥ إلى انه للمواطنين رجالا كانوا أو نساء حق التمتع بالحقوق السياسية ومنها حق التصويت، وبذلك فإن المشرع العراقي قد كيف المشاركة الانتخابية حقا يمارسه الناخب بحرية من دون فرض أي عقوبة في حالة امتناع الناخب أو الناخبة المقيدة أسماؤهم في السجل الانتخابي من الإدلاء بصوتهم.

٢- العوامل التي تحد من حرية التصويت

من الواضح انه كلما كانت إرادة الناخب أو الناخبة حرة من أي توجيه مباشر أو غير مباشر كلما تحققت في نتيجة الانتخاب المصداقية والثقة، وإرادة الناخب وان كان مظهرها القانوني ومحصلتها تتضح في لحظة أو يوم الاقتراع، إلا إن التأثير عليها يسبق ذلك بكثير حيث تكون هذه الإرادة هدفا يتسابق الكل إلى الوصول إليها، ومن ثم مباشرة كافة صور التأثير عليها، ومقياس النجاح هو تطويع هذه الإرادة لمصلحة مرشح أو قائمة من المرشحين أو حزب [١٤٩] وبناء على ما تقدم سنقوم ببحث أهم الضغوط والعوامل التي تؤثر على إرادة الناخبين:

أ- العوامل المادية:

وهي أقدم أنواع الضغوطات وأكثرها استعمالا في معظم الدول مثال ذلك دخول قاعة التصويت مع حمل السلاح الناري [١٥٠]

وقد يكون المرشح مصاحبا للناخب في أثناء دخوله لغرفة التصويت لإجبار الناخب على اختياره من بين باقي المرشحين، وقد يصل الأمر إلى اغتيال المرشح الأقوى منافسة في العملية الانتخابية [١٥١]

وقد يلجأ بعض المرشحين إلى تحريض مؤيديهم لافتعال المشاكل وضرب المرشحين الآخرين وإرهاب مؤيدي المرشح أو المرشحة الأخرى أو إطلاق النار على مقربة من احد المكاتب الانتخابية لأحد المرشحين من اجل تعطيل ماكنته الانتخابية [١٥٢]

وقد جرمت التشريعات الانتخابية هذه الأفعال في صياغات متباينة ضيقا واتساعا ولكنها تجمع على ضمان حرية الناخب أو الناخبة في الإدلاء بحسب قناعتهم [١٥٣]

فقد أشار المشرع العراقي في المادة ٢٧ من قانون الانتخابات رقم ١٦ لسنة ٢٠٠٥ إلى انه " يعاقب بالعقوبات المنصوص عليها في القوانين النافذة كل من ارتكب أي فعل من الأفعال الآتية: د- حمل سلاحا ناريا أو أي مادة خطرة على الأمن في أي مركز من مراكز الاقتراع يوم الانتخاب ه- الدخول

١٤٨- على سبيل المثال في استراليا تتمثل العقوبة في غرامة مالية لا تتجاوز ١٥ دولار وفي الأرجنتين تكون العقوبة مالية بالإضافة إلى عدم القبول للالتحاق بالوظائف العامة لمدة ثلاث سنوات، وفي النمسا يعاقب بالغرامة وإذا لم تسدد يحبس المتهم لمدة أقصاها أسبوعان، وفي بلجيكا الغرامة أو الإنذار أو الشطب من جداول الناخبين وإيقاف التمتع ببعض الحقوق المدنية وفي اسبانيا إعلان أسماء المتخلفين والتشهير بهم لتقاعسهم عن أداء واجباتهم وفي فرنسا يعاقب المتخلفون عن المشاركة في انتخابيات مجلس الشيوخ بمقدار من الغرامة وفي ايطاليا فأن العقوبة هي القيد في صفيحة الحالة الجنائية لمدة خمس سنوات مع الإشارة إلى ارتكاب مخالفة الامتناع عن التصويت. أشار إليه د.مصطفى عفيفي، مصدر سابق، ص١٦٠

١٤٩- د. حسام الدين محمد احمد، مصدر سابق، ص١٥٣

١٥٠- رشاد احمد يحيى الرصاص، مصدر سابق، ص٣٢٤

١٥١- د. مصطفى عفيفي، مصدر سابق، ص٥٩

١٥٢- عبدو سعد وآخرون، مصدر سابق، ص١١

١٥٣- ضياء عبد الله عبود الجابر الاسدي، مصدر سابق، ص٢٧١

بالقوة إلى مراكز الاقتراع أو الفرز للتأثير على العمليات الانتخابية أو التعرض بسوء لأي من المسؤولين عن إجرائها، والتأثير على حرية الانتخاب أو إعاقة العمليات الانتخابية "

ونجد مثل هذه الخروق لمبدأ حرية التصويت في انتخابات مجلس النواب العراقي سنة ٢٠٠٥، فقد قرر مجلس المفوضين في الشكوى المرقمة ١٣٠٩ والمضمنة " دخول احد قادة الائتلاف العراقي الموحد ومعه حمايته تقدر ٢٠٠ فرد إلى المركز الانتخابي رقم ٦٥٠٠٣ علما أن أفراد الحماية كانوا يحملون أسلحة " تغريم الائتلاف العراقي الموحد مبلغ ١٥ مليون دينار لوجود عدة مخالفات...١- الدخول إلى المركز من قبل الحماية الشخصية لبعض شخصيات الائتلاف"(١٥٤)

ب- العوامل المعنوية:

وهي تتمثل في التهديد والابتزاز والوعود الكاذبة المشكوك فيها، ومن قبيل الضغط المعنوي تدخل الإدارة ممثلة في جهاز الشرطة أو رجال الحكم المحلي في العملية الانتخابية بالضغط على الناخبين لاختيار مرشح أو مرشحة معينة من خلال الترهيب والوعيد(١٥٥) وكذلك تهديد أصحاب الأعمال لمن تحت أيديهم من العمال بالفصل أو بتخفيض أجورهم إذا لم ينتخبوا المرشح أو المرشحة الذي يؤيدونه (١٥٦)

لم يشر المشرع العراقي في قانون الانتخاب رقم ١٦ لسنة ٢٠٠٥ المعدل إلى مثل هذه الضغوط إلا إنه قد عالجها ضمن الأنظمة التي أصدرتها المفوضية العليا المستقلة للانتخابات، حيث أشار إلى انه " يشكل جريمة قيام أي شخص، بصورة مباشرة أو غير مباشرة، بتأثير لا مبرر له على أي من عناصر العملية الانتخابية وتعتبر الأفعال الآتية تأثيرا" لا مبرر له:

٣- ١ استخدام القوة أو التهديد ضد أي شخص.
٣- ٢ إلحاق أذى أو تهديد مسبب لأضرار سواء كانت جسدية أم نفسية ضد أي شخص.
٣- ٣ إلحاق أذى أو تهديد مسبب لأضرار بممتلكات أي شخص.
٣- ٤ استخدام أساليب الاحتيال." (١٥٧)

ج- العوامل المالية:

وهي من أقوى وسائل التأثير على إرادة الناخبين في العصر الحديث على أساس أن المال بطبيعته يصعب على الأفراد مقاومة إغرائه وهي تعد من قبيل الرشوة التي تقدم للناخب أو للناخبة للقضاء على حريتهم في الاختيار حيث إنهم يعطون أصواتهم لأحد المرشحين في مقابل حصوله على الثمن (١٥٨).

وقد حظر المشرع العراقي على أي مرشح أو مرشحة أن تقدم خلال الحملة الانتخابية هدايا أو تبرعات أو أي مساعدات أو تعد بتقديمها بقصد التأثير على التصويت (١٥٩)

د- العوامل الدينية:

١٥٤- المفوضية العليا المستقلة للانتخابات، الرابط الالكتروني: www.icEiraq.org
١٥٥- ابتهال كريم، الاستفتاء الشعبي – دراسة مقارنه، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بابل، كلية القانون، ٢٠٠٣، ص١١٥
١٥٦- د.ثروت بدوي، مصدر سابق، ص٢٨٦
١٥٧- نظام رقم ١٢ لسنة ٢٠٠٥ (المخالفات الانتخابية) /القسم الثالث (الإخلال بالعملية الانتخابية وعرقلتها) الصادر عن المفوضية العليا المستقلة للانتخابات.
١٥٨- د.على عبد القادر مصطفى، مصدر سابق، ص٩٨
١٥٩- المادة (٢٥) من قانون الانتخاب رقم ١٦ لسنة ٢٠٠٥ المعدل.

في الدول التي يكون فيها التأثير الديني قويا يلعب رجال الدين دورا كبيرا في التأثير على إرادة الناخبين وذلك بتهديد الناخبين بعقوبات دينية وأخلاقية إذا لم يختاروا الأشخاص الذين يرغبون في اختيارهم وينتشر هذا الأسلوب في البلاد التي يظهر فيها نفوذ رجال الدين مثل إيران وأمريكا اللاتينية واسبانيا وجنوب ايطاليا وغيرها [١٦٠] وهذا ما حصل في الانتخابات العراقية التي جرت بعد سقوط نظام البعث حيث أيد رجال الدين بعض القوائم ودعموها إلى حد توجيب اختيار قائمة بعينها.

هـ - العوامل الإعلامية:

إن الدعاية الانتخابية المعاصرة أصبحت في الوقت الحاضر عملية فنية معقدة تعتمد على استخدام أساليب الإبهار ودراسة السلوك الاجتماعي للناخبين ومنهج تفكيرهم ورغباتهم السياسية والاقتصادية وذلك كله بقصد تكوين اتجاهاتهم والتأثير في إرادتهم لاعتناق مبادئ المرشحين أو الأحزاب لذلك فإن عملية الدعاية أصبحت تعتمد على التخطيط والتوقع والتنظيم [١٦١].

وجدير بالذكر إن هذه العملية لا تعتمد على الوسائل المشروعة فقط وإنما هناك وسائل وطرق للدعاية تعتمد على المكر والخداع وتستخدم أساليب غير أخلاقية بهدف الوصول إلى السلطة بأي شكل ممكن وتزييف الرأي العام لجمهور الناخبين ولذلك نجد المشرع في بعض الدول يقرر بعض المحظورات التي يجب أن لا تتبع في الدعاية السياسية.

فقد حضر المشرع العراقي نشر أو وضع أي إعلان أو منشور أو لافتة بما في ذلك الرسوم والصور والكتابة على الجدران إلا وفق الأماكن المخصصة لها من قبل البلديات والمجالس المحلية [١٦٢]

وكان يجدر بالمشرع العراقي بالإضافة إلى النص السابق أن يحظر استخدام الأساليب غير الأخلاقية والمكر والخداع في الدعاية الانتخابية.

ثانيا: مبدأ سرية التصويت

تعد سرية التصويت ضمانة هامة لحرية الناخب أو الناخبة في الاختيار لأن التصويت العلني يفتح الباب لتدخل الإدارة وإرهاب الناخبين لانتخاب مرشحي السلطة، ويُعرض الناخبين لانتقام خصومهم السياسيين، ومرد ذلك أن التعبير عن الرأي علنا يتطلب قدرا من الشجاعة الأدبية لا تتوفر عند كثير من الناخبين [١٦٣].

وبناء على ما تقدم سنقوم بإيضاح ما المقصود بالتصويت العلني والتصويت السري وما هي أهم الإجراءات اللازمة لضمان سرية التصويت في النقطتين الآتيتين:

١- التصويت السري والتصويت العلني

يقصد بالتصويت العلني أن يعلن الناخب عن اسم مرشحه أمام جمهور من الناس أو أمام أعضاء لجنة الانتخاب[١٦٤] وقد عبر مؤيدو التصويت العلني بأنه يمتاز بالصراحة والشجاعة الأدبية والشعور بالمسؤولية [١٦٥].

١٦٠- د.كمال الغالي، مصدر سابق، ص٢٢٨

١٦١- محمد فرغلي محمد علي، مصدر سابق، ص٦٥٦

١٦٢- المادة ٢٦ من قانون الانتخابات رقم ١٦ لسنة ٢٠٠٥المعدل.

١٦٣- د.هاني على الطهراوي، النظم السياسية والقانون الدستوري، ط١، دار الثقافة، الأردن، ٢٠٠٦، ص٢٣٧

١٦٤- د. إسماعيل مرزة، مصدر سابق، ص ٥٠٨

١٦٥- د.عثمان خليل عثمان، القانون الدستوري، مصدر سابق، ص٤٤٠، ود.حسام الدين محمد احمد، مصدر سابق، ص٥٧

إلا أن التصويت العلني يؤدي إلى تمكين السلطات الحاكمة في الدولة من السيطرة على مجريات العملية الانتخابية وتوجيه نتائجها لمصلحة مرشحيها أما عن طريق التهديد والإرغام أو طمعا في الحصول على رشاوى أو مزايا مادية، إضافة إلى خضوع المواطنين في المجتمعات التي يقوم نظامها الاقتصادي على تفاوت الطبقات إلى العلاقة التبعية التي تربطهم بأرباب أعمالهم الذين يتحكمون بمصدر رزقهم، فهم يصوتون لمن لا يرغبون إرضاء لأصحاب العمل خشية طردهم من وظائفهم [١٦٦].

وبذلك فإن التصويت العلني ينال من حرية المواطنين في المشاركة الانتخابية ويدمر الحياة الديمقراطية ولذلك اتجهت غالبية الدول إلى الأخذ بمبدأ سرية التصويت كضمان لحرية الناخبين في الاختيار ويقصد به ان الناخب يدلي برأيه في سرية تامة فلا يعرف احد لمن أعطى هذا الناخب أو ذاك صوته [١٦٧].

وقد اخذ المشرع العراقي بمبدأ سرية التصويت إذ أشارت المادة الثانية من قانون الانتخابات رقم ١٦ لسنة ٢٠٠٥ إلى أن الانتخاب يجري عن طريق الاقتراع السري.

٢- الإجراءات الانتخابية التي تكفل سرية التصويت

لقد استلهمت قوانين الانتخاب مضمون مبدأ السرية فنصت على ضرورة احتواء قاعة الانتخاب على عدد من العناصر التي يكفل وجودها تحقيق صفة السرية وهذه العناصر هي:

أ. المرور عبر العازل:

العازل هو عبارة عن جزء من قاعة الانتخاب تُعد لحجب الناخب عن الأنظار، حتى يقوم بتدوين اسم المرشح أو المرشحة التي وقع عليها الاختيار بشكل سري على تذكرة الانتخاب التي تسلمها اللجنة الانتخابية ودون رقابة عليهم من أي شخص [١٦٨].

لم يحدد المشرع العراقي مفهوم العازل في قانونه الانتخابي وإنما اقتصر على الإشارة في الأنظمة الصادرة عن المفوضية العليا المستقلة للانتخابات إلى انه يقوم كل ناخب بتأشير ورقة اقتراعه بسرية [١٦٩].

ويرى جانب من الفقه أن عدم وجود مكان منعزل في اللجنة مخصص للتصويت يعد عيبا جسيما يشوب الانتخاب بعدم المشروعية حتى ولو فرض حسن النية في هذه الحالة وان دخول الناخب أو الناخبة في المكان المنعزل للتصويت إجراء إجباري يترتب على عدم الالتزام به بطلان الانتخاب [١٧٠]

ب. استخدام مظروف أو مغلف رسمي:

ثمة قوانين انتخابية تفرض على الناخب لضمان سرية التصويت أن يضع ورقة التصويت المصنوعة من ورق سميك بعد طيها في مظروف أو مغلف رسمي حكومي سابق الإعداد بواسطة جهة الإدارة وممهورا بختم خاص، ويترتب البطلان كأثر عند العبث بهذا المظروف على أي وجه من الوجوه أو وجوده مفتوحا قبل القيام بعملية فرز الأصوات [١٧١]

ج. صندوق الاقتراع:

١٦٦- د.حمدي علي عمر، الانتخابات البرلمانية – دراسة تحليلية وتأصيلية لانتخابات مجلس الشعب المصري لعام ٢٠٠٠، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠١، ص٨٠

١٦٧- حمدية عباس محمد، مصدر سابق، ص٣٨

١٦٨- رشاد احمد يحيى، مصدر سابق، ص٤٥٢

١٦٩- نظام رقم ١٣ لسنة ٢٠٠٥، الاقتراع وفرز الأصوات، القسم الثالث، سجل الناخبين.

١٧٠- د.علي عبد القادر مصطفى، مصدر سابق، ص١٠٦، ود.مصطفى عفيفي، نظامنا الانتخابي في الميزان، مصدر سابق، ص١٤٨

١٧١- د.مصطفى عفيفي، نظامنا الانتخابي في الميزان، مصدر سابق، ص١٤٨

من الإجراءات التنظيمية لضمان سرية التصويت ما يتعلق بصندوق الاقتراع ذاته حيث يشترط أن تجري الانتخابات بصناديق شفافة وباستخدام الحبر الفسفوري [١٧٢]

كما هو الحال في العراق حيث يجب على الناخب أن يمسح بصبغ إصبعهم بحبر لا يمحى، وأي ناخب لا يسمح بتحبير إصبعه لن يسمح له بوضع ورقة الاقتراع في الصندوق [١٧٣]

د.تنظيم تصويت بعض الحالات الخاصة:

لأجل ضمان سرية التصويت تتخذ بعض الإجراءات التنظيمية الاحتياطية اللازمة لذلك كالنص على الكيفية التي تتم بها مشاركة المعاقين من فاقدي البصر وذوي العاهات الخاصة، التي من شأنها إعاقتهم عن المشاركة في التصويت بطريقة اعتيادية.

في العراق يحق للناخب أو الناخبة الذين يحتاجون إلى المساعدة لكونهم أميين أو مكفوفين أو بسبب عائق آخر، أن يساعدهم قريب أو صديق يختاره بنفسه أو يساعده الموظف المسؤول عن محطة الاقتراع [١٧٤]

ثالثا: مبدأ شخصية التصويت

سواء كان الانتخاب حقا للناخب أم كان وظيفة يقوم بها طبقا لشروط خاصة أو على أي وجه يتقرر به حق الناخب في الانتخاب فإنه يلزم أن يقوم الفرد بأداء الانتخاب بنفسه لأنه يؤدي شهادة ويعبر عن رغبته الشخصية في الاختيار فالصوت أمانة يجب على الناخب أداء هذه الأمانة لصاحبها الحقيقي كما أن الناخب مسؤول عن صوته أمام نفسه وأمام المجتمع [١٧٥] وان تجاهل مبدأ شخصية التصويت يؤدي بالإضافة إلى تأثيره السلبي في العملية الانتخابية فانه قد يؤدي إلى تمكين شخص آخر من التصويت بدلا عن الناخب وبدون علمه أو موافقته على ذلك، وهو أمر يضر بحسن سير العملية الانتخابية وما يترتب عليها من نتائج صورية [١٧٦].

وأن إعمال هذا المبدأ ضروري لنزاهة العملية الانتخابية إذ إنه يمنع من قيام أشخاص بالإدلاء بأصوات انتخابية مات أصحابها أو غادروا البلاد أو حتى تقاعسوا عن أداء واجبهم الانتخابي.

ولكن هذا المبدأ لا يمنع من وجود استثناءات عديدة عليه ترجع في معظمها إلى تعذر قيام الناخبة أو الناخب بمباشرة التصويت مباشرة كما في حالة المكفوفين وذوي العاهات أو السفر خارج البلاد أو غير ذلك مما يؤدي إلى السماح بالتفويض أو الوكالة أو المراسلة أو غيرها [١٧٧] وبذلك فانه هناك طريقتين لمشاركة الناخبين في الانتخابات هما تصويت الحاضرين وتصويت الغائبين:

١- تصويت الحاضرين

طبقا للأنظمة الصادرة عن المفوضية العليا المستقلة للانتخابات العراقية يجب على الناخب أو الناخبة لكي تمارس التصويت بالإضافة إلى وجود أسمهم مسجلا في قائمة الناخبين أن يبرز وثيقة تعريف تحمل صورته لإثبات هويته، ويجوز إسقاط هذا الشرط إذا اقتنع الموظف المسؤول عن محطة الاقتراع بما يثبت هوية الناخب بوسائل أخرى [١٧٨].

١٧٢- الموقع على الانترنيت: www.sis.gov.eg

١٧٣- نظام رقم ١٣ لسنة ٢٠٠٥ الصادر عن المفوضية العليا المستقلة للانتخابات، القسم الرابع، عملية الاقتراع

١٧٤- المصدر نفسه.

١٧٥- د.على عبد القادر مصطفى، مصدر سابق، ص٧٦- ٧٧

١٧٦- د.مصطفى عفيفي، نظامنا الانتخابي في الميزان، مصدر سابق، ص١٤١

١٧٧- د.سعيد السيد على، مصدر سابق، ص٣٧٨- ٣٧٩

١٧٨- النظام رقم ١٣ لسنة ٢٠٠٥، الاقتراع وفرز الأصوات.

وبالرغم من الأخذ بمبدأ شخصية التصويت في العراق إلا إن الأمر لم يخلُ من بعض الخروق، وكان يجدر بالمشرع العراقي ذكر مبدأ شخصية التصويت بالإضافة إلى المبادئ الأخرى في متن قانون الانتخابات العراقي رقم ١٦ لسنة ٢٠٠٥.

٢- تصويت الغائبين

من اجل تيسير ممارسة حق التصويت للغائبين يجيز بعض المشرعين ممارسة التصويت عن طريق المراسلة والذي يتم عن طريق إرسال رأي الناخب مع البيانات الخاصة ببطاقة أو شهادة الانتخاب إلى اللجنة المقيد اسمه أمامها في جدولها الانتخابي، أو عن طريق التوكيل أو الإنابة ومقتضاه أن توكل أو تنيب شخص آخر تعينه في إقرار التوكيل أو الإنابة للإدلاء برأيه في الانتخابات العامة لصالح مرشح أو مرشحة معينة أو قائمة مرشحين بعينها [١٧٩] وذلك في حالة عدم تمكن الناخبين من الانتقال إلى قاعة الانتخاب ومباشرة التصويت.

في العراق لم يتم الأخذ بأي من هاتين الطريقتين وإنما يكون التصويت شخصي يمارسه الناخب بنفسه ولا يحق له التصويت بواسطة التخويل والإنابة أو بواسطة المراسلة [١٨٠].

المبحث الثالث: النظام الانتخابي لاختيار أعضاء مجلس النواب العراقي لعام ٢٠١٠

تختلف الدول في تحديدها للنظام الانتخابي، إذ ُن ذلك يعود للظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية لكل دولة كما إن مستوى الوعي السياسي للجماهير ومدى تجاوب أنظمة الحكم مع الإرادة العامة للمواطنين والتزامها بالمبادئ الديمقراطية كل ذلك له الأثر الفعال في تحديد النظام الانتخابي لكل دولة [١٨١]. وبناء على ما تقدم سنقوم ببحث النظام الانتخابي في المطلب الأول ومن ثم نتناول نظام توزيع المقاعد النيابية في المطلب الثاني.

المطلب ألأول : النظام الانتخابي

لابد قبل بدء البحث في العملية الانتخابية العراقية من تحديد النظام الانتخابي من حيث الدوائر الانتخابية واليات تقسيمها فيما إذا كانت الدولة تعد بالكامل دائرة انتخابية أو تقسم إلى عدة دوائر انتخابية وإن تحديد تلك الدوائر يستتبعه تحديد المقاعد المخصصة لكل دائرة انتخابية، حتى يتمكن المرشحون من معرفة المقاعد المتنافس عليها وهناك عدة معايير لتقسيم تلك الدوائر وتحديد عدد المقاعد منها العدد الإجمالي أي تحديد عدد محدد لكل دائرة انتخابية دون اختلاف والمعيار الآخر هو مراعاة الكثافة السكانية في تحديد المقاعد المخصصة لكل دائرة [١٨٢]

وقد اخذ المشرع العراقي بالمعيار الثاني والذي أستند إلى الكثافة السكانية كأساس لتحديد المقاعد المخصصة لكل دائرة انتخابية حيث يتألف مجلس النواب من عدد من المقاعد بنسبة مقعد واحد لكل مائة ألف نسمة وفقا" لإحصائيات وزارة التجارة للمحافظات لعام ٢٠٠٥ على أن تضاف نسبة النمو السكاني بمعدل (٢.٨٪) لكل محافظة سنويا" [١٨٣] وعليه سنبحث النظام الانتخابي في فرعين نتناول في المطلب الأول النظام الانتخابي المعمول به في العراق لعام ٢٠١٠ وسنخصص المطلب الثاني لدراسة عملية توزيع المقاعد النيابية في الدائرة الانتخابية.

١٧٩- محمد عبد العزيز محمد على الحجازي، مصدر سابق، ص ٢٢٨ - ٢٢٩

١٨٠- نظام رقم ١٣ لسنة ٢٠٠٥ الصادر عن المفوضية العليا المستقلة للانتخابات.

١٨١- د. عدنان طه الدوري، القانون الدستوري والنظم السياسية، ط١، طرابلس، ٢٠٠٢، ص٢٥٧

١٨٢- د.نعيم كاظم جبر، أحكام قانون انتخابات مجالس المحافظات والاقضية والنواحي رقم ٣٦ لسنة ٢٠٠٨، مكتبة السنهوري، بغداد، ٢٠٠٩، ص٤٥

١٨٣- المادة ١ / أولا" من قانون رقم ٢٦ لسنة ٢٠٠٩ قانون تعديل قانون الانتخابات رقم ١٦ لسنة ٢٠٠٥

الفرع الأول: النظام الانتخابي

سنتناول النظام الانتخابي المعمول به في العراق لعام ٢٠١٠ في الفقرة الأولى من المطلب ومن ثم سنتناول في الفقرة الثانية توزيع المقاعد في الدائرة الانتخابية:

أولا": النظام الانتخابي المعمول به في العراق لعام ٢٠١٠

أعتمد قانون الانتخابات رقم ١٦ لسنة٢٠٠٥ المعدل في المواد (١٥- ١٦) منه نظام تعدد الدوائر الانتخابية باعتبار كل محافظة وفقا" للحدود الإدارية الرسمية دائرة انتخابية تختص بعدد من المقاعد يتناسب مع عدد الناخبين المسجلين في المحافظة، وان يكون الترشيح على أساس القائمة المغلقة بالإضافة إلى الترشيح الفردي، وان يتم توزيع المقاعد المخصصة للدوائر الانتخابية من خلال نظام التمثيل النسبي [١٨٤]

إلا إنه قد تم إلغاء هذه المادة وتعديلها بالقانون رقم ٢٦ لسنة ٢٠٠٩ إذ أصبح الترشيح استنادا" إلى قانون تعديل قانون الانتخابات للقوائم المفتوحة وبذلك يحق للناخب التصويت على القائمة بأكملها أو لأحد المرشحين فيها وكذلك أجاز المشرع الترشيح الفردي [١٨٥]

وقد حدد المشرع العراقي عدد المقاعد لمجلس النواب بمقعد واحد لكل مائة ألف نسمة وفقا" لإحصائيات وزارة التجارة للمحافظات لعام ٢٠٠٥ على أن تضاف نسبة النمو السكاني بمعدل (٢,٨٪) لكل محافظة سنويا"، واستنادا" إلى نظام رقم٢١ لسنة ٢٠١٠ الصادر عن المفوضية العليا المستقلة للانتخابات والخاص بتوزيع المقاعد لانتخابات مجلس النواب يتكون مجلس النواب العراقي من ٣٢٥ مقعد يتم توزيعها بالشكل الآتي:-

١. المقاعد العامة والبالغة ٣١٠ مقعد، ويقصد بالمقاعد العامة هي المقاعد المحددة في قانون الانتخابات رقم ١٦ لسنة ٢٠٠٥ بعد استقطاع المقاعد التعويضية.
٢. مقاعد المكونات والبالغة ٨ مقاعد وتوزع كالآتي:-
   - خمسة مقاعد للمكون المسيحي في (بغداد، اربيل، نينوى، دهوك، كركوك)
   - مقعد واحد للمكون الايزيدي في (نينوى)
   - مقعد واحد للمكون الشبكي في (نينوى)
   - مقعد واحد للمكون الصابئ في (بغداد)

وبذلك تعد هذه المقاعد كوتا مخصصة للأقليات في المجتمع العراقي وذلك للحفاظ على حقوق هذه الأقليات وضمان تمثيلها في مجلس النواب على أن لا تؤثر هذه الكوتا على نسبتهم في حالة مشاركتهم في القوائم الوطنية [١٨٦]

٣. تخصص نسبة ٥٪ من مقاعد مجلس النواب كمقاعد تعويضية وقد حددتها أنظمة المفوضية العليا بسبعة مقاعد وعرفت بالمقاعد التعويضية الوطنية وهي المقاعد التي يتم توزيعها على الكيانات الفائزة بنسبة ما حصلت عليه من المقاعد [١٨٧]

ثانيا": توزيع المقاعد في الدائرة الانتخابية

يتم توزيع المقاعد في الدائرة الانتخابية على ثلاثة مراحل:

المرحلة الأولى: توزيع المقاعد العامة على المحافظات

١٨٤- المادة ١٦ من قانون الانتخابات رقم١٦ لسنة ٢٠٠٥.
١٨٥- المادة ٣ من قانون رقم ٢٦ لسنة ٢٠٠٩ قانون تعديل قانون الانتخابات رقم ١٦ لسنة ٢٠٠٥
١٨٦- المادة ٣ من قانون رقم ٢٦ لسنة ٢٠٠٩ قانون تعديل قانون الانتخابات رقم ١٦ لسنة ٢٠٠٥
١٨٧- المادة ١ / رابعا" من قانون رقم ٢٦ لسنة ٢٠٠٩ قانون تعديل قانون الانتخابات رقم ١٦ لسنة ٢٠٠٥

يقصد بالمقاعد العامة: وهي المقاعد المحددة في قانون الانتخابات رقم ١٦ لسنة ٢٠٠٥ المعدل بعد استقطاع المقاعد التعويضية[١٨٨] أي ما يساوي ٣١٠ مقعد توزع على المحافظات، وتبدأ عملية توزيع المقاعد باحتساب القاسم الانتخابي ويعرف بأنه: عدد الأصوات اللازمة للحصول على مقعد في الدائرة الانتخابية ويتم احتساب القاسم الانتخابي بتقسيم عدد الأصوات الصحيحة [١٨٩] المدلى بها لجميع الكيانات السياسية ضمن الدائرة الانتخابية (مطروحا" منها الأصوات الصحيحة التي تم الإدلاء بها للمكونات [١٩٠] على عدد المقاعد العامة المخصصة للدائرة الانتخابية.

ولمعرفة عدد المقاعد لكل كيان سياسي فائز يتم تقسيم العدد الكلي للأصوات الصحيحة الحاصل عليها في الدائرة الانتخابية على القاسم الانتخابي للانتخابية فيخصص لكل كيان عدد من المقاعد مساوي للعدد الصحيح الناتج عن القسمة لكل قائمة وفي حالة وجود مقاعد متبقية فأنها تعتبر مقاعد شاغرة.

المرحلة الثانية: توزيع المقاعد الشاغرة

تمنح المقاعد الشاغرة للقوائم الفائزة التي سبق وأن حصلت على عدد من المقاعد من المرحلة الأولى [١٩١] وبذلك فإن هنالك دعم للقوائم الفائزة وذلك خلافا" لما كان متبع في الانتخابات السابقة حيث أشار قانون رقم ١٦لسنة ٢٠٠٥ إلى توزيع المقاعد الشاغرة باعتماد طريقة الباقي الأقوى [١٩٢] وبالتالي فأنه يتم توزيع المقاعد الشاغرة للقوائم التي لديها أكبر باقي سواء كانت هذه القوائم فائزة أم غير فائزة، ونرى إن المشرع العراقي كان موفقا" عند تعديله لهذه المادة ودعمه للقوائم الفائزة وذلك مما يساعد على التقليل من عدد الكيانات السياسية الداخلة

ويتم توزيع هذه المقاعد بعد احتساب نسبة كل قائمة فائزة غير مستنفذة من المقاعد الشاغرة وذلك من خلال قسمة مجموع الأصوات التي حصلت عليها القائمة الفائزة على مجموع أصوات الكيانات الفائزة غير المستنفذة في الدائرة مضروبا" بعدد المقاعد الشاغرة وتمنح للقائمة عدد من المقاعد مساوي للعدد الصحيح دون الكسر العشري من ناتج القسمة وفي حالة بقاء مقاعد شاغرة لم يتم شغلها تمنح للقائمة الفائزة التي لديها أكبر كسر عشري وفق الطريقة الحسابية المذكورة أعلاه، وفي حالة أن تساوت قائمتان في العدد الصحيح والكسر العشري تجري القرعة بينهما لمعرفة الفائز بالمقعد الشاغر.

المرحلة الثالثة: توزيع المقاعد التعويضية

أشار المشرع العراقي ألى إنه تخصص نسبة (٥٪) من مقاعد مجلس النواب كمقاعد تعويضية توزع على القوائم بنسبة المقاعد التي حصلت عليها[١٩٣]

وقد حددت المذكرة التفسيرية لقانون الانتخابات رقم ٢٤ لسنة ٢٠٠٩ المقاعد التعويضية ب(١٥) مقعد من ضمنها المقاعد المخصصة للأقليات والبالغة ثمانية مقاعد وبذلك عدد المقاعد التعويضية بعد طرح مقاعد الأقليات يبلغ سبعة مقاعد[١٩٤].

١٨٨- نظام رقم ٢١ لسنة ٢٠١٠ / القسم الأول – سابعا"والصادر عن المفوضية العليا المستقلة للانتخابات العراقية.

١٨٩- يقصد بالأصوات الصحيحة هي الأصوات الصالحة للاحتساب وفقا" لإجراءات المفوضية العليا للانتخابات / نظام رقم ٢١ لسنة ٢٠١٠ / القسم الأول

١٩٠- وهذه المكونات هي المكون المسيحي و الايزيدي و الشبكي و الصابئ.

١٩١- المادة ٣/رابعا" من قانون الانتخابات رقم ٢٦ لسنة ٢٠٠٩.

١٩٢- المادة ١٦ / ثالثا" من قانون الانتخابات رقم ٢٦ لسنة ٢٠٠٩.

١٩٣- المادة الأولى /خامسا" من قانون الانتخابات المعدل رقم ٢٦ لسنة ٢٠٠٩.

١٩٤- المادة الثالثة من المذكرة التفسيرية لقانون الانتخابات رقم ٢٤ لسنة ٢٠٠٩.

وقد حدد المشرع العراقي منح هذه المقاعد للقوائم الفائزة التي سبق وان حصلت على مقاعد في الدوائر الانتخابية وهذا خلاف ما ذهب إليه المشرع في قانون الانتخابات رقم ١٦ لسنة ٢٠٠٥ إذ حدد المقاعد التعويضية ب(٤٥) مقعد توزع على الكيانات التي لم تحصل على تمثيل في الدوائر الانتخابية[١٩٥]

وبذلك فإن المقاعد التعويضية تمنح لأفضل الفائزين وفي هذا دعم للقوائم الفائزة والحد من تعدد الأحزاب وكثرتها داخل البرلمان العراقي مما يساعد على الحد من حدة الخلافات داخل البرلمان في حالة تعدد الأحزاب والكيانات السياسية، ونرى إن المشرع كان موفقا" في منح المقاعد الشاغرة والتعويضية إلى القوائم الفائزة وإن كان ذلك يؤدي إلى إهدار أصوات الناخبين المؤيدة للقوائم الخاسرة في العملية الانتخابية.

ويتم توزيع المقاعد التعويضية الوطنية على القوائم الفائزة وذلك بقسمة عدد المقاعد التي حصل عليها الكيان على مستوى الوطني على عدد المقاعد العامة والبالغة (٣١٠) مقعد مضروبا" بعدد المقاعد التعويضية الوطنية والبالغة سبعة مقاعد لمعرفة حصة كل كيان سياسي من المقاعد التعويضية الوطنية، حيث يخصص لكل كيان عدد من المقاعد التعويضية مساوي للعدد الصحيح دون الكسر العشري لناتج القسمة حسب العملية الحسابية المذكورة أعلاه وفي حالة بقاء عدد من المقاعد التعويضية الوطنية شاغرة تخصص أكبر كسر عشري [١٩٦]

الفرع الثاني: توزيع المقاعد بين المرشحين

إن غاية كل كيان سياسي مشارك في العملية الانتخابية هو الحصول على عدد من المقاعد في الدائرة الانتخابية المرشح فيها وحسب القاعدة الجماهيرية التي يملكها[١٩٧] إضافة إلى نظام الكوتا المطبق في مجلس النواب سواء بالنسبة إلى تمثيل النساء في مجلس النواب أو تمثيل الأقليات.

وبناء" على ما تقدم نقسم دراسة هذا الفرع إلى فقرتين سنبحث في الفقرة الأولى توزيع المقاعد بين المرشحين والثانية تخصص لبيان أحكام نظام الكوتا.

أولا": توزيع المقاعد بين المرشحين

تختلف طريقة توزيع المقاعد بين مرشحي القائمة الواحدة باختلاف نوع القائمة سواء كانت قائمة مفتوحة أم قائمة مغلقة، فإذا كنا أمام قائمة مفتوحة فان الناخب يعد القائمة الخاصة به إذ يستطيع أن يختار من كل قائمة مرشحة عدد من أسماء المرشحين الذين يرغب بتمثيلهم له في البرلمان بقدر الأسماء المطلوب انتخابها، ففي هذه الحالة يتم توزيع المقاعد المخصصة لكل قائمة بإحصاء عدد الأصوات التي حصل عليها كل مرشح في القائمة ويعاد ترتيب أسماء المرشحين في القائمة فالذي يحصل على أكبر عدد من الأصوات يأتي في التسلسل الأول للقائمة وهكذا حتى نهاية القائمة وبالتالي فإن المقعد الذي حصلت عليه القائمة يعد من نصيب المرشح الذي حصل على اكبر عدد من الأصوات وإذا حصلت القائمة على مقعدين يمنح المقعد الثاني للمرشح الذي يلي المرشح الأول في عدد الأصوات وهكذا.

أما إذا كنا أمام قائمة مغلقة ففي هذه الحالة فإن الناخب ليس لديه حرية في اختيار احد المرشحين من القائمة وإنما هذه القائمة تكون معدة مسبقا" من قبل واضعي القائمة وبذلك فإن الناخب إما يختار القائمة بأكملها كما هي أو يرفضها بأكملها وعليه فانه في حالة في حالة حصول القائمة على مقعد فانه يمنح للمرشح صاحب التسلسل الأول في القائمة والذي تم اختياره من قبل واضعي القائمة وفي حالة حصولها

١٩٥- المادة ١٧ من قانون الانتخابات رقم ١٦ لسنة ٢٠٠٥.
١٩٦- القسم الرابع /نظام رقم ٢١ لسنة ٢٠٠٥ (توزيع المقاعد لانتخابات مجلس النواب)
١٩٧- د.نعيم كاظم جبر، مصدر سابق، ص١٠٩

على مقعدين يمنح المقعد الثاني للمرشح صاحب التسلسل الثاني في القائمة وهكذا حتى يتم شغل كافة المقاعد التي حصلت عليها القائمة.

وقد يرد استثناء" على القائمة المغلقة ولفسح المجال أمام الناخب لأن يختار مرشحيه ضمن القائمة الواحدة ولذلك لجأت بعض القوانين الانتخابية إلى التصويت التفضيلي ويقصد به أن يضع الناخب علامة أمام الاسم أو الأسماء الواردة في القائمة والتي يريد أو يصوت لها وعليه فان الناخب في هذه الحالة لا يعطي صوته للقائمة كلها أي لجميع المرشحين الموجودين في القائمة وإنما يصوت الناخب لأحد المرشحين أو أكثر وعليه فان عملية توزيع المقاعد بين مرشحي القائمة وبما إن المرشحين غير متساوين في عدد الأصوات التي حصلوا عليها وبذلك يتم إعادة ترتيب المرشحين ضمن القائمة فالمرشح الحاصل على أغلبية الأصوات يأتي في المرتبة الأولى في القائمة ويليه المرشح الحاصل على عدد أصوات أقل من المرشح الأول وهكذا حتى نهاية القائمة، وفي حالة حصول القائمة على مقعد نيابي يمنح هذا المقعد للمرشح الحاصل على أغلبية الأصوات وفي حالة حصول القائمة على مقعدين يمنح المقعد الثاني للمرشح الذي يليه في عدد الأصوات وهكذا[١٩٨]

وقد أشار المشرع العراقي إلى إن الترشيح في انتخابات مجلس النواب لعام ٢٠١٠ يتم أما بطريقة القائمة المفتوحة والترشيح الفردي ويحق للناخب التصويت على القائمة المفتوحة أو أحد المرشحين فيها[١٩٩]

وبناء" على ما تقدم ذكره من بيان مفهوم القائمة المفتوحة والقائمة المغلقة نرى إن المشرع العراقي قد جمع مابين القائمة المغلقة والقائمة المفتوحة وذلك عندما يصوت الناخب للقائمة بأكملها والتصويت التفضيلي في حالة اختيار الناخب لأحد مرشحي القائمة وبذلك فإنه لم يتم الأخذ بنظام القائمة المفتوحة وإن نص عليها المشرع في قانون الانتخابات المعدل بقانون رقم ٢٦ لسنة ٢٠٠٩.

وقد وضح المشرع العراقي كيفية توزيع المقاعد النيابية بين مرشحي القائمة الواحدة حيث بما إن المرشحين غير متساوين في عدد الأصوات التي حصلوا عليها وبذلك يعاد ترتيب تسلسل المرشحين استنادا" إلى عدد الأصوات التي حصل عليها كل مرشح وبذلك يكون الفائز بالمقعد هو من يحصل على أعلى الأصوات وهكذا بالنسبة إلى بقية المرشحين[٢٠٠] وفي حالة تعادل الأصوات مرشحين أو أكثر في القائمة الواحدة يتم اللجوء إلى القرعة لتحديد الفائز بالمقعد النيابي.

هذا بالنسبة للمقاعد العامة أما المقاعد المخصصة للمكونات (الايزيدي، الصابئ، الشبكي) والبالغة ثلاثة مقاعد فلم يحدد المشرع في قانون الانتخابات كيفية توزيع هذه المقاعد وترك المشرع بيان تفصيل ذلك إلى المفوضية العليا المستقلة للانتخابات استنادا" إلى الأنظمة الصادرة عنها والتي أشارت إلى إنه يمنح المقعد المخصص للقائمة التي تحصل على أعلى عدد من الأصوات وفي حالة تعادل الأصوات لقائمتين أو أكثر لذات المكون تقوم المفوضية بأجراء القرعة بينهم لتحديد الفائز منهم.

وبالنسبة للمقاعد المخصصة للكون المسيحي والبالغة خمسة مقاعد فإنه يتم ترتيب المرشحين من الكيانات الفائزة حسب عدد الأصوات الصحيحة التي حصل عليها كل مرشح وحسب نظام الأغلبية فإذا كان الفائزين مسجلين في خمسة محافظات مختلفة يتم توزيع المقاعد على المرشحين الخمسة. أما إذا حصل كيان سياسي على مقعدين لمرشحين مسجلين في المحافظة نفسها يمنح مقعد واحد للمرشح الحاصل على أكثر الأصوات وفي حالة تساوي أصوات المرشحين يتم اللجوء إلى القرعة لتحديد الفائز بينهما ويمنح المقعد

١٩٨- د.صالح جواد كاظم ود. علي غالب العاني، الأنظمة السياسية، بغداد، ١٩٩٠ - ١٩٩١، ص٥٥- ٥٦
١٩٩- المادة ٣/أولا" من قانون الانتخابات المعدل رقم ٢٦ لسنة ٢٠٠٩
٢٠٠- المادة ٣/أولا" من قانون الانتخابات المعدل رقم ٢٦ لسنة ٢٠٠٩

الثاني للمرشح الذي يليه في عدد الأصوات والمسجل في محافظة أخرى وعلى ذات الكيان السياسي، وفي حالة إذا حصلت قائمة منفردة على مقعد فإن الأولوية في توزيع المقاعد يكون للقوائم المنفردة، وإذا حصلت قائمتان منفردتان على مقعد في المحافظة نفسها يتم تخصيص المقعد إلى الكيان الحاصل على أعلى عدد من الأصوات وفي حالة تساوي عدد الأصوات يتم اللجوء إلى القرعة لتحيد الفائز بالمقعد النيابي، وفي حالة إذا لم تقدم الكيانات الفائزة مرشحين مسجلين في جميع المحافظات الخمسة تعد تلك القوائم مستنفذة [٢٠١] ويتم توزيع المقاعد المتبقية بالترتيب على مرشحي القوائم الأخرى التي حصلت على أقرب عدد من الأصوات إلى القاسم الانتخابي والتي لديها مرشحين مسجلين في المحافظات الخمس[٢٠٢]

وقد بينت المفوضية العليا آلية توزيع المقاعد التعويضية الوطنية على المرشحين غير الفائزين من القوائم وذلك بقسمة عدد الأصوات التي حصل عليها المرشح غير الفائز بمقعد على مجموع الأصوات التي حصلت عليها القائمة الفائزة في الدائرة الانتخابية بمقعد تعويضي ويمنح المقعد للمرشح الذي يحصل على أكبر نسبة من بين المرشحين وإذا تساوت النسبة لمرشحين أو أكثر يتم اللجوء إلى القرعة لتحديد الفائز منهم بالمقعد التعويضي [٢٠٣]

ثانيا": نظام الكوتا

ويرجع الأصل التاريخي لنظام الكوتا إلى مصطلح الإجراء الإيجابي AFFIRMATIVE ACTS حيث أطلق لأول مرة في الولايات المتحدة على سياسة تعويض الجماعات أما من قبل السلطات الحكومية أو من قبل أصحاب العمل في القطاع الخاص وقد كان في الأصل ناجما" عن حركة الحقوق المدنية ويتصل بالأقلية السوداء وقد أطلقه لأول مرة الرئيس (كنيدي سنة ١٩٦١) وتابعه جونسون في برنامجه الذي كان يمثل جزء من الحرب على الفقر في بداية عام ١٩٦٥، فتم تطبيق نظام حصص نسبية (الكوتا) يلزم الجهات تخصيص نسبة معينة من الطلاب المقبولين فيها الذين ينتمون إلى أقليات أثنية، فطالبت به جماعات أخرى مثل الحركة النسائية، كما أنتشر في بلدان أخرى كانت تشعر فيها الأقليات بأنها محرومة من الحقوق[٢٠٤].

يقصد بنظام الكوتا النسائية تخصيص عدد من مقاعد المجالس التمثيلية الوطنية والإقليمية والمحلية للنساء، أي أن تكون للنساء حصة في عضوية السلطة التشريعية على سبيل الوجوب والإلزام بحيث لا تكتسب هذه المجالس النيابية الصفة الدستورية والمشروعية ما لم يكن بين أعضائها عدد من النساء [٢٠٥]

١- مبررات نظام الكوتا النسائية

هناك عدة مبررات مساندة لتطبيق نظام الكوتا النسائية في المجالس المنتخبة وهي:

أ- العدالة، فعدد النساء في أي مجتمع يقترب من النصف إن لم يكن يزيد في بعض الحالات، ولذلك فإنه ليس من العدالة في شيء أن يحرم نصف المجتمع من التمثيل في المجالس النيابية على كافة مستوياتها.

٢٠١- القسم الثالث /ثانيا" من نظام رقم ٢١ لسنة ٢٠١٠ (توزيع المقعد لانتخابات مجلس النواب)

٢٠٢- المصدر نفسه.

٢٠٣- القسم الرابع /ثانيا" من نظام رقم ٢١ لسنة ٢٠١٠ (توزيع المقعد لانتخابات مجلس النواب)

٢٠٤- ضياء عبد الله الجابر، نظام الكوتا النسائية في مجلس النواب العراقي، ٢٠٠٦، الموقع الالكتروني، مركز الفرات للتنمية والدراسات الإستراتيجية، الرابط الالكتروني: www.fcdrs.com، ولورانس غراهام وآخرون، السياسة والحكومة مقدمة للأنظمة السياسية في الولايات المتحدة وفي بريطانيا وفرنسا وألمانيا وروسيا وأوربا الشرقية واليابان والمكسيك والعالم الثالث، ترجمة عبد الله بن فهد عبد الله اللحيدان، جامعة الملك سعود، الرياض، بلا سنة طبع، ص٥٠

٢٠٥- د.بلقيس أبو أصبع، تخصيص مقاعد للمرأة في المجالس المنتخبة: التجارب الدولية والعربية في تطبيق نظام الحصص (الكوتا) الموقع الالكتروني، اللجنة الوطنية للمرأة، الرابط الالكتروني: www.yemeni – women.org.ye و أحمد ثابت، مصدر سابق، الرابط الالكتروني: www.ecwronline.org

ب- تمثيل المصالح، الذي ينطلق من تصور النظام السياسي بكونه ينقسم إلى جماعات ذات مصالح متباينة، وأن دور الهيئات النيابية هو إفساح المجال للتعبير عن هذه المصالح، وإيجاد السبل الخاصة للتوفيق بين هذه المصالح.

ت- إن تخصيص مقاعد للنساء في المجالس النيابية يعطي أنموذجا" للمشاركة السياسية جدير بالإقتداء يكمن بدوره في زيادة المشاركة السياسية للنساء [٢٠٦]

وفي دراسة قيمة أعدها الاتحاد البرلماني الدولي عام ١٩٩٢ حول ممارسة النساء للسلطة السياسية، وردت الإشارة إلى أن التشريع الداخلي لكافة الدول تقريبا يؤكد على حق المرأة في الترشيح والانتخاب، وبدون أي تمييز عن الرجل.

وبالرغم من ذلك ما تزال النساء يعانين من التفرقة والتمييز في غالبية المجتمعات للعديد من الأسباب الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، ومن هنا كانت التوصية بتبني مفهوم التمييز الايجابي والذي مؤداه أن تعطى النساء نوعا من المساعدة المؤسسية – ضمن غيرها من المساعدات – للتعويض عن التمييز الفعلي الذي يعانين منه، على أن يكون ذلك بصورة مؤقتة حتى يتم تحقيق التوازن العادل بينهن وبين الرجال [٢٠٧]

وقد طبق نظام الكوتا النسائية في العراق سنة ٢٠٠٥ [٢٠٨] وفي مصر سنة ١٩٧٩ وفي فرنسا سنة ١٩٩٩.

٢- أشكال أنظمة الكوتا:

هناك العديد من أنظمة تخصيص نسبة للمرأة في التمثيل السياسي، وعلى وجه العموم هناك أربعة أنظمة رئيسة للكوتا وهى الكوتا الدستورية والكوتا القانونية للبرلمان والكوتا القانونية للمجالس المحلية والكوتا الحزبية:

- الكوتا الدستورية

وهي نظام تخصص فيه المقاعد للمرأة في البرلمان بنص الدستور ويأتي العراق وفرنسا والأرجنتين ورواندا ضمن ١٤ دولة تأخذ بهذا النظام، وبه حققت رواندا أعلى نسبة تمثيل للمرأة في البرلمان في العالم (٤٨,٥٪).

- الكوتا القانونية

وهي نظام تخصص فيه مقاعد للمرأة في البرلمان بنص في قانون الانتخابات، والدول الأربعة عشر التي تأخذ بنظام الكوتا الدستورية تقع ضمن ٣٢ دولة صدرت فيها قوانين تنص على تخصيص نسبة من المقاعد في البرلمان للمرأة ومنها العراق وفرنسا.

- الكوتا القانونية في المجالس المحلية:

هذا النوع من الكوتا ينص عليه في الدستور أو بالقانون، وهو مطبق في فرنسا حيث خصص نسبة النصف (٥٠٪) للنساء في قوائم الأحزاب إذا كان عدد المقاعد ستة مقاعد أو أكثر، حيث تجري الانتخابات

٢٠٦- د.بلقيس أبو أصبع، مصدر سابق، الرابط الالكتروني: www.yemeni – women.org.ye

٢٠٧- ومن الدول التي أخذت نظام تخصيص الحصص (الكوتا) للنساء الأردن وفق النظام المعدل لنظام تقسيم الدوائر الانتخابية والمقاعد المخصصة لسنة ٢٠٠٣ وذلك بتخصيص ستة مقاعد تخصص لأشغالها من قبل المرشحات الفائزات في المملكة وفقا" لأحكام الفقرة ج من المادة ٤٥ من قانون انتخابات مجلس النواب رقم ٤٣ لسنة ٢٠٠١، أشار إليه صباح سيادي، تجربة المرأة الأردنية السياسية ونظام الكوتا، ٢٠٠٦، الموقع الالكتروني، مركز الدراسات، الرابط الالكتروني: www.amanjordan.org

وفي المغرب خصص للنساء في انتخابات ٢٧ سبتمبر ٢٠٠٢ نسبة تصل إلى ١٠٪ من مقاعد البرلمان، أشارت إليه عائشة غلوم، التمثيل السياسي للمرأة بنظام الكوتا المغرب نموذجا"، ٢٠٠٦، الموقع الالكتروني، مركز الدراسات، الرابط الالكتروني: www.amanjordan.org

٢٠٨- د.بلقيس أبو أصبع، مصدر سابق، الرابط الالكتروني: www.yemeni – women.org.ye

المحلية بنظام القوائم، وهذا ما أشار إليه قانون تعزيز المساواة في الوصول للمرأة والرجل aux mandats électoraux et fonctionsélectivesإلى الولايات الانتخابية والوظائف الانتخابية الصادر عام ٢٠٠٠ في المادة ٤ والتي تشير إلى " كل قوائم تشمل ٥٠ ٪ للمرشحين لكل من الجنسين". و المادة ٥ التي تشير إلى " قائمة كل يوم، فإن الفجوة بين عدد المرشحين من كل جنس قد لا تتجاوز واحد. داخل كل مجموعة كاملة من ستة مرشحين من أجل عرض من قائمة وينبغي أن تشمل على عدد متساو للمرشحين لكل من الجنسين " (٢٠٩).

- نظام الحصة الحزبية:

وفق هذا النظام تلتزم الأحزاب بترشيح نسبة معينة في قوائمها من النساء وهو التزام اختياري دون تشريع في بعض الدول كايطاليا والنرويج وإجباري في الدول التي تجري فيها الانتخابات بنظام القوائم كألمانيا والسويد، ومن الدول العربية التي أخذت بهذا النظام العراق بالنسبة للقوائم الانتخابية والمغرب والجزائر وتونس(٢١٠).

وفي فرنسا تجري انتخابات الجمعية الوطنية بالنظام الفردي، لذا لا يلزم القانون الأحزاب بتخصيص نسبة للنساء ولكنه يوقع عقوبة مالية على الحزب الذي لا تمثل النساء فيه نصف عدد مرشحيه في الانتخابات العامة التي تجري بالنظام الفردي (٢١١).

٣- المعالجة التشريعية لنظام الكوتا النسائية:

نظم قانون إدارة الدولة العراقية للمرحلة الانتقالية لعام ٢٠٠٤ نظام الكوتا النسائية النسبة للجمعية الوطنية في المادة ٣٠ فقرة ج والتي تنص على أن "... يستهدف قانون الانتخابات تحقيق نسبة تمثيل للنساء لا تقل عن الربع من أعضاء الجمعية الوطنية..." وأشار الدستور العراقي لسنة ٢٠٠٥ في المادة ٤٩/ رابعا" إلى أنه " يستهدف قانون الانتخابات تحقيق نسبة تمثيل للنساء لا تقل عن الربع من عدد أعضاء مجلس النواب ".

وأكد قانون الانتخابات العراقي رقم ١٦ لسنة ٢٠٠٥ المعدل على نظام الحصص النسائية في مجلس النواب وذلك إعمالا" للنص الدستوري فجاءت المادة ١١ منه مقرة لهذا النظام بقولها " يجب أن تكون امرأة واحدة على الأقل ضمن أول ثلاثة مرشحين في القائمة، كما يجب أن تكون ضمن أول ستة مرشحين في القائمة امرأتان على الأقل، وهكذا حتى نهاية القائمة " مع أن النسبة المثبتة في القانون المذكور لا ترقى إلى النسبة التي حددها برنامج المجلس الاقتصادي والاجتماعي التابع للأمم المتحدة والقاضي بتحقيق نسبة لتمثيل النساء في أجهزة الدولة العليا لا تقل ٣٠٪ إلا أن قانون الانتخابات أوجد طفرة نوعية في مجال تمثيل المرأة في المجالس النيابية للدولة قياسا" بنسبة تمثيلها في برلمانات الدول النامية وحتى المتطورة منها (٢١٢).

٤- موقف الفقه من نظام الكوتا النسائية

انقسم الفقه الدستوري بصدد نظام الكوتا النسائية إلى اتجاهين الأول يعارض هذا النظام والثاني يؤيده ولكل فريق حججه وأسانيده التي تدعم وجهة النظر التي تبناها:

٢٠٩- CONSEIL CONSTITUTIONNEL: DECISIONS RENDUES ,web site; www. Conseil-constitutionnel.fr/ decision/٢٠٠٠

٢١٠- د.محيي الدين رجب البناص، الكوتا، الموقع الالكتروني، المجلس القومي للمرأة، الرابط الالكتروني: www.ncwegypt.com

٢١١- Giovanni Sartori, Comparative Constitutional Engineering , new York university press , U.S.A. , 1997 , p: 15 , 181

٢١٢- فلاح إسماعيل حاجم، مبدأ المساواة ومهمة تفعيل دور المرأة في الحياة السياسية، الموقع الالكتروني، المركز التقدمي لدراسات وأبحاث مساواة المرأة، ٢٠٠٦، الرابط الالكتروني: www.rezgar.com

الاتجاه الأول: وهو الاتجاه الأكثر تأييدا ويرى أنصاره أن نظام الكوتا النسائية غير مقبول وذلك لأنه يخل بمبدأ المساواة الذي أقرته الدساتير [٢١٣].

فإذا كان دستور ٢٠٠٥ في العراق قد آمن بمبدأ أن لا تقدم للمجتمع العراقي بدون المرأة العراقية واعتنق فكرة تكريم المرأة، حيث تظهر حالات إعلاء شأن المرأة في عدد كثير من النصوص منها ما ورد في ديباجة الدستور حيث نصت على " نحن شعب العراق... عقدنا العزم برجالنا ونسائنا... على احترام قواعد القانون وتحقيق العدل والمساواة... والاهتمام بالمرأة وحقوقها " إضافة إلى مبدأ المساواة المقرر في المادة ١٤ " العراقيون متساوون أمام القانون دون تمييز بسبب الجنس أو العرق أو القومية..."

إلا أن الدستور قد خالف مبدأ المساواة عندما منح في المادة ٤٩ حصة للنساء (كوتا) بحيث لا يكون مجلس النواب دستوريا" ومؤهلا" للقيام بواجباته ما لم يتضمن نسبة ٢٥٪ من عدد أعضائه من النساء على الأقل [٢١٤]

ومن جهة أخرى يرى معارضو الكوتا أن المشرع الدستوري إذا كان قد ضمن للمرأة نسبة تمثيل في المجالس النيابية فإنه لم يضمن الالتزام بمعايير الكفاية والخبرة والإخلاص للوطن والقدرة على خدمة البلاد عند اختيار أي مرشحة للبرلمان، وبالتالي فإن فرض هذه النسبة قد يؤدي إلى تراجع تدريجي في مستوى تقبل المجتمع لمشاركة المرأة في العمل السياسي [٢١٥]

أما الاتجاه الثاني[٢١٦] فيرى أن اعتماد هذا النظام لمرحلة مؤقتة أقصاها خمسة عشر عاما" في الدول والمجتمعات التي ما تزال تتصف بأنها في مرحلة التحول والانتقال إلى الحداثة كدول العالم الثالث له أهميته في الإسراع بتحسين أوضاع المرأة سياسيا" وإبراز وجودها في مواقع صنع القرار [٢١٧].

وإن نظام الكوتا النسائية يساهم في تعزيز وتفعيل دور المرأة في المجتمع بشكل عام وفي الحياة النيابية بشكل خاص من خلال إعداد كوادر نسائية متمكنة في مجال عمل البرلمان، لأن مجتمعات دول العالم الثالث مازالت تعاني من قصور في جانب الكوادر النسائية ولا سيما في المجالس النيابية [٢١٨]

وقد أيد المجتمع الدولي ذلك فقد دعت اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة وإلى اعتماد مبدأ التمييز الايجابي (الكوتا) لصالح المرأة وذلك على اعتبار أن التمييز الايجابي لصالح الفئات الأقل حظا" لا يعد تمييزا" مجحفا" بحق الفئات الأخرى بقدر ما يساعد على الوصول إلى تحقيق المساواة والعدالة في المجتمع.

ولقد دعا المجلس الاقتصادي والاجتماعي لمنظمة الأمم المتحدة في قراره رقم ١٥ لسنة ١٩٩٠ إلى مشاركة المرأة في هياكل السلطة ومواقع صنع القرار بنسبة ٣٠٪والعمل على تعبئة المجتمع رجالا" ونساء" وتوعيته للقيام بتغيير المواقف السلبية المتميزة ضد المرأة ودورها في صنع القرار وتبني آليات وإجراءات تمكنها من ذلك [٢١٩]

٢١٣- د.حميد حنون خالد، قراءة في قانون أدارة الدولة العراقية للمرحلة الانتقالية، مجلة العلوم القانونية، جامعة بغداد، كلية القانون، العدد الأول، المجلد العشرون، ٢٠٠٥، ص٢٠

٢١٤- طارق حرب، المرأة العراقية في الدستور – الواقع والطموح، ٢٠٠٧، الموقع الالكتروني، معهد الإمام الشيرازي الدولي للدراسات – واشنطن، الرابط الالكتروني: www.siironline.org

٢١٥- المرأة والدستور العراقي، منشورات المركز الإعلامي، سلسلة دستورنا ٢، ص١٦

٢١٦- د.محيي الدين رجب البناص، مصدر سابق، الرابط الالكتروني: www.ncwegypt.com، وهند فايز أبو العينين، قانون الكوتا النسائية، ٢٠٠٨، الموقع الالكتروني، موقع امان، الرابط الالكتروني: www.awapp.org

٢١٧- الوضع السياسي للمرأة في أطار مفهوم الكوتا، ٢٠٠٣، مصدر سابق، الرابط الالكتروني: – www.yemeni women.org.ye

٢١٨- ضياء عبد الله الجابر، مصدر سابق، الرابط الالكتروني: www.fcdrs.com

٢١٩- د.محمد مغرم، مصدر سابق، الرابط الالكتروني: : www.yemeni – women.org.ye

وقد أكد تقرير البعثة الدولية للانتخابات العراقية لمجلس النواب العراقي في ١٥ كانون الأول ٢٠٠٥ تأييده لهذا النظام قائلا" " أن هذا التشريع يعد من بين التشريعات الأكثر تقدما" في العالم حيث أدى إلى حصول النساء على ٢٥٪من مقاعد مجلس النواب "[٢٢٠]

ومن الناحية العملية أدى تطبيق نظام الكوتا في الدول إلى رفع نسبة النساء في البرلمانات، ففي المغرب ارتفعت النسبة من ١٪ عام ١٩٩٥ إلى ١١٪ عام ٢٠٠٣ بحيث أصبحت هناك ٣٥ سيدة في البرلمان، وفي الأردن تضاعفت النسبة إلى ٢.٥٪ للمدة ذاتها، وفي تونس ارتفعت النسبة من ٦.٨٪ إلى ١١.٥٪ [٢٢١]

الخاتمة

بعد أن انتهينا من دراسة موضوع (النظام القانوني لانتخاب أعضاء مجلس النواب العراقي) أصبح من الضروري أن نسجل أبرز النتائج والمقترحات:

أولا: النتائج

١. إن التكييف القانوني الأرجح للحق في المشاركة الانتخابية إنه حق سياسي، فليس هو بواجب عام، ولا هو حق وواجب في آن واحد، ولا هو بالسلطة القانونية، وهذا التكييف هو الأقرب و الأكثر انسجاما" مع الروح الديمقراطية واحترام حقوق الإنسان وإن الأخذ بهذا التكييف لحق المرأة في المشاركة الانتخابية لا ينال من حق الدولة في القيام بتنظيمه بمقتضى مالها من صلاحية في إصدار القواعد القانونية المنظمة للمشاركة الانتخابية.

٢. أشار الدستور العراقي لسنة ٢٠٠٥ إلى الحق في المشاركة الانتخابية على أساس من المساواة بين المرأة والرجل وقام المشرع العادي بتنظيمه في قانون الانتخابات رقم ١٦ لسنة ٢٠٠٥ بما يتفق مع مبدأ المساواة وروح الديمقراطية.

٣. تباينت النظم الدستورية المعاصرة في تنظيم المشاركة الانتخابية ومن خلال البحث في ثلاث تجارب تمثلت في العراق ومصر وفرنسا، نجد إن المشرع العراقي كان موفقا" عند تنظيمه لبعض الشروط القانونية للتمتع بالمشاركة الانتخابية كشرط الأهلية السياسية وشروط ممارسة هذا الحق، إلا إنه يؤخذ عليه بعض جوانب القصور في الشروط الأخرى مثل شرط الجنسية، فقد منح المشرع للمتجنس بالجنسية العراقية والذي مضى على تجنسه عشر سنوات حق الترشيح لعضوية مجلس النواب وفق المادة ٩ / ثانيا" من قانون الجنسية رقم ٢٦ لسنة ٢٠٠٦، وكان يجدر بالمشرع العراقي اقتصار الترشيح على صاحب الجنسية الأصلية وذلك للتأكد من مدى ولائه للوطن.

٤. بالرغم من الطفرة المتزايدة في مشاركة المرأة في الأحزاب السياسية والمنظمات غير الحكومية والمدنية فأنهن ما زلن يمثلن نسبة ضئيلة في المراتب العليا والمناصب القيادية والتي تساعد في عملية سن التشريعات في صالح المرأة ومساواتها في المجتمع.

٥. إن تطبيق نظام الكوتا النسائية لتوزيع المقاعد النيابية أسفر عنه نتائج ايجابية في ممارسة الوظيفة التشريعية، إلا إن النساء بقين شبه غائبات عن الواقع السياسي إضافة إلى شغلهن المواقع الدنيا في الأحزاب السياسية، كما إن مجلس الرئاسة المكون من رئيس الدولة ونائبيه خلال فترة الحكومة الانتقالية لم يضم أي امرأة.

٢٢٠- ضياء عبد الله الجابر، مصدر سابق، الرابط الالكتروني: www.fcdrs.com

٢٢١- أيمن محمد وحيد، مصدر سابق، الرابط الالكتروني: www.ecwronline.org

٦. إن المقاعد التعويضية تمنح لأفضل الفائزين وفي هذا دعم للقوائم الفائزة والحد من تعدد الأحزاب وكثرتها داخل البرلمان العراقي مما يساعد على الحد من حدة الخلافات داخل البرلمان في حالة تعدد الأحزاب والكيانات السياسية، ونرى إن المشرع كان موفقا" في منح المقاعد الشاغرة والتعويضية إلى القوائم الفائزة وإن كان ذلك يؤدي إلى إهدار أصوات الناخبين المؤيدة للقوائم الخاسرة في العملية الانتخابية.

ثانيا: الاقتراحات

من خلال بحثنا في حق المرأة في المشاركة الانتخابية في مصر وفرنسا مقارنة بالتجربة العراقية، يمكننا تقديم الاقتراحات الآتية:

١. نقترح تعديل المادة ٦ من قانون الانتخابات العراقي رقم١٦ لسنة ٢٠٠٥ المعدل بإضافة شرط تمتع المرشح لمجلس النواب بالجنسية العراقية الأصلية وبذلك لا يحق للمتجنس ممارسة هذا الحق إلا إنه يحق لأولاده ممارسة حق الترشيح لمجلس النواب.
٢. نقترح تحديد حالات فقد الأهلية العقلية بصورة تفصيلية وعدم الاكتفاء بذكر عبارة " كامل الأهلية " بالنسبة للناخب وفق المادة ٣ من قانون الانتخابات رقم١٦ لسنة ٢٠٠٥ والمرشح لعضوية مجلس النواب ولرئاسة الجمهورية وفق المادتين ٤٩ – ٦٨ من الدستور العراقي الصادر عام ٢٠٠٥.
٣. نقترح تحديد الجرائم التي يفقد بها الشخص أهليته الأدبية في قانون الانتخابات رقم١٦ لسنة ٢٠٠٥.
٤. نقترح تعديل المادة ٦/ خامسا" من قانون الانتخابات العراقي رقم١٦ لسنة ٢٠٠٥ باشتراط أن يكون عضو مجلس النواب حاصلا" على الشهادة الجامعية أو ما يعادلها بدلا" من الشهادة الثانوية أو ما يعادلها ليكون النص القانوني كالأتي " يشترط في المرشح... ٥.أن يكون حاملا" لشهادة الدراسة الجامعية أو ما يعادلها...".
٥. نقترح إضافة مادة إلى قانون الانتخابات تحظر استخدام الأساليب غير الأخلاقية والمكر والخداع في الدعاية الانتخابية ويكون النص كالأتي " يحظر على المرشحين القيام بدعاية انتخابية تنطوي على استخدام أقوال كاذبة عن سلوك احد المرشحين أو أخلاقهم أو التشهير بهم في الدعاية الانتخابية ".
٦. نقترح الإشارة إلى مبادئ التصويت في قانون الانتخابات العراقي رقم ١٦ لسنة ٢٠٠٥ بحيث تكون المادة الثانية من قانون الانتخابات بالشكل الآتي " يجري الانتخاب عن طريق الاقتراع العام والمباشر ويمارس كل ناخب حقه في التصويت بصورة حرة وسرية وشخصية ولا يجوز التصويت بالمراسلة ولا التصويت بالوكالة ".
٧. اتخاذ كافة التدابير الايجابية التي تحقق المساواة النوعية في مراكز السلطة وصنع القرار.

المصادر

أولا: المصادر القانونية

١. د.إبراهيم عبد العزيز شيحا، النظم السياسية الدولة والحكومات، دار المطبوعات الجامعية، القاهرة، ١٩٩٢
٢. د.إسماعيل مرزة، مبادئ القانون الدستوري والعلم السياسي، ط٣، دار الملاك، بغداد، ٢٠٠٤.
٣. د.جابر جاد نصار، الاستفتاء الشعبي والديمقراطي – دراسة دستورية للأستفتاء الشعبي وتطبيقاته في مصر وفرنسا، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٣.

٤. د.جورجي شفيق ساري، النظام الانتخابي على ضوء قضاء المحكمة الدستورية العليا – دراسة تأصيلية تحليلية، ط٢، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠٥.
٥. د.جورجي شفيق ساري، دراسات وبحوث حول الترشيح للمجالس النيابية، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠١.
٦. د.حسن البدراوي، الأحزاب السياسية والحريات العامة – دراسة تأصيلية وتحليلية مقارنة في ١- حرية تكوين الأحزاب ٢- حرية النشاط الحزبي ٣- حق تداول السلطة، دار المطبوعات الجامعة، الإسكندرية، ٢٠٠٠
٧. د.حسن محمد هند، منازعات انتخابات البرلمان – دراسة مقارنة، بلا مكان نشر، ١٩٩٨.
٨. د.حسن الهداوي، الجنسية ومركز الأجانب وأحكامها في القانون العراقي، ط٤، بغداد، بلا سنة طبع.
٩. حفيظة السيد الحداد، الموجز في الجنسية ومركز الأجانب، ط١، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، ٢٠٠٥.
١٠. د.حمدي على عمر، الانتخابات البرلماني دراسة تحليلية وتأصيلية لانتخابات مجلس الشعب المصري لعام ٢٠٠٠، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠١.
١١. د.حميد ألساعدي، مبادئ القانون الدستوري وتطور النظام السياسي في العراق، دار الحكمة، الموصل، ١٩٩٠.
١٢. د.داود ألباز، القيد في جداول الانتخاب ومنازعاته أمام القضاء دراسة في فرنسا ومصر، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٥.
١٣. د.داود ألباز، النظم السياسية الدولة والحكومة في ضوء الشريعة الإسلامية، دار الفكر العربي، الإسكندرية، ٢٠٠٦.
١٤. د.داود ألباز، حق المشاركة في الحياة السياسية - دراسة تحليلية للمادة (٦٢) من الدستور المصري مقارنة مع النظام في فرنسا، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠٢.
١٥. د. رعد ناجي الجدة، دراسات في الشؤون الدستورية العراقية، مطبعة الخيرات، بغداد، ٢٠٠١.
١٦. د. رعد ناجي الجدة، التطورات الدستورية في العراق، ط١، دار الحكمة، بغداد، ٢٠٠٤.
١٧. د. سعاد الشرقاوي ود. عبد الله ناصف، نظم الانتخابات في العالم وفي مصر، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٤.
١٨. د. سعاد الشرقاوي، القانون الدستوري والنظام السياسي المصري، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠١.
١٩. د. سعيد السيد علي، المبادئ الأساسية للنظم السياسية وأنظمة الحكم المعاصرة، ط١، دار أبو المجد للطباعة، القاهرة، ٢٠٠٥.
٢٠. د.سليمان الغويل، الانتخابات والديمقراطية – دراسة قانونية مقارنة، ط١، أكاديمية الدراسات العليا، طرابلس، ٢٠٠٣.
٢١. د.صالح جواد كاظم ود. على غالب العاني، الأنظمة السياسية، دار الحكمة، بغداد، ١٩٩١.
٢٢. د. صلاح الدين فوزي، النظم و الإجراءات الانتخابية – دراسة مقارنة، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٥.

٢٣. د.عبد الحميد متولي، القانون الدستوري والأنظمة السياسية مع المقارنة بالمبادئ الدستورية في الشريعة الإسلامية، ط٦، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٨٩.
٢٤. د.عبد الستار الجميلي، جرائم الدم – الجرائم الواقعة على الأشخاص في قانون العقوبات رقم ١١١ لسنة ١٩٦٩، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٧٠.
٢٥. د.عبد الغني عبد الله بسيوني، النظم السياسية، ط٤، منشأة المعارف، الإسكندرية، ٢٠٠٢.
٢٦. د. عبد الفتاح مراد، شرح قوانين الانتخابات الرئاسية، الإسكندرية، بلا سنة طبع.
٢٧. عبدو سعيد وآخرون، النظم الانتخابية، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، بلا سنة طبع.
٢٨. د.عثمان خليل عثمان، المبادئ الدستورية العامة، مكتبة عبد الله وهبة، عابدين، ١٩٤٣.
٢٩. د.عدنان طه الدوري، القانون الدستوري والنظم السياسية، ط١، دار الكتب الوطنية، طرابلس، ٢٠٠٢.
٣٠. د.علي عبد الفتاح محمد خليل، الموظف العام وممارسة الحرية السياسية، ط١، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠٢.
٣١. د.علي يوسف ألشكري، مبادئ القانون الدستوري والنظم السياسية، ط١، إيتراك للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٤.
٣٢. د.فخري عبد الرزاق صلبي ألحديثي، شرح قانون العقوبات – القسم العام، مطبعة الزمان، بغداد، ١٩٩٢.
٣٣. فيصل شنطاوي، النظم السياسية والقانون الدستوري، ط١، الحامد للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠٠٣.
٣٤. د. كريم كشاكش، نحو قانون انتخاب أردني ديمقراطي متطور، ط١، دار المكتبة الوطنية، الأردن، ١٩٩٨
٣٥. د.كمال الغالي، مبادئ القانون الدستوري والنظم السياسية، منشورات جامعة دمشق، سوريا، ١٩٩٤.
٣٦. د.ماجد راغب الحلو، الدولة في ميزان الشريعة النظم السياسية، دار المطبوعات الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٦.
٣٧. د.ماجد راغب الحلو، النظم السياسية والقانون الدستوري، منشأة المعارف، الإسكندرية، ٢٠٠٥.
٣٨. د.محمد أنس قاسم جعفر، النظم السياسية والقانون الدستوري، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٩.
٣٩. د.محمد رفعت عبد الوهاب، مبادئ النظم السياسية، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، بلا سنة طبع.
٤٠. د. محمد نصر مهنا، في النظم الدستورية والسياسية – دراسة تطبيقية، المكتب الجامعي الحديث، مصر، ٢٠٠٥.
٤١. د.محي شحاتة، المشاركة السياسية طبيعتها ومحدداتها، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٦.
٤٢. د.مصطفى أبو زيد فهمي، الدستور المصري فقها وقضاء، ط٩، دار المطبوعات الجامعية، القاهرة، ١٩٩٦.

٤٣. د.مصطفى محمود عفيفي، الوجيز في مبادئ القانون الدستوري، والنظم السياسية المقارنة، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٧.
٤٤. د.منذر الشاوي، نظرية السيادة، منشورات العدالة، بغداد، ٢٠٠٢.
٤٥. د.نعيم عطية، في النظرية العامة للحريات الفردية، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٥.
٤٦. د.هاني على الطهراوي، النظم السياسية والقانون الدستوري، ط١، دار الثقافة، الأردن، ٢٠٠٦.

ثانيا: الاطاريح والرسائل الجامعية

أطاريح الدكتوراه:

١. رشاد احمد يحي الرصاص، النظام الانتخابي في الجمهورية اليمنية - دراسة مقارنة، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة عين الشمس، كلية الحقوق، ١٩٩٥.
٢. ضياء عبد الله عبود الجابر الاسدي، النظرية العامة للجرائم الانتخابية – دراسة مقارنة، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية القانون، جامعة بابل، ٢٠٠٧.
٣. محمود عيد، نظام الانتخاب في التشريع المصري المقارن، أطروحة دكتوراه منشورة، كلية الحقوق، جامعة فؤاد الأول، القاهرة، ١٩٤١.
٤. محمد فرغلي محمد علي، التنظيم القانوني للانتخابات المحلية –دراسة مقارنة، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الحقوق، جامعة المنصورة، ١٩٩٨.

رسائل الماجستير:

١. ابتهال كريم، الاستفتاء الشعبي – دراسة مقارنه، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بابل، كلية القانون، ٢٠٠٣.
٢. سعد مظلوم عبد الله العبدلي، ضمانات حرية ونزاهة الانتخابات – دراسة مقارنة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية القانون، جامعة بابل، ٢٠٠٧.
٣. عماد كاظم دحام، حق المشاركة في الحياة السياسية –دراسة مقارنة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بابل، كلية القانون، ٢٠٠٧.

ثالثا: البحوث والبيانات والدوريات

١. جلال عبد الله معوض، أزمة المشركة السياسية في الوطن العربي، مجلة المستقبل العربي، بيروت، العدد٥٥، ١٩٨٣.
٢. حسن علوان البيج، المشاركة السياسية والعملية السياسية في الدول النامية، مجلة المستقبل العربي، بيروت، العدد٢٢٣، ١٩٩٧.
٣. د.حميد حنون خالد، قراءة في قانون أدارة الدولة العراقية للمرحلة الانتقالية، مجلة العلوم القانونية، جامعة بغداد، كلية القانون، العدد الأول، المجلد العشرون، ٢٠٠٥.
٤. د. عبد الرزاق أحمد السنهوري، مخالفة التشريع للدستور والانحراف في استعمال السلطة التشريعية، مجلة مجلس الدولة، السنة الثالثة، دار النشر للجامعات المصرية، القاهرة، ١٩٥٢.
٥. د.منذر الشاوي، الاقتراع السياسي، مجلة العدالة، بغداد، العدد الأول، ٢٠٠١.

رابعا: الكتب المترجمة

١. ولورانس غراهام وآخرون، السياسة والحكومة مقدمة للأنظمة السياسية في الولايات المتحدة وفي بريطانيا وفرنسا وألمانيا وروسيا وأوربا الشرقية واليابان والمكسيك والعالم الثالث، ترجمة عبد الله بن فهد عبد الله اللحيدان، جامعة الملك سعود، الرياض، بلا سنة طبع.
٢. موريس دفرجيه، دساتير فرنسا، ترجمة احمد حسيب عباس، المطبعة النموذجية، مصر بلا سنة طبع.

خامسا: المواقع الالكترونية

١. د.أيمن محمد وحيد، أثر غياب الأمن السياسي على مشاركة المرأة، الموقع الالكتروني، مركز الدراسات، الرابط الالكتروني: www.amanjordan.org
٢. د.بلقيس أبو أصبع، تخصيص مقاعد للمرأة في المجالس المنتخبة: التجارب الدولية والعربية في تطبيق نظام الحصص (الكوتا) الموقع الالكتروني، اللجنة الوطنية للمرأة، الرابط الالكتروني: www.yemeni – women.org.ye
٣. صباح سيادي، تجربة المرأة الأردنية السياسية ونظام الكوتا، ٢٠٠٦، الموقع الالكتروني، مركز الدراسات، الرابط الالكتروني: www.amanjordan.org
٤. صلاح جبير ألبصيصي، نظم الانتخاب في العالم ومعطيات الواقع العراقي، ٢٠٠٦، الموقع الالكتروني، مركز الفرات، الرابط الالكتروني: www.fcdrs.com
٥. ضياء عبد الله الجابر، نظام الكوتا النسائية في مجلس النواب العراقي، ٢٠٠٦، الموقع الالكتروني، مركز الفرات للتنمية والدراسات الإستراتيجية، الرابط الالكتروني: www.fcdrs.com
٦. طارق حرب، المرأة العراقية في الدستور – الواقع والطموح، ٢٠٠٧، الموقع الالكتروني، معهد الإمام الشيرازي الدولي للدراسات – واشنطن، الرابط الالكتروني: www.siironline.org
٧. عائشة غلوم، التمثيل السياسي للمرأة بنظام الكوتا المغرب نموذجا"، ٢٠٠٦، الموقع الالكتروني، مركز الدراسات، الرابط الالكتروني: www.amanjordan.org
٨. فلاح إسماعيل حاجم، مبدأ المساواة ومهمة تفعيل دور المرأة في الحياة السياسية، الموقع الالكتروني، المركز التقدمي لدراسات وأبحاث مساواة المرأة، ٢٠٠٦، الرابط الالكتروني: www.rezgar.com
٩. د.محيي الدين رجب البناص، الكوتا، الموقع الالكتروني، المجلس القومي للمرأة، الرابط الالكتروني: www.ncwegypt.com
١٠. من أجل مشاركة فعالة للنساء في السلطة السياسية، ٢٠٠٥، الموقع الالكتروني، الشبكة العربية لمعلومات حقوق الإنسان، الرابط الالكتروني: www.hrinfo.net
١١. هند فايز أبو العينين، قانون الكوتا النسائية، ٢٠٠٨، الموقع الالكتروني، موقع أمان، الرابط الالكتروني: www.awapp.org
١٢. الوضع السياسي للمرأة في أطار مفهوم الكوتا، ٢٠٠٣، الموقع الالكتروني، اللجنة الوطنية للمرأة، الرابط الالكتروني: WWW.YEMENI-WOMEN.ORG.YE
١٣. يحيى الو زكاني، المشاركة السياسية للمرأة في ضوء المواثيق الدولية لحقوق الإنسان، الموقع الالكتروني، المركز التقدمي لدراسات وأبحاث مساواة المرأة، الرابط الالكتروني: www.rezgar.com
14. CONSEIL CONSTITUTIONNEL: DECISIONS RENDUES ,web site; www. Conseil-constitutionnel.fr/ decision/

سادسا: الدساتير و القوانين

١. دستور جمهورية العراق لسنة ٢٠٠٥.
٢. قانون مباشرة الحقوق السياسية المصري رقم ٧٣ لسنة ١٩٥٦.
٣. قانون العقوبات العراقي رقم (١١١) لسنة ١٩٦٩المعدل.
٤. قانون الانتخابات العراقي رقم ١٦ لسنة ٢٠٠٥ والمعدل بقانون رقم (٢٦) لسنة ٢٠٠٩.
٥. قانون الجنسية العراقي رقم ٢٦ لسنة ٢٠٠٦.

سابعا: الأنظمة الانتخابية

١. نظام رقم ١٢ لسنة ٢٠٠٥ (المخالفات الانتخابية) والصادر عن المفوضية العليا المستقلة للانتخابات.
٢. نظام رقم ١٣ لسنة ٢٠٠٥ (الاقتراع وفرز الأصوات) والصادر عن المفوضية العليا المستقلة للانتخابات.
٣. نظام رقم ٢١ لسنة ٢٠١٠ (توزيع المقاعد لانتخابات مجلس النواب) والصادر عن المفوضية العليا المستقلة للانتخابات.

ثامنا: المصادر الأجنبية:

1. Giovanni Sartori, Comparative Constitutional Engineering , new York university press , U.S.A. , 1997

موقف الشيخ محمد تقي الشيرازي الحائري

من استفتاء (١٩١٨-١٩١٩م) في العراق

د. جاسم محمد إبراهيم اليساري

المقدمة

شهد تاريخ العراق المعاصر أحداثاً سياسية مهمة شكلت نقاط تحول تاريخية كانت من أبرزها مقاومة الشعب العراقي ضد الاحتلال البريطاني، ولم يكن العراق بمعزل عن محيطه العربي، والإسلامي، الذي ناهض الاستعمار الغربي.

ومثلما برز في هذه الدول الكثير من القادة الوطنيين والزعماء الروحيين، الذين التفت حولهم شعوبهم لنيل الحرية والاستقلال بطرد المحتلين الأجانب.

كما يؤدي رجال الدين دوراً اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً، في تاريخ الشعوب، ولا سيما العالم الإسلامي، الذي يتأثر الرأي العام منه بمواقف رجال الدين، أو رجال المؤسسة الدينية الشيعية التي أدت دوراً كبيراً في تاريخ العالم الإسلامي المعاصر، بالخصوص العراق، وإيران، ونلاحظ أن كل التطورات التي حلت بهذين البلدين، كان لرجال الدين والمؤسسة الدينية دوراً، في صنع الأحداث من التاريخ الحديث والمعاصر، ورغم الانكفاء والتحجيم لدور المؤسسة الدينية.

هذا من جانب ومن جانب أخر يمثل رجال الدين (النخبة) المثقفة في تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر بشكل عام لذلك ارتأينا أن نسلط الضوء على إحدى الشخصيات التاريخية المهمة وهو الشيخ محمد تقي الشيرازي لدوره الكبير آنذاك في قيادة الشعب العراقي، وبمختلف أطيافه وعناوينه، وبعيداً عن النزعات الطائفية والعنصرية.

يتألف البحث من مبحثين:

كان الأول منها ركز على دور الشيخ محمد تقي الشيرازي في التصدي للمخططات البريطانية، في مسألة الاستفتاء الذي حاول البريطانيون تمريره خلال المدة موضوعة البحث ١٩١٨- ١٩١٩، وما كان لهذا الموضوع من تداعيات على المستويين الداخلي والخارجي.

فيما ركز المبحث الثاني: على المحاولات البريطانية الرامية لاستمالة الشيخ الشيرازي.

أعتمد البحث على مجموعة من المصادر العربية أبرزها كتاب عبد الرزاق الوهاب، كربلاء في التاريخ، عباس محمد كاظم، ثورة الخامس عشر من شعبان (ثورة العشرين)، وعبد الرزاق الحسني، الثورة العراقية الكبرى، علي الوردي لمحات اجتماعية، الجزء الخامس، وغيرها من المصادر.

وختاماً أرجو أن أكون قد وفقت في بحثي هذا، لما أداه ذلك الرجل من دور اجتماعي وسياسي.

المبحث الأول: استفتاء عام (١٩١٨م ـ ١٩١٩م)

بعد عقد هدنة (مودروس)[١] في ٣٠ تشرين الأول عام ١٩١٨م وانتهاء العمليات العثمانية، أصبح العراق بعد هذا التأريخ، تحت حكم الإدارة البريطانية[٢].

وكانت الحكومة البريطانية منقسمة إلى اتجاهين مختلفين بشأن نوع الإدارة المطلوبة في العراق.

الإتجاه الأول: جناح وزارة الخارجية في لندن بقيادة اللورد (كيرزن)، وكان هذا الجناح يدعوا إلى حكم وإدارة بريطانية غير مباشر في العراق[٣].

أما الإتجاه الثاني: وقد تمثل بحكومة الهند البريطانية وكان يدعوا إلى الإدارة المباشرة لبريطانيا في العراق. بسبب تحمل (مكتب الهند البريطاني) أعباء الحملة العسكرية على العراق، فضلاً عن أهمية العراق الاستراتيجية بالنسبة إلى الهند، ومخزن النفط، وإشرافه على الخليج العربي، ونفط عبادان، كل ذلك جعل أمر التخلي عن العراق ولو بصورة جزئية / أمر صعباً على حكومة الهند البريطانية[٤].

فكان أرنولد ويلسن (نائب الحاكم المدني العام في العراق)، من أنصار الاتجاه الثاني، إلا أنه حاول أن يوازن ما بين الاتجاهين، بأجراء استفتاء شكلي من رأي الوجهاء، فقدم اقتراح في ٢٤تشرين الثاني ١٩١٨ إلى حكومة الهند البريطانية.

وقد تضمن الاستفتاء: رأيهم حول النقاط الآتية[٥]:

١. هل يفضلون تشكيل دولة عربية واحدة تقوم بإرشادها بريطانيا وتمتد من حدود ولاية الموصل الشمالية إلى الخليج العربي.
٢. وفي هذه الحالة هل يرون أن الدولة الجديدة يجب أن يكون على رأسها أمير عربي.
٣. وإذا كان الأمر كذلك من هو الذي يرشحونه، ومن المهم جداً في نظرنا، أن يكون التعبير عن آراء السكان المحليين، حول هذه الأمور حقيقياً، بحيث أن إعلانه للعالم يكون تعبيراً نزيهاً عن رأي سكان العراق[٦].

---

(١) مودروس: حيث أن الخلفاء خسروا حليفاً في الشرق بعد انسحاب روسيا بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية ١٩١٧، إلا أنهم اكتسبوا حليفاً قوياً من الغرب وهو الولايات المتحدة الأمريكية. وقد أنضمت دول أخرى إلى جانب الحلفاء حيث أصبح عددها ثلاث وعشرين دولة، وقد أخذت الخسائر تتوالى على الأمان والمدد الأمريكي يزداد في صفوف الحلفاء ولذا اضطرت المانيا إلى طلب الصلح وتم عقد الهدنة وبذلك أنتهت الحرب، ناهدة حسين علي جعفر، المصدر السابق، ص٥٨.

(٢) رزاق كردي، تاريخ كربلاء بين عامي ١٩١٤- ١٩٢١م، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا، بغداد، ص٥، حسن شبر، تاريخ العراق السياسي المعاصر، العمل الحزبي في العراق، ١٩٠٨- ١٩٥٨، ص٢٢٨- ٢٢٩، (بيروت – ١٩٨٩)، ص١٢٨.

(٣) عباس محمد كاظم، ثورة الخامس عشر من شعبان (ثورة العشرين)، الطبعة الأولى، (د.م- ١٩٨٤)، ص٢٨٨- ٢٢٩.

(٤) المصدر نفسه، ص٢٢٩.

(٥) عبد الرزاق الحسني، الثورة العراقية الكبرى، الطبعة الثانية، مطبعة العرفان، صيدا، (لبنان- ١٩٧٢)، ص٣٤.

(٦) جيرترود لوثيان بيل، العراق في رسائل المس بيل، ترجمة جعفر الخياط، بغداد، ١٩٧١، ص٣٨٦، وميض جمال عمر نظمي، ثورة ١٩٢٠، الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القومية العربية، الاستقلالية في العراق، الطبعة الأولى، (بيروت – ١٩٨٤)، ص٢٩٧.

سار الاستفتاء في عدة مدن عراقية منها الموصل والبصرة والنجف وكربلاء والكاظمية وبغداد ونقتصر بحثنا هذا حول النجف وكربلاء.

١ـ الاستفتاء في مدينة النجف:

لقد قرر ويلسن[٧] أن يجري الاستفتاء في مدينة النجف الأشرف أولاً وربما بسبب حالة اليأس التي عمت المدينة بعد قمع الانتفاضة التي قامت فيها عام ١٩١٨م / ولاعتقاد البريطانيين بأن المرجع الديني (السيد كاظم الطباطبائي)، لن يعارضهم علناً [٨]،وبعد ذلك سيكون بمقدورهم استغلال نتائج الاستفتاء في النجف للتأثير على باقي المدن المقدسة الأخرى مثل كربلاء، والكاظمية.

فقد وصل ويلسن إلى النجف عصر يوم ١١ كانون الأول ١٩١٨ وفي صباح اليوم التالي قام بزيارة السيد اليزدي[٩] في بيته، وبعد ذلك أدعى ويلسن أن السيد اليزدي موافق على بقاء البريطانيين [١٠]، إلا أن اليزدي نفى ذلك من خلال اجتماعه بوفد من العلماء والزعماء العشائريين الذين زاروه بعد يومين [١١].

عقد إجتماع في دار الحكومة خارج سور النجف في ١٣كانون الأول ١٩١٨م حضره ويلسن و نروبري (الحاكم السياسي للشامية والنجف) وعدد من زعماء العشائر والوجهاء [١٢].

فتحدث ويلسن عن عدالة حكومته وسألهم: "هل تريدون حكمنا أم حكومة عربية ؟ " فقام هادي النقيب وقال لا نريد سوى ((بريطانيا)) ورد عليه عبد الواحد الحاج سكر[١٣]: "بل نريد حكومة وطنية عربية" [١٤].

فسأله ويلسن: هل هذا رأيك الشخصي أم رأي الجميع ؟ فأجابه عبد الواحد (بل رأي الشخصي ولا بد أن أكثر الحاضرين يؤيده)[١٥]. وفعلاً حضي بتأييد الحاضرين، مما أغضب ويلسن ذلك وتأزم الموقف

---

(٧) أرنولد ويلسن (١٨٨٤- ١٩٤٠) عسكري وسياسي بريطاني قدم مع الحملة العسكرية البريطانية إلى العراق عام ١٩١٤، تحت أمرة المقدم بيرسي كوكس، وكان ويلسن آنذاك ضابط برتبة نقيب، ثم عين حاكماً عاماً بالوكالة بعد استدعاء بيرسي كوكس وتعينه سفيراً في طهران. أتهمته الصحافة البريطانية بأنه يسعى إلى (تهنيد) العراق أي جعله تابعاً إلى الهند، قتل ويلسن خلال الحرب العالمية الثانية أثناء إدائه للخدمة العسكرية في القوة الجوية البيرطانية للتفاصيل ينظر: فؤاد قزانجي، العراق في الوثائق البيرطانية (١٩٠٥-١٩٣٠)، تقديم ومراجعة عبد الرزاق الحسني، (بغداد – ١٩٨٩)، ص٢٦.

(٨) علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج٥، القسم الأول، مطبعة المعارف، دار الإعلام، (بغداد – ١٩٧٧)، ص٦٨.

(٩) السيد اليزدي: هو المجتهد محمد كاظم بن السيد عبد العظيم اليزدي، فقيه الأمامية ومرجعها الأعلى ولد عم ١٨٣١م، وهو صاحب الموسوعة الفقهية (العروة الوثقى) توفي عام ١٩١٩م، للتفاصيل ينظر: محمد حرز الدين، معارف الرجال في تراجم العلماء والأدباء، ج١، (النجف – ١٩٦٤)، ص٢٧٦- ٢٨٢.

(١٠) غسان العطية، العراق نشأة الدولة ١٩٠٨- ١٩٢١، ترجمة عطا عبد الوهاب، (لندن –١٩٨٨)، ص٢٥٥.

(١١) حسن شبر، تاريخ العراق السياسي المعاصر، العمل الحزبي في العراق،١٩٠٨ –١٩٥٨، ج١، (بيروت- ١٩٨٩)، ص١٨١.

(١٢) عبد الرزاق الحسيني، الثورة العراقية الكبرى، المصدر السابق، ص٤١.

(١٣) عبد الواحد الحاج سكر: هو أحد زعماء العشائر الذين اتسموا بالروح الوطنية لمناهضة الاستعمار البريطاني للتفاصيل ينظر: صالح عباس ناصر، عبد الواحد الحاج سكر ودوره الوطني في تاريخ العراق المعاصر حتى عام ١٩٥٦م، رسالة ما جستير غير منشورة، مقدمة إلى معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا، (بغداد- ٢٠٠٣م).

(١٤) علاء عباس نعمة، محمد تقي الشيرازي ودوره السياسي، ١٩١٨- ١٩١٩ رسالة ماجشتير غير منشورة، مقدمة إلى مجلس كلية التربية، جامعة بابل، ٢٠٠٥، ص٥١.

(١٥) جعفر الشيخ باقر محبوبة، ماضي النجف وحاضرها، الجزء الأول، الطبعة الثانية، مطبعة الآداب،(النجف - ١٩٥٨)، ص٢٥٨.

عند ذلك تقدم علوان الياسري بطلب تأجيل الجلسة ومنحهم فرصة للتفكير والاتصال ببقية العلماء والوجهاء، وانتهى الاجتماع، بمغادرة ويلسن النجف، متوجهاً إلى بغداد [١٦].

قام صفوة من المجتمعين بعد ذلك بزيارة السيد اليزدي لأخذ رأيه في الموضوع، فأكد لهم ضرورة إشراك جميع طبقات الشعب في الاستفتاء وسواء كانوا تجاراً أم فلاحين، زعماء أم حمالين، وعدم الأكتفاء برأي الوجهاء [١٧].

وبهذا أراد السيد اليزدي أن يقطع الطريق أمام البريطانيين بأجراء استفتاء شكلي، وإنما إجراء استفتاء حقيقي ويظهر ذلك الموقف أن السيد اليزدي، لم يوافق على بقاء البريطانيين في العراق، حيث أن نتائج الاستفتاء الحقيقي تظهر رفض الحكم البريطاني باحتمال كبير، فيكون السيد اليزدي عبر عن رفضه بهذه الطريقة السلمية، حيث أنه لا يريد سفكاً للدماء في النجف، كما حصل في انتفاضة ربيع عام ١٩١٨، التي قمعت من قبل البريطانيين بكل قسوة.وبعد ذلك عقد اجتماع عام في منزل الشيخ جواد الجواهري حضره عدد من عامة الناس، ومن مختلف الطبقات، وتم طرح القضية عليهم، والذي تمخض عن رفض معظمهم للحكم البريطاني كما كان متوقعاً، إلا أنهم لم يتفقوا على الحاكم المقبل، ونوع الحكم، حيث أراد البعض النظام الملكي الدستوري والآخر فضل النظام الجمهوري إلا أن الأغلبية كانت تفضل النظام الملكي الدستوري[١٨]. وعند سؤال السيد اليزدي عن رأيه، أجابهم بأنه ليس رجل سياسة بل رجل دين [١٩].

أدرك البريطانيون بانقلاب الرأي العام ضدهم بعد الاجتماع الذي عقد في منزل الشيخ جواد الجواهري. ورغم جمع السيد (هادي النقيب) تواقيع أحد عشر شخصاً من التجار والوجهاء المعروف بولائه لبريطانيا إلا أن أغلبية العلماء والوجهاء ورؤساء العشائر أمتنعوا عن التوقيع على مضبطة النقيب [٢٠].

وقرروا الاجتماع في منزل السيد نور الياسري للتوقيع على مضبطة مضادة تطالب بحكم عربي مستقل.

وعندما كان المجتمعون يتداولون في الموضوع داهمت القوات البريطانية منزل السيد الياسري، وأمرت بإنهاء الاجتماع مهددة باستخدام القوة مما أضطر المجتمعون للعودة إلى مناطقهم والاجتماع بعشائرهم في الشامية وأبو صخير [٢١].وبعد يومين ودعا هم الحاكم السياسي البريطاني لمدينة الكوفة في محاولة منه للحصول على مراده إلا أنه أخفق في ذلك. حيث وقع الجميع على مضبطة طالبوا فيها باستقلال البلاد العراقية بحدودها الطبيعية عن كل تدخل أجنبي في ظل دولة عربية وطنية يرأسها ملك عربي مسلم مقيد بمجلس تشريعي وطني [٢٢]وتكون هذه الحكومة مستقلة استقلالاً تاماً بلا حماية ولا وصاية أو انتداب [٢٣].

إلا أن بعض المؤرخين الأجانب أوردوا بأن أهالي النجف وافقوا على استمرار الحماية البريطانية على العراق وبدون أمير عربي [٢٤]، وقد استبعد هذا الرأي من قبل مؤرخين آخرين[٢٥].

---

(١٦) محمد مهدي البصير، تاريخ القضية العراقية، الجزء الأول، مطبعة الفلاح ،(بغداد- ١٩٢٤)، ص٨٢- ٨٤.

(١٧) فريق مزهر الفرعون، الحقائق الناصعة في الثورة العراقية في ١٩٢٠ ونتائجها، الطبعة الثانية، مطبعة النجاح، (بغداد - ١٩٩٥)، ص٧٦.

(١٨) عباس محمد كاظم، المصدر السابق، ص٢٣٦.

(١٩) عبد الرزاق الحسني، الثورة العراقية الكبرى، المصدر السابق، ص٤٢.

(٢٠) عباس محمد كاظم، المصدر السابق، ص٢٣٧.

(٢١) عبد الرزاق الحسني، الثورة العراقية الكبرى، المصدر السابق، ص٤٣.

(٢٢) عبد الرزاق الوهاب، كربلاء في التاريخ، الجزء الثالث، مطبع ة الشعب، (بغداد- ١٩٣٥)، ص٤٣ ؛ عبد الرزاق الحسني، الثورة العراقية الكبرى، المصدر السابق، ص٣٤.

(٢٣) فيليب، وديلارد إيرلاند، العراق، دراسة في تطوره السياسي ؛ ترجمة جعرف الخياط، دار الكشاف، (بيروت- ١٩٤٩)، ص١٢٥- ١٢٦.

(٢٤) رزاق كردي، المصدر السابق، ص٨٤.

(٢٥) عبد الله فهد النفيسي، دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث،(بيروت- ١٩٧٣)، ص١١٩.

٢ـ الاستفتاء في مدينة كربلاء:

توجه الميجر تيلد حاكم الحلة السياسي عام ١٩١٩م إلى مدينة كربلاء، للأشراف على نتائج الاستفتاء [٢٦]. ووجه دعوته إلى الوجهاء ورؤساء العشائر والتجار، وقد ألقى كلمة أشار فيها إلى انتصار بريطانيا في الحرب، وقد حان الوقت على بريطانيا، أن تبد بوعودها، وعلى العراقيين أن يختاروا شكل الحكم الذي يذعنون فيه والشخص الذي ينتخبونه ليكون أميراً على العراق [٢٧].

كان الاستفتاء الذي أجراه البريطانيون في مدينة كربلاء مثل أول هزيمة لهم، فقد واجه أنتكاسة قوية، حيث أصطدم بفتوى صريحة من قبل الشيخ محمد تقي الشيرازي و التي جاء فيها: (لا يجوز للمسلم أن ينتخب أو يختار شخصاً غير مسلم للحكم على المسلمين) [٢٨].

فكانت هذه الفتوى أخطر فتاوى الجهاد التي أعلنها رجال الدين في بداية الاحتلال البريطاني للعراق، حيث أن ماسبقها من فتاوى صدرت خلال الحكم العثماني. كما إن هذه الفتوى انتشرت بشكل سريع في مناطق مدن العراق، مما أدى إلى تأزم الموقف الشعبي ضد البريطانيين.

أما بخصوص الاستفتاء في كربلاء فقد عقد اجتماع في السراي في ١٦كانون الأول ١٩١٨، حضره الحاكم السياسي للفرات الأوسط، البريطاني الميجر (تيلر) ومجموعة من الوجهاء ورؤساء العشائر [٢٩].

وقول (تيلر) " أمرت من قبل حكومتي المعظمة أن أخبركم شكل الحكم الذي ترغبون فيه لتشكيل حكومتكم وعن الشخص الذي تنتخبونه وترونه صالحاً ليكون أميراً على العراق" [٣٠].

فطلب السيد عبد الوهاب[٣١]، مهلة ثلاثة أيام لكي يتداولوا مع غيرهم من أهالي كربلاء، فوافق (تيلر) على هذا الطلب [٣٢].

أمام هذه التطورات عقد اجتماع في منزل السيد محمد صادق الطباطبائي، أعقبه اجتماع أخر في منزل الشيخ محمد تقي الشيرازي للتداول في الأمر [٣٣].حتى أستقر الرأي العام على مضبطة وقعها عدد من الحاضرين جاء فيها " وقد أجتمعنا نحن أهالي كربلاء أمتثالاً لأمركم وبعد مداولة الآراء وملاحظة الأصول الإسلامية وطبقاً لما تقرر رأينا على أن نستظل بظل راية عربية إسلامية فأنتخبنا أحد أنجال سيدنا الشريف حسين ليكون ملكاً علينا مقيداً بمجلس منتخب من أهالي العراق لتسنين القواعد الموافقة لروحيات هذه الأمة وما تقتضيه شؤونها " [٣٤].

ويظهر من هذه الوثيقة أن الشيخ محمد تقي الشيرازي، لم يوقع على هذه الوثيقة، ربما لأنه لم يكن راغباً في تولي أحد أنجال الشريف حسين، عرش العراق، لأنه كان يرغب توليه من قبل أحد العراقيين، أو ربما كان في رأيه شخص أخر، لم يذكر أسمه لترك الباب مفتوحاً للاختيار من قبل الآخرين، أو لربما كانت هناك احتمالات أخرى غير معروفة [٣٥].لكنه أحترم رأي الأغلبية ولم يظهر معارضته علناً.

---

(٢٦) عبد الرزاق محمد أسود، موسوعة العراق السياسية، مجلد ٢، ص٢٠٣.

(٢٧) حسن الأسدي، ثورة النجف على الإنكليز، (بغداد – ١٩٧٥)، ص٣٦٦.

(٢٨) فريق مزهر الفرعون، المصدر السابق، ص٨٠؛ رزاق كردي، المصدر السابق، ص٤٢.

(٢٩) عبد الرزاق الوهاب، المصدر السابق، ص٤٢.

(٣٠) المصدر نفسه، ص٤٢.

(٣١) السيد عبد الوهاب: هو أحد العناصر الوطنية الذي اعترض عندما عرض الميجر تيلر الأسئلة الثلاثة التي تدور حول الاستفتاء بقوله أن اللجنة لا تمثل كربلاء تمثيلاً كافياً ينظر: رزاق كردي، المصدر السابق، ص٨٥.

(٣٢) عبد الرزاق الحسني، الثورة العراقية الكبرى، المصدر السابق، ص٣٤.

(٣٣) علي الوردي، المصدر السابق، ص٧٥.

(٣٤) عبد الرزاق الوهاب، المصدر السابق، ص٤٨- ٤٩؛ عبد الرزاق الحسني، الثورة العراقية الكبرى، المصدر السابق، ص٣٤؛ عبد الشهيد الياسري، البطولة في ثورة العشرين، مطبعة النعمان، (النجف – ١٩٦٦)، ص١١٦.

(٣٥) علاء عباس نعمة، المصدر السابق، ص٥٦.

أراد الشيخ الشيرازي أن يقطع الطريق على أية محاولة بريطانية لتنظيم مضبطة أخرى مؤيدة لهم.

حاول البريطانيون الرد على المضبطة التي نظمها الوطنيون في كربلاء بطريقتين: -

الأولى: رفضهم استلام المضبطة بحجة أنها لم تسلم في الوقت المناسب.

والثانية: العمل على تنظيم مضبطة بديلة، من خلال بعض مؤيديهم [٣٦]، حيث تمكن الحاكم البريطاني في الحلة [٣٧]، الميجر (بوفل) من أغراء بعض الأشخاص بكتابة مضبطة [٣٨]، مؤيدة للبريطانيين. لم يتمكن البريطانيون من اعتماد المضبطة الأخيرة، كمضبطة معبرة عن أراء أهالي مدينة كربلاء، حيث أن الموقعين عليها لم يكونوا من الوجهاء والشخصيات الحقيقية لمدينة كربلاء هذا من جانب، ومن جانب أخر لربما كانت خشية من ردة فعل المرجع الديني الشيخ محمد تقي الشيرازي، بعد أن أدركوا ثقله من خلال فتواه، ضد الاستفتاء، لذلك أهملت المضبطتين معاً [٣٩].

إلا أن الشيخ الشيرازي، أرسل نسخة من المضبطة الأولى إلى الشريف حسين في الحجاز بيد الشيخ محمد رضا الشبيبي [٤٠]، لكي يستند عليها عند مطالبة البريطانيين، بتنفيذ وعودهم التي قطعوها للعراقيين [٤١]. أظهرت فتوى الشيرازي، تأثيراً كبيراً على بقية المناطق الأخرى، حيث نظم العديد من المضابط من قبل العشائر العراقية، حسب توجيه و إرشاد الشيخ الشيرازي، فكانت المضابط تصل إلى كربلاء ليطلع عليها الشيخ الشيرازي، ومن ثم إرسالها إلى الحجاز ومن هذه المضابط مضبطة علماء النجف [٤٢]. ومضبطة عشائر الشيوخ والتي جاء فيها ".....نحن الموقعون على هذه الورقة قد انتخبنا.... الشريف عبد الله الحجازي..... ملكاً وسلطاناً على القطر العراقي وأما أمر الوصاية والأشراف علينا فيكال أمره إلى الجمعية الوطنية التشريعية التي سينتخبها العراقيون.... وليس لأي شخص ولا أي جمعية ولا لأي حكومة أن تعين وصياً علينا وعلى بلادنا.... " [٤٣].

فكانت ردة الفعل البريطانية معبرة عن انزعاجها من هذه المضابط المتضامنة مع مضبطة كربلاء. فقد رفضت إدراجها في النشرة الرسمية لنتيجة الاستفتاء [٤٤].

وكذلك تم استفتاء في مدينة الكاظمية، وكان هناك تأثير كبير لرجال الدين مثل الشيخ مهدي الخالصي [٤٥]، فأتفق أجماع الرأي على صياغة مضبطة طالبوا فيها بحكومة عربية إسلامية، ووقع الجميع على تلك المضبطة، ومن أبرزهم الشيخ مهدي الخالصي.

---

(٣٦) عباس محمد كاظم، المصدر السابق، ص٢٣٩.

(٣٧) كانت كربلاء تتبع أدارياً إلى مدينة الحلة آنذاك.

(٣٨) يمكن الأطلاع على نص المضطبة ينظر: عبد الرزاق الوهاب، المصدر السابق، ص٥٢- ٥٣؛ علي الوردي، المصدر السابق، ج٥، القسم الأول، ص٧٦.

(٣٩) حسن شبر، المصدر السابق، ص١٨٩، علاء عباس نعمة، المصدر السابق، ٥٨.

(٤٠) محمد رضا الشبيبي (١٨٨٩- ١٩٦٥): هو أحد افراد عائلة الشبيبي النجفية المعروفة ويعد أهم رجالات الفكر الأدبي والسياسي والعلمي، وهو صاحب المذكرات الحقيقية عن ثورة ١٩٢٠، تسلم منصب وزارة المعارف في سنة ١٩٣٥وسنة ١٩٤٨، وعين رئيساً للمجمع العلمي العراقي ١٩٥٢، للتفاصيل ينظر: علك عبد شناوة، محمد رضا الشبيبي ودوره الفكري والسياسي حتى عام ١٩٣٢، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الآداب، (جامعة بغداد – ١٩٩٢).

(٤١) عبد الرزاق الوهاب، المصدر السابق، ص٥٣.

(٤٢) عبد الرزاق الحسني، الثورة العراقية الكبرى، ص٣٠؛ رزاق كردي، المصدر السابق، ص٨٩.

(٤٣)عبد الرزاق الوهاب، المصدر السابق، ص٥٤.

(٤٤) نور الدين الشهروردي، اسرة المجدد الشيرازي، (طهران - ١٩٩١).

(٤٥) مهدي الخالصي (١٨٥٩- ١٩٢٤م): ولد في مدينة الكاظمية ونشأ فيها، وقرأ بعض مقدمات العلوم في النجف الأشرف ثم عاد إلى مدينته، وأكمل فيها دراسته حتى أصبح أحد رجال الدين البارزين وكان الساعد الأقوى والمفوض المعتمد للشيخ محمد تقي الشيرازي للتفاصيل ينظر: محمد حرز الدين، المصدر السابق، ج٣، ص١٤٧- ١٥٠.

ومن هذا يتبين وجود تنسيق بين المدن المقدسة في النجف وكربلاء، والكاظمية، والتي تضمنت الرفض للحكم البريطاني المباشر، والمطالبة بحكومة عربية دستورية مستقلة [٤٦].

أثارت المضابط التي نظمها أهالي النجف وكربلاء والكاظمية والتي طالبوا فيها بحاكم عربي، حفيظة وحقد الحكومة البريطانية وأدارتها العسكرية في العراق، لذلك أصدرت أوامرها في مطلع شهر تموز عام ١٩١٩م، بالقاء القبض على ستة من الوجوه البارزة التي كانت تقود حركة المقاومة للبريطانيين، وهم عمر الحاج علوان – وعبد الكريم العواد – وطليفح الحسون – ومحمد علي أبو الحب – والسيد محمد مهدي الموسوي – والسيد محمد علي الطباطبائي [٤٧].

أثار إجراء الإدارة البريطانية هذا غضب المرجع الديني الشيخ الشيرازي، لذلك كتب بعد أعتقالهم بيوم واحد إلى السير (أرنولد ويلسون) كتاباً نبه فيه على عمله هذا، وأبان فيه بأنهم لم يرتكبوا عملاً يستحقون عليه الاعتقال، ومن ثم الأبعاد وأنهم طالبوا بحقوق بلادهم المغتصبة، وطالب الشيرازي في ختام كتابه أخلاء سبيلهم [٤٨].

وفي التاسع من آب ١٩١٩ كتب أرنولد ويلسون جواباً إلى الشيرازي جاء فيه [٤٩]: " لي الشرف أن أعرض لكم أنه وصلنا كتابكم المؤرخ في ٨ ذي القعدة عام ١٣٣٧هـ تذكرون بكل أسف: أن الأعمال التي أقدمت عليها حكومة بريطانيا العظمى لأجراء واجبات وظائفها ولحفظ أحكام القوانين والأنظمة أوجبت أستياء وتشويش العلماء والأعلام دامت بركاتهم في كربلاء... ومن خلال مدة الأثني عشر شهراً الماضية تبث أن بعض الأشخاص في كربلاء يقومون بتشويش الأذهان، وينشرون أخباراً غير مرضية، وغايتهم من ذلك تشويش أفكار الناس ضد الحكومة البريطانية... فلذا لا حظت من الواجب القبض على بعض الأفراد... ونظراً لأقدامكم فقد عزمنا على تسريح السيد محمد علي الطباطبائي وإرساله إلى سامراء على أن يسكن هناك ولا يخرج منها بدون إجازة منا...) [٥٠].

أثار كتاب ويلسن هذا ردود فعل عنيفة لدى علماء الدين عامة والشيرازي بصفة خاصة، الذي قرر مغادرة البلاد احتجاجاً على سياسة الحكومة البريطانية وأعتدائها على كرامة الوطنيين، ومصادرتها للحريات، و القيود الثقيلة التي فرضتها على أبناء الشعب العراقي [٥١].

وبعد مرور أربعة أشهر تراجعت الإدارة البريطانية عن سياستها في مدينة كربلاء، فأصدرت أوامرها بإرجاع علماء الدين المبعدين والذين عادوا في التاسع من ربيع الأول عام ١٣٣٨هـ /١٩١٩م كما قامت بسحب الميجر بوفل الذي كان يشغل منصب الحاكم السياسي في كربلاء واستبداله بالميرزة (محمد خان بهادر) [٥٢].

فقد لجأ ويلسن إلى أسلوب آخر وهو محاولته أغراء عدد من رجال الدين ببضعة آلاف من الروبيات الهندية [٥٣]، لكن رجال الدين وفي مقدمتهم الشيرازي، رفضوا هذه المبالغ، بكل شموخ وكبرياء وبذلك أكد أبناء كربلاء، خاصة والعراقيين عامة رفضهم التعامل مع الحكومة البريطانية المحتلة [٥٤].

---

(٤٦) علاء عباس نعمة، المصدر السابق، ص٦٢.
(٤٧) رزاق كردي، المصدر السابق، ص٨٩.
(٤٨) عبد الرزاق الوهاب، المصدر السابق، ص٨٤.
(٤٩) عبد الرزاق الحسيني، الثورة العراقية الكبرى، المصدر السابق، ص١١٢.
(٥٠) عبد الرزاق الحسني، تاريخ العراق السياسي الحديث، المصدر السابق، ص١١٢.
(٥١) عبد الرزاق الحسني، الثورة العراقية الكبرى، المصدر السابق، ص٩٢.
(٥٢) رزاق كردي، المصدر السابق، ص٩٢.
(٥٣) الروبية عملة هندية مقدارها يساوي ٧٥فلساً. رزاق كردي، المصدر السابق، ص٩٣.
(٥٤) عبد الرزاق الحسني، الثورة العراقية الكبرى، المصدر السابق، ص٩٢.

المبحث الثاني: الأساليب السياسة التي أنتهجها الشيخ محمد تقي الشيرازي والبريطانيون قبل ثورة ١٩٢٠

١.الأساليب السياسية التي أنتهجها الشيخ الشيرازي لمواجهة الاستفتاء البريطاني المزور:

لقد أدرك الشيخ محمد تقي الشيرازي منذ البداية أن مسألة الاستفتاء كانت محاولة وخطة بريطانية مسبقة، يراد منها تثبيت الوجود البريطاني المباشر في العراق، وإذا ما نجحت بريطانيا من تمرير خطة الاستفتاء فأن جميع الوعود السابقة بالاستقلال سوف تتلاشى تلقائياً وتضفي السلطات على السلطات البريطانية الصفة القانونية.لذلك أخذ الوطنيون العراقيون، وعلى رأسهم الشيخ الشيرازي بالتحرك السريع لأحباط مشروع الاستفتاء المزور وعلى الصعيدين الداخلي والخارجي [٥٥].

عمل الشيخ الشيرازي على توسيع قاعدة المعارضة الشعبية للوجود البريطاني في الداخل، والقيام بتنظيم مضابط، وتعبئة الرأي العام، وتنسيق الجهود السياسية بهدف تحقيق الاستقلال [٥٦].

ومن الوسائل التي اتبعها الشيرازي، لتحقيق هذه الأهداف، هي تشجيع العمل على إنشاء الجمعيات الوطنية الإسلامية، للعمل على إذكاء الروح الوطنية، وعقد الندوات والاجتماعات السرية والعلنية، لكشف المخططات الأجنبية الرامية إلى الهيمنة على مقدرات وثروات البلاد.

وكان من أبرز تلك الجمعيات هي الجمعية الوطنية الإسلامية والتي اتخذت من كربلاء مقراً لها، وقد أشرف على تأسيسها بشكل مباشر الشيخ الشيرازي وتحت رئاسة أبنه محمد رضا الشيرازي [٥٧].وتأسست هذه الجمعية في أواخر سنة ١٩١٨م، وضمت في عضويتها كل من السيد محمد علي هبة الدين الشهرستاني، والسيد حسين القزويني، والشيخ أبو المحاسن، والشيخ عبد الكريم العواد، و الشيخ عمر الحاج علوان، والشيخ عبد المهدي القنبر [٥٨].

وقد تهدف هذه الجمعية إلى مكافحة الاحتلال البريطاني [٥٩].

وفتحت لها عدة فروع في العديد من المدن والعشائر العراقية، وكان لها الدور الكبير في نشر فتوى الشيخ الشيرازي (حرمة انتخاب غير المسلم) إلى كافة أنحاء العراق وخصوصاً في مناطق الفرات الأوسط [٦٠].

كما كان لهذه الجمعية الدور الكبير في إنهاء الصراعات والخلافات العشائرية، من أجل توحيد الصف الوطني وتوجيهه نحو قضية العراق الأولى، هو استقلال العراق عن النفوذ الأجنبي عملت هذه الجمعية بسرية تامة خوفاً من عملاء بريطانيا، وفي الوقت ذاته كان لها رجال مقربون من رئيسها الشيخ محمد رضا الشيرازي، وكان لهؤلاء الدور الفاعل في نقل أخبار وتحركات البريطانيين إلى الجمعية للعمل على إحباطها

---

(٥٥) علاء عباس نعمة، المصدر السابق، ص٦٧.

(٥٦) عباس محمد كاظم، المصد السابق، ص٢٤٤.

(٥٧) سلمان هادي آل طعمة، تراث كربلاء، الطبعة الثانية، (النجف - ١٩٦٤)، ص٣٩٨.

(٥٨) عبد الرزاق الوهاب، المصدر السابق، ص٢٥ ؛ عبد الله فياض الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠، الطبعة الثانية، (بغداد - ١٩٧٥)، ص٢٣٧- ٢٣٨.

(٥٩) محمد علي كمال الدين، ثورة العشرين في ذكراها الخمسين، معلومات ومشاهدات عن الثورة العراقية الكبرى لسنة ١٩٢٠، تقديم علي الخاقاني، (النجف – ١٩٧١)، ص٦٣- ٦٩.

(٦٠) عباس محمد كظم، المصدر السابق، ص٢٤٥.

ويتضح عملها من خلال المنشورات التي كانت توزعها بين الأهالي وكان أبرز شعاراتها هو (حب الوطن من الأيمان)، (للوطن نحيا وللوطن نموت) [٦١].

كما عملت على بث الروح القومية للعرب المسلمين، حيث كانت تؤكد على الأمجاد التأريخية للأمة العربية الإسلامية لاستلهام الدروس والعبر منه.

حيث جاء في أحد نصوصها أن العرب المسلمين ".... ركبوا البحار المخيفة وقطعوا الفيافي والقفار العظيمة طالبين المجد حتى رفرفت راياتهم فوق الأندلس وشربت خيولهم من نهر السند..... " [٦٢].

وكان من بين أهداف الجمعية المطالبة أن يكون الحكم في العراق ملكياً دستورياً فضلاً عن ذلك أن يحكم الأمة ملك من أبناء جلدتها. وإصدار الجمعية على انضمام العراق إلى الدول العربية الموحدة التي وعد البريطانيون بها العرب بعد نهاية الحرب العالمية الأولى[٦٣].

وكانت الجمعية تدرك ضرورة الاستفادة من العامل الدولي لتحقيق أهداف الشعب بالحرية والاستقلال وبالخصوص تصريح الرئيس الأمريكي ويلسن، عنمبادئه الأربعة عشر ومنها مبدأ حق تقرير المصير، ثم تختم الجمعية بشعار الاجتهاد الاجتهاد أيها الوطنيون السعي السعي أيها العراقيون[٦٤].

وكان لتلك الأهداف الأثر الكبير في نفوس الجماهير فنالت دعماً كبيراً من مختلف شرائح الشعب، وخاصة العشائر التي أرسلت العديد من المضابط المؤيدة للجمعية، وكان أبرزها مضبطة العشائر في سوق الشيوخ، التي عبرت عن دعمها الكبير للمرجع الشيرازي وللجمعية الوطنية الإسلامية.

وكان أهم نص ورد في هذه المضبطة هو "... نسعى ونجد في سبيل تحرير العراق، وأخذ الحكم الذاتي لها بموجب ما تراه وتأمرنا به الجمعية ويشير إليه حضرة حجة الإسلام والمسلمين أية الله العظمى الميرزا محمد تقي الشيرازي متع الله المسلمين بطول بقائه....) [٦٥].

ولم يقتصر نشاط الجمعية الوطنية الإسلامية، على توزيع المنشورات بل توسع إلى التنسيق والتعاون مع الجمعيات الوطنية الأخرى في العراق، وخاصة جمعية (حرس الاستقلال) [٦٦].

وكان أهم الأهداف من هذا التنسيق والتعاون هو توحيد الكلمة مابين الطوائف والقوميات العراقية وبالخصوص بين السنة والشيعة، ونظمت ندوات للشعراء والخطباء من كلا الطائفتين الذين أكدوا في قصائدهم على ضرورة الأتحاد تحت راية الإسلام.

ومن أبرز تلك القصائد هي قصيدة الشاعر محمد حبيب العبيدي وكان من أبناء السنة حيث قال في مطلعها:

لا تقـــل جعفريـــة حنفيـــة ... لا تقـــل شـــافعية زيديـــة
جمعتنـــا الـــشريعة الأحمديـــة ... وهـــي تـــأبى الوصـــاية الغربيـــة [٦٧]

كما سعى الشيخ الشيرازي للكشف عن تزوير الاستفتاء من خلال مراسلة الحكومة الأمريكية، التي ضغطت عبر مبادئ الرئيس الأمريكي ويلسن، لمنح الاستقلال للبلدان التي كانت خاضعة للدولة العثمانية. والتي روج لها من قبل الحركات الوطنية في العراق خلال مرحلة الاستفتاء[٦٨].

---

(٦١) عبد الرزاق الوهاب، المصدر السابق، ص٣١
(٦٢) المصدر نفسه، ص٣٢.
(٦٣) نور الدين الشهردوري، المصدر السابق، ص١٧٨.
(٦٤) عبد الرزاق الوهاب، المصدر السابق، ص٣٤.
(٦٥) شهاب الدين المرعشي، الإجازة الكبيرة، رقم ١٩٩٣، ص١٢٩.
(٦٦) عبد الرزاق الحسني، الثورة العراقية الكبرى، المصدر السابق، ص٥٦- ٥٩.
(٦٧) إبراهيم الوائلي، ثورة العشرين في الشعر الراقي، بغداد، ١٩٦٨، ص٤١.

وبتاريخ ١٣ شباط كتب الشيخ الشيرازي، رسالة أرسلها إلى السفير الأمريكي في طهران، ذكره فيها بالمبادئ التي أعلنتها الولايات المتحدة وخصوصاً بند (تقرير المصير) طالباً منه المساعدة في تشكيل حكومة عربية إسلامية ووصف له حال العراقيين بالقول "..... ولا يخفى عليكم إن كل أمة مطوقة بالقوانين العسكرية المحتلة من كل الجوانب لا تجد أمامها مجالاً حراً للتعبير عن آرائها في الحرية والاستقلال .... ". وبين الشيرازي في رسالته، إن البريطانيين يخدعون الرأي العام بعناوين الحرية، كما أضاف بان بعض الأشخاص الذين صوتوا لبقاء بريطانيا كان بسبب خوفهم على حياتهم وعبر عن هذه الحقيقة بقوله "..... وإذا ظهر منهم (أي بعض الأشخاص) فأنه لا شك منبعث عن الظروف القاسية المحيطة بهذه البلاد ".

كما جدد الشيرازي في نهاية الرسالة دعوته إلى الحكومة الأمريكية للتدخل لمساعدة الشعب العراقي على تحقيق طموحاته وفي الشهر ذاته عام ١٩١٩م، أرسل كل من الشيخ الشيرازي وشيخ الشريعة الأصفهاني [٦٩].رسالة إلى الرئيس الأمريكي ويلسن تضمنت المطالب ذاتها في الرسالة الأولى التي تم إرسالها إلى السفير الأمريكي في طهران، وأضافوا إليها أن بريطانيا إذا أرادت الحماية أو الأنتداب على العراق فعليها أن تأخذ رأي المجلس الوطني المنتخب. وكانت هذه الرسالة لا تخلوا من التعابير المنمقة حيث كانت خاتمتها قد صيغت بأسلوب دبلوماسي بالقول إلى الرئيس الأمريكي " ويكون لكم الذكر الخالد في التاريخ ومدنيته الحديثة.... " [٧٠].

وفيما يخص سبب مراسلة الشيرازي لأمريكا من دون باقي الدول الكبرى آنذاك ربما يعود لأسباب عدة، منها هو إعلان الرئيس الأمريكي لمبدأ حق تقرير المصير والثاني، كونها لم تكن دولة أستعمارية كبريطانيا وفرنسا آنذاك. والثالث هو تأثير أمريكا على بريطانيا بسبب تنامي قدرات الولايات المتحدة عسكرياً واقتصادياً في تلك المرحلة، الذي جعل السياسيين البريطانيين يعتقدون بإمكانية ظهورها بقوة على المسرح السياسي الدولي والتي من شأنها أن تؤثر على القدرات البريطانية.

إلا إ ن الولايات المتحدة لم ترد على رسالتي الشيخ الشيرازي والأصفهاني بشكل مباشر لأن اللجنة الأمريكية التي أرسلت إلا سوريا لأخذ رأي السوريين حول الاستقلال أو الانتداب وهي لجنة (كنج – كراين[٧١]) قررت تمديد عملها ليشمل العراق أيضاً بعد سوريا ويظهر ذلك جلياً من مضمون الرسالة التي أرسلها جعفر العسكري[٧٢]، الذي كان موجوداً في سوريا إلى الشيرازي، حيث بين العسكري في رسالته

---

(٦٨) علاء عباس نعمة، المصدر السابق، ص٧٢.

(٦٩) نور الدين الشهردوري، المصدر السابق، ص١٩٢.

(٧٠) علاء عباس نعمة، المصدر السابق، ص٧٣.

(٧١) لجنة كنج كراين: سميت بهذا الأسم نسبة إلى رئيسها (تشارلس كراين) وعضوية أحد أعضائها المسى (هنري كنج)، وكانت لجنة أمريكية صرفة بعد أن اعترضت الأطراف الدولية الأخرى في المشاركة فيها، قررت الولايات المتحدة ارسالها في ٢١آذار ١٩١٩، واستمرت في عملها في بلاد الشام لمدة ستة أشهر، ورفعت بعدها تقريرها إلى الرئيس الأمريكي (ويلسن) في أيلول ١٩١٩، والذي أوصت فيه بأستقلال سوريا الإداري الواسع، وضم فلسطين ولبنان إلى سوريا، كما أصوت اللجنة برفض الطلب الصهيوني في فلسطين، لكن انسحاب الولايات المتحدة من مؤتمر الصلح في باريس قبل نهاية السنة ومعارضته فرنسا لتوصيات اللجنة حال دون تطبيق مقترحاتها للتفاصيل ينظر: نجيب الأرمانزي محاضرات عن سوريا من الأحتلال حتى الجلاء، مطابع الكتاب العربي، (مصر – ١٩٥٤)، ص٦- ٨.

(٧٢) جعفر العسكري (١٨٨٥- ١٩٣٦) ولد في بغداد، لقب لاعسكري نسبة إلى قرية عسكر العراقية القريبة من كركوك وهي القرية التي انتقل إليها جده الأكبر في القرن السادس عشر الميلادي، دخل العسكري المدرسة الحربية في الاستانة وتخرج منها سنة ١٩٠٤، واصبح ضابطاً في الجيش العثماني برتبة ملازم ثان، شارك في الحرب العالمية الأولى في ليبيا إلى جانب السنوسيين ضد البيرطانيين، ثم أنضم إلى الجيش العربي بقيادة الشريف حسين ١٩١٧. عاد إلى العراق وأصبح وزيراً للدفاع في حكومة عبد الرحمن النقيب سنة ١٩٢٠، ثم أصبح رئيساً للوزراء عام ١٩٢٣، استمر بشغله المناصب الحكومية حتى مقتله في الأنقلاب الذي قاده الفريق (بكر صدقي)في العرق في ٢٩ تشرين تشرين الأول ١٩٣٦، للتفاصيل ينظر: مذكرات العسكري، تحقيق وتقديم نجدة فتحي، دار اللام،

عمل اللجنة الأمريكية في سوريا بقوله (الوفد حر بحركاته سار على منهج قويم يلائم مصالح الشعوب تقتفي أثار الحقوق بكل إنصاف مانح حرية اللسان والضمير....) [٧٣].

إلا أن تلك اللجنة لم تصل إلى العراق ولم يعرف سبب ذلك، ولكن من المحتمل أن يكون لبريطانيا دور معرقل، عن طريق الضغط على الولايات المتحدة، خصوصاً في حال ظهور رغبة العراقيين، وطلب المساعدة الفنية والاقتصادية من أمريكا حصراً، وبهذا تكون بريطانيا قد خسرت كل شيء لها في العراق، بعد أن تكبدت خسائر بشرية ومادية كبيرة حتى تمكنت من السيطرة عليه [٧٤].

وتسبب عدم قدوم اللجنة إلى العراق، بامتعاض شعبي داخل العراق، فتم تنظيم عدة مضابط وعرائض وأرسالها إلى الشريف حسين بن علي (ملك الحجاز) ليسلمها بدوره إلى اللجنة الأمريكية. وكان من أبرز تلك المضابط، مضبطة كربلاء التي أعدها الشيخ الشيرازي وتم الاتفاق على اختيار الشيخ (محمد رضا الشبيبي)، لإيصالها إلى الحجاز [٧٥]. فغادر الشبيبي النجف في تموز ١٩١٩، ووصل الحجاز بعد شهر وأهم ما تضمنته هذه العرائض هو التذكير بمبادئ الرئيس الأمريكي ويلسن مثل (حق تقرير المصير).

قرر الشريف حسين بن علي في ١٧آب ١٩١٩، بكتابه إلى الشيخ الشيرازي، وأهم ما ورد فيه هو قوله "... تلقينا محرركم الكريم وطيه صور إفاداتكم للجنة وعلم آمال الجميع وأني بعنايته تعالى سأبذل كل ما في وسعي لحصول رغباتكم... " [٧٦].

كان وصول هذا الكتاب إلى كربلاء، بوقت حرج للغاية حيث تنصلت دول الحلفاء عن مقدرات ومقترحات اللجنة الأمريكية التي زارت سوريا، فضلاً على نفي أعضاء الجمعية الوطنية الإسلامية إلى الهند.

٢. المساعي البريطانية لاستمالة الشيخ محمد تقي الشيرازي:

بعد وفاة المرجع الديني الأعلى في النجف السيد محمد كاظم اليزدي في ٣٠ نيسان ١٩١٩، أصبح الشيخ محمد تقي الشيرازي هو المرجع الديني الأعلى فضلاً عن مرجعيته السياسية بأصداره الفتاوى السياسية وتأسيسه ودعمه للجمعيات السياسية الوطنية في العراق [٧٧].

فقد تحرك البريطانيون سياسياً باتجاه الشيرازي، محاولين استمالته بطريقتين الترغيب، والترهيب.

لذا حاول البريطانيون، استغلال حادثة وفاة السيد اليزدي للتقرب من الشيخ الشيرازي فأرسل قائم مقام نائب الحاكم الملكي في العراق (هاول) برقية تعزية إلى الشيخ الشيرازي بتاريخ ٥آيار ١٩١٩، فتضمنت هذه البرقية أشكال من المدح والثناء للشيخ الشيرازي ورجال الدين الآخرين [٧٨].

وقد ورد فيها "..... نسأل الله أن يتغمد الراحل الكريم برضوانه ويسكنه فسيح جناته وأن يعوضنا بكم خيراً، ونطلب من المولى عز وجل أن يطيل بقائكم ويسعد أيامك ويعلي قدركم...." [٧٩].

(لندن- ١٩٨٨)؛ علاء جاسم محمد، جعفر العسكري ودوره السياسي والعسكري في تاريخ العراق حتى عام ١٩٣٦، الطبعة الأولى، ص٦٤.

(٧٣) للمزيد أنظر التفاصيل ينظر: علاء جاسم محمد، الموفد العسكري ودوره السياسي والعسكري في تاريخ العراق حتى عام ١٩٣٦، الطبعة الأولى، منشورات مكتبة اليقظة العربية، (بغداد- ١٩٨٧).

(٧٤) علاء عباس نعمة، المصدر السابق، ص٧٤.

(٧٥) عبد الرزاق الحسني، الثورة العراقية الكبرى، المصدر السابق، ص٩٠- ٩١.

(٧٦) عبد الرزاق الوهاب، المصدر السابق، ص٧٥- ٧٦؛ هادي الظعمة، كربلاء في ثورة العشرين، ص٣٢، ٣١.

(٧٧) عباس محمد كاظم، المصدر السابق، ص١٠١؛ رزاق كردي، المصدر السابق، ص١٠٩.

(٧٨) علاء عباس نعمة، المصدر السابق، ص٧٦.

(٧٩) عبد الرزاق الوهاب، المصدر السابق، ص٥٧- ٥٨.

ولا يوجد أي رد للشيخ الشيرازي على هذه البرقية [٨٠]. إلا أن البريطانيين، قاموا بمحاولة اخرى لكسب الشيرازي إلى جانبهم ففي حزيران ١٩١٩م، ذهب إلى كربلاء نائب الحاكم المدني للعراق (ويلسن) بنفسه للقاء الشيرازي حيث كان ويلسن يجيد اللغة الفارسية فأخذ يتحدث بها فبدأ بأثارة الطائفية مع الشيرازي، حينما طلب منه أن يعين رجلاً شيعياً ليكون كليداراً في مراقد الأئمة في سامراء بدلاً عن الكليدار السني، ظناً بأن الشيرازي سيوافق على هذا المقترح كونه شيعياً.

إلا أن الشيرازي رفض ذلك راداً عليه بقوله ((لا فرق عندي بين السني والشيعي إن الكليدار الموجود رجل طيب ولا أوافق على عزله))، بعدها حاول ويلسن كسب موافقة الشيرازي على المعاهدة التي كانت بريطانيا تسعى لعقدها مع إيران ـ فضلاً عن طلبه التدخل لوقف المقاومة المسلحة التي كانت تبديها القبائل الإيرانية المتواجدة جنوب إيران، ضد القوات البريطانية، إلا انه فشل في هاتين المحاولتين أيضاً [٨١].

وبعد فشل جميع أساليب الترغيب التي أنتهجها البريطانيون مع الشيرازي، انتقلوا إلى أسلوب الترهيب، حيث قامت السلطات البريطانية باعتقال ستة أعضاء بارزين من الجمعية الوطنية الإسلامية، في ٢آب ١٩١٩، وتم نفيهم إلى الهند [٨٢].

فقد كتب الشيرازي، رسالة احتجاج إلى ويلسن في ٥آب ١٩١٩م، طالباً منه أخلاء سبيلهم وواصفاً أياهم بأنهم لم يفعلوا شيئاً سوى المطالبة السياسية بحقوق البلاد المشروعة، إلا أن ويلسن رفض مطلب الشيرازي واصفاً إياهم بالمشاغبين.

لذا قرر الشيرازي مواجهة هذا التحدي عن طريق التهديد بالهجرة إلى إيران لكي يفتي بالجهاد من هناك ضد البريطانيين [٨٣].يتضح من ذلك بأن الشيرازي أختار إيران ليس لكونه البلد الذي ولد فيه وإنما بريطانيا كانت على وشك إبرام معاهدة مع إيران، تحصل بموجبها على امتيازات ومصالح اقتصادية وعسكرية كبيرة في إيران، وبالتالي هجرته إلى إيران وإعلان الجهاد من هناك يعني نسف كل الجهود الرامية لأبرام تلك المعاهدة.

كما إن الشيرازي أراد من وراء ذلك أن يوجه رسالة إلى بريطانيا بأنه قادر على نسف مصالحها في العراق، وإيران [٨٤].

وربما كان عزم الشيرازي بالهجرة إلى إيران هو الذي عجل من توقيع رئيس وزراء إيران (وثوق الدولة).

المعاهدة في ٩ آب ١٩١٩، فضلاً عن إشارة المصادر التأريخية إلى الرسالة التي أرسلها الشيرازي وعلماء أخرين إلى رئيس الوزراء الإيراني احتجاجاً على إبرام تلك المعاهدة وقد تضمنت تحذيراً شديد اللهجة إلى وثوق الدولة، "... وإلا تصدينا للتخلص من هذه المعاهدة المشبوهة بكل ما يمكننا من القوى حتى يظهر للعالم بأسرة أن المسلمين يستطيعون أن يكسروا طوق العبودية والرقية ولا يصبرون على الذل والهوان " [٨٥].

ولا شك بأن هذه الرسالة كان لها الأثر الكبير على مسرح الأحداث السياسية، حينما أضطر (وثوق الدولة) إلى الاستقالة من منصبه في ربيع ١٩٢٠ وإلغاء المعاهدة فيما بعد.

---

(٨٠) علاء عباس نعمة، المصدر السابق، ص٧٧.
(٨١) علي الوردي، المصدر السابق، ج٥، ص٦٥؛ نور الدين الشهرودي، المصدر السابق، ص٢٠٤.
(٨٢) للمزيد من التفاصيل ينظر: عبد الرزاق الحسني، الثورة العراقية الكبرى، المصدر السابق، ص٨٨.
(٨٣) عباس محمد كاظم، المصدر السابق، ص٤٦٧.
(٨٤) علاء عباس، علاء عباس نعمة، المصدر السابق، ص٧٨.
(٨٥) المصدر السابق نفسه، ص٧٩.

فقد وصلت العديد من رسائل الدعم والتأييد لموقف الشيخ الشيرازي من علماء الكاظمية فضلاً عن وصول العديد من الوفود إلى كربلاء، دعماً لموقف الشيرازي، عندما علمت بعزمه على الهجرة إلى إيران [٨٦].

أمام هذه التطورات قامت بريطانيا، بمناورة سياسية وفأرسل ويلسن، بيد معتمده (محمد حسين خان الكابولي) مبلغاً كبيراً من المال إلى الشيرازي، وقد رفضها الشيرازي بكل أنفة وإباء [٨٧].

فضلاً عن نقل حاكم كربلاء الميجر (بوفل) إلى قضاء طويريج وعين بدلاً عنه (محمد خان بهادر) الملقب الميرزا محمد البوشهري) ورغم تلك الخطوات التي أجرتها بريطانيا، إلا أن الشيخ لم يغير موقفه وإصراره على إطلاق سراح المنفيين عند ذلك اضطرت السلطات البريطانية إلى التنازل عن قرارها السابق، وإفراجها عن المبعدين في كانون الأول ١٩١٩م، وكان هذا انتصارا سياسياً حققه الشيرازي على السلطات البريطانية.

الخاتمة

يتضح مما سبق إن الشيخ محمد تقي الشيرازي، لم يكن معبراً عن انتمائه لبلده الذي ولد فيه وهو (إيران)، بل كان يقف وينتصر إلى جميع المسلمين الذين يتعرضون إلى الظلم في مختلف البلدان، سواء كان ذلك في العراق و إيران أوغيرهما، وكان يتعامل مع جميع الطوائف الإسلامية، على قدم المساواة، مما يعكس صفة المواطنة لا صفة الطائفة أو العنصر.

ورغم كونه رجلاً فارسياً، إلا أن تطلعاته وميوله كانت تتجه بشكل واضح نحو الإشادة بالقومية العربية، والسعي لتحقيق الوحدة العربية الإسلامية الصحيحة، ويتبين ذلك من خلال الأهداف والشعارات التي تنادي بها، الجمعية الوطنية الإسلامية التي كانت تنهل من أوامر وتوجيهات الشيخ الشيرازي، هذا فضلاً عن مكاتباته ورسائله التي أرسلها إلى الشريف حسين في الحجاز، وقد تكثر فيها كلمات العروبة، والوحدة العربية، وقد كان الشيخ الشيرازي، سياسياً بارعاً، في خوض غمار السياسة في داخل العراق وخارجه، حيث استطاع الضغط على البريطانيين بشكل واضح ومؤثر، ابتدأً من المضابط التي وقعها مع أبناء النجف وكربلاء، والتي طالبت السلطات البريطانية، بمنح حقوق الشعب العراقي، وتفويت الفرصة على البريطانيين من تمرير مشروع الاستفتاء المزيف الذي كان يصبوا إليه البريطانيين بجعله مضلة تجيز شرعية الحكم البريطاني المباشر في العراق.

وموقف الشيخ الشيرازي بتحريض الشارع الإيراني على رفض المعاهدة (الإيرانية – البريطانية)، المعقودة عام ١٩١٩، مما تسبب في إلغائها فيما بعد، فضلاً عن مراسلة الشيخ الشيرازي الرئيس الأمريكي ويلسن، حيث كان يعتقد إمكانية استغلال نفوذ الدول الكبرى، وخاصة الولايات المتحدة والتي رفعت آنذاك شعار حق تقرير المصير، من أجل الضغط على بريطانيا، كل تلك الأساليب السياسية شكلت بمجموعها إرباكاً حقيقياً للبريطانيين، مما دفعهم إلى السعي إلى محاباة وكسب ود الشيخ الشيرازي، إلى جانبهم، محاولين استرضائه، إلا أنهم لم ينالوا مبتغاهم.

---

(٨٦)عبد الرزاق عبد الوهاب، المصدر السابق نفسه، ص٨٥؛ علي الوردي، المصدر السابق نفسه، ج٥، القسم الأول، ص١٠٨.

(٨٧) عبد الرزاق الحسني، الثورة العراقية الكبرى، المصدر السابق، ص٩٠.

المصادر

١. الرسائل الجامعية:

١. رزاق كردي، تاريخ كربلاء للفترة ١٩٢١، ١٩١٤، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا، (بغداد - ٢٠٠٠).
٢. صالح عباس ناصر، عبد الواحد الحاج سكر ودوره الوطني في تاريخ العراق المعاصر حتى عام ١٩٥٦، رسالة ماجستير غير منشورة، مقدمة على معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا، (بغداد — ٢٠٠٣م).
٣. علاء عباس نعمة، محمد تقي الشيرازي الحائري ودوره السياسي في مرحلة الاحتلال البريطاني للعراق (١٩٢٠، ١٩١٨)، رسالة ماجستير مقدمة إلى مجلس كلية التربية، (جامعة بابل - ٢٠٠٥).

٢. المصادر العربية والمعربة:

١. إبراهيم الوائلي، ثورة العشرين في الشعر العراقي، (بغداد - ١٩٦٨).
٢. جعفر الشيخ باقر محبوبة، ماضي النجف وحاضرها، الجزء الأول، الطبعة الثانية، مطبعة الآداب، (النجف - ١٩٥٨).
٣. جير تروذ لوثيان بيل، العراق في رسائل المس بيل، ترجمة، جعفر الخياط، (بغداد - ١٩٧١).
٤. حسن الأسدي، ثورة النجف على الإنكليز، دار الحرية للطباعة، (بغداد - ١٩٧٥).
٥. حسن شبر، تاريخ العراق السياسي المعاصر، العمل الحزبي في العراق ١٩٥٨، ١٩٠٨، الجزء الأول، الطبعة الأولى، دار التراث العربي، (بيروت - ١٩٨٩).
٦. سلمان هادي الطعمة، تراث كربلاء، الطبعة الثانية، (بيروت - ١٩٨٣).
٧. سلمان هادي الطعمة، كربلاء من ثورة العشرين، الطبعة الأولى، بيسان للنشر والتوزيع والإعلام، (بيروت- ٢٠٠٠).
٨. شهاب الدين المرعشي، الإجازة الكبيرة، (رقم - ١٩٩٣).
٩. عباس محمد كاظم، ثورة الخامس عشر من شعبان (ثورة العشرين)، الطبعة الأولى، بلا دار طبع، (د.م - ١٩٨٤).
١٠. عبد الحليم الرهيمي، تاريخ الحركة الإسلامية في العراق، الجذور الفكرية والواقع التاريخي ١٩٢٤، ١٩٠٠، الدار العالمية، (بيروت - ١٩٨٥)م.
١١. عبد الرزاق الحسني، الثورة العراقية الكبرى، الطبعة الثانية، مطبعة العرفان، صيدا، (لبنان - ١٩٧٢).
١٢. ـــ، تاريخ العراق السياسي الحديث، الجزء الأول، مطبعة العرفان، صيدا، (لبنان، ١٩٤٨).
١٣. عبد الرزاق الوهاب، كربلاء في التاريخ، الجزء الثالث، مطبعة الشعب، (بغداد- ١٩٣٥).
١٤. عبد الرزاق محمد أسود، موسوعة العراق السياسية، المجلد ٣، (د.م- د.ت).
١٥. عبد الله فهد النفيسي، دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث، (بيروت- ١٩٧٣).
١٦. عبد الله فياض، الثورة العراقية الكبرى، سنة ١٩٢٠، الطبعة الثانية، (بغداد — ١٩٧٥)، ص٢٣٧- ٢٣٨.

١٧. عبد الشهيد الياسري، البطولة في ثورة العشرين، مطبعة النعمان، (النجف - ١٩٦٦)، ص١١٦.
١٨. علاء جاسم محمد، جعفر العسكري ودوره السياسي والعسكري في تاريخ العراق حتى عام ١٩٣٦، الطبعة الأولى، منشورات مكتبة اليقظة العربية، (بغداد- ١٩٨٧).
١٩. علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، الجزء الخامس، القسم الأول، مطبعة المعارف، (بغداد - ١٩٧٧).
٢٠. غسان العطية، العراق نشأة الدولة ١٩٠٨، ١٩٢١، دار الإعلام، (لندن - ١٩٨٨).
٢١. فريق المزهر الفرعون، الحقائق الناصعة في الثورة العراقية في ١٩٢٠ ونتائجها، الطبعة الثانية، مطبعة النجاح، (بغداد - ١٩٩٥).
٢٢. فؤاد قزانجي، العراق في الوثائق البريطانية (١٩٠٥- ١٩٣٠)، تقديم ومراجعة عبد الرزاق الحسني، (بغداد —١٩٨٩).
٢٣. فيليب ويلارد أيرلاند العراق دراسة في تطوره السياسي، ترجمة جعفر الخياط، دار الكشاف، (بيروت - ١٩٤٩).
٢٤. كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، الدول الإسلامية بعد الحرب العالمية الأولى، ترجمة نبيه أمين فارس، الطبعة الثانية، دار العلم للملايين، (بيروت - ١٩٥٦).
٢٥. مجيد خدوري، نظام الحكم في العراق، مطبعة المعارف، (بغداد - ١٩٤٦).
٢٦. محمد حرز الدين، معارف الرجال في تراجم العلماء والأدباء، ج١، ج٣، (النجف — ١٩٦٤).
٢٧. محمد علي كامل الدين، ثورة العشرين في ذكراها الخمسين — معلومات ومشاهدات، (النجف - ١٩٧١).
٢٨. محمد مهدي البصير، تاريخ اليقظة العراقية، الجزء الأول، مطبعة الفلاح، (بغداد - ١٩٢٤).
٢٩. نجيب الأرماتزي، محاضرات عن سوريا من الاحتلال حتى الجلاء، مطابع الكتاب العربي، (مصر — ١٩٥٤).
٣٠. نور الدين الشهرودي، أسرة المجدد الشيرازي، (طهران - ١٩٩١).
٣١. وميض جمال عمر نظمي، ثورة ١٩٢٠ الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القومية العربية (الاستقلالية) في العراق، الطبعة الأولى، (بيروت- ١٩٨٤).

دراسة أسلوبية في سورة « ص »

د. نصرالله شاملي[1]
سميه حسنعليان[2]

الملخص:
لا شك أنّ للتعبير القرآني أسراراً وجماليات ولمسات وصوراً فنية تدلّ على أنّ هذا القرآن كلام فني مقصود وُضع وضعاً دقيقاً ونُسج نسجاً محكماً فريداً.

استهدف هذا البحث دراسة سورة « ص » مستخدماً المنهج الأسلوبي الذي يتمحور حول معطيات علم اللغة العام. ويتناول المستوى الصوتي والدور البياني والموسيقي للأصوات والكلمات في السورة، ويدرس المستوى الدلالي وسمات الألفاظ ودقة اختيارها في السورة وتتبع الظّواهر الأسلوبية البارزة في السورة والمعاني البلاغية الملازمة لها كالتكرار، والإستفهام، واهتمّ بالتصوير الفني المعتمد على التشبيه والاستعارة، والصور الواقعية.

ظهر من خلال هذه الدراسة أنّ هناك توازناً مقصوداً في إيقاع السورة كما أنّ التكرار هو من العناصر الهامّة في زيادة هذا الإيقاع الجميل للسورة، بالإضافة إلى تناسق هذه الأصوات، وأنّ ألفاظ السورة تميزت بالدقة في اختيار وقوّة التأثير في المتلقي وأنّ التناسق الفني قد برز بين الصور المختلفة ـ البلاغية منها والواقعية ـ بصورة واضحة.

الكلمات الدليلية: الأسلوبية، سورة (ص)، المستوى الصوتي، المستوى الدلالي، المستوى التركيبي، مستوى الصورة.

المقدمة:

الحمدلله ربّ العالمين الذي علّم القرآن، خلق الإنسان، علّمه البيان، والصّلاة والسّلام على نبيّه الكريم وآله الطاهرين.

أما بعد فالدراسات الأسلوبية من الدراسات التي تحتل مكانة عالية في دراسات علم اللغة حالياً وتعد من المناهج التي اعتمدت على الدراسات اللغوية أساساً في تحليل النصوص، وقد أثار ذلك عدة تساؤلات

١- أستاذ مشارك فى قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة أصفهان.
٢- طالبة مرحلة الدكتوراه في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة

حول حقيقة الأسلوبية هل هي علم مستقل أم منهج؟، وهذا أمر يصعب تحديده، لأنّ نقاد العرب اختلفوا فيه، فمنهم من اعتبرها علماً عاماً كعلم اللغة، أو علم الكلام باعتبارها منضوية في علم اللسانيات أو فرع من فروع اللغة. (مصلوح، ١٩٨٤م، ص٢١٧) بينما رفض بعضهم وصف الأسلوبية بالعلم. (أبوديب، ١٩٨٤م، ص٢١٩)

والحديث عن علمية الأسلوبية أمر لم يحسم عند الدارسين لسبب واضح وهو أنّ الأسلوبية نشأت مرتبطة بالدراسات اللغوية، ثمّ استفاد منها النقاد في دراسة النصّ وتحليله، وبناء على ذلك فإنّ الأسلوبية تجمع بين المنهج العلمي في دراسة اللغة، والمنهج النقدي في دراسة النصّ الأدبي أي أنها تجمع بين العلم والمنهج.

ولعلم الأسلوب اتجاهات مختلفة تستخدم فيها المستويات المتعددة للتحليل اللغوي منها: المستوى الصوتي، والمستوى الدلالي، والمستوى التركيبي، ومستوى الصورة. ولكلّ من هذه المستويات صفات تميزه عن الآخر وتساعد الناقد في كشف جماليات النصّ وتعين المتلقي في فهم أسرار النصّ.

فهذا البحث دراسة تطبيقية للمنهج الأسلوبي على سورة «ص»، وهو يركز على دراسة الظواهر الأسلوبية واللغوية، وبيان ما تؤديه من معانٍ بلاغية، ومقاصد أسلوبية في السورة وذلك على المستويات الصوتية والدلالية والتركيبية والصورة، وبمنهج وصفي تحليلي لآيات السورة والبحث لم يكتف بالتناول الجزئي للنص، بل تعامل معه بوصفه قطعة متكاملة من اللغة والفكر والجمال، فلم تغفل البنية الكلية للسورة وما يتجلى في مضمونها من ترابط موضوعي وفني.

١ـ الأسلوبية ودلالتها:

تتمثل مشكلة الدراسات النقدية الحديثة في تناولها الظاهري للنصوص، واعتمادها الظواهر الشكلية في معالجتها، فالعملية النقدية للنص الأدبي لا تتوقف عند مرحلة شرح النص وتوضيح معناه العام والواقع أن تناول بهذه الطريقة يهبط بمستوى النص إلى درجة يفقد فيها جمالياته المميزة له، ووسائله التعبيرية الخاصة. ومن هنا تبرز أهمية علم الأسلوب الحديث (Stylistics) في تجاوزه دور النقد السطحي في التعامل مع النصوص وتحليلها، وقد تميزت الدراسات الأسلوبية الحديثة بتناولها الناضج للنصوص، وقدرتها على الكشف عن مواطن الجمال فيها، مستفيدة من علم اللغة ودراساته العلمية التي تغذي الدراسات النقدية بحيث تتجاوز الجوانب الشكلية للنص والنقد الساذج الذي يقوم على الشرح والتفسير، وهكذا فإنّ الدراسة الأسلوبية الحديثة تفيدنا كثيراً في فهم النصّ الأدبي و« استكشاف ما فيه من جوانب جمالية، وذلك بما تتيح للدارس من قدرة على التعامل مع الاستخدامات اللغوية، ودلالاتها في العمل الأدبي، وبهذا التفاعل مع الخواص الأسلوبية المميزة المكتشفة بطريقة علمية سليمة، تتضح مميزات النص وخواصه الفنية ». (عودة، ١٩٩٤م، ص١٠٠)

ومن هنا يأتي اختيارنا للمنهج الأسلوبي وسيلة نستطيع من خلالها النفاذ إلى عمق النص القرآني بما يحمله هذا المنهج من إمكانيات دراسية تحليلية عميقة، نستطيع من خلالها أن نرصد جماليات النص، معتمدين لغة القرآن الكريم وأدواته الفنية وسيلة للتحليل.

« وعلم الأسلوب هو الذي يطلق عليه في الإنجليزية (Stylistics) وفي الفرنسية (La Stylistique)، والباحث فيه هو (Stylistician)، وكلمة (Style) تعني طريقة الكلام، وهي مأخوذة من الكلمة اللاتينية (Stylas) بمعنى عود من الصلب كان يستخدم في الكتابة، ثم أخذت تطلق على طريقة التعبير عند الكاتب ». (عبد المطلب، ١٩٩٤م، ص١٨٥) وهكذا يمكننا القول إنّ الأسلوب هو طريقة الكاتب في تشكيل المادة اللغوية، وعلى هذا الاعتبار يمكننا أن نعرّف الأسلوبية على أنها منهج نقدي حديث، يتناول النصوص الأدبية بالدراسة، على أساس تحليل الظواهر اللغوية والأسلوبية تكشف الظواهر الجمالية للنصوص،

وتقيّم أسلوب مبدعها، محددةً المميزات الأسلوبية التي يتميز بها عن غيره من المبدعين. وهكذا تبدو أهمّ سمات المنهج الأسلوبي هي: « استكشاف العلاقات اللغوية القائمة في النص، والظواهر المميزة التي تشكل سمات خاصة فيه، ثم محاولة التعرّف على العلاقات القائمة بينها وبين شخصية الكاتب، الذي يشكل مادته اللغوية وفق أحاسيسه ومشاعره التي تجعله يلحّ على أساليب معينة، ويستخدم صيغاً لغوية تشكل في مجملها ظواهر أسلوبية لها دلالتها في النص الأدبي ». (عودة، ١٩٩٤م، ص٩٩)

اللغة هي الأساس الذي تقوم عليه الدراسات الأسلوبية، وهي الأداة الأولى التي ترتكز عليها الأسلوبية في تحليل النصوص الإبداعية والكشف عن مظاهر الجمال فيها. وعلى الرغم من العلاقة الوثيقة التي تربط علمَ اللغة بالأسلوبية، إلّا أنّ الفرق بينهما كبير وملموس من حيث مادة الدراسة وهدفها، فعلم اللغة يتناول بالدراسة اللغة العادية المنطوقة والتي يستخدمها المجتمع في حياته اليومية الاعتيادية أداة للاتصال. أما علم الأسلوب فهو يتعدى اللغة المتداولة في المجتمع إلى الأنماط اللغوية الفردية المتميزة بما فيها من انحرافات لغوية لافتة ومتميزة على المستوى الفردي.

إذاً فالأسلوبية « تتجاوز مجرّد نقل المعنى إلى عمق الاستعمال اللغوي المتمثل في وضع الكلمات في أنساق معينة، وكيفية انتظامها، وانتظام الجمل والمفردات، ورسم الصور، وانتظام ذلك كله مع المعنى، فالكلمة هي مادة التشكيل الفني لدى الأديب». (المصدر نفسه، ص١١٣) ومن هنا تأتي أهمية توظيف اللغة في فهم النصّ الأدبي في الدراسات الأسلوبية، فهي الأداة التي يستخدمها المبدع في تشكيل مادته الفنية تشكيلاً يعكس أفكار الشاعر ومشاعره، فيضفي عليها بذلك ملامح جديدة وأبعاداً مختلفة. وعلى هذا الأساس فسوف تكون أداتنا الأولى في دراستنا الأسلوبية هذه هي اللغة بمستوياتها المختلفة؛ الصوتية، والتركيبية، والصورة، لننفذ من خلالها إلى عمق النص القرآني، آخذين بعين الاعتبار مدى تميزه في صياغة تلك اللغة وتشكيلها وجماليات هذا التشكيل.

تهتمّ الأسلوبية بالجانب العاطفي للظاهرة اللغوية، إذ تسعى الأسلوبية إلى تتبع الكثافة الشعورية التي تميّز النص الأدبي، وهكذا فإنّ الأسلوبية تدرس « وقائع التعبير في اللغة المنظمة من ناحية محتواها العاطفي، أي التعبير عن وقائع الإحساس عبر اللغة، وفعل اللغة في الإحساس ». (عبد المطلب، ١٩٩٤م، ص١٨٧)

٢ـ اتجاهات علم الأسلوب:

ويتفرع علم الأسلوب إلى ثلاثة اتجاهات:

١ـ علم الأسلوب العام الذي يتم من خلاله دراسة القوانين التي تحكم على النصّ الأسلوبي دون التركيز على لغة معينة، وهو علم نظري على الأغلب، وغير تطبيقي، وهو يوازي فقه اللغة.

٢ـ اتجاه يدرس الخصائص الأسلوبية في لغة معينة، وهو يمثل الجانب التطبيقي لعلم الأسلوب، ويتناول التنوعات اللغوية، ولكن ليس على أساس فردي لأنّه يبحث في طاقات التعبير في لغة معينة.

٣ـ الاتجاه الثالث وهو الذي يدرس الظواهر الأسلوبية في إنتاج كاتب معين محاولاً رصد الظواهر الأسلوبية الملحة في عمله الأدبي، وأسباب تميز إنتاجه الأدبي عن غيره من الأدباء. (المصدر نفسه، ص١٣٧ـ ١٤٠)

والاتجاه الثالث هو الاتجاه الذي سنتبعه في دراستنا الأسلوبية هذه. وفي داخل هذه الاتجاهات يستخدم علم الأسلوب مستويات التحليل اللغوية وهي:

* **المستوى الصوتي:**

وهو الذي يدرس الأنماط التي تخرج عن النمط العادي، والتي تؤثر بشكل لافت في الأسلوب. تناول البحث البناء الصوتي لكلمات السورة، والموسيقى النابعة من تردد الأصوات والألفاظ وانسجام هذه الموسيقى مع معاني السورة وتجسيدها لها والفاصلة وأثرها في إحداث الانسجام الموسيقي.

* **المستوى الدلالي:**

ويعتبر المستوى الدلالي من أهمّ عناصر البحث والتحليل الأسلوبي ويأتي التركيز هنا على الإلفاظ في المقام الأول لما لها من تأثير جوهري على المعنى. ويتم التركيز على الكلمات وتركيباتها وتجاور الألفاظ وهناك بحث عن سمات الألفاظ ومميّزاتها في السورة ودقة اختيارها.

* **المستوى التركيبي:**

الأسلوبية ترى في هذا المستوى عنصراً هاماً في مجال البحث الأسلوبي، إذ يعتبر هذا المستوى من أهم الملامح التي تميز أسلوب مبدع ما عن غيره من المبدعين، ويتوجه علم الأسلوب على المستوى التركيبي إلى بحث العناصر التالية: دراسة طول الجملة وقصرها، والاهتمام بالظواهر الأسلوبية ودلالتها البلاغية في السورة ومن هذه الظواهر: تكرار الألفاظ والعبارات، وظاهرتا الإفراد والجمع، والتعريف والتنكير و...

* **مستوى الصورة:**

وهو يدرس تشكيل الصورة في هذه السورة من حيث العناصر المكونة لها ومدى تكرارها. وهو يدرس كذلك الصور الفنية البلاغية المعتمدة على التشبيه والاستعارة و.. التناسق الفني بين صور السورة المختلفة.(عبد المطلب، ١٩٩٤م، ص١٨٩-١٩٢)

٣- تطبيق المستويات الأسلوبية على سورة « ص »:

وفي هذا المجال درس البحث تطبيق المستويات الأسلوبية التي ذكرت على سورة « ص » مبتدئاً بالمستوى الصوتي، عابراً بالمستوى الدلالي والتركيبي ومنهياً بمستوى الصورة.

٣.١.المستوى الصوتي في سورة (ص):

لا يخامرنا شك أنّ الدراسة الصوتية تقع في صميم دراسة النصوص الأدبية، لأنّ التحليل الأسلوبي لهذه النصوص يساعد كثيراً في فهم طبيعتها، وفي الكشف عن الجوانب الجمالية فيها، بالإضافة إلى ما فيه من كشف الانفعالات النفسية والعواطف التي تحكم مبدعها، والتي تدفعه إلى اختيار أصوات وإيقاعات بعينها و« ليس يخفى أنّ مادّة الصوت هي مظهر الانفعال النفسي، وأنّ هذا الانفعال بطبيعته إنّما هو سبب في تنويع الصوت، بما يخرجه فيه مدّاً أو غنّة أو ليناً أو شدة ». (الرافعي، ١٩٩٧م، ص ١٦٩) وليس يخفى ارتباط مستويات اللغة المختلفة ببعضها، وتعتبر دراسة المستوى الصوتي الخطوة الأولى لدراسة المستويات الأخرى، فعلى سبيل المثال، لا يمكن دراسة الصرف دراسة صحيحة إلا بالاعتماد على الوصف الصوتي. (هلال، ١٩٩٦م، ص ١٥)

ولا ينكر عاقل أثر الموسيقى والنغم في شدّ المتلقي وجعله أكثر انتباهاً وأشدّ إصغاءً، بل إنّ موسيقى الشعر هي أجمل ما فيه من عناصر وللشعر نواح عدّة للجمال، أسرعها إلى نفوسنا ما فيه من جرس الألفاظ، وانسجام في توالي المقاطع وتردد بعضها بعد قدر معين منها، وكلّ هذا هو ما نسميه بموسيقى الشعر. (أنيس، ١٩٧٢م، ص١٣)

أمّا بالنسبة إلى القرآن الكريم فلن نجد نصوصاً توافرت فيها الاتفاقات - بين جميع مستويات اللغة - كنصوص القرآن الكريم، وسوره وآياته، حيث تركت طريقة القرآن في التعبير تأثيرها على المتلقين وأثارت انتباههم، « حتى لم يكن لمن يسمعه بدّ من الاسترسال إليه والتوفر على الإصغاء.. فإنه إنما يسمع ضرباً

خالصاً من الموسيقى اللغوية في انسجامه، واطراد نسقه واتزانه على أجزاء النفس، مقطعاً مقطعاً، ونبرة نبرة كأنها توقّعه توقيعاً ولا تتلوه تلاوة ». (الرافعي، ١٩٩٧م، ص١٦٧) ويبدو الإيقاع الموسيقي واضحاً في القرآن الكريم، ولكنّ لهذا الإيقاع طريقته الخاصة التي تختلف عن الشعر المقيّد بالأوزان والقوافي، فهو خاص بالقرآن وحده، إذ هو « إيقاع في نطاق التوازن، لا إيقاع في نطاق الوزن، فالوزن في العربية للشعر، والتوازن في الإيقاع للنثر، والذي في القرآن إيقاع متوازن لا موزون ». (حسان، ١٩٩٣م، ص ٢٦٩) ويؤدي هذا الإيقاع دوراً فاعلاً في تكثيف المعنى، وزيادة طاقاته التعبيرية، من خلال انسجامه مع أجواء النصوص ومعانيها، حيث يعبّر القرآن عن المعنى بالألفاظ، ويختار من هذه الألفاظ ما كانت أصواتها متناغمة مع معانيها، ومجسّدة لها، وهكذا يكون « النسق القرآني قد جمع بين مزايا النثر والشعر جميعاً. فقد أعفي التعبير من قيود القافية الموحدة والتفعيلات التامة؛ فنال بذلك حرية التعبير الكاملة عن جميع أغراضه العامة. وأخذ في الوقت ذاته من الشعر الموسيقى الداخلية، والفواصل المتقاربة في الوزن ». (قطب، ١٩٨٣م، ص ١٠٢)

وقد برز الإيقاع في أكثر آيات القرآن الكريم، والإيقاع هو « عبارة عن تردد ظاهرة صوتية ما على مسافات زمنية محددة النسب » (عياد، ١٩٧٨م، ص ٦٠)، ولا يحتاج الباحث إلى عناء كبير ليثبت أن اتزان الإيقاع في الآيات والفواصل شيء يقصد إليه القرآن قصداً، دون أن يكون ذلك بالطبع على حساب المعنى المطروح.

وقد كثرت الشواهد على ذلك بحيث يصعب حصرها في القرآن الكريم، ومن هذه الشواهد في السورة، أننا نرى كيف تختل الموسيقى الكامنة في تركيب بضع الآيات أو الجمل لو قمنا بإحداث تغيير في كلماتها، استبدالاً، أو تقديماً وتأخيراً، فلو أردنا تقديم كلمة (الذكر) في قوله تعالى: ﴿ أَأُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا﴾ [ص٣٨ / ٨] وقرأناها: (أءنزل الذكر عليه من بيننا)، لاختفى هذا الإيقاع المتوازن الجميل.

ومثل هذا الإجراء الاستبدالي يعدّ منهجاً علمياً يفيد منه الباحث في إدراك أسرار التركيب وجمالياته وغاياته، ويسمح ـ في الدراسات الأدبية ـ بفهم الاختيار الأسلوبي للمبدع، والأنماط اللغوية التي كان بوسع المؤلف أن يختار منها في عملية الإنتاج. لكي نبحث هذا، يمكن أن نقوم بإجراء استبدالي، إذ ننطلق من وحدة لغوية معينة في النص، لنضع بدائلها المحتملة في النظام اللغوي. (فضل، ١٩٩٢م، ص ٢٣٣)

ولا يكفي النظر إلى آيات القرآن مكتوبة حتى نتذوق أصواتها، بل لا بدّ من تلاوتها والتلفظ بها، حتى نقف على روعة بنائها الصوتي والموسيقي. ولا تقتصر أهمية السماع على القرآن الكريم فحسب، فإنّ الشعر ـ على سبيل المثال ـ يفقد من جماله الشيء الكثير إذا لم يتمّ إنشاده بنغمة موسيقية تناسبه، وبشكل عام « إنّ اللغة المحكية هي التي تمثّل فقط انعكاسات الأصوات ». (طحان، ١٩٨١م، ص٦٤) وفي الكلام المسموع ما ليس في المكتوب من إظهار للتعبيرات المصاحبة للكلام ولهذا كانت دراسة الكلام المنطوق المسموع مقدمة لا بدّ منها لدراسة الأنظمة (القواعد) اللغوية أو بعبارة أخرى لدراسة اللغة نفسها. (حسان، ١٩٧٩م، ص٤٧)

١ـ١ـ٣ـ البناء الصوتي للكلمات:

يمكن التعرف على البناء الصوتي للكلمات، من خلال تبيّن نوعية المقاطع الصوتية المكونة لها، ويعدّ المقطع مرحلة وسيطة ما بين الصوت المفرد، والكلمة المركبة من عدة أصوات فهو « مزيج من صامت وحركة، يتفق مع طريقة اللغة في تأليف بنيتها، ويعتمد على الإيقاع التنفسي، فكلّ ضغطة من الحجاب الحاجز على هواء الرئتين يمكن أن تنتج إيقاعاً يعبّر عنه مقطع مؤلف في أقلّ الأحوال من صامت وحركة (ص+ ح). (شاهين، ١٩٨٠م، ص٣٨)

وللمقطع أهمية كبيرة في الكلام؛ لأنّ المتكلمين لا يستطيعون نطق أصوات الفونيمات كاملة، أو هم لا يفعلون ذلك إن استطاعوا، وإنما ينطقون الأصوات في شكل تجمعات هي المقاطع(عمر، ١٩٧٦م، ص٢٣٨).وإذا رمزنا للصامت بالرمز (ص)، وللصائت أو الحركة بالرمز (ح)، فيمكن عرض الأشكال الرئيسية للمقاطع العربية كما يأتي:

١ـ المقطع القصير (ص ح)، ويتألف من صامت وحركة قصيرة.

٢ـ المقطع المتوسط المفتوح (ص ح ح)، ويتألف من صامت وحركة طويلة.

٣ـ المقطع المتوسط المغلق (ص ح ص)، ويتألف من صامت ثمّ حركة قصيرة يتلوها صامت.

٤ـ المقطع الطويل المغلق (ص ح ح ص)، ويتألف من صامت، حركة طويلة يتلوها صامت.

٥ـ المقطع الطويل المزدوج الإغلاق (ص ح ص ص)، ويتألف من صامت ثم حركة قصيرة يتلوها صامتان. (شاهين، ١٩٨٠م، ص٣٨ـ٤٠)

وقد عملنا على تحليل المقاطع الصوتية التي تتكون منها كلمات السورة، واخترنا نماذج من الآيات، من مواقع متفرقة، وبدأنا كلّ آية برقمها في السورة ثم قمنا ببيان نوعية المقاطع الصوتية وعددها في كلّ آية:

١) صاد والـ قر ءا ن ذِذ ذِك ر

ص ح ص / ِ ص ح ص ِ / ص ِ ح ص ِ/ح ح /ص ح /ص ِ ح ص َ/ص ح ص / ص ح.

٢) بـ لِل ل ذيـ ن كـ فـ روا في عز زتن و ش قا قن

ص ح / ص ح ص / ص ح /ص ح ص/ص ح / ص ح / ص ح /ص ح ص / ص ح ص/ص ح / ص ح ص / ص ح / ص ح / ص ح ص.

٣) كم أهـ لَكـ نا من قبـ لـِ هم من قر نن فـ نا دوا و لا ت حي ن م نا صن

ص ح ص / ص ح ص / ص ح ص / ص ح ص / ص ح ص / ص ح ص / ص ح / ص ح ص / ص ح / ص ح ص / ص ح ص / ص ح / ص ح ح / ص ح ص / ص ح / ص ح ح / ص ح / ص ح ص / ص ح / ص ح / ص ح ص

بلغ عدد المقاطع القصيرة في هذه الآيات (١٧)، والمتوسطة (٢٨)، وزاد فيها عدد المقاطع المتوسطة على القصيرة وقد كان لهذه الزيادة أثرها في بيان الزمن الطويل قبلهم وهلاك الأقوام قبلهم و..

نذكر نموذجاً آخراً:

٧٧) قا ل فاخـ رج منـ ها فـ إنـ نـ ك رجيم

ص ح ص / ص ح / ص ح ص / ص ح ص / ص ح ص / ص ح ص / ص ح / ص ح ص / ص ح / ص ح / ص ح ح / ص ح ص.

٧٨) و إنـ ن ع ليـ ك لعـ نـ تي إ لى يو مد دين

ص ح / ص ح ص / ص ح / ص ح / ص ح ص / ص ح / ص ح ص / ص ح / ص ح ح / ص ح / ص ح ح / ص ح ص / ص ح ص / ص ح ح ص.

٧٩) قا ل رب ب فـ أنـ ظر ني إ لى يو م يبـ عـ ثو ن

ص ح ص / ص ح / ص ح ص / ص ح / ص ح / ص ح ص / ص ح ص / ص ح ص /ص ح ح / ص ح / ص ح ح / ص ح ص / ص ح ص / ص ح / ص ح ص / ص ح.

٨٠) قا ل فـ إنـ نـ ك م ن ال منـ ظ ريـ ن

ص ح ص / ص ح / ص ح / ص ح ص / ص ح / ص ح / ص ح / ص ح ص / ص ح ص / ص ح / ص ح ح / ص ح.

في هذه الآيات الكريمة عدد المقاطع القصيرة (٢٥) وعدد المقاطع المتوسطة ـ المغلقة والمفتوحة معاً ـ (٣٠) والنسبة بينهما تقلل بالنسبة إلى الآيات المذكورة سابقاً، لعلّ كثرة المقاطع القصيرة في هذه الآيات تقصد زيادة حدّة الانتباه، وإثارة الأسماع وأيضاً الإشارة إلى طرد الشيطان من الجنّة.

يبدو أنّ لكلّ آية نظاماً مقطعياً خاصاً، فلا يكون هذا النظام مطرداً في كلّ الآيات، إلّا أنه يأتي في معظمها متفقاً مع معانيها، ومنسجماً مع أجوائها.

٢ـ١ـ٣ـ الموسيقى النابعة من تردد الأصوات:

يسهم التكرار في السورة ـ سواء أكان تكراراً للحرف أو الكلمة ـ في تشكيل الأنغام الحسنة، ويزيد من الإيقاع الجميل والمتميز في آياتها، ويكسبها انسجاماً موسيقياً، و« الانسجام هو أن يكون الكلام لخلوه من الانعقاد متحدراً كتحدر الماء المنسجم، ويكاد لسهولة تركيبه وعذوبة ألفاظه أن يسيل رقة، والقرآن كله كذلك ». (السيوطي، د.ت، ص ٢٦٠)

هذا بالإضافة إلى المعاني التي يؤديها الإيقاع من خلال تناسقه مع جوّ الآيات ودلالتها، وقد اعتبر الرافعي ذلك التناسب الطبيعي بين الأصوات في القرآن الكريم لوناً من إعجازه، سمّاه إعجاز النظم الموسيقي في القرآن وذلك « لترتيب حروفه باعتبار من أصواتها ومخارجها، ومناسبة بعض ذلك لبعضه مناسبة طبيعية في الهمس والجهر، والشدة والرخاوة، والتفخيم والترقيق، والتفشي والتكرير وغير ذلك ». (الرافعي، ١٩٩٧م، ص ١٦٩)

وعلى الرغم من وضوح ظاهرة الإيقاع الموسيقي في القرآن فإنّها لم تحظ بالعناية المعمقة من القدماء، فـ « حديثهم عنها لم يتجاوز ذلك الإيقاع الظاهري؛ ولم يرتق إلى إدراك التعدّد في الأساليب الموسيقية، وتناسق ذلك كله مع الجوّ الذي تطلق فيه هذه الموسيقي». (قطب، ١٩٨٣م، ص٨٧)

قد عملنا على تتبع تكرار بعض الأصوات والحروف في السورة، محاولاً الكشف عن العلاقة التي تربط بين هذه الأصوات وبين الجوّ الذي وردت فيه، وقد تناولنا مجموعة متشابهة من الأصوات، وتحدثنا عن ميزاتها وخصائصها، وعن المعاني التي جسّدتها، وعن انسجامها مع أجواء الآيات وسياقاتها، كما يأتي:

قد منحت أصوات المدّ الكثير من الوضوح والإبانة للكلام الذي يأمر الله نبيه أن يقوله ويؤكد على أنه منذر لا يسأل الناس أجراً وهذه أظهر الأصوات وضوحاً في اللغة العربية.كقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ [ص٣٨/ ٦٥] وقُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص٣٨/ ٨٦]

وتأتي أصوات المدّ في مواقف المفاصلة بين المؤمنين والكافرين، مثل قوله تعالى: ﴿ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ [ص٣٨/ ٢٨]فجاء صوت الكسرة الطويلة في: (الذين، المفسدين، المتقين) وصوت الفتحة الطويلة في: (ءامنوا، الصلحات، كالفجار) وصوت الضمة الطويلة في: (عملوا).

والجدير بالذكر أنّ أصوات المدّ تمنح فرصة التشكي والتأوه للإنسان الحزين، الذي يتألم لحاله، كحال الذين وقعوا في عذاب الله تعالى ورأوا أن لا مفرّ لهم منه ولا ملجأ لهم حاولوا أن يبرئوا أنفسهم وقالوا: ﴿ قَالُوا رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ﴾[ص٣٨/ ٦١] وقد تؤدي أصوات الحركات غرض المبالغة والتعظيم، من خلال ما تتميز به من مدّ، وأكثر ما يبرز غرض التعظيم في الآيات التي يكون ضمير المتكلم فيها عائداً على الله سبحانه حيث يكون دور أصوات الحركات هو الإسهام في تجسيد عظمة الخالق، وإظهار قدرته التي لا تحدّ كما في الآية: ﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ﴾ [ص٣٨/٢٦] وزاد في الآية من درجة التعظيم مجيء ضمير الجماعة للمتكلم الذي يعود على الله، حيث يزداد الكلام عظمة

بسبب صوت نون الجماعة المقترنة بصوت الفتحة الطويلة في كلمة (إنّا). ومثل هذا الإحساس بعظمة المتكلم نراه في قوله تعالى: [ص/٣٦و٣٧و٣٨]، فقد منحته أصوات المدّ هيبة ووقاراً، وزادته عظمة وجلالاً، وبالإمكان تأمّل ذلك في الكلمات التي اشتملت على حركة الفتحة الطويلة: (سخرنا، رخاء، أصاب، الشيطين، بناء، غواص، ءاخرين، الأصفاد)، بالإضافة إلى التكلم بصيغة الجمع في (سخرنا) الدالة على التعظيم. ويبرز جوّ التعظيم في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ﴾ [ص٣٨/ ٤٦] من خلال أصوات حركات الفتحة الطويلة الخمسة.

يؤدي صوت المدّ أحياناً دوراً يجسّد استبعاد حصول شيء ما، وعدم إمكانية حدوثه أو يظهر التعجب من حصوله، وذلك ما نجده في استفهام الكافرين في قولهم: ﴿ أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾[ص٣٨/ ٥]، فهم يتعجبون من جعل الآلهة إلهاً واحداً والعبارة الأخيرة في الآية أيضاً يشير إلى هذا التعجب. وهذا المعنب قد جسّدته أصوات المدّ وكأنّ في كلّ مدّ مزيداً من التعجب. وقد يظهر جوّ السكينة والهدوء بأصوات المدّ كما تجلى هذا الجوّ في هذه الآيات: ﴿ جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الأَبْوَابُ مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ﴾[ص٣٨/٥٠ـ ٥٢] وهذه بيان عن أهل الجنة وعن النعيم الذي يقيمون فيه فقد جاء التعبير في غاية الهدوء والسكينة.

وهناك صوت النون الذي ذكرها القدماء مع الميم واللام والراء في الأصوات الذلقية. وهذا الصوت يأتي ذو الوضوح السمعي المميز في الآيات ليزيدها وضوحاً ورنيناً، فعلى مستوى الإيقاع لا شك أنّه يمّل رنّة، تحدث قوة إسماع، حاملة تردداً زمنياً طويلاً (كشك، ١٩٨٣م، ص١٣) بالإضافة إلى صوت الغنّة الموسيقي في هذا الحرف وليست الغنة إلا إطالة صوت النون مع تردد موسيقي محبب فيها. ولنتأمل كيف تجلت هذه الخصائص الموسيقية لصوت النون في قوله تعالى: ﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ [ص٣٨/٤٤] وقوله سبحانه: وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الأَخْيَارِ﴾[ص٣٨/ ٤٧] فقد نشأ عن تردد هذا الصوت نوع من الموسيقى ترتاح إليه الأذن وتميل إليه. ونلحظ وضوحاً صوتياً شديداً ورنيناً مدوياً في أكثر الآيات التي يشيع فيها صوت النون، وذلك يضاعف من قوّة إسماع الكلمات، ويجعل للآية إيقاعاً حاسماً جلياً يتواءم مع جلاء معناها، كما في قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾ [ص٣٨/ ٧٩ـ٨٠]، ونجد لصوت الغنّة إيقاعاً حانياً يتواءم مع الحنو من لدن الله الممنوح لإبليس الذي أراد منه الإنظار إلى يوم القيامة مع أنه خالف الله تعالى في سجدة لآدم(ع).

ويبرز صوت النون في مقام التهديد، وفي سياق الوعيد، فيزيد من حدّتهما ويضاعف من وقعهما على النفوس ويساهم مع أصوات أخرى في التعبير عن الغضب المجلجل، كما في قوله تعالى: ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص٣٨/ ٨٥]، فقد كان لصوت النون رنين ووقع يصمّان الآذا من شدتهما، ويزلزلان النفوس، حيث يقسم الخالق أنه يملأ جهنمه من إبليس ومن اتبعه. وكذلك الأمر في الآية الأخيرة في السورة: ﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ [ص٣٨/٨٨]

وفي الصوت تجدر بنا الإشارة إلى الأصوات المفخمة؛ يعرف التفخيم بأنّه « ارتفاع مؤخر اللسان ؤلى أعلى قليلاً في اتجاه الطبق اللين، وتحركه إلى الخلف قليلاً في اتجاه الحائط الخلفي للحلق » (عمر، ١٩٧٦م، ص٢٨٣)، وتتمثل المجموعة الصوتية المفخمة في نوعين، الأول: الأصوات المطبقة وتشمل أصوات: (الضاد، الصاد، الطاء، الظاء)، وهي أصوات كاملة التفخيم، فيها مع استعلائها إطباق. والثاني: الأصوات ذات التفخيم الجزئي، وهي أصوات لا إطباق فيها مع استعلائها، وتشمل أصوات: (الخاء، الغين، القاف).

تسهم الأصوات المفخمة بإيقاعاتها القوية في تجسيد ضخامة الحدث في يوم القيامة في قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَنظُرُ هَؤُلاَءِ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ﴾ [ص٣٨/ ١٥] وكان لصوت (الصاد) و(القاف) إيقاع على هيبة ذاك اليوم.

ولنتأمل هذه الآية الكريمة: ﴿ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [ص٣٨/٢٤] كان لصوت (الخاء) المفخم ومعه الراء إيقاع دال على هيبة هذا الخرّ وعظمته، ولنتخيل هذا الصوت الناتج عن ذلك الخرّ وكيف يعبّر عنه ويناسبه الإيقاع المفخم في الراء والخاء المستعلية.

وحين ترافق أصوات التفخيم الأحداث الضخمة فهي تصور بإيقاعاتها الضخمة ضخامتها وعظمتها حتى لكأنها تنقل صوت هذه الأصوات كما تنقل الألفاظ معانيها كما في الآية الكريمة: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ [ص٣٨/٢٧] فقد عبر سبحانه عن بطلان ظنّ الكافرين عن خلق الله السماء والأرض باطلاً ولما كان هذا الظنّ الباطل بهذه الضخامة فقد رافقت التعبير عنه أصوات التفخيم والاستعلاء في (خلقنا، الأرض، بطلاً، ظنّ).

٣.٢.المستوى الدلالي:

تبدو علاقة واضحة بين جانبي الدلالة والصوت، فهما يتكاملان معاً ويتطابقان في السورة، فبعض الدلالات كانت تستدعي نوعاً معيناً من الأصوات، كما أنّ بعض الأصوات كانت تعبّر عن نوع معيّن من الدلالات، « على أنّ هناك نوعين من النسيج في العمل الأدبي: أحدهما هو النسيج الصوتي والآخر هو النسيج الدلالي. وهما لا يحتاجان عادة إلى التطابق سوى في الأدب ». (فضل، ١٩٩٢م، ص٩٣) وتعتبر الكلمات أو الألفاظ من الأهمية بمكان في دراسة النصوص، لأنّها تمثّل الوحدات الصغرى التي يتشكل منها النص، وإن دراستها ودراسة دلالتها وخصائص استعمالها تقودنا إلى الخروج بتصور واضح عن البنية الكلية، أي عن الوحدة الكبرى التي هي (النص) أو السورة، فلا يستغنى إذن عن دراسة الألفاظ في محاولة فهم النص، « وليس ثمة ما يثير الدهشة أو الغرابة في هذه المكانة التي تنفرد بها الكلمات، فهي أصغر نواقل المعنى أو أصغر الوحدات ذات المعنى في الكلام المتصل ». (أولمان، د.ت، ص١٩) وللألفاظ في القرآن الكريم مكانة خاصة، إذ هي تنفرد عن غيرها بدقة متناهية وهي تنسجم تمام الانسجام مع السياق الذي ترد فيه، بحيث لو حاولت أن تستبدل بكلمة ما كلمة أخرى، لاختلّ المعنى وانتقص التعبير لذا فإنّ ألفاظ القرآن الكريم تقع « في ضمن الأسلوب البياني الرائع، ونعتقد مؤمنين أنّ كل لفظ في القرآ« له معنى قائم بذاته وفيه إشعاع نوراني يتضافر مع جملته ». (أبوزهرة، ١٩٧٠م، ص١٠٤)

ولا شك أنّ للسياق الذي ترد الألفاظ فيه دور هام في البحث في مستوى الدلالة، إذ لا يصح الاعتماد على مجرد النظرة الفردية في كلّ كلمة دون معرفة مواقعها في السورة؛ لأنّ اللفظة في حدّ ذاتها لا قيمة لها، وإنما هي تستمدّ قيمتها من السياق الذي ترد فيه. وهذا ما تنبه إليه علماؤنا القدامى، يقول عبد الاهر: « وها تجد أحداً يقول هذه اللفظة فصيحة، إلا وهو يعتبر مكانها من النظم وحسن ملاءمة معناها لمعاني جاراتها وفضل مؤانستها لأخواتها؟ ». (الجرجاني، ١٩٨٨م، ص٣٦)

يحار المتأمل في معاني هذه السورة من هذه الدقة التي تميز ألفاظها، بحيث تؤدي المعنى بطريقة فريدة، وكأنّ هذه الألفاظ ما خلقت إلا لهذه المعاني ومن سمات ألفاظ سورة (ص) ومميزاتها هي: الدقة في الاختيار، إذ تعتبر سمة بارزة وعامة نتذوقها في كلّ ألفاظ القرآن الكريم، فإنك تجد أنّ اللفظ قد وقع في مكانه المناسب، وعبّر عن المعنى المطلوب تعبيراً دقيقاً ومن مظاهر هذه الميزة في السورة هي أنّه لا يمكن استبدال لفظ بغيره دون أن يختلّ المعنى، لأنك لو حاولت أن تستبدل بلفظ القرآن لفظاً آخر من عندك لن تجده يعبّر عن المعنى بالدقة نفسها التي يعبّر عنها لفظ القرآن ولن تعثر فيه على تلك الإحاطة بالمعنى من

جميع الجهات وكافّة الجوانب، ولنأخذ لفظ (سخرياً) في قوله تعالى: ﴿ أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الأَبْصَارُ ﴾ [ص٣٨/٦٣]

لا شك أن (السخري) أقوى من (السخر) والخصوصية أقوى من الخصوص ونذكر هنا أن النسب يحدث في الاسم تغييرات:

١- زيادة ياء النسب في آخره وهذه الياء المشددة حرف بمنزلة تاء التأنيث لا موضع لها من الإعراب.
٢- كسر ما قبلها.
٣- جعل الياء منتهى الاسم.

وإنما تطرق التغيير في اللفظ لتغيير المعنى، ألا ترى أنك إذا نسبت الى علم استحال نكرة بحيث تدخله أداة التعريف كالتثنية والجمع وصار صفة بمنزلة المشتق بعد الجود ويرفع الاسم بعده على الفاعلية أما مظهرا أو مضمرا تقول مررت برجل تميمي أبوه وآخر هاشمي جده، وإذا نسبت الى المصدر زدته قوة كما في قولك سخريا. (الدرويش، ١٩٩٩م، ج ٨، ص ٣٨٠)

ومن عجيب نظم القرآن ودقة اختياره، أنّه يختار من صيغ الجمع المختلفة، تلك الصيغة التي تنسجم مع السياق وتتفّق مع المعنى. ومثال ذلك في السورة كلمة (العباد) التي وردت في الآية: ﴿ وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الأَيْدِي وَالأَبْصَارِ﴾ [ص٣٨/ ٤٥]، ونلحظ أنّ القرآن استخدم صيغة الجمع (العباد) في هذا المقام ولم يستخدم صيغة (العبيد). وقد ورد لفظ (العباد) في القرآن الكريم نحواً من سبع وتسعين مرّة (الأصفهاني، ١٩٩٧م، مادة (عبد))، وهو في معظمها صريح في دلالته على الطاعة وإخلاص العبودية لله، أمّا لفظ (العبيد) فقد جاء في القرآن خمس مرّات فقط، في سياق نفي صفة الظلم عن الله حين يحكم بإدخال الكافرين إلى النار، وذلك في الآيات كـ: ﴿مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾[ق٥٠/ ٢٩]

ومن الفروق بين الجمعين، ما ذكره ابن جنّي أنّ: « أكثر اللغة أن تستعمل (العبيد) للناس، و(العباد) لله » (ابن جني، ١٩٦٩م، ص٨٩)، أي نقول: عبيد الناس، وعباد الله، والتفت باحثون إلى العلاقة بين التركيب الصوتي لكلا الجمعين، وبين معنى كلّ منهما، من حيث اختيار اللفظ المنسجم بأصواته للمعنى المرموز إليه، فجاءت لأجله كلمة (عباد) في القرآن وصفاً للمسلمين العابدين لله، بينما جاءت (العبيد) وصفاً للكافرين. وبرّروا ذلك أنّ الانتقال في (عباد) من الكسرة إلى الفتحة ثمّ الاستطالة بالألف ـ الموحية بالعزّة والرفعة والمنتصبة القامة ـ يشير إلى هذه العزّة والرفعة التي نلحظها في حياة العباد المؤمنين المطيعين لله، بينما الانتقال في (عبيد) من الفتحة إلى الكسرة فالاستطالة بالياء ـ التي جاءت وسط الكلمة منبطحة ملقاة بذلة ـ يوحي بانكسار النفس، واستغراقها في الذّلّ، ومهانتها باستعباد الناس لها. (الخالدي، ١٩٩٢م، ص٥٨)

وفي قوله تعالى (يسبحن) [ص٣٨/١٨] عدول عن الاسم الى الفعل، والنكتة فيه الدلالة على التجدد والحدوث شيئا بعد شي ء وحالا بعد حال وكأن السامع حاضر تلك الحال يسمع تسبيحها. (الدرويش، ١٩٩٩م، ج ٨، ص ٣٤٣)

ولاستعمال التضاد في السورة دلالات مختلفة منها أنّ التضاد يفيد معنى العموم في الآية ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴾ [ص٣٨/ ٢٧] بين (السماء) و(الأرض) أي هو ربّ كلّ شيء وخالقه.

قد يدلّ التضاد على الدوام والاستمرارية وعدم الانقطاع كما في التضاد بين (العشيّ) و(الإشراق) في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَ الإِشْرَاقِ﴾ [ص٣٨/١٨] أي يذكرن الله باستمرار وتواصل في الصباح والمساء.

وقد يرد التضاد فيحدث مقارنة بين نقيضين، ليزيد من الترغيب في أحدهما، والتنفير من الآخر، وذلك من خلال استحضارهما معاً، ولنتأمّل التضاد بين (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) و(المفسدين) وبين (المتقين) و(الفجّار) في قوله تعالى: ﴿ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ [ص٣٨/ ٢٨]

٣.٣.١.المستوى التركيبي:

وهنا نهتمّ بأهم الظواهر الأسلوبية في سورة (ص) ومنها:

١ـ ٣ـ٣ـ التكرار:

يوجد نوعان من التكرار في القرآن الكريم، هما تكرار القصص والأخبار وتكرار الألفاظ والعبارات. ونجد النوع الأول في هذه السورة، إذ توجد قصص مختلفة في هذه السورة عن أنبياء وقد وردت بعض هذه القصص في السور الأخرى كقصة سليمان (ع) الذي وردت في سورة النمل أيضاً. أو قصة خلق آدم (ع) وامتناع إبليس في سجدته له إذ وردت في سورة البقرة أيضاً. ومن أسرار تكرار القصص: أنّ إعادة القصة الواحدة بعبارات أخرى، وبأسلوب مغاير، يُظهر بلاغة القرآن وتصرفه في فنون القول فـ « إعادة ذكر القصة الواحدة بألفاظ مختلفة تؤدي معنى واحداً من الأمر الصعب الذي تظهر به الفصاحة وتبين به البلاغة ». (الباقلاني، د.ت، ص٦١) وحين يكرر القرآن في قصصه، ثمّ يبقى ـ بعد ذلك ـ محافظاً على بلاغته فإنّ في ذلك تحدّياً كبيراً للمعاندين أن يأتوا بمثل ما جاء به، فـ « عجيب نظمه، وبديع تأليفه لا يتنفاوت ولا يتباين، على ما يتصرف إليه من الوجوه التي يتصرف فيها ». (المصدر نفسه، ص٣٦)

وأما النوع الثاني من التكرار ـ المتمثل في تكرار الآلفاظ والعبارات ـ فنجده في سورة (ص) والمقصود به: إعادة الكلمة نفسها، أو العبارة ذاتها، في السياق نفسه، أو في سياق آخر من السورة وبمعنى آخر فهو « دلالة اللفظ على المعنى مردداً، كقولك لمن تستدعيه: أسرع، أسرع فإنّ المعنى مردد واللفظ واحد ». (ابن الأثير، ١٩٩٨م، ج٢، ص١١٠)

من نماذج التكرار قوله تعالى: ﴿ مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴾ [ص٣٨/ ٥١] حيث جرى تكرار الجار والمجرور (فيها) الذي يعوذ الضمير فيه على الجنات للإشارة إلى مكانة هذه الجنات وأهميتها وللتنبيه على أنّ المتقين خالدين في هذه الجنات وفيها تعدّ لهم كلّ الفواكه وأدات الراحة والرفاه.

وعندما نتتبع الألفاظ والعبارات التي تكررت في مواضع متفرقة من السورة، نلاحظ أنّ بعض الألفاظ في السورة تكررت وكان لتكرارها أثر في رسم المعالم البارزة للسورة وتحديد مضامينها، فقد أشاعت ألفاظ مثل: (الوهاب، رحمة، هب، وهبنا، عطاؤنا) أجواء حانية وجعلتها تتضح بفيض من أحساسات الودّ والبركة والفضل من جانب الله تعالى.

وفي السورة نلاحظ أنّ الله تعالى يكرّر صفة (الأواب) لأنبيائه داود، سليمان وأيوب عليهم السلام [ص/ ١٧و٣٠و٤٤] ويسجل عليهم بالمدح ليكون ذلك أدعى لوجوب الاقتداء بهم.

وكان لتكرار كلمات بعينها علاقة وثيقة بالتأكيد على بعض العقائد الإسلامية المهمة التي لا إيمان للشخص من دون الاعتقاد بها ومن هذه العقائد توحيد الله وتنزيهه؛ كتكرار كلمة (الربّ، العبد) بصيغهما المختلفة.

أما (الربّ) فهي إحدى صفات الخالق، ولا يقال الربّ مطلقاً إلا لله تعالى المتكفل بمصلحة الموجودات، وهي تشمل أكثر من معنى، فقولنا ربّ يتمضن معنى الملك والتدبير وجاءت بهذا المعنى في الآية: ﴿ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴾ [ص٣٨/ ٦٦] ومعناها أنّ الله وحده هو المسيطر على هذا الكون والمالك له في مقابل عبودية الآخرين له وتبيين ذلك مقصد أساسي من مقاصد السورة. وأكثر ما تتجلى تلك الربوبية عند الدعاء الذي يعدّ أبرز المواقف التي تظهر فيها عبودية الإنسان وحاجته أمام خالقه ليصلح له أحواله وشأنه، وحتى إبليس عندما أراد أن يدعو ربه لينظره إلى يوم القيامة قال: ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [ص٣٨/٧٩] وتكرر (الرب) على ألسنة الأنبياء في مقامات الدعاء بما يتناسب مع معناه في قوله عن سليمان(ع): ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾ [ص٣٨/ ٣٥] ونبيه أيوب (ع): [ص٣٨/ ٤١]

ولرفعة مقام العبودية، نجد أنّ وصف الأنبياء بالعبودية لله يأتي في سياق المدح لهم والدلالة على رضا الله عنهم كما جاءت في هذه الآيات: ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ [ص٣٨ /٣٠] و(إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ) [ص٣٨/٤٤]و﴿ وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الأَيْدِي وَالأَبْصَارِ ﴾ [ص٣٨/ ٤٥]

تكررت في هذه السورة عبارة (واذكر) عندما يخاطب الله الرسول (ص) أن يذكر الأنبياء السابقين كداود وسليمان وأيوب و...

وهناك تكرار في عبارة: ﴿ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ ﴾ [ص٣٨/٢٥و ٤٠و ٤٩] وفيها نوع من المدح للأنبياء والمتقين.

وفي السورة تكرار لكلمة (الذكر) [ص٣٨/ ١و ٨و ٣٢و ٤٩].

٢ـ ٣ـ٣ـ الاستفهام:

ينفي أسلوب الاستفهام الرّتابة عن النصّ، لأنه يعدّ شكلاً من أشكال التنوّع في الأساليب، والانتقال من الخبر إلى الإنشاء كما أنه يدفع المخاطبين إلى التفكر والتأمّل. ورد في السورة الاستفهام وقد خرجت عن الاستفهام إلى تحقيق أغراض بلاغية أخرى كالإنكار والتوبيخ و..كالآية هذه: ﴿ أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الأَبْصَارُ ﴾ [ص٣٨/٦٣] الهمزة للاستفهام الإنكاري وهمزة الوصل سقطت استغناء عنها. و﴿ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴾ [ص٣٨/٢٨] أم هنا عاطفة منقطعة وفيها معنى الاستفهام الإنكاري. (أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ) عطف على ما تقدم وفي الإنكار إبطال لما يدعونه من أن الجزاء غير وارد لأنه لو صح كلامهم لاستوت عند اللّه حال من أصلح أو أفسد ومن اتقي أو فجر.

وفي قوله تعالى: ﴿ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴾ [ص٣٨/٧٥] الهمزة للاستفهام الإنكاري التوبيخي وهمزة الوصل سقطت استغناء عنها واستكبرت فعل وفاعل وأم عاطفة متصلة ولا يمنع من ذلك اختلاف الفعلين.

وقوله تعالى: ﴿ أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾ [ص٣٨/٥] في الآية استفهام جرى على لسان الكفار ويدل على التعجب، تعجبهم من جعل الرسول الآلهة إلهاً واحدا ويحسّ القارىء بنوع من السخرية في طريقة تعجب هؤلاء الكفار، فجاء استفهامه حاملاً لمعاني الاستغراب وظنّ الاستحالة.

٣.٤.مستوى الصورة:

انحصرت الصورة لدى الباحثين القدماء في التصوير البلاغي، من مجاز واستعارة وتشبيه و..، فقد قصروها على هذه الألوان، وأغفلوا أموراً غاية في الأهمية، كالتصوير بالحقيقة، حيث يمكن أن يخلو التعبير من المجاز ويكون في الوقت ذاته مشرقاً بالصور الفنية الرائعة. وقد تجاوز النقد الحديث هذا التضييق في مفهوم الصورة الفنية، « فلم تعد الصورة البلاغية هي وحدها المقصود بالمصطلح، بل قد تخلو الصورة من المجاز أصلاً فتكون العبارات حقيقة الاستعمال مع ذلك تشكل صورة دالّة على خيال خصب ». (البطل، ١٩٨٣م، ص٢٥)

ولا تخفى المزايا العديدة لطريقة التصوير؛ فلو خوطب الناس بطريقة تجريدية خالية من التصوير لم يلامس ذلك سوى أذهانهم، لأنّه بدون التصوير تصبح التعابير جامدة، خالية من الجمال، وضعيفة التأثير. ولكنه من خلال الصورة، يواجه القرآن النفس من جميع أقطارها فلا تصير الدعوة إلى الإيمان مجرّد جدل منطقي مؤسّس على مقدّمات عقلية وبراهين فلسفية، بل تصبح كشفاً روحياً لا يحتاج معه الإنسان إلّا أن يخلص النظر إلى أعماقه. (أبوعلي، ١٩٨٤م، ص١١٨)

ويشتمل القرآن الكريم على التصوير بجميع أشكاله، ففيه تصوير باللون، وتصوير بالحركة، وتصوير بالتخييل...وكثيراً ما يشترك الوصف والحوار وجرس الكلمات ونغم العبارات وموسيقى السياق في إبراز صورة من الصور. (قطب، ١٩٨٣م، ص٣٧)

١.٤.٣. التشبيه:

والتشبيه في القرآن وإن كان عنصراً بيانياً يكسب النصّ روعة واستقامة وتقريب فهم، إلّا أنّه يعود عنصراً ضرورياً لأداء المعنى القرآني متكاملاً من جميع الوجوه. (الصغير، ١٩٨١م، ص٣٧)

يتناول التشبيه في الآية: ﴿ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴾ [ص٣٨/ ٢٢]، فشبّه الاعتقاد الحقّ في كونه موصلاً إلى الهدى بالصراط المستقيم في إيصاله المكان المقصود باطمئنان بال.

ولنتأمل ما يوحي به ذلك التشبيه من دلالات على صحّة السير والوصل إلى الغاية واختصار الطريق، فالخطّ المستقيم هو أقصر طريق بين نقطتين. ولأنّ القوم كانوا يعيشون في الصحراء التي لا يعرف السفر من خلالها إلا الخبير فإنّ هذه الصورة تلامس أعماقهم فهم يعرفون أن معنى أن يسيروا في غير الطريق الصحيحة هو التيه والضياع.

وفي قوله ﴿ إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾ [ص٣٨/ ٦٤]تشبيه تقاولهم وما يدور بينهم من حوار ويتبادلونه من سؤال وجواب بما يجري بين المتخاصمين من نحو ذلك لأن قول الرؤساء لتابعيهم لا مرحبا بهم وقول التابعين بل أنتم لا مرحبا بكم لا يعدو الخصومة التي يتراشقها المتخاصمون. (الدرويش، ١٩٩٩م، ج ٨، ص٣٧٩)

٢.٤.٣. الاستعارة:

تبدو الاستعارة واحدة من أهمّ ألوان التعبير المجازي، وينظر إليها بالمفهوم الجديد على أنها « اعتداء وجرح لشفرة اللغة، أي انحراف عن الاستخدام العادي » (فضل، ١٩٩٢م، ص٢٣٨) وهذا الانحراف يشدّ المتلقي وينفي الرتابة عن النص ويمده بوسائل طريفة ومدهشة في التعبير.

في السورة استعارة في قوله « ذو الأوتاد » في الآية: ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الأَوْتَادِ ﴾ [ص٣٨/ ١٢] استعارة تصريحية أي ذو الملك الثابت الموطّد وأصله من ثبات البيت المطنب بأوتاده. (الدرويش، ١٩٩٩م، ج ٨، ص ٣٢٧).

٣.٤.٣. المجاز:

يحصل المجاز حين لا يتمّ استعمال الألفاظ على أسلوب الحقيقة فإذا « عدل باللفظ عمّا يوحيه أصل اللغة وصف بأنّه مجاز على معنى أنّهم جازوا به موضعه الأصلي أو جاز هو مكانه الذي فيه أولا ». (الجرجاني، د.ت، ص٣٤٢)

في قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [ص٣٨/ ٧٥] تغليب لليدين على غيرهما من الجوارح التي تباشر بها الأعمال لأن ذا اليدين يباشر أكثر أعماله بيديه حتى قيل في عمل القلب هو مما عملت يداك على المجاز. (الدرويش، ١٩٩٩م، ج ٨، ص ٣٨٤) واختلف العلماء والمفسرون أيضا في المراد بالخير بقوله: ﴿ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي ﴾ [ص٣٨/ ٣٢]، فقال قوم هو المال مستدلين بقوله تعالى « إن ترك خيرا » أي مالا وقوله « إنه لحب الخير لشديد » وقيل هو مجاز والمراد به الخيل التي شغلته وأنسته ذكر ربه أو سمى الخيل خيرا كأنها نفس الخير لتعلق الخبر بها قال رسول اللّه (ص): « الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة » وقال أيضا في زيد الخيل حين وفد عليه وأسلم: « ما وصف لي رجل فرأيته إلا كان دون ما بلغني إلا زيد الخيل وسماه زيد الخير »(المصدر نفسه، ج ٨، ص٣٦٥)

وفي قوله تعالى: ﴿ أُولِي الأَيْدِي وَالأَبْصَارِ ﴾ [ص٣٨/ ٤٥]إذا كانت جمعا ليد بمعنى النعمة فهي مجاز مرسل علاقته السببية؛ لأن اليد هي سبب النعمة وإنما حذفت الياء في خط المصحف اجتزاء عنها بالكسرة وفسر بعضهم الأيد بمعنى القوة وهي وإن كانت جائزة من حيث اللغة إلا أن المقام يضعف استعمالها بهذا المعنى، قال الزمخشري « وتفسيره بالأيد من التأييد قلق غير ممكن ».(الزمخشري، ١٩٩٥م، ص٢٦٧)

وفي الآية ٢٠: ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ ﴾ من هذه السورة أشار الله إلى وهبه داود (ع) نعمة فصل الخطاب. و(الفصل): التمييز بين الشيئين وقيل للكلام المبين فصل بمعنى المفعول وأصله: انهم يقولون كلام ملتبس، وفي كلامه لبس والملتبس المختلط الذي لا يبين لتداخله أو معاظلته فقيل في نقيضه كلام فصل أي مفصول بعضه عن بعض. ويجوز أن يكون الفصل بمعنى الفاعل أي الفاصل بين الحق والباطل وبين الصحيح والفاسد وبين السمين والغث. وهنا المجاز العقلي، علاقته المفعولية أو الفاعلية (الدرويش، ١٩٩٩م، ج ٨، ص٣٤٤).

وفي قصة أيوب (ع) إنما أسند أيوب ما مسّه من نصب وعذاب الى الشيطان مع انه من البداءة الأولية أن الشيطان لا يسلط على الأنبياء تأدبا مع اللّه لأن الشيطان كان يوسوس اليه ويغريه على الكراهة والجزع وهذا على سبيل المجاز.

٤ـ٤ـ٣ـ الكناية:

الكناية في الاصطلاح هي: « كلّ لفظة دلّت على معنى يجوز حمله على جانبي الحقيقة والمجاز، بوصف جامع بين الحقيقة والمجاز » (ابن الأثير، ١٩٩٨م، ج٢، ص ١٧٢) ومرجع الكناية إلى المعنى لا إلى اللفظ. والكناية من وسائل تصوير المعنى وهي أبلغ من التصريح في الدلالة عليه، فإنّك « إذا كنّيت عن كثرة القِرى بكثرة رماد القدر، كنت قد أثبت كثرة القرى بإثبات شاهدها ودليلها... وذلك لأنّه يكون سبيلها حينئذ سبيل الدعوى تكون مع شاهد». (الجرجاني، ١٩٨٨م، ص٣٤٠)

ورد التعبير بالكناية في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴾ [ص٣٨/ ٢٣]كناية عن المرأة فقد كانوا يكنون عن المرأة بالنعجة والشاة في نحو قول عنترة:

يا شاة ما قنص لمن حلت له حرمت علي وليتها لم تحرم

وإنما ذكر امرأة أبيه وكان يهواها وقيل بل كانت جاريته فلذلك حرمها على نفسه وهذه الكناية تتمشى مع القول بأن القصة جارية مجرى التمثيل.

قال الزمخشري: والذي يدل عليه المثل الذي ضربه اللّه أن قصته ليست إلا طلبه الى زوج المرأة أن ينزل له عنها فقط ثم نبه الزمخشري على مجي ء الإنكار على طريقة التمثيل والتعريض دون التصريح وذلك أن التعريض داع الى التأمل والتنبيه الى وجه الخطأ مع ما فيه من اجتناب المجاهرة في الإنكار والتوبيخ وألقاه بطريق التمثيل ليستقبح ذلك من غيره فيجعله مقياسا لاستقباح ذلك من نفسه مع البقاء على الحشمة كما أوصى بذلك في سياسة الوالد لولده إذا حصلت منه هنة منكرة قال: وجاء ذلك على وجه التحاكم ليحكم بقوله لقد ظلمك فتقوم الحجة عليه محكمة. (الزمخشري، ١٩٩٥م، ص٢٧٠)

وقال: وقوله ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ ﴾ [ص٣٨/ ٢١] جاء على وجه الاستفهام تنبيها على أن هذه القصة قصة عجيبة من حقها أن تشيع ولا تخفى على أحد وتشويقا الى سماعها أيضا.(المصدر نفسه)

في الخطاب يحتمل أن يكون من المخاطبة ومعناه أتاني بما لم أقدر على ردّه من الجدال ويحتمل أن يكون من الخطبة مفاعلة أي خطبت فخطب على خطبتي فغلبني والمفاعلة لأن الخطبة صدرت عنهما جميعا.(الدرويش، ١٩٩٩م، ج ٨، ص٣٥١)

وقال في ذكر النعاج إنها تمثيل فكان تحاكمهم تمثيلا وكلامهم أيضا تمثيلا لأنه أبلغ لما تقدم وللتنبيه على أن هذا أمر يستحيا من التصريح وأنه مما يكنى عنه لسماجة الإفصاح به وللستر على داود عليه السلام ووجه التمثيل فيه أن مثلت قصة أوريا برجل له نعجة ولخليطه تسع وتسعون فأراد أن يتمها مائة بالنعجة المذكورة فإن قلت طريقة التمثيل إنما تستعمل على جعل الخطاب من الخطابة فإن كان من الخطبة فما وجهه؟ قال الوجه حينئذ أن تجعل النعجة استعارة للمرأة كما استعاروا لها الشاة في قوله: يا شاة ما قنص لمن حلت له...

قال: والفرق بين التمثيل والاستعارة انه على التمثيل يكون الذي سبق الى فهم داود عليه السلام أن التحاكم على ظاهره وهو التخاصم في النعاج التي هي البهائم ثم انتقل بواسطة التنبيه الى فهم انه تمثيل لحاله وعلى الاستعارة يكون فهم عنهما التحاكم في النساء المعبر عنهن بالنعاج كناية ثم استشعر أنه المراد بذلك. (الزمخشري، ١٩٩٥م، ص٢٧٨)

الكناية في قوله: ﴿ أولي الأيد والأبصار ﴾ وهي كناية عن العمل الصالح قال الزمخشري « أولي الأعمال والفكر كأن الذين لا يعملون أعمال الآخرة ولا يجاهدون في اللّه ولا يفكرون أفكار ذوي الديانات ولا يستبصرون في حكم الزمنى الذين لا يقدرون على إعمال جوارحهم والمسلوبي العقول الذين لا استبصار بهم » (المصدر نفسه)

وفيه أيضا فن التعريض بأن من لم يكن من عمال اللّه ولا من المستبصرين في دين اللّه خليق بالتوبيخ وأسوأ المذام، والأيدي جمع يد وهي الجارحة فالكناية بها لأن جميع الأعمال تزاول بها. (الدرويش، ١٩٩٩م، ج ٨، ص٣٧١)

٥-٤-٣- التصوير المعتمد على الواقعية:

لا يقلّ التصوير المعتمد على الواقعية أهمية عن التصوير البلاغي، وهو يتكامل معه ليوسعا معاً من دائرة التصوير الفني.

لنتأمل هذا المشهد الخاطف: ﴿ وَمَا يَنظُرُ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴾ [ص٣٨/١٥]، حيث جاء التعبير عن يوم القيامة مختصراً وسريعاً وخاطفاً، حتى ليخيل للسامع أنّ هذا اليوم قد وقع وانتهى الأمر.

وإذا يقول تعالى: ﴿ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوْا وَلاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴾ [ص٣/٣٨] ويصور للسامع ما وقع على الأقوام السابقة الذين هلكوا وعند هلاكهم كانوا ينادون ويستغيثون ولكن لم يكن لهم ملجأ ومفر. وبطريقة التصوير المعهودة راح يعرض على السامع مشاهئ محسوسة أو معروفة للأقوام الهالكين قبلهم، أين غدوا؟ وكيف انتهوا؟

أو عندما يريد الله أن يصور لنا حال المتقين في الجنة والطاغين في النار يقابل بين الصورتين ويبين أنّ المتقين في جنات يتكئون ولهم فواكه وشراب وقاصرات الطرف ولهم فيها كلّ اللذات. وأما الطاغين فيسوقونهم إلى النار ويذوقونهم الحميم والغسّاق ولبئس المهاد والقرار: [ص٣٨/ ٥٠ـ٦٠]

٦ـ٤ـ٣ـ الإطار القصصي:

امتدّت السورة وتحولت إلى مجموعة متجاورة من المشاهد حدد على مستوى الأسلوب الإطار القصصي وعلى مستوى المضمون موضوع لطف الله ورحمته بكلّ الأنبياء فبل الرسول (ص) وعلى النبي محمد (ص) أن يتأسّ بهذه القصص وبذكرها ويصبر على ما يقوله الكافرون والمشكرون.

أول قصة في السورة هو قصة داود (ع) مع الذين دخلا عليه وأرادا منه أن يحكم بينهما. والإشارة إلى أنّ الله تعالى جعل داود خليفته في الأرض وأمره بالحكم بين الناس بالحقّ وألا يتبع هواه وفي هذه القصة درس كبير للرسول (ص).[ص/ ١٧ـ٢٦]

بعد قصة داود إشارة خاطفة إلى قصة سليمان (ع) والنعم التي وهبها إياه، من سلطته على الريح، والشياطين و... [ص/ ٣١ـ٤٠] وبعد ذلك يشير إلى قصة أيوب (ع) الذي نادى ربّه ودعاه والله وهبه أهله رحمة منه. [ص/ ٤١ـ ٤٤] وقصة أيوب حافلة بالصور الشعرية الملهمة وهي ديوان حافل عن الصبر على البلاء وعدم البطر في الرخاء. وقصة صبر أيوب تدخل في حيز أغراض القصص في القرآن، وأسمى أغراضها إنشاء العقيدة الدينية الخاصة المجردة وموطن هذه العقيدة الخالدة هو الضمير والوجدان فلم يكن الداعي الى الاستمساك بالصبر والاعتصام به مجردا لقداسته الدينية ولكن اتساع الآفاق النفسية وانفتاح منافذ المعرفة أمام النفس.

ونلاحظ أنّ أيوب قد تلطف في السؤال وألمح الى ما يعانيه من بلاء دون أن يصرح بمطلوبه حيث اكتفى بذكر المس في الضر وأدخل أل الجنسية على الضر لتشمل أنواعه المتقدمة ووصف ربه بغاية الرحمة بعد ما ذكر نفسه بما يوجبها فكان درسا بليغا لكل من تتعاوره الأرزاء وتنتابه اللأواء.

وفي السورة إشارة إلى قصة خلق آدم (ع) واستكبار إبليس أمام الله وعدم سجدته وخضوعه لآدم (ع) وإخراجه من الجنة وطلبه الإنظار من الله وقسم إبليس أن يغوي الناس أجمعين إلا عباد الله المخلصين. [ص/ ٧١ـ ٨٣]

اشتركت غالبية مشاهد السورة في ظلال خاصة من الرحمة والنعمة، والحنان والودّ، والعطاء والبركة وهذه المعاني صبغت السورة كلّها. فتذكر نعمة الله لداود(ع) وسليمان(ع) وأيوب(ع). والنعم التي يهبها المتقين في الجنات من الفواكه والشراب و.... وعلى النقيض من ذلك، في السورة أيضاً صورة للطاغين الذين يدعون إلى جهنم ويهيأ لهم شراب من حميم وغساق. وكانت الخاتمة في صورة إبليس الذي دقسم أن يغوي الناس وأقسم الله أن يملأ جهنم منه ومن التابعين له.

٧ـ٤ـ٣ـ أسلوب الحوار:

الحوار، من أبرز الأساليب الحكمية والبليغة التي استعملها القرآن الكريم في إقامة الأدلة على وحدانية الله وعلى صدق الرسل الكرام.

يتبين في السورة الحوار الذي يدور بين الأتباع والمتبوعين يوم القيامة، وما قال أهل النار للذين اتبعوهم في الدنيا وما دار بينهم حول أهل الإيمان الذين كانوا هم يسخرون منهم في الدنيا ويحسبونهم أهل النار والآن في النار لا يرونهم. [ص٣٨/٦٠ـ ٦٣]

وفي السورة حوار جرى بين الله تعالى وإبليس عندما خلق الله سبحانه آدم وأمر الملائكة أن يسجدوا له واستكبر إبليس قال تعالى له: ﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴾ [ص٣٨/٧٥] وأجاب إبليس: ﴿ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴾ [ص٣٨/ ٧٦] وقال تعالى: ﴿ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴾ [ص٣٨/٧٧ـ٧٨] وهنا أراد إبليس من الله أن يهمله إلى يوم القيامة والله تعالى أنظره وقال إبليس مقسماً بعزة الله تعالى أنه سيغوي الخلق أجمعين إلا عباد الله المخلصين والله سبحانه يقسم أن يملأ جهنم منه ومن تابعيه: [ص٣٨/ ٧٩ـ٨٥]

وفي هذه الحوارات في السورة دروس كبيرة لمن يتأمّل فيها، منها: أنّ المعبودين يتبرأون من عابديهم ويتبرأ العابدون من معبوديهم يوم القيامة ويشترك الأتباع مع المتبوعين في العذاب، حيث يوقفون للحساب معهم ويشعرون بالحسرة والندامة والذل معهم ويدخلون جهنم معهم، ويتقلّبون في نارها وعذابها معهم، ويتحمّلون المسؤولية معهم. وأن الاستكبار أمام الله تعالى وعدم إطاعة أوامره سبحانه يؤدي إلى غضب الله على المستكبر والدخول إلى جهنم.

النتيجة:

دراسة السور القرآنية في ميزان علم الأسلوبية الحديثة تكشف لنا أبعاد القرآن الجمالية أكثر فأكثر، فاستنبطنا في هذا البحث الأسلوبي في سورة (ص)، بعض الأسرار الخفية فيها. وتمّ البحث في المستويات الأسلوبية المختلفة للسورة كالمستوى الصوتي، والدلالي، والتركيبي، ومستوى الصورة.

الدراسة الصوتية للسورة دلّت علينا بوجود توازن مقصود في إيقاعها وأنّ ألفاظ السورة تميزت بالدقة في الاختيار وبسعة الدلالات وتنوعها وبإثارة الخيال وبقوة التأثير في المتلقين وأنّ معظم أشكال التضاد في السورة انبثقت من العلاقة بين الإسلام والكفر، وبرزت دور التضاد الفاعل في إنشاء مقارنة بين نقيضين بهدف التبيين والوعظ وفي نقض أوهام الكافرين. وبرز التكرار في السورة وقد ساهم في تأدية المعاني كإشاعة ظلال الرحمة والعطاء في جو السورة وتقوية المعنى وتوكيده والتأكيد على بعض العقائد الإسلامية. وتبين أنّ القرآن اختار التعبير بالصورة عن المعاني التي يراد إثباتها في ذهن المتلقي فنقل له الأفكار والمعاني بصورة حسية وقد تضافر التصوير المعتمد على الواقعية والتصوير البلاغي المعتمد على التشبيه، والاستعارة، والمجاز، والكناية، في تشكيل الصور الفنية في السورة.

المصادر و المراجع

ـ القرآن الكريم.

ـ ابن الأثير. ضياء الدين. (١٩٩٨م). المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر. حققه: محمد عويضة. بيروت: دار الكتب العلمية.

ـ ابن جنّي. أبوالفتح عثمان. (١٩٦٩م). المحتسب. تح: علي النجدي الناصف وعبد الفتاح شلبي. القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.

ـ أبوديب. كمال. (١٩٨٤م). «الأسلوبية». مجلة فصول. مج٦. ع١.

ـ أبوزهرة. محمد. (١٩٧٠م). المعجزة الكبرى القرآن. القاهرة: دار الفكر العربي.

ـ أبوعلي. محمد بركات حمدي. (١٩٨٤م). في الأدب والبيان. عمان: دار الفكر للنشر والتوزيع.

ـ الأصفهاني. الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب. (١٩٩٧م). معجم مفردات ألفاظ القرآن. بيروت: دار الكتب العلمية.
ـ أنيس. إبراهيم. (١٩٧٢م). موسيقى الشعر. ط٤. بيروت: دار القلم.
ـ أولمان. ستيفن. (د.ت). دور الكلمة في اللغة. ترجمة: كمال بشر. ط١٢. القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر.
ـ الباقلاني. أبوبكر محمد بن الطيب. (د.ت). إعجاز القرآن. حققه: السيد أحمد صقر. ط٣. مصر: دار المعارف.
ـ البطل. علي. (١٩٨٣م). الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري، دراسة في أصولها وتطورها. ط٣. بيروت: دار الأندلس.
ـ الدرويش. محيي الدين. (١٩٩٩م). إعراب القرآن الكريم وبيانه. ط٦. بيروت ـ دمشق: دار اليمامة ـ دار ابن كثير.
ـ الرافعي. مصطفى صادق. (١٩٩٧م). إعجاز القرآن والبلاغة والنبوية. القاهرة: دار المنار.
ـ الزمخشري. محمود بن عمر بن محمد. (١٩٩٥م). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. صححه: محمد عبد السلام شاهين. بيروت: دار الكتب العلمية.
ـ الجرجاني. عبد القاهر. (١٩٨٨م). دلائل الإعجاز في علم المعاني. صححه الإمام محمد عبده. ط٤. بيروت: دار الكتب العلمية.
ـ ـــــ. (د.ت). أسرار البلاغة في علم البيان. شرحه: السيد محمد رشيد رضا. بيروت: دار المعرفة.
ـ حسان. تمام. (١٩٩٣م). البيان في روائع القرآن. القاهرة: عالم الكتب.
ـ ـــ. (١٩٧٩م). اللغة العربية معناها ومبناها. ط٢. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
ـ الخالدي. صلاح عبد الفتاح. (١٩٩٢م). لطائف قرآنية. دمشق: دار القلم.
ـ السيوطي. جلال الدين. (د.ت). الإتقان في علوم القرآن. تحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم. ط٣. القاهرة: دار التراث.
ـ شاهين. عبد الصبور. (١٩٨٠م). المنهج الصوتي للبنية العربية، رؤية جديدة في الصرف العربي. بيروت: مؤسسة الرسالة.
ـ الصغير. محمد حسين علي. (١٩٨١م). الصورة الفنية في المثل القرآني، دراسة نقدية وبلاغية. بغداد: وزارة الثقافة والإعلام.
ـ طحان. ريمون. (١٩٨١م). الألسنية العربية. ط٢. بيروت: دار الكتاب العربي.
ـ عمر. أحمد مختار. (١٩٧٦م). دراسة الصوت اللغوي. القاهرة: عالم الكتب.
ـ عياد. شكري محمد. (١٩٧٨م). موسيقى الشعر العربي. ط٢. القاهرة: دار المعرفة.
ـ فضل. صلاح. (١٩٩٢م). علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته. القاهرة: مؤسسة مختار للنشر والتوزيع.
ـ قطب. سيد. (١٩٨٣م). التصوير الفني في القرآن. ط٨. القاهرة: دار الشروق.
ـ كشك. أحمد. (١٩٨٣م). من وظائف الصوت اللغوي محاولة لفهم صرفي ونحوي ودلالي. دار السلام: مطبعة المدينة.
ـ مصلوح. سعد. (١٩٨٤م). «الأسلوبية ـ ضمن مهرجان شوقي وحافظ الذي أقيم بالقاهرة سنة ١٩٨٢م». مجلة فصول. مج٥. ع١.
ـ هلال. عبد الغفار حامد. (١٩٩٦م). أصوات اللغة العربية. ط٣. القاهرة: مكتبة وهبة.

دور اتفاق التحكيم في حل منازعات عقود الاستثمار الاجنبي

م.م. رشا موسى محمد

المقدمه

اولا : جوهرة فكرة البحث واهميته :

يعد التحكيم من الوسائل المهمة التي يلجأ اليها المتعاقدون في كافة العقود وعلى الاخص في عقود الاستثمارات الاجنبية لحل المنازعات التي يمكن ان تثار، ويعود ذلك الى المزايا العديدة التي يتسم بها والتي تتناسب مع طبيعة عقود الاستثمار الاجنبي، فمن جهة يقلل من مخاوف المستثمرين ما القضاء وما يترتب على ذلك من ضمان حيادية القرار المتخذ لحسم النزاع من خلال ضمان عدم الانحياز الى مصلحة الدولة المضيفة للاستثمار على حساب مصلحة المستثمر الاجنبي، ومن جهة اخرى، يتميز التحكيم بالسرية، الامر الذي يؤدي الى تجنب المساس بمركزهم وبسمعتهم في مجال النشاط الاقتصادي، هذا فضلا عن السرعة في البت في النزاع مما يؤدي الى توفير الوقت.

كما يتمسك المستثمر الاجنبي بالتحكيم نظرا لخصوصية عقود الاستثمار من حيث الاطراف، فعلى الرغم من ان الدولة المضيفة للاستثمار مجرد طرف متعاقد مع المستثمر الاجنبي، الا انها مع ذلك طرف غير عادي نظرا للمزايا السيادية التي يتمتع بها والتي تمكنها فضلا عن امكانية الاخلال بالتوازن الاقتصادي للعقد الاخلال ايضا بالحياد الذي يجب ان يتوفر للسلطة القضائية الوطنية التي يمكن عرض النزاع عليها في حالة نشأته، هذا من ناحية، ومن ناحية اخرى يتمسك المستثمر الاجنبي بشرط التحكيم بسبب تخوفه من تمسك الدولة بالحصانة القضائية اذ تتمتع الدولة بما لها من استقلال وسيادة تجعلها على قدم المساواة مع الدولة الاخرى بالحصانة القضائية التي تغل يد القضاء الوطني لاي دولة اخرى عن نظر المنازعات التي تكون الدولة طرفا فيه.

فضلا عن اهمية التحكيم في مجالات المعاملات التجارية لكونة يوفر السرية لهذه المعاملات والتي تتضمن اسرار يحرص الخصوم في عقد الاستثمار الاجنبي على بقائها طي الكتمان.

ثانيا : اسباب اختيار الموضوع :

١. اهمية اتفاق التحكيم بالنسبة لعقود الاستثمار الاجنبي، اذ انه اصبح في الوقت الحاضر البديل الناجح للنظام القضائي في حسم منازعات الاستثمار.

٢. اهمية موضوع الاستثمار الاجنبي بصورة عامة في تحقيق التنمية الاقتصادية بالنسبة للدول النامية، اذ اصبح تنافس الدول حثيثا في جذب الاستثمارات الاجنبية الى اراضيها لاسيما في العراق بعد سقوط النظام السابق وظهور الفراغ التشريعي الكبير في جانب الاستثمار.

ثالثا : منهج البحث :

سنتبع في دراستنا لموضوع اتفاق التحكيم في حل منازعات عقود الاستثمار الاجنبي منهج الدراسة المقارنة. اذ سنعتمد المقارنة بين القانون العراقي والمصري والفرنسي من دون اغفال الفقه المقارن ومع الاشارة الى موقف القضاء العراقي والمصري والفرنسي أينما تيسر لنا ذلك.

رابعا : خطة البحث :

سنقسم موضوع البحث على مبحثين نتناول في المبحث الاول تحديد المقصود باتفاق التحكيم وأثاره في عقود الاستثمار الاجنبي والذي سنعالجه في مطلبين، نتناول في المطلب الأول ماهية اتفاق التحكيم في عقود الاستثمار الاجنبي، في حين سنتطرق لاثار اتفاق التحكيم في عقود الاستثمار الاجنبي في مطلب ثان.

اما المبحث الثاني سنعالج فيه القواعد الموضوعية والشكلية التي تحكم اتفاق التحكيم في عقود الاستثمار الاجنبي وسنقسمه على مطلبين، سنبين في مطلب اول القواعد الموضوعية التي تحكم اتفاق التحكيم في عقود الاستثمار الاجنبي، اما المطلب الثاني سنكرسه لبحث القواعد الشكلية التي تحكم اتفاق التحكيم في عقود الاستثمار الاجنبي.

تمهيد: التعريف بعقود الاستثمار الاجنبي

المطلب الاول تعريف عقود الاستثمار الاجنبي

الاستثمار لغة مصدر استثمر يستثمر وهو للطلب بمعنى طلب الاستثمار واصله من الثمر ، وله معاني عدة منها ما يحمله الشجر وينتجه ، ومنها الولد اذ يقال الولد ثمرة القلب ، ومنها انواع المال ، ويقال ثمر (بفتح الميم) الشجر تمورا أي ظهر ثمره، وثمر الشئ أي نضج وكمل ويقال ثمره ماله أي كثره ، وثمر ماله (بضم الميم) كثره ، واثمر القوم : اطعمهم الثمر ، ويقال استثمر ماله أي استخدمه في الانتاج [١]

والملاحظ ان الاقتصاديين قد اختلفوا حول تعريف الاشتثمار الاجنبي كما هو الحال بالنسبة للقانونيين ، حيث لم يستطع هؤلاء ولا هؤلاء التوصل الى تعريف جامع مانع في هذا الشأن وان كانوا جميعا يلتقون حول مفهوم معين للاستثمار الاجنبي وهو انه"انتقال رؤوس الاموال او لرؤوس الاموال والخبرات الفنية والادارية عبر الحدود من اجل تحقيق مصلحة المستثمر التي تتمثل في تحقيق اكبر ربح ممكن ومصلحة القطر المضيف التي تتمثل في احداث اضافة اقتصادية تضاف الى الثروة القومية لهذا القطر"

لذلك عرف البعض الاستثمار من الوجهة الاقتصادية بانه قيام شخص طبيعي او معنوي في بلد غير بلده باستخدام خبراته او جهوده او امواله في القيام بمشروعات اقتصادية سواء كان بمفرده او بالمشاركة مع شخص طبيعي او معنوي محلي او اجنبي او مع الدولة او مع مواطنيها في انشاء مشروع او مشروعات مشتركة [٢] كما يسمى الاستثمار عند الاقتصاديين ايضا ب (التوظيف) يعني توظيف النقود لاي أجل ، فمعجم المورد يعرف لفظ الاشتثمار بانه"تثمير او توظيف الاموال"[٣] ونجد ان البعض يعرفه بانه"انتقال

(١) ابن منظور ، معجم لسان العرب ، مجلد الاول ، دار بيروت للطباعة ، لبنان ، ١٩٥٦ ، ص ٢٧٣.

(٢) د. حاتم فارس الطحان ، الاشتثمار اهدافه ودوافعه ، بحث منشور في مجلة كلية بغداد للعلوم الاقتصادية الجامعة ، العدد الرابع عشر ، كانون الثاني ، ٢٠٠٧ ، ص ١٨.

(٣) منير البعلبكي ، المورد ، قاموس انكليزي عربي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ٢٠٠٦ ، ص ٤٧٩

رؤوس الاموال بين بلدان بقصد توظيفها في عمليات اقتصادية مختلفة كشراء اوراق ماليه او اموال منقولة تدريجيا او امتلاك عقارات تعطي ربحا ، او بقصد توظيفها في عمليات ائتمانية مثمره كالاقراض ، او في عمليات غير مثمرة كحفظ النقود في مصرف او بيت للايداع تفاديا للاخطار التي قد تتعرض لها في ظروف التوتر السياسي والاقتصادي [٤] وهناك من عرفه على انه"عملية توظيف الاموال في الفرص الاستثمارية المتاحة وبناءا على الدراسة التحليلية لهذه الفرص واختيار افضلها"[٥]

ومن مطالعة التعاريف الاقتصادية اعلاه نلحظ انها لم تعرف الاستثمار الاجنبي وفق نطاق محدد ومعين ، اذ انها تجمع على تعريفه بنطاقه الواسع بمعنى ان الاستثمار كما يرى البعض هو"أي توظيف للنقود لاي اجل في أي اصل او ملكية او ممتلكات او مشاركات محتفظ بها للمحافظة على المال او تنميته سواء ارباح دورية او بزيادات في قيمة الاموال في نهاية المدة او بمنافع غير مادية"[٦].

اما عن تعريف الاستثمار الاجنبي من الناحية القانونية فقد حدده البعض بانه"تقديم الاموال المادية والمعنوية والاداءات من شخص طبيعي او معنوي لايحمل جنسية الدولة المستقبلة للمساهمة المباشرة وغير المباشرة في مشروع قائم او سيتم انشاؤه للقيام بنشاط اقتصادي ما خلال مدة معقولة من الزمن"[٧]. وكذلك عرف بانه"تحركات رؤوس الاموال من البلد المستثمر نحو البلد المستفيد بغير تنظيم مباشر"[٨]. وقد عرفه معهد القانون الدولي بانه"توريد الاموال او ربما الخدمات بهدف تحقيق ربح مادي او سياسي ويمكن ان يتكون الاستثمار من اموال معنوية"[٩].

فالجدير بالملاحظة هنا هو تباين تعريفات الفقه للاستثمار الاجنبي دون ان يفلح احدها في ان يكون تعريفا جامعا مانعا ، وعليه قد يكون من الاصح عدم التعويل علي أي من هذه التعريفات كاطار محدد لظاهرة الاستثمار ، اذ ان الاستثمار ليس بالواقعة الاقتصادية او القانونية المحددة ، بل انه يمثل في الواقع مفهوما متغيرا ومتطورا يتغير ويتطور بتطور الظروف والاوضاع الاقتصادية على المستوى الدولي ، فهو مفهوم عام قد يضيق وقد يتسع حسب ظروف البلد السياسية والاقتصادية ، فالدولة التي تسعى الى جذب الاستثمارات الاجنبية تميل الى تبني مفهوما واسعا للاستثمار ، حتى يمكنها الاستفادة باكبر قدر ممكن من رؤوس الاموال والخبرات الاجنبية في مختلف الانشطة الاقتصادية في اقليمها [١٠] كما في القانون العراقي اذ انه لم يحدد مجالات الاستثمار في قانون الاستثمار العربي الملغي رقم (٦٢) لسنة ٢٠٠٢ [١١] ، بمعنى انه اعتنق المفهوم المرن في تعريف الاستثمار ، تحسبا لما قد يستجد من اوجه استثمار اخرى قد تبرز في المستقبل خدمة للاقتصاد الوطني والقومي على حد سواء ، في حين انه وبموجب الامر الصادر عن سلطة الائتلاف المؤقتة المرقم (٣٩) لسنة ٢٠٠٣ قد بين المقصود بالاستثمار الاجنبي هو الاستثمار في اصل من الاصول المتواجدة في العراق بما بما في ذلك الملموسة وغير الملموسة وحقوق الملكية المتعلقة بها ، والاسهم ، وغيرها

---

(٤) د. محمد علي رضا الجاسم القواعد الدولية في الاقتصاد الدولي ، الطبعة الثانية ، بيت الحكمه ، بغداد ،١٩٦٧ ص٣٦.

(٥) د. حاكم محسن محمد ، تحليل البيئة الاستثمارية للاستثمار المالي الاجنبي في العراق ، بحث منشور عن جامعة أهل البيت"ع"، العدد السادس ، السنة الثالثة ، تموز ، ٢٠٠٨ ، ص ٢٦.

(٦) د. صفوت أحمد عبد العظيم ، دور الاستثمار الاجنبي في تطوير احكام القانون الدولي الخاص ، دار المطبوعات الجامعية ، الاسكندرية ، ٢٠٠٥ ، ص ٢٠.

(٧) د. جميل الشرقاوي ، المقاصد الاساسية في الاقتصاد الدولي ، ط ٢ ، بيت الحكمة ، بغداد ، ١٩٦٧ ، ص ٦٣.

(٨) نقلا عن : د. دريد محمود السامرائي ، الاستثمار الاجنبي المعوقات والضمانات ، ط ١ ، بيروت ، ٢٠٠٦ ، ص ٥٠.

(٩) نقلا عن : د. صفوت احمد عبد الحفيظ ، مصدر سابق ، بند ١١ ، ص ٢٢.

(١٠) المصدر نفسة ، ص ٢٢- ٢٣.

(١١) صدر هذا القانون عن مجلس قيادة الثورة المنحل بتاريخ ٢٠٠٢/١١/٢٢ ونشر في جريدة الوقائع العراقية بالعدد (٣٩٥٩) في ٢٠٠٢/١٢/٢ وقد الغي هذا القانون بموجب المادة (٣٥) من قانون الاستثمار النافذ رقم (١٣) لسنة ٢٠٠٦.

من اشكال وصكوك المشاركة في الكيان التجاري ، كما تعني حقوق الملكية والخبرة الفنية"[١٢] ، كما انه في الوقت ذاته قد حدد مجالات الاستثمار بصورة مفصلة ، متبنيا بذلك مفهوما مضيقا للاستثمار ، اما قانون الاستثمار النافذ رقم (١٣) لسنة ٢٠٠٦ قد عرف الاستثمار بمعناه العام من دون حصره بالاجنبي منه ومن دون تحديد مجالاته على سبيل الحصر وذلك طبقا للمادة (١/ن) التي نصت على ان الاستثمار هو"توظيف المال قي أي نشاط او مشروع اقتصادي يعود بالمنفعة المشروعة على البلد"[١٣] ، وموقف المشرع العراقي هذا يشاركه فيه بعض من التشريعات المقارنة التي هي الاخرى قد تجنبت ذكر بيان تفصيلي للاموال المستثمرة واعتمدت في تعريفها للاستثمار على وضع معيار عام للمال المستثمر الذي يخضع لاحكام القانون [١٤]. في حين ان البعض الاخر من التشريعات الوطنية قد حرصت على وضع بيان تفصيلي للمال المستثمر المراد استخدامه في مجالات الاستثمار كقانون ضمانات وحوافز الاستثمار الأجنبي الصادر في جمهورية مصر العربية رقم (٨) لعام ١٩٩٧ في المادة (١) منه التي حددت مجالات الاستثمار بصورة تفصيلية ، واعطى في المادة (٢) من القانون ذاته صلاحيات الى مجلس الوزراء باضافة المجالات التي يراها مناسبة لخطة التنمية الاقتصادية [١٥].

والملاحظ على طريقة التعداد الحصري للاموال المستثمرة الخاضعة للحماية التشريعية لا ينسجم مع المرونة اللازمة من اجل مواكبة التطور العلمي والتكنلوجي ، فضلا عن ذلك فان المشرع مهما احتاط فانه لا يستطيع ان يستوعب جميع صور الاموال المستثمرة.

واذا كان امر بيان الاستثمار الاجنبي تعريفا ، قد تجاذبه اتجاهان بين النص على تعريفه مباشرة وبين تحديده من خلال ما يمكن ان يقع عليه او ما يمثل محلا له ، فان ما يمثل ذات الامر يمكن ملاحظته فيما يخص العقود التي تنظم هذه الاستثمارات ، مع فرق في اختلاف مواطن هذا التجاذب فقد اختلفت الاراء حول هذه العقود من اجل تحديد ماهيتها ، كما ان عدم وجود عقد مسمى يمكن ان نطلق عليه عقد الدولة للاستثمار كان دافعا قويا لعد فكرة هذه العقود اقرب ما تكون الى كونها فكرة معينة تنطبق على مجموعة من العقود التي تتوفر فيها خصائص معينة.

فتعرف انها"عقود للقيام باستعمال الاموال في الانتاج اما مباشرة كشراء الالات والمواد الاولية او بطريقة غير مباشرة كشراء الاسهم والسندات لاجل تحقيق ربح يتم توزيعه على الاطراف بحسب النسب المتفق عليها"[١٦].

---

(١٢) ينظر الفقرة (٣) من القسم الاول من الامر رقم (٣٩) الصادر عن سلطة الائتلاف والمنشور في جريدة الوقاءع العراقية العدد ٣٩٨٠ في اذار سنة ٢٠٠٤.

(١٣) نشر في جريدة الوقائع العراقية في العدد ٤٠٣١ في ١٧ كانون الثاني ٢٠٠٧.

(١٤) كالقانون تشجيع الاستثمار الفلسطيني رقم (١) لسنة ١٩٩٨ حسب نص المادة (١) منه ، وكذلك قانون تنظيم راس المال الاجنبي الذي صدر في قطر برقم (١٣) في سنة ٢٠٠٠ حسب المادة (٢).

ينظر مجموعة التشريعات الاستثمارية العربية منشورة على شبكة الانترنيت.

http / www.Arifonet.dataladil.investement countries.html

(١٥) انظر للمادة (١- ٢) من القانون اعلاه وهو النهج ذاته الذي انتجته قانون استثمار رؤوس الاموال الاجنبية الليبي رقم ٥ لسنة ٢٠٠٦ في م ٨ منه ، وكذلك القانون الكويتي للاستثمار رقم (٨) لسنة ٢٠٠١ في المادة (١,٢) ، ينظر هذه القوانين على شبكة الانترنيت.

http / www.Arifonet.dataladil.investement countries.html

(١٦) د. احمد حسين جلاب ، النظام القانوني لعقد الاستثمار ، اطروحة دكتوراه مقدمة الى كلية الحقوق ، جامعة النهرين ، ٢٠٠٦ ص١١.

كما عرفه جانب اخر من الفقه بانها"كل العقود التي تبرمها الدولة مع شخص من اشخاص القانون الخاص الاجنبي والتي تتعلق بمباشرة الانشطة التي تدخل في اطار خطط التنمية الاقتصادية للبلاد"[١٧].

وفضلا عما سبق ، وصفها احد الاساتذة بانها"عقود تنمية اقتصادية لها اهمية بالنسبة للدولة المضيفة وتخلق نوعا من التعاون الطويل المدة بين الدولة المتعاقدة والطرف الاجنبي ، وتتضمن نصوصا تهدف الى تحقيق الثبات التشريعي وعدم المساس بالعقد واخضاعه لنظم خاصة او لقانون الدولي حماية للطرف الخاص المتعاقد مع الدولة من سيادة الدولة التي تستخدمها لتعديل العقد او انهاءه بارادتها المنفردة"[١٨].

وعليه ، يمكننا ان نحدد تعريفا شاملا لعقد الاستثمار الاجنبي بالاتي وهو"عقد تبرمه الدولة المضيفة للاستثمار مع طرف اخر اجنبي سواء كان طبيعيا او معنويا عاما او خاصا بموجبه تنتقل رؤوس الاموال الاجنبية والخبرات الادارية والتقنية وادوات التقدم التكنلوجي المتطور مقابل حصول المستثمر الاحنبي على المواد الاولية والاعفاءات الضريبية واجرة الايدي العاملة وتكاليف نقل قليلة وارباح كبيرة".

المطلب الثاني: انواع عقود الاستثمار الاحنبي

ينقسم الاستثمار الاجنبي من الناحية الاقتصادية الى استثمار منتج او غير منتج تبعا للنظرة الى مجموع الخدمات والسلع المنتجة خلال مدة من الزمن هل هي اعلى او ادنى من الكلفة المباشرة. وينقسم من حيث الامد الى استثمار قصير الاجل ذي المدة التي تقل عن سنة والاستثمار المتوسط الاجل وهو من سنة الى خمس سنوات والاستثمار طويل الاجل الذي يزيد عن خمس سنوات. ومن حيث القائم عليه فيقسم الى خاص وهو الذي يقوم به فرد خاص سواء اكان فردا طبيعيا او معنويا ، واستثمار عام وهو الذي تقوم به الدولة او احد اجهزتها العامة او جهاز ذي كيان دولي ، واستثمار مختلط وهو الذي يحوي النوعين السابقين. الا ان اهم تقسيمات عقود الاستثمار الاجنبي التي شغلت بال الاقتصاديين والقانونيين هو تقسيمة الى استثمار مباشر والى استثمار غير مباشر اذ ان من المهم من ابرام عقد الاستثمار الاجنبي ليس مدته او الشخص القائم به بقدر ما يمكن ان يتريب عليه من ضمان الادارة وتوجيه المستثمر للمشروع الاستثماري[١٩]

لذلك سوف نتعرض بشئ من الايجاز لاشكال عقود الاستثمارات الاجنبية الى مباشرة وغير مباشرة على النحو الاتي :

الفرع الاول: عقد الاستثمار الاحنبي المباشر

ويعرف هذا النوع من عقود الاستثمار الاجنبي بانه"عقد يتم به انتقال رؤوس الاموال الاجنبية مقترنة بعنصري التنظيم والادارة الى الدولة المضيفة للاستثمار ، بحيث يتريب عليه انشاء مشروعات مملوكة ملكية كاملة لمستثمرين اجانب ملكية وحصص تمكنهم من السيطرة ، وادارة هذه المشروعات او تعطيهم حق المشاركة في هذه الادارة"[٢٠].

(١٧) د. عصام الدين القصبي ، خصوصية التحكيم في مجال منازعات الاستثمار ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٩٣ ،ص٦.
(١٨) نقلا عن د. بشار محمد الاسعد ، عقود الاستثمار في العلاقات الدولية الخاصة ، منشورات الحلبي الحقوقية ، بيروت ، ٢٠٠٦ ، ص ١٣.

(١٩) اشار الى ذلك : د. صفوت احمد عبد الحفيظ ، مصدر سابق ، ص٣٢.
(٢٠) د. بشار محمد الاسعد ، مصدر سابق ، ص ٤٠.

اما صندوق النقد الدولي فقد عرفه بانه"عقد الاستثمار الذي يتم الحصول على مصلحة مستمرة في مشروع يقوم بعمليات في اطار اقتصادي ، خلاف اقتصاد المستثمر الذي يستهدف المستثمر به الحصول على الحق في القيام بدور فعال في ادارة المشروع"[٢١].

كما حدد البعض من الاقتصاديين معنى الاستثمار الاجنبي المباشر بانه"تملك المستثمر الاجنبي لجزء من او كل الاستثمارات في المشروع المعين وقيامه بالمشاركة في ادارة المشروع مع المستثمر الوطني في حالة الاستثمار المشترك وسيطرته الكاملة على الادارة والتنظيم في حالة ملكيته المطلقة لمشروع الاستثمار"[٢٢].

ويلاحظ من هذه التعريفات انها تدور جميعا حول مفهوم معين لعقود الاستثمار الاجنبي المباشر هو ضمان سيطرة المستثمر الاجنبي على ادارة وتوجيه المشروع الاستثماري ، في صورة منفردة او في صورة مشروع مشترك مع الدولة المضيفة او مواطنيها.

اما عن اهمية عقود الاستثمار المباشر ، فالملاحظ بان هذه الاهمية بدأت تتزايد بعد الحرب العالمية الثانية ، حيث اقبل عليه المستثمرون وفضلته الدول النامية لاسباب عديدة ، جعلته يفوق في الاهمية الاستثمار غير المباشر الذي كانت له الغلبة قبل ذلك ، فبالنسبة للمستثمر الاجنبي فهو يفضل هذا النوع من الاستثمار لانه يعطيه الحق في ادارة وتوجيه المشروع الاستثماري بما يحقق مصلحته الخاصة ، فضلا عن انه هو الذي يختار المشروع الذي يستثمر فيه امواله من بين المجالات التي تعرضها الدولة ، واختيار شريكه في المشروع واستبعاد شركاء محتملين ، كما ان الفرصة المتاحة اكبر لاستثمار راس المال في الاستثمار المباشر الذي يرتكز اساسا على القطاعات الانتاجية ، مما يتيح امكانية الربح فيه بصورة كبيرة على المدى الطويل ولا يتأثر بطريق مباشر بالتضخم النقدي ، بل انه سلاح اكثر فعالية في محاربة التضخم من الاستثمار الغير المباشر ، كما ان فائدة هذا النوع من الاستثمار بالنسبةللدول المضيفة تتمثل في انه يتضمن استيراد المال والخبرة الفنية والادارية من الخارج ، كما ان استخدام الخبرة والوسائل الانتاجية الحديثة من شأنه ان يؤدي الى تطوير الاقتصاد الوطني ويخلق فرص عمل جديدة ، فضلا عن عدم تحميل الدولة باعباء مديونية في هذا الاستثمار ، بخلاف القروض التي يجب سدادها مع فوئدها [٢٣]

الفرع الثاني : عقد الاستثمار الاجنبي غير المباشر

يتميز هذا الشكل من الاستثمار بان دور المستثمر الاجنبي يقتصر فيه على مجرد تقديم راس المال الى جهة معينة في الدولة المضيفة لتقوم هي بهذا الاستثمار دون ان تكون له اية سيطرة او رقابة على المشروع ، وهو ياخذ في الغالب صورة قروض تقدمها الهيئات الخاصة والافراد او صورة شراء الاسهم والسندات الدولية طويلة الاجل [٢٤].

وعليه ، فان المعيار الذي نستطيع بموجبه ان نميز بين عقود الاستثمار المباشر وغير المباشر هو السيطرة والتحكم في الاستثمار ، فالاول يتميز بامكانية قيام المستثمر الاجنبي بالرقابة والسيطرة وامتلاك اصول حقيقية ، في حين ان الثاني لا يترتب عليه أي نوع من انواع السيطرة او الرقابة ، فهو ليس الا ظاهرة مالية ، وتحويل لملكية الموارد من يد الى اخرى.

(لكن اذا كانت التفرقة بين الاستثمار الاجنبي المباشر والاستثمار الاجنبي غير المباشر يقوم على اساس ان الاول منتج بطبيعته ، ويضمن الاستخدام الامثل للموارد ، حيث لا يقدم المستثمر الاجنبي على استثمار امواله وخبرته في الدول النامية ، الا بناءا على دراسات علمية متعمقة عن الجدوى الاقتصادية

(٢١) نقلا عن"د. صفوت احمد عبد الحفيظ ، مصدر سابق ، بند ١٩. ص ٣٣.
(٢٢) د. عبد السلام ابو قحف ، اقتصاديات الاستثمار الدولي ، ط ٢ ، بلا مطبعة ومكان طبع ، ١٩٩١ ، ص٢١.
(٢٣) نقلا عن : د. صفوت احمد عبد الحفيظ ، مصدر سابق ، ص٣٦.
(٢٤) د. بشار محمد الاسعد ، مصدر سابق ، ص ٣٩- ٤٠.

للمشروع وكافة بدائلة الفنية المتاحة ، كما ان هذا الاستثمار هو في حقيقته الات ومعدات على ارقى الاساليب الفنية واحدث التطورات التكنولوجية وبعض المواد الخام ، وخبرات تنظيمية ومالية وفنية وادارية وتسويقية ، والتي تحتاج اليها الدول النامية اشد الحاجة من اجل التنمية فضلا عما ينتج عنه من منافع اجتماعية ، تفوق بكثير تلك المنافع الخاصة التي تعود على المستثمر الاجنبي نفسه ، الامر الذي جعله محل تفضيل من جانب الدول النامية لما يؤدي اليه من اقامة اصول راسمالية ذات دخل ثابت ، بخلاف الاستثمار الغير المباشر الذي يفتقر الى كل هذه المزايا)[٢٥].

مبحث اول: المقصود باتفاق التحكيم واثاره في عقود الاستثمار الاجنبي

تمهيد وتقسيم :

لقد برز التحكيم كوسيلة هي من افضل الوسائل في تسوية منازعات الاستثمار لكونه يمكن اطراف النزاع من تسوية منازعاتهم الاستثمارية عن طريق محكمين يتمتعون بخبرة وكفاءة عالية، الامر الذي يؤهلهم للفصل في هذا النوع من المنازعات بطريقة فاعلة، كما ان التحكيم لايتقيد باجراءات ومواعيد معينه، حيث يكون للاطراف دائما حرية تحديد مكان التحكيم وزمانه بالاضافة الى امكانية تحديد النزاع موضوع التحكيم، مع اختيار القواعد الموضوعية والاجرائية الواجبة التطبيق استجابة لطبيعة النزاع، كما ان استجابة التحكيم لتسوية الخلاف باقل قدر من العلانية في الخصومة يعطي جوا من الصفاء المنشود بين المتنازعين بعيدا عما يمكن ان يتسبب به رفع النزاع الى القضاء العادي مما يعمل على الحفاظ على سمعة المتنازعين واسرار تعاملاتهم وكوسيلة لاستئناف علاقاتهم في المستقبل[٢٦].

ونظرا لاهمية التحكيم في عقد الاستثمار الاجنبي تجعل من الاهمية بمكان بيان المقصود به من خلال تسليط الضوء على مسألتين : الاولى : بيان تعريف اتفاق التحكيم في عقد الاستثمار الاجنبي والثانية : تحديد اثار اتفاق التحكيم في عقد الاستثمار الاجنبي، وذلك وفق مطلبين على التفصيل الاتي

المطلب الاول: ماهية اتفاق التحكيم في عقود الاستثمار الاجنبي

على الرغم من أهمية الوسائل البديلة عن التحكيم في تسوية منازعات عقود الاستثمار الاجنبي، فانه مازال يمثل الملاذ النهائي والاخير لحسم منازعاتها اذا ما اخفقت لحله الوسائل الودية والسلمية الاخرى في الوصول الى تسوية وحل النزاع، وعلى نحو يمكن معه القول بان عقود الاستثمار اصبحت لاتتم بغير وجود اتفاق التحكيم من شأنه ان يحيل المنازعات الناجمة عن هذه العقود الى التحكيم.

وبناء عليه، يكون من الاهمية بمكان لفهم واستيعاب مفهوم اتفاق التحكيم في منازعات عقود الاستثمار الاجنبي ان نتعرض لتعريف اتفاق التحكيم في فرع، ثم نبين صوره في فرع اخر، على التوالي :

الفرع الاول: تعريف اتفاق التحكيم في عقد الاستثمار الاجنبي

التحكيم لغة يعني التفويض في الحكم ومصدره (حكم)[٢٧] وقد ورد بهذا المعنى من قوله تعالى"فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم"[٢٨] في الحقيقة يقوم التحكيم على اخراج

---

(٢٥) د. صفوت احمد عبد الحفيظ ، مصدر سابق ،بند ٣٢ ، ص٤٩.

(٢٦) د. منصور فرج السعيد، النظام القانوني للاستثمار الاجنبي في ظل قانون الاستثمار الجديد (دراسة قانونية اقتصادية مقارنة)، بحث منشور من مجلة الحقوق، تقرير مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، العدد الثالث، السنة السابعة والعشرون، ايلول، ٢٠٠١، ص٣٣٣.

(٢٧) العلامة ابن منظور، معجم لسان العرب، دار بيروت للطباعة، لبنان، ١٩٥٦، ص٦٨٨.

(٢٨) سورة النساء، الاية (٦٥).

المنازعات من اختصاص محاكم الدولة بناء على اتفاق الاطراف، أي انه يلزم وجود اتفاق تحكيم، فالقاعدة العامة في هذا الشأن هي انه "لا تحكيم بدون اتفاق التحكيم"[٢٩].

ويعرف اتفاق التحكيم بانه"عقد يتفق فيه الطرفان المتعاقدان على التنازل عن مراجعة القضاء العادي والاحتكام الى شخص عادي او اكثر للفصل في النزاع المحتمل او نزاع قائم بينهما"[٣٠].

كما عرف بانه"اتفاق يعهد بمقتضاه الاطراف الى شخص او عدة اشخاص بمهمة حسم المنازعات المتعلقة بهم عن طريق اصدار حكم ملزم يتمتع بحجية الامر المقضي به"[٣١].

كما حرصت بعض التشريعات الوطنية على وضع تعريف لاتفاق التحكيم منها ما نصت علية المادة (١٠) فقرة (١) من قانون التحكيم المصري حيث ذكرت بانه هو"اتفاق الطرفين على الالتجاء لتسوية بعض او كل المنازعات التي يمكن ان تنشأ بمناسبة علاقة قانونية معينة عقدية اوغير عقدية"[٣٢] كما بينت المادة (١٤٤) من قانون المرافعات الفرنسي النافذ المقصود باتفاق التحكيم والتي نصت على انه "عقد يحيل بموجبه اطراف نزاع ناشئ عن هذا النزاع الى تحكيم شخص او اشخاص عدة"[٣٣].

والملاحظ على التعاريف المتقدم ذكرها انها تعاريف عامة لاتحدد موضوع اتفاق التحكيم ضمن نطاق محدد او مبادئ معينة.

والملاحظ على المشرع العراقي انه قد ابتعد عن وضع تعريف لاتفاق التحكيم اذ اكتفى على النص في المادة (٢٥٢) من قانون المرافعات المدنية على انه"لايثبت الاتفاق على التحكيم الا بالكتابة"ولعل احجام المشرع العراقي عن ايراد تعريف خاص بالتحكيم سببه موافقة المشرع للاتجاه القائل بأن التعريفات هي من عمل الفقه لا المشرع[٣٤].

الفرع الثاني: صور اتفاق التحكيم في عقود الاستثمار الاجنبي

يتخذ اتفاق التحكيم في عقود الاستثمارات الاجنبية صورتين تتمثل الصورة الاولى بمشارطة التحكيم وهي اتفاق اطراف العلاقة الاستثمارية في عقد مستقل عن عقد الاستثمار الاجنبي على عرض المنازعات التي نشأت بينهم بالفعل على التحكيم لحلها.

اما الصورة الثانية لاتفاق التحكيم هي شرط التحكيم والتي تعني اتفاق اطراف العلاقة الاستثمارية بموجب نص في العقد المبرم بينهم والذي يقضي بعرض المنازعات التي من المحتمل ان تنشأ بينهم مستقبلا عن هذه العلاقة على التحكيم[٣٥].

والملاحظ ان المشرع العراقي قد وضع كل من شرط التحكيم ومشارطته على قدم المساواة وذلك من خلال التعبير عن كلتا الصورتين بـ(اتفاق التحكيم) وذلك وفقا للمادة (٢٥١) من قانون المرافعات النافذ وهو ذات المسلك الذي اعتمده المشرع المصري في قانون التحكيم والذي وضع كل من شرط التحكيم ومشارطته تحت مصطلح واحد هو اتفاق التحكيم[٣٦].

---

(٢٩) نقلا عن : د. بشار محمد الاسعد، مصدر سابق، ص٣٤٧.

(٣٠) خالد عزت المالكي، التحكيم، مؤسسة النوري للطبع والنشر، دمشق، ٢٠٠٣، ص٢٥.

(٣١) د. بشار محمد الاسعد، مصدر سابق، ص٣٤٦.

(٣٢) انظر قانون التحكيم المصري رقم (٢٧) لسنة ١٩٩٤.

(٣٣) انظر قانون المرافعات الفرنسي رقم ٨١/٥٠٠ الصادر في ١٩٨١/٥/١٢ والمنشور على الموقع الالكتروني :
Http : WWW.JUS.UIO.NO IM FRANCE.arbtration.code.of.civil.proced.hurr.1981/doc.

(٣٤) انظر قانون التحكيم الاردني لعام ٢٠٠١.

(٣٥) لمزيد من التفصيل انظر : د.محمود السيد عمر النعيوي، اتفاق التحكيم وقواعده، دار الفكر الجامعي، الاسكندرية، ٢٠٠٢، ص٧٤.

(٣٦) انظر م.١ من القانون.

في حين ان قانون المرافعات الفرنسي عرف شرط التحكيم بانه"اتفاق يتعهد بمقتضاة الاطراف في عقد من العقود باخضاع المنازعات التي يمكن ان تنشأ بينهم في المستقبل للتحكيم"[٣٧] في الوقت الذي اغفل الاشارة الى تحديد المقصود بـ(مشارطة التحكيم).

وهنا يثور التساؤل التالي حول ماهي العلاقة بين شرط التحكيم والعقد الاصلي الذي يحتويه، فهل يعد شرط التحكيم شرطا بسيطا ضمن شروط العقد الاخرى ام يجب عدة شرطا مستقلا عن بقية شروط العقد الاخرى؟

للاجابة عن التساؤل اعلاه نذكر ماذهب اليه جانب من الفقه من ان استقلال اتفاق التحكيم يعني ان ننظر الى شرط التحكيم الوارد في العقد على انه يعتبر عقدا قائما بذاته رغم انه ليس الا جزءا من هذا العقد او احد بنوده، وتستند استقلالية الاتفاق التحكيمي الى ان هذا الاتفاق يشكل عقدا ضمن العقد الاخر، أي ان الاتفاق التحكيمي يشكل عقدا معادلا للعقد الاساسي[٣٨].

ويترتب على القول الانف الذكر انه اذا اعتبرت هيئة التحكيم ان العقد المتضمن لاتفاق التحكيم غير قائم او باطل ولا اثر له فان هذا لايؤدي الى ان يكون اتفاق التحكيم ذاته غير نافذ او باطل ولا اثر له، فضلا عن تقرير الاستقلال القانوني لاتفاق التحكيم عن العقد الاصلي[٣٩].

هذا ولقد حرصت معظم التشريعات الوطنية الخاصة بالتحكيم على النص صراحة على مبدأ استقلالية اتفاق التحكيم في علاقته بالعقد الاصلي بهدف مساعدة الاطراف على الوصول الى حل سريع لمنازعاتهم الاستثمارية[٤٠].

وهذا ما اخذ به المشرع المصري في المادة (٢٣) من قانون التحكيم والتي نصت على ان"يعتبر شرط التحكيم اتفاقا مستقلا عن شروط العقد الاخرى ولايترتب على بطلان العقد او فسخه او انهاءه أي اثر على شرط التحكيم الذي يتضمنه اذا كان هذا الشرط صحيحا في ذاته".

اما القانون الفرنسي فقد جاء خاليا من أي نص يقرر الاخذ بمبدأ استقلال شرط التحكيم من عدمه، في حين ان القضاء الفرنسي قد حرص على ابراز هذا المبدا في العديد من الاحكام، منها الحكم الذي اصدرته محكمة النقض الفرنسية في سنة ١٩٨٢ والذي ورد فيه بانه"في مجال التحكيم الدولي يتمتع شرط التحكيم باستقلال كامل تجاه العقد"وكذلك الحكم الصادر من ذات المحكمة عام ١٩٩٣ والذي جاء فيه"بان استقلالية شرط التحكيم عن العقد الاصلي اصبح من القواعد المادية في القانون الفرنسي"[٤١].

المطلب الثاني: اثار اتفاق التحكيم في عقود الاستثمار الاجنبي

تنتج عن اتفاق التحكيم اثران احدهما ايجابي والاخر سلبي، فاما الاثر الايجابي يتمثل في التزام الاطراف بعرض النزاع او المنازعات التي نشأت او التي يمكن ان تنشأ بينهم على التحكيم، واما الاثر السلبي فيتمثل في امتناع هؤلاء الاطراف عن عرض هذه المنازعات على القضاء الوطني.

---

(٣٧) انظر م ١٤٤٢ من القانون.

(٣٨) د. ابراهيم احمد ابراهيم، التحكيم الدولي الخاص، ط٢، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٧، ص٨٩.

(٣٩) المصدر نفسه، ص٩٠.

(٤٠) انظر م ١٠٥٧ من قانون المرافعات الهولندي.

والمادة ٢٢ من قانون التحكيم الاردني رقم (٣١) لسنة ٢٠٠١.

المادة ٦١ من قانون التحكيم التونسي رقم (٤٢) لسنة ١٩٩٣.

(٤١) اشارت الى هذه القرارات القضائية د. حفيظة السيد الحداد، الموجز في النظرية العامة للتحكيم، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، ٢٠٠٧، ص٢٢.

وفضلا عما تقدم، فان لاتفاق التحكيم اثرا جليا على التمسك بالحصانة القضائية والتنفيذية للدولة المضيفة للاستثمار.

وعلية سنقسم هذا المطلب على ثلاثة فروع، نتناول في الفرع الاول مبدأ الاختصاص بالاختصاص، وفي الثاني عدم اختصاص القضاء الوطني، اما الفرع الثالث سنخصصه لبحث اثر اتفاق التحكيم على الحصانة القضائية والتنفيذية للدولة المضيفة.

الفرع الاول: مبدأ الاختصاص بالاختصاص

ويقصد بمبدأ الاختصاص بالاختصاص"ان المحكم يختص بتحديد اختصاصه ونظر المنازعات المتعلقة به فهو الذي يقرر ما اذا كان هناك اتفاق تحكيم ام لا"[٤٢] بمعنى ان المحكمين يملكون تحديد نطاق سلطتهم بالنسبة لموضوع النزاع وكما هم الذين يقررون ما اذا كان اتفاق التحكيم الذي يستمدون منه سلطتهم صحيحا ام لا فيما اذا اثار احد الخصوم مسألة عدم صحة او انعدام هذا الاتفاق او كان موضوع الاتفاق مخالفا للنظام العام[٤٣].

والتساؤل الذي يطرح نفسه هنا هو ماهو موقف المشرع العراقي من مبدأ الاختصاص بالاختصاص ؟

في الحقيقة من مراجعة نصوص من المرافعات المدنية العراقي فاننا لانجد فيه نص ينص على مبدا الاختصاص بالاختصاص، ولكن هذا لايعني عدم الاخذ به في حدود، على الاقل عندما تثور مسألة الاختصاص اثناء اجراءات التحكيم خاصة وان طبيعة الامور تقتضي اعطاء الصلاحية للمحكم او الهيأة التحكيمية الفصل بالدفع بعدم اختصاصها.

كما حرص المشرع المصري في قانون التحكيم على الاخذ بمبدا الاختصاص بالاختصاص، اذ نص في المادة ٢٢ منه على اختصاص هيئة التحكيم في ان تفصل في شأن الدفوع المتعلقة بعدم اختصاصها بما في ذلك الدفوع المبنية على عدم وجود اتفاق تحكيم او بناء على اتفاق باطل.

وتطبيقا لذلك قضت محكمة جنوب القاهرة الابتدائية بجلسة ١٩٩٨/١/٢٧ بعدم قبول الدعوى التي اقامها التلفزيون العربي الامريكي لوقف اجراءات التحكيم في الدعوى التحكيمية رقم ٩٥ لسنة ١٩٩٥ امام مركز القاهرة الاقليمي للتحكيم التجاري الدولي والمقامة من اتحاد الاذاعة والتلفزيون بجمهورية مصر العربية ضد شركة التلفزيون الامريكي[٤٤].

كما كرس المشرع الفرنسي مبدا الاختصاص بالاختصاص في المادة ١٤٦٦ من قانون المرافعات المدنية الفرنسي الجديد والذي ينص على انه :"اذا انكر احد الاطراف على المحكم سلطة الفصل في المنازعة او نازع في نطاق هذه السلطة، فان المحكم يختص بالفصل في صحة وحدود ولايته". كما ان القضاء كان حريصا على التاكيد على هذا المبدأ وذلك من خلال احد قرارات محكمة النقض الفرنسية وذلك في حكمها الصادر في ١٩٩٩/١/٥ والذي جاء فيه"يترتب على مبدأ صحة شرط التحكيم الدولي..... وان المحكم يقضي في شأن مدى اختصاصه وان قضاء الدولة غير مختص بالفصل بصفة اساسية في شأن صحة شرط التحكيم....."[٤٥]

---

(٤٢) سراج حسين، التحكيم في منازعات البترول، منشأة المعارف، الاسكندرية، ٢٠٠٤، ص٣٦١.

(٤٣) د. عبد الباسط عبد الواسع، النظام القانوني لاتفاق التحكيم، ط١، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، ٢٠٠٥، ص٩١.

(٤٤) انظر ملخص هذه القضية منشور في مجلة التحكيم العربي، العدد الاول، ايار ١٩٩٩، ص١٤٣.
اشار اليه : د. بشار محمد الاسعد، مصدر سابق، ص٤٠١.

(٤٥) نقلا عن : د. بشار محمد الاسعد، مصدر سابق، ص٤٠١.

الفرع الثاني: مبدأ استئثار هيئة التحكيم بتسوية النزاع

من الاثار المهمة التي تترتب على اتفاق التحكيم هو سلب النزاع من ولاية القضاء الوطني ونقله الى ولاية المحكمين، بمعنى اذا اتفق الاطراف على احالة نزاعهم الى التحكيم فانهم يمنحون بذلك هيئة التحكيم اختصاص الفصل في النزاع، وبالتالي لاتكون محاكم الدولة مختصة بالفصل فيه، حيث يمتنع على الاطراف الالتجاء الى القضاء الوطني لطلب الفصل في المنازعة محل التحكيم[٤٦].

وفي حقيقة الامر، ان مبدأ استئثار هيئة التحكيم بتسوية النزاع يعتبر تطبيقا لمبدا القوة الملزمة للاتفاق او مبدا العقد شريعة المتعاقدين باعتباره من المبادئ المستقرة في القانون الدولي للعقود[٤٧].

ومن الجدير بالملاحظة انه تم التأكيد على مبدا استئثار هيئة التحكيم بتسوية النزاع في العديد من التشريعات الوطنية المعنية بالتحكيم. ومن بين هذه التشريعات قانون المرافعات العراقي اذ اقرت المادة ٢٥٣ منه هذا المبدا اذ ورد في الفقرة الاولى من ذات المادة على انه"اذا اتفق الخصوم على التحكيم في نزاع ما فلايجوز رفع الدعوى امام القضاء الا بعد استنفاد طريق التحكيم".

وهذا يعني ان اتفاق التحكيم في القانون العراقي لاينزع الاختصاص من المحكمة المختصة وانما يمنعها من سماع الدعوى مادام الاتفاق قائما، وعلى هذا فانه يعد مانعا مؤقتا من سماع الدعوى ويجوز اللجوء الى المحكمة المختصة اذا وافق الخصوم على ذلك.

وهذا ماأكدته محكمة التمييز العراقية في حكمها الصادر في ١٩٦٧/٨/٣٠ عندما ردت الطعن التمييزي الخاص بوجود اتفاق تحكيم بحجة"ان للمحاكم ولاية النظر في جميع الخصومات حتى ولو ورد اتفاق التحكيم في العقد فانه لايجعل المحكمة غير مختصة اذا اعرض عنه الخصم وفضل اقامة الدعوى امام القضاء مباشرة"[٤٨].

كما نص القانون المصري على هذا المبدا بموجب المادة (١٣/ف١) من قانون التحكيم على انه"يجب على المحكمة التي يرفع اليها نزاع يوجد بشانه اتفاق تحكيم ان تحكم بعدم قبول الدعوى ادا رفع المدعى عليه قبل ابدائه اي طلب او دفاع في الدعوى".

كذلك ورد النص على مبدا استئثار هيئة التحكيم بتسوية النزاع في قانون المرافعات الفرنسي، اذ نصت المادة (١٤٥٨) من هذا القانون على انه"اذا رفع النزاع المعروض على هيأة التحكيم بموجب اتفاق تحكيم على قضاء الدولة، يجب على هذا القضاء ان يقرر عدم اختصاصه واذا لم تكن هياة التحكيم قد اتصلت بعد بالنزاع يجب على هذا القضاء ان يقرر عدم اختصاصه"

ويتضح مما تقدم، ان مبدا استئثار هيئة التحكيم بتسوية النزاع من شانه ان يحقق الفاعلية لعملية التحكيم، اذ انه يكفل استقلال لهيئة التحكيم بنظر النزاع دون ان تتدخل معها في ذلك أي جهات قضائية.

وعلية، يثار التساؤل الاتي: هل يشترط البدء باجراءات التحكيم قبل رفع النزاع امام المحكمة لامكانية اعمال هذا المبدا ام لا؟

كما يثور تساؤل اخر مفاده: هل يشترط ان يتمسك الطرف الاخر بالتحكيم ام انه يجوز للقاضي ان يقضي بعدم اختصاصه من تلقاء نفسه؟

---

(٤٦): د. بشار محمد الاسعد، مصدر سابق، ص٤٠١.

(٤٧)د. بشار محمد الاسعد، مصدر سابق، ص٤٠١.

(٤٨) اشار الى هذا القرار القضائي: حميد فيصل الدليمي، القانون الواجب التطبيق على مسائل التحكيم، اطروحة دكتوراه، مقدمة الى كلية القانون، جامعة بغداد، ٢٠٠٦، ص١٤٢.

وللاجابة عن التساؤل الاول نقول انه لايشترط لاعمال هذا المبدا ان تكون اجراءات التحكيم قد بدات بالفعل، اذ ان هذا المبدا اثر من اثار اتفاق التحكيم، ومن ثم فانها تترتب على هذا الاتفاق بمجرد ابرامه وهذا يمكن التوصل اليه بسهولة من خلال متابعة نصوص القوانين الوطنية المتقدم ذكرها، اذ انها جاءت بعبارات مطلقة تقرر عدم اختصاص القاضي سواء أكان النزاع قد عرض عليه قبل بدء اجراءات التحكيم ام بعدها[٤٩].

وفيما يتعلق بالتساؤل الثاني فان الاجابة عليه تكون من خلال مراجعة التشريعات المتعلقة بالتحكيم، والملاحظ من هذه المراجعة انها قد لاعمال هذا المبدا ان يتمسك المدعى عليه باتفاق التحكيم، وهو امر بديهي، لانه اذا حضر المدعى عليه امام المحكمة من دون ان يتمسك بوجود اتفاق التحكيم، فان ذلك يعد تنازلا منه على اللجوء الى التحكيم ومن ثم يكون للمحكمة الاستمرار في نظر النزاع والفصل فيه، ومن هذه التشريعات قانون المرافعات المدنية العراقي اذ نصت المادة ٢٥٣ منه على انه :

١. اذا اتفق الخصوم على التحكيم في نزاع ما فلايجوز رفع الدعوى امام القضاء الابعد استنفاذ طريق التحكيم.
٢. ومع ذلك اذا لجأ احد الطرفين الى رفع الدعوى من دون الاعتداد بشرط التحكيم، ولم يعترض الطرف الاخر في الجلسة الاولى جاز نظر الدعوى وعد شرط التحكيم لاغيا.

اما بالنسبة للقنون المصري فقد نصت المادة (١٣) فقرة (١) من قانون التحكيم على انه"يجب على المحكمة التي يرفع اليها نزاع يوجد بشانه اتفاق تحكيم ان تحكم بعدم قبول الدعوى اذا رفع المدعى عليه قبل ابدائه أي طلب او دفاع في الدعوى". وهذا يعني ان قانون التحكيم المصري قد اشترط تمسك المدعى عليه باتفاق التحكيم.

في حين ذهب المشرع الفرنسي الى اتجاه مغاير لاتجاه المشرع المصري فيما يتعلق بهذا الشان، فقد نصت المادة (١٤٥٨) من المرافعات الفرنسي على انه".....واذا لم تكن هيأة التحكيم قد اتصلت بعد النزاع يجب ايضا على هذا القضاء ان يقرر عدم اختصاصه"، وهذا يعني ان المشرع الفرنسي قد اوجب على القاضي ان يدفع بعدم اختصاصه حتى في حالة عدم تمسك المدعى عليه بالتحكيم.

ويمكننا ان نجد مثالا على مبدا استئثار هيئة التحكيم بتسوية النزاع في قضية (Mobil Oil) ضد حكومة نيوزلندا، اذ انه ورغم تقديم الشركة لطلب التحكيم لدى المركز الدولي لتسوية منازعات الاستثمار، فقد حاولت الحكومة استصدار احكام قضائية من المحاكم النيوزيلندية لعرقلة سير النزاع امام هيئة التحكيم، الا انه عند عرض النزاع على المحكمة العليا في نيوزلندا قررت وقف نظر جميع الدعاوي المتصلة بالنزاع لحين انتهاء محكمة التحكيم من عملها اعمالا لشرط التحكيم المبرم بين الطرفين[٥٠].

وكذلك في قضية اتحاد الاذاعة والتلفزيون بجمهورية مصر العربية ضد شركة التلفزيون العربي الامريكي، فعلى الرغم من تقدم اتحاد الاذاعة والتلفزيون بتاريخ ١٩٩٧/٢/١٢ الى مركز القاهرة الاقليمي للتحكيم التجاري الدولي بطلب تحكيم ضد التلفزيون العربي الامريكي لتسوية الخلاف القائم بينهما اعمالا لشرط التحكيم الوارد في العقد المبرم بين الطرفين، الا انه بتاريخ ١٩٩٧/١٠/١٠ اقام التلفزيون

(٤٩) د. احمد ابو الوفا، التحكيم الاختياري والاجباري، ط٥، منشاة المعارف، الاسكندرية، ١٩٨٨، ص١٣١.
(50)Delaume (G.R) : ICSID, Arbitration and the Courts, 1983, P.2784.
نقلا عن د. بشار محمد الاسعد، مصدر سابق، ص٤١٨.

العربي الامريكي دعوى تعويض امام محكمة كاليفورنيا الابتدائية والتي قضت بعدم اختصاصها واحالت الدعوى الى التحكيم، كما ابدت محكمة استئناف كاليفورنيا هذا الحكم بجلسة ١٩٩٧/١٢/٢[٥١].

الفرع الثالث: اثر اتفاق التحكيم على الحصانة القضائية والتنفيذية للدولة المضيفة للاستثمار

(ان الدولة الطرف في عقود الاستثمار، في سعيها للتخلص من قبولها عملية التحكيم في المستثمر الاجنبي، قد تدفع بما تتمتع به من حصانة كدولة ذات سيادة من الخضوع لقضاء دولة اجنبية للقول بعدم جواز خضوعها للتحكيم، فمن المبادئ المستقرة في القانون الدولي العام، انه تأسيسا على فكرة السيادة والمساواة بين الدول، فان كل دولة تتمتع بالحصانة القضائية في مواجهة قضاء الدول الاجنبية، بمعنى انه لايجوز اخضاع المنازعات التي تكون الدولة او احد الاشخاص المعنوية العامة المنبثقة عنها طرفا فيها لغير قضاء هذه الدولة، الامر الذي يعني عدم اختصاص قضاء دولة اجنبية بنظر تلك المنازعات، سواء اكان ذلك القضاء رسميا في دولة اجنبية ام كان قضاء تحكيميا بنظر تلك المنازعات)[٥٢].

ومن هنا يبدو جليا مدى خطورة الحصانة القضائية في عقود الاستثمارات الاجنبية، اذ كيف يعد اتفاق التحكيم احد الضمانات التي عول عليها المستثمر الاجنبي في تعاقده مع الدولة المضيفة او من يمثلها في الوقت الذي تستطيع فيه الاخيرة التمسك بحصانتها القضائية، وعليه يعد ذلك اخلالا بالشروط الجوهرية التي قامت عليها العلاقة التعاقدية مما يستوجب معه مساءلة الدولة[٥٣].

ولكن نظرا لان التحكيم له طابع خاص يتمثل في انه يجد اساسه في ارادة الاطراف، حيث تلجا الدولة الى ادراج شرط التحكيم بالعقد بارادتها الحرة، فمن البداهة اذن التساؤل حول مدى جدوى التمسك من جانب الدولة بالحصانة القضائية امام هيئات التحكيم، على الرغم من انها قد ارتضت في اتفاق التحكيم مبدا فض المنازعات الناشئة او التي يمكن ان تنشا بينها وبين احد اشخاص القانون الخاص بطريق التحكيم[٥٤].

في الحقيقة يجيب اغلب الفقه[٥٥]عن هذا التساؤل بالقول بان الدولة تعتبر متنازلة عن حصانتها القضائية اذا قبلت شرط التحكيم.

وعليه، فلا يجوز للدولة المضيفة للاستثمار التي تتفق على اللجوء الى التحكيم لتسوية المنازعات الناشئة عن العقد المبرم بينها وبين المستثمر الاجنبي، ان تتمسك بحصانتها القضائية امام المحكم او هياة التحكيم.

فاتفاق التحكيم هو قضاء خاص لاينتمي الى سلطة أي دولة، ومن ثم فهو لايمثل اعتداء على سيادة الدولة الطرف في النزاع، فضلا عن ذلك فان الدولة تدخل في تلك العلاقة القانونية بارادتها المطلقة، وبموجب قانون يسمح لها بذلك، وبرضاء مسبق منها، وبدون هذا الرضا المسبق لايمكن ارغام الدولة على اللجوء الى المثول امام هيئات التحكيم.

---

(٥١)مجلة التحكيم العربي، لاالعدد الاول، ايار ١٩٩٩، ص١٤٣.
نقلا عن د. بشار محمد الاسعد، مصدر سابق، ص٤١٨.
(٥٢) د. بشار محمد الاسعد، مصدر سابق، ص٣٨٥.
(٥٣) في هذا المعنى د. صفوت عبد الحفيظ، مصدر سابق، ص٣٧٣.
(٥٤) د. بشار محمد الاسعد، مصدر سابق، ص٣٨٥.
(٥٥) د. ابراهيم احمد ابراهيم، التحكيم الدولي الخاص، مصدر سابق، ص١٢١.
د. حفيظة السيد الحداد، العقود المبرمة بين الدولة والاشخاص الاجنبية، ط١، دار التهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٦، ص٢٧٨.
د. عصام الدين القصبي، خصوصية التحكيم في مجال منازعات الاستثمار، منشاة المعارف، الاسكندرية، ١٩٩٤، ص١٨.

وبعبارة موجزة فان الدولة بقبولها التحكيم تكون قد قبلت بارادتها المثول امام هيئة التحكيم فليس لها ان تتمسك بحصانتها امامها، ولكنها لاتكون قد تنازلت عن هذه الحصانة امام جهة اخرى غير جهة التحكيم وهي جهة القضاء[٥٦].

اما فيما يتعلق بالحصانة التنفيذية فانها تعني عدم تاثر الحكم التحكيمي في مجال الاستثمار بما تصدرة الدولة من تشريعات تؤثر على عدالة هذا الحكم.

ومن المتبادر التساؤل هنا عن اثر اتفاق التحكيم الذي ابرمته الدولة بارادتها على هذه الحصانة، فهل لها ان تتمسك بحصانتها في مواجهة اجراءات تنفيذه ام ان مجرد موافقتها على التحكيم يعتبر تنازلا ضمنيا عن حصانتها، بحيث يتعلق عليها تنفيذ حكم التحكيم عند اضطرار الطرف الاخر الى اتخاذ اجراءات التنفيذ الجبري دون ان يكون لها التمسك بحصانتها؟

في الحقيقة يجيب البعض[٥٧]من الفقة بان اتفاق التحكيم الذي قبلته الدولة يجب ان يمتد في اثارة لشمل تنفيذ حكم التحكيم وذلك تحقيقا لاستقرار المعاملات وتحقيقا لفاعلية اتفاق التحكيم، اذ ان قبول الدولة اللجوء الى التحكيم بالرغم من حصانتها سيكون فارغا من أي معنى اذا هي استطاعت ان تدفع بحصانتها لتعليق تنفيذ حكم التحكيم.

في حين يذهب البعض الاخر[٥٨]بان اتفاق التحكيم بذاته لايفيد في الدلالة التخلي عن حقها في التمسك بالحصانة في مواجهة اجراءات التنفيذ، على اعتبار ان هذه الاخيرة تتمتع باستقلالية وذاتية تحول دون اختلاطها واندماجها في الحصانة القضائية.

ومن جانبنا نؤيد الاتجاه الفقهي الاول لكون ان اتفاق التحكيم الذي تورده الدولة في عقودها مع المستثمرين الاجانب يفيد تنازلها عن حصانتها ضد تنفيذ حكم التحكيم، واذا كانت تنوي غير ذلك فانه يتعين عليها التاكيد منذ البداية على تمسكها بهذه الحصانة ضد تنفيذ حكم التحكيم.

ومن الاحكام القضائية الصادرة بهذا الخصوص حكم التحكيم الصادر في القضية رقم ٣٨٧٩ في عام ١٩٨٤ في اطار غرفة التجارة الدولية، وتتلخص وقائع هذه القضية في ان كل من مصر والسعودية والامارات وقطر قد ابرمت في عام ١٩٧٥ اتفاقية بموجبها يتم انشاء الهياة العربية للتصنيع بهدف تطوير صناعة التسليح لمصلحة هذه الدول، ولقد ابرمت الهياة المذكورة مع الشركة الانكليزية ويست لاند للهيلوكوبتر عقدا بموجبه يتم انشاء شركة مختلطة غرضها القيام بتصنيع وبيع الهيلوكوبتر من نوع (Lynx)، ولاجل هذا الغرض أبرمت الشركة الانكليزية ويست لاند العديد من العقود مع هذه الشركة في عام ١٩٧٨، بيد انه في عام ١٩٧٩ وبناء على قرارات القمة العربية التي عقدت في بغداد قررت الدول الثلاث السعودية، الامارات، قطر، انهاء وجود الهياة بدءا من اول تموز عام ١٩٧٩ وتشكيل لجنة لتصفيتها واعتبار كل العقود التي ابرمتها لاغية، وعلى اثر ذلك تقدمت الشركة الانكليزية ويست لاند بعريضة تحكيم الى هياة التحكيم التابعة لغرفة التجارة الدولية، ونظرا لتغيب الاطراف الاخرى عن المشاركة في اجراءات التحكيم التابعة لغرفة التجارة الدولية التي اصدرت حكما تمهيديا بشان اختصاصها اكدت فيه انه وفقا للمفهوم السائد فان ابرام اتفاق التحكيم يتضمن التنازل عن الدفع بالحصانة القضائية والتنفيذية[٥٩].

---

(٥٦) د. بشار محمد الاسعد، مصدر سابق، ص٣٨٦.

(٥٧) د. بشار محمد الاسعد، مصدر سابق، ص٣٨٨.

(٥٨) د. حفيظة السيد الحداد، العقود المبرمة بين الدولة والاشخاص الاجنبية، مصدر سابق، ص٣٨٣.

(٥٩) اشار الى هذا القرار: د.سمير فرنان بالي، قضايا التحكيم في الدول العربية، ج١، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، ٢٠٠٨، ص١١٢.

المبحث الثاني: القواعد الموضوعية والشكلية التي تحكم اتفاق التحكيم في عقود الاستثمار الاجنبي

تمهيد وتقسيم :

تعد مسالة تحديد القواعد التي تحكم موضوع النزاع الاستثماري المحكم فيه من اهم المسائل التي تواجه المحكم عندما يتصدى للفصل في موضوع النزاع تحكيميا، وذلك لما لهذه المسالة من اهمية تتعلق بصحة ماينتهي اليه المحكم من نتائج، والتي يتبعها تحديد الاجراءات الشكلية والتي تعتبر امر لازم لتطبيق القانون.

وعليه، سنقسم هذا المبحث على مطلبين، سنعقد المطلب الاول لتحديد القانون الذي يحكم اتفاق التحكيم في عقود الاستثمار الاجنبي، والمطلب الثاني سنكرسة لبيان الاجراءات الشكلية اللازم اتباعها للسير بهذه العملية.

المطلب الاول: القانون الذي يحكم اتفاق التحكيم في عقود الاستثمار الاجنبي

في الواقع تعد القواعد القانونية التي تحكم سير المنازعة المطروحة على التحكيم من المسائل الجوهرية في التحكيم في منازعات الاستثمار، فاطراف المنازعة في عقود الاستثمار الاجنبي لايلجاؤون الى التحكيم الا للتوصل الى حل ناجح قد لايحصلون عليه اذا ما اتبعت القواعد الشكلية في القوانين الوطنية، فضلا عن تفاديهم لاحتمال افشاء اسرار منازعاتهم لكون ان اجراءات القضاء الوطني تتسم بالعلانية.

واذا كانت القاعدة المستقرة فقها فيما يخص اجراءات التقاضي هي خضوعها لقانون القاضي، فالامر مختلف تماما بالنسبة لاجراءات التحكيم. اذ ان الاصل هي خضوعها لقانون الارادة او مااتفق عليه اطراف العلاقة الاستثمارية من قواعد اتفاقية، وفي حالة عدم اتفاقهم على قواعد قانونية محددة تطبق على النزاع الاستثماري هنا القانون الذي يقررة المحكم او قانون التجارة الدولية.

ولبيان تفاصيل ذلك سنخصص ثلاثة فروع للحديث عن ذلك، سنفرد الفرع الاول لقانون الارادة الذي يحكم اتفاق التحكيم، وفي الفرع الثاني سنتكلم عن حرية المحكم في اختيار القانون الواجب التطبيق، اما الفرع الاخير سنخصصه لمدى تطبيق المحكم لقانون التجارة الدولية.

الفرع الاول: قانون الارادة الذي يحكم اتفاق التحكيم في عقود الاستثمار الاجنبي

تقرر معظم التشريعات الوطنية بان الاولوية لارادة الاطراف في اختيار القانون الواجب التطبيق على موضوع النزاع الاستثماري طالما ان ذلك لاينطوي على أي خروج عن القواعد الامرة والمتعلقة بالنظام العام في الدول المعنية، او يكون هذا الاختيار مشوبا بالغش نحو القانون الذي كان من المفروض تطبيقه على موضوع النزاع[٦٠].

وهذا وقد اخذ القانون العراقي بقانون الارادة، فقد اعطى الحرية للاطراف في الاتفاق على القواعد القانونية، اذ نصت المادة (٢٦٥) من قانون المرافعات النافذ على انه"يجب على المحكمين اتباع الاوضاع المقررة في قانون المرافعات الا اذا تضمن الاتفاق على التحكيم، او أي اتفاق لاحق علية اعفاء المحكمين منها صراحة، او وضع اجراءات معينة يسير عليها المحكمون"

كما نصت المادة (٣)) فقرة (١) من قانون التحكيم المصري النافذ على انه"تطبيق هياة التحكيم على موضوع النزاع القواعد التي يتفق عليها الطرفان"فهذا النص يدل صراحة على اخذ المشرع المصري بقانون ارادة الاطراف وتطبيقه على المسائل التي تتعلق بالتحكيم.

(٦٠) د. ابو زيد رضوان، الاسس العامة في التحكيم التجاري الدولي، منشاة المعارف، الاسكندرية، ٢٠٠٢، ص١٢٠.

وتطبيقا لذلك قضى المركز الاقليمي بالقاهرة في حكمه الصادر سنة ١٩٨٧ بشان النزاع الذي حصل بين الشركة النمساوية ووزير الزراعة المصري[٦١] بان تحديد القانون الواجب التطبيق على موضوع النزاع متروك كقاعدة عامة لارادة الطرفين فيما يخص اجراءات التحكيم[٦٢].

كما اخذ بذلك قانون المرافعات الفرنسي، اذ نصت المادة (١٤٩٦) على ان"يفصل المحكم النزاع وفقا للقواعد القانونية التي اختارها الاطراف".

وفي الواقع، هناك تساؤل يتبادر الى الذهن وهو : هل يلزم الاعتداد بارادة الاطراف ان تكون صريحة ام يمكن الاخذ بالارادة الضمنية في مجال التحكيم الخاص بمنازعات الاستثمار ؟

للاجابة عن التساؤل اعلاه لابد من ذكر ماذهب اليه بعض من الفقة من انه لابد ان تكون ارادة الاطراف صريحة وواضحة حتى تقوم بوظيفتها في تحديد القواعد الاجرائية، فاذا كان من الممكن البحث عن الارادة الضمنية للمتعاقدين في مجال العقود، فان الامر في مجال التحكيم على خلاف ذلك، نظرا لاهمية القانون في سير الاجراءات، ممايستوجب ان يكون صريحا من اجل تجنب المشاكل التي قد تثور في هذا الخصوص، ومنها عدم القدرة على تحديد القانون الصحيح الذي انصرفت الارادة الضمنية اليه[٦٣].

وعلى خلاف ذلك هناك اتجاه اخر يرى بان تطبيق قانون الارادة على المسائل الاجرائية للتحكيم لايعني الزام القاضي فقط بالقانون الذي حددته ارادة الاطراف صراحة، وانما يعني ايضا تخويل المحكم او القاضي فرصة الكشف عن القانون الذي عينته الارادة الضمنية للاطراف حال غياب اختيارهم الصريح له وخصوصا في الاحوال التي يسهو الطرفان عن تحديد القانون صراحة او يعبرون عنه بعبارات غير واضحة او دقيقة في بيان المقصود منه، اذ يبرز دور المحكم في اختيار القانون الواجب التطبيق في ظل غياب الاختيار الصريح لطرفي التحكيم[٦٤].

ومن جانبنا نؤيد الاتجاه الفقهي الاول الذي يشترط وجود ارادة صريحة ومؤكدة بشان تحديد القانون الذي يحكم اتفاق التحكيم في مجال منازعات عقود الاستثمار الاجنبي وذلك تفاديا لاي لبس او غموض قد يثور في حالة الاخذ بالارادة الضمنية لاطراف النزاع. وهو مااخذت به بعض احكام التحكيم في مجال المنازعات الاستثمارية منها الحكم الصادر في القضية التي حصلت في عام ١٩٨٨ والتي تتلخص وقائعها بشان النزاع الذي ثار بخصوص عقد توزيع اجهزة كهربائية بين شركة ايطالية وشركة فرنسية تقوم فيها الاخيرة بتوزيع الاجهزة التي انتجتها الاولى، اذ قررت هياة التحكيم بشان القانون الواجب التطبيق على النزاع الذي لم يوجد اتفاق صريح بشانة بين طرفي العقد تطبيق القانون الفرنسي واستبعاد القانون الايطالي باعتبار ان القانون الفرنسي هو الانسب، وقالت ردا على من قال بتطبيق القانون الايطالي هو المختص، ذلك لان الاشارة الى القضاء الايطالي جاءت بصيغة احتياطية بعد ذكر غرفة التجارة الدولية، كذلك فلا

---

(٦١) تتلخص وقائع هذه القضية بقيام الشركة النمساوية واسمها (فلوج سرفيس) بعمليات رش القطن بالطائرات لمواسم (سنة ١٩٨٤ و١٩٨٥ و١٩٨٦) واثناء اقلاع احد طياري الشركة في ٩ايلول ١٩٨٥ من مطار اسيوط فوجئ بسيارة بها مدير زراعة اسيوط تقطع ممر المطار بالعرض فحاول هذا الطيار تفادي الحادث بالتخلص من الحمولة من المبيدات فادى ذلك لصعود الطائرة بحدة ثم سقوطها في حقل يسار المهبط وتحطمت بالكامل واصيب الطيار، فطالبت الشركة النمساوية وزير الزراعة المصري بالتعويض بسبب خطا تابعي الوزارة الذي احدث الاضرار المادية التي لحقت الشركة وتتمثل في تحطيم الطائرة وفيما فاتها من كسب بسبب حرمانها من استغلال الطائرة في عمليات الرش عن المدة من ١٩٨٥/٩/٩ وحتى ١٩٨٧/٩/٢٥ وهو تاريخ انتهاء العقد، وفيما فاتها من كسب لعدم استغلال الطائرة في الرش لجمهورية السودان وفقا لعقد مبرم في ٢٠ ايلول سنة ١٩٨٥.

(٦٢) مشار اليه لدى: د. اشرف عبد العليم الرفاعي، التحكيم في العلاقات الخاصة الدولية، دار الكتب القانونية، مصر، ٢٠٠٦، ص٥٥٢.

(٦٣) نقلا عن : حميد فيصل الدليمي، مصدر سابق، ص٧٦.

(٦٤) د. جمال محمود الكردي، القانون الواجب التطبيق في دعوى التحكيم، دار الجامعة الجديدة للنشر، الاسكندرية، بلا سنة طبع، ص٧٨.

يستفيد منها اتجاة القصد المشترك للمتعاقدين للاخذ بالقانون الايطالي، "كذلك يمكن القول عند الموازنة بين قاعدة التنازع الفرنسية وقاعدة التنازع الايطالية تفوق القاعدة الفرنسية....."[٦٥].

الفرع الثاني: حرية المحكم في اختيار القانون الواجب التطبيق

قد يصعب على الاطراف في عقود الاستثمارات الاجنبية الاتفاق على قانون معين نظرا لرغبة كل طرف في تطبيق قانونه الوطني او قانون من اختياره وحده، اذ يجهل كل طرف احكام قانون الطرف الاخر وكلاهما يجهل احكام قانون محايد، ومن ثم فلا يكون امامهما من خيار سوى التزام الصمت وعدم الاتفاق على القانون الواجب التطبيق على موضوع النزاع[٦٦].

وازاء ذلك يقرر الاطراف ترك الحرية للمحكم لتحديد القانون الواجب التطبيق على موضوع النزاع طالما لم يتفق الاطراف على اختيار قانون معين ليحكم موضوع النزاع الاستثماري[٦٧].

لما كان المحكم في عقود الاستثمارات الاجنبية يختلف عن القاضي الوطني في كون الاخير معين من الدولة ويستمد سلطانه منها، ويمارس هذه السلطة مقيدا باتباع قوانينها التي هي بمثابة قانون اختصاصه بحيث اذا اراد تحديد القانون الواجب التطبيق على موضوع النزاع المعروض امامه، فما عليه الا تطبيق قواعد الاسناد الواردة في قانونه الوطني، فان المحكم في عقود الاستثمارات الاجنبية لايستمد سلطانه ولايمارسها من وباسم الدولة، بل من اتفاق الاطراف ومن ثم فانه لايتمتع بما يتمتع به القاضي الوطني من وجود قانون يطبقه اثناء نظر النزاع ضمن اختصاصه[٦٨].

وعليه فان غياب قانون اختصاص للمحكم في عقود الاستثمارات الاجنبية يمكن ان يحدد على اساس قواعد الاسناد الواردة فيه القانون الواجب التطبيق على موضوع النزاع يثير التساؤل عن القانون الذي سيستلهم منه المحكم في منازعات الاستثمار الاجنبي قواعد اسناده ليختار على هديها القانون الدي يطبق على موضوع النزاع ؟

وللاجابة على هذا التساؤل يلاحظ وجود طريقتين لذلك التحديد، تمثل الاولى بتطبيق المحكم في عقود الاستثمارات الاجنبية لمنهج التنازع المقرر في القانون، اما الثانية فتكون من خلال الاختيار الصريح والمباشر للقانون الواجب التطبيق[٦٩].

ومن المقارنة بين الطريقتين نرى ان افضلية الطريقة الثانية نظرا لتعقيد وصعوبة اللجوء الى قواعد تنازع القوانين لتحديد القانون الواجب التطبيق لكون ذلك مقيد بقانون اختصاص المحكم في حين انه في عقود الاستثمارات الاجنبية لايملك قانون اختصاص، ومن ثم ليس مفروضا عليه اتباع هذا المنهج، هذا من ناحية، ومن ناحية اخرى فان من جملة الاسباب التي دفعت اطراف العلاقة الاستثمارية اللجوء الى التحكيم هي الابتعاد عن المشاكل التي قد تنتج عن تنازع القوانين لتحديد القانون المطبق على النزاع، لذلك فان التحديد المباشر لقواعد القانون يبعد عن اطراف عقد الاستثمار الكثير من المشاكل.

وهو مااخذت به العديد من القوانين الوطنية ومنها قانون المرافعات العراقي فقد نصت المادة (٢٦٥) فقرة (١) منه على انه"يجب على المحكمين اتباع الاوضاع والاجراءات المقررة في قانون المرافعات الا اذا تضمن

---

(٦٥) اشار اليه : د. صادق محمد الجبران، التحكيم التجاري الدولي وفقا للاتفاقية العربية للتحكيم التجاري لعام ١٩٨٧، ط١، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، ٢٠٠٦، ص١٢٢.

(٦٦) د. محمود مختار احمد بديري، التحكيم التجاري الدولي، ط١، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠٤، ص١٣٥.

(٦٧) د. جمال محمود الكردي، مصدر سابق، ص٦٦.

(٦٨) د. هاني محمود حمزة، النظام الواجب الاعمال على العقود الدولية امام المحكم الدولي، ط١، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، ٢٠٠٨، ص٢٥٥.

(٦٩) للتفصيل ينظر : د.ابو زيد رضوان، مصدر سابق، ص١٥٤.

الاتفاق على التحكيم او أي اتفاق لاحق عليه اعفاء المحكمين منها صراحة او وضع اجراءات معينة يسير عليها المحكمون". وبذات الاتجاه اخذ المشرع المصري، اذ نصت المادة (٣٩) فقرة (٢) من قانون التحكيم المصري النافذ على انه"اذا لم يتفق الطرفان على القواعد القانونية واجبة التطبيق على موضوع النزاع طبقت هياة التحكيم القواعد الموضوعية في القانون الذي ترى انه اكثر اتصالا بالنزاع".

وكذلك فعل قانون المرافعات الفرنسي النافذ، اذ نصت المادة (١٠٥٤) فقرة (٢) منه على انه"في حالة عدم اختيار الاطراف القانون الواجب التطبيق تفصل هياة التحكيم وفقا لقواعد القانون التي ترى انها ملائمة في القضية".

الفرع الثالث: تطبيق المحكم لقانون التجارة الدولية[٧٠]

قد يجد المحكم في عقود الاستثمارات الاجنبية نفسه مضطرا الى حل النزاع على ضوء قواعد من خلق العادات واعراف التجارة الدولية التي تستقل عن القوانين الوطنية، وذلك لقصور القوانين الوطنية واختلاف مفاهيمها اختلافا من شانه ان يعيق تقدم التجارة الدولية بصورة عامة والاستثمار الاجنبي بصورة خاصة، اذ انها تتميز بعدم اتساع مبادئها، اومستوى قواعدها، الا بقدر ما يتطابق مع العلاقات الداخلية[٧١].

وقد اجازت العديد من القوانين الوطنية المتعلقة بالتحكيم للاطراف الذين يرغبون في عدم تطبيق قانون وطني اخضاع المنازعات التي يمكن ان تنشا فيما بينهم لاحكام قانون التجارة الدولية، اذ نصت المادة (١٤٩٦) من قانون المرافعات الفرنسي على انه"على المحكم ان يضع في اعتباره في جميع الحالات العادات التجارية"بمعنى اخر ان النص الفرنسي قد اعطى مكنة اسناد التحكيم الى قانون التجارة الدولية.

كما قرر قانون التحكيم المصري ذلك بموجب المادة (٣٩) فقرة (٣) التي نص فيها على ان"يجب ان تراعي هياة التحكيم عند الفصل في النزاع شروط حل النزاع والاعراف الجارية في نوع المعاملة".

اما بالنسبة للقانون العراقي فنلاحظ انه لم يوجد حكم خاص حول القانون الموضوعي الذي يتوجب على المحكم تطبيقة على النزاع المعروض امامة، مما يقتضي الرجوع للقواعد العامة في تنازع القوانين التي تقضي بتطبيق قانون ارادة الاطراف على العلامة التعاقدية، وفي حالة عدم الاتفاق على تطبيق قانون معين يطبق قانون الموطن المشترك، واذا اختلف يطبق المحكم قانون مكان ابرام العقد[٧٢].

والجدير بالملاحظة في هذا الشان هو تنوع مصادر قواعد التجارة الدولية اذ تختلف باختلاف مجالات التجارة الدولية، الا انها في عقود الاستثمارات الاجنبية قد تقتصر على الاتفاقيات الدولية وشروط العقد محل النزاع والعادات والاعراف التجارية في مجال الاستثمار الاجنبي[٧٣].

اذ تعد الاتفاقيات الدولية مصدرا مهما من مصادر قانون التجارة الدولية التي يطبقها المحكمون في مجال المنازعات الاستثمارية، بوصفها تشريعات دولية، وان لم تكن ملزمة الا للموقعين عليها، الا ان هدفها الاساسي هو انشاء قواعد مقبولة عالميا لتنظيم التجارة الدولية للاستثمار الاجنبي كما هو الحال في المركز

---

(٧٠) يقصد بمصطلح قانون التجارة الدولية"مجموعة المبادئ والنظم القانونية المنتقاة من كل المصادر والتي غذت تدريجيا ولازالت تغذي الهياكل القانونية والسير القانوني بجماعة المتعاملين في مجال التجارة الدولية"

لمزيد من التفاصيل : د. هشام علي صادق، القانون الواجب التطبيق على عقود التجارة الدولية، منشاة المعارف، الاسكندرية، ١٩٩٥، ص٢٢٢.

(٧١) د. ابو زيد رضوان، الاسس العامة، مصدر سابق، ص١٦٦.

(٧٢) انظر المادة (٢٤) من القانون المدني العراقي.

(٧٣) د. عاطف محمد الفقي، التحكيم في المنازعات البحرية، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠٤، ص٥١٠.

الدولي لتسوية منازعات الاستثمار بواشنطن الذي يتخصص في نظر المنازعات التي تنشب بين الدول المتعاقدة والمستثمرين الاجانب[٧٤].

وكذلك بالنسبة لشروط العقد محل النزاع التي لاتحتاج من المتعاملين سوى التوقيع عليها لتصبح ملزمة لهم[٧٥].

اما العادات والاعراف فهي ناتجة عن تكرار المستثمرين لعادات معينة تتميز بالخصوصية المهنية التي تكون اعراف مستقرة بمرور الزمن يلجأ اليها المحكم في عقود الاستثمارات الاجنبية بوصفها ثمار الممارسات الاستثمارية المهنية المتخصصة حتى لو تعارضت مع نص قانوني غير امر، على اعتبار ان المحكم لايستمد اختصاصه من قانون وطني معين اذ انه يعمل بدون اختصاص وطني محاولا صياغة قانون خاص به[٧٦].

ومن الاحكام القضائية في مجال منازعات الاستثمار التي طبقت فيها الاعراف التجارية، الحكم القضائي بصدد العقد الذي ابرم بين شركة البانية واحدى الشركات في زيورخ لتكون وكيلة بالعمولة لها في تسويق منتجاتها من الخضروات عام ١٩٨٢، وكان العقد يتضمن شرط تحكيم غرفة التجارة الدولية باريس ومكتوبا باللغة الفرنسية، بيد ان المتعاقدين قد اغفلا النص على القانون الواجب التطبيق صراحة، ونظرا للخلاف الحاصل بين الطرفين حول تسليم الثمن مع الفوائد والمصاريف فقد عرض النزاع على هيأة التحكيم التي كان عليها تحديد القانون الواجب التطبيق، اذ قررت تطبيق قانون وعادات بلد القانون السويسري وهذا يتفق مع ما أعلنت عنه الشركة الألبانية بتطبيق القانون الذي تراه هيأة التحكيم معقولا[٧٧].

المطلب الثاني: الإجراءات الشكلية اللازم إتباعها في اتفاق التحكيم في عقود الاستثمارات الأجنبية

بعد ان نبدأ اجراءات التحكيم وذلك من خلال تقديم طلب التحكيم من اطراف عقد الاستثمار الاجنبي لتشكيل هيئة التحكيم وتحديد المهمة الملقاة على عاتق المحكمين، عندها يبدأ نظر العملية التحكيمية بواسطة المحكم أو هيئة التحكيم في عقود الاستثمارات الاجنبية التي تحقق ادلتها واسانيدها في مواجهة الاطراف لتكوين عقيدتها ورأيها من اجل الفصل فيها. والاصل ان يبدأ النظر في العملية التحكيمية في عقود الاستثمار الاجنبي في حضور الاطراف او في الغالب في حضور ممثلين من اختيارهم، ولكنها في بعض الاحيان قد تسير في غياب الطرف الذي اقيمت عليه، اذ قد يرفض المشاركة في الاجراءات، وهذا وقد يتغيب الطرف الذي اثار النزاع الاستثماري مهملا العملية التحكيمية[٧٨].

اذ تجري في الحالة الاولى اجراءات التحكيم في عقود الاستثمارات في مواجهة الاطراف، او غالبا في مواجهة من ينيبه الاطراف في تمثيلهم في الاجراءات، اذ لايوجد في الاتفاقيات سواء تلك المتعلقة بالتحكيم بصورة عامة او نزاعات الاستثمار الاجنبي بصورة خاصة او القواعد الوطنية التحكيمية مايمنع اطراف التحكيم في عقود الاستثمار من تعيين ممثلين ينوبون عنهم في العملية التحكيمية في المجال الاستثماري ومن

(٧٤) د. جلال وفاء محمد، التحكيم بين المستثمر الاجنبي والدولة المضيفة، دار الجامعة الجديدة للنشر، الاسكندرية، ٢٠٠١، ص١٣.

(٧٥) د. جمال محمود الكردي، مصدر سابق، ص١٤٤.

(٧٦) د. هاني محمود حمزة، النظام الواجب الاعمال على العقود الدولية امام المحكم الدولي، ط١، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، ٢٠٠٨، ص٣٩٠.

(٧٧) د. محي اسماعيل، منصة التحكيم التجاري الدولي، ج١، بدون دار ومكان طبع، ١٩٨٦، ص٣٨٥.

(٧٨) د.مصطفى محمد الجمال ود. عكاشة عبد العال، التحكيم في العلاقات الدولية الخاصة، ط١، منشاة المعارف، الاسكندرية، ١٩٩٨، ص٦٢٩.

ثم هم يملكون ايضا الحرية الكاملة في تعيين ممثلين ينوبون عنهم في الحضور امام تلك الهياة، وذلك احتراما لحقهم في الدفاع عن انفسهم وهو حق ثابت وجوهري من حقوق اطراف التقاضي والتحكيم[٧٩].

هذا ولاتوجد قيود على الاشخاص المختارين من قبلهم كممثلين اذ لايشترط توافر صفات معينة في من يعمل ممثلا لاحد الاطراف امام هيئة التحكيم، فيجوز ان يكون محاميا او مستشارا او قانونيا او أي شخص اخر ممثل تمثيلا صحيحا من اطراف العملية التحكيمية، ولكن ينبغي فقط على الطرف الراغب في تعيين من يمثله امامها ان يعلن عزمه هذا الى الطرف الاخر في وقت يسمح له أيضا بتعيين ممثل اذا اراد الاخير ذلك، ومن ثم فان اغفال هذا الاعلان يجعل معه الحق للطرف الاخر ان يطلب من هيئة التحكيم التأجيل في نظرها وعليها الموافقة والا فان الرفض قد يرتقي الى مخالفة القانون[٨٠].

هذا وفي بعض الاحيان قد يقف المدعى عليه موقفا سلبيا ممتنعا عن الرد على مطالبة المدعى بالتحكيم في الاستثمار رافضا المشاركة في العملية التحكيمية ساعيا وراء التملص من التزامه باتفاق التحكيم واضعا عقبة في طريقه، وهنا فانه من حق المحكم او هيئة التحكيم في عقود الاستثمارات الاجنبية ان ترد عليه قصدة والا تتوقف الاجراءات التحكيمية الاستثمارية بل تستمر في السير فيها حتى اصدار حكم التحكيم في غياب المدعى عليه المتخلف وهذا الحق مقرر في القوانين التحكيمية.

وتطبيقا لذلك جاء القانون العراقي بنص عام يشمل كلا الطرفين، اذ نصت المادة (٢٦٦) من قانون المرافعات المدنية على انه"يفصل المحكمون في النزاع على اساس عقد التحكيم او شرطه والمستندات وما يقدمه الاطراف لهم وعلى المحكمين ان يحددوا لهم مدة لتقديم لوائحهم ومستنداتهم ويجوز لهم الفصل في النزاع بناءا على الطلبات والمستندات المقدمة من جانب واحد اذا تخلف الطرف الآخر عن تقديم ما لديه من اوجه الدفاع في المدة المحددة".

وكذلك قررت المادة (٣٤) فقرة (٢) من قانون التحكيم المصري النافذ من انه"يجب على المدعى عليه الرد بمذكرة بدفاعه خلال المدة المقررة اتفاقا، او التي تعينها هيئة التحكيم، فاذا تخلف عن ذلك وجب على هيئة التحكيم الاستمرار في الدعوى التحكيمية".

اما القانون الفرنسي فلم يشر الى مسالة تخلف المدعى عليه من المشاركة في العملية التحكيمية، ولعل السبب وراء ذلك يكمن في نية المشرع الفرنسي في عدم اعتبار تخلف المدعى عليه عن المشاركة في الاجراءات التحكيمية دليلا على صحة ادعاءات المدعي، بل ان على المحكم ان يمارس مهمته الملقاة على عاتقه كما لو كان حاضرا من دون التأثر بوجهات نظر المدعي، وهذه المهمة هي الفصل في النزاع عن طريق فحص الادلة والوثائق والمستندات والتحقيق في الوقائع سواء عن طريق جلسات مختصرة او عن طريق جلسات متعددة ومطولة حتى يصل في النهاية الى حكم تحكيمي اكثر مراعاة للدقة والعدل.

اما في حالة تخلف المدعى في منازعات الاستثمار الاجنبي او مستشارية عن الحضور فانة يترتب على ذلك عدم قدرة المدعى علية عن مواصلة السير في العملية التحكيمية، وذلك لعدم علمة فيما اذا كان دفاعة سيؤتى ثمارة ام لا ومن ثم اذا تخلف المدعى ومن ثم المدعى علية عن متابعة سير العملية التحكيمية في هذه المنازعات فللمحكم او لهيأة التحكيم سلطة الحكم بالالغاء الاجراءات التحكيمية، اذ يعد هذا التخلف من

(٧٩) د. عبد الحميد الاحدب، موسوعة التحكيم التجاري الدولي، ج٢، ط٣، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، ٢٠٠٨، ص٤٣٢٢.

(٨٠) د. نبيل اسماعيل عمر، التحكيم في المواد المدنية والتجارية، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠٤، ص١١١.

المدعى بمثابة تنازل عن اتفاق التحكيم الذي ابرمة ومن ثم لايجوز له المطالبة بحقة عن طريق التحكيم ثانية[٨١].

ولعله من نافلة القول انه لايتقيد المحكم او هيأة التحكيم في عقود الاستثمار الاجنبي اثناء المرافعة بالقواعد المعمول بها امام المحاكم الوطنية، بل يمتلك سلطات واسعة عند عدم اتفاق الاطراف على القواعد الواجبة الاعمال التي تمتد لتشمل مسائل الاثبات، اذ يمتلك المحكم سلطة الموازنة بين مختلف الوسائل المقدمة والتقرير حول مدى صحة الدليل وجدواه بالنسبة للقضية المنظورة من اثبات بالوثائق والمستندات او بشهادة الشهود، او باجراء معاينة، او بانتداب خبير، كما قد يرى في اطار التعاون مع المحكمة القضائية المختصة اصدار امر باتخاذ اجراءات وقتية او تحفظية تأمينا لتنفيذ حكم التحكيم في عقود الاستثمارات الاجنبية المنظر اصداره[٨٢].

وعلى المحكم ان يطبق القواعد الموضوعية والاجراءات الشكلية في القانون المتفق عليه مالم يتفق الخصوم على اعفاءه من هذه الاجراءات، الا ان السؤال الذي يمكن ان يثار هنا هو : أي من الاجراءات الشكلية التي يجب على المحكم تطبيقها ؟ فهل هي الاجراءات المتبعة امام المحكمة ذات الدرجة الاولى او المحكمة ذات الدرجة الثانية على اعتبار ان الدعوى التحكيمية تبدأ بالطريقة نفسها التي تبدأ بها الدعوى القضائية ؟

فبالنسبة للتشريع العراقي وازاء عدم وجود ادنى اختلاف في الاجراءات الشكلية المتبعة امام المحاكم العراقية سواء اكانت هذه المحاكم من الدرجة الاولى كمحاكم البداءة، ام من الدرجة الثانية كمحاكم الاستئناف هذا من ناحية، واذ ان التشريع العراقي ينص على ان قرار المحكم لاينفذ مالم تصادق عليه المحكمة المختصة اصلا بنظر النزاع، الامر الذي يفهم منه انه على المحكم والخصوم اتباع اجراءات المحكمة المختصة بنظر النزاع.

الخاتمة

١. لاحضنا تباين تعريفات الفقه للاستثمار الاجنبي دون ان يفلح احداها في ان يكون تعريفا جامعا مانعا، وعليه قد يكون من الاصح عدم التعويل على أي من هذه التعريفات كاطار محدد لظاهرة الاستثمار، اذ ان الاستثمار ليس بالواقعة الاقتصادية او القانونية المحددة، بل انه يمثل في الواقع مفهوما متغيرا ومتطورا يتغير ويتطور بتطور الظروف والاوضاع الاقتصادية على المستوى الدولي، فهو مفهوم عام قد يضيق وقد يتسع حسب ظروف البلد السياسية والاقتصادية.
٢. لقد تبين لنا ان المشرع العراقي قد تبنى المفهوم المرن في تعريف الاستثمار لكونه لم يحدد مجالات الاستثمار في قانون الاستثمار النافذ رقم (١٣) لسنة ٢٠٠٦ وذلك طبقا للمادة (١\ن) التي نصت على ان الاستثمار هو"توظيف المال في أي نشاط او مشروع اقتصادي يعود بالمنفعة المشروعة على البلد".
٣. لقد رأينا ان طريقة التعداد الحصري للاموال المستثمرة الخاضعة للحماية التشريعية لاتنسجم مع المرونة اللازمة من اجل مواكبة التطور العلمي والتكنلوجي، فضلا عن ذلك فان المشرع مهما احتاط فانه لايستطيع ان يستوعب جميع صور الاموال المستثمرة.

(٨١) د. اسعد فاضل منديل، التحكيم في قانون المرافعات العراقي، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الحقوق، جامعة النهرين، ٢٠٠٢، ص١٥٤.

(٨٢) د. مصطفى محمد الجمال و د. عكاشة عبد العال، مصدر سابق، ص٦٩٤.

٤. لقد امكننا ان نحدد تعريفا شاملا لعقد الاستثمار الاجنبي بالاتي وهو "عقد تبرمه الدولة المضيفة للاستثمار مع طرف اخر اجنبي سواء اكان طبيعيا او معنويا عاما او خاصا بموجبه تنتقل رؤوس الاموال الاجنبية والخبرات الادارية والفنية وادوات التقدم التكنلوجي المتطور مقابل حصول المستثمر الاجنبي على المواد الاولية والاعفاءات الضريبية واجرة الايدي العاملة وتكاليف نقل قليلة وارباح كبيرة".

٥. اتضح لنا ان مبدأ استئثار هيأة التحكيم بتسوية النزاع من شانه ان يحقق الفاعلية لعملية التحكيم، اذ انه يكفل استقلال هيئة التحكيم بنظر النزاع دون ان تتدخل معها في ذلك أي جهات قضائية.

٦. لقد ايدنا الاتجاه الفقهي الذي يقول بان اتفاق التحكيم الذي قبلته الدولة يجب ان يمتد في اثاره ليشمل تنفيذ حكم التحكيم لكون ان اتفاق التحكيم الذي تورده الدولة في عقودها مع المستثمرين الاجانب يفيد تنازلها عن حصانتها ضد تنفيذ حكم التحكيم، واذا كانت تنوي غير ذلك فانه يتعين عليها التأكيد منذ البداية على تمسكها بهذه الحصانة ضد تنفيذ حكم التحكيم.

٧. كما اننا اتفقنا مع الاتجاه الفقهي الذي يشترط وجود إرادة صريحة ومؤكدة بشان تحديد القانون الذي يحكم اتفاق التحكيم في مجال منازعات عقود الاستثمار الاجنبي وذلك تفاديا لاي لبس او غموض قد يثور في حالة الاخذ بالارادة الضمنية لاطراف النزاع.

أسلوب السُّخرية في قصيدة : (تنويمة الجياع) ـ للجواهري

دراسة تحليلية،ودلالية

أ.م.د. الدكتور علي رحيم هادي الحلو*

مقدمة

قد تتكررِ العبقرية، ولكن بعد طول انتظار، فانظر كم قرنًا بين المتنبي والجواهري ؟ وكم على الأمة أن تترقّب مولودا يثلثهما ؟

هكذا هي الأمم الحيّة ـ ولاسيّما عندما تتطلع في سماوات الشعر، ومراتب الإبداع الأدبي ـ تُعظِّم حضارتها، وتعلي مكانة بُناتها، وتُخلِّد مبدعيها، وها نحن اليوم نقف عند شاعرٍ من مبدعي الحضارة .

لقد عاد المتنبي في الجواهري، شموخًا، وتمرّدًا، وحبًّا، وجزالة، وصورًا حيّةً ناطقة من الحياة، ورفضًا للظلم، وحربًا على الطغاة وتطلعًا إلى الغد المشرق .

رقد الجواهري في قبره، لكنه يعيش معنا كبرياءً وإباءً، وعنفوانًا طاغيًا، وحلاوةً في التعبير، وسلاسة ما بعدها سلاسة، فاستحقّ المجد كل المجد، إنّهُ الخلود الذي ما بعده خلود .

لقد نظم الجواهري في موضوعات شتّى، وأطال فيما نظم، فكان من أغزر الشعراء عطاءً . وقصائده على طولها تجدُها عرائسَ البلاغة العربية، فلا إسفاف، ولا نزول عن قمة الإبداع .

وأصبح الجواهري قِمةً للشعر، وسيبقى، ولا نغالي إذا قلنا: لم يولد شاعر بعد المتنبي إلا الجواهري، لأنه لا يسعه الكَلِم، ولا يحدُّه زمان، ولا مكان ؛ لأنه كما قال المرحوم الدكتور طه حسين : هذا شاعر العرب الأكبر، الآن بدأت استمع الشعر الشعر، ساعة إلقاء الجواهري قصيدته في الذكرى الألفية لوفاة المعري، حيث بلغ قوله :

لحرية الفكر تاريخٌ يحدثُنا بأنّ ألفَ مسيحٍ دونها صُلِبَا

وصدَق الدكتور المرحوم علي جواد الطاهر إذ وصفه بقوله : (الجواهري هو الجواهري، وكفى) [1] .

لقد قَلَّبْتُ قصائدَ الجواهري لعلّي أختار لؤلؤة من بينها، فأعياني التمييز بين الدُّرر، وكلٌّ واحدةٍ منها تتباهى على أختها، فلا تميزها، ووجدتُ منها ما ارتبط بمناسبة، ومنها ما ارتبط عفوًا بما رآه الجواهري قضيةً، أو ليكون قضيّةً، أو موضوعًا لدى الشاعر .

---

* عميد كلية الشريعة الإسلامية /جامعة أهل البيت (ع)

(١) ملف أصدرته جامعة الموصل احتفاءً بالشاعر الجواهري في ١٩٨٠/٢/٢٠م .

ولما كان البحث الأكاديمي يُلزِمُنا أن نُحدّد موضوعًا، فقد وقع الاختيار على رائعة الشاعر (تنوية الجياع). ولأجل الدقة في التحديد سأتناول أسلوب السخرية في هذه القصيدة، ومدى مساهمة الشاعر من خلال قصيدته هذه في إيصال أفكاره إلى المتلقي، وأثر ذلك فيه .

اشتمل البحث ـ بعد هذه المقدمة ـ على تمهيد بينت فيه أن الجواهري اتخذ الإنسانَ وهمومَه قضيتَه الأولى، ولاسيّما قضية المحرومين من شعبه، وتناولت مقدمتيه النثريتين اللّتين قدّم بهما لدواوينه .

وتلت التمهيد ثلاثة مباحث، عرض الأول منها جوانب عن الشاعر وقصيدته(تنوية الجياع) . أما المبحث الثاني فعرض أسلوب القصيدة، وعرضَ المبحثُ الثالثَ أفكارها . ثم جاءت النتائج التي تراءت لنا من خلال تحليلنا القصيدة، فأوجزنا ما توصلنا إليه في المباحث التي مرّت قبلُ، فثبت بمراجع البحث ومصادره .

تمهيد

قد يختلف الدارسون في الجواهري إنسانًا، أو شاعرًا، في هذا الموقف أو ذاك، ولكنهم يُجمعون أنهُ قضيةٌ كُبرى، **وأنّ** شعرهُ قضية الشعر الكبرى، وأنهُ بحرٌ زاخر من العطاء الفكري الثّر الذي سيبقى خالدًا .

لقد ترددت قصائدهُ على الألسن، وتناولتها الأقلام، لأنه اختط لنفسهِ طريقًا جاعلاً فيه الإنسان قضيته .يقول ماجد السامرائي : (وإذا كانت حرية الفكر من أخصّ ما يشغل الجواهري الشاعر من قضايا ؛ فذلك لأنه كان قد جعل الإنسان فيه أساسًا في مواجهة واقعه، ومن خلال قضية حرية الفكر كان يكتب شعرًا، يحرر فيه المكبوت الفردي والاجتماعي، وينخرط في تاريخ عصره، واضعًا هذا التاريخ موضع مواجهة، وتساؤل مستمرين) [٢] .

وقد وُهِبَ الجواهري ملَكة الإبداع من خيال وأحاسيس وخزين ألفاظ، ما لم يتهيأ لسواه، فأَحْكَمْ ذلك بما وطّن نفسه عليه من صقلٍ وتثقيف، ليكون الألق على جبين الشعر العربي، وليكون تاريخًا، وهويّة، وليكون أعاصير، و فكرًا خلاّقًا، ونورًا من دونما انطفاء :

(أبا فراتٍ، ضميرَ الشعب، أنتَ لنا تاريخُنا، الأمسُ واليومُ الرضيُّ وَغَد) [٣]

وكما قال الدكتور المرحوم إبراهيم السامرائي :

(يا واهبَ الحرفِ ما لم يمتلك مِقةً ومُطلعَ الحرفِ من أنماطِهِ سَرَقُ
أنطقته وهو عيٌّ في سواك بما دعوتَه فأتاك الأمرُ يتّفق) [٤]

يقول ميري البصري : (الجواهري عملاق الشعر العربي الحديث، عبّاسي الديباجة، طويل النفس، يرصّ كلماته وأشطره رصًّا، فتجيء كالصرح الممرّد، أو الطود الشامخ، ويكسو معانيه أثوابًا مؤنقة من جزل الألفاظ)[٥].

وفضلا عن عطاء الجواهري الشعري فله مقدمتان نثريتان قدّم بهما لدواوينه الشعرية، **الأولى:** عنوانها (على قارعة الطريق)، صدّر بها أول ديوان له، وظلت في طبعاته اللاحقة، وكذا صدّر بها مختاراته .

وفي هذه المقدمة أفصح الجواهري ـ بأسلوبٍ مباشر، أو بالرمز ـ عما اختمر في نفسه ووجدانه، وروحه، من أفكار قرر أن يجعلها رضاب حياته، ومنهجًا لا يمكن أن يحيد عنه، مهما كلّفه ذلك من عناء ومشقة. وهذا ما كان للشاعر.

---

(٢) المجلة الثقافية –الجامعة الأردنية– عدد : ٤٢، سنة ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م / مقال : تأملات في عالَم شعري / ٩٨ .
(٣) من قصيدة للدكتور سعيد الزبيدي، ألقاها بمناسبة احتفاء جامعة الموصل بالشاعر في ١٩٨٠/٢/٢٠م .
(٤) المجلة الثقافية / ١٠٠.
(٥) أعلام الأدب العراقي الحديث ١ـ١٨٢ .

الثانية : عُنوانها (بدر)، وهي كلمة قدّمَها من إذاعة بغداد، لمناسبة الذكرى الرابعة لوفاة بدر شاكر السياب .

يقول ماجد السامرائي : (في الوثيقة الأولى (على قارعة الطريق) شهادة على الذات والواقع، فالشاعر يكلّم الذات، والذات ترتدّ إلى الواقع في حركةٍ مدوّمةٍ مُحمّلةٍ فيها تحديد لمسار اختيار، ونابضة بموقف يجلو صفحته دون خشية وارتياب .

وأما في الوثيقة الثانية فإن ذاتِ الشاعر تُكَلِّمُ نظيرها الشعري بلغة مفتوحة على الحياة، وشِعر الحياة)[٦].

الذي أذهب إليه في هاتين المُقدمتين النثريتين أنهما من أصدق ما صور فيه الشاعر مشاعره، لكنه كان ناثرًا لا شاعرًا، وأفصح بهما عن أفكاره بصراحة ودقة وصدق، وهما قد ترتقيان مرتبةً أعلى مما بثّه من شعور، أو آراء في قصائده

المبحث الأول

مدخل إلى عالم الشاعر،وقصيدته

أ. الشاعر:

إنّ من يلج عالم الجواهري من أيِّ جانب شاء عليه أن تكون له أوليات في علومٍ شتى، نحو : علمِ الاجتماع، وعلم الأديان، وعلمِ النفس، وعلومِ اللغة، وغيرها من العلوم ؛ لأن الشاعر لم يكن إنسانًا اعتياديًّا، فقد امتلك موهبةً وإلهامًا وصبرًا، ورغبةً في المواصلَةِ، وقد صرح هو بذلك في مذكراته . فهو قد عاشِ بيئةً متناقضة في النجف، وكما هو حال العراق، بل قل في حياته كلها، يقول: (كانت سنوات حياتي تُختصر قسرًا إلى شهور بل أسابيع، وقد حملت إلى حياة سنواتي اللاحقة تبعات كل تلك الفترة التي سُرِقَت مني، حملتها بكل تناقضاتها ومباذلها، وعُقَدِها، ومفارقاتها، حيث انعكست على حياتي وشعري، بل وعلى تعاملي مع الناس، ومَن معي)[٧].

ويقول عن نشأته، وعن موهبته التي فاقت المواهب، ومعرفة الآخرين بذلك : (لقد بدأتُ في مجالس النجف مستمعًا صغيرًا مسحورًا بإيقاع الشعر وصوره، ثم أصبحت وأنا أتصاعد شيئًا فشيئًا ممن يشبه المثل به، والتحدث عنه في هذا المجال، وأنا ما أزال في عنفوان الصبا، فحيثما ذهبت كان أترابي، وحتى من درست عليهم يتسلّون باختبار حافظتي الشعرية، وكانوا يتلون علي أربعة أو خمسة، بل حتى سبعة أبياتٍ وعليّ أن أعيدها على الفور، فأعيدها فعلاً ولمرة واحدة، ويصل الرهان فيما بينهم بهذا الصدد حدًّا بعيدًا، فقد تقدم صديق عزيز عليّ، ومن صميم مشابك العروق العائلية في الأسرة، وهو السيد(علي الجصاني)، ووضع أمام عيني ليرة رشادية ذهبية، كنت أحلم بأمثالها، وقال: إنها لك إذا حفظت كل هذه الأبيات في يوم واحد، وبين إغراء الليرة الذهبية، وإغراء التحدي أخذت حزمة الورق تلك، وفيها أكثر من أربعمئة بيت من الشعر أبيح لي فيها عشرون غلطة، البيت بكاملة غلطة، والكلمة غلطة، وعدت إلى المجلس في اليوم التالي، وبدأت أتلوها عن ظهر قلب، وأنا أرى العيون والوجوه من حولي مدهوشة، وقد كانت غلطاتي المفروضة عليّ دون ذلك، وحين انتهيت كانت الليرة الذهبية في جيبي، وهي تكاد أن تكون كفاف عيش لشهر واحد لمن أراد الكفاف، وإلى جانبها وليمة فخمة لشلة كبيرة من أترابي .. في نهاية المطاف أدرك والدي استحالة ما أراد منعي عنه .وأريد أن أشير إلى أنّ هذا الوالد المتزمت بدلا من أن يصوغ ولده كما أراد، أخذ يتأثر به)[٨].

---

(٦) المجلة الثقافية / ١٣٠ .

(٧) ذكرياتي ١/٥٣ .

(٨) ذكرياتي ١ / ٧٠ .

وعلى الرغم من الصراع النفسي الذي عاشه الشاعر في بيئة متناقضة، كان تَوّاقًا إلى التمرد متطلعا إلى التغيير، مهما كلفه ذلك من خسائر، وقد حصلت له كثيراً[٩]، إزاء مغريات لا تُقاوم ـ قد لا يقوى على رفضها سواه ـ، وقد يقابلها جوع، وسجن، أو تشريد وغربة..لكنه الجواهري الذي خاض غمار ذلك كلّه منتصراً ؛ لأنه آمن بخط النور، والحرية، وحقّ الإنسان في العيش الكريم، يقول في علاقته بالناس : (من حقي ـ وقد كُتِب عليَّ ـ أن أكون أكثر من أي شاعر معاصر عشته وعاشني انشداداً بالجماهير العربية، ولا سيما بالطلائع الواعية منها، وأشدَّ مشاركة في مطامحهم ومعاناتهم)[١٠].

ولما كان لنشأة الشاعر الأولى أثرٌ بالغٌ في بنائه الأدبي، والنفسي ـ من الجوانب كافة ـ فقد كان من بين تلك المؤثرات فيه ابنُ الكوفة الأول(أبو الطيب المتنبي)، فكانه، وهو يقول فيه :

تحدى الموت واختزل الزمانا ... فتًى لوّى من الزمن العِنانا
فتى خبط الدُّنا والناس طُرًّا ... وآلى أن يكونَهما فكانا
ويا ابن الكوفة الحمراء وشّى ... بها سمط اللآلئ والجُمانا

ويقول عن نفسه : أنا ابن كوفتك الحمراء لي طَنَبٌ ... بها وإن طاح من أركانه عَمَدُ

وأفصح الجواهري عن تعلقه بالمتنبي فقال : (وجدتني وأنا صغير السنّ، وكأنني أريد هذه المرة التعرف على أيّ بقعةٍ من (حي كندة) في الكوفة كان مولد هذا العبقري)[١١].

لقد كان الجواهري متأثراً أيّما تأثُّر بالشعراء الذين سبقوه، ولاسيما العباسيون، وفي مقدمتهم المتنبي، ويظهر ذلك جليًّا في قصائده التي جارى فيها أولئك الشعراء[١٢].

ب القصيدة :

نامي جياعَ الشَّعبِ نامي ... حرسَتْكِ آلِهةُ الطَّعامِ
نامي فإن لم تشبعي ... مِن يقظةٍ فمِنَ المنامِ
نامي على زُبدِ الوعود ... يُداف في عسلِ الكلام
نامي تزُركِ عرائس الأحـ ... ـلام في جُنحِ الظلام
تتنوري قرصَ الرغيفِ ... كدورةِ البدرِ التمام!
وتَري زرائبكِ الفِساحَ ... مبلّطاتٍ بالرُّخام

❖❖❖

نامي تَصِحّي! نِعمَ نومُ ... المرءِ في الكُرَبِ الجِسام
نامي على حمَةِ القنا ... نامي على حدِّ الحُسام
نامي إلى يومِ النشور ... ويومِ يُؤذَنُ بالقيام
نامي على المستنقعات ... تموج باللُّججِ الطوامي

---

(٩) ذكر الشاعر كثيراً من ذلك في مذكراته، بل إنّ كثيراً من قصائده سجلت ذلك في مناسبات شتّى .

(١٠) ذكرياتي١/١٤. ومن أبياته المعبّرة عن ألمه، وألم الناس قوله :
عرفتنا الآلام لونًا، لونا ... وأرتنا الممات ساعًا، فساعا : من قصيدة :(الدم يتكلم).

(١١) ذكرياتي١/٣٧.

(١٢) مثلا قصيدته في هاشم الوتري : مجّدتُ فيك مشاعراً ومواهبا ... هي قريبة من قصيدة أبي الطيب :
بأبي الشموس الجانحات غواربا ... اللابسات من الحرير جلاببا

زخَّـــارةً بـــشذى الأقـــاح ... يمـــدُّه نفـــحُ الخـــزام
نـــامي علـــى نغـــمِ البعـــوض ... كأنـــه ســـجعُ الحمـــام
نـــامي علـــى هـــدْيِ الطبيعـــ ... ـــةِ لم تُحَـــلَّ بهـــا((ميـــامي))
نـــامي فقـــد أضـــفى((العـــ ... ـــراءُ)) عليـــكِ أثـــوابَ الغـــرام
نـــامي علـــى حُلـــمِ الحواصـــدِ ... عاريـــاتٍ للحـــزام
متراقـــصاتٍ والـــسياطُ ... تُجـــدُّ عزفًـــا بـــارتزام
وتغـــازلي والنَّاعمـــاتِ ... الزَّاحفـــاتِ مِـــنَ الهـــوام
نـــامي علـــى مهـــدِ الأذى ... وتوسَّـــدي خـــدَّ الرُّغـــام
واستفرشـــي صـــمَّ الحَـــصا ... وتلحَّفـــي ظُلُـــلَ الغمـــام
نـــامي فقـــد أنهـــى ((مُجيـــ ... ـــعُ الـــشعبِ))أيَّـــامَ الـــصيام
نـــامي فقـــد غنَّـــى((إلـــهُ ... الحـــربِ)) ألحـــانَ الـــسلام!

* * *

نـــامي جيـــاعَ الـــشعبِ نـــامي ... الفَجـــرُ آذَنَ بانـــصرام
والـــشمس لـــن تؤذيـــكِ ... بعـــدُ بمـــا تـــوهَّج مـــن ضـــرام
والنورُ لن ((يُعمي!)) جفونًا ... قـــد جـــبِلن علـــى الظـــلال
نـــامي كعهـــدكِ بـــالكَرى ... وبلُطفـــهِ مـــن عهـــدٍ حـــام
نـــامي .. غـــدٌ يـــسقيكِ مِـــن ... عـــسلٍ وخمـــرِ ألـــفِ جـــام
أجـــرِ الـــذليل، وبـــردِ أفئـــدةٍ ... إلى العليـــاءِ ظـــوامي
نـــامي . وسِـــيري في منامـــكِ ... مـــا اســـتطعت إلى الأمـــام
نـــامي علـــى تلـــكَ العظـــاتِ ... الغُـــرِ مِـــن ذاكَ الإمـــام
يُوصـــيكِ أن لا تطمعـــي ... مـــن مـــال ربـــكِ في حطـــام
يُوصـــيكِ أنْ تـــدعي المبـــاهجَ ... واللذائـــذَ لِلَّئـــام
وتعوَّضـــي عـــن كـــلِّ ذلـــكَ ... بالـــسُجودِ وبالقيـــام
نـــامي علـــى الخُطَـــبِ الطِّـــوال ... مِـــن الغطارفـــة العظـــام
نـــامي يُـــساقَطُ الموعـــو ... دُ فوقَـــكِ بانتظـــام
نـــامي علـــى تلـــكَ المبـــاهجِ ... لم تَـــدَعْ ســـهمًا لرامـــي
لِم تُبـــقِ مـــن ((نُقـــلٍ!)) يـــسرُّكِ ... لِم تجئـــه .. ومـــن أدام
بنـــتَ البيـــوتِ وفجَّـــرت ... جـــردَ الـــصحارى والمـــوامي
نـــامي تطُـــفُ حـــورُ الجنـــان ... عليـــكِ منهـــا بالمُـــدام
نـــامي علـــى الـــبرص المبيـــ ... ـــضِ مـــن ســـوادكِ والجُـــذام
نـــامي فكـــفُّ اللهِ تغـــسـ ... ـــلُ عنـــكِ أدرانَ الـــسقام
نـــامي فحـــرزُ المـــؤمنينَ يَـــذ ... بُّ عنـــكِ علـــى الـــدوام
نـــامي فمـــا الـــدُّنيا ســـوى ... ((جـــسرٍ!)) علـــى نكـــدٍ مُقـــام

* * *

نـــــامي ولا تتجـــــادلي القـولُ مـا قالـتْ ((حَـذام))
نـامي علـى المجـدِ القـديم وفـوقَ كُـومٍ مـن عظـام
تِيهـي بأشـباهِ العـصاميّين! منـكِ علـى ((عِـصام))
الـــرافعينَ الهـــامَ مِـــن جُثـثٍ فَرشْـتِ لِهـم وهـام
والـواحمينَ ومِـن دمائـكِ يرتـوي شِـرهُ الوحـام
نـامي فنومُـكِ خـيرُ مـا حِمـلَ المـؤرَّخُ مـن وسـام
نـامي جيـاعَ الـشعبِ نـامي برَّئْـتِ مِـن عيـبٍ وذام
نامي فإنَّ الوحدةَ العصماء! تطلـبُ أن تنـامي الـسلام
نـامي جيـاعَ الـشعبِ نـامي النـومُ مِـن نِعـمِ الـسلام
تتوحَّـدُ الأحـزابُ فيـه ويُتَّقـى خطـرُ الـصِدام!

تهدا الجموعُ بِهِ وتستغنى الصفوفُ عن انقسام

إنَّ الحماقـةَ أنْ تـشقَّي بـالنهوضِ عـصا الوئـام
والطـيشُ أنْ لا تلجئـي مِـن حاكِميـكِ إلى احتكـام
الـنفسُ كـالفرسِ الجَمـوحِ وعقلُـها مثـلُ اللجـام

نامي فإنَّ صلاحَ أمرٍ فاسدٍ في أنْ تنامي
والعروةُ الوثقى! إذا استيقظتِ تؤذِنُ بانفصام

نـــامي وإلاَّ فالـــصفوفُ تئـولُ منـكِ إلى انقـسام
نـامي فنومُـكِ فتنـةٌ إيقاظُهـا شـرُّ الأثـام
هـل غـيرُ أنْ تتيقَّظـي فتعِـاودي كـرَّ الخـصام

***

نـامي جيـاعَ الـشعبِ نـامي لا تقطعـي رزقَ الأنـام

لا تقطعي رزقَ المُتاجِرِ والمُهندس، والمحامي!

نـامي تُريحـي الحـاكمينَ مِـن اشـتباكٍ والتحـام
نـامي تـوقَّ بـكِ الـصحافةُ مِـن شـكوكٍ واتهـام
يحمِـدْ لـكِ القـانونُ صُنعَ مطاوعٍ سلسِ الخُطام
خلِّ ((الهُمامَ!)) بفضلِ نو مـكِ يتَّقـي شـرَّ الهُمـام

وتجنَّبي الشُبُهاتِ في وعيٍ سيوصَمُ باجترام

***

نـــامي فجِـــلدُكِ لا يُطيـــقُ إذا صـــحا وقـــعَ الـــسهام
نـــامي وخلِّـــي الناهـــضينِ لوحـــدِهم هـــدفُ الروامـــي
نـــامي وخلِّـــي اللائمـــينَ فمـــا يُـــضيركِ أنْ تُلامـــي!
نـــامي فجـــدرانُ الـــسجونِ تِعـــجُّ بـــالموتِ الـــزؤام

ولأنتِ أجـوجُ بعـدَ أتعـابِ الـرُّضـوخِ إلـى جِمـام
نامي يـرحْ بمنـامكِ ((الـزُّعمـاءُ؟)) من داءٍ عُقـام
نـامي فحقّـكِ لـن يـضيعَ ولـستِ غُفـلاً ! كالـسَّوام
إنَّ ((الرُّعـاةَ!)) الـساهرين ســيمنعونكِ أن تـضامي

* * *

نـــامي علـــى جَـــوْرٍ كمـــا حُمِلَ الرضيعُ على الفطام
وقَعـي علـى البلـوى كمـا وقع ((الحسامُ!)) على الحسام

نامي عـلى جيـشٍ من الآلامِ محتشِدٍ لهُـام
أعطـــي القيـــادة للقـــضاءِ وحكَميـــــهِ في الزمـــــام

واستسلمي للحادثاتِ المُشفقاتِ على النيام
إنَّ التـيقّظَ ـ لـو علِمـتِ ـ طليعـــةُ المـــوتِ الـــزُّؤام
والـــوعيُ ســـيفٌ يُبتلـــى يـــومَ التقـــارُعِ! بـــانثلام

* * *

نـــامي شَـــذاةَ الطُهرِنـــامي يـــا دُرَّةً بـــينَ الرُّكـــام
يـــا نبتـــةَ البـــلوى ويـــا وردًا ترعـــرعَ في اهتـــضام
يـــا حُـــرَّةً لم تـــدرِ مـــا معنـــى اضـــطغان وانتقـــام!
يـــا شُـــعلةَ النُـــورِ الَّـــتي تُعشي العيونَ بلا اضطرام!
ســـبحانَ ربِـــكِ صـــورةً تزهـو علـى الـصوّرِ الوسـام
إذْ تختـــفينَ بـــلا اهتمـــامٍ أو تُـــسفرينَ بـــلا لثـــام
إذْ تحملـــينَ الـــشرَّ صـــابرةً مـــن الهُـــوجِ الطَّغـــام
بوركـت مـن ((شَـفعٍ)) فـإنْ نـزلَ الـبلاءُ فمـنْ ((تـوام))
كـم تـصمُدينَ علـى العتـابِ وتـــسخرينَ مـــن المـــلام!
ســـبحانَ ربِـــكِ صـــورةً هي والخطوبُ على انسجام

نـامي جيـاعَ الـشعبِ نـامي النـــومُ أرعـــى للـــذمّام
والنّـــومُ أدعـــى للنـــزولِ علـــى الـــسّكينةِ والنظـــام

***

نامـي فـإنّكِ فـي الشـدائدِ تخلُصـينَ مِن الزّحام
نامـي جيـاع الشـعبِ لا تُعنـي بسِقطٍ من كِلامي
نـــامي فمـــا كـــانَ القـــصيدُ ســـوى خُريـــزٍ في نظـــام
نـــامي فقـــدْ حُـــبَّ العمـــاءُ عـــنِ المـــساوئ والتعـــامي

نامي فبئسَ مطامعُ التواعينَ ! مِن سيـفٍ كَـهامِ
نـــامي : إليـــكِ تحـــيّتي وعليـــكِ نائمـــةً ســـلامي
نـامي جيـاعَ الـشعبِ نـامي حرســـتْكِ آلهـــةُ الطّعـــامِ

نظم الشاعر قصيدته سنة ١٩٥١م، وهذا يؤكد أنّ الشاعر قد نظمها بعد اكتمال مقومات النظم الشعري بكل لوازمها لديه، كما يؤكد هذا أنه قد أدرك أنّ رسالة الشاعر بناء الإنسان والحياة، وإقامة المجتمع العادل، فهو عندما نظم هذه القصيدة كان هادفًا إلى إيقاظ الشعب المظلوم للثورة ـ بوعي تام ـ من خلال تصوير معاناته، وبؤسه وحرمانه، بأسلوب ساخر لاذع، انتظم القصيدة من أوّلها إلى آخرها ـ تقريبًا ـ .

ولما كان موضوع القصيدة محنة الجماهير ـ بما تحسه وتعيشه وتتطلع إليه ـ كان الشاعر جديرًا بذلك الاختيار، لما قدمناه أنه كان هاجسُه الأول الناس، والحرية، والتقدم والعدل، فكانت تنويمة الجياع من بين قصائد كثيرة للشاعر توافقها في الفكرة وتخالفها في الأسلوب، توكّد توق الشاعر إلى الحياة التي تحياها الشعوب الكريمة، وأرى أن من كان هذا منهجه ـ فضلاً عن امتلاكه مقومات الإبداع الشعري ـ يكون الخلود نصيبه، وهذا ما كان لأبي فرات بلا خلاف، ولا منازع، وقد امتلأت الساحة الأدبية بمئات الشعراء، ومثلهم النقاد، ومثلهم الحساد، بل قل المناوئون، لكنّ الجواهري حلّق بإنسانيته، وبعطائه، وبفكره المبدع الخلاق ليكون المتنبي الثاني .

لا أريد تفصيل القول فيما يتعلق بالقصيدة ؛ لأنها ستكون محور البحث ـ بعون الله وتوفيقه ـ ولكنّي وجدت أنّ من نافلة القول أنْ أبيّن أن أفكار القصيدة كانت ـ وما زالت، وستبقى ـ ناطقة بصدقٍ، وبموضوعية عمّا يعانيه الفقراء من جور الطغاة، وهذا هو الأدب الحيُّ الخالد .

المبحث الثاني: أسلوب القصيدة

يُعدُّ الأسلوب الأدبي ـ ولاسيما في الشعر ـ من أهم العناصر التي تُساهم في إيصال الأفكار، وهو كذلك الثوب الذي يُظهر الإبداع الأدبي، وبه تبين جماليتُه، فضلاً عن قيمة الأفكار التي يُقدمها الأسلوب، وبقية مقومات النص الأدبي، وقد وجدنا في تحليلنا لأسلوب قصيدة (تنويمة الجياع) الآتي :

١. اتخذ الشاعر السخرية أسلوبًا، فقدم أفكاره بهذا الأسلوب الذي انتظم القصيدة كلها ـ تقريبًا ـ .
٢. لم يُفصِح الشاعر عن مشاعره الخاصّة، وأحاسيسه صراحة، أي : لم يُعلن مباشرة موقفه مما طرحه، فأنت لا تجد أيَّ ضميرٍ للمتكلم الظاهر، و لا المستتر ـ بالإسناد ـ، بل إنّ ذلك بيّنٌ مما قدّمه من أفكار عن الجياع وبؤسهم، وما يُكال لهم من وعود كاذبة، فهو تكلم باسمهم، مصورًا دقائق حالهم، وكأن ذاته منصهرةٌ فيمن تحدّث عنهم بمرارة، وحرارةٍ غير مباشرة، ولو لم يكن الشاعر قد أحسّ ما

كان يُكابده الجياع، وأنّه عاش مِحَنَهم، لما تأتت إليه هذه الصورُ المجسِّدةُ بصدق تلك المعاناة، وذاك الابتلاء .

٣. لقد جاءت أبيات الشاعر مناسبة سهلةً في نطقها، عفوية في طرح أفكارها، وقد انتظمت السلاسةُ تسلسلها، وكأن الشاعر قد دخل قلوب الناس، وتغلغل في أعماق نفوسهم، وهو لم يُعمل فكره في البحث عن مفرداته، ولا مضامينه، بل جاءته طيّعة، تعبّر عمّا يريد، وهذا لعمري الأدب الذي يُقال فيه (السهل الممتنع) .

وأحسب أن موضوع القصيدة، وأصحابها وراء هذه العفوية والسهولة، واليسر في الطرح والأسلوب .

٤. ولما كان الجياع ـ وهم جلُّ الشعب ـ قضيّةَ الشاعر الكبرى، فقد اتخذ أسلوب الخطاب المباشر، فهو استعمل صيغة الأمر (نامي) مُوَجَّهًا لهؤلاء المحرومين، مع أسلوب النداء، وإن حُذِف حرف النداء في (جياع الشعب)، فالمعنى بتقدير : يا جياع الشعب .

وهذا الأسلوب ينمّ عن تحفيز لذات المتلقي في أن يتنبّه لما هو فيه، ولما يجري حوله، ولما عليه فعله .

٥- استخدم الشاعر المشاكلة اللفظية والمعنوية، وعلى وفق أسلوب السخرية، فهو مثلاً ينوّع الشبع، إذ يجعله شبعًا من النوم، لا من الطعام، ومن الوعود لا من الحرية .. والنوم على المباهج، وما في ذلك من طلب الإخلاد للدعة، والسكينة، ولكنها مباهج الكذب التي كانت سهامًا قاتلة من الطغاة :

نامي على تلك المباهـج لم تدع سهمًا لِرامـي

أو دعوته للنوم لأجل التطلع الى الغد المشرق، لكنّ الغد الموعود الذي لا يُرجى مجيؤه، بل هو منصرم :

نامي جياعَ الشعب نامي الفجرُ آذنَ بانصـرام
نامي على مـهد الأذى وتوسّدي خـدَّ الرُّغام

٦ ـ استخدم الشاعر المعاني الإسلامية، والألفاظ القرآنية، وهذا يدلّ على تأثر الشاعر بجو مدينته الديني، فرصّع قصيدته بما كان قد اختزنه في حافظته، ووشّاها مما اقتبسه من القرآن الكريم، نحو قوله :

نامي يساقَطُ رزقك الموعو دُ فوقَكِ بانتظـام[١٣]

وقوله : نامي تَطُف حور الجنـان عليكِ منها بالمُـدام[١٤]

وقوله : نامي إلى يوم النشـور ويوم يؤذن بالقيـام[١٥]

وقوله : وتعوضي عن كل ذلـك بالسجود وبالقيـام[١٦]

٧ ـ نوّع الجواهري في الأساليب التي استخدمها في إيصال أفكاره، فناسب بذلك التنوّع تنوّعَ الأفكار، وقد حلّق في ذلك التنويع، ونمّ ذلك عن دراية واسعة باللغة، وامتلاكه ناصيتها، من حيث إنّ لغتنا

---

(١٣) قال تعالى : (وهُزِّي إليك بجذع النخلةِ تُسَاقِطْ عليكِ رُطَبًا جَنِيًّا) [مريم : ٢٥] . ينظر : المعجم المُفهرس لألفاظ القرآن الكريم /٣٥٦، مادة (سقط) .

(١٤). جمع الشاعر بين فكرة طواف الولدان المُخَلَّدين، وصفة الحور العين، مُستفيدًا مما ورد من ذلك في القرآن الكريم، نحو قوله تعالى : (وحُورٌ عِينٌ) [الواقعة : ٢٢]، ينظر : المعجم المُفهرس لألفاظ القرآن الكريم /٢٢٧، مادة (حور)، وقوله تعالى : (ويطوفُ عليهم غِلمانٌ لهم) [الطور : ٢٤]، ينظر : المعجم المُفهرس لألفاظ القرآن الكريم /٤٣٣ ـ ٤٣٤، مادة (طوف)، وآيات أُخَر كثيرة.

(١٥). وظّف الشاعر فكرة الصبر حتى يوم الحساب لنيل الجزاء على ما يُبتلى به الإنسان، نحو قوله تعالى : (وإليه النُّشور) [الملك : ١٥] . وقوله تعالى : (فيُوَفِّيهم أجورهم) [آل عمران : ٥٧] .ينظر : المعجم المُفهرس لألفاظ القرآن الكريم /٧٠٦، مادة (نشر) .وصـ ٧٦٠، مادة (وفى) .

(١٦) والسجود والقيام مفهوم إسلاميّ يُشير إلى الصلاة، وقد ورد من مادة (سجد) و(قوم) في القرآن الكريم صيغ مختلفة كثيرة نحو قوله تعالى : (وطَهِّر بيتي للطائفين والقائمين والركّعِ السّجودِ) [الحج : ٢٦]، ينظر : المعجم المُفهرس لألفاظ القرآن الكريم /٣٤٩، مادة : سجد .وصـ ٥٨٢، وما بعدها في مادة : قوم .

ثريةٌ بالألفاظ المُعبّرة عن المعنى المُراد بدقةٍ، وغنيّةٌ بالتراكيب الموحية بالدلالات الكثيرة التي يمكن للتعبير احتواؤها، فضلا عما للشاعر من باع طويل وغزير في البلاغة وفنونها، فاستخدم أسلوب الطلب كثيراً، ونوّع في جوابه، ففي مطلع القصيدة طلب من الجياع النوم، وقدّم مسوغاً لذلك بجملة فعليّة مفيدة الدعاء، وفي أعلى تركيب بلاغي معبر، يقول : نامي جياع الشعب نامي حرستك آلهة الطعامِ

وقوله : نامي فقد أضفى ((العـ ـراءُ)) عليك أثوابَ الغرامِ

وقوله : نامي فقد أنهى ((مُجيـ ـع الشعبِ)) أيّام الصيامِ

ومعلوم أن الفعل يفيد دلالة تجدد الحدث [١٧]، وقد أفاد اختيار الأفعال هذه الدلالة .

وأخبر بالجملة الاسمية تعليلاً لطلب النوم، نحو قوله :

نامي جياع الشعب نامي الفجر آذَنَ بآنصرامِ

والشمس لن تُؤذيكِ بعدُ بما توهّجَ من ضرامِ

والنور لن ((يُعمي!)) جفونًا قد جُبِلن على الظلامِ

والذي ذهب إليه العلماء أنّ استعمال الاسم يُفيد الثبوت والدوام [١٨] . وهذا يُمكن تبيّنه في أسلوب الشاعر في الأبيات التي مرّت، وغيرها .

أو التعليل بجملة الشرط، نحو قوله :

نامي فإن لم تشبعي من يقظةٍ فمن المنامِ

أو تعليل الطلب بجوابه، وبجملة المدح بعده، نحو قوله :

نامي تصحّي ! نِعم نومُ المرءِ في الكُربِ الجِسامِ

وكأنه قصد بهذا اقناع الجياع بالنوم، بحسب رأي أعدائهم، بأسلوب ساخر، لا على وجه الحقيقة.

٨- اقتراب لغة الشاعر من المتداول اليومي، - اللغة اليومية - ، ولكنها لغة فصيحة، وقد يُطلق عليه بعضهم لغة الجرائد، فإنه استعان بالألفاظ المتباينة من حيث ترتيبها في منزلتها من حيث كثرة الاستعمال (حتى تقرب من العامية)، وبين الألفاظ العالية في الاستعمال اللغوي الأسلوبي .

يقول أحد الباحثين (إنّ اللغة لدى الجواهري هي اللغة بتاريخها الطويل، وبتراثها كله، وهي أداته الجديرة بالاصطباغ بدماء العصور كلها، فاللفظة عنده لا تنتمي لعصر دون آخر، بل هي اللفظة التي تبقى حيّةً في خياله الخصب) [١٩] . وإن جُلّ أبيات القصيدة لهي أدل على هذه الميزة في القصيدة.

٩- تكررت الألفاظ والتراكيب والتعبيرات، مثلاً : كرر الشاعر صيغة الطلب (نامي) في (٦٦) ستةٍ وستين موضعًا من القصيدة .

وكرر تعبير (نامي جياع الشعب) بتكرار (نامي) معه ومن دونها في (٨) ثمانية مواضع .

وغير ذلك من التكرار الذي زاد من جمال الإيقاع، وتجدد الدلالة، من دونما خللٍ في الموسيقى، ولا في الإيحاء المعنوي، ولا في التأثير العاطفي، ومن دونما ملل لدى المتلقي .

١٠ – وظّف الشاعر بعضِ الأمثال، أو معنى الأمثال، أو الموروث الفكري الشعبي لإيصال فكرته، نحو قوله : نامي تصحّي !نعم نومُ المرء في الكُربِ الجسامِ

وقوله : نامي ولا تتجادلي القولُ ما قالت (حَذامِ)

وقوله : والنّور لن يُعمِي جفونا قد جُبِلْنَ على الظلامِ

---

(١٧) ينظر : معاني الأبنية ـ د.فاضل السامرائي /٩، ومصادره .

(١٨) ينظر : معاني الأبنية /٩، ومصادره .

(١٩) لغة الشعر عند الجواهري د. علي ناصر / ١٧٨ .

الشمس لن تؤذيك بعــدُ بمَا توهّج من ضـــرامِ

١١- أحسن الشاعر في اختياره بحر الكامل ليقدم من خلاله ما اعتلج في داخله من مشاعر وأحاسيس، لما في هذا الوزن من إيقاع ناسب فكرة القصيدة، فانسابت التعبيرات توقع لحنًا ساهم في التأثير في المتلقي ؛ لأن هذا البحر (كثير الإغراء، وافر الإيقاع، يستجيب بطواعيّةٍ لدواعي النفس، وألوان الفكر، شاع بنسبةٍ كبيرةٍ لدى الشّعراء القدماء، واستخدمه كذلك شعراء العصر الحديث، ونظموا فيه قصائد شهيرة، ولا سيما في المجزوء منه، الذي استُغِلّ أحسن استغلال لأغراض مختلفة) [٢٠] .

١٢- وأحسن الشاعر كذلك في اختياره حرف الميم، المكسورة، المؤسّس [٢١] لها بحرف المد (الألف)، رويًّا لقافيته، وكأنه يبغي أمرين، **الأول :** شدّ المتلقي مباشرةً إلى التنبّه، والتيقّظ، وليلهب الحماس، وهذا يمكن تلمّسه من بحر الكامل وألفاظ القصيدة ومعانيها، وقافيتها جميعًا .

الثاني : الهدوء الذي قصده الشاعر في تعبيراته على وجه حق، لا على وجه الحقيقة، لكن ليناسب الأفكار الظاهرة المستفادة من ظاهر الألفاظ، والتراكيب نحو طلب النوم، وغيره، وفي هذا تناغم بين صوت الميم، والمعنى البارز من دونما بحث فيما تحت اللفظ، وليس ما أراد الشاعر من وراء تعبيراته على وجه الحقيقة، ولقد راعى الشاعر في قافيته امتداد الصوت المتأتي من مجموع حروف قافية القصيدة.

١٣- إنَّ ألفاظ القصيدة – على الرغم من اقترابها من الاستعمال اليومي للناس – لم نجد فيها لحنًا، ولا غلطًا في الصيغ، ولا إسفافًا في الاستعمال، ولما كان الشعر يحسب على الشعراء القدماء (الكلاسيك)، فهو ممن عُرف بقوة السبك في العبارات، فنلحظ أنه استعمل الألفاظ الصعبة – على قلّتها – في أبيات القصيدة، نحو قوله :

نامي على مهــدِ الأذى وتوسّدي خَدَّ الرُّغـــام

فاستعمل (الرُّغام) الذي معناه : التراب . وربما قصد به القَسر، من (رغم أنفه) [٢٢] .

وقوله : نامي ..غدٌ يسقيكِ من عسَلٍ وخمرٍ ألفُ جامِ

فاستعمل لفظ (جام)، وقصد به هنا الإناء المستعمل للشراب والطعام [٢٣] .

وقوله : لم تُبق من (نُقلٍ) يسُرُّكِ لَم تجئه .. ومن أدام .

فلفظ (نُقل) وهي الفواكه، ولاسيما التي تُحضر مع الخمرةِ للشاربين . وقد يُراد به ما يُنقل من كلام (وعُود)، أو (أعيان) [٢٤] .

وقوله : الواحِمين ومِن دمائك يرتوي شرَهُ الوحام

فـ(الواحِمين) جمع (وحِمٌ) ؛ الذي أفرطته شهوته في شيء، وقصد به هنا المولعون حدّ الشراهة في دم الشعوب [٢٥] .

وقوله : ولأنتِ أحوجُ بعدَ أتعـــا بِ الرضوخ الى جِمـــامِ [٢٦]

فاستعمل كلمة (جمام)، التي تدل على الكثير، وقصد بها الراحة التامة من هدوء وسكون .

---

(٢٠)المعجم المفصل في اللغة والأدب ٣٠٢/١، ونقل عن مقدمة (الإلياذة) الآتي : (وقد أحسنوا بتسميته كاملاً ؛ لأنَّهُ يَصلُح لكلّ نوعٍ من أنواع الشعر، ولهذا كان كثيرًا في كلام العرب المتقدمين والمتأخرين، وهو أجود في الخبر منه في الإنشاء، وأقرب إلى الشدة منه إلى الرقة) .

(٢١) ينظر : المعجم المفصل في اللغة والأدب ٩٧٠/٢ .

(٢٢) ينظر : مجمل اللغة / ٢٥٦ مادة (رغم)، ولسان العرب ١٨٨/٤ ، مادة رغم .

(٢٣) ينظر : لسان العرب ٢٦٩/٢ مادة (جوم) .

(٢٤) ينظر : لسان العرب ٦٨٣/٨ ، وما بعدها مادة (نقل) .

(٢٥) ينظر : مجمل اللغة / ٢٩٣ . مادة (وحم) . ولسان العرب ٢٤٢/٩ مادة (وحم) .

(٢٦) ينظر : مجمل اللغة / ٩٣ ، مادة (جمّ) . ولسان العرب ٢١٠/٢ ، وما بعدها، مادة (جمّ) .

وقوله : نامي يُرَح بمنامِك الزُّعمـــ اءُ من داءٍ عُقـــام
فاستعمل كلمة (عقام) قصد بذلك الداء الذي لا يبرأ منه (٢٧) .
وقوله : نامي على جيشٍ مـــن الآلام محتشدٍ لُهـــام
فمعنى (لُهام) الجيش العظيم ، كأنه يَلتهم كل شيء (٢٨) .
وربما ثمّة ألفاظ أُخر ، قد يُرى فيها شيء من الصعوبة .

الـمـبـحـث الـثـالـث: أفكار القصيدة

لقد حدّد الجواهري موضوع قصيدته (تنويمة الجياع) ، ولم يذهب بعيدًا عنها ، وهذا ما يُسميه علماء النقد بوحدة الموضوع في النص الأدبي ، وإنّ فكرة القصيدة تعبّر عن البلاء الذي حلّ بشعب الشاعر ، إنه ظُلم شمل جوانب حياتهم كلّها ، وللشعب كلّه ، وقد استطاع الشاعر أن يوظّف خزينه اللغوي ، وتجربته الحياتية التي تنطلق من الواقع المرّ ، وكون الشاعر إنسانًا يحس بعمق ما يتجسد في حياة أهله ، وقد تلوّن عمله من موظف حكومي ، إلى صحفي – كاتبًا أو رئيس تحرير - ، كل هذه وغيرها ساهمت في منح الشاعر البراعة في تقديم صور مختلفة للظلم الذي فرضه الحكام الطغاة على الناس ، فأنت تلحظ مثلا :

١ . فكرة النوم قدَّمها الشاعر بأسلوبٍ ساخر ، وبمسوّغات هي من بنات عقول الطغاة ، فهو :
أ. طلب النوم كي يشبعُ الشعبُ الجائعُ من النوم ، لا من الطعام .
طلب النوم كي يشبع الشعب من الرغيف ، لكن بالأحلام.....
جـ .طلب النوم كي يشبع الشعب لغرض تمام صحته وعافيته .
طلب النوم ولكن في وخز للظالمين الذين أهملوا مسؤوليتهم وتركوا الجياع تفترسهم الأوبئة والأمراض .. ، إذ النوم سيكون على أنغام صوت البعوض .....
هـ. طلب النوم من أجل أن تبقى الأفواه مكمومةً (حرية الفكر).....
طلب النوم استجابةً لخطب الطغاة الكاذبة بوعودهم بالرزق ، فكأنها مواعيد عرقوب
٢.إفادة الشاعر من الأفكار والمفاهيم التي استمدها من الموروث الشعبي ، نحو قوله :
الشمس لن تؤذيـك بعـدُ بما توهّج من ضـرام
وقوله : النور لن يعمـي جفونًا قد جُبِلن على الظـلام
وقوله : نامي جياعِ الشعبِ نامي النوم من نِعمِ السـلام
٣. قدّم الشاعر مسوغ طَلَبِهِ من الجياع النوم - وهذه الدعوةَ قد تكررت ، فعمّت القصيدة كلّها– بسخرية لاذعة ، فكانت النتائج التي آل إليها كل طلب أفكارًا مقصودًا منها إيقاظ الشعب ، لأنّ المآل المترتب على النوم هو ما يدور في عقل المتسلطين ، ونفوسِهم ، وما يرغبون فيه ، وما يقتلون الجياعَ لبلوغِه ، في غاياتٍ باطلةٍ ، وأقاويل زائفة ، وواضح أنّ ذلك لا يُريده الشاعر حقيقةً ، نحو قوله :

(٢٧) ينظر : لسان العرب ٣٧٧/٦ ، وما بعدها ، مادة (عقم) .
(٢٨) ينظر : مجمل اللغة / ٥٨٦ ، مادة (لهم) . ولسان العرب ١٤٤/٨ ، وما بعدها ، مادة (لهم) .

نـامي فـإنّ الوحـدةَ العـصماء ... تطلـــــبُ أن تنـــــامي
وقولـه : نـامِي فإنّ صلاحَ أمسٍ ... فاســـــدٍ في أن تنـــــامي
وقوله : نامي جياعَ الشعبِ نامي ... لا تقطعـــــي رزقَ الأنـــــامِ
لا تقطعـــــي رزق المُتاجِـــــ ... رِ والمُهنـــــدِس والمحـــــامي
نـــامي تُريحِـــي الحـــاكمين ... مِـــن اشـــتباكٍ والتحـــامِ
نـامي تـوقّ بـكِ الـصحافةُ ... مِـــن شـــكوكٍ واتهـــامِ
يحمـــدُ لـــكِ القـــانونُ ... صُـنْعَ مطـاوِعٍ سـلسِ الخُطـامِ

٤ـ ودُّ الشاعر للجياع فهو لم يستطع كتمان حبّه، وإعظامه لشعبه، فراح يُفصِحُ عن جواهرِ هذا الشعب الأبي وراح يظهر معاناتهم، وأساه لذلك، وقد تخللت هذه الفكرة معظم أبيات القصيدة، ولا يخلو كل بيت من أسلوب السخرية، وقد جاء إعظام الشاعر للجياع بصورتين : **الأولى** : إظهاره بؤس الجياع وحرمانهم، وما وقع عليهم من جور وحيف وهم كانوا جديرون بتحمل ما وقع عليهم، ولحق بهم، نحو قوله :

نـــامي فـــإن لم تـــشبعي ... مـــن يقظـــةٍ فمـــن المنـــام
وقوله : نـامي علي المستنقعات ... تمـــوج بـــاللجج الطـــوامي
وقولـه : نـامي غـدٍ يسقيكِ من ... عـسلٍ وخمـرٍ ألـفَ جـامِ
وقوله : نـامي فما الدُّنيا سوى ... جِـسرٍ علـى نكـدٍ مُقـامِ
وقولـه : نـامي على جورٍ كما ... حُمِـلَ الرّضـيعُ علـى الفِطـامِ

والثانيـة : إعظامـه هـؤلاء الجيـاع كـونهم الـدر النقـي مـن البـشر، وأنهم مثـال الـصبر، وأنهم جـذوة النور، وأنهم الصورة العليا التي صوّرها الله في التحمّل، ومواجهة الخطوب، نحو قوله :

نامي شَذاة الطُّهر نامـي ... يا دُرّةً بينَ الرُّكـامِ
يا نبتةَ البلوى ويـا ... وردًا ترعرع في اهتضامِ

إلى أن يقول : نامي إليك تحيّتـي ... وعليكِ نائمةً سلامـــي

٣ـ النصائح أو الحِكَم المقدمة بأسلوب السخرية، وربما الاستهزاء، فقد مزج الشاعر فكرة النصيحة بما يتداوله الناس من تعبيرات قد تكون مما جرى على ألسنتهم، فصاغها بأسلوب ساخر، نحو قوله :

نـــامي علـــى زُبَـــدِ الوعـــودِ ... يُـــداف في عَـــسَلِ الكـــلامِ
وقوله : نامي تصحّي ! نِعمَ نومُ ... المـــرءِ في الكُـــربَ الجـــسامِ
وقولـه : والـشّمس لـن تؤذيـك ... بعـدُ بمـا تـوهّج مـن ضـرامِ
وقولـه : نـامي فكـفُّ الله تغـسـ ... لُ عنـــكِ أدران الـــسّقامِ
وقولـه : نـامي فنومـكِ فِتنـةٌ ... إيقاظُهـــا شَـــرُّ الأثـــامِ

وعلى الرغم من سيطرة السخرية، والتلوين بين الصور المتناقضة، نلمح حقائق مؤلمة، وحِكمًا صاغها الشاعر، نحو قولّه :

نامي فجدران السجِـــون ... تعجُّ بالمـــوتِ الزؤامِ

ونحو قوله : نامي على جورٍ كما ... حُمِلَ الرضيعُ على الفطامِ

ونحو قوله : نامي جياع الشّعب نامي ... النّومُ أرعـى للذّمـــامِ

٤ـ عمت القصيدة أحاسيس الشاعر غير المعلنة، من خلال سخريته، فأذكى النهوض في قلوب الجياع، ولكن بأسلوب هادئ غير معهود بما عُرف عنه في معظم قصائده التي كانت تطفح بمشاعر الثورة، والحث على التغيير بعنف، وأبيات القصيدة كلّها تنمُّ عن هذه الروح، ومسوّغ ذلك – فيما أحسب – هو موضوع القصيدة الذي منه : الجوع، والحرمان، والذل، والمرض، والسجن ومصادرة الحريات، ولا سيّما حرية الفكر، وجعل الأمة في حالة استكانة دائمة، بل الإحباط واليأس والقنوط في نيل أيّ حقٍّ من حقوق الحياة، والحرمان من أيسر تلك الحقوق، نحو قوله :

نـــامي علـــى حُمَـــةِ القنـــا ... نـــامي علـــى حـــدِّ الحُـــسامِ
وقولـه : نـامي غـدٌ يسقيكِ مِن ... عـــسلٍ وخمـــرٍ ألـــفَ جـــامِ
أجـــرَ الـــذليلِ، وبـــردَ أفئـــدةٍ ... إلى العليـــــاً ظـــــوامي
وقولـه : نـامي يُـساقَطُ رزقُـكِ ... دُ فوقَـــــكِ بانتظـــــام

٥ـ فكرة حقّ الحكم الإلهي، وأنه نصيب فئة من البشر، بلا منازع، وهو يُقدمّها بأسلوب ساخر، ومن خـلال هـذا الطـرح يريـد الـشاعر أن يؤكـد أن هـذا الـرأي ممجـوج مرفـوض علـى وفـق القـوانين السماوية، والوضعية، نحو قوله :

أعطـــي القيـــادة للقـــضاءِ ... وحِكّمِيـــــه في الزِّمـــــامِ
واستـــسلمي للحادِثـــاتِ ... المُـــشفقاتِ علـــى النيـــامِ
وقوله : خلِّ الهُمامَ بفضلِ نو ... مـــكِ يتّقـــي شـــرَّ الهُمـــامِ
وتجنّبـــي الـــشُّبهاتِ في وعـــيٍ ... سيوصـــــمُ بـــــاجترامِ

٦ـ الوعود الكثيرة الكاذبة الزائفة، ومزاعم لا حقيقة لها، ومع ذلك يصورها الشاعر وكأنها مِنح من الحقوق من لدن الحكام الطغاة الظالمين للجياع، وبأسلوب السخرية نفسه، فهو يقول :

نـــامي علـــى الخُطَـــبِ الطِـــوالِ ... مِـــــن الغطارِفـــــةِ العِظـــــامِ

ونحو قوله :

نـــامي علـــى تلـــك العظـــات ... الغُـــــرِّ مـــــن ذاك الإمـــــام

يُوصيك أن لا تطعمـي ... من مال ربِّك في حطـام
يُوصيك أن تَدَعي المباهج ... واللذائـذَ لِلئـام

ولم يدع الشاعر تلك الدعوات التي ذكرها على لسان الطغاة إلا وقدّم الجزاء على تحملهم ـ وبحسب عقول أولئك المتسلّطين ـ، مُحيلاً أمر بلواهم الى وعّاض السلاطين الذين يكِلُونهم إلى الغيبيات ومايتبعها، من أجل حلّ مشكلاتهم، فيُشير الى العبادة (الصلاة) وغيرها، فقال :

وتَعوَّضِي عن كلِّ ذلـك ... بِالسّجودِ وبالقيـــامِ

٧ـ فكرة التعلل بالغيب، وأن جوعهم ومآسيهم وبلاءهم سيزول بطاقات غيبيّة، ولكن بأسلوب السخرية، لأنها أفكار لا صحة لها، ولا يحكيها واقع الأمم، بل حقوق الشعوب ـ كما هو معروف ـ تؤخذ بالنضال والتضحيات لا بأحلام النيامِ، نحو قوله :

نامي فكف الله تغســـــ ... ـل عنك أدرانَ السّقـــــام

نـــامي فحـــرزُ المـــؤمنين يَـــذُ ... بُّ عنـــكِ علـــى الـــدّوام
وقولـه : نـامي تطُـف حـورُ الجنـان ... عليـــك منهـــا بالمُـــدام

٨ـ فكرة ترك قيادة الأمة، وشؤونها كافة لمن امتلكوا ذلك الحق، أيًّا كانت مسوّغات هذا التسلط، ومن دونما نقاش، نحو قوله :

وقولـه : نـامي يَـرَحْ بمنامِـكِ الزَعمـا ... ءَ مـــــــن داءٍ عَقـــــــامِ

٩ـ نُصحُ الشاعر الجياعَ أن يتركوا أمرهم ويكلوه إلى من يتصدَّى للدفاعِ عنهم ونيل حقوقهم بسخريةٍ لا حقيقة، نحو قوله :

نـــامي وخَلّـــي الناهـــضين ... لِوَحْـــدِهم هـــدفَ الروامـــي
نـــامي وخَلّـــي اللائمـــينِ ... فمـــا يُـــضُرُّكِ أن تلامـــي
نـــامي فحقّـــك لـــن يـــضيع ... ولـــستِ غُفـــلاً كالـــسوامِ

إنّ الرعاة الساهريـــن ... سيمنعونك أن تُضامِـــي

١٠ ـ مال الشاعر كثيرا إلى تقديم مُسوغٍ لطلبه، أولأخباره، فضلا عن تنويعه لتلك العلل من حيث الأسلوب، فمثلا هو علل طلب النوم بالجملة الشرطية، ولا ننسى سخريته الواضحة في ذلك: نامي، فإن لم تشبعـــي ... من يقظةٍ فمن المنـــام

أو أنّه يقدّم علةً لطلبه نُصحًا طبيًّا، أو فكرة اجتماعية، ويمدح ذلك الفعل، كي ينجوَ من يقوم بذلك من البلايا، وهو لم يُرِد الحقيقة، بل السّخرية، يقول :

نامي تَصِحّي، نِعمَ نـــومُ ... المرءِ في الكُرَبِ العظـــامِ

١١- إنّ القصيدة يمكن عدُّها من أدب التمرد، وهذا ليس جديدا لدى الشاعر، فهو يقول عن نفسه: (مع ما في نفسي ودمي، وحياتي من حبّ التمرد والعصيان) [٢٩].

وقال باحث عن تمرد الجواهري : (إنّ الجواهري أعظم شاعر متمرد عرفه التاريخ قديمًا وحديثًا، بل ومؤسس أول مدرسة في العنف الشعري في تاريخ العراق الحديث) [٣٠].

إنّ الشاعر تحدث عن ظلم الجياع، وعن بؤسهم، وحرمانهم، فهو بذلك يريد ثورتهم لدفع البلاء الذي يخيّم عليهم، بل قل إنه يريدهم أن يتمردّوا على ظالميهم .

نتائج البحث

إنّ من يلِج عالَمَ الجواهري الشعري يجدهُ عالَمًا شعريًّا واسعًا، فهو بحر، ولا أبالغ إن قلت : إن من يُبحِر فيه ومعه لَيَغرقُ في بحره اللُّجِي هذا، حيث تتقاذفه أفكاره، وتحلّق فيه أحاسيسه الإنسانية العليا، وتخلُبُ لبَّه مشاعره التي تطفَحُ بالعواطف المنبثقة من تعبيراته الصادقة، المؤدية المعنى بأبلغ صور البيان، وبأعلى دقةٍ في الدلالة، ولا سيّما عندما يتحدث عن المحرومين، وهذا يوثّق علاقة الشاعر بالقيم الإنسانية، وأنه يتوهّج مشاعل إضاءة للمحرومين، يقول في مقصورته :

أَلَحتَ بِشعركَ للبائـسين ... بِداجِي الخطوبِ بريقَ المُنى

يقول ميري البصري : (وكان الشاعر مؤمنًا بجماهير الشعب، معبّرًا عن آمالها وآلامها)[٣١].

(٢٩) ذكرياتي ١/٣٢٣ .
(٣٠) التمرد الاجتماعي والفني في شعر الجواهري /٤٥ .

وقصيدته (تنويمة الجياع) واحدةٌ من قصائده التي حلّق فيها الشاعر فكرًا، وأسلوبًا، وجمالاً، وهو يجسّد جوانبَ من حياة شعبه المريرة، ومما تبيّناه فيها الآتي :

١ ـ مالَ الشاعر ميلا شديدًا إلى السهولة في تعبيراته، ولا نغالي إذا قلنا : إنّه تحدّث بلغةِ الجياع أنفسِهم، وتداول ألفاظهم، ونقل ما يدور في خلجات نفوسهم، ولكن بسخريةٍ لاذعة، وهذا أعلى درجاتِ الإبلاغ الأدبي .

٢ ـ إنّ الشاعر اختار موضوعًا إنسانيًّا ـ وإنْ كان هذا الموضوعُ قضيةَ الشاعرِ الأولى والكبرى، وما زال وَكدَ المصلحين وكأنه ماثلٌ أمامنا الساعة يُصورُ بشاعة حرمان شعبه، بصدق عجيب .وهذا لَعمري الأدبُ الحيُّ الخالد .

يقول ميري البصري : (لقد كان شعره دائمًا إنسانيَّ النزعة، فوّار العاطفة تقدّميّ الأغراض) [٣٢] .

٣ ـ حسن استفادة الشاعر مما بَنى به ثقافته، فوظّف ما استقاه من جو النجف الديني العام، وما ثقّف به مَلَكَتَه من جو عائلته، بجهده الخاص، لترصين أسلوبه، وتحصينه، وتقديم أفكاره بأبهى الأثواب، وقد ظهر ذلك جليًّا في معظم ما عبّر به من أساليب، وما قدّم من أفكار، ولا سيّما التأثر بالقرآن الكريم .

٤ ـ توزّعتِ القصيدةَ الأساليبُ المتنوّعة، ما بين الطلب والإخبار، فتجد من الطلب : الأمر، والنهي، والاستفهام، والنداء..أما الإخبار فجاء بالجمل الاسمية، وكذا بالجمل الفعلية، وبالجمل الشرطية وغيرِها، ومنها استخدامه لفعل المدح (نعم)، وفعل الذم(بئس) . وقد قصد الشاعر بهذا التنويع والتلوين حسنَ مناسبةِ الأسلوبِ للفكرةِ التي طرحها، فبلغ المرمى بدقةٍ ما بعدها دقة، وظهرت في ذلكَ درايته في اللغة، ثمّ عن إحاطته بها، وإلمامه بخزين لغوي ضخم.

٥ ـ على الرغم من أنّ الشاعر عرض أفكاره بسخرية لاذعة، لكنه لم ينسَ هؤلاء الجياع المحرومين، فخصّهم بأبياتٍ عدّة، أعظَمَهم فيها أيما إعظام، وأجلّهم أيما إجلال .

٦ ـ حسن اختيار الشاعر لوزن القصيدة، فقد اختار البحر الكامل ؛لما فيه من هدوء، وإيقاعٍ مناسب لغرض القصيدة، وأفكارها . وكذا جاءت قافية الميم المحركة بالكسر لتُطيل انسياب الهدوء الذي يريده الشاعر لمعنى النوم ـ وإن كان ساخرًا ـ ليتناسب الصوت مع فعل النوم، وكأنّ الشاعر يهدهد صبيانًا أضناهم الجوع حقًّا، وبهذا الترنيم يوصلهم إلى النوم، أو ليطول حدثه، وإن لم يُرِده الشاعر حقيقةً

المراجع والمصادر

القرآن الكريم

١ - أعلام الأدب في العراق الحديث ـ ميري البصري ـ دار الحكمة ـ ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م

٢- الجواهري في جامعة الموصل ـ كلمات ومختارات ـ من منشورات المركز الثقافي الاجتماعي لجامعة الموصل ـ جمعه وحققه وأشرف على طبعه عبد الرضا علي وسعيد جاسم الزبيدي ـ ٢٠ /٢ /١٩٨٠ م.

٣- ديوان الجواهري ـ محمد مهدي الجواهري ـ ط ٥ ـ لم يُذكر مكان الطبعة، ولا سنتها، غير أنّ المقدمة التي قدّم الشاعر بها ديوانه جاءت موقّعة بخطه، وفيها : بغداد ٧ شباط ١٩٦١م .

٤- ذكرياتي ـ محمد مهدي الجواهري ـ ط١ ـ دار الرافدين ـ دمشق ١٩٨٨م .

٥- لسان العرب – ابن منظور (ت٧١١هـ) –ط١ – دار الحديث- القاهرة ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

(٣١) أعلام الأدب في العراق الحديث /١٨٢ .

(٣٢) أعلام الأدب في العراق الحديث /١٨٢ .

٦- لغة الشعر عند الجواهري – د. علي ناصر غالب – ط١ – بغداد – ١٤١١هـ - ١٩٩٠م .
٧- مجمل اللغة – أبو الحسين أحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ) – راجعه ودقق أصوله : محمد طعمة – ط١- دار إحياء التراث العربي – بيروت- لبنان ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م .
٨- معاني الأبنية في العربية – د. فاضل صالح السامرائي – ط١ – ساعدت جامعة بغداد على طبعه ونشره – بغداد ١٩٨١م .
٩- المعجم المفصل في اللغة والأدب – د. ميشال عاصي، ود. أميل بديع يعقوب –ط١ – دار العلم للملايين – بيروت – لبنان ١٩٨٧م .
١٠- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ـ محمد فؤاد عبد الباقي ـ ط١ ـ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت ـ لبنان ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م .

الدوريات

١ ـ المجلة الثقافية ـ الجامعة الأردنية ـ (عدد ممتاز برقم ٤٢)، ربيع الثاني ـ رجب ١٤١٨هـ ـ آب ـ تشرين الثاني ١٩٩٧م .

الأطاريح والرسائل الجامعية

١ـ التمرد الاجتماعي والفني في شعر الجواهري ـ جلال عبد الله خلف (اطروحة دكتوراه) كلية الآداب بغداد .

تطور الاساليب الشعرية في لغة الدراما العالمية

(الكلاسيكية انموذجاً)

م.د. محمد عبد فيحان

مقدمة: الشعر و الدراما

عبر قرون خلت تطور الفن بانواع واشكال ودراسات ومواهب حتى اقترنت بالمعنى الواسع للدراما او الروح الدرامي باحتواء أي عمل فني، رسما وشعرا ونحتا وغيرها على حدث وصراع وهدف دون انسيابية تفقده معناه ووظيفته.. واستقلت الدراما، بالمنحى القصصي و الأداء المسرحي بنمو وتفعيل وتماسك وتوتر ومحاكاة الفعل، وعرفت ادبا متكاملا متطورا يبحث عن قدرات فذة فالدراما: " اصطلاح اطلق على شكل من العمل الادبي معد ليؤديه الممثلون امام المشاهدين، تشارك في طبيعتها، العمل الملحمي، او القصصي او القصيدة مادامت تكشف عن حدث، او الشعر الغنائي اذا كان بوحا عاطفيا، واصل الدراما، مختلف عن الفنون الاخرى، قائم على تبادل الافكار في الحوار، والتمثيل، وتطور الحدث[١] و الانسان في حالتي الصراع ورصد المتناقضات يستطيع، اذا ما اوتي القدرة التعبيرية، ان يقدم الينا انتاجا دراميا من الطراز الاول وان يقيم بناء فلسفيا يفسر لنا فيه الحياة تفسيرا خاصا عند ممارسة مباشرة للحياة و تمثل لها[٢].

ولقد تطور الشعر قبل مئات السنين لاحتوائه على التراجيديا، وهي اروع مايمكن ان تقدمه المواهب الشعرية العالية " ويحتل الشعر الدرامي مكانة متميزة بين الاجناس الشعرية الاخرى _انه اكمل انواع الشعر وانه شعر الشعر، يجمع بين العالمين الظاهر والباطن، فيمثل التاريخ والطبيعة والنفس، ولا يزدهر الا في ارقى الشعوب حضارة "[٣] والمسرح "اقوى الوسائل لتعزيز العمل الانساني وتنوير الامة باسرها "[٤] او هو طبقا لراي (برناردشو): " معمل الفكر، وملقن للضمير، وشارح للسلوك الاجتماعي، وترسانة ضد الياس والبلادة، ومعبد لرقي الانسان "[٥] وتبدا الدراما التي " ولدت من وعي شامل مشترك "[٦] و مثلت الابداع

١- ينظر: د. جلال الخياط، الاصول الدرامية في الشعر العربي، (بغداد: دار الحرية للطباعة، ١٩٨٢)، ص ١١.
٢- عزالدين اسماعيل، الشعر العربي المعاصر، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، (القاهرة: ١٩٦٧) ص٢٨٤
٣- حياة شرارة، بيلنسكي والاجناس الادبية، مجلة الثقافة، العددان ١١ و ١٢ (بغداد) ١٩٧٩، ص ٨٩.
٤- اريك بنتلي، نظرية المسرح الحديث، ترجمة يوسف عبد المسيح ثروت، (بغداد)، ص٤٥٢
٥- المصدر نفسة، ص١٦٧
٦- اشلي ديوكس، الدراما، ترجمة: محمد خيري، (القاهرة: ب، ت)، ص ٥.

السامي، الواحد، غير المتجزئ، الذي خلق الذهن الانساني [٧].تبدأ نصاً و نقداً و تفسيراً عند الاغريق. [٨]و لا نعدم بحوثاً و نصوصاً في معرفة ابناء وادي الرافدين للملاحم و القصص [٩] و محاولات تمثيلية جرت في وادي النيل و في اماكن اخرى من العالم [١٠].

لقد كان فن الشعر لارسطو منطلقاً حقيقياً للنقد و لدراسات متتالية حتى الوقت الحاضر " لان المسائل التي يثيرها في موضوع التراجيديا و الكوميديا و شعر الملاحم ما تزال بالنسبة الينا قائمة تدب فيها الحياة، وذات صلة بما يعرض لنا من مشكلات في هذا المجال، فلا غرابة - اذن – ان رأينا طائفة كبيرة من ابرع النقاد تتناوله و تختلف في تأويله و شرحه [١١]

و للتراجيديا عند ارسطو حبكة و شخصية و فكرة و إن عناصرها هي اللفظ و الايقاع و النغم و ما يقدمه المشهد من تجسيد امام المتفرجين: " و هنا نلاحظ ان المشهد يعتمد على الرؤية البصرية، الرؤية بدورها تنصب على مكان، في حين ان ارسطو قد جعل الشعر كله، بما فية التراجيديا مندمجاً في تتابع زمني، لا في الرؤية المكانية " [١٢]. و تقوم نظرية ار سطو على المحاكاه (قوام الشعر) التي تتخذ احدى صورتين: " فهي اما محاكاة بالرواية السردية، او محاكاة بالتمثيل المسرحي و على اساس هذا التقسيم نميز بين الملحمة و المسرحية، اذ المسرحية دون الملحمة، تحاكي الفعل نفسه، و اما الملحمة فتحاكي الفعل بالرواية عنه " [١٣] و الفعل الذي جاءت لتمثله التراجيديا يشترط ان يكون فعلاً كاملاً و اعظم اجزاء التراجيديا نظم الاعمال، فهي ليست محاكاة للأشخاص بل للاعمال و الحياة، الغاية هي فعل و ليست كيفية ما.[١٤] و المحاكاة طبقاً لرأي ارسطو، ليست تقليداً او نقلاً حرفياً عن الوجود الخارجي، فالشاعر و الرسام و كل صانع صورة قد يحاكي الاشياء الموجودة و قد يحاكي الاشياء التي يقال انها موجودة او الاشياء التي ينبغي ان توجد او الاشياء التي يحبها و يتاثر بها و يعبر عنها في عمله الفني [١٥]و لم يقر (ارسطو) التمييز بين الشكل و المضمون، فالمسرحية بناء قائم بذاته واحد موحد، و كان بهذا اول من ارسى نظرية الدراما على انها بناء عضوي. [١٦] و اكد ان العمل الفني خلق يعرض للواقع ويهيئ تصوراً امثلاً له قائماً على موقف للمبدع و اضح، وهدف يرمي اليه فيما ينشئ و يقدم اعمالاً فنية و ليس تعبيراً مجرداً [١٧].

وقد مهد الشعراء الاغريق للمدرسة الارسطية في النقد بما جاء في مسرحياتهم من اراء نقدية ومناقشة اعمال الشعراء الاخرين كما فعل (ارستو فانيس) الشاعر في مسرحيته (الضفادع) وهو يوجه نقده اللاذع

٧- اريك بنتلي، المصدر السابق، ص ٣٠٩.

٨- ينظر: د. علي جواد الطاهر، مقدمة في النقد الادبي، الفصل الخاص بالمسرحية، (بيروت: ١٩٧٩)، ص ١٨٧ و ما بعدها.

٩- ملحمة كلكلمش، ترجمة د. طه باقر، (بغداد ١٩٧١) – هو الذي رأى، عبد الحق فاضل، (بيروت: ١٩٧٢) – قصائد الجنة و النار في العراق القديم، ساندرسن (لندن: ١٩٧١) – رثاء اور، اطروحة في المسرح العراقي القديم، د. عوني كرومي، مجلة الاقلام، العدد، ٦، (يغداد، ١٩٧٩، ص ٣ و ما بعدها.سس

١٠- ينظر: د. جلال الخياط، المصدر السابق، ص ١٣.

١١- ينظر: د. جلال الخياط، المصدر السابق، ص ١٥ و ينظر كتاب ارسطو مقدمة زكي نجيب محمود، ص هـ.

١٢- حياة شرارة، بيلنسكي والاجناس الادبية، مجلة الثقافة، العددان، ١٢، ١١ (بغداد) ١٩٧٩، ص٨٩.

١٣- ينظر د. جلال الخياط، المصدر السابق، ص ١٧، و كذلك: يوجر، نظرية ارسطو في ة الشعر و الفن، نيويورك، ١٩٥١.

١٤- المصدر نفسه: د. جلال الخياط، المصدر السابق، ص ١٧.

١٥- ينظر ك د. جلال الخياط، المصدر السابق، ص ١٧.

١٦- رشاد رشدي، نظرية الدراما من ارسطو الى الان (القاهرة: ١٩٦٨)، ص ٢٣.

١٧- د. جلال الخياط المصدر السابق، ص ١٨.

الساخر لاسلوب ولغة وشخصيات (اسخيلوس) و (يوربيدس). [١٨] وقدسمى احدى مسرحياته (الشعر) وحاول ان يربط الكاتب بفنه وان يفسر الادب من خلال شخصية صاحبه، وان يفهم شخصية الاديب بدراسة ادبه، وهي خطوة واسعة في تاريخ النقد الادبي اليوناني، نلاحظ صداها عند (افلاطون) و (ارسطو). [١٩] لقد ارتبط الشعر بالمسرح وقد مهد (هوميروس) بادبه الملحمي الطريق للشعر المسرحي "وكان كتاب المسرحية في عهد الاغريق شعراء، وظل الامر. كذلك الى العصور الحديثة، وما تزال بعض الاداب الاوربية تسمي المؤلف المسرحي شاعرا، هذا ان كان في كل مسرحياته ناثرا [٢٠]. ولم يتحدث اورسطو عن غير الشعر فيما عرض له من اجزاء التراجيديا " وبالرغم من ان الادب المسرحي نشأ شعرا عند اليونان القدماء واستمر شعرا عند جميع الكلاسيكين ثم عند عدد كبير من الرومانتيكيين بل عند بعض المحدثين والمعاصرين مثل (رومان رولان و اليوت) الا ان الجدل ما يزال قائماً حول صلاحية الشعر للادب المسرحي بعد ان طغى عليه النثر حتى كاد يغرقه [٢١].

واذا كان الممثل قدبدا شاعرا، والشاعر قد بدا ممثلا عند الاغريق فان الدراما عدت في التاريخ الادبي "فرعا من فروع لشعر " [٢٢] قبل (يتيس) و (اليوت) بمئات لسنين لطواعية الشعر للتعبير عن الفرد من خلال النوع واحتوائه الخاص والعام برؤية متميزة للشاعر وقدرة على ترتيب الاحداث بعيدة عن النقل الحرفي، تقدم البديل وتضع الحلول في اطار من جو ادبي موحد مكثف، فالشاعر يبدع الواقع صورة فنية تطمح الى الافضل [٢٣]، "وقد سادت فكرة ان الشخصيات الدرامية يجب ان تكون اكبر من الحياة كما ان اللغة الدرامية يجب ان تكون اكبر من النثر [٢٤] واذا كان الشعراء هم الذين أبدعوا التراجيديا اليونانية وان اليونانين هم الذين قدموا فروض الطاعة (لديونيسوس)اله الفن الدرامي لديهم، فان ذلك لاينفي ان مسرحيات عظيمة اخرى لم تكتب نثرا " وكل شاعر درامي عظيم هو ممثل دائما منذ عهداسخيلوس الى موليرمرورا بـ لوب دي فيغا وشيكسبير " [٢٥]ولايعني هذا ان يعتلي خشبة المسرح ليمثل فعلا ولكن ان تكون له قدرة التقمص والتمثيل الى جانب كونه مبدع مسرحية شعرية. وما اكثر الاعمال الشاعرية في اعمال كتاب المسرح النثري: "أليس تشيخوف شاعرا من ارفع طراز ؟ الا تفيض مسرحية كالنورس بالشاعرية المرسلة ؟ والمتحدثون بهذه الشاعرية ليسوا نبلاء ولا اباطرة ولا الهة ولا انصاف الهة ولكنهم رجال ونساء عاديون وصبية وصبايا يافعون. وحتى (برناردشو) في مسرحه الفكري كثيرا ما نجد فيه روح الشعر، ولعلنا هنا نستطيع ان نستشهد براي قاله (اليوت) في احدى مقالاته النقدية: -

وهو ان لغة النقد الرفيع في المسرح هي كلغة الشعر تماما كلتاهما لغة غنية مكثفة وافرة الايقاع [٢٦]، فحينما تكون لغة الادب هي لغة الحياة، تنطوي الفروق بين الشعر والنثر اذ يصلان الى مستوى ادبي يحقق شرط الاساوب المتميز، وللمسرحي ان يختار الشعر او النثر او الاثنين معا طبقا للموقف

١٨- ارستوفانيس، الضفادع، ترجمة: د. محمد صقر خفاجة، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤)، ص١٣.
١٩- عطية عامر، النقد المسرحي عند اليونان، (بيروت: ١٩٦٤)، ص٣٣ وما بعدها.
٢٠- توفيق الحكيم، في الادب، ط٢ (بيروت: ١٩٧٣، ص١٤٩.
٢١- محمد مندور، مسرحيات شوقي، مهرجان شوقي (القاهرة: ١٩٦٠)، ص ١١٦.
٢٢- ينظر: جلال الخياط، المصدر السابق النص ٢٠.
٢٣- ينظر: المصدر نفسة، ص٢١.
٢٤- بامبر جاسكوين، الدراما في القرن العشرين، ترجمة: محمد فتحي، (القاهرة: د، ت)، ص٦٥
٢٥- اريك بنتلي، نظرية المسرح الحديث، المصدر السابق نص ٣١٠.
٢٦- صلاح عبد لصبور، وتبقى الكلمة، دراسات نقدية، (بيروت: دار الحداثة، ١٩٧٠)، ص ١٧

والفكرة والمشهد" ان المسرح ليس مجرد قطعة من الحياة ولكنه قطعة مكثفة من الحياة، ولذلك فان الشاعرية هي الاسلوب الوحيد للعطاء المسرحي الجديد، والشاعرية هنا لاتعني النظم بحال من الاحوال بل ان الكثير من المسرحيات غير المنظومة فيها قدر من الشاعرية اوفر من بعض المسرحيات المنظومة، ويكفي ان يقرأ الانسان شاعرا معاصرا مثل (يوجين أونيل) ليدرك كيف استطاع ان يقترب من روح الشعر في معظم اعماله المسرحية، رغم انه يكتبها نثرا. وبهذا المعنى وحده يقال ان اونيل هو اقرب الكتاب العالميين الى التراجيديا اليونانية " [٢٧] ومسالة كتابة المسرحية بالشعر او النثر نسبية تختلف باختلاف المسرحيين ومواهبهم واساليبهم و باختلاف مفهوم الشعر لدى النقاد والمتلقين، سواء كان تعبيرا فخما بعيدا عن الحياة مليئا بالافتعال والتزويق، اوكان نابعاً من الواقع سهلا وشفافا ومقبولا. بعد هذا التقديم الموجز عن موضوعة(٠الشعر والدراما)، يستعرض الباحث باختصار تطور الاسلوب الشعري واللغة الدرامية وفقا للاتجاهات الاسلوبية في المسرح العالمي وياخذ المسرح الشعري الكلاسيكي نموذجا مختارا عددا من اعمدته البارزين الذين يمثلون هذا الاتجاه في مختلف العصور والبلدان والمذاهب .

العصر الاغريقي

١- اسخيلوس: (٥٢٥ ق. م-٤٥٦ ق. م)

يتفق جميع الباحثين والنقاد والمختصين على ان الانطلاقة الحقيقية للمسرح الشعري الكلاسيكي ترتبط ارتباطا بالشاعر الاغريقي (اسخيلوس)الذي يعد "مؤسس النزعة الدرامية واول كاتب للمسرحية " [٢٨] فمنذ باكورة عطائه الدرامي الاول في التراجيديا (الفرس) حتى ماسيه الشعرية التالية: (الضارعات) و (بروميثيوس في الاغلال) و (السبعة ضد طيبة) نجد هذا الشاعر الذي يستمد افكاره ومواضيعه من العالم الاسطوري، والقوى العلوية، والالهة، وتحلق معالجاته حتى في فضاء ذلك الجلال الميتافيزيقي الرصين قد ادرك اهمية ان ينسجم اسلوبه اللغوي مع طبيعة مواضيعه السامية، وهي تؤكد على فكرة الوصول الى الحكمة عن طريق الالم والعذاب " [٢٩] وتتلاءم مفردات اسلوبه هذا مع ابعاد شخصياته الاسطورية ذات الافعال الجليلة التامة وهي تنطلق بتلك اللغة التراجيدية الرفيعة. لقد اتسمت لغة اسخيلوس " بفخامة علوية " [٣٠]تسمو فوق كل ما هو مالوف وتميزت اعماله الفنية الضخمة بجو من العظمة و الابهة، فكان كل شيئ فيها من الحبكة الى الشخصيات، ومن اللغة الى الاوزان قد تمتع بقدر من الرزانة والوقار [٣١].

لقد كانت لغة اسخيلوس رصينة متناسبة مع عالم البطولة التراجيدية الذي تدور فيه احداث ماسيه والتي ترتفع عن مستوى اللغة العادية ارتفاع مستوى (اجامنون)و (بروميثيوس) عن مستوى الانسان العادي ولذا فان اسخيلوس يعد مؤسس الاسلوب الرصين في التراجديا، فهو اول شاعر ارتفع بلغتها "وشيد لها صرحاً كساه بعبارات سامية " [٣٢] على حد تعبير ارستو فانيس في (ضفادعه) و لذلك لقي هذا الاسلوب الدرامي الادبي الاستجابة و الاستحسان و الاعجاب عند جمهور الماسي الاغريقية الذي تربت

٢٧- المصدر نفسه، ص ١٨.

٢٨- ينظر الارديس نيكول، المسرحية العالمية، ج١، تر: عثمان نوية (القاهرة: وزارة الثقافة والارشاد القومي د، ت)، ص٧.

٢٩- د. ابراهيم سكر، الدراما الاغريقية، (القاهرة: المؤسسة المصرية العامة للنشر، المكتبة الثقافية، ١٩٦٨)، ص٤٨

٣٠- ، ٢ احمد عثمان، الشعر الاغريقي تراثا انسانيا عالميا، (الكويت: سلسلة عالم المعرفة، ١٩٨٤) ص٢١٦-٢٢٨

٣١- المصدر السابق، ص ٢١٦.

٣٢- ارستوفانس، الضفادع، المصدر السابق، ص١١٨.

ذائقته الادبية على اشعار هوميروس و ايقاعاته البلاغية القوية، " ذلك الجهد، المتحري عن الحقيقة و الذي ينتصر فية واقع اللفظ و الوهمية اللفظية على الواقع الحسي " [٣٣] و القادر " على ادراك الاحاسيس العميقة التي تتميز بها الماساة، و المنصت باصغاء شديد للالفاظ الرنانة التي تنشدها الجوقة و كانها على رؤوسها الطير " [٣٤]اما المجاز و الاستعارة و التشبيهات و ما تخلقه من صور شعرية في مسرحيات اسخيلوس. فهي تتدفق بيسر و سلاسة، و لا يبدو من ورائها عناء المؤلف، بل و كانها تلقائية [٣٥] و من البديهي ان يستعير اسخيلوس من سلفه الملحمي (هوميروس) الكثير من الاوصاف المركبة، الا ان شاعر التراجيديا يلبسها ثوباً جديداً بتكرار بعض العبارات بهدف الشرح و التوضيح او التفسير و التعميق و هذا ناتج او متولد من تاثيرات الموروث الملحمي [٣٦] . ولنقرأ في ثلاثية اوريست على لسان (الكورس):

" لك نفس تتعالى كالبروج الشامخات، ولسان يتباهى بجرئ الكلمات، اسكرت روحك خمر كانتشاء القاتلات، وعلى وجهك رمز من دماء قانيات. خضبت منك الجبين.. وبدأ فيك الجنون.. مثل من لم يشف ثاره.. وغلى فيه اوراه، فمضى يرجو القضاء في مزيد من دماء فاعلمى ان لافرار من قصاص ودمار، وخذي كيل الهلاك مثلما كالت يداك: مثل منبوذ قلاه وجفاه اصدقاء..

٢- سوفوكلس: (٤٩٥ ق.م-٤٠٦ ق. م).

شهدت التجربة الاسلوبية في المسرح الشعري الكلاسيكي تطوراً كبيراً بظهور ادب هذا الشاعر الذي يعد " صانع مجد المسرح الاغريقي " [٣٧] و الذي يجمع في خصائصه الاسلوبية شيئاً من النعومة و السلاسة، جنباً الى جنب مع القوة و الوقار " [٣٨] .

و (سوفوكلس) الذي انزل التراجيديا من علياء الالوهية و البطولة الى المستوى البشري، يمتلك قدرة فائقة على نحت عبار ات قوية رصينة، و يهيمن على مفرداته هيمنة ملموسة

، مستخرجاً منها اقصى ما يمكن من المعاني و الالوان، ليكون سيد ادواته التعبيرية اللغوية و هو يصل بها الى مراميه الدرامية بتمكن و براعة.[٣٩] ان حوار (سوفوكلس)، لا يعدم الصفات المعبرة و الصور الشعرية القوية، و لكنه لا يستخدمها الا في وقتها المناسب، و هذا ما يعطيها اهمية خاصة و يضفي عليها صفة التفرد و التميز. فهو يكثف عدة معان و افكار في كلمة واحدة اسماً كانت او فعلاً، و لا يفضل تراكم التشبيهات التي احبها سلفه (اسخيلوس) و اغرم بها، فبعد ان يورد التشبيه، يواصل الحديث بلغة نصفها مجازي ينسجم مع التشبيه، و نصفها الاخر واقعي يمهد لبقية الحديث، و هو بهذا يخلط الصورة الشعرية بالواقع في سلسلة من الافكار المتتالية، بيد ان الناقد المدقق قد يعثر على بعض تاثيرات التيار الخطابي (البلاغي) المستحدث في مسرحيات سوفوكلس المتاخرة. [٤٠]و اذا كان القدامى قد وصفوا هذا الشعر ب (النحلة) فقد قال عنه

٣٣- ايليا حاوي، اسخيليوس، بيروت: دار الكتاب اللباني للطباعة و النشر، ١٩٨١)، ص ص ٧١، ٧٢.
٣٤- الادريسي نيكول، المسرحية العالمية، ج ١، المصدر السابق / ص ١١٨.
٣٥- د احمد عثمان، الشعر الاغريقي تراثا انسانياً عالمياً، المصدر السابق، ٢٤٧.
٣٦- المصدر نفسه، ص ٢٤٨.
٣٧- ينظر الادريس نيكول، المصدر السابق، ٤٩.
٣٨- ينظر د. احمد عثمان، المصدر السابق، ص ٢٨٨.
٣٩- د. عبد المعطي الشعراوي، " سوفوكلس و لغة التراجيديا، مجلة العربي (الكويت)
٤٠- كمال ممدوح حمدي، اتجاهات الدراما اليونانية: سوفوكلس "، كجلة الثقافة (القاهرة)، العدد ١٧، السنة الثانية، ١٩٧٥)، ص ٤٤.

(ارستوفانس) في مسرحيته (الضفادع): " ان شفتيه تقطران عسلاً "[٤١] حيث تجمع لغة (سوفوكلس) بين عناصر القوة و الجمال، و البساطة و السمو في آن واحد.[٤٢] و يتميز اسلوبه اللغوي بالايجاز و الدقة و الاحكام، فهو يقتصد في استخدام الصور الشعرية و المجاز " و لا يسرف في اللغة بل يلتزم بما هو ضروري "[٤٣] مع حرصه على التمييز بين اسلوبه في الاجزاء الحوارية من جهة و اسلوبه في المقطوعات الغنائية من جهه اخرى.

٣ - يوربيدس: (٤٨٤ ق. م - ٤٠٦ ق. م)

اذا كان (اسخيلوس) و (سوفوكلس) صورا الشخصيات تصويراً مثالياً و سامياً بعيداً عن الواقع فان (يور بيدس) هو الشاعر الذي انبثق على يديه " فجر الواقعية " في تاريخ المسرح [٤٤]. فهو اول من كتب بلغة العامة الشعبية في عصره [٤٥] و هو أول شاعر مسرحي صور الحياة و ما يجري فيها تصويراً واقعياً [٤٦] و استطاع ان يضع جلائل المعاني في اغلفة من ابسط الالفاظ [٤٧] و ما يسجل لهذا الشاعر في ميدان الاسلوب، هو تجديداته على صعيد " استخدام عدد كبير نسبياً من الكلمات و التعبيرات الحديثة التي لم يستخدمها كاتب اخر قبله، تلك الكلمات و التعبيرات التي استعارها من الحديث العادي المعاصر " [٤٨] و على الرغم من ان (يوربيدس) كان اسلوبه متسماً بالبساطة، الا انه كان ثرياً في طاقته التعبيرية و ذلك من خلال قدرته " على التعبير الشعري البليغ عن الجمال الطبيعي بتصويره العواطف و مواقف العذاب و هو ما يتفوق به على كل الشعراء الدراما اليونان " [٤٩] حيث وصفه النقاد بـ " السهل الممتنع) [٥٠]. ولنطالع هذا النص على لسان الكترا:

الكترا: مرحبا ! ايها المنتصر المجيد، ياابن من حقق النصر تحت اسوار طروادة، تقبل هذا الاكليل لتثبته حول جدائل شعرك. لم يكن عبثا مضيك في سبيلك حتى غايتك فبلغت وطنك من جديد، بل لقد قتلت عدوك، ايجستوس قاتل ابيك. وانت كذلك يابيلاديس، يا ايها الصديق المخلص، يامن تثبت تربيتك اصالة ابيك الحر، تقبل من يدي نهرا، فانت لاتقل عنه نصيبا في هذا التكريم، وهكذا، فاني اصلي، ان يحالفك حسن الحظ الى الابد !

٤ - ارستوفانس: (٤٤٨ ق. م.٣٨٠ ق. م)

يعد من ابرع شعراء الكوميديا في التندر و الاقتباس الساخر و قد عكس اسلوبه المنفرد في مجال الملهاة طبيعية الموضوعات التي يعالجها في كوميدياته اذا استطاع ان يستخدم لغة متعددة

٤١- د. احمد عثمان، المصدر السابق نفسه، ص ٢٦٨.
٤٢- د. جميل نصيف التكريتي، قراءة و تاملات في المسرح الاغريقي، (بغداد: دار الحرية للطباعة، ١٩٨٥)، ص ٢٢٠.
٤٣- ينظر د. احمد غثمان، المصدر نفسه، ص ٢٨٩.
٤٤- الادريس نيكول، المسرحية العالية، ج ١، المصدر السابق، ص ٧٩.
٤٥- علي نور ملامح مصرية في المسرح الاغريقي، القاهرة: الدار القومية للطباعة د: ت)، ص ٤٤
٤٦- د. ابراهيم سكر، الدراما الاغريقية، مصدر سالبق، ٧٣.
٤٧- علي نور، المصدر السابق نفسه، ص ٤٥.
٤٨- د. عبد المعطي شعراوي، مقدمة: مسرحية " عابدات باخوس " تاليف: يوربيدس ترجمة و تقديم: شعراوي (الكويت: سلسلة الميرح العالمي، العدد ١٨٠ وزارة الاعلام، ١٩٨٤، ص ٥
٤٩- اسماعيل (البنهاوي، مقدمة: مسرحيتي " اليكترا و اور ستيس تاليف: يوربيدس، ترجمة و تقديم: البنهاوي (الكويت: سلسلة (المسرح العالمي العدد ٥٦ وزارة الاعلام، ١٩٧٤) ص ٩.
٥٠- د. ابراهيم سكر، الدراما الاغريقية، المصدر السابق، ١٠٢.

الالوان [٥١] لغة كوميدية خاصة من الكلمات المزدوجة و الايحاءات الخاصة و الالفاظ المركبة تركيباً عجيباً [٥٢] و قد اثبت (ارستو فانس) و هو يكتب بهذه اللغة النثرية المتنوعة " انه يهمن على مادته و أدواته التعبيرية و يستخدمها بيسر و سلاسلة حتى تميزت لغة حواره بالتدفق " [٥٣] و اتصف رغم نكاته الغليظة و سخريته الجريئة بالطبيعية و الحيوية. [٥٤]حتى اقتربت هذه اللغة من مستوى حديث الحياة اليومية بالرغم من احداث كوميدياته في اساسها خيالية بعيدة عن الواقع. [٥٥]و مصدر هذا التميز في اللغة هو ملكات (ارستو فانس) الشعرية من عين نفاذة، و اذن حساسه تمكنه من التقاط كل ما هو عجيب و فخم يميل للمبالغة الساخرة و الخيال المنطلق الى افاق لم يسبقه اليها شاعر من قبل [٥٦]. هذا الحوار يجسد مامكناه عن لغة ارستوفانس على لسان ديونتيسوس في مسرحية الضفادع:

ديونيسوس: واقسم بالله انهم كانوا ينطلقون من مؤخرات سفنهم في عين الزميل الذي يشد اكثر المجاذيف انخفاضا، ويلوثون بالاوساخ زميل الطعام الصغير، وينزلون الى الشاطئ في مغامرة للسلب، اما الان فهم يخطبون وينازعون ولا يجذفون بل تظل السفينة تتأرجح بهم على غير هدى فوق سطح الماء.

العصر الروماني:

يمثل الشاعر (لوسيوس انا يوس سينكا): (٤ق.م – ٦٥ م)، باسلوبه الشعري في مجال التراجيديا الرومانية " المرآة فية التي عكست كل سمات الكتابة الأدبية في عصره، وهو الاسلوب الذي ينتمي الى الادب الفضي في العصر اللاتيني الذي غلبت عليه النزعة الخطابية والميل للمبالغات والصور البلاغية " [٥٧].

وقد تجلت قدرات (سينكا) " في ميدانه المختار، ميدان التعبير البياني وتمتعه_ في هذا المضمار _ باكثر من جانب من جوانب المهارة " [٥٨] فالفن البياني المصطنع، حل محل الشعر، وحل الاصطناع محل النسيج الحي " وقد وصف حوار(سينكا) بالحوار الملتهب السريع " وذلك لاعتماده في بنيته اللغوية على الجمل القصيرة التي تتمتع بايقاع معين نابع من التناسق في بنيتها ومن تشبعها بالاساليب الخطابية [٥٩]الموجهة الى عواطف الجمهور " بعبارت مباشرة تتجه الى اهدافها في خط مستقيم "[٦٠] وتحمل كمية ضخمة من الوعظ المجازي فتثير فيه الحماس والنشوة " وتوقد فيه الشرر " [٦١] وما كان ذلك ليتم لو لم يتمتع (سينكا) بمعجم لغوي وافر الثراء، ووسائل تعبير مجازية بارعة "[٦٢] ويعد اسلوب سينكا خلاصة لاهواء جمهور المسرح الروماني " الذي كان لايحفل الا قليلا بالجمال الشعري "[٦٣]ؤالذي كان مغرما بالتاثيرات الميلو درامية والطنطنات

٥١- د. احمد عثمان، الشعر الاغريقي تراثاً انسانياً و عالمياً، مصدر سابق، ص ٣٤٩.

٥٢- ينظر: محمد حمدي ابراهيم، دراسة عن نظرية الدراما الاغريقية، القاهرة: دار الثقافة للطباعة و النشر، ١٩٧٧) ص ١١٦

٥٣- د. احمد عثمان المصدرالسابق نفسه، ٣٤٩.

٥٤- ينظر: محمد حمدي ابراهيم، المصدر السابق نفسه، ص ١١٦.

٥٥- ينظر: الارديسي نيكول، المصدر السابق، ص ١٤٤

٥٦- ينظر: د. احمد عثمان المصدر السابق، ص ٣٤٩.

٥٧- د. احمد عثمان، مقدمة، هرقل فوق جبل اويتا، تاليف: سينكا، ترجمة وتقديم: د. احمد عثمان (الكويت: سلسلة المسرح العالمي، ١٩٨٧)، ص٩٧.

٥٨- ، ٥، ٦ الارديسي نيكول، المصدر السابق، ص١٨٨، ١٩٣، ١٩٥

٥٩- د. احمد عثمان، مقدمة، هرقل فوق جبل اويتا، المصدر السابق، ص ١٨٨، ١٩٣، ١٩٥.

٦٠- المصدر نفسه.

٦١- الارديسي نيكول، المصدر السابق، ص ١٨٨، ١٩٣.

٦٢- د. احمد عثمان، المصدر السابق، ص ٩٧.

٦٣- ميليت وبنتلي، فن المسرحية، ترجمة: صدقي حطاب، (بيروت دار الثقافة، ١٩٦٦) ص ١٨٢.

الخطابية او الاوصاف والموضوعات التي تثير الرعب والفزع، والشخصيات البراقة وغيرها من التاثيرات غير الطبيعية "[٦٤].

العصر الاليزابيثي:

بعد سقوط الامبراطورية الرومانية ونشاة المسرح الديني في القرون الوسطى – منذ القرن العاشر الميلادي – ومن ثم انتهائه، بدات تجربة المسرح الاليزابيثي التي يمثل الشاعر الدرامي (كريستفرمارلو) اعلى قمة بلاغية خطابية في اسلوبها الدرامي، حيث سنجد الخصائص الاسلوبية لنصوص المسرح الديني ونصوص (مارلو) واضحة البصمات على مجمل تجربة (وليم شكسبير) اللاحقة [٦٥].

وليم شكسبير: (١٥٦٤ م – ١٦١٦ م)

تعد التجربة الاسلوبية لهذا الشاعر الدرامي انعطافة هامة وجادة في تاريخ اللغة الدرامية في المسرح العالمي كونها اولا: تجربة ثرة ومثيرة ومتجددة جديرة بالدراسة والتامل، وثانيا: تقوم على الجمع بين الاضداد و المتناقضات، من شعر ونثر، فصيح وعامي في نسيج درامي واحد يتفرد بالكثير من السمات والمعطيات، والخصائص الاسلوبية على الصعيدين الادبي والجمالي.

لقد استطاع (شيكسبير) بحجم تجربته العلمية الطويلة في المسرح مؤلفا وممثلا ومخرجا من صياغة حوار دراماتيكي " بالشعر المسرحي الكامل يوافق الاحتياجات المسرحية " [٦٦]حيث يتنوع اسلوبه تبعا لتنوع المواضيع والافكار التي طرقها في دراماته التاريخية وماسيه وملاهيه ومسرحياته الرومانسية المتاخرة، والتي اشتملت على كل تجربة في مجال التاليف الدرامي للمسرح. لقد كتب (شكسبير) مسرحياته المتنوعة وفقا لمقتضيات الشعر المرسل الذي ورثه اسلافه، امثال (كريستوفر مارلو) ذلك الشعر الذي صقلته الموهبة الشكسبيرية واكسبته بحسها الدرامي العميق "المرونة في المادة والروح " [٦٧] واكملت ابداعاته " بالتاكيد على الموسيقى الداخلية

التي تتجنب الرتابة التفعيلية عن عمد وترفض القافية، فيدنو الشعر من نبرة الكلام المشحون بطاقة سحرية " [٦٨] فالشعر في المسرح الشكسبيري ينبع من الضرورة الدرامية الخاصة " فروعة الشعر وما يكتنزه من طاقات تعبيرية جمالية لابد من ينسجم مع امكانية الشخصية " [٦٩] لقد استند الشعر الدرامي في مسرح شكسبير الى الماسي، مقترنا باللغة الرفيعة التي ينطبق بها اولئك الابطال التراجيديون، المحاطون بهالة من التاريخ والاسطورة [٧٠]كما اقترن الشعر في مسرحه بصفات الرفعة والقوة والاجلال والكتابة، التي تسمو على الواقعية.[٧١] وفي هذا الصدد يؤكد "ت.س.اليوت ": "ان شكسبير يحقق اروع اشعاره جمالا في اكثر مناظره درامية " [٧٢]

٦٤- د. ابراهيم سكر، الدراما الرومانية، (القاهرة: دار الكتب العربي للطباعة والنشر، ١٩٧٠) ص ٩٦.

٦٥- ينظر: عبد الرحمن صدقي، المسرح الديني في العصور الوسطى، (القاهرة: طار الكاتب العربي، ١٩٦٥).

٦٦- الارديسي نيكول، علم المسرحية، ترجمة: دريني خشبة، (القاهرة: دار الكتاب العربي د: ت) ص٩٦.

٦٧- الارديسي نيكول، المسرحية العالمية ، ج٢، ترجمة: د. محمود حامد شوكت، (القاهرة: مطبعة الرسالة د، ت)، ص٣١

٦٨- جبرا ابراهيم جبرا، حول مشكلة الحوار في المسرحية العربية، مجلة المعرفة، (دمشق: العدد٣٤، السنة، ٣، ١٩٤٦)، ص١٢٩.

٦٩- المصدر نفسه، ص١٢٩.

٧٠- المصدر نفسه، ص١٢٩

٧١- ينظر جوان واين، طبيعة مسرحيات شكسبير، ترجمة، د. كمال قاسم نادر، مجلة الثقافة الاجنبية، (بغداد) العدد ١، ١٩٨٢، ١٥١.

٧٢- د. محمد غنيمي هلال، النقد الادبي الحديث، (بيرون : دار االعودة ١٩٧٣)، ص٦٦٤

_اما النثر فكان له نصيب وافر من الفعالية والحضور، فقد تزاوج النثر واغلبه" من العامي والمحكي " [٧٣] مع الشعر في تجربة شكسبير الاسلوبية وتظافرا في وحدة جمالية متلاحمة، حيث يميل شكسبير الى حصر النثر بالموضوعات الشعبية والهزلية والواقعية [٧٤]، وبالشخصيات المعاصرة التي تتحول الى العامية في حوارها، رغم مايعطيها شكسبير من اسماء كلاسيكية او ايطالية [٧٥]والظاهر ان استعمال شكسبير لهذه الاساليب، الشعر والنثر في النص الواحد كان عن قصد منه وكان عن محقاً، وانه لم يفكر فيه لاي قاعدة صريحة، بل حسب ما يستلزمه المشهد الخاص " [٧٦]بيد ان ابرز مايمكن التركيز عليه في تجربة شكسبير الاسلوبية، هو قاعدته العامة في اسناد الكلام المنثور الى الاشخاص من ذوي الحالة العقلية الشاذة، ولنقرأ ما قاله

(ا.س. برادلي)في كتابه (التراجيديا الشكسبيرية) الجزء الثاني:

" وقاعدة شكسبير العامة في اسناد الكلام المنثور الى الاشخاص من ذوي الحالة العقلية الشاذة – وعلى هذا القياس - نجد (هملت) عندما يمثل دور الرجل المجنون يستعمل النثر، ولكنه في المناجاة وفي حديثه مع (هوراشيو) وفي توسله الى امه نراه يتحدث بالشعر (واوفيليا) في جنونها اما ان تغني مقتطفات من الاغاني او تتحدث بالنثر واقوال الملك (لير) بعد ان اصبح مجنونا جنوناً مطبقا تكاد تكون جميعها بالنثر، ولكن حين يصحو من نومه معافى وقد استرد عقله يعود الى الشعر. (وعطيل) في الفصل الرابع، المنظر الاول، يتحدث الشعر الى اللحظة التي يخبره فيها (اياجو) ان (كاسيو) اعترف، فهناك تجئ عشر سطور من النثر، عبارات تعجب وتمتمات رعب حائر، ثم يسقط على الارض مغمى عليه. من الجلي ان الفكرة التي تكمن وراء عادة شكسبير هذه، هي ان الايقاع المنتظم للشعر يكون غير ملائم حين يفترض ان العقل قد فقد وزنه واصبح تحت تاثير انطباعات طارئة انية من الخارج، كما هي الحال مع الملك لير، او ناشئة عن افكار منبعثة عن اعماق الوعي – الواحد اثر الاخر- عبر المنظر الخارجي الجامد، كما حدث لـ (ليدي مكبث) في سيرها اثناء النوم، اذ ليس هناك ارتباط معقول بين تتابع الصور والافكار من خلال مراى الدم على يديها وصوت دقات الساعة تعلن موعد اغتيال (دنكان) وهكذا [٧٧].

لقد نجم عن ترجمة الاسلوب الشكسبيري تنويعاتها اللغوية المختلفة تنوعا ثرا في ابتكار مواضيعه التي طرقها في اعماله المسرحية. فمسرحية (تيتوس اندرونيكوس) التي كتبها عام (١٩٥٢)

وقعت تحت تاثير سلطة سلفه (كريستوفر مارلو) البلاغية، ولذا فقد بدا شيكسبير فيها " مسيطرا على موهبة الشعر النبيل والبلاغة القوية " [٧٨] كذلك ملاهيه الاولى هي الاخرى وقعت تحت هذا التاثير البلاغي (لمارلو) " فكانت النتيجة كثيرا من الشعر الفياض المزدحم بالصور والنغم

والقوافي ".[٧٩] في مسرحية (كوميديا الاخطاء ١٥٩٤) اعتمد شكسبير على لغة مسرحية صعبة، يدور الهزل فيها كثيرا على التلاعب بالألفاظ. [٨٠]وفي ملهاته (حلم ليلة صيف ١٥٩٥) قدم شكسبير قطعة من

٧٣- جبرا ابراهيم جبرا، حول مشكلة الحوار في المسرحية العربية، المصدر السابق، ص١٥٥.

٧٤- جون واين، طبيعة مسرحيات شكسبير، المصدر السابق، ص١٢٩.

٧٥- جبرا ابراهيم جبرا، المصدر السابق، ص١٢٩.

٧٦- الارديسي نيكول، علم المسرحية، المصدر السابق، ص١٢٠.

٧٧- ينظر: ا.س برادلي، التراجديا الشكسبيررية، الجزء الثاني، ترجمة، حنا الياس، (القاهرة: دار الفكر العربي ب، ت)، ص١٩٠ – ١٩٢.

٧٨- محمد بدران، مقدمة: تيتوس اندرونيكوس، تاليف وليم شكسبير ى: ترجمة، صفية ربيع، المجلد الثاني، (القاهرة: دار المعارف بمصر، ١٩٦٨) ص٢٤٧.

٧٩- د. فاطمة موسى، وليم شكسبير شاعر المسرح، (القاهرة: دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، ١٩٦٩).

الخيال الخالص في موضوعها والشعر الخالص في روحها.[٨١] وفي (روميو جوليت ١٥٩٥) ازداد شكسبير حرية في الجمع بين المتناقضات وقد جمع الشعر الرفيع الى جانب النثر الواقعي..[٨٢]

اما في مسرحيته التاريخية (هنري الخامس ١٥٨٩) يعود (شكسبير) الى طابعه الاول، وهو الطابع البلاغي والخطابي، فنجد فيها " الاستعارات والكنايات والجمل الاعتراضية الطويلة والتلاعب بالالفاظ، مع بروز مشكلة خاصة من طراز جديد وهي الحوار الذي يدور في مواضع عديدة باللغة الفرنسية، او يخلط من الفرنسية و الانكليزية الى غير ذلك من التنوعات اللغوية.[٨٣] وتعتبر مسرحية (يوليوس قيصر ١٥٩٩) نقطة الذروة في بلوغ اسلوب (شكسبير) الدرامي قدرا من العمق والتطور والرصانة، بلغ حدا معينا من الكمال، تجلت معالمه بوضوح في الامتلاك السهل لناصية البيان والتناسق التام.

" وربما لا يكون اسلوب شكسبير في أي مكان اخر بمثل هذا الخلو من العيوب " [٨٤] من خلال التركيز على الموضوع والاقتصاد في الالفاظ [٨٥] وفي مسرحية (هاملت ١٦٠٢) وهي " اشد ماسي شكسبير صقلا واكملها شكلا واكثرها تنوعا وحشدا "[٨٦] فقد تضمن اسلوب كتابتها تنوعاً غير عادي.[٨٧] بحيث نجد الاداتين الاسلوبيتين " الشعر والنثر، على درجة واحدة من الدقة " [٨٨] من خلال ايجاد " التباين الذي يستبدل الشعر والنثر لاغراض درامية مختلفة [٨٩] وبهذا كانت لغة هاملت لغة سامية غير متكلفة ولا مصطنعة. لقد جمعت لغة الدراما الشكسبيرية الشعر الذي يستطيع التعبير عن اسمى الافكار مع النثر المحكي الدارج بكل مايتصل به من العادي والمالوف والبسيط في تجربة من اهم التجارب الاسلوبية في تاريخ الدراما واكثرها نضجا واشعاعا. ولنستمع الى انطونيو في مسرحية يوليوس قيصر:

انطونيو: لو كان باعينكم دمع فلتستعدوا لذرفه الان.. جميعكم يعرف هذه العباءة. اني اذكر المرة الاولى التي لبسها قيصر فيها. كان ذلك في خيمته في احدى امسيات الصيف، يوم ان قهر جيوش النيرفي. انظروا ! هنا اخترق العباءة خنجر كاسيوس. وانظروا المزق الذي احدثه هنا كاسكا الحقود. وهنا اثر طعنة بروتس الاثير لدى قيصر. واذ انتزع بروتس سيفه اللعين بعد طعنه، تبعه دم قيصر كما ترون، وكأنما خرج ليتاكد مما اذا كان هو بروتس حقا صاحب هذه الطعنة القاسية. فبروتس – كما تعلمون- كان حبيب قيصر.والالهة تنشد على مدى اعزاز قيصر اياه.. كانت طعنته هذه اقسى الطعنات طرا. ذلك انه ما لمحه قيصر الكريم وهو يطعنه، حتى صرعه العقوق ونكران الجميل باشد مما صرعته ايدي الخونة. حينئذ انفطر

٨٠- بدر الديب، مقدمة: كوميديا الاخطاء، تاليف وليم شكسبير، ترجمة وتقديم: بدر الديب، المجلد ٣ (القاهرة: دار المعارف بمصر، ١٩٦٨) ص٧.

٨١- حسن محمود، مقدمة: حلم ليلة صيف، تاليف: وليم شكسبير، ترجمة وتقديم ، حسن محمود، المجلد ٣٥، (القاهرة: دار المعارف بمصر، د: ت) ٢٢٦.

٨٢- د. مؤنس طه حسين، مقدمة روميوجوليت، تاليف: وليم شكسبير، ترجمة وتقديم: د. مؤنس طه حسين، (القاهرة دار لمعارف بمصر، د، ت) ص١٠.

٨٣- د. محمد عوض، مقدمة هنري الخامس، وليم شكسبير، ترجمة وتقديم : د. محمد عوض، المجلد ٩، (القاهرة: دار المعارف بمصر، ١٩٦٨)، ١١.

٨٤- ا. س. برادلي التراجيديا الشكسبيرية، ج١ : تر حنا الياس، (القاهرة: دار الفكر العربي، د: ت).

٨٥- عبد الحق فاضل، مقدمة يوليوس قيصر: تاليف، وليم شكسبير، ترجمة وتقديم: عبد الحق فاضل، المجلد ١٠، (القاهرة: دار المعارف بمصر، ١٩٧٣) ص٧

٨٦- جبرا ابراهيم جبرا، مقدمة: هاملت، تاليف: وليم شكسبير، ترجمة وتقديم: جبرا ابراهيم جبرا ، (بيروت: دار الكتب للطباعة والنشر

٨٧- ا.س ، برادلي، التراجيديا الشكسبيرية، ج١، المصدر السابق، ص١١٠.

٨٨- جون واين طبيعة مسرحيات شكسبير، المصدر السابق، ص١٥٥.

٨٩- الارديسي نيكول، علم المسرحية، المصدر السابق، ص١٢٠.

قلبه الكبير، فغطى وجهه بعباءته، وعند قاعدة تمثال بومبي التي كانت تفيض طيلة الوقت بالدماء، سقط قيصر العظيم. واية سقطة كانت تلك يا بني وطني ! وقتها كانت ايضا سقطتي، وسقطتكم، وسقطتنا جميعا، وتولت زمام امورنا ايدي الخونة المضرجة بالدماء.. اراكم تبكون الان، وتستشعرون الشفقة. وانها لدموع كريمة تلك التي تذرفونها. ولكنكم ايها الكرام انما تبكون ولما تشاهدوا غير اثر الطعنات في عباءة قيصر. لتنظروا هنا ! فهنا قيصر نفسه وقد مزقته كما ترون ايدي الخونة.

المدرسة الكلاسيكية الجديدة في فرنسا:

١- بياركورنيه: (١٦٠٦- ١٦٨٤):

يعد هذا الشاعر واحداً من ارفع اعمدة الشعر الكلاسيكي الجديد في فرنسا، وقد بلغ بفصاحته ومتانة اسلوبه، مبلغا، جعل النقاد والباحثين يعدون بلاغته " فتحا رائعا في اللغة الفرنسية،

يباري جهود (ماليرب) والاكاديمية الفرنسية " [٩٠]وهو كشاعر كلاسيكي " تتنازعه متطلبات الاسلوب الرفيع "[٩١] يسيطر على ادواته اللغوية ويطوعها في نسخ اسلوبه الرصين تمام السيطرة ويعالجها بيسر وحذق لا يباريان، فجميع التراكيب اللغوية والنحوية وكل ما ينطوي عليه النظم من ضروب الايقاع وكل انواع الحوار، طوع قلمه للتعبير.[٩٢] فكانت لغته كما وصفها الدارسون والنقاد " هي لغة خطابية يبدو عليها التقادم، عنيفة بعض الشئ، عملية اكثر منها شاعرية، حسية جافة، غير مبتذلة ولا متكلفة، تمتاز بالجاذبية والابهار، ولاتسمح لاي انحراف في الفهم والتأويل، لكونها بليغة تعتمد على الوضوح المنطقي في التراكيب وبالدقة الشائقة في اختيار الكلمات الرنانة، تخلو من التلوين وليس فيها شي من التأثير التصوري، وينظمها ذلك الحس السامي باليقاع المجرد من كل مقومات الغنائية العادية، ككثرة الصور الخيالية ورقة الاجراس، وتمعن هذه اللغة في التجريد حتى تفقدها ابعادها الواقعية وتخلومن تصويرات اللونيات المحلية [٩٣]وهذه اللغة بقوتها وتظافر عناصرها وتراكيبها تتوازن مع الثقل الدرامي لشخصياته التي تسمو على الطراز البشري المالوف [٩٤] وتثبت كفاءتها المطلقة في التصوير وتحليل ما يدور في نفوس هذه الشخصيات من العواطف المشبوهة والنوازع المتعارضة، وخصوصا مايمليه الصراع الرهيب بين العاطفة والواجب

وترتكز لغة الحوار الدرامي في مسرح كورنيه على عنصر (الملاسنة) وهي المغالبة باللسان فصاحة وبلاغة [٩٥] وهو الجوهر الاسلوبي الفعال في التخاطب بين شخصياته البطولية السامية، حيث اتسمت لغة (كورنيه) الشعرية المنسوجة من مقاطع شعرية تتحكم فيها تعقيدات الطول والقافية [٩٦]بالعديد من الخصائص الاسلوبية، كالخطابية والوضوح والمبالغة والاطناب والتحليق في سماء المعاني. ورغم طغيان عبقرية (كورنيه) البلاغية على قدراته الدرامية الاان لغة مسرحه توافرت فيها العناصر الدرامية والحركية حتى وصلت الى مرتبة الكلام المفعم الجامع المانع [٩٧]ولذا فقد اثبت نجاحه وبراعته في صياغة لغة درامية

٩٠- يوسف محمد رضا، مقدمة: مسرحية السيد، تاليف كورنيه، ترجمة وتقديم: يوسف محمد رضا، (بيروت دار الكتاب د: ت)، ص٤١..

٩١- لويس هر لاند، كورنيه، ترجمة: د. نيرفاناخراز، (بيروت المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٤)٢٣٣.

٩٢- يوسف محمد رضا، مقدمة هوراس، تاليف: كورنيه، ترجمة وتقديم: يوسف محمد رضا، (بيروت: دار الكتاب اللبناني) ص١٦.

٩٣- أنظر مليت وبنتلي، فن المسرحية، مصدر سابق، ص٣١.

٩٤- يوسف محمد رضا، المصدر السابق، ص٤١.

٩٥- ينظر: ب. هنجلف، اللامعقول، ترجمة: د. عبد الواحد لؤلؤة، (بغداد: دار الحرية للطباعة، ١٩٧٩) ص ٧٧

٩٦- لويس هر لاند، كورنيه، المصدر السابق، ص ٢٣١

٩٧- أنظر مليت وبنتلي، فن المسرحية، مصدر سابق، ص٣١ وما بعدها.

نبيلة وصفها احد النقاد بانها: " عالية الطبقة في معناها ومبناها، تتوارد فيها الواحدة بعد الاخرى جوامع الكلم الذي اجاد (كورنيه) طريقة سبكها حتى أصبحت علما عليه [٩٨]

٢- جان راسين: (١٦٣٩-١٦٩٩):

امتازت تجربة (راسين) الاسلوبية بسمات العمق والبساطة والرقة والدقة والعذوبة والتانق، وهي بذلك على النقيض من لغة (كورنيه) الخطابية الخشنة، وقد وصف الناقد والمؤرخ (كليمال بورغال) بانه " من المع صائغي الكلمة، وواحد من ابرع موسيقيي الشعر الفرنسي " [٩٩]و" ابرع كاتب صور الاساليب الكلاسيكية الفرنسية التي ميزت عصر لويس الرابع عشر " كما ذهب الى ذلك الناقد (الارديس نيكول) [١٠٠].

لقد كان (راسين) حاذقا في تسخيره للضرورات الدرامية الخالصة، حين اعتمد في نسج ماسيه على "لغة فصيحة، محدودة، دقيقة [١٠١] بعيدة عن الحشو و الاستطراد و تمتاز عباراتها " بالتركيز و تمام الصقل " [١٠٢]ليصح بذلك ما يقوله الناقد (كليمال بورغال) عن شعر راسين بانه:

(غير قابل للفصل عن الدراما " [١٠٣]و تقوم التجربة الاسلوبية في مسرح (راسين) الشعري على تتابع عمليات التوضيح و الصقل و الاقتراب المثابر من الكمال، من تعديل مستمر يجري على البنى لمنحها قوة اكبر و تناسقاً اكثر و تناغماً اوفر وصولاً الى الشعرية [١٠٤]. قد استطاع (راسين) ان يصل بذلك الى مرتبة شعر درامي تصفه اقلام النقاد و الدارسين بانه: شعر موزون، منسجم، متسق دوماً، انيق، يجمع بين بساطة اللغة و بساطة التصوير، و تتوافر فيه الصورة الشعرية الى جانب الحركة الدرامية، و يتوضح في محيط لغة موسيقية متانقة، طيعة، تعتمد اعتماداً دقيقاً على احساس (راسين) الجميل و العميق بموسيقى اللغة الفرنسية، و تنسجم انسجاماً تاماً مع ابعاد شخصياته النسائية – الانيقات الرقيقات – كما ينأى شعر راسين الدرامى عن الحشو و الاستطراد و التفكك و الحذلقة والتزويق و الزخرف، و هو سهل، ممتنع بسيط قريب من الطبيعة بحيث يصل في الكثير من الاحيان الى مستوى النثر الفني، كما نتسجم عباراته انسجاماً تاماً مع طابع العصر، و تتناغم مع احداث مسرحياته التي تشبه الاحداث في الحياة اليومية، اذ ليس ثمة ما يخالف المالوف فيها، و ابراز كل ذلك في صور شعرية يسيرة و لكنها عميقة كل العمق و تعد اسمى نموذج فني للشعر الفرنسي الكلاسيكي [١٠٥]. ونقرا الحوار التالي:

انطيغونا: وحدها ماذا قررت، ايتها الاميرة المنكودة الحظ ؟ بين ذراعيك ماتت امك، افلا تقدرين ان تقتفى خطواتها، وتنهى بالموت مصيرك البائس ؟ اتريدين ان تستبقى نفسك لكوارث جديدة ؟ اخواك ملتحمان، ولا شيئ يمكن ان ينقذهما من اسلحتهما الفاتكة.

انما امثولة تحفزك الى ان تمزقي خاصرتك فانت وحدك من يسكب الدمع اما الاخرون فيسكبون الدماء. ما النهاية المميتة في الامي ؟ بماذا ينبغي ان يستجير عذابي ؟ اعليّ ان اعيش ؟ اعليّ ان اموت ؟ حبيبي

٩٨- كليمان بورغال، جان راسين، ترجمة منى النجار، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات، ١٩٨٠) ص ٢١.

٩٩- كليمان بورغال، المصدر السابق.

١٠٠- الادريسي نيكول، المسرحية العالمية، ج ٢، المصدر السابق، ص ١٠٥.

١٠١- رونالدو بيكوك، الشاعر في المسرح، ترجمة ممدوح عدوان، (دمشق: مطبعة وزارة الثقافة، ١٩٧٨) ص١٥٤.

١٠٢- الارديس نيكوول، المصدر السابق نفسه، ص ١٠٥.

١٠٣- كليمال بورغال، جان راسين، المصدر السابق، ص ١٠١

١٠٤- المصدر نفسه.

١٠٥- ينظر الارديس نيكول، المسرحية العالمية، ج ٢ ص ١٠٥ – ميليت وبنتلي، فن المسرحية، ١٣٦ – كلمال بورغال، حان راسين، ١٣٧ – رياض عصمت البطل التراجيدي في المسرح العالمي، ص ٧ – عبد الحميد الدوخلي – مقدمة لمسربح راسين المجلد الاول، ص ٤٢، عبد الحميد الدوخلي – مقدمة بايزيد، المجلد الثالث، ص ١٤ – عبد الحميد الدوخلي، مقدمة: اتالي، المجلد الرابع، ص ١٩١.

يستبقيني، امي تدعوني واراها في ليل القبر تنتظرني فما يدفعني اليه العقل، يأباه الحب عليّ وينتزع مني رغبتي فيه.

ما اكثر الاسباب التي اراها تدعوني لمفارقة العالم لكن وا اسفاه ! ما اشد حرصنا على الحياة حين يكون حبنا قويا الى هذه الدرجة ! بلى ايها الحب، انت من يحتجز روحي الهاربة فانا اعرف صوت من غلبني: مات في قلبي مع ذلك تحيا، وتريد ان احيا انا كذلك، تقول ان حبيبي سيتبعني الى القبر وعليّ ان اصون شعلة ايامي لكي انقذ من احب هيمون، انظر ماللحب عليّ من سلطان: فانا لااريد ان اعيش ولئن شككت يوما بهذا اللهب الامين... لكن هاهو نبأ القتال المشؤوم.

موليير: (١٦٢٢ – ١٦٧٣).

تنوع اسلوب ملاهي (موليير) بين النثر الخالص و الشعر الخالص، موظفاً اللغة و الالفاظ توظيفاً مدهشاً في ارساء ملامح تجربتة الاسلوبية، باعتبارها ادق وسيلة من وسائل الاضحاك في مسرحه الكوميدي الرفيع.. فقد كتب مسرحيته البخيل (١٦٥٩).[١٠٦] بالنثر في خمسة فصول، و كذلك (المتحذلقات المضحكات ١٦٥٩) و (طرطوف ١٦٦٤) ثم كتب (المتزمت ١٦٦٦) بالشعر، ثم (البرجوازي النبيل ١٦٦٧.) بالنثر، و (النساء العالمات ١٦٧٢) بالشعر و

(مريض بالوهم، و دون جوان ١٦٧٣) و كلاهما بالنثر.[١٠٧] و قد حافظت ملاهي (موليير) على مواقع الشعر الى جانب مواقع النثر في عالم الملهاة. و كان يعاب على (موليير) احياناً ان نثره اشبه بالنظم و ان نظمه اقرب الى النثر [١٠٨] و في كتابه (الدراما) يعلق الناقد (اشلي ديوكس) على ذلك بقوله: " يبدو ان استخدام احد الاسلوبين النثري او الشعري في الملهاة، كان يخضع لارادة المؤلف اكثر من خضوعه لمقتضيات الموضوع نفسه، و لقد ساعدت – بلا شك – الخصائص الصوتية للغة الفرنسية، بما فيها من تكرار مستمر للمقطع الصامت في تقسيم ابيات

الشعر " [١٠٩] ان لغة (موليير) الدرامية تكسب ثرائها من ثراء الشخصيات المتنوعة التي رسمها بدقة و احكام، فمن هذه الشخصيات من يبلغ اقصى درجات التشاؤم و منها المتفائل الى ابعد

حدود التفاؤل، كما كان فيها الساخر الى ابعد درجات السخرية، و المتحذلق الى ابعد حدود الحذلقة، انها بتعبير ادق: " ثروة ادبية كبيرة، و كنز فريد من الشخصيات " [١١٠] و كانت لغة حواره تحمل الكثير من معاني الصدق و الدقة و الاصالة، فهو حينما يرسم شخصية ريفية يصطنع لها حديثاً يخيل الى الجمهور عندما يسمعونه، انهم وسط الريف يستمعون الى لغة ريفية في الفاظها و في عباراتها، و نبراتها و اخطائها و في عيوبها النطقية، و حين يرسم شخصية ارستقراطية يصطنع لها حديثاً من نوع اخر، حتى يخيل الى

١٠٦- عرضت البخيل في ٩ سبتمبر – ١٦٥٩، و قد قوبلت بفتور من الجمهور لانها كتبت بالنثر، فخرقت بذلك، كما هو الحال في دون جوان فيما بعد – احدى قواعد المسرح الكلاسيكي اذ كان العرض يقضي بالن تكتب المسرحيات الجادة بالشعر، و ان يترك النثر للمسرحيات الفكاهية.. البخيل ادهشت التقليدين و اثارتهم فصاحوا قائلين: امجنون موليير هذا، ايعتبرنا حيوانات اذ يفرض علينا خمس فصول بالنثر انظر: د. علي درويش، دراسات في الادب الفرنسي، (القاهرة الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٧٣) ص ٣٩.

١٠٧- د. علي درويش، المصدر السابق نفسه، ص ٣٠.

١٠٨- د. علي الزبيدي، المسرح و الشعر، من بحوث مهرجان المربد الشعري ١٩٧٤، (بغداد: دار الحرية للطباعة، ١٩٧٤) ص ١٧.

١٠٩- اشلي ديوكس، الدراما، ترجمة: محمد خيري، (القاهرة: مطبعة مخيمر د: ت ص ١٢)

١١٠- د. حسن عون، " مقدمة / مدرسة الازواج و ساجاناريل " تاليف: موليير، ترجمة و تقديم: حسن عون، القاهرة: سلسلة مسرحيات، عالمية، ١٩٦٥) ص ١٤.

الجمهور انهم وسط القصور يستمعون الى لغة تفيض وقاراً وحشمة و ادباً.[١١١] ولقد اثبت (موليير) قدرته الفائقة في رسم شخصياته سالفة الذكر، ليس بالالوان المتفاوتة المختلفة، ولكن بالكلمات والتراكيب الدقيقة الصامتة الموحية، وقد كان هذا الرسم يعتمد اعتمادا قويا على دقة الملاحظة وعمق التامل حتى قال النقاد عنه: " انه رجل مسرح بالمعنى الكامل " وهم لايقصدون من وراء ذلك سوى، انه الكاتب الفنان الذي يستطيع ان يبرز شخصياته في ادق صورة من حيث الملامح والقسمات ولغة الحديث. [١١٢]ولقد كشف موليير عن مقدرة فنية فذة واصيلة، وثروة لغوية طائلة، ومرونة في الاساليب اللغوية والتعبير الادبي، قلما تتوفر مثلها عند كاتب كوميدي اخر.[١١٣]

فاستطاع بذلك ان ينسج حوارا دراماتيكيا يصفه النقاد بانه " حوار حياة وليس حوارا ادبيا "[١١٤]. ومن مسرحية عدو البشر نطالع هذا الحوار:

السست: اقول لك: هذا امر انتهيت فيه الى الراي الحاسم.

فيلنت: لكن مهما يكن امر هذه الخصومة، هل تستلزم ان تلجئك...

السست: عبثا ما تحاول معي، وعبثا ما ترشدني، فلا شيئ يمكن ان يحيد بي عما قلت، ففي عصرنا الذي نحياه يسيطر فيض من فساد. واريد ان اعتزل الناس بقطع صلاتي بهم، عجبا ! قد راى الناس خصمي في الدفاع يخالف مبادئ الشرف والاستقامة والحياء والقوانين. وفي كل مكان يتحدث الناس في عدل قضيتي، وانما تعتمد نفسي فيها على ايماني بالحق.

وبالرغم هذا اراني خدعت في النتيجة: ففي جانبي العدالة، ثم اخسر الدعوى ! على حين يخرج ظافرا من البهتان المربع خداع يعرف الناس سيرته الفاضحة، ÷ وتذعن لخيانته كل اركان العدالة، ويجد وهو يذبحني وسيلة لتصويبه ! ونفاقه يفيض ببهرج التصنع، ولكن له من الاثر ما يطيح بالحق الثابت ويحيد بالعدالة ! ويثبت قواعد اجرامه بحكم قضائي، ولم يكتف بعد ذلك بما نسبوه من خطأ اليّ بل نشر بين الناس كتابا شنيعا جديرا بان تحظر قراءته نفسها، كتاب يستحق ان يعاقب عليه اقسى العقاب ثم تبلغ الوقاحة بهذا المخاتل ان يزعم اني مؤلفه وعلى مشهد من القوم يهمس بذلك " اورونت " محاولا في خبث ان يدعم هذا البهتان له مكانة الرجل السري في القصر، ولم اصنع به اذى سوى اني كنت معه صريحا صادقا اذ تقدم الي بالرغم مني في حماسة مشبوبة يطلب مني رايي في اشعار نظمها فسلكت في حكمي مسلك الاستقامة ولم اشا ان اخدعه لاهو ولا الحقيقة وهاهو ذا يساعد على اعانتي بجريمة وهمية وهاهو ذا اصبح لي اكبر عدو ولن اظفر ابدا من قلبه بعفو لاني لم اجد قصيدته طيبة والناس لعمري على تلك الشاكلة وانما تحملهم الكبرياء الكاذبة على تلك الافعال وهذا هو كل ما يجده المرء لديهم من الصراحة والغيرة على الفضيلة والعدالة والشرف فهيا فقد تجاوز العنت الطاقة مما يخلقون لنا من احزان فهيا نترك هذه الغابة هذه المفازة فما دمتم تعيشون هكذا بين الناس ذئابا في الحقيقة لن تروني ما عشت في صحبتكم ايها الخونة.

١١١- المصدر السابق نفسه، ص ١٤.

١١٢- د. حسن عون، " مقدمة / مدرسة الازواج و ساجاناريل، المصدر السابق نفسه، ص١٤.

١١٣- المصدر نفسه، ص١١.

١١٤- د. محمد عبد الحليم ود. فايزة هيكل، مقدمة: المنافق تاليف موليير: تر: د. محمد عبد الحليم وفايزة هيكل، (القاهرة سلسلة مسرحيات عالمية، ١٩٦٦)، ص١٩

المصادر و المراجع

١. ابراهيم محمد حمدي، دراسة عن نظرية الدراما الاغريقية، القاهرة: دار الثقافة للطباعة و النشر، ١٩٧٧ ..
٢. أرستو فانيس، الضفادع، ترجمة محمد صقر خفاجة، القاهرة الهيئة المصدرية العامة للكتاب، ١٩٧٤..
٣. اسماعيل، عز الدين، الشعر العربي المعاصر، قضاياه و ظواهره الفنية و المعنوية، بيروت دار العودة، ط ٣، ١٩٨١..
٤. البنهاوي، اسماعيل، مقدمة: مسرحيتي، اليكترا و اورستييس، تاليف يوروبيدس، ترجمة و تقديم: البنهاوي، الكويت: سلسلة المسرح العالمي العدد ٥٦ وزارة الاعلام، ١٩٧٤..
٥. التكريتي، جميل نصيف، قراءة و تاملات في المسرح الاغريقي، بغداد: دار الحرية للطباعة، ١٩٨٥..
٦. الحكيم، توفيق، الادب الفرنسي في العصره الذهبي، دمشق: مكتبة ربيع، ١٩٥٦..
٧. الديب، بدر، مقدمة كوميديا الاخطاء، تاليف، وليم شكسبير، ترجمة و تقديم: بدر الديب، المجلد ٣، القاهرة، دار المعارف بمصر، ١٩٦٨..
٨. بدران، محمد، مقدمة: تيتوس اندرونيكوس، تاليف: وليم شكسبير، ترجمة: صفية ربيع، المجلد الثاني، القاهرة: دار المعارف بمصر، ١٩٦٨..
٩. برادلي، ا.س، التراجيديا الشكسبيرية، الجزء الثاني، ترجمة: حنا الياس، القاهرة: دار الفكر العربي، (د: ت)..
١٠. بنتلي، اريك، نظرية المسرح الحديث، ترجمة يوسف عبد المسيح ثروت، بغداد: ١٩٧٥..
١١. بورغال، كليمال، جان راسين، ترجمة منى النجار، بيروت المؤسسة العربية للدراسات، ١٩٨٠..
١٢. بيكوك، رونالد، الشاعر في المسرح، ترجمة: ممدوح عدوان، دمشق: منشورات وزارة الثقافة و الارشاد القومي، ط ٢، ١٩٧٨..
١٣. الخياط، جلال، الاصول الدرامية في الشعر العربي، بغداد: دار الحرية للطباعة، ١٩٨٢..
١٤. جاسكوين، بامبر، الدراما في القرن العشرين، ترجمة: محمد فتحي، القاهرة: (د. ت)..
١٥. جبرا ابراهيم جبرا، مقدمة: هاملت، تاليف وليم شكسبير، ترجمة و تقديم: جبرا ابراهيم جبرا، (بيروت: دار القدس للطباعة و النشر، (د: ت))..
١٦. حاوي، ايليا، اسخيلوس، بيروت دار الكتاب اللبناني للطباعة و النشر، ١٩٨١..
١٧. حسين، مؤنس طه، مقدمة روميو و جوليت، تاليف: و ليم شكسبير، ترجمة و تقديم مؤنس طه حسين، القاهرة: دار المعارف بمصر، (د: ت).
١٨. درويش، علي، دراسات في الادب الفرنسي، القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٧٣..
١٩. ديوكس، اشلي، ترجمة محد خيري، القاهرة: مطبعة مخيمر، (د: ت).
٢٠. رشدي، رشاد، نظرية الدراما من ارسطو الى الان، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٦٨..
٢١. سكر، ابراهيم، الدراما الاغريقية، القاهرة: المؤسسة المصرية العامة للنشر، المكتبة الثقافية، ١٩٦٨..

٢٢. سكر، ابراهيم، الدراما الروما نية، القاهرة: دار الكتاب العربي للطباعة و النشر، ١٩٧٠..
٢٣. شعراوي، عبد المعطي، مقدمة، مسرحية، عابدات باخوس، تاليف: يوربيدس ترجمة و تقديم: شعراوي، الكويت: سلسلة المسرح العالمي، العدد ١٨٠ وزارة الاعلام، ١٩٨٤..
٢٤. صدقي، عبد الرحمن، المسرح الديني في العصور الوسطى، القاهرة: دار الكتاب العربي، ١٩٦٥..
٢٥. عامر، عطية، النقد المسرحي عند اليونان، بيروت: ١٩٦٤..
٢٦. عبد الحليم، محمد و فايزه هيكل، مقدمة المنافق، تاليف: موليير، تر: محمد عبد الحليم و فايزه هيكل، القاهرة سلسلة مسرحيات عالمية، ١٩٦٦..
٢٧. عبد الصبور، صلاح، و تبقى الكلمة، دراسات نقدية، بيروت: دار الحداثة، ١٩٧٠..
٢٨. عثمان، احمد، الشعر الاغريقي تراثاً انسانياً و عالمياً، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، ١٩٨٤..
٢٩. عثمان، احمد، مقدمة: هرقل فوق جبل اويتا، تاليف سينكا، ترجمة و تقديم: احمد عثمان، الكويت: سلسلة المسرح العالمي ، ١٩٨٧..
٣٠. عوض، محمد، مقدمة هنري الخامس، تاليف: وليم شكسبير، ترجمة و تقديم: محمد عوض، المجلد ٩، القاهرة: دار المعارف بمصر، ١٩٦٨..
٣١. عون، حسن، مقدمة مدرسة الازواج و ساجاناريل، تاليف موليير، ترجمة و تقديم: حسن عون، القاهرة سلسلة مسرحيات عالمية، ١٩٦٥..
٣٢. فاضل، عبد الحق، مقدمة يوليوس قيصر، تاليف: وليم شكسبير، ترجمة و تقديم عبد الحق فاضل، المجلد ١٠، القاهرة: دار المعارف بمصر، ١٩٧٣..
٣٣. محمود، حسن، مقدمة حلم ليلة صيف، تاليف: وليم شكسبير، ترجمة و تقديم حسن محمود، المجلد ٥، القاهرة: دار المعارف بمصر، (د: ت)..
٣٤. موسى، فاطمة، وليم شكسبير شاعر المسرح، القاهرة، دار الكتاب العربي للطباعة و النشر، ١٩٦٩..
٣٥. نور، علي، ملامح مصرية في المسرح الاغريقي، القاهرة، الدار القومية للطباعة، (د: ت)..
٣٦. نيكول، الارديس، المسرحية العالمية، ج١، ترجمة عثمان نوية، القاهرة، وزارة الارشاد و الثقافة القومي، (د: ت)..
٣٧. نيكول، الارديس، المسرحية العالمية، ج ٢، ترجمة: د. محمد حامد شوكت، القاهرة: مطبعة الرسالة، (د: ت)..
٣٨. نيكول، الارديس، علم المسرحية، ترجمة: دريني خشبة، القاهرة: المطبعة النموذجية، (د: ت)..
٣٩. هرلاند، لويس، كورنية، ترجمة: نيرفانا خراز، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات و النشر، ١٩٨٤..
٤٠. هنجلف، ب.، اللامعقول، عبد الواحد لؤلؤة، بغداد: دار الحرية للطباعة، ١٩٧٩..
٤١. بنتلي، وميليت، فن المسرحية، ترجمة: صدقي حطاب، بيروت دار الثقافة، ١٩٦٦ .
٤٢. جبرا ابراهيم جبرا، حول مشكلة الحوار في المسرحية العربية، مجلة المعرفة، دمشق العدد ٣٤، السنة ٣، ١٩٦٤..

٤٣. حمدي، كمال ممدوح، اتجاهات الدراما اليونانية، سوفوكلس، الحلقة ٢، مجلة الثقافة، (القاهرة)، العدد ١٧، السنة الثانية ١٩٧٥ ..
٤٤. شعراوي، عبد المعطي، سوفوكلس و لغة التراجيديا، مجلة العربي، الكويت: العدد ٢٨٨، السنة ١٩، ١٩٧٧..
٤٥. واين، جون، طبيعة مسرحيات شكسبير، ترجمة: كمال قاسم نادر، مجلة الثقافة الاجنبية، بغداد العدد ١، ١٩٨٢. .
٤٦. الزبيدي، علي، المسرح و الشعر، من بحوث مهرجان المربد الشعري ١٩٧٤، بغداد: دار الحرية للطباعة، ١٩٧٤..

حق النقض (الفيتو Veto) في مجلس الأمن

دراسة من منظور القانون الدولي

د. محمد حسين كاظم العيساوي

الملخص:

بسبب نشوب الحربين العالميتين الأولى والثانية التي جرفت في تيارها معظم دول العالم وكبدت شعوبها ملايين القتلى والجرحى والمشوهين وبما لا يقدر من الخسائر المادية ظهر التنظيم الدولي العالمي الذي تمثل في عصبة الأمم سابقا و منظمة الأمم المتحدة التي مازالت قائمه تعمل بجد وثبات وتكافح من اجل الحفاظ على السلم والأمن الدوليين وتجنب البشرية ويلات كوارثيه جديدة، فقد قامت منظمة الأمم المتحدة على أنقاض التنظيم الدولي المنهار (منظمة عصبة الأمم)، ومع ذلك كان عهد العصبة سابقة تاريخية في التنظيم الدولي، وتعتبر منظمة الأمم المتحدة نسخه منقحة من منظمة عصبة الأمم، فكثير من الخطوط الرئيسية والملامح الأساسية للعصبة تتجلى في منظمة الأمم المتحدة وعملية التنقيح والتعديل التي أنجزها واضعو الميثاق الأممي الجديد تدل على رغبتهم الصادقة في تلافي ما كان يشوب العصبة من عجز وقصور، وبالتالي فقد اقتبس مؤسسو منظمة الأمم المتحدة كثيراً من الهياكل والمؤسسات التي كانت موجودة بالعصبة، ومن أهم تلك الهياكل مجلس العصبة، لذلك أوجد المؤسسون لمنظمة الأمم المتحدة مجلساً سموه مجلس الأمن، ورغبة في تمكين هذا المجلس من تحقيق أهدافه وإدراك غاياته الأساسية اعترف له ميثاق الأمم المتحدة بحق إصدار القرارات الملزمة وبسلطة التدخل في المنازعات الدولية بغض النظر عن موافقة أو اعتراض الدول المتنازعة.

وفي السنوات الأخيرة أكدت معظم الدول في أكثر من مناسبة على أن الأمم المتحدة بشكل عام ومجلس الأمن الدولي تحديداً يمر اليوم بواحدة من أخطر الأزمات التي واجهته منذ إنشائه بعد أن فقد معظم صلاحياته، وبالأصح انتزعت منه أهم الصلاحيات التي أنشئ من أجلها، وهي الحيلولة دون قيام الحروب والمحافظة على السلم والأمن الدوليين خصوصاً في ظل هيمنة أحدى الدول العظمى على القرار العالمي وانتهاكها المستمر للمواثيق الدولية وعلى رأسها مبدأ امتناع الأعضاء عن استعمال القوة أو التهديد فيها في العلاقات بين الدول خارج إطار الشرعية الدولية، وقد كان تدخل مجلس الأمن الدولي في السنوات الأخيرة في أكثر من مشكلة دولية وتخطية صلاحياته الممنوحة له في ميثاق منظمة الأمم المتحدة سبباً وجيهاً بأن تستمر مطالبة أغلبية أعضاء المجتمع الدولي بضرورة إصلاحه، فقد جعل موضوع إصلاح مجلس الأمن بما في ذلك نظام التصويت وبالذات حق النقض الفيتو فيه يكتسب أهمية أكبر وجعله أكثر إلحاحاً عن ذي قبل.

ولأهمية هذا الموضوع وما يثيره من إشكاليات على الساحة الدولية فقد تم دراسته من خلال ثلاث مباحث احتوى الأول والذي يتعلق ببيان مفهوم حق النقض الفيتو مطلبين تناول الأول الأساس القانوني له والثاني لأنواعه، واحتوى المبحث الثاني الذي خصص لدراسة استعمال حق النقض الفيتو مطلبين وضح الأول آلية استعماله والثاني مدى إمكانية تقييد استعماله، واحتوى المبحث الثالث الذي تم فيه بيان تقويم حق النقض الفيتو مطلبين أيضا بين الأول مزاياه وعيوبه والثاني محاولات إصلاحه، وأخيرا فان هناك خاتمة تتضمن على مجموعه من الاستنتاجات والتوصيات .

المبحث الأول: مفهوم حق النقض(الفيتو)

حق النقض الفيتو لغة هو كلمه لاتينية معناها (أنا لا سمح أو أنا امنع) هو حق إجهاض وعدم تمرير أي مشروع قانون أو قرار مقترح، أي اعتراض شخص أو هيئة على إصدار تشريع مقترح، فبعض الدساتير منحت الملوك و الرؤساء حق الفيتو، مثل الدستور الانجليزي الذي منح الملك هذا الحق، و كذلك الدستور الأمريكي الذي منح الرئيس حق النقض على مشروعات القوانين التي يقترحها الكونجرس. هو صفة تعزى إلى القوة، أو هو القدرة على وقف النتائج غير المرغوب فيها. ثم إنه قدرة توجد لدى طرف واحد، مع أن الفاعلين قد يتعاونون على ممارسة مشتركة للفيتو. ويمكن إضفاء الطابع الشرعي على الفيتو بالنص عليه في القوانين الداخلية والدولية [1] .

ومن وجهة نظر القانون الدولي يُعرف حق النقض الفيتو على انه حق الاعتراض الذي تستخدمه إحدى الدول الدائمة العضوية في مجلس الأمن عند التصويت على أي مشروع قرار يتعلق بالمسائل الموضوعية(المهمة) دون المسائل الاجرائيه التي تعرض أمام مجلس الأمن دون إبداء الأسباب، و أن هذا النظام في التصويت اعتمد في مجلس الأمن لتشجيع الدول الكبيرة والمؤثرة في العلاقات الدولية على المشاركة في الأمم المتحدة عقب الحرب العالمية الثانية، بعد أن تبين لها أنها قد تخسر بعض الامتيازات في حال شاركت في منظمة تحترم الديمقراطية. ومنح هذا الحق للأعضاء الخمس الدائمة العضوية في مجلس الأمن الدولي، وهم: روسيا، الصين، المملكة المتحدة، فرنسا، الولايات المتحدة [2] .وهو في واقع الأمر ليس مجرد اعتراض على مشروع القرار المعروض أمام مجلس الأمن فحسب بل هو إسقاط للقرار[3]. و قد أصبح هذا الاصطلاح متداولا منذ قيام الأمم المتحدة عام ١٩٤٥ وبالذات في مجلس الأمن الدولي ولأعضائه الخمسة الدائمين العضوية الذين يمتلكون هذا الحق بمواجهة أي مشروع قرار يعرض للتصويت في المجلس، إذ يكفي لعدم تمرير أو إصدار أي مشروع قرار اعتراض أي دوله من هذه الدول حتى لو وافق عليه جميع الأعضاء الآخرين وحتى وإن كان مقبولاً للدول الأعضاء الأربعة عشر الأخرى [4] الدائمين وغير الدائمين في مجلس الأمن. ويتناقض هذا النظام عموماً مع القواعد الأساسية التي تشترطها النظم الديمقراطية، فناهيك عن أن الدول الخمس الدائمة العضوية في مجلس الأمن لم تنتخب لعضوية هذا المجلس بصورة ديمقراطية، فهي أيضاً لا تصوت على القرارات بنظام الأغلبية المعروف. وأن نظام التصويت المتبع في مجلس الأمن ساهم في إضعاف بل وتقويض نزاهة الأمم المتحدة، وقد أدى الإسراف في استخدام حق النقض الفيتو من جانب بعض الأعضاء الدائمين في مجلس الأمن إلى إصابة منظمة الأمم المتحدة بالعجز في

1- http://www.elmokhtar.net/modules.php?name=News&file=article&sid=127.last visit 2010-3-19.

2- <<مجلس الأمن لمنظمة الأمم المتحدة>>http://ar.wikipedia.org/wiki. last visit 2010-3-6 .

3- <<论安理会中的否决权问题>> http://www.lw23.com/paper_144498811_3/ ,2010年4月13日最后一次访问。

4- <<حق الفيتو في مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة>>http://ar.wikipedia.org/wiki. last visit 2010-3-24.

تحقيق أهدافها[٥]. ويرى البعض أن التوافقات التي يتطلبها صدور القرارات في مجلس الأمن تحت ظل الفيتو، تضعف من النزاهة والموضوعية لتلك القرارات [٦] . ، لذلك فقد ظهرت في السنوات العشر الأخيرة آراء تطالب بتعديل ميثاق الأمم المتحدة من خلال زيادة أعضاء مجلس الأمن الدائمين دون المساس بحق النقض بإضافة دول أخرى مقترحة كاليابان وألمانيا والبرازيل، وآراء أخرى تنادي بمنح مقعد دائم لكل من دول أفريقيا وأمريكا الجنوبية وينبغي الإشارة كذلك إلى إن الدول العربية هي الأخرى تقدمت بمطلب تسعى فيه للحصول على ثلاث مقاعد في مجلس الأمن منها مقعد دائم ومقعدان غير دائمين بما يتناسب مع تعداد سكانها، وآراء أخرى تدعو إلى وضع ضوابط لمنع إساءة حق النقض واتخاذه أساسا للاسترسال في عدم المساواة وإيقاع الظلم بالآخرين والسيطرة على مقدرات العالم، وهناك بعض الآراء الداعية إلى تعديل أو إلغاء حق الفيتو واعتماد نظام أكثر شفافية وديمقراطية وتوازن عند التصويت على مشروعات القرارات في مجلس الأمن. ولغرض الإلمام أكثر فأكثر بمفهوم حق النقض الفيتو فان ذلك يقتضي منا توضيح أساسه القانوني ومن ثم تحديد أنواعه، وسنقوم بشرح كل ذلك في مطلب مستقل وكالاتي.

المطلب الأول: الأساس القانوني لحق النقض

لغرض بيان الأساس القانوني لحق النقض فان ذلك يقتض الإجابة عن الأسئلة التالية، هو كيف حصلت الدول الخمس الدائمة العضوية في مجلس الأمن على حق النقض ؟ هل حصلت عليه بسبب بموجب صفقه سياسيه شاملة لترغيب الدول الكبرى للانضمام لمنظمة دوليه ديمقراطيه لا تجني من الانضمام إليها إلا المتاعب وبمقابل هذا تُمنح الدول الكبرى حق النقض؟ أم إنها حصلت علية بموجب اتفاق كانت فيه الدول الكبرى هي الأقوى في العقد وهي التي تفرض شروطها على الدول الصغيرة[٧] ؟ أم إنها حصلت عليه بموجب اتفاق إرادات الدول جميعا على منح هذا الحق للدول الكبرى ؟

لا شك إن نظام التصويت في مجلس الأمن كانت من أصعب المسائل التي واجهتها الأمم المتحدة عند صياغة الميثاق في (مؤتمر دمبارتون أوكس Dumbarton Oaks Conference) ١٩٤٤. وبقيت هذه المسألة معلقه حتى انعقاد)مؤتمر يالطا Yalta Conference) 1945 بين كل من فرانلكين روزفلت رئيس الولايات المتحدة الامريكيه و ونستون تشرشل رئيس وزراء بريطانيا والزعيم السوفيتي جوزيف ستالين، في هذا المؤتمر عرض الرئيس روزفلت مقترحا أيده ستالين و تشرشل وقبلت به الصين فيما بعد وهو المقترح الذي جاءت صياغته (في المادة ٢٧) من الميثاق والتي عرفت فيما بعد بصيغه يالطا [٨]. ولكن المادة ٢٧ قد أثارت جدلا واختلافات حادة في وجهات النظر في(مؤتمر سان فرانسيسكو(San Francisco Conference ١٩٤٥ .هذه المادة وليدة مؤتمر يالطا كما سبق أن اشرنا إليها لدرجة إنها تعرف بصياغة يالطا وهي في نفس الوقت أساس ما يسمى بحق النقض الفيتو وأمام اعتراض الدول المدعوة في مؤتمر سان فرانسيسكو على صيغة المادة ٢٧ قامت الدول الداعية بإصدار ما يمكن اعتباره مذكرة تفسيرية لنص المادة ٢٧ من الميثاق في

5- <<الفيتو الأمريكي يحتم توسيع عضوية مجلس الأمن وضبط استخدام حق النقض >> http://www.aawsat.com/leader.asp?section=3&article=34771&issueno=8171,last visit 2010-04-08 .

6- <<حق الفيتو في مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة>>http://ar.wikipedia.org/wiki. last visit 2010-3-6 .

٧- يطلق على هذه العقد في القوانين المدنية بعقد الإذعان وهي صيغة من صيغ إبرام العقود تعتمد على استخدام نموذج نمطي للعقد يعده أحد طرفي العلاقة التعاقدية بصورة منفردة ويعرضه على الطرف الآخر الذي ليس له إلا الموافقة عليه كما هو أو رفضه دون أن يكون له أن يغير في العبارات الواردة فيه أو الشروط والأحكام التي يتضمنها ولا أن يدخل في مجاذبة أو مساومة حقيقية على شروطه مع الطرف المعد لهذا العقد، ومن هذا وصفت هذه العقود "بالإذعان". وقيل إن أول من سماها بهذا الاسم الفقيه الفرنسي سالي في مطلع القرن العشرين.

٨ - د. محمد طلعت الغنيمي، التنظيم الدولي، الطبعة الأولى، منشأة المعرف، الاسكندريه، ١٩٧٤، ص٦٣٠.

سنة ١٩٤٥ [٩].كان هذا هو اقتراح الولايات المتحدة الامريكيه وتطابق موقف بريطانيا مع هذا الطرح وقد عارض الاتحاد السوفيتي هذا المقترح ودافع عن فكرته القائلة إن القرارات المتصلة بالمشكلات الأكثر أهميه لحفظ السلام والأمن بين الدول يجب أن تتخذ بالموافقة الجماعية للدول الثلاث المنتصرة (الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الامريكيه وبريطانيا) وكذلك كل من الصين وفرنسا بوصف الدولتين تتمتعان بحقوق العضوية الدائمة [١٠] .

وهوجمت امتيازات الدول الكبرى في مسألة التصويت في المجلس من جانب الدول الأخرى إلا إن الدول الكبرى تمسكت بالصيغة التي أقرتها في مؤتمر يالطا، وفي مؤتمر سان فرانسيسكو عرض الحال على المجتمعين فاندلع الخلاف من جديد بينهم، وحملت الدول الصغرى على الامتيازات التي أقرتها الدول الكبرى لنفسها، ولم تأبه الدول الكبرى باعتراضات الدول الصغرى وان الاعتراضات لم تغيير شيئا من صيغة الاتفاق الذي اتخذه الكبار في مؤتمر يالطا. إلا إن الدول الدائمة العضوية قد أكدوا في إثناء المناقشات على أنهم لن يستعملوا حق النقض إلا في أضيق الحدود وعلى أنهم في استعمالهم لهذا الحق سيحدوهم دائما الشعور بمسؤولياتهم تجاه الدول الصغرى وسيأخذون بعين الاعتبار حقوق تلك الدول، وبعد وضع الميثاق وتطبيقه اختلف الكبار أنفسهم على الأسس التي اتفقوا عليها، ومازالت هذه المسألة تؤرق جفون المنظمة العالمية وتقف حجر عثرة في سبيل تفاهم أعضاؤها وإصدار القرارات [١١].

وحق النقض يشتق من الناحية الدستورية من نص المادة ٢٧ من الميثاق التي تتحدث عن كيفية إجراء التصويت في مجلس الأمن، فهي بعد أن تقرر أن لكل عضو من أعضائه صوتا واحد[١٢]، فإنها تميز بين نوعين من القرارات فبموجب الفقرة الثانية فان القرارات التي تتعلق في المسائل الإجرائية (غير المهمة) تصدر بموافقة أغلبية تسعة أعضاء على الأقل دون تمييز بين أصوات الأعضاء الدائمين وأصوات الأعضاء غير الدائمين. وبموجب الفقرة الثالثة فان القرارات التي تتعلق في المسائل الأخرى(المهمة أو الموضوعية) فإنها تصدر بموافقة تسعه على الأقل من الأعضاء بشرط أن يكون من بينها أصوات الأعضاء الدائمين متفقه [١٣]. وهذا يعني إن كل عضو دائم في المجلس يملك حق النقض الفيتو عند التصويت على مشروعات القرارات الموضوعية، فإذا اعترض بمفرده، أو إذا اعترض الأعضاء الدائمون مجتمعين، على قرار في مسألة موضوعيه فان المجلس لا يمكنه إصدار قرار في هذا المسألة. أما العضو غير الدائم فلا يملك هذا الحق بمفرده.

إن ما اتفقت عليه الدول الكبرى في مؤتمري يالطا وفرانسيسكو والذي تم تدوينه في المادة ٢٧ من ميثاق منظمة الأمم المتحدة يعد الأساس القانوني لحق النقض الفيتو الذي يتمتع به الأعضاء الدائمين في مجلس الأمن، فعندما اجتمع المشرعون الدوليون في مؤتمر سان فرانسيسكو من ٢٥ نيسان وحتى ٢٦ حزيران

٩- جاء بتلك المذكرة التفسيرية ما يأتي :١.حلول الإجماع الجزئي محل الإجماع الكامل الذي كان مقررا لمجلس العصبة وليس من شان هذا النظام تخويل الأعضاء الدائمين حقا جديدا هو حق النقض فقد كان أعضاء مجلس العصبة الدائمون يتمتعون به. كما إن (اتخاذ القرارات بأغلبية تسعة أصوات تجعل عمل المجلس اقل تعرضا للتعطيل عما كان عليه الحال في مجلس العصبة) ٢. الدول الخمس الكبرى لا تستطيع بمقتضى هذا النظام للتصويت أن تتصرف وحدها إذ يلزم بجانب أصواتها أربعة على الأقل من أصوات الأعضاء غير الدائمين. وبعبارة أخرى تستطيع سبعة دول من الأعضاء غير الدائمين أن تمارس جماعيا حق النقض ٣. يفترض إن الأعضاء الدائمين وغير الدائمين لن يستعملوا حق النقض لتعطيل عمل المجلس عمدا لان التعمد يتنافى مع مبدأ حسن النية الذي يعتبر احد المبادئ الأساسية التي يقوم عليها الميثاق ٤. لا يتوقع من الأعضاء الدائمين، بالنظر إلى المسؤوليات الأساسية التي ينهضون بها، أن يتصرفوا في مسائل خطيرة بحفظ السلم والأمن الدوليين نتيجة لقرار لم يوافقوا عليه. ولذلك فان السبيل الوحيد للأخذ بقاعدة الأغلبية في المجلس هو أن يشترط في المسائل الموضوعية إجماع الأعضاء الدائمين بالإضافة إلى صوت أربعة أصوات من أصوات غير الدائمين.

10-论联合国安理会否决权的利弊及改革问题http://www.lw23.com/paper_102741031_5 , 2010年4月22日最后一次访问。

11- Chrles G. Fenwich ,International Law , New York :Appleton – Century ,Crofts , 1965,P.215.

١٢- الفقره الثانيه من الماده ٢٧ من ميثاق منظمة الامم المتحده.

١٣- الفقره الثالثه من الماده ٢٧ من ميثاق منظمة الامم المتحده.

١٩٤٥ وجدوا إن المادة ٢٧ من الميثاق التي تمنح هذا الحق للدول الخمس الدائمة العضوية في مجلس الأمن قد أدرجت في الميثاق ولم يكونوا أحراراً في رفضها أو تعديلها لأنه جرى إفهامهم أن الدول الخمس لن توقع على المشروع إذا جرى أي مساس بهذه الامتياز الذي منح لهم بموجب هذه المادة، الأمر الذي أدى إلى أن تقوم الدول على التوقيع على الميثاق دون الاعتراض على منطوق المادة ٢٧ من الميثاق. وبهذا يمكن تكييف الاتفاق الذي تم بموجبه منح حق النقض الفيتو للدول الكبرى والذي ثبت في ميثاق الأمم المتحدة في المادة ٢٧ الفقرة ٣ بأنه اتفاق إذعان اعتمد على ما أعدته الدول الكبرى بصورة منفردة من شروط تم بموجبه منحها حق النقض الفيتو باعتبارها طرفا في العلاقة التعاقدية ليعرض على الطرف الآخر وهي الدول الصغرى التي ليس لها إلا الموافقة على الاتفاق كما هو أو رفضه دون أن يكون لها حق تغير العبارات الواردة فيه أو الشروط والأحكام التي يتضمنها ولا أن تدخل في مفاوضة أو مساومة حقيقية على شروطه مع الطرف المُعد لهذا الاتفاق.

المطلب الثاني: أنواع حق النقض(الفيتو)

في سياق الحديث عن مفهوم حق النقض الفيتو فان الأمر يقتضي الإشارة إلى بيان أنواع الفيتو والتي يمكن تقسيمها على النحو التالي:

الفيتو الحقيقي أو المبسط:

وهو يعني التصويت السلبي من قبل عضو من الأعضاء الدائمين في مجلس الأمن على مسألة موضوعيه، أي انه في حالة ما إذا صوتت أي من الدول الأعضاء الدائمين سلبا ضد أي مشروع قراريتعلق بالمسائل الموضوعية فان القرار لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يصدر، وهذا الفيتو هو النوع المألوف والشائع الاستعمال في أروقة مجلس الأمن ويسمى الفيتو الحقيقي أو الافتتاحي.

الفيتو المزدوج:

لم ترد المسائل الإجرائية ولا المسائل الموضوعية على سبيل الحصر في الميثاق، لذلك فانه ولغرض تكييف مسألة معينه يصار إلى عرضها أمام مجلس الأمن للتصويت عليها لبيان طبيعتها هل هي مسألة إجرائية أم موضوعيه. وأثناء التصويت يقوم العضو الدائم الذي يريد الحيلولة دون صدور قرار معين من مجلس الأمن لصالح تلك المسألة يكيف تلك المسألة على أساس أنها موضوعيه وليس إجرائية، وذلك باستخدام حق النقض بقصد تحويل المسألة المعروضة المراد تكييفها من إجرائية إلى موضوعية. ولقد ظهر الاعتراض المزدوج استنادا إلى اعتبار مسألة التكييف القانونية مسألة موضوعية حيث تستطيع الدول الدائمة استعمال حق النقض سواء عند البحث في موضوع التكييف وسواء عند دراسة الموضوع ذاته.

وعلى سبيل التمثيل لا الحصر في عام ١٩٤٦ تقدمت كل من بريطانيا واستراليا إلى مجلس الأمن بمشروع قرار مؤداه إبقاء المسالة الاسبانية على جدول أعمال المجلس وكما هو معروف فان جدول الأعمال - في غالب الأمر- يكون من الأمور الإجرائية، إلا إن مندوب الاتحاد السوفيتي أراد أن يحول هذا الموضوع من مسالة إجرائية إلى مسالة موضوعيه ليحول بذلك دون أن يتخذ المجلس قرارا في هذا الشأن. وكان رأي رئيس المجلس إن هذه المسالة هي مسألة إجرائية أي إبقاء المسالة الاسبانية على جدول أعمال المجلس، لكن مندوبي الاتحاد السوفيتي السابق وفرنسا في ذلك الوقت صوتوا سلبيا ضد مشروع قرار التكييف مستخدمين حق النقض، وبذلك تكيفت المسالة بأنها موضوعيه وليست إجرائية ولو طرحت المسالة للمناقشة وأراد المجلس أن يتخذ قرارا في شان هذا الموضوع لاستخدام الاتحاد السوفيتي أو فرنسا أو الاثنين معا حق النقض ليحولا دون صدور قرار بذلك، ويسمى الفيتو في هذه الحالة بالفيتو المزدوج.

وفي مثال آخر كان على جدول أعمال المجلس طلب انضمام كل من حكومة ألبانيا ومنغوليا إلى عضوية الأمم المتحدة، واقترحت الولايات المتحدة الأمريكية تأجيل التصويت على الطلبات المذكورة، وعلى ذلك

قرر رئيس المجلس أن طلب الولايات المتحدة الأمريكية يعتبر إجرائيا، ولكن بالتأكيد هناك اعتراض على هذا الرأي، وفي هذا الشأن قرر الرئيس طرح الموضوع للتصويت بالطريقة الآتيه : (أني أطلب من الأعضاء الذين يعتبرونها مسألة إجرائية أن يرفعوا أيديهم). فكانت النتيجة إن هناك خمس دول صوتت لصالح إجرائية المسالة ولكن اعترضت أربع دول أخرى على ذلك التكييف وكل تلك الدول الأربع أعضاء دائمة في مجلس الأمن أي أن هذه الدول قد استخدمت حق الفيتو ضد قرار تكييف المسألة، وعند النظر في طلب أي من الحكومتين للانضمام للأمم المتحدة فان الأمر يقتضي استخدام حق النقض في قبول عضوية هذه الدول أو تلك ويطلق على هذا النوع من الفيتو أيضا الفيتو المزدوج.

الفيتو المستتر:

الفيتو المستتر يعني الدفع بثلث الأعضاء للامتناع عن التصويت او التصويت ضد مشروع القرار المعروض أمام مجلس الأمن، وهذا النوع من الفيتو صورة تكشف واقع العمل في مجلس الأمن خصوصا بالنسبة لنظام التصويت. وتفسير ذلك إن الولايات المتحدة تمكنت عن طريق السيطرة على عدد كاف من الأصوات داخل المجلس من منع صدور أي قرار من المجلس يتعارض مع مصالحها أو يقف دون أطماعها، ومن دون أن يستعمل أي من الأعضاء الدائمين حق النقض، وتأسيسا على ذلك يكون الاختلاف بين كل من الاتحاد السوفيتي(السابق) والولايات المتحدة اختلافا شكليا أو ظاهريا أكثر منه اختلافا حقيقيا أو واقعيا. فكلا الطرفين استعمل حق الفيتو وان كانت روسيا قد استعملت حق الفيتو القانوني أي الظاهري إلا إن الولايات المتحدة استعملت ما يمكن تسميته بالفيتو الواقعي أي المستتر[١٤].

الفيتو بالوكالة :

يمكن استعمال الفيتو بالوكالة أو بالنيابة عندما تقدم دولة دائمة العضوية على استعمال حق النقض الفيتو لصالح دولة أخرى من الدول الدائمة العضوية، فبموجب المادة ٢٧ فقره ٣ تشترط انه في القرارات المتخذة تطبيقا لإحكام الفصل السادس والفقرة ٣ من المادة ٥٢ يمتنع من كان طرفا في نزاع عن التصويت[١٥]، فعضو مجلس الأمن الدولي الدائم الذي يكون طرفا في نزاع معروض على المجلس الامتناع عن التصويت ويمكن أن ينيب هذا العضو عضو آخر في مجلس الأمن باستخدام حق النقض، وهذا التصرف يعرف بالفيتو بالوكالة، وأكثر الدول التي تمارس هذا النوع من الفيتو هي الولايات المتحدة الأمريكية [١٦].

الفيتو الجماعي:

يمكن للأعضاء غير الدائمين في مجلس الأمن أن يكون لهم الحق في نقض أي مشروع قرار يعرض أمام المجلس، فمتى ما رفض أكثر من ستة أعضاء غير دائمين في المجلس مشروع القرار أثناء التصويت عليه فان الأغلبية المطلوبة من تسعة أصوات لا يمكن أن تتحقق حتى لو صوت كل الأعضاء الدائمين لصالح مشروع القرار، وهذا النوع من الفيتو نادر الحصول.

١٤- د. ابراهيم احمد شلبي، التنظيم الدولي دراسة في النظرية العامة والمنظمات الدولية، الدار الجامعية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٤، ص٣١٣.

15- Decisions of the Security Council on procedural matters shall be made by an affirmative vote of nine members including the concurring votes of the permanent members; provided that, in decisions under Chapter VI, and under paragraph 3 of Article 52, a party to a dispute shall abstain from voting.

١٦- د. محمد صالح المسفر، منظمة الأمم المتحدة خلفيات النشأة والمبادئ، الطبعة الأولى، مكتبة دار الفتح، الدوحة، ١٩٩٧، ص ٢٧٤.

المبحث الثاني: استعمال حق النقض الفيتو

في هذا المبحث سوف نحاول أن نبين آلية استعماله ومدى إمكانية تقييد استعماله وسنخصص لكل منها مطلب مستقل.

المطلب الأول: آلية استعمال حق النقض

لمجلس الأمن في منظمة الأمم المتحدة كما هو الحال بالنسبة للجمعية العامة جملة من الضوابط الخاصة بالإجراءات وحق عرض الموضوعات والمراحل التي تمر فيها هذه الموضوعات حتى بدأ عملية التصويت النهائي عليها. إن نظام التصويت في مجلس الأمن من أهم المسائل في منظمة الأمم المتحدة، كما أثارت شكوك الدول المدعوة في مؤتمر سان فرانسيسكو لاحتمال إخلال مجلس الأمن بوظائفه بسبب استعمال هذا النظام في التصويت وقد ظهر بجلاء تحقق هذين الأمرين حيث ظل نظام التصويت مظهر من مظاهر عدم المساواة كما ظل سببا رئيسيا وراء العجز الذي أصاب المجلس في كثير من الأحيان.

ويقوم نظام التصويت في المجلس طبقا للمادة ٢٧ من ميثاق الأمم المتحدة على الآتي :

١. يكون لكل عضو من أعضاء مجلس الأمن صوت واحد.

٢. تصدر قرارات مجلس الأمن في المسائل الإجرائية بموافقة تسعة من أعضائه.

٣. تصدر قرارات مجلس الأمن من المسائل الأخرى كافة بموافقة أصوات تسعة من أعضائه يكون بينها أصوات الأعضاء الدائمين مجتمعة بشرط انه في القرارات المتخذة تطبيقا لأحكام الفصل السادس والفقرة الثانية من المادة ٥٢ يمتنع من كان طرفا في النزاع عن التصويت.

وهكذا جاء نص المادة ٢٧ الذي وضع نظاما للتصويت يختلف حسب طبيعة المسائل المعروضة على المجلس هل هي مسائل إجرائية أم إنها مسائل موضوعية، وللتعرف على طبيعة هذه المسائل والنظام القانوني المتبع للتصويت على كل منها سوف نبحثها في الفقرة الآتية.

أولا: التمييز بين المسائل الإجرائية والمسائل الموضوعية

١. المسائل الإجرائية:

يثير التصويت على المسائل الإجرائية أي المتعلقة بالإجراءات تساؤلات عديدة من أهمها تحديد المقصود بالمسائل الإجرائية ونظام التصويت عليها.

المقصود بالمسائل الإجرائية :

المسائل الإجرائية هي كما تشير إلى ذلك التسمية، الأمور المتعلقة بالإجراءات بصفة عامة ومع ذلك فان هذه التسمية تثير الكثير من الشكوك خاصة بالنسبة للأمور التي يمكن إدخالها في زمرة المسائل الإجرائية. ومما ساعد على ذلك إن الميثاق نفسه لم يحدد المقصود بالمسائل الإجرائية. ويستند الفقه عادة في تحديد المسائل الإجرائية إلى ما جاء بمذكرة الدول الكبرى بتاريخ ٧ يونيو ١٩٤٥ السابق الإشارة إليها. فقد تضمنت هذه المذكرة إن المسائل التي وردت في المواد ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٢ من الميثاق تعتبر من المسائل الإجرائية وانطلاقا من هذا تعتبر مسائل إجرائية كل من : إقرار تعديل قواعد الإجراءات، تحديد طرق اختيار الرئيس، تنظيم المجلس لنفسه على نحو يجعله قادرا على أن يعمل باستمرار، اختيار الأوقات والأماكن لاجتماعاته العادية الخاصة، إنشاء الاجهزه والوكالات التي يراها مناسبة لقيامه بوظائفه، دعوة دولة عضو في الأمم المتحدة غير ممثل في المجلس لحضور مناقشات تهمها، دعوة دوله للاشتراك في مناقشة البند المطروح على جدول الأعمال إذا كانت تلك الدول طرفا في النزاع موضوع البحث.

كما انه بحكم السوابق والممارسات في مجلس الأمن فقد اعتبرت الموضوعات الآتية من الأمور الإجرائية أيضا : إضافة بند إلى جدول الأعمال، تنظيم إدراج المواضيع على جدول الأعمال، تأجيل مناقشة بند

مطروح على جدول الأعمال، قرار رئيس المجلس في أية مسألة تثار أمام المجلس، تعليق و رفع جلسات المجلس، دعوة المشاركون في المناقشات في المجلس، إدارة الجلسات، قرار المجلس بدعوة الجمعية العامة للانعقاد طبقا للمادة ٢٠، وعموما كل ما يتعلق بالعلاقات بين الأجهزة الرئيسة لمنظمة الأمم المتحدة والتعاون بينها يعتبر من قبيل المسائل الإجرائية.

آلية التصويت على المسائل الإجرائية :

المسائل الإجرائية تصدر القرارات أو التوصيات بشأنها بأغلبية تسعة أصوات من بين الخمسة عشر عضوا في مجلس الامن وعلى ذلك فهي أغلبية ثلاثة أخماس. ولا يشترط غير ذلك من الشروط حيث يجوز أن يكون من بين هؤلاء كل أو بعض الدول ذات المقاعد الدائمة، كما يجوز أن يكون ذلك قاصرا على تسعة أعضاء من بين العشر أعضاء غير الدائمين بالمجلس.

٢. المسائل الموضوعية :

يثير التصويت على المسائل الموضوعية تساؤلات عديدة من أهمها تحديد المقصود بالمسائل الموضوعية ونظام التصويت عليها وما يثيره في العمل من مشاكل عديدة.

المقصود بالمسائل الموضوعية :

لم يتضمن الميثاق تحديدا للمقصود بالمسائل الموضوعية بل انه لم يستعمل الكلمة ذاتها وهو ما يتضح من نص المادة ٢٧ بعد تعديلها التي قررت إن تصدر قرارات مجلس الأمن في المسائل الإجرائية بموافقة تسعة من أعضائه وتصدر قرارات مجلس الأمن في المسائل الأخرى كافة بموافقة تسعة من أعضائه يكون من بينها أصوات الأعضاء الدائمين متفقة، والميثاق الذي فرق بين المسائل الإجرائية والمسائل الموضوعية لم يضع معيارا للتفرقة ولم تتضمن المذكرة التفسيرية الصادرة عن الدول الكبرى لنص المادة ٢٧ من الميثاق أي تحديد للمقصود بالمسائل الموضوعية. إن التصريح المشترك الصادر عن الكبار في مؤتمر سان فرانسيسكو قد ذكر صراحة أن المسائل التي ورد ذكرها في المواد ٢٨ – ٣٢ من الميثاق تعد من المسائل الإجرائية [١٧] وذكر كذلك انه تعد من المسائل الإجرائية مسالة الفصل في معرفة ما إذا كانت مسألة ما تعد من المسائل الإجرائية أم الموضوعية ، غير إن الدول الكبرى تصر على اعتبار هذا المسألة من المسائل الموضوعية لكي يتسنى لها استعمال حق النقض عند الحاجة. وقد جرى عمل المجلس على إن المسائل الموضوعية هي تلك التي لم يرد ذكرها في المواد ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٢ من الميثاق. كما اعتمدت في العمل ما جاء بالمذكرة المشار إليها من إن مسالة التكييف تعتبر مسالة موضوعية والمقصود بالتكييف تقرير ماذا كانت مسالة معينة هي مسالة موضوعية أم مسالة إجرائية. هذا الفصل في طبيعة المسالة يعتبر في حد ذاته مسالة موضوعية يسري عليها كل ما يسري على المسائل الموضوعية من أحكام التصويت. من خلال ما تقدم نجد إن الميثاق لم يضع معايير واضحة ومحدده تبين المسائل الموضوعية التي تستطيع الدول الدائمة العضوية في مجلس الأمن استعمال حق النقض عليها والمسائل الإجرائية التي لا تستطيع معه تلك الدول استعمال حق النقض عليها.

التصويت على المسائل الموضوعية

تصدر قرارات مجلس الأمن في المسائل الموضوعية بأغلبية تسعة أصوات بشرط أن يكون من بينهم أصوات الدول الخمس ذات المقاعد الدائمة ومعنى هذا إن اعتراض احد الدول الدائمة على نظر مسالة

١٧- إن الدول الدائمة العضوية في مجلس الأمن اتفقت في تصريح مشترك أعلنته في بداية حياة الأمم المتحدة وبالذات في مؤتمر سان فرانسيسكو على اعتبار المسائل التالية من المسائل الإجرائية وهي : (وجوب عقد اجتماعات دوريه للمجلس، عقد اجتماعات المجلس في غير مقر المنظمة، وضع النظام الداخلي للمجلس، تمثيل أعضاء مجلس الأمن تمثيلا دائما في مقر المنظمة، إنشاء أجهزه فرعيه تابعه للمجلس، اشتراك عضو من أعضاء الأمم المتحدة بدون تصويت في مناقشة أي مسألة تعرض على المجلس إذا تأثرت بها مصالح العضو بصفه خاصة، إدراج أو شطب مسألة في جدول أعماله).

موضوعية معروضة على المجلس يترتب عليه عدم التعرض للمسالة المذكورة وكذلك إذا كان الاعتراض بعد البدء بالاقتراع، ترتب عليه الانعدام القانوني لوجود القرار.

ولا يرد على هذا النظام إلا استثناءات أربعة حددها الميثاق نفسه. الأول نصت عليه المادة ١٠٩ بخصوص الدعوة إلى عقد مؤتمر لتعديل الميثاق، والثاني نصت عليه المادة العاشرة من النظام الأساسي لمحكمة العدل الدولية بخصوص انتخاب قضاة المحكمة في هاتين الحالتين لا تملك الدول الدائمة استعمال حق النقض. والثالث والرابع نصت عليهما المادة ٢٧ من الميثاق بخصوص تطبيق الحلول السلمية طبقا لأحكام الفصل السادس من الميثاق أو تطبيقا للفقرة ٣ من المادة ٥٢. في هاتين الحالتين تمتنع الدولة التي تكون طرفا في النزاع وفي نفس الوقت عضوا دائما في المجلس عن التصويت. ولكن هذه الحالة الأخيرة تثير مسالة التفرقة بين النزاع والموقف بعض الإشكاليات ارتأينا الوقوف عندها لبحثها في الفقرة الآتية.

ثانيا : التفرقة بين النزاع والموقف

نصت المادة ٣٤ على إن (لمجلس الأمن أن يفحص أي نزاع أو موقف قد يؤدي إلى احتكاك دولي أو قد يثير نزاعا وقررت المادة ٢٧ امتناع من كان طرفا في نزاع معروض على المجلس عن الاشتراك في التصويت عندما يتخذ المجلس قرارات طبقا لأحكام الفصل السادس أو المادة ٥٢ الفقرة ٣. وبتقريب الوضعين تظهر ضرورة التمييز بين النزاع والموقف حيث يتعين على من كان طرفا في نزاع الامتناع عن التصويت على حين لا يلتزم من كان طرفا في موقف بمثل هذا الالتزام.

ولكن الميثاق لم يتضمن صراحة ما يحدد هذه التفرقة المطلوبة بين النزاع والموقف. كذلك لم يقم المجلس بوضع ضوابط هذه التفرقة رغم إثارة المسالة أمامه في كثير من المناسبات. ويرى الاتحاد السوفيتي إن إطلاق مصطلح موقف أو نزاع على أي مسألة يقتضي اعتبار تلك المسألة (موضوعية) وبالتالي فأن على المجلس أن ينظر في تحديدها عن طريق التصويت ويتعين أن يصدر قراراته في هذا الشأن بأغلبية تسعة أصوات من بينهم جميع الدول الدائمة العضوية متفقه ولأي دولة لا ترغب في المشاركة في التصويت الحق بالتحفظ أو الامتناع عن المشاركة[١٨] .ونحن نرى إن الأمرين من طبيعة واحدة حيث يتضمنا وجود خلاف بين دولتين أو أكثر. هذا الخلاف إذا تعثر حله بالطرق العادية لحل الخلافات بين الدول فانه يرتقي إلى مرتبة أعلى من مجرد الخلاف البسيط وهي مرتبة الموقف. فالموقف درجة من درجات الخلاف يظهر فيها التميز وتكوين فكرة شبه كاملة عن الخلاف، ومحاولة تحقيق هذه الفكرة، وانتهاج سياسة معينة من اجل ذلك بما يصحبها عادة من سوء العلاقات بين الدول الأطراف في الموقف. بحيث يرتقى الموقف إلى مرتبة أعلى وهي مرتبة النزاع والتي تظهر مع تحديد مطالب الأطراف والمطالبة فيها، وما قد يصحب ذلك من سحب البعثات الدبلوماسية أو تجميد نشاطها أو قد تصل إلى قطع العلاقات الدبلوماسية نهائيا أو عرض الأمر على القضاء الدولي. ولعل خطورة ما يصحب النزاع من مظاهر هي التي لم تمكن الفقه من التعمق في طبيعة النزاع وإدراك كيف انه يرجع إلى خلاف بين الدول ارتقى إلى مرتبة أكثر علوا هي النزاع وهذا الأخير يمكن أن يرتقى إلى مرتبة أعلى هي التشابك أو ما قرره الميثاق تحت اسم الاحتكاك. ولعلنا نفهم الآن نص المادة ٣٤ الذي قرر إن لمجلس الأمن أن يفحص أي نزاع أو أي موقف قد يؤدي إلى نزاع أو قد تصل إلى إثارة احتكاك دولي. فصياغة هذا النص تتضمن إن النزاع يتطور إلى احتكاك كما إن الموقف يتطور إلى نزاع ويكون ترتيب درجات الخلاف بين الدول على النحو التالي خلاف ثم موقف ثم نزاع ثم احتكاك. وتأسيسا على ما سبق فان مجرد وجود خلاف مبدئي أو موقف لا يترتب عليه الامتناع عن التصويت على العكس بالنسبة لمن كان طرفا في نزاع ومن باب أولى من كان طرفا في احتكاك دولي. وأخيرا إن هذه التفرقة لا تظهر أهميتها إلا

١٨- .د. مفيد محمود شهاب، المنظمات الدوليه، دار النهضه العربيه، بيروت، ١٩٨٥، ص٢٥٦.

بالنسبة للدول ذات المقاعد الدائمة وبخصوص المسائل الموضوعية وبصدد فض المنازعات بالطرق السلمية وعلى ذلك لا يسري هذا الاستثناء على ما يصدر بشان تهديد السلم والأمن الدوليين أو الإخلال فيهما إذ يتعين موافقة كل الأعضاء الدائمين حتى ولو كانوا أطرافا في النزاع.

وكما أثارت مسألة التفرقة بين الموقف والنزاع بالنسبة للدول الخمس الدائمة العضوية في مجلس الأمن بخصوص المسائل الموضوعية أثناء التصويت بعض الإشكاليات حيث يتعين على تلك الدول التي تكون طرفا في نزاع الامتناع عن التصويت على حين لا يلتزم من كان طرفا في موقف بمثل هذا الالتزام، فان مسالة امتناع أو تغيب عضو دائم عن التصويت في مجلس الأمن هي الأخرى تثير بعض الإشكاليات ولغرض الوقوف عليها خصصنا لها الفقرة الآتية.

ثالثا: امتناع أو تغيب عضو دائم عن التصويت في مجلس الأمن

١. امتناع عضو دائم عن التصويت

ما اثر امتناع احد الأعضاء الدائمين في مجلس الأمن عن التصويت ؟ أو المقصود بلفظة "متفقة " الواردة في عبارة "يكون من بينها أصوات الأعضاء الدائمين متفقة " ؟ وهل يترتب على امتناع عضو دائم عن التصويت عدم إمكان إصدار القرار ؟

قررت المادة ٢٧ إن قرارات المجلس في المسائل غير الإجرائية(الموضوعية) يتعين صدورها بأغلبية تسعة من الأعضاء بشرط أن يكون بينهم أصوات الدول الأعضاء الدائمين متفقة. وعند تفسير هذا النص فهل يقصد فيه كل الأعضاء الدائمين في مجلس الأمن أم فقط كل الأعضاء الدائمين في مجلس الأمن المشتركين في التصويت على مسالة موضوعية ؟ وهل هذا الامتناع عن التصويت يعتبر بمثابة اعتراض (نقض لمشروع القرار المعروض للتصويت) وبالتالي انعدام للوجود القانوني لقرار المجلس أم انه لا يعتبر كذلك ؟

الواقع إن التفسير الحرفي لنصوص الميثاق يجعل امتناع عضو دائم عن التصويت بمثابة استعمال لحق النقض حيث إن المادة ١٨ الفقرة ٢ قررت إن الجمعية العامة تصدر قراراتها في المسائل الهامة بأغلبية ثلثي الأعضاء الحاضرين المشتركين في التصويت، في حين إن المادة ٢٧ الفقرة ٣ قررت إن مجلس الأمن يصدر قراراته في المسائل الموضوعية بأغلبية تسعة أعضاء من بينهم أصوات الدول الأعضاء الدائمين متفقة. وبالتقريب بين الوضعين يظهر إن المطلوب بالنسبة للجمعية العامة لمنظمة الأمم المتحدة عند التصويت على مشروع قرار يتعلق بالمسائل الهامة هو الأعضاء الحاضرين المشتركين في التصويت وبالتالي فان من يمتنع عن التصويت لا يحسب داخل الأغلبية المطلوبة [١٩]، أما بالنسبة للمجلس فالمطلوب أغلبية تسعة من بينهم الدول الدائمة مجتمعة.ولكن هذا التفسير الحرفي لنصوص الميثاق لم يجري العمل على الأخذ فيه، فإذا امتنعت أي دولة من الدول الخمس الدائمة العضوية عن التصويت فان القرار يصدر إذا حاز على الأغلبية المطلوبة وهكذا تظهر أهمية هذا الاعتبار العملي بالنسبة لقيام المجلس بأعباء اختصاصاته بالرغم من امتناع احد الأعضاء الدائمين عن التصويت.

وانطلاقا مما سبق جرى العمل في مجلس الأمن على عدم اعتبار الامتناع عن التصويت بمثابة استعمال لحق النقض وإنما طريقة للتعبير عن رغبة خاصة بشان عدم الاشتراك في قرار معين. وهكذا أعطى التطور العملي تفسيرا لعبارة المادة ٢٧ الفقرة ٣ الخاصة (بأصوات الأعضاء الدائمين في مجلس الأمن مجتمعة) بأنها

١٩- لو فرضنا إن الأعضاء الحاضرين في الجمعية العامة لمنظمة الأمم المتحدة عند التصويت على مشروع قرار يتعلق بالمسائل الهامة كان ١٠٠ عضو، صوت منهم لصالحه ٤٠ ورفضه ٢٠ وامتنع عن التصويت ٤٠ وكانت الأغلبية المطلوبة هي أغلبية الثلثين، فلو أخذنا بمعيار المادة ١٨ وأسقطنا من حساب الأغلبية الممتنعين عن التصويت فان القرار يعد صادرا لتوفر أغلبية ثلثي الأعضاء الذين صوتوا فعلا ٤٠ من ٦٠ أما إذا أدخلنا في حسابنا الدول الممتنعة عن التصويت لامتنع إصدار القرار نظرا لعدم توافر أغلبية الثلثين إذ تصبح النسبة عندئذ ٤٠ من ١٠٠.انظر د. محمد سامي عبد الحميد د.محمد السعيد الدقاق، التنظيم الدولي، منشأة المعارف، الإسكندرية، ٢٠٠٤، ص٦٣٨.

تعني (أصوات الأعضاء الدائمين المشتركين في التصويت) وفي هذه الحالة تؤخذ الأصوات وكأن العضو الممتنع غير موجود أصلا. وأن امتناع أحد الأعضاء الدائمين عن التصويت لا يحول دون صدور القرار إذا ما توافرت لصدوره الأغلبية التي يشترطها الميثاق، والواقع إن هذا التوجه ما هو إلا تنفيذ للتصريح المشترك للدول الكبرى في مؤتمر سان فرانسيسكو، والذي كان يقضي بأن الامتناع عن التصويت على قرار موضوعي لا يسقطه، وإن الذي يحدث هذا الأثر هو اعتراض احد الأعضاء الدائمين، ويذهب جانب من الفقه إلى أن اطراد العمل في المجلس على اعتبار امتناع العضو الدائم في مجلس الأمن عن استخدام حقه في الاعتراض مع توافر إمكانية استخدامه هو بمثابة الموافقة الضمنية على القرار موضوع البحث، واستمرار العمل بهذا المبدأ يعد تعديلا عرفيا للفقرة ٣ من المادة ٢٧ [٢٠].

٢. تغيب عضو دائم عن الاجتماع

ما اثر تغيب احد الأعضاء الدائمين عن حضور جلسات مجلس الأمن في القرارات التي يتخذها المجلس في المسائل الموضوعية ؟ وهل تعتبر هذه القرارات صحيحة إذا اتخذت في غياب احد الأعضاء الدائمين ؟

يثير غياب عضو دائم عن حضور جلسة يتخذ فيها قرار في مسالة موضوعية جدلا في التفسير. وهل يمكن أن يعتبر غياب العضو من قبيل الامتناع عن التصويت ؟ أم إن الغياب له حكم آخر يختلف عن الامتناع ؟

ثارت هذه المسالة في العمل وأثارت معها الكثير من المناقشات عندما تغيب مندوب الاتحاد السوفيتي في مجلس الأمن عن حضور جلسات المجلس احتجاجا على رفض المجلس قبول مندوب الصين الشعبية محل مندوب الصين الوطنية [٢١]. والرأي في فقه القانون الدولي يرى إن أثر التغيب عن حضور جلسات مجلس الأمن لا يختلف عن الامتناع عن التصويت هو أكثر مراعاة للواقع الدولي من ناحية وتيسيرا للمجلس في القيام بأعباء اختصاصاته من ناحية أخرى وانطلاقا من الرغبة في تدعيم التنظيم الدولي، وتجنبا لتناقضات سياسة الدول الكبرى جرى العمل الدولي في مجلس الأمن على إن الامتناع عن الحضور كالامتناع عن التصويت من حيث الآثار، كلاهما لا يؤثر على التصويت في المجلس، فإذا ما تغيبت أي دوله عضو دائم في مجلس الأمن عن الحضور فان ذلك لا يؤثر على عملية التصويت في المجلس فان القرار يصدر إذا حاز على الأغلبية المطلوبة [٢٢]. وينبغي الإشارة هنا إلى أن الامتناع عن التصويت أو الغياب عن الجلسة لا يعتبران من قبيل استخدام حق النقض وهكذا مر القرار رقم ٦٧٨ لعام ١٩٩١ الخاص بشن الحرب على العراق لإجباره على الانسحاب من الكويت بالرغم من أن جمهورية الصين الشعبية امتنعت عن التصويت عليه.

المطلب الثاني: تقييد استعمال حق النقض

إن وجود حق النقض الفيتو الذي منح للدول الخمس الدائمة العضوية في مجلس الأمن اوجد وسيلة ملائمة للتعبير عن عدم الثقة بين الدول الكبرى فيما بينها وكذلك بينها وبين الدول الأخرى. ويمكن أن نتصور احتمال انكماش حجم عدم الثقة إذا لم يكن هناك وسيلة سهلة للتعبير عن ذلك خاصة إننا نعرف

٢٠- د. علي يوسف الشكري، المنظمات الدولية، الطبعة الأولى، المكتبة الحيدرية، ٢٠٠٨، ص١٢٩.

٢١- بدأت مشكلة تمثيل الصين في الأمم المتحدة منذ ١٩٤٩ واستمرت حتى ١٩٧١ بحصول الصين الشعبية بدلا من الموجودة حاليا في جزيرة تايوان على المقعد المخصص للصين بعد أن صدر قرار من الجمعية العامة بأغلبية ٧٦ ضد ٣٥ وامتناع ١٧ تقرر بموجبه إعادة كل الحقوق إلى جمهورية الصين الشعبية والاعتراف بممثلي حكومتها الممثلين الشرعيين الوحيدين للصين لدى منظمة الأمم المتحدة وطرد ممثل حكومة تايوان الذي يمثل الصين الوطنية.

٢٢- د.إبراهيم احمد شلبي، المنظمات الدولية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٥٨، ص٣٠٩.

أهمية القاعدة القاضية بان لكل فعل رد فعل في مجال العلاقة بين الكتلتين. ولا شك إن حق النقض ليس السبب الوحيد في تبرير عجز المجلس عن القيام بوظائفه ولكنه مع ذلك السبب الأقوى والمباشر.

لذلك فان أغلبية فقهاء القانون الدولي تطالب بالبقاء على هذا الحق مع التضييق من مداه وأثاره وبحيث لا يعرقل عمل المجلس.مع إن حق النقض الفيتو دلاله على الاتجاه القومي المتزمت الذي ينبذ فكرة المساواة بين الدول، ومع انه مظهر لمقاومة الكبار لقاعدة التصويت بالأغلبية فلا يمكننا اعتباره سرطانا استشرى واستفحل في جسم منظمة الأمم المتحدة حتى باتت أيامها معدودة. لقد طبق هذا الحق حتى الآن باعتدال نسبيا، أو بطريقه أكثر اعتدالا مما كان منتظرا. ثم انه كان من حيث النتائج ذا اثر ضئيل. انه قيد مرهق ولاشك قد يحرم المنظمة العالمية لمده طويلة من القدرة على الجري، ولكنه لن يمنعها من الحركة والتقدم ببطيء نحو غاياتها [٢٣].

واستنادا إلى هذا الواقع ظهرت تصريحات وتوصيات تدعو الأعضاء الخمس الدائمين في مجلس الأمن المتمتعين بموجب الميثاق باستعمال حق النقض الفيتو إلى التقيد الذاتي في استعمال هذا الحق ولعل أهم هذه الدعوات تلك التي كانت توجهها الجمعية العامة للأمم المتحدة في صورة توصيات دعت فيها الدول الدائمة إن تعمل برضاها على التضييق والتخفيف من استعمال حق النقض، كعدم إعاقة عمل المجلس بإساءة استعمال هذا الحق، وتحديد المسائل التي لم تكن محل استعمال هذا الحق[٢٤]، و تبادل وجهات النظر قبل التصويت في الموضوعات الهامة، ومثال ذلك توصيات الجمعية في ١٣ - ١٢ - ١٩٤٦ وفي ١٤- ٤ - ١٩٤٩ أصدرت الجمعية العامة توصياتها رقم ٢٦٧ بخصوص التصويت في مجلس الأمن والتي تضمنت دعوة الأعضاء الدائمين في مجلس الأمن إلى عدم المغالاة في نعت مسائل ليست موضوعية بصفة الموضوعية وذلك لتبرير استعمالها للفيتو، وكذلك حدث نفس الشيء في العديد من المرات بعد ذلك. وقد حدث أن وافقت الدول الدائمة على مشروع قرار بريطاني في ١٨ - ١٠ - ١٩٤٩ يقضي بتبادل الرأي بينها قبل التصويت على أي مشروع قرار موضوعي، ولكن هذا لم يمنع من تعدد الاستعمال لحق النقض. وتعددت اقتراحات الحد من استعمال حق النقض سواء بالتوسع في تعريف المقصود بالمسائل الإجرائية، وسواء بقصر استعماله على الأحكام الواردة في الفصل السابع بشأن تهديد السلم والإخلال فيه ووقوع العدوان وسواء بإخراج مسائل محددة من دائرة استعمال هذا الحق مثل مسألة قبول الأعضاء الجدد. كما قدمت اقتراحات عديدة تهدف كلها إلى تعزيز مجلس الأمن وتوجيه اهتماماته وجهوده إلى تحقيق الغرض الذي أنشئت من أجله المنظمة الدولية، ومنها مثلا: تتحقق من خلال تقييد استعمال حق النقض بوضع حدود متفق عليها للمسائل التي يجوز استعماله فيها. وأخرى تدعو إلى إدراج نص في الميثاق يُمكن العضوِ الدائم في مجلس الأمن من التصويت سلباً دون أن يُشكل ذلك استعمالا لحق النقض وهذا سيكونٍ مماثلاً لممارسته الراهنة المتعلقة بامتناع العضو الدائم عن التصويت أو تغيبه عنها، وهو ما يمثل تقليصاً فعلياً لممارسة حق النقض. وأخرى تنادي بزيادة أعضاء مجلس الأمن، وذلك بتوسيع وتوازن عضويته، حتى يساعد على انعكاس كل المصالح المهمة في العالم، ليؤكد أن أي اقتراح خلافي أو جدلي يمكن أن يحمل معه تأييدا عالميا عاما، ويصبح مجلس الأمن مكانا جذابا للمباحثات الدولية والوصول فيها إلى حل يرضي الجميع[٢٥].

٢٣- د. محمد المجذوب، المنظمات الدولية والإقليمية، المكتبة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٣، ص٢٠٩- ٢١٠.

24- << الفيتو الأمريكي يحتم توسيع عضوية مجلس الأمن وضبط استخدام حق النقض>> http://www.aawsat.com/leader.asp?section=3&article=34771&issueno=8171,last visit 2010-04-02.

٢٥- . أن هناك دولا قويه تستطيع أن تسهم في استتباب الأمن والسلم الدوليين مساهمة فعالة لاتقل إن لم نقل تزيد عن مساهمة الدول الدائمة العضوية حاليا. فهذا مثلا " لال، LALL " سفير الهند الأسبق لدى الأمم المتحدة، يقترح منح الهند واليابان والبرازيل مقاعد دائمة في مجلس الأمن، وكذلك الحال بالنسبة لدول الشرق الأوسط وإفريقيا، ولقد سبق لكل من إيطاليا والمكسيك أن تقدمت باقتراحات تكاد تكون قريبة نوعا ما

وبالرغم من كل المحاولات السابقة وغيرها لم يتحقق شيء وظل حق النقض وسيلة سهلة لحماية المصالح وتنفيذ الأطماع حتى ولو اقتضى الأمر الإخلال بالميثاق وأحكامه. وهنا تكمن الخطورة التي ستظل قائمة طالما ظل التناقض بين مصالح وأطماع الدول الخمس الدائمة العضوية في مجلس الامن.

المبحث الثالث: تقويم حق النقض الفيتو

خصص هذا المبحث لتقويم حق النقض الفيتو في مجلس الأمن والذي تم العمل فيه لفترة ليست بالقصيرة استمرت لستين سنه ونيف نستعرض خلالها لايجابياته وسلبياته ومحاولات إصلاح حق النقض فقد تم تقسيم هذا المبحث إلى مطلبين أيضا سنبين في الأول ايجابياته وسلبياته وسنسلط الضوء في الثاني على محاولات إصلاحه وكالاتي.

المطلب الأول: ايجابيات وسلبيات حق النقض

أولا : الايجابيات

١. بحجة الحفاظ على السلم والأمن الدوليين فان مجلس الأمن يمكنه إصدار قرار بتطبيق تدابير المنع والقمع الواردة في الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة[٢٦] يجيز فيه اتخاذ التدابير اللازمة في حالات تهديد السلم أو الإخلال فيه أو وقوع العدوان ويقدم توصياته في ذلك أو يقرر ما يجب اتخاذه لحفظ السلم والأمن الدوليين أو لإعادتهما إلى نصابهما، و مجلس الأمن يتمتع بسلطة تقديريه واسعة في تكييف ما يعرض عليه من وقائع، وبسبب ما خول به المجلس من سلطه تقديريه واسعة فيجعل منه صاحب الاختصاص المطلق في تحديد ما يعد تهديدا للسلم والأمن أو إخلالا به وفي تحديد معنى العدوان وتعيين المعتدي وبدافع من رغبة بعض الدول الأعضاء الدائمين في مجلس الأمن في إصدار قرارات تتضمن إجازة التدخل أو استعمال القوه ضد الدول التي تعتقد أنها تهدد السلم والأمن الدوليين ليس بدافع الحفاظ على السلم والأمن الدولي وإنما لدوافع سياسية أو أيدلوجيه وغيرها من الدوافع التي تستخدمها بعض الدول الدائمة العضوية في مجلس الأمن لدفع تلك الدول لتقديم التنازلات أو السير في ركبها، ومع ذلك وبسبب وجود حق النقض الذي تتمتع به الدول الدائمة العضوية في مجلس الأمن فان أي مشروع قرار يراد منه التدخل أو استخدام القوه ضد أي دوله من الدول سيصبح امرأ مرفوضا إذا ما استخدمت أي من الدول الدائمة العضوية لحقها في النقض الفيتو.
٢. أن استخدام النقض الفيتو وسيله لحماية الدول الصغرى وضمان استقلالها وسيادتها فكما هو صمام أمان للدول الخمس الدائمة العضوية في مجلس الأمن التي تتمتع بهذا الحق لإسقاط مشاريع القرارات التي تتعارض مع مصالحها، فهو كذلك وسيله لحماية مصالح حلفائها من الدول الأخرى التي لا تتمتع بهذا الحق، فهذه الدول سوف تكون بمأمن من أي قرار قد يصدره مجلس الأمن ضدها.
٣. في غضون الخمس عشرة سنة التي تلت ظهور الأمم المتحدة لو لم يكن للإتحاد السوفييتي السابق، الحق القانوني لاستعمال الفيتو في مجلس الأمن، ، فإنه كان من المشكوك فيه أن تعيش منظمة الأمم المتحدة حتى وقتنا هذا، والسبب هو إن الاتحاد السوفيتي السابق كان يعارض دائما إصدار القرارات

من هذه الاقتراحات. كما سبق لليمن أن اقترحت بأن يكون للدول العربية مقعدان في مجلس الأمن أحدهما يمثل من قبل الدول العربية في آسيا والآخر يمثل من قبل الدول العربية في إفريقيا.

٢٦- انظر الماده ٢ الفقره ٧ من ميثاق الامم المتحده.

التي تقدمها الولايات المتحدة والتي لو كتب لها إن صدرت لاستخدمتها الولايات المتحدة كأداة لتقوية نفوذها و سيطرتها على العالم وبالتالي تقويض السلم والأمن الدوليين[٢٧].

ثانيا : السلبيات

١. إن الاستخدام الواسع لهذا الحق من قبل الأعضاء الخمس الدائمين في مجلس الأمن ساهم كثيرا في إضعاف مصداقية مجلس الأمن كجهاز رئيسي من أجهزة الأمم المتحدة وتقويضه في تحقيق مهامه المتمثلة في حفظ السلم والأمن الدوليين، فخلال الحرب الباردة استخدم الاتحاد السوفيتي السابق حق النقض الفيتو باستمرار وبشكل روتيني إلى درجة أن وزير الخارجية، أندريه غروميكو، أصبح يعرف بـ " السيد لا " إلا أن الاتحاد السوفيتي بدا يستخدم هذا الحق اقل فأقل في الفترات اللاحقة. وفي السنوات الأخيرة استخدمت الولايات المتحدة حق الفيتو باستمرار لحماية الحكومة الإسرائيلية من الانتقادات الدولية أو من محاولات تقييد أعمال الجيش الإسرائيلي في الأراضي الفلسطينية المحتلة. فقد أصيب مجلس الأمن الدولي بالعجز حيث تعرقل في كثير من الأحيان مشروعات القرارات التي يجري التصويت عليها في مجلس الأمن بمجرد نقض إحدى الدول الدائمة العضوية للقرار

٢. بالغت الدول الخمس الدائمة العضوية في مجلس الأمن بالتعسف في استعمال حق النقض ضد إرادة الشعوب المغلوبة والضعيفة والفقيرة، حتى أهدرت مصالحها فحرم البعض من استقلاله ومن استرداد حقه في تقرير مصيره. وحرم البعض من استرجاع أوطانه السلبية من قبل الاستعمار، والسيطرة بالقوة من قبل الأنظمة العنصرية، كما هو حال فلسطين وقبلها جنوب إفريقيا وناميبيا وغيرها، كما تعرقل انضمام دول جديدة إلى المنظمة الدولية، كانت كلها متلهفة لأخذ مكانها في هذه المنظمة، وانطلاقا من أن الانضمام إلى الأمم المتحدة حق لكل الدول[٢٨]. فجاءت الفقرة (٢) من المادة ٤ من الميثاق، لتؤكد أن انضمام دول جديدة إلى الأمم المتحدة، يتم بقرار من الجمعية العامة بناء على توصية من مجلس الأمن، أن الأعضاء الدائمين في مجلس الأمن، يسترشدون عند تصويتهم في قبول الدول الجديدة في الأمم المتحدة، باعتبارات مصلحيه صرفة، بحيث تقوي من مركزهم في الأمم المتحدة(أي مركز الدول التي تصوت والكتل التي تتبعها)ولهذا نجد أنه من عام ١٩٥٠ إلى ١٩٥٥ لم تدخل أية دولة جديدة إلى الأمم المتحدة بسبب التعسف في استخدام حق النقض من قبل الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي السابق، فخلال هذه الفترة لم تحصل أي دوله على العضوية في الأمم المتحدة حتى ١٥ كانون الأول ١٩٥٥، عندما أقر مبدأ الصفقات الشاملة، وبتعبير أوضح كانت واشنطن تتبع سياسة(مجموعه واحده من الدول أو لاشيء)أما موسكو فكانت تتبع سياسة (المجموعتان معا أو لاشيء)ولذلك يمكن القول إن الولايات المتحدة كانت تسعى لإحراز نصر سياسي بينما كان الاتحاد السوفيتي السابق يسعى لتحاشي هزيمة سياسيه، وكل ذلك كان على حساب الدول الراغبة للانضمام للأمم المتحدة.

٣. إن منح حق النقض الفيتو للدول الخمس الدائمة العضوية في مجلس الأمن وحرمان الدول الأخرى يعد انتهاكا لمبادئ وقواعد القانون الدولي المتعلقة بالمساواة بين الدول بصوره عامه وانتهاك للمبادئ التي قامت عليها منظمة الأمم المتحدة بصوره خاصة وبالذات ما جاء في المادة ٢ الفقرة ١ من ميثاق الأمم المتحدة التي تقضي بان الأمم المتحدة تقوم على أساس المساواة في السيادة بين جميع

27- 论联合国安理会否决权的利弊及改革问题http://www.lw23.com/paper_102741031_5.2010年4月3日最后一次访问。

٢٨- انظر المادة ٤ من ميثاق الأمم المتحدة.

أعضائها[٢٩]. حيث يذهب عدد من الباحثين إلى إن حق النقض حق هدام لا يخدم السلم والأمن الدوليين ويطالبوا بإلغاء هذا الحق لأنه يتنافى مع نصوص الميثاق الداعية إلى المساواة في السيادة [٣٠].

٤. إن انتشار أسلحة الدمار الشامل هي مشكله حساسة ومحفوفة بالمخاطر لذلك فان مجلس الأمن وباعتباره الجهاز المسئول عن حفظ السلم والأمن الدوليين يقوم بفرض عقوبات اقتصاديه أو التدخل العسكري المباشر في بعض الأحيان حيال الدول التي تخرق معاهدات حظر انتشار الأسلحة النووية إلا انه وبسبب قيام بعض الدول الدائمة العضوية باستعمال حق النقض الفيتو لمصلحة دول تمتلك أو تريد امتلاك تلك الأسلحة كأن تقوم بنقض أي مشروع قرار يراد منه فرض عقوبات على الدول التي تنتهك معاهدات حظر انتشار الأسلحة النووية، فعلى سبيل التمثيل لا الحصر فان الولايات المتحدة عادة ما تستعمل حقها في النقض لصالح إسرائيل التي تنتهك معاهدة حظر انتشار الأسلحة النووية، وبسبب استخدام أو التلويح باستخدام حق الفيتو من قبل روسيا تارة و الصين تارة أخرى فان كوريا الشمالية تنتهك هذه المعاهدة أيضا.

المطلب الثاني: إصلاح حق النقض

إن منظمة الأمم المتحدة تعاني كثيراً من القصور في عملها سواء من الناحية الوظيفية أم من الناحية التمثيلية، وعلى المجتمع الدولي تلافي هذا القصور وإلا كان مصيرها كمصير سابقتها (منظمة عصبة الأمم) التي عاشت بين ١٩٢٠- ١٩٣٩. وإن من أهم المسائل التي يجب معالجتها وإيجاد حلول لها هي تعديل حق النقض أو إلغائه. فعندما اجتمع رؤساء الدول الكبار (ستالين وروزفلت وتشرشل) في مؤتمر يالطا ١٩٤٥ اتفقوا على الخطوط الهيكلية للمنظمة الدولية المزمع إنشاؤها لعالم ما بعد الحرب منظمة الأمم المتحدة وصمموا على أن يكون للدول الخمس الكبرى المنتصرة في الحرب(أميركا- بريطانيا- الاتحاد السوفييتي- فرنسا- الصين) ثلاثة امتيازات أساسية على غيرها من الدول الأعضاء في منظمة الأمم المتحدة وهي :

١. إعطاء هذه الدول الخمس صفة العضوية الدائمة في مجلس الأمن.

٢. تمتع هذه الدول الخمس بحق استعمال النقض الفيتو في مجلس الأمن لنقض أي مشروع قرار لا يتلاءم مع مصالحها أو مصالح حلفائها.

٣. تتمتع هذه الدول الخمس بما يشبه حق الفيتو في الجمعية العامة حينما تريد هذه الأخيرة تعديل الميثاق.

ولما اجتمع المشرعون الدوليون في مؤتمر سان فرانسيسكو بين ٢٥ نيسان حتى ٢٦ حزيران ١٩٤٥ وجدوا أمامهم هذه الامتيازات في صلب المشروع ولم يكونوا أحراراً في رفضها أو تعديلها لأنه جرى إفهامهم أن الدول الخمس لن توقع على المشروع إذا جرى أي مساس بهذه الامتيازات. وهكذا جاء نص المادة ٢٣ من الميثاق كالتالي: يتألف مجلس الأمن من خمسة عشر عضواً من الأمم المتحدة وتكون جمهورية الصين الشعبية وفرنسا واتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية والمملكة المتحدة لبريطانيا العظمى وشمالي ايرلندا والولايات المتحدة الأميركية أعضاء دائمين فيه. كما أن المادة ٢٧ منه والتي سبق ذكرها قصت على الآتي: (.... ٣. تصدر قرارات مجلس الأمن في المسائل الأخرى (المسائل الموضوعية) كافة بموافقة تسعة من أعضائه، يكون بينها أصوات الأعضاء الدائمين متفقة، بشرط أنه في القرارات المتخذة تطبيقاً للفصل

29- 论联合国安理会否决权的利弊及改革问题http://www.lw23.com/paper_102741031_5, 2010年4月20日最后一次访问。

٣٠- د. محمد طلعت الغنيمي، التنظيم الدولي، الطبعة الأولى، منشأة المعرف، الإسكندرية، ١٩٧٤، ص٦٤٢.

السادس والفقرة ٣ من المادة ٥٢ يمتنع من كان طرفاً في النزاع عن التصويت). وبالرجوع لفحوى هذه المادة وعلى الرغم من أن نص الفقرة ١ من المادة ٢٧ يقضي أن يكون لكل دولة عضو في مجلس الأمن صوت واحد وفي هذا احترام ظاهري لمبدأ المساواة بين الدول فإن الفقرة ٣ من هذه المادة أوجبت موافقة الدول الخمس الدائمة العضوية متفقه أو على الأقل عدم اعتراض احدها (بالإضافة لأربع دول من الأعضاء غير الدائمين في مجلس الأمن) عند التصويت على أي مشروع قرار يتعلق بالمسائل الموضوعية يعرض أمام مجلس الأمن. و بعبارة أخرى فإنه حتى لو وافقت أربع عشرة دولة من أعضاء المجلس (١٠ أعضاء مؤقتين+ ٤ أعضاء دائمون) واعترض العضو الخامس عشر إذا كان من الأعضاء الدائمين يسقط المشروع ويعتبر كأنه لم يكن، وهذا ما يسمى حق النقض الفيتو.

لاشك أن تتمتع الدول الكبرى الخمس بالعضوية الدائمة في مجلس الأمن بحق النقض الفيتو، واشتراط موافقتها الجماعية أو على الأقل عدم اعتراض احدها على أي مشروع قرار يتعلق في المسائل الموضوعية (المهمة) هو امتياز يحقق عدم المساواة الذي يقوم عليه التنظيم الدولي. فقد أدى تمتع الدول الكبرى بهذه الامتياز، إلى أن تتفق فيما بينها على حساب الدول المتوسطة والصغرى، التي حاولت مرارا وتكرارا التقليل من أثر استعمال حق الفيتو من قبل الدول الأعضاء الدائمين الخمسة، والذي شل أعمال المجلس وعرقل أداء المنظمة الدولية لواجبها الأساسي وهو حفظ السلام والأمن الدوليين، فلقد ظهر واضحا أن أكبر خطر يتعرض له السلم والأمن الدوليين، نتج عن المنازعات بين الدول الكبرى وعن عدم الاتفاق بينها خاصة في السنوات التي تلت تأسيس المنظمة الدولية، والتي أنقسم فيها العالم إلى كتلتين الأولى بقيادة الولايات المتحدة والثانية بقيادة الاتحاد السوفيتي السابق، أما في الوقت الحاضر فان الولايات المتحدة الأمريكية تقف على قمة هرم النظام العالمي الجديد، بل وتقود هذا النظام بمفردها كما أن نفوذها وتأثيرها على مجريات الأحداث العالمية في تزايد مستمر وسوف تنفرد بالزعامة العالمية لسنوات قادمة ليست بالقليلة قبل أن يتجه النظام الدولي ليصبح نظاماً متعدد الأقطاب.، الشيء الذي يتناقض مع ما أعلن عنه في مؤتمر سان فرانسيسكو والذي أوجب التعاون الكامل بين الأعضاء كشرط ضروري لفعالية المنظمة الدولية. ولما كان واضحا من أن أي انشقاق بين القوى العظمى يعرض فعالية الأمم المتحدة إلى الخطر، أتفق في مؤتمر سان فرانسيسكو على أن لا يستخدم حق الفيتو إلا في القضايا الموضوعية، والمتسمة ببالغ الأهمية التي تتعلق بالأمن والسلم الدوليين. كما أصدرت الجمعية العامة في دورتيها الأولى والثانية، قرارات تدعو الدول الخمس الكبرى إلى أن تبذل من الجهد ما يضمن ألا يؤدي استخدام حق الفيتو إلى عرقلة مجلس الأمن. ومن البديهي إن الاستعمال المتكرر لحق النقض الفيتو أو بالأحرى إساءة استخدامه قد جعل منه سلاحاً مخيفاً بيد الدول الكبرى تجاه الدول الصغرى وقد شل نشاط المجلس وأثار حفيظة بعض الفقهاء وبعض الأعضاء في منظمة الأمم المتحدة فقاموا يطالبون تعديله أو إلغائه، ومن هذا المنطلق أخذت مجموعة من الدول على عاتقها زمام المبادرة، ودعت إلى تعديل ميثاق الأمم المتحدة حتى يتمشى وواقع العالم كله الذي يتطلع فيه إلى اليوم الذي تتمكن فيه من تعديل أو إلغاء حق النقض الفيتو للدول الكبرى ذلك الحق التعسفي الذي يشبه الحق الإلهي لملوك العصور الوسطى. وتهدف المطالبة بتعديل أو إلغاء حق النقض الفيتو إلى المحافظة على ديمومة منظمة الأمم المتحدة وإلى تحقيق العدالة والمساواة، بين جميع الدول الأعضاء في منظمة الأمم المتحدة.

ولهذا فانه يوما بعد يوم يتزايد الطلب بإلغاء أو على اقل تقدير تعديل حق النقض الفيتو ليكون متلائما مع التطورات السريعة في النظام العالمي الجديد، كأن يتم زيادة أعضاء مجلس الأمن الدائمين دون المساس بحق النقض بإضافة دول أخرى مقترحة كاليابان وألمانيا والبرازيل، أو بمنح مقعد دائم لكل من دول أفريقيا وأمريكا الجنوبية، أو حتى لإحدى الدول العربية. وكذلك ولكي يكون مجلس الأمن معبراً عن إرادة المجتمع الدولي يجب أن لا يكتسب حق النقض فاعلية إلاّ إذا مورس من أعضاء عديدين وليس عضو واحد كما هو حاصل الآن. أو أن تعطى الجمعية

العامة مثلاً حقاً في إعادة النظر في مشاريع القرارات التي أسقطها المجلس باستخدام حق الفيتو من قبل أحد الأعضاء الدائمين و إجازتها بقرار منها بأغلبية ثلثي أصوات الأعضاء الحاضرين المشتركين في التصويت وعلى غرار آلية التصويت على المسائل المهمة في الجمعية العامة مثلاً. أو أن يعطى الحق للجمعية العامة عند استخدام الفيتو بشكل عشوائي في مجلس الأمن أن تطلب رأي محكمة العدل الدولية في تلك المسألة القانونية ويمثل وجود هذا الاحتمال عائقاً أمام الدول الدائمة العضوية في مجلس الأمن من ممارسة حق النقض بشكل لا يتفق مع مبادئ وأهداف منظمة الأمم المتحدة .إلا إن ما يزيد الأمر صعوبة هو أن أي مساس بحق النقض الفيتو الذي منح للدول الدائمة العضوية في مجلس الأمن بموجب المادة ٢٧ يستوجب تعديل الميثاق، وتعديل الميثاق يستلزم صدور قرار من الجمعية العامة للام المتحدة بموافقة ثلثي الأعضاء الحاضرين المشتركين في التصويت وان يقترن صدور هذا القرار الخاص بتعديل الميثاق بشرط حصوله على مصادقة ثلثي أعضاء الأمم المتحدة على الأقل من بينها تكون الدول الخمس الكبرى الدائمة العضوية في مجلس الأمن ضمن هذه الدول التي صادقت على التعديل[٣١] وكل حسب آلية التصديق على المعاهدات في دستور كل دولة. وبطبيعة الحال فان هذا الاحتمال ضعيف جداً فلا يمكن لهؤلاء أن يوافقوا على التعديل ويتخلوا بسهوله عن هذا الحق إذا كانوا يرون فيه امتيازا لهم. فالدول الخمس الكبرى تقف في وجه أية مطالبة جدية للمساس بهذا الحق، وعلى رأس المعارضين الولايات المتحدة الأميركية التي تهدد دوماً بقطع المعونة المالية عن الهيئة (٢٥٪ من موازنة الهيئة السنوية) إذا أدخل أي تعديل على الميثاق لا ترضى عنه، وقد ورد في تصريح لمندوبها في اللجنة الخاصة بتعديل الميثاق في جلستها بتاريخ ٢٠٠٦/٥/٤ أنه لا يجب المساس بحقوق الأعضاء الخمسة الدائمين في منظمة الأمم المتحدة وخاصة حق النقض الفيتو. إلا إذا تمت صفقة دولية كبرى حصلت فيها هذه الدول على امتيازات أخرى مقابل التنازل عن هذا الامتياز، وفي انتظار تحقق مثل هكذا احتمال ليس أمام الدول الصغرى إلا تقوية المنظمات الإقليمية المساعدة (مثل منظمة المؤتمر الإسلامي- جامعة الدول العربية- مجلس التعاون الخليجي- دول عدم الانحياز)، والوكالات الدولية المتخصصة (اليونسكو- الفاو- منظمة الصحة العالمية- منظمة العمل الدولية) وانتظار ظروف أفضل لتقوية الجمعية العامة على حساب مجلس الأمن لإعادة شيء من التوازن بينها وبين مجلس الأمن والى حين تحقق تلك الظروف نعتقد صراحة بأن إبقاء هذه المنظمة والبقاء فيها أجدى للبشرية قاطبة.

الخاتمة:

في ختام دراسة حق النقض الفيتو توصلنا إلى مجموعه من الاستنتاجات والتوصيات يمكن تلخيصها في الآتي:

الاستنتاجات:-

إن تشكيل مجلس الأمن الحالي تعرض للانتقاد وأصبح غير قادر على التعبير عن إرادة المجتمع الدولي أو رسم خريطة عادلة للقوى في العالم، خاصة بعد المتغيرات السريعة في النظام الدولي وموازين القوى على الساحة الدولية. أي أن قدرة الأمم المتحدة على تحقيق أهدافها بل ومصيرها ذاته مرهونا بضرورة القيام بإصلاح مجلس الأمن وإعادة هيكلته على أساس معايير جديدة وعلى نحو يضمن تمثيله للقوى الجديدة تمثيلاً صادقاً.

أن الولايات المتحدة الأمريكية تقف على قمة هرم النظام العالمي الجديد، بل وتقود هذا النظام بمفردها كما أن نفوذها وتأثيرها على مجريات الأحداث العالمية في تزايد مستمر وسوف تنفرد بالزعامة العالمية لسنوات قادمة ليست بالقليلة قبل أن يتجه النظام الدولي ليصبح نظاماً متعدد الأقطاب.

٣١- . المادة ١٠٨ من ميثاق الأمم المتحدة.

أن التحدي الحالي الذي يواجه سيادة الدول هو من طبيعة جديدة تختلف كلياً عن التحديات السابقة، كما أن أكثر المستجدات خطراً وأبعدها أثراً على مبدأ السيادة، تلك الممارسات المتمثلة في صور من التدخل الخارجي في أمور تعد من صميم اختصاص الدول الداخلي وذلك باسم القانون الدولي والأمن الجماعي أو تحت شعار حماية حقوق الإنسان تحت مظلة الشرعية الدولية.

التوصيات:-

١. إن إصلاح الأمم المتحدة بشكل عام ومجلس الأمن بشكل خاص هي عملية شاملة ومتكاملة لأن أحداث إصلاح جزئي لن يؤدي إلى تنمية قدرة منظمة الأمم المتحدة على تحقيق أهدافها في مواجهة التحديات التي تواجهها خصوصاً في ظل ما يشهده النظام الدولي من متغيرات سريعة، وبطبيعة الحال فان هذا سوف يتحقق من خلال مشاركة جميع الدول الأعضاء في منظمة الأمم المتحدة في الجهود الرامية إلى تحديد ملامح دور مجلس الأمن بهدف تقديم تصور جماعي للشكل الأفضل الذي ينبغي أن يكون عليه مستقبلا.

٢. لكي يكون مجلس الأمن معبراً عن إرادة المجتمع الدولي يجب أن لا يكتسب حق النقض فاعلية إلاّ إذا مورس من أعضاء عديدين وليس عضو واحد كما هو حاصل الآن.

٣. يجب تقييد استعمال حق النقض بوضع حدود متفق عليها للمسائل التي يجوز استعماله فيها.

٤. وضع معايير واضحة ومحدده تبين المسائل الموضوعية التي تستطيع الدول الدائمة العضوية في مجلس الأمن استعمال حق النقض عليها والمسائل الإجرائية التي لا تستطيع معه تلك الدول استعمال حق النقض عليها.

٥. يجب إدراج نص في الميثاق يُمكن العضو الدائم في مجلس الأمن من التصويت سلباً دون أن يُشكل ذلك استعمالا لحق النقض وهذا سيكون مماثلاً لممارسته الراهنة المتعلقة بامتناع العضو الدائم عن التصويت أو تغيبه عنها، وهو ما يمثل تقليصاً فعلياً لممارسة حق النقض.

٦. للجمعية العامة عند استخدام الفيتو بشكل عشوائي في مجلس الأمن أن تطلب رأي محكمة العدل الدولية في تلك المسألة القانونية، ويمثل وجود هذا الاحتمال عائقاً أمام الدول الدائمة العضوية في مجلس الأمن من ممارسة حق النقض بشكل لا يتفق مع مبادئ وأهداف منظمة الأمم المتحدة .

٧. إعطاء الجمعية العامة حقاً في إعادة النظر في مشاريع القرارات التي أسقطها المجلس باستخدام حق الفيتو من قبل أحد الأعضاء الدائمين و إجازتها بقرار منها بأغلبية ثلثي أصوات الأعضاء الحاضرين المشتركين في التصويت وعلى غرار آلية التصويت على المسائل المهمة في الجمعية العامة

وبهذا نكون وبشكل مختصر قد سلطنا الضوء على مشكلة دولية عالقة في غاية الأهمية هي حق النقض " الفيتو Veto " في مجلس الأمن الدولي، وهي تعنينا فعلاً ومباشرة كجزء من عالم نتحمل مسئوليتنا نحوه.

مراجع البحث

أولا: المصادر العربية

١. د. محمد طلعت الغنيمي، التنظيم الدولي، الطبعة الأولى، منشأة المعرف، الإسكندرية، ١٩٧٤.
٢. د.إبراهيم احمد شلبي، المنظمات الدولية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٥٨.
٣. د. مفيد محمود شهاب، المنظمات الدولية، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٥.
٤. د. محمد صالح المسفر، منظمة الأمم المتحدة خلفيات النشأة والمبادئ، الطبعة الأولى، مكتبة دار الفتح، الدوحة، ١٩٩٧.

٥. د. إبراهيم احمد شلبي، التنظيم الدولي دراسة في النظرية العامة والمنظمات الدولية، الدار الجامعية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٤.
٦. د. محمد سامي عبد الحميد د.محمد السعيد الدقاق، التنظيم الدولي، منشأة المعارف، الإسكندرية، ٢٠٠٤.
٧. د. محمد المجذوب، المنظمات الدولية و الإقليمية، المكتبة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٣.
٨. د. علي يوسف الشكري، المنظمات الدولية، الطبعة الأولى، المكتبة الحيدرية، ٢٠٠٨.

ثانيا: المصادر الأجنبية

1. Chrles G. Fenwich , International Law , New York :Appleton – Century ,Crofts , 1965.
2. Anjali V. Patil , The UN Veto in World Affairs 1946 – 1990, A Complete Record and Case Histories of the Security Council's Veto, 1992.
3. Syedney D. Bailey ,the procedure of the U.N.S.C.,Oxfoed ,Clarendon press,1975 .

ثالثا : مواقع الانترنيت

1. <<论联合国安理会否决权的利弊及改革问题>> http://www.lw23.com/paper_102741031_5/
2. <<论安理会中的否决权问题>> http://www.lw23.com/paper_144498811_3/
3. http://www.elmokhtar./modules.php?name=News&file=article&sid=127.
4. <<حق الفيتو في مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة>> http://ar.wikipedia.org/wiki.
5. << مجلس الأمن لمنظمة الأمم المتحدة>> http://ar.wikipedia.org/wiki
6. <<الفيتو الامريكي يحتم توسيع عضوية مجلس الامن وضبط استخدام حق النقض >> http://www.aawsat.com/leader.asp?section=3&article=34771&issueno=8171.

حسين علي محفوظ

رائد الثقافة الفارسية في العراق

م. م. الاء عبد الكاظم*

المستخلص

الحديث عن العلماء وتناول سيرهم يعني الحديث عن حضارات الامم وتاريخها، والشعوب، فهم السنام الاعظم، والقدح المعلى، الذي يعبر عن مفاخر العطاء والرفعة، ويحق لكل امة ان تفخر بامجادها وعباقرتها كي يكون ذلك حافزا للارتقاء والتجديد .

فقد تناولت في البحث بعض امالي المرحوم الدكتور حسين علي محفوظ التي القاها على طلبة قسم اللغة العربية لعام ١٩٧١- ١٩٧٢ في دروس اللغة الفارسية وادابها وتناولت دراسة لاربعة شعراء ايرانين وهم الفردوسي صاحب الشاهنامة وسعدي الشيرازي وعمر الخيام وجلال الدين الرومي، حيث اخترت نماذج ادلل فيها على دور المرحوم في نشر الثقافة الفارسية في العالم العربي عامة والعراق خاصة .

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه الطيبين الطاهرين

وبعد فأن المرحوم الدكتور حسين علي محفوظ، شخصيه متعدده الاغراض والموضوعات، اثرت ان اسلط الضوء على بعض امالي المرحوم التي القاها على طلبه المرحله الرابعه لعام ١٩٧١- ١٩٧٢ في دروس اللغه الفارسيه وادابها.

وقد تناولت في البحث دراسة لاربعه شعراء ايرانيين منهم الفردوسي وهو شاعر مشهور وصاحب الملحمه (الشاهنامه) وهي من الملاحم المشهوره في الادآب العالميه، وتعد اضعاف ملحمه الالياذه والاوديسه لهوميروس، حيث ضاعف المشاهد وزاد في الصيغ الخياليه لملحمته، وبعد ذلك سلط الضوء على شخصيه اخرى وهو سعدي الشيرازي وهو ابرز شاعر في الفارسيه وتناولت فيه اسمه وولادته وتعلمه وكيف شبه نفسه بالخنساء في كثرة البكاء على دار السلام بغداد.

وركزت في هذا البحث كذلك على شخصية اخرى في التقافه الايرانيه، الذي طار صيته في الافاق وجذب قلوب المريدين والعرفاء فهو جلال الدين الرومي المعروف ب(مولوي)، وتناولت فيه اسمه وولادته وثقافته وابرز مؤلفاته.

* قسم الصحافة – كلية الاداب جامعة أهل البيت عليهم السلام

واما الشاعر الرابع الذي سلط البحث عليه الضوء هو عمر الخيام الذي نال شهرة واسعه لدى قراء الادب وعشاقه في جميع الاقطار، تناولت فيه اسمه وولادته وتعلمه وركزت على بعض رباعيات الخيام التي املاها الدكتور المرحوم حسين علي محفوظ على طلابه.

ان الدور الذي قام به المرحوم في الثقافه الفارسيه لم يقتصر على نفسه او حيز ضيق فقط بل استطاع ان يبث هذه الثقافه على طلبته من اجل اطلاعهم على موروثات الحضاره الايرانيه التي شاعت في العصر العباسي، و اردت ا نابين مالهذه الشخصيه العظيمه من موروث علمي هائل كونه حلقه اتصال بين الثقافه العربيه والثقافه الفارسيه وكان منهجي المتبع في الدراسه هو المنهج التاريخي لطبيعه البحث البيوغرافي وهو عرض المحاضرات التي كان يلقيها المرحوم الدكتور حسين علي محفوظ.

وكان معتمدي في تلك الدراسه على جمله من المصادر والمراجع تقف في مقدمتها جوله في شاهنامه الفردوسي للدكتور امين عبد المجيد بدوي، ومجالس سبع لجلال الدين الرومي.

واخيراارجو ان اكون قد وفقت في اعداد هذه الصفحات المتواضعه.

اعارني الدكتور السيد عدنان محمد ال طعمه بعض امالي الاستاذ الدكتور حسين علي محفوظ على طلبه قسم اللغه العربيه –السنه الرابعه ١٩٧١- ١٩٧٢ في دروس اللغه الفارسيه وآدآبها.وهي محاضرات تناولت اربعة شعراء ايرانيين هم:

الفردوسي، وسعدي الشيرازي، وعمر الخيام، وجلال الدين الرومي في حياتهم وشعرهم .ورأيت ان انتخب من هذه المحاضرات نماذج ادلل فيها على دور المرحوم الاستاذ في نشر الثقافه الفارسيه في العالم العربي- والعراق خاصه- واول النصوص في هذه الامالي التي تستحق النشر هي للفردوسي وعنوانها: (تربيت فرزند): اي تربيه الولد وتضمنت اثني عشر بيتا من الشعر، ومطلع هذه الابيات هي:

جـو خـواهي نامـت بمانـد بجـاي بـسررا خـرد منـدى امـوز وراى
كـه كـر عقـل ورايـش نباشـد بـس بمـــيري واز تـــو نمانـــدكس

وترجمتها اذا اردت ان يبقى اسمك وذكرك، علم ولدك الحكمه والرأي
فأن العقل والرأي ان لم يكن فيه، تموت ولم يبق منك احد

الفردوسي شاعر مشهور وهو صاحب الملحمه (الشاهنامه) وهي احدى الملاحم المشهوره في الآداب العالميه وتتحدث عن الملاحم البطوليه في فتح القلاع السبعه الحصينه التي خاضها الامير (اسفنديار بن كشتاسب) ملك ايران وحامي دين زردشت ضد (ارجاسب) ملك توران في الصين، وهذه الملحمه تعد اضعاف ملحمه الالياذه والاوديسه لهوميروس وليست الملحمتين الا قصتين ضئيلتين، وعملين متواضعين امام ملحمه الفردوسي الشهيره ويبدو ان الفردوسي قد اطلع على بطولات اليونان وحروب طرواده ونسج على منوالهما[١]. ولكنه ضاع في المشاهد وزاد في الصيغ الخياليه لملحمته ومد فيها .

وللشاهنامه مكانه عظيمه عند الفرس، فهي سجل تاريخهم واناشيد مجدهم وديوان لغتهم ينشدونها في المحافل، ويهيم بها العالم والجاهل وقد سماه (الكتاب)ابن الاثير "قرآن القوم" واذا كانت مشاهد الحرب تستقبل القارئ في كل مكان الا ان هناك ميادين للحب والعاطفه الدقيقه ؟ وهناك قصص للحب عظيمه[٢].

واختار الاستاذ محفوظ اربعه شعراء كما اسلفنا ومن بينهم سعدي الشيرازي وقدم سيرة حياته لطلابه معرفا به كابرز شاعر في الفارسيه قائلاً:

١- امين عبد المجيد بدوي
٢- عبد الوهاب عزام- مقدمه الشاهنامه ص٧١ ومابعدها

هو مصلح الدين ابو محمد عبيد الله بن مشرف بن مصلح بن مشرف الملقب بالشيخ سعدي انتساباً الى الامير الاتابكي مظفر الدين سعد ابن ابي بكر سعد بن زنكي حاكم شيراز، فقد تعود الشعراء غير العرب وبعض الشعراء العرب في الازمنه الاخيره التلقب في شعرهم بلقب يختارونه، ويشهره الناس به ويسمى (التخلص) وهم يذكرونه عادة في اخر ابيات القصيده في الغزل او ما قبله.

ولد سعدي في شيراز في العشر الاول من القرن السابع الهجري وذاق الم اليتم وهو طفل وحرم ظل الابوه وهو صبي، وقد كان رجال اسرته كلهم علماء فنشأ بدراسه المبادئ الاوليه من مقدمات العلوم في بلده شيراز وفارقها ايام ا ضطراب بلاد فارس قبل سنه ٦٢٣هـ واتى العراق وهو في ريعان شبابه، وقد كانت بغداد حينئذ دار العلم وينبوع الاداب فقرأ في معاهدها القرآن وعلومه، والحيث وعلم الكلام، وسمع في مدارسها التفسير والادب والفقه.وتعلم في مساجدها الوعظ، وتلقن في مدارسها الحكمه والشعر واقام بالمدرسه النظاميه ودرس فيها وعين معيدا بها واتصل بأساتذتها فأخترف من علمهم واستفاد من ادبهم واجتمع مع كثير من الصوفيه والعارفين ولاسيما الشيخ شهاب الدين السهروردي والشيخ جمال الدين بن الجوزي. ثم سافر الى الشام واقام بدمشق واعتكف في جامعها وصادق افاضلها ولبث فيها سنين وجوب في بلادها، فقد وعض في جامع بعلبك، واسر مع الافرنج في خندق طرابلس ووصف دمشق لما اصابها القحط في عصره اواسط القرن السابع الهجري، وذكر تجارة حلب في ايامه فقد كان تجار جزيره كيش يتشوقون فيها كما يقول فيأتون بها بالفولاذ الهندي، ويحملون الزجاج الحلبي الى اليمن.

وغادر الشام فورد ارض الروم (تركيا) وسار في الافاق وزار كثيراً من الممالك الاسلاميه فألتقى برجال العلم والثقافه في ذلك العصر.ادرك سعدي سقوط الخلافه فبكى على سقوط بني العباس ورثى بغداد والمدرسه المستنصريه بقصيده طويله في ثلاث وتسعين بيتاً منها:

حبست بجفني المدامع لاتجري ... فلما طغى الماء استطال على السكر
نسيم صبا بغداد بعد خرابها ... تمنيت لو كانت تمر على قبري
لان هلاك النفس عند اولي النهى ... احب له من عيش منقبض الصدر
تسائلني عما جرى يوم حصرهم ... وذلك مما ليس يدخل في الحصر
اديرت كؤوس الموت حتى كأنه ... رؤوس الاسارى ترجحن من السكر
بكت جدر المستنصريه ندبة ... على العلماء الراسخين ذوي الحجر
نوائب دهر ليتني مت قبلها ... ولم ار عدوان السفيه على الحبر
محابر تبكي بعدهم بسوادها ... وبعض قلوب الناس احلك من خبر[٣]

وتمنى لو مات قبل ان يرى خراب مدينه السلام وشبه نفسه بالخنساء في كثرة البكاء على بغداد، ولم يستطع ان يبقى في العراق بعد داهيه المغل فرجع الى شيراز في اواخر عهد سعد بن زنكي ولكنه ظل وفيا للعراق يلهج به ويحييه وقد ذكره في سبع وخمسين موضعا في ديوانه وكان يقول:

"ولم تطب لي الاقامه في اي مكان بعد العراق[٤] "وقال: ضاق صدري في شيراز فأذكرو لي بغداد وكان سلطان شيراز وابنه يحترمان سعدي ويعضمانه ويستفيدان من ادبه ويقتبسان من حكمته.وامضى الحكيم الاخلاقي اواخر عمره في الارشاد والموعظه وهدايه الناس والدعوه الى المثل الانسانيه ومكارم الاخلاق

٣- كليات سعدي- طبعة موسى علمي، ص٤١٠- طهران د.ت
٤- امالي محفوظ ص٢٦

حتى توفي سنه ٦٩١ هـ ودفن في تكيته (خانقاه) في شيراز وقد احاطت به قدسيه عريضه بعد موته، ومازال قبره يزار من قبل الناس هناك يتيمنون به ويتبركون[٥] .

احب سعدي العراق واغرم بأدب المتنبي فيه وهناك تلقى ديوانه واولع به واعجب بشعره، ولا يتعجب احد من عنايه سعدي بديوان المتنبي فأن للمتنبي مكانا مرموقا في الادب الفارسي، واثر افكاره واضح شديد في كتب المؤلفين ورسائل الكتاب ودواوين الشعر فقد اقتبس منه فحول شعراء ايران واركان الادب الفارسي، ويكاد لايخلو كتاب فارسي في الثمتيل بأبياته فهو مرآه تعكس اثر الثقافه العربيه التي تلقاها الشاعر في العراق ولاسيما معاني المتنبي، الذي حفظ سعدي ديوانه وكان كثير النظر فيه معجبا به وقد قال فيه "كنت انظر في جزء من ديوان المتنبي سفينه بحر المعاني الحافل بالدر النفيس فبدأ شعري حقيراً وليس للسهى نور اتجاه الشمس" .

ومازال تراث سعدي الانساني حيا يعنى به رجال الفكر في الشرق والغرب وسواء منهم القدماء والجدد وهو يعد من اكبر شعراء ايران بل هو امام الادب الفارسي في كل العصور ترك سعدي كتاب كلستان وبوستان وعدة دواوين في ١٣٠٠ ص تشتمل على (١٧)الف بيت او اكثر اما كلستان فلا نعرف كتابا فارسيا بلغ مابلغه هذا الكتاب من الانتشار والاشتهار وبعد الصيت فأنه ربما وجد في كل بيت، ويكاد يقرئه كل احد تحت سماء ايران، وشعره هنالك محفوظ ترويه الالسن ويتداوله الناس اجمعون ويتمثل به الادباء والعامه في كل امر وغزله المحتشم نموذج عال لأدب الحب والصلابه ورقه الشوق والعنايه الزائده والرغبه الشديده، والآن نذكر كتابيه كلستان وبوستان (روضه الورد والبستان) يحتوي الكلستان على ثمانيه ابواب: الاول في سير الملوك والثاني في اخلاق الصوفيه والفقراء والثالث في فضيله القناعه، والرابع في فوائد الصمت والخامس في العشق والسادس في الضعف والشيخوخة، والسابع في تاثير التربية، والثامن في اداب الصحبة.

ويشمل بوستان على (١٥٩) حكاية منظومة في عشرة ابواب:

الاول في العقل والتدبير والراي، والثاني في الاحسان، والثالث في العشق والسكر، والرابع في التواضع، الخامس في الرضا، والسادس في القناعة، والسابع في عالم التربية، والثامن في الشكر على العافية، والتاسع في التوبة والطريق الى الصواب، والعاشر في المناجاة.

وترك سعدي ديوانا صغير بالعربية، وفي شعره الفارسي ابيات وانصاف ابيات عربية على سبيل التلميع. وقد طبعت اثاره جميعا في ديوان كبير يسمى كليات سعدي. ومن رقيق شعره العربي:

يانديمي قم تنبه — واسقني واسقي الندامى
خلني اسهر ليلي — ودع الناس نياما
اسقياني وهدير الر — عد قد ابكى الغماما
وشفاه الازهار تفتر — من الضحك ابتساما
في زمان سجع الطير — على الغصن رخاما
واوان كشف الور — د من الوجه اللثاما
قال لمن عير اهل — الحب بالجهل ولاما
لاعرفت الحب هيهات — ولاذقت السقاما

ومن معانيه الجميلة ماترجمته: "اسال عما تجهل فان ذل السؤال دليل طريقك الى عز العلم"

٥- صفا: تاريخ الاداب في ايران ٣: ١: ٥٨٤

ولعل سعدي من اوائل الشعراء الذين جهروا باخوة البشر والمعاني الانسانية من شعراع ايران وقد جاء في النص الفارسي:

بـني ادم اعـضاي يكديكرنـد كـه در افـرينش زيـك كوهرنـد
جو عضوي بدرد اورد روزكار ديكـر عـضوهارا نمانـد قـرار

قراروهذا المعنى مقتبس من الحديث الشريف: "مثل المومنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم مثل الجسد اذا اشتكى منه شى تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى".

ويعد سعدي رسول الادب العربي الى الادب الفارسي .فقد ترجم كثير من نتاج الفكر العربي فاقتبس(١٠٢)اية قرانية و(٩٧)حديثا ونقل(٨٦)مثلا و(١٤)قصة واخذ(١٠٠)معنى من المتنبي في (٣٠٠) موضعا تقريبا واستمد من عشرات الشعراء .وجاء بكل اولئك في كلامه وعمل عمل السحر في سلاسة اللفظ وانسجام التركيب ونقاء العبارة وجمال العرض حتى لنكاد نقضي ان تلك المعاني له ومن اختراعه.

وهذا دليل واضح على دور المرحوم حسين علي محفوظ على نقل رسالة الثقافة وايصالها الى طلاب المعرفة في العالم العربي والعراق خاصة وتعريفهم بادباء وشعراء الفرس.

اما العالم الثالث في الثقافة الايرانية والذي طار صيته في الافاق وجذب قلوب المريدين والعرفاء فهو جلال الدين الرومي المعروف بـ(مولوي) واسمه: جلال الدين محمد بن محمد بن حسين الخطيبي البلخي المشهور بالمولوي الرومي، وانما نسب الى الروم لطول مقامه في مدينة قونيا بارض الروم اي تركيا الحالية ومن اجل ذلك لقبوه: مولانا الرومي.ولد في بلدة بلخ سادس ربيع الاول سنة ٦٠٤هـ.

ولامر ما هجر والده بلخ والمولوي حينئذ في غضاضة الصبا وعزم على الحج فمر بنيسابور وعرج على بغداد ومكث في مدينة السلام ثلاثة ايام وقصد مكة، فلما اتم الحج توجه نحو بلاد الروم واقام بمدينة قونيا وتوفي بها.وكان المولوي ابنه في الرابعة والعشرين من العمر فولي مناصب ابيه، واسندت اليه الفتوى ونيط به التذكير وولي الوعظ وهو يافع .وظل على هذه الحال سنة واحدة ثم زاره المحقق الترمذي المولوي يشبه اباه حافلا بالعلوم والمعارف، فاراد ان يزوده حقائق العرفان ودقائق التصوف والملاحظة بمنطقيته تسع سنين، ولبث في الشام اربع سنين ثم عاد الى مستقره في قونيا.

وتوفي السيد الترمذي سنة ٦٣٨هـ، فلبث المولوي نحو خمس سنين يدرس الفقه وعلوم الدين وقد بلغ عدد تلاميذه عشرة الاف مريد.وكان يمضي وقته بالتوجيه والارشاد والرياضة .وكان الناس معجبين به يتيمنون بدعائه ويتبركون بخدمته ويسارعون الى تقبيل راحته ولكن هذا الزاهد الواعظ العالم الفقيه شم رائحة التصوف وذاق لذة الصفاء فكشف الغطاء فاذا هو (رند)لاابالي وسكران لايفارق الخمر، وعاشق سجيته الرقص .فقد خلع منطقة الزهاد ونزع جبة العلماء وهذا تاريخ يعود سر بداه الى شمس الدين التبريزي .وكان شمس الدين عالما فاضلا كاملارحالة طوف في الاقاليم ومشى في مناكب الارض وسار في البلاد ولاقى الابدال اربعين واحدا في بعض نقاط الارض بلغوا قربة الى الله تعالى بهم تطلب الرحمة وكان عالي القدر في السلوك الظاهري والسير الباطني عارفا بفنون المقال(العلوم اللسانية)ورموز الحال (العلوم الباطنية وصفاء النفس).وقد بلغ رتبة الكمال في الفقر والتصوف والمعرفة .طرحته النوى مطارحتها والقى عصاه في قونيا سنة ٦٤٢هـ فنزل في خان بياعي السكر، ولم يكن عنده الاحصير خلق عتيق وكوز مكسور ومخدة من اللبن، ولكنه كان يغلق الباب ويضع على عتبة الحجرة دينارين او ثلاثة ليحسبه الناس تاجرا غنيا موفور الحال .ولقد كان المولوي على جلالة رتبته في التصوف يتطلب الوصول الى الكمال المنشود .فاتيحت له ملاقاة شمس الدين التبريزي، واحبه وعشق معرفته وصفوه، ودعاه الى بيته فترك التدريس والوعظ، وخلا به اربعين يوما او ثلاثة اشهرفانصب من بعد الى السماع وهجر صفة الظاهرين لاينصرف

اليها، فلاملامة الناس وعذلوه وسخروا منه وكانوا يقولون: عجيب كيف يستمسك المولوي وهو العلامة الفيلسوف الحكيم المدرس الفقيه بدرويش ممزق الثياب وحركتهم العصبية والجهالة وقالوا: ساحر، واجتمعوا على ايذاء الدرويش .ففارق شمس الدين هذا قونيا وسافر الى دمشق سنة ٦٤٣هـ.وقد كانت ملازمة المولوي له ستة عشر شهرا تقريبا[٦].

حاول المولوي ان يظفربشمس الدين فلم يرزق العثور عليه .وعلم اخيرا انه في الشام فبعث اليه باربعة رسائل، وارسل ابنه الى دمشق يطلبه، ورجاه العفو عن اولئك الناقصين فرجع شمس الدين الى قونيا وشغل الرومي بالسماع والرقص تهللا وطربا، ولبس قميصا ذا تفرجة (فتحة طويلة)وقلنسوة عسلية من الصوف وترك الوعظ ونبذ التدريس وهذا من اسباب سخط العامة والخاصة عليه وهم الذين حسدوه من قبل فانتقدوا عليه حب شمسا وتسميته: لب الدين ويسر الله اذ كان يدعوه شمسي، ولعل شمس الدين حلف من بعد ان لايرى قونيا ففر منها.وقد تعب المولوي فلم يتح له لقائه، وسافر ثانية الى الشام ولبث فيها سنين يفتش عنه وطوف في المدن وجال في المحلات .لقد غاب شمس على كل حال وعم خبره سنة ٦٤٥هـ ثم ذاع مقتله في قونيا، ولعل أعداء المولوي هم الذين اشاعوا ذلك ليؤذوه.ومضت برهة طويلة لم ياته فيها خبره، ولم يبلغه نبا عنه فناله الحزن والهم والغم كاد يفقد قلبه، وطفق يرقص وينشد فرحا بوصوله إلى الله ليلا ونهارا.

ثم لبس بعد الاربعين عمامة دخانية اللون، ثم وضع العمامة البيضاء، وصنع ثوبا من كساء هندي وبرد يماني وظل لباسه هذا حتى مات.

اراد المولوي ان يذهب الى دمشق الى(الشمس) ولكن جمع الناس عليه قدامه المال والانفس فاضطر الى الرجوع وان صداه الى الرحلة ضيق صدره بفراق المحبوب.

عني المولوي منذ سنة٦٤٧- ٦٧٢هـ وهو عهد انقلابه المعنوي وسفره العقلاني واستضائته بوجود الشمس بنشر المعارف الالهية وكان غارقا بالكمال المطلق، وصلوات الجمال السبوحي وان يقال سبحان الله فكان يوصي اصحابه بالاخذ بيد الطالبين ويحضهم على الارشاد.

ومن اصحابه الشيخ صلاح الدين زركوب (دقاق الذهب) أي الذين يذهبون الكتب؛ ثم حسام الدين جلبي الارموي المنسوب الى بحيرة ارومیا . وكان المولوي يسميه " مفتاح خزائن العرش "[٧]

وبايزيد الوقت؛ وجنيد الزمان، ويعد (حسام الدين) افضل عهود حياة المولوي؛ فقد نبغ في تلك الفترة وقرض الشعر فجاءة وترك نتاجا مهما هو المثنوي الذي يعد من اهم اثار ايران الادبية وهو اكبر اثار متصوفة الاسلام . وتوفي المولوي بالحمى المحرقة يوم الاحد خامس جمادى الاخرة سنة ٦٧٢هـ وكان اخر كلامه " اوصيكم بتقوى الله في السر والعلانية وبقلة الطعام وقلة المنام؛ وقلة الكلام، وهجران المعاصي والاثام؛ ومواضبة القيام ودوام القيام وترك الشهوات على الدوام؛ واحتمال الجفاء من جميع الانام؛ وترك مجالسة السفهاء والعوام، ومصاحبة الصالحين والكرام فان خير الناس من ينفع الناس وخير الكلام ماقل ودل والحمد لله "

ويروى ان زوجته قالت له: ليت مولانا يعيش (٤٠٠) سنة لكي يملا العالم بالحقائق والمعارف فقال مولانا: اانا فرعون ؟ اانا نمرود ؟، لم ناتي الى الدنيا للاقامة، نحن محبوسون في محبس الحياة؛ والامل ان نصل الى مجلس الحبيب قريبا؛ ولولا الاصلاح والارشاد لم اختر العيش نفسا " .

٦- امالي محفوظ ص٣١.

٧- الامالي ص ٣٢

وقد حضر جنازته اهل قونيا جميعا صغارا وكبارا وبكى عليه النصارى واليهود . وانفق علم الدين قيصر من اكابر قونيا ثلاثين الف درهم وبنى قبر المولوي وساعده معين الدين سليمان بروان فاتمها بثمانين الف : واهدى اليه ايضا خمسين الف اخرى وبنى مشهده المبارك ، ويسمى : القبة الخضراء [٨].

مؤلفاته : خلف المولوي اثارا قيمة معروفة منها :

١. كليات شمس وهو الديوان الكبير الذي يشمل القصائد والغزل والمقطوعات والترجيعات والملمعات والرباعيات وفيه ٣٦٠، ٣٦ الف بيتا في ثمانية مجلدات (وفي طبعة اخرى عشرة مجلدات) .

٢. المثنوي في (٦) اجزاء كبار قوامها ٢٥ الف بيت و ٦٣٢ بيتا نظمه لحسام الدين جلبي بين سني ٦٥٩هـ - ٦٦٦هـ وهو من اكبر الكتب الادبية الفارسية واعلى انواع النظم العرفاني ؛ ويعد خلاصة السير الفكري واخر نتائج السلوك العقلي للامم الاسلامية وهو كتاب حكمة وفلسفة وادب واخلاق وتربية ودين . وفيه كثير من القصص والامثال والتشبيهات ؛ وعديد من الاشارات الى الفقه والاصول والعقائد والكلام .

واخبرني زميلي الدكتور عدنان ال طعمة ترجمة شعرية له في (٦) مجلدات للشاعر العراقي عبد العزيز الجواهري ، كما اطلعني زميلي على كتابين للباحث الايراني المرحوم العلامة بديع الزمان فروزانفر احدهما تمثيلات مثنوي استعرض فيه الحكايات والقصص العربية في المثنوي ، والاخر الاحاديث النبوية الشريفة في المثنوي وسماها احاديث مثنوي ويصلح ان يدخل في حلقة الادب المقارن .

١. الرباعيات : وهي الف وتسعمائة وثلاثة وثمانون رباعية موجودة في الديوان الكبير .
٢. (فيه ما فيه) وهو ٦٩ فصلا في الاخلاق والتصوف والعرفان وتبيان الايات وبيان الاحاديث وشرح كلمات المشايخ .
٣. (المكتوبات) : وهي مراسلاته وفيها ١٤٥ رسالة الى ٣٨ شخصا .
٤. (المجالس السبعة) : وهي مجموعة مواعظ ومجالس في التذكير والتفسير والقصص والمناجاة ؛ ومن رباعياته العربية في التصوف والعرفان والحب الالهي .

الرباعيات:

١- **مولانا انا تائب عما سلفا ... هل يقبل عذر عاشق قد تلفا**
ان كان ندامتي صدودا وجفا ... مولاي عفا الله . عفا الله عفا

٢- **ما اطيب ما الذ ما احلانا ... كنا مهجا ، ولم نكن ابدانا**
ان شاء بنا كرامة مولانا ... يعفو ، ويعيدنا كما ابدانا

٣- **العين لفقدكم كثير العبرات ... والقلب لذكرهم كثير الحسرات**
هل يرجع من زماننا ما قد فات ... هيهات وقد فات زمان هيهات

٤- **يا كافر ، يا منكر شرب الراح ... لا تحسبها من عنب الفلاح**
وجدي خمري ؛ وخاطري اقداحي ... والساقي وبك فالق الاصباح

٨- المصدر ص ٣٣

٥- يا من هو سيدي واعلى واجل — يا من انا عبده وادنى واقل
حاشاك لا تملني، وحوشيت تمل — ان لم يكن الوابل بالوصل فطل

٦- عندي جمل من اشتياق وفصول — لا يمكن شرحها بكتب ورسول
بل انتظر الزمان والحال يحول — ان يجمع بيننا فتصغي واقول

٧- اهوى قمرا سهامه عيناه — ما شوش عزم خاطري الا هو
روحي تلفات ومهجتي تهواه — قلبي ابدا يقول: يا هو يا هو

٨- افدي الرشأ الذي اذا ابصرني — يهتز، يهشي، ينثني، يقتلني
بدر بلحاظ بانه بلبلني — كالبدر اذوب كلما كلمني

٩- لو كان اقل هذه الاشواقي — للشمس لاذهلت عن الاشراق
لو قسم ذا الهوى على العشاق — العشق لهم ولي جميع الباقي

ومن المثنوي ما ترجمته في اهل حلب من اقامة عاشوراء:

١- يوم عاشوراء اهل حلب — كلهم قد جمعوا في صخب
٢- هم حتى الليل عند الباب من — بلدة انطاكية القلب حزن
٣- جمع جمع كبير من نساء — ورجال بنياح وبكاء
٤- ليقيموا ماتم البيت الرفيع — ذاك من في المحشر كان الشفيع
٥- فلاجل كربلا الشيعة كم — يوم عاشوراء من حزن والم
٦- تفعل دوما بكاء وانين — ونياحا مستمرا وحنين
٧- عددوا الظلم الكثير والعنا — من راه البيت ذاك ذو الثنا
٨- من يزيد مع شمر من صخب — بكاء في جميع ما ذهب
٩- من شنون تمتلئ كل الصحار — والسهول من بها كن وسار[٩]

ومن ديوان شمس تبريزي هذه المقطوعة:

١. اليوم شاهدت الحبيب، ذلك الرونق لكل شيئ
كان منطلقا نحو السماء مثل روح المصطفى.

٢. كانت الشمس خجلة امام طلعته، وكان الفلك مشوشا مثل القلب
ومن ضيائه صار الماء والطين اكثر ضياء من النار.

٣. قلت اظهر لي السلم لكي اعرج الى السماء
فقال: ان راسك هو السلم فضع راسك تحت قدميك[١٠]

٩- جواهر الاثار ٦: ١٤٧ – ١٤٨.

١٠- يد العشق ص ٣٢

٤. فعندما تضع قدميك على راسك، ستضع قدميك على ارؤس النجوم
وعندما تخترق الهواء، ضع قدمك على الهواء وات
مائة طريق ستظهر لك في السماء وفي الهواء
وانت تطير الى السماء في كل حر كالدعاء
٥. في كل لحظة ياتي وحي السماء الى سر الارواح
الى متى تظل لاصقا بالارض كالدردي
هيا تعال !

- اما المجالس السبعة – فمن المجلس الثالث – من كلامه افاض الله علينا عميم انعامه:

الحمد لله المتوحد بالكبرياء المتفرد بخلق الاشياء، مولج الضياء في الظلام والظلام في الضياء محي الاموات ومميت الاحياء، تعزز بالمجد والثناء وتعالى عن الزوال والفناء، قدمه منزه عن تقدير الابتداء وبقاؤه مقدس عن توهم الانتهاء، غرقت في بحار سرمديته عقول العقلا وبرقت في وصف صمديته علوم العلماء ونشهد ان لا اله الا الله ونشهد ان محمدا رسوله، سيد الانبياء وامام الاتقياء وشفيع الامة يوم الجزاء وخير من عرج به الى السماء الى محل الكرامة والاصطفاء صلى الله عليه وعلى اله واصحابه: خصوصا على ابي بكر الصديق، معدن الصدق والوفاء وعلى عمر بن الخطاب الفروق بين الحق والمراء وعلى عثمان ذو النورين ذي الحلم والحياء وعلى علي بن ابي طالب صاحب السيف والسخاء وعلى جميع المهاجرين والانصار والامناء وسلم تسليما كثيرا [١١].

- واما الشاعر الرابع الذي سلط الدكتور عليه الضوء في محاضراته الجامعية هو الخيام الشاعر

العالمي الذي نال شهرة واسعة لدى قراء الادب وعشاقه في جميع الاقطار. والخيام هو غياث الدين ابو الفتح عمر بن ابراهيم النيسابوري الخيامي العالم الرياضي الفلكي صاحب التقويم الجلالي ولد الشاعر عمر الخيام في نيسابور ومات بها في عصر السلاجقة وطار صيته في الافاق وفاقت شهرته جميع الشعراء في عصره وفي جميع العصور والدهور لما حظيت رباعيته من شهرة عالمية وترجمت الى كل اللغات، وله ما يربو على عشرة كتب في الطبيعيات والرياضيات والهندسة والجبر والمقابلة والكيمياء والفلسفة والادب. لكن شهرته جاءت من الرباعيات واول ترجمة كاملة حظيت بالمكانة المرموقة هي ترجمة (فيتزجرالد) الى الانكليزية وقد نشرها في لندن سنة١٨٥٩ ترجمة ملفتة للانتباه الى درجة ان بعض الباحثين الفرس يعتبرها افضل من اشعار الخيام نفسها في الاصل ❖، لكن الترجمة الاولى كانت من صنع (توماس هيد) وكان استاذا للادب الفارسي في جامعة اكسفورد فقد ترجم بعض هذه الرباعيات ونشرها في كتابه: "مذاهب الايرانيين القدماء" سنة ١٦٧٠، كما ان هذه الرباعيات قد ترجمت الى العربية في بداية القرن العشرين حتى نهايته فقد ترجمها وديع البستاني سنة ١٩١٣، وترجمها نظما محمد السباعي سنة ١٩٢٦، وترجمها احمد رامي سنة ١٩٢٤، وترجمها نثرا احمد حامد الصراف سنة ١٩٣١، وترجمها نظما جميل صدقي الزهاوي، والدكتور احمد زكي ابو شادي سنة ١٩٣١، والشاعر احمد الصافي النجفي سنة ١٩٣١، كما ترجمها محمد الهاشمي في العراق وقيصر المعلوف في امريكا، وحسين مظلوم رياض في القاهرة سنة ١٩٤٤: وعبد الحق فاضل، ومهدي جاسم. وعلي الحائري واخرون. وعدد هذه الرباعيات تتراوح ما بين ٦٦ رباعية الى ١٤٣ رباعية [١٢]

❖ تورنلي وروبرش: الادب الانكليزي ص١٦٥ – تعريب الدكتور احمد الشويغات – دار المريخ – الرياض ١٩٩٠
١١ – يد العشق – مختارات من ديوان شمس تبريزي ص ٣٢ – ٣٣. ترجمة د. عيسى علي العاكوب.
١٢ – مفتاح اللغة الفارسية ص ١٣٦ – ١٣٧

ولكن بعض المؤرخين يحصرها في ١٧٨ رباعية مقالا لانها تعبرعن روحه .
ومن هذه الرباعيات الرباعية الخيامية التي املاها د. حسين علي محفوظ على طلابه هي :

١ -

مفــتي شــهر ازتــو بركــار تــريم — أي بااين همه مستي ازتو هشيار تريم
تو خون كسان خوري وما خون رزان — انـصاف بـدة كـدام خونخـوار تـريم

وترجمتها :

نحـن يـا مفـتي الـورى منـك ادرى — لم تـزل عقلنـا مـدى الـسكر راح
انــت تحــسو دم الانــام ونحــسو — دم كـــرم فأينـــا الـــسفاح [١٣]

وفي ترجمة اخرى :

يــا مــدعي الزهــد انــا اكــرم — منــك وعقلــي تمــلا احكــم
تــستنزف الخلــق ومــا اســتقي — الا دم الكـــرم فمـــن اثـــم [١٤]

٢ -

اسـرار ازل رانـه تـوداني ونـه مـن — واين حرف معمى نه تو خواني ونه من
هست از بس برده كفتكوى من وتـو — جون برده برافتدنه توماني ونه من [١٥]

وترجمتها :

لا انــا عالــم ولا انــت ســرال — دهــر اوحــل مــشكل منــه دقــا
نتظنــى خلــف الــستار فــان زا — ل فلا انت تبقى أو انا ثم نبقى [١٦]

والترجمة الثانية هي :

لا انا الداري ولا انت باسرار الازل
لا انا القاري ولا انت المعمى قد عضل
ان ما احكي وما تحكى لمن خلف الستار
لا انا الباقي ولا انت اذا الستر رحل [١٧]

والترجمة الثالثة هي :

لــو انــني خــيرت او كــان لــي — مفتــاح بــاب القــدر المقفــل
لاخــترت عــن دنيــا الاســى انــني — لم اهــبط الــدنيا ولم ارحــل [١٨]

---

١٣ – احمد الصافي النجفي رباعيات الخيام ص ٦٧
١٤ – رباعيات الخيام : احمد رامي ص ٧٦ - ٧٧
١٥ – احمد الصافي – رباعيات ص ٢٢٣
١٦ – رباعيات – ترجمة احمد رامي ص ٨٢
١٧ – رباعيات الخيام- ترجمة عبد الحق فاضل – رقم١١٠ –ص ٢٤٩
١٨ – رباعيات – ترجمة احمد رامي ص ٨٠

١. والرباعية الثالثة هي :

از امـــدنم نبـــود كـــردون را ســـود — وز رفـتن مـن جـاه وجلالـش نفـزود
وزهـيج كـسي نيـزدو كوشـم نـشنود — زاين امدن ورفتن ما سود از رجه بود

وترجمتها :

مـــا نفـــع الـــدهر يجيـــئ ولا — يزينـــه شـــانا رحيلـــي غـــدا
مـــا سمعـــت اذنـــاي مـــن قائـــل — ما نفع ذا العيش وجدوى الردى [١٩]

والترجمة الاخرى هي

مـا كـان للفلـك فائـدة مـن مجيـئ — ولا ازداد جماله وجاهة من ذهاب
ومـا سمعـت اذنـاي مـن شـخص — من اجل ماذا كان هذا المجيئ والذهاب

٢. والرباعية الرابعة هي :

من بندة عاصيم رضاي تو كجاست
تاريك دلم نور وصفاي تر كجاست
مارا تو بهشت اكر بطاعت بخش
اين بيع بود، لطف وعطاى تو كجاست [٢٠]

وترجمتها :

عبدك عاص اين منك الرضاء
وقلبه داج فاين الضياء
ان كانت الجنة مقصورة
على المطيعين فاين العطاء[٢١]

وترجمتها :

ان لم اكن اخلصت في طاعتك
فانني اطمع في رحمتك
وانما يشفع لي انني
قد عشت لا اشرك في وحدتك [٢٢]

وترجمتها الاخرى :

انا عبدك العاصي فاين رضاكا
ولقد دجى قلبي فاين سناكى
ان كنت تمنحنا الجنات بطاعة
يك ذا لنا بيعا فاين عطاكا [٢٣]

١٩- احمد الصافي – رباعيات ١٠٢
٢٠- الرباعيات – ص ٨٦
٢١- الرباعيات – ترجمة احمد رامي – ص ٥٨
٢٢- الرباعيات – ترجمة احمد رامي ص ٥٨
٢٣- الرباعيات – ترجمة احمد الصافي ص ٨٦

٥- كويند مرا انكسان كه بابر هيزند
زآن سان كه بمبرند جنان برخيزند
ما بامي معشوقة از آنيم مدام
باشد كه بحشر مان جنان انكيزند

وترجمتها:

يقول المتقون غدا ستحيى
على ما كنت في هذه الحياة
لذا اخترت الحبيبة والحميا
لأحشر هكذا بعد الممات [٢٤]

٣. ويقول:

در دائرة كه امدن ورفتن ماست
انرانه بداية نه نهايت بيدا است
كس من نزندمي در اين معنى راست
كه اين امدن ازكجا ورفتن بكجاست

وترجمتها:

ليس لذا العالم ابتداء
يبدو ولا غاية وحد
ولم اجد من يقول حقا
من اين جئنا واين نغدو [٢٥]

٧- بايارا اكر نشسته باشي همه عمر
لذات جهان جشيدة باش همه عمر
هم اخر عمر رحلتت بابد كود
خوابي باشد كه ديده باش همه عمر

وترجمتها:

لا تخش حادثة الزمان فانها
ليست بدائمة علينا سرمدا
واغنم قصير العمر في طرب ولا
تحزن على امس ولا تخش الغدا [٢٦]

وترجمها احمد رامي:

لا تشغل البال بماضي الزمان
ولا بآتي العيش قبل الاوان
واغنم من الحاضر لذاته
فليس في طبع الليالي الامان [٢٧]

٢٤- الصافي الرباعيات ص ١٧
٢٥- الصافي – الرباعيات ص ٣١
٢٦- الصافي ص ٣٢

وهذا غيض من فيض الدكتور حسين علي محفوظ رحمه الله في الثقافة الفارسية التي القاها على طلبة اللغة العربية لاطلاعهم على موروثات الحضارة الايرانية التي شاعت في العصر العباسي الاخير اردت بها بيان دور المرحوم د. محفوظ كونه حلقة الاتصال بين ثقافتين شرقيتين العربية والفارسية مكتفيا بعرض نموذجين فقط من اصل عدة نماذج ادبية وارجأت الباقي منها الى وقت اخر لمناسبة اخرى والحمد لله وحده .

المصادر والمراجع

١. بدوي – امين عبد المجيد، جولة في شاهنامة الفردوسي – مكتبة النهضة المصرية - القاهرة د.ت
٢. - بدوي – امين عبد المجيد، القصة في الادب الفارسي – دار النهضة العربية – بيروت ١٩٨١
٣. ثورنلي وروبرتس: الادب الانجليزي – تعريب الدكتور احمد الشويخات – دار المريخ الرياض ١٩٩٠
٤. رومي جلال الدين – مجالس سبعة – تصحيح دكتر توفيق سبحاني
طهران انتشارات كيهان ١٣٥١هـ .ش
٥. رومي – جلال الدين – جواهر الاثار – ترجمة د. عبد العزيز صاحب الجواهر
انتشارات جامعة طهران
٦. رومي – جلال الدين – ديوان شمس تبريزي – ترجمة د. عيسى علي العاكوب
المستشارية الثقافية – دمشق ٢٠٠٢
٧. الخالدي – د. عبد الله و د. طلال المجذوب – مفتاح اللغة الفارسية
مطبوعات المستشارية الثقافية للجمهورية الاسلامية الايرانية – بيروت ١٩٩٢
٨. رباعيات الخيام – ترجمة عبد الحق فاضل، الطبعة الثانية – دار العلم للملايين – بيروت
٩. - صفا – ذبيح الله – تاريخ ابيات در ايران، جلدسوم (ج٣: ١): ٥٨٤ فما بعدها انتشارات فردوسي ١٣٦٣ هـ . ش

٢٧- المصدر ص ٦٤

الدلالات الجمالية في الفخار النحتي العراقي القديم

(ماقبل التاريخ)

م.م. حازم عبودي كريم

ملخص البحث

لقد اكدت التاريخانية القديمة على اقامة الجسور مابين الفنون والمعتقد وانعكاس الواقع الفعلي والاجتماعي لكليهما ليسبغ العصور نشوءا وتتابعا للعلامات والرموز والاشارات بشكل تجارب فنية ألفها الانسان وصورها الفنان، لما يحيط به من تحولات في التعبير وحسب، بل بما كدحه في منتجه وآليات توثيق الواقع وتطوره، ومن ابرز العوامل المؤثرة بالفن وكان المعتقد والدين والعرق والعرف فكان للحبكة دور في نشوء السردية كعملية تتبنى نمذجة الحدث واستلهام معطياته لتفريغ ماهو غيبي او ما هوواقعي، اذا يعنى هذا البحث بتناول النتاجات الفخارية النحتية في حضارة العراق القديم من فترة قبل التاريخ لاطوار (جرمو/ حسونه/ سامراء/ حلف/ العبيد)، بدراسة تاريخية فنية تتجاور مع الدراسات السياقية المعروفة بالآثارية، الا انها تختلف عنها لما تهتم به من آليات تشكيل الفكر وتحويله الى نظم شكلية وفق العوامل المهيمنة في بنائيته، حيث تؤكد سياقات المنهج الوصفي التاريخي على بنيات شكلية يبلغ المنجز التشكيلي للفخار النحتي فيها كـ دال/في الحجم والخامة والوظيفة والحركة والمبالغة في بلوغ حد من العلاقات الخطية لتحديد الاساليب الفنية في الاشكال والمضامين المستهدفة، باعتبارها عناصر تؤكد تفاعلها الشكلي والجمالي.

اشتمل البحث على اربعة فصول :

تناول **الفصل الاول** منه هيكلية الاطار المنهجي للبحث في اشكالية البحث التي تتعرض الى ماهو عياني يستوجب المعالجة وآخر يتمخض في بنية العياني، ليقود بالتالي الى تأسيس المشكلة. فضلاً عن الحاجة والاهمية للبحث الذي يهدف الى تعرف الدال الجمالي للفخار من خلال خامة الاطيان المنضجة بالنار.ثم تحديد المصطلحات ذات العلاقة بمحتوى البحث وما وجده الباحث منها، في اهميته للانقضاض على المعلومة المثراء.

اما **الفصل الثاني** الذي احتوى على هيكلية الاطار النظري والدراسات السابقة، من خلال مبحثين، تناول **المبحث الاول** منها: المرجعيات الفلسفية للجمالية.لينتهي الفصل **بمبحثه الثاني**: باخضاع تطبيقات الدلالات الجمالية في الفخار النحتي العراقي القديم الى التحليل.

وقد تناول **الفصل الثالث** الاجراءات محوراً لمجتمع وعينة البحث واداة واسلوب منهج التحليل، حيث استخدم الباحث مؤشرات الاطار النظري والاستنارة ببعض آراء الخبراء من ذوي الاختصاص ومجاوراته ليتمخض التحليل بشقين الاول دراسة تحليلية عامة لمجتمع البحث المتكون من (٢١) انموذجاً، ثم وصف للنماذج ودراستها بفردانية. واخيرا تمثل الوصول الى ثمرة وجهد الباحث.

وفي **الفصل الرابع** في تحديد اهم النتائج، :اهمها تمركز بنية الجمال في ما كان دينيا او دنيويا.وظهر المضمون كبنية مهيمنة في التاريخ الطبقي، وكذلك مواكبة الجمال لاغلب المنتج الفخاري نتيجة لنضوج الفكر الانساني، وان المنتج من الالواح المجسمة ذات حجوم كمية، كانت ذات اثر في المعنى المتداول بكونه كياناً عضوياً يحدده انسجام نوعي ونظراً لما لاقاه الباحث في الحصول على مصورات البحث الملونة، لذا يوصي بضرورة توفير المصادر الاجنبية التي تتعلق بدراسته، من مصورات تشكل للباحث المصادر اللازمة للاطلاع عن كثب، فذلك يدلى الى الوقوف على اهمية الرمز باعتباره مسلمة حقيقية في السيمياء الجمالية.

التوصيات والمقترحات: اهمها اجراء دراسات بحثية في الجمال في منتج الحضارات التي انبثقت من رحم العراق القديم، والمتوالية في غزوه واحتلاله، في سبيل الوقوف على اهم المزاوجات والتهجين الفني، التحليلي والتركيبي في نمذجة اللوح المجسم من الفخار النحتي.وتوفير الصور الملونة للنماذج القديمة. لينتهي البحث بالمصادرالعربية والاجنبية والملاحق.

ثبت نماذج مجتمع البحث

من عصور قبل التاريخ في العراق القديم

١. أ- انموذج فخارنحتي/انثوي(امرأة): جرمو/الالف السابع ق.م:
Read.a.jarmo figurines&other clay objects,1988,f.158

١.ب - انموذج فخارنحتي/انثوي(امرأة): جرمو/الالف ٦/٧ق.م:
Ibid,f.158.1b

٢. انموذج فخارنحتي/انثوي(امرأة): حسونه /الالف ٦/٧ق.م: Ibid,f.158.1a

٣. انموذج فخارنحتي/انثوي(امرأة): حسونه /منتصف الالف السادس ق.م:
d.umm Kirikbrid dabaghiyah,1972,f.8,

٤. انموذج فخارنحتي/انثوي(امرأة): حسونه /منتصف الالف السادس ق.م
Merpert,N,&Munchajev,R.Excavation at YarmTep.1970.f.2 :

٥. انموذج فخارنحتي/انثوي(امرأة): حسونه /منتصف الالف السادس ق.م: الرقم المتحفي٧٥١٦٤/م ع

٦. أ- انموذج فخارنحتي/انثوي(امرأة): حسونه /منتصف الالف السادس ق.م: سجل الحفريات٩/٥٤، ت٨، ص٢

٦.ب - انموذج فخارنحتي/انثوي(امرأة): حسونه /منتصف الالف السادس ق.م: سجل الحفريات٩/٥٤، ت٨٦، ص١٠

٦.ج - انموذج فخارنحتي/انثوي(امرأة): حسونه /منتصف الالف السادس ق.م: سجل الحفريات ٩/٥٤، ت٩٥، ص١١

٧. انموذج فخارنحتي/انثوي(امرأة): حسونه /منتصف الالف السادس ق.م:
Merpert,N,&Munchajev.The Invesigations of the sovid,1977,f.30

٨. انموذج فخارنحتي/انثوي(امرأة): سامراء /منتصف الالف السادس ق.م

: Oates,J,The Baked clay,1966.f.40.ab

٩. انموذج فخارنحتي/انثوي(امرأة): سامراء /منتصف الالف السادس ق.م: Ibid,f.41.a

١٠. انموذج فخارنحتي/انثوي(امرأة): سامراء /منتصف الالف السادس ق.م:
Oates,J,Chega mami,1967,f.28.ab

١١. انموذج فخارنحتي/انثوي(امرأة): سامراء /منتصف الالف السادس ق.م: فوجي، هيجو، التنقيبات في تل كبة، ١٩٨١، لوح(١٨)

١٢. انموذج فخارنحتي/انثوي(امرأة): سامراء /منتصف الالف السادس ق.م:
Oates,J,The Baked clay,1966.f.42.1

١٣. انموذج فخارنحتي/انثوي(امرأة): سامراء /منتصف الالف السادس ق.م:
Ibid,f.42.bd

١٤. انموذج فخارنحتي/انثوي(امرأة): سامراء /منتصف الالف السادس ق.م: Oates,J,Chega mami,1967,f.29.c

١٥. انموذج فخارنحتي/انثوي(امرأة): سامراء /منتصف الالف السادس ق.م: Ibid,f.28.c

١٦. انموذج فخارنحتي/انثوي(امرأة): سامراء /منتصف الالف السادس ق.م: Ibid,f.29.h

١٧. انموذج فخارنحتي/انثوي(امرأة): سامراء /منتصف الالف السادس ق.م: رقم متحفي٨٩٦٩٣ـ م ع

١٨.أـ انموذج فخارنحتي/انثوي(امرأة): سامراء /منتصف الالف السادس ق.م: : Oates,J,The Baked clay,1966.f.39

١٨.ب ـ انموذج فخارنحتي/انثوي(امرأة): سامراء /منتصف الالف السادس ق.م:
Oates,J,The Baked clay,1966.f.39

١٩. انموذج فخارنحتي/انثوي(امرأة): سامراء /منتصف الالف السادس ق.م: رقم سجل الحفريات٨٥٣.رقم متحف٦١٤٢٢ـم ع

٢٠.راس انموذج فخارنحتي/انثوي(امرأة): سامراء /منتصف الالف السادس ق.م:
Oates,J,The Baked clay,1966.f.38.abc

٢١.أ ـ انموذج فخارنحتي/انثوي(امرأة): سامراء /منتصف الالف السادس ق.م:
Oates,J,The Baked clay,1966.f.38.ab

٢١.ب ـ انموذج فخارنحتي/ذكري(رجل): سامراء /منتصف الالف السادس ق.م:
Oates,J,The Baked clay,1966.f.38.ab

٢٢. انموذج فخارنحتي/انثوي(امرأة): سامراء /أوائل الالف الخامس ق.م
oates,J,Firist preliminary,1966,f.4.n.8 :

٢٣. انموذج فخارنحتي/انثوي(امرأة): حلف /أوائل الالف الخامس ق.م: .Mallwan,M&Rose,c.Tprehistoric Assyria,1935.f.45

٢٤. انموذج فخارنحتي/انثوي(امرأة): حلف /أوائل الالف الخامس ق.م:
Oppenhein,M.Tell Halaf,1952,f.16.1

٢٥. انموذج فخارنحتي/انثوي(امرأة): حلف /أوائل الالف الخامس ق.م:
Strammenger,E.The Art ofMesopotamia,1964,f.7

٢٦. انموذج فخارنحتي/انثوي(امرأة): حلف /أوائل الالف الخامس ق.م:
Tobler,A.Excavation at Tepegawra,1950.f.13.a

٢٧. انموذج فخارنحتي/انثوي(امرأة): حلف /أوائل الالف الخامس ق.م: Ibid,f.153.n.2

٢٨.أ ـ انموذج فخارنحتي/انثوي(امرأة): حلف /أوائل الالف الخامس ق.م:
Mallwan,M&Rose,c.Tprehistoric Assyria,1935.f.46.5

٢٨.ب ـ انموذج فخارنحتي/انثوي(امرأة): حلف /أوائل الالف الخامس ق.م: Ibid,f.46.

٢٩. انموذج فخارنحتي/انثوي(امرأة): حلف /أوائل الالف الخامس ق.م:
Ibid,f.46.5

٣٠. انموذج فخارنحتي/انثوي(امرأة): حلف /أوائل الالف الخامس ق.م: Ibid,f.153f.46.4

٣١. انموذج فخارنحتي/انثوي(امرأة): حلف /أوائل الالف الخامس ق.م:
Tobler,A.Exacavation at Tepeqawra,1950,f.154

ثبت نماذج الاشكال الممثلة للاطار النظري

ت/الشكل	التفاصيل
١	تمثال(رودان)من البرونز/هربرت ريد، النحت الحديث، دار المأمون، بغداد، ١٩٩٤.ص١١
٢	لوحة زخرفية، العصور الاسلامية، سعاد محمد ماهر، الفنون الاسلامية، ١٩٨٦، ص١١٧.
٣	لوحة كمان وغليون، براك، ١٩٢١، في نوبلر ناثان، حوار الرؤية، بغداد، ١٩٨٧، شكل٢٠
٤	منحوتة فخارية، سامراء/اللالف السادس ق.م، رقم متحفي/٨٩٦٩٣ م.ع
٥	الرجل العقرب، الالف الاول، العصر الاشوري، اندريه بارو، اشور، شكل(٩١)
٦	اله الخمر ديونيسوس، المتحف البريطاني، في الابعاد الفكرية والجمالية للانية الاغريقية، زينب سامي، رسالة ماجستير، ، ص١٠٥/٢٠٠٧
٧	ختم اسطواني/كلكامش وانكيدو، العصر الاكدي، صبا علي، جمالية التشكيل الفني لاسطورة كلكامش، رسالة ماجستير، كلية الفنون الجميلة، جامعة بابل، ، ٢٠٠٨، ص١٨٣
٨	اسد تل حرمل، فرج بصمجي، كنوز المتحف العراقي، بغداد، ١٩٧٢، شكل١٠٧
٩	مشهد رعي ختم اسطواني، اواخر الالف الرابع ق.م/انطون مورتكات، الفن العراقي القديم، لوح ب
١٠	رموز الالهة عشتار وآنو/في صبا على، مصدر سابق، ص١١٠.

١١	فخار نحتي(امرأة/حلف ، stromnger.e,the art of mesopotamia,1964,f.7
١٢	فخار نحتي(امرأة)سامراءالالف ٦ق.م/oates,j,choga mami,1967,fig,28
١٣	فخار نحتي(امرأة)الالف ٥ق.م/wolley,l. ur excavacations,1955,fig.20
١٤	فخار نحتي(امرأة)حسونه الالف٦ ق.م/ merpert,n&munchajev,r.excavationat tepa 1970.fig.5
١٥	فخار نحتي ، سامراء الالف٦ ق.مoates,j,choga mami,1967,fig,25
١٦	فخار نحتي ، سامراء الالف٦ ق.م مoates,j the baked clay,1966,fig.39
١٧	فخار نحتي(امرأة)اوائل حلف الالف٥ق.م/رقم متحفي١٠٨٩٤٩ م ع.
١٨	فخار نحتي(امرأة)اوائل حلف الالف٥ق.مoppenheim,m.tell halafe,1952,fig.16
١٩	فخار نحتي(امرأة)اوائل حلف الالف٥ق.م/topler ، a.excavation at tepegawra,1950,fig.13

الفصل الاول

هيكلية البحث

مشكلة البحث واهميته والحاجة اليه

هدف البحث

حدود البحث

تحديد المصطلحات

اولا : الاطار العام للبحث

مشكلةالبحث وأهميته والحاجة اليه

إن البحث في اشكالية الجمال يعد نشاطاً بناءاً يستند الى عمق التعبير بوصفه بنية تأسيس المعنى الذي يتخلف عبر داله الشكلي ، وان مهمة البحث ليست إيجاد المعالجة التي تبحث في نوع الاجابة الخاص بها ، بقدر ماهو تسليط من التساؤل القائم ، والذي يعزى الى وجود بعض الحلول الجزئية ليصل بموضوع الفخار النحتي في العراق القديم حداً من العلمية ، ومنها نسقية الذكر والانثى في موضوعة الاخصاب في المجتمعات البدائية والزراعية في عصوره الاولى (جرمو/حسونة /سامراء/حلف/العبيد) ماقبل الالف السادس والخامس قبل الميلاد ، حيث إشكاليتهما الحقة بما حملته من أسس جمالية ودلالية ، فالاهتمام في مجال التاريخ والانصراف وراء ظواهره وتحليل الافكار والمعرفة ، ماهو الا رصد لنتائج عدة ، وهي مشاكل يمكن ان تطرح كوثيقة لموضعة الاسئلة واجابتها ، ومن هنا تبدأ إشكالية الاستنطاق والطرح للمنجز العراقي القديم.

لقد كان وما زال النص التشكيلي من الفخار النحتي مركزاهتمام الباحثين واسع الافق مديد الاتصال في بواكيره كرسائل لها ابجدية في اللغة والصوت والقصدية الواعية التي تبرر ظهورها بذاتها ووفق تعبيريتها كمادة وصورة.ومن جعل الطروحات والمرجعيات مضامين ومفاهيم جمالية ، بالتالي يتجلى البحث الحالي الى الخوض في مطلقها وفي صنوف فنونها.

فجاء على لسان(افلاطون)لقدسية الفن"هبة مقدسة جاءت الى الانسان من العالم الآلهي)[1].وان الفن ليس مجرد تعبير عن الصورة الجميلة، وانما ارتقاء لاكثر من ذلك، وبذلك ارتبط الجمال بوعي حضاري، مما حتم الوقوف امام التجارب والظواهر الفنية لدراستها والكشف عن خصائصها الجمالية والدلالية، بقدر يبحث في جذب المتلقي بوسائل منها التقنية والاسلوب.

فالمهمة تنبعث في الشكيل وتقسيمه الى مستويات من البلاغة والاقتفاء، والتي صورها المنجز الفني عبر زمكانية الحدث والتوحد الغائي، وفي إيجاد تبريره الانطولوجي، الذي أوجد تنوعاً فكرياً وحضارياً وتحولاً، يستهدف التواصل، فما أوجده البحث كقراءة لمساحتي الشكل والمعنى،

في الجمال والجمالية، وإيجاد السمة الغالبة في شكلانية المضمون، ولعدم إكتشاف المغيب منه، فقد يسد البحث الحالي بعض من ثغرات الفهم الدلالي والخطابي.

عليه تتخذ الخصوصية التعبيرية وجودها ـ لنص الرسالة ـ في المنجزالحالي، بوصف الجمال خاصية إبداعية قابلة للتعريف والتجدد والتغيير والتحول، وباعتبار الانسان الاول قادر على إبتكار أشكاله التي تحمل خصائصه وذاتيته.

ومن خلال ماتقدم قادت إشكالية البحث بعد تجليها الى جملة من التساؤلات والتي **تنصب في هدف البحث الموسوم** :

١. هل يمثل الجمال عنونة جزئية أم كلية للعمل الفني من الفخار النحتي؟.
٢. ماهي أسس الجمالي والدلالي في العمل الفني من فخاره النحتي؟.
٣. هل تمكنت الرسالة الجمالية من إيجاد مسوغاتها الحضورية وبعد تحولات الشكل الفني دلالة ومدلولاً؟.
٤. هل يمكن كشف المهيمنات المتحكمة بالاعمال كضغوط البيئة او المرجعية الزمنية او التاريخية او الانعكاسات الفكرية والاجتماعية ؟.

وللاجابة عن تلكم التساؤلات كان لابد من إجراء دراسة جمالية تعتمد المنهج العلمي الخاص بها، فبرزت المناهج المعرفية والتأويلية منها لدراسة النظم الاجتماعية والاساطير والاديان والفنون والآداب، مما أسست ميادين جديدة للدراسات التحليلية، في إطار علم العلامات السيميائي، والتي تمكن من النفوذ الى أبعاد بحثية تحايث نماذج المنتج الفني، علاوة على ماتمثله هذه النماذج من أهمية في تفكيك البنية الفنية على مستويات تخص الثاوي الظاهر او الباطن البصري، وماينتج عنها من كشف لمدلولاتها، فيصبح الخطاب الجمالي جزءا من الخطاب الانساني وبمستواه، كما النسق وتناظراته الى الداخل و الخارج، ذلك ان إعلان النص التشكيلي تنظيم لعلاقات وترابطات بما يجاورها، فتلك العلاقات تؤثر وتتأثر بما سبق ذكره من العرقات الداخلية المتزاوجة التي تربط عناصر الشكل الفني وتحدد علاقته بالاشكال الاخرى.

ومن خلال القصدية في الابداع أمكن رسم شكل واسلوب العلاقات الاجتماعية، وبالتالي تحديد تاريخ الفكر الانساني ووعيه التفوقي مؤمناً بالتحول، فضلاً عن الاهتمام بالاشكال الفنية المنجزة، وانما بطريقة تركيب عناصر تلك الاشكال وعلاقاتها وتأثير تلك العلاقات، وبالتالي كلية العمل من خلال دراسة الاشياء وصولاً للكلية الشكلية.

١- مطر، اميرة حلمي: فلسفةا لجمال، القاهرة، مصر، ص١٣.

وبالتالي تأتي الاهمية والحاجة الى البحث ليكون خطوة جادة على طريق المعرفة في الدراسات التاريخية الفنية، ولتسليط الضوء على فنون الحضارة الأمم، لما اتسمت به من عدم وضوح للجمالية في منطقة الشكل، ، كما يشكل حاجة مهمة لحضورالفنان والآخرس.

هدف البحث

تعرف الدلالات الجمالية في الفخار النحتي العراقي القديم.

حدود البحث

١. زمانياً : الاعمال الفخارية النحتية البشرية من الالف السادس والخامس قبل الميلاد.

٢. مكانياً : وتؤلف الاشكال والاعمال التي أكتشفت في العراق القديم ضمن مصورات المتاحف العراقية والاجنبية وذات الاختصاص.

٣.موضوعياً : الجمالية في الفخار النحتي العراقي القديم.

تحديد المصطلحات في البحث

- الدلالة : Significant

ـ دلل(الدليل) مايستدل به، والدليل الدال، وقد دلَّهُ على الطريق (بُدل).. . بالضم[٢]

ـ وتعرف الدلالة بأنها(جمعها دلائل) مص دل، يدل، الارشاد البرهان[٣].

- الدلالة : اصطلاحاً

ـ هي مجموعة المعاني الاضافية التي تأتي زيادة على الدلالة الذاتية.. لاشارة معينة.

ـ عرفها الجرجاني: هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم الشيء آخر، والشيء الاول هو الدال والثاني هو المدلول [٤].

ـ الدلالة : هي شيء او معنى يفيد لفظاً او رموزاً ما، ومنه دلالة الكلمة او الجملة[٥].

- الدلالة: اجرائياً

مجموعة الكلمات والاشارات والتنبيهات التي تكون آصرة مشتركة بين. العنوان والنص، والتي يتم تأشيرها والكشف عنها من خلال (الفكرة/الحدث) سواء أكان بطريقة مباشرة او مرمزة. .

- الاعمال الفخارية النحتيةSculpture Pottery(في حدود البحث)

تشكيل ثلاثي الابعاد منفذ بمادة الطين باستخدام تقنيات واساليب والولن التجنيس في الفنون التشكيلية(الرسم والنحت والفخار)، لتعبر عن فلسفة واقعها الاجتماعي والذي يولد منه (المعتقد الديني والحضاري) بشكله العام على وفق قياسات تخدم أغراضاً معينة، ويؤلف جزءاً من الأبنية على مستوى الدال والمدلول.

.الجمالية في القرآن الكريم:

ورد مصطلح الجمال في القرآن الكريم في مواضع منها، قوله تعالى : "قالَ بل سَوّلت لكُم أنفسكُم أمراً فصبرٌ جميل ◆ سورة يوسف/الاية٨٣. و قال تعالى " و لكم فيها جمالٌ حينَ تريحون و حِينَ تسرحون"◆◆ النحل/الاية٦.

٢- الرازي، محمد بن ابي بكر : المصدر السابق، ص٢٠٩.

٣- مسعود ، جبران : رائد الطلاب ،بيروت، ١٩٦٧، ص٤٢٩.

٤- الجرجاني ، علي بن محمد : التعريفات ،مكتبة لبنان، ١٩٦١، ص١٠٤.

٥- مدكور ، ابراهيم : المعجم الفلسفي ،الهيئة العامة لشؤن المطابع الاميرية، القاهرة، ١٩٧٩، ص٣٧.

(❖)سورة يوسف(٨٣)/أي عواقبه حسنة (❖❖) سورة النحل(٦) أي بهاء وحسن

. الجمالية (Aesthetics) لغة :

ـ وِ يرى ابن الأثير أنّ (الجَمال) يقَع على مصدر الصُوَر و المعاني و قد (جُمِّلَ) الرّجَل بالضّم، إجمالاً فهو جميل[٦].

ـ وفي القاموس المحيط (الجَمال) هو ماحُسِن من الخَلق والخُلق [٧].

ـ وفي حديث الرسول (ص) " ان الله جَميلٌ يحب الجمال، أي انه حسن الافعال كاملالاوصاف [٨]

ـ والجميل على الجملة هو ما يبعث في نفسك عاطفة الرِضا والأعجاب [٩].

ـ (الجِمال) الحُسن و قد (جَمُلَ) الرجل بالضّم (جمالاً) فهو (جَميلُ) و المرأة (جميلةٌ) و (جَمْلاءُ) أيضاً بالفَتح و المَد[١٠].

ـ (الجمال) صفة تلفَظ في الأشياء و تبعث في النفوس سروراً و إحساساً بالانتظام و التناغم و هو أحد المفاهيم الثلاثة التي تنسَب إليها أحكام القيم (الجمال، الحق، الخير)[١١].

ـ (الجمالية) في قاموس أوكسفورد أنها: "نظرية التذوّق، أو أنها عملية إدراك حسّي للجمال في الطبيعة و الفن" [١٢].

. الجمالية. اصطلاحاً:

تشير في معناها إلى دراسة الجمال في الطبيعة و الفَن، و ينطوي استعمالُها على طبيعة التجربة الجمالية، أنماط التعبير الفنّي، سايكولوجية الفن (عملية الإبداع أو التذوّق أو كليهما معاً) و ما شابه ذلكَ من الموضوعات [١٣].

ـــ الجمالية ـــ الجمالي: عند (صليبا): "هو المنسوب إلى الجمال، نقول الشعور الجمالي، و الحكم الجمالي، و النشاط الجمالي و هو عند بعضِهم لعبٌ، أو إلهيّة خالية من الغرَض تقوم على طلب الجمال لذاته، لا لنفعتهِ أو خَيرَته" [١٤].

ـــ الجمالية عند (لؤلؤة): "محبة الناس، كما يوجَد في النفوس بالدرجة الأولى و في كل ما يستهوينا في العالَم المحيط بنا، و هي بمعناها الواسِع كانت موجودة خلال تاريخ الحضارة، و قد ظهرَت الجمالية في القرن التاسع عشر مشيرةً إلى شيءٍ جديد ليس مجرّد محبة الناس بل قناعة جديدة بأهمية الجمال بالمقارنة مع القيم الأخرى" [١٥].

ـ الجمالية ـ الجمال عرّفه (ريد) : " أنه وحدة العلاقات الشكلية بين الأشياء التي تدرِكها حواسّنا" [١٦].

٦- الأنصاري ، جمال الدين بن مكرم : لسان العرب، ج ١٣، الموسوعة المصرية العامة لتأليف و لنشر، الدار المصرية للتأليف و الترجمة، القاهرة، ب.ت، ص١٣٣.

٧- الظاهر احمد الزاوي : ترتيب القاموس المحيط ،ط٢، عيسى الباري الحلبي وشركاءه، مجمع اللغة العربية ، القاهرة ،ب.ت

٨- الانصاري جمال الدين بن مكرم، :لسان العرب، المصدر السابق، ص١٢٦.

٩- صلاح الدين المنجد: جمال المرأة عند العرب، بيروت، ١٩٥٧، ص٣٠.

١٠- الرازي ، محمد بن ابي بكر : مختار الصحاح، دار الكتاب العربي ، بيروت، ١٩٨١، ص٦٣.

١١- المعجم العربي الاساس لجماعة من كبار اللغويين ،المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، توزيع لاروس، ١٩٨٩ ،ص٢٦٤

(12) Harald Osboran,The Oxford to Art ,Great Britain,1988,p.1

١٣- هنتر، مهند: الفلسفة انواعها ومشكلاتها ،ط٧، تر: فؤاد زكريا ، الانجلو ، القاهرة، ب.ت، ،ص ٤٢٣.

١٤- صليبا، جميل: المعجم الفلسفي ،ج١، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢، ص٤.

١٥- لؤلؤة، عبد الواحد: الجمالية، سلسلة الكتب المترجمة، دار الرشيد، بغداد، ب ت، ص ٢٦٩

١٦- ريد، هربرت: معنى الفن، تر: سامي خشبة، ط٢، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٦

ـ و ترى (لانجر) أنّ : " الجمال يبتدئ في العمل الفني من خلال إمكاناته التعبيرية وإن الجمال هو التعبيرية، معنى ذلكَ أنّ العمل الفني كلّما كانَ معبراً، كلما كانَ جميلاً، كلّما فقد شيئاً من هذه التعبيرية فقد جماله"[١٧].

ـ و عرّفه (الأعسم) : " تنظيم العناصر البصرية ضمن نطاق علاقتها بكلية العمل. الفني"[١٨].

ـ أما (شلق) فيرى أن الجمالي : "ظاهرة ديناميكية متغيّرة لا يمكن لأحدنا أن يشعُر بالجَمال الشعور ذاته في لحظتين مختلفتين و هو غير منفصل عن إدراكِنا إياه و شعورنا به"[١٩].

ـ و يرى (كليف بل) : " أن الجمالية في العمل الفني هي الخطَوط و الألوان التي تتركّب بطريقة معينة و أشكال و علاقات خاصة بهذه الأشكال، و هي التي تثير عواطفنا الجمالية"[٢٠].

.الجمالية.اجرائياً:

هي السمات المثيرة للإحساس وفقَ انتظام و تناغم يكمُن في الصورة و المعنى المتمظهر في العمل الفنّي الفخّاري المتضمن بالاندماج العاطفي في تكييف النفس، ومن خلال العلاقات الشكليةَ، بتعبيرية لايصال الفكرة ذات الدلالات والرموز.

الفصل الثاني

الاطار النظري والدراسات السابقة

المبحث الاول: المرجعيات الفلسفية للدلالات الجمالية

المبحث الثاني: تطبيقات الدلالات الجمالية في الفخار النحتي العراقي القديم

الفصل الثاني

المبحث الاول: المرجعيات الفلسفية للدلالات الجمالية

الفصل الثاني: المبحث الاول

تأسيس مفهوم الخطاب الجمالي

يمثل تحليل الخطاب في الفن مركزاً مفهومياً وتطبيقياً، في استقراء ملامح بنية الاعمال الفنية، اذ ان هذا البعد يقوم على تبادلية عنلصر الخطاب التأثر والتأثبر بين بعضها البعض، وان ذلك يحدث مهما تباعدت منطلقاتها الفكرية وتناقضت آالياتها واساليبها، ومهما اختلفت وتنوعت انساقها الفنية بين الانشاء والتكوين وبين الوعظ والسرد والتواتر المعرفي، وبين جدلية بعضها البعض.

إذ تتشارك الخطابات الجمالية في سياق حضاري وثقافي وتاريخي، مما أوجد الاشكاليات، فهي تحد لخوضنة التاريخانية وإستجلاء ثقافيتها، مما ينمو ويؤثر ويتبادل.وهكذا يجد خطاب الجمال آليات اشتغاله في الفنون التشكيلية بعد السلطة والمهيمنة التعاقبية، ان لم تكن تزامنية غايتها لاستعارة ما في بنيتي الشكل والمضمون، وبذات الوقت انها تناص إسلوبي وبنيوي تسجيلي وفق بناه الفنية والجمالية والدلالية "وان

١٧- حكيم، راضي : فلسفة الفن عند سوزان لانجر، ط١، دار الشؤون العامة، بغداد، ١٩٨٦، ص٩٤.

١٨- الأعسم ، عاصم عبد الأمير : جمالية الشكل في الرسم العراقي الحديث، أطروحة دكتوراه (غير منشورة)، جامعة بغداد، كلية الفنون الجميلة، ١٩٩٧، ص٨.

١٩- شلق، علي : الفن و الجمال، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، ١٩٨٢، ص٥٠.

20 - Art by Clive Bill : Capricorrm Books , N.4. 1958.

دراسة الخطاب هي دراسة الكيفيات التي تشكل المعاني ودوافعها ووظائفها، فمن خلال الخطابات تنشأ المفاهيم والاستراجيتيات ".[٢١].

عليه اكتسب الخطاب الجمالي أهمية متميزة كأداة للتحليل وانه انتقال من مركزية اللغة الى مفهوم الخطاب بوصفه تحولاً عن البنية.[٢٢]. اذا كانت تنتمي الى مستوى الفن.

كما برهن(غريماس): ان الروابط بين ممثلي الخطاب يمكن معرفتها عبر بنيته الدلالية.[٢٣].مما يجعلنا نبحث فيها بمستوى اعلى من التعبير اللغوي، ولعل الخطاب شكل قدراً من الاهتمام لدى(ميشيل فوكو) فهو يرى ان العلم يرتبط في خطابه بالموقف المادي الذي يقع الى جوار الموقف الحقيقي ويوجه اليه، فمن الممكن الافادة منه للدلالة على انه من المحال، ان يكون هنالك علم لأي شيء تجريدي او ذاتي، وكل ما له ذاتي (مادي) هو الذي يعرف" أي ان الموضوعية العلمية ترتبط بوجهة نظر مادية "[٢٤].

ولما كان الخطاب مادياً او شكل من اشكال الايديولوجية، لذا ان تداخل الخطاب يحدد الشكلية الخطابية، فأن الخطاب النقدي يفكر بآلياته الدلالية السردية، وشفرته، والمطلوب ليس تحييد

الخطاب وان نجعل منه إشارة الى شيء واختراق عمقه لادراك ما يظل صامتاً دونه، بل الحفاظ عليه في قوته [٢٥].

كما واجمعت نظريات المعرفة مابين الخطاب وموضوعه وعلاقات بعضها ببعض، والخطاب ماتبقى لعبة العلامات، والتي تقوم في نطاقها بتحويلات لكنها تبعده عن ارتباطه الوثيق بالثقافة والمعرفة والتاريخ، فذلك يكون على مستوى البنية الفوقية، ان كل خطاب قول، وان تسميته بمستوى نية القول [٢٦].

وقد يكون للخطاب الجمالي دلالة بدون قصد او دلالات قصدية حسب ما تفرضه الاشكال الفنية من معاني ورموز، فقد اوجد المعنى نفسه مع باقي العلوم كونه نظاماً، وقد تظايف الخطاب مع المعنى او مع النظام، انه ينظر لكل خطاب بانه يحمل دلالة متحولة (صيرورة) والخطاب يحمل رسالة ومعنى ووجهة، انه بنية (النشأة، التاريخ، الصيرورة)[٢٧]. أي ان قوام انتاج الدلالة لايفصل بين الخطاب الدال عن المدلول، والعناصر الداخلة في الخطاب التشفيري، لغوي اوغير لغوي هي نوع من انواع الايديولوجيا. كما في **الشكل (١)**.

وبعد ان تعرفنا على الخطاب الجمالي وما له من ضرورة داخل عملية الجمال، يأتي دور استكمال العلاقة في بنية الجمال فهو يرتبط كبنية بعلاقة اشتغال على مستويين في الشكل الخاص ببنائية العمل الفني التشكيلي المتنوع، والتعبير عن أي شكل يعنى في امكانات تشكله وطريقة اظهار المعنى، والجمال تعبير، (فالبنية المتحكمة في الجمال تفرض نماذج اقرب الى الترتيب الى الانظمة والاعراف)[٢٨]، من حيث انها مجموعة تعالقات تحتوي التعبير كسياق تنظيمي يتجه الى باطن الشكل ويؤسس الى اخفاء او اظهار شفرتها.

٢١- ماكدونيل ، ديان: مقدمة في نظريات الخطاب ، ت: عز الدين اسماعيل، ب ت.
٢٢- كريزول، اديث : عصر البنيوية ، مصدر سابق ، ص٢٧٠.
٢٣- بيير.ف.زيما : نحو سيسيولوجيا النص الادبي، مجلة العرب والفكر العربي ، مركز الانماء العربي ، ع٥،١٩٨٩، ص٩٣.
٢٤- ماكدونيل ، ديان : مقدمة في نظريات الخطاب ، مصدر سابق، ص١٢٥.
٢٥- فوكو ،ميشيل : تكنولوجيا الخطاب تكنولوجيا السلطة تكنولوجيا السيطرة على الجسد ، ت: محمد علي الكبيسي، المطابع الموحدة ، تونس، ١٩٩٣، ص٢٢،
٢٦- المديني ، احمد : في اصول الخطاب النقدي الجديد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٩ ، ص٦١.
٢٧- فوكو ، ميشل : حفريات المعرفة ، ط٢، المركز الثقافي العربي، بيروت ، بت ، ص١٦.
٢٨- ابراهيم عبد الله، واخرون : معرفة الآخر ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ١٩٩٠ ، ص٥٠.

فالشكلية الجمالية تشيد للعلاقات الانفعالية المتمثلة على سطح الشكل الفني، الذي يتسلح بثقافة التسطيح ليعطي صورة نهائية، فقد يظهر التشبيه في العلاقات البنائية داخل العمل الفني بدرجات من الوضوح، ولما لها من تحولات ترافق العملية الفنية، منها تحول شكلي ينطوي تحته مضموني او العكس، وبذلك يتجه معنى التشبيه نحو تتابعية زمانية (اذ تتغير نظم التعبير مع نظم العلاقات والمتغيرات في الابنية الاجتماعية والثقافية التي تشكل كسلوك واعراف وقوانين

[٢٩].وهنا ينطلق التشبيه كمعطى رمزي ليس تعبيري يلفه الغموض او الايحاء الى زمانية قادمة، ان لم تكن تعنى بلحظة ثابتة، وبالتالي تعبير يميز اسلوب تشكل عن افراغ الدلالة في الخامة يهدف الى تكييف التركيب بغية تميزه، والا لايتخذ صفة المشبه او تحصيل حاصله.

ولعل من الافضل التطرق الى البنية في نظر (جان بياجيه) لتصب جلية في سياق البحث، فهي : تعني عمل تركيبي موجه يقصد الشكل الشامل او النظام من التفكير الى الفعل "[٣٠]. ذلك انه نظام بناء الشكل او المعنى، والذي يمكن ان يعمل في المضمون والمعنى والتعبير والجمال، بالرغم من ان البناء الاستطيقي هدفه التعبير، لدى (برتلمي)[٣١].

وازاء ما اندرج يستقرىء الباحث بنية العمل الجمالي تعمل مع البنية العامة للشكل، فتوحده وتوجده وتوجهه ذلك ضمن التعبير، لما لبنية التفكيرمن بنية اولية تفعل الجمالية في نظام معين وتكونها، وهذا يتطلب بالفعل الانتقال من حالة التفكير بالذهن الى الصورة، (فهو استيقاظ في الحلم صعود من الرؤية الذاتية الداخلية بنشوة صوفية مطواعة).[٣٢].كما في رسوم المدرسة السريالية، أي ايجاد فعلية منطقية مادية تبنى شكلاً من المضمون، او شكلا في الشكل يعزى الى الحركة او الايماءة، ولعل علم الدلالة معنى في البحث عن البنية التعبيرية وهو شكل التعبير الدال لشكل المحتوى في (تشكل المحتوى)[٣٣].وبهذا يمكن بناء شكل العمل الجمالي.

هذا ولايمكن ان يكون الشكل في تماساته الدلالية افراغ من دالته الجمالية في اعتبارات منها ان الشكل تكوين فني وصورة بصرية تخضع لعدد من آليات اشتغال المحركات والضغوط التي تؤسس المضامين والاشكال باعتبارها رؤية مستقلة بذاتها، فتظهر لغة التشفير من خلال شكلانية موضوعية تخضع لعدد من العناصر المتفاعلة الفكرية وهي ارث ايديولوجي حضاري.

وحين يتم التعرض لآليات انتاج الصورة او الاشكال في العصور القديمة، فاننا نبحث في التأسيس الشكلي في لغته وبنية تشفيره من اجل ايجاد آليات اشتغال تلك العلاقة الشكلية على

مستويات الشكل والمضمون فحسب، وانما ايجاد دالولها ايضاً، كونها وحدات حسية متفاعلة في بنائية متكاملة وهي لدى (بودلير) : "ان الفنان يكون اداة تغيير وبناء لا أداة نقل ومحاكاة"[٣٤].فالمخيلة والصور الذهنية تستطيع ان تحدد بعض العلائق الارتباطية التي تبني وتؤسس مادة

التخيل وبنيته، وهذه العلائق ما هي الا المفردات المخزونة في الذاكرة، كماً ونوعاً يتم تحولها الى بنية التصور ثم العمليات التركيبية للمفردات، وهذا مايشكل آلية التشفير، كما في المخطط التالي :

الذاكرة ـــــ مخزون الذاكرة..... استدعاء مفردات الجمال..... بناء علاقات

٢٩- هوكز ، ترنس: البنيوية وعلم الاشارة ، ط١ ،بغداد ، ١٩٨٦ ، ص٣٣.

٣٠- بياجيه ،جان: البنيوية ، ت: عارف منيمة، منشورات عويدات ، بيروت ، ١٩٧١ ، ص٤٥.

٣١- برتلمي،جان: بحث في علم الجمال ،ت: انور عبد العزيز ،مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٠. ص٣٤٣.

٣٢- وادي، علي شناوة : السطح التصويري بين التخيل والمنطق والتأويل ،ص٣٦.

٣٣- فضل، صلاح: نظرية البنائية في النقد الادبي ،مصدر سابق ، ص١٦٦.

٣٤- حيدر ،نجم عبد: دراسات في بنية الفن ،مكتبة الرائد العربي ، عجمان، ٢٠٠٤، ص١٧٥.

تحقيق الصورة التخيلية..... الجمال.....

ولعل (ارسطو) في بحثه للفكر البشري، قدم تحليلاً عن ماهية الذاكرة، فإستشف ان الحيوانات القادرة على الاحساس بالطبيعة تؤدي الى ذاكرة، وفي البعض الآخر لايحدث أي" ان الجنس البشري يرتفع عم مستويات من الحيوانات ويرتقي الى مستوى الفن والى العقل ومن الذكريات التى تحدث الخبرة، والخبرة نوع من العلم او من الفن " [٣٥]. وذلك ان الذاكرة أداة الخيال والتصور، فهي أداة معرفية ذات نتيجة موضوعية، لأن كل معرفة او اضافة لمعرفة لم تبدأ بتصور لعلاقاتها، وروابط جديدة كانت موجودة بشكل ما في تلك المعرفة.

ومن جهة اخرى نجد ان بنية الجمال خاضعة للتحولات، وتفاعل علاقاتها وفق انظمة متحركة (غير ثابتة) مما كانت مرادفة لوجود أنظمة قادرة على بناء شكلية متجانسة تحقق هدفها مع المتحول من الانظمة والظواهر، فليس من المتحقق ان تكون الرسالة اعتباطية في الفن العراقي القديم (مثلاً)، فهي دلالات شكلية اكثر تعددية، من خلال العلاقات المشتركة للنتاج في بنية الشكل بموجب السياق المتحكم [٣٦]. وهنا تتجه القراءة من الخارج المهيمن الى الداخل في علائق الانظمة الشكلية في المضمون.

ولاجل ان تبقى الصلة قائمة دواليلها مابين البناء الشكلي والمضموني النازح فى المعنى، ذلك يتطلب عملية تواصلية تتفاعل فيها عوامل عدة تشكلها وتعطيها هيئة داخل السياق، بدءاً من الفكرة ثم المراحل الانجازية للعمل وانتهاءاً بالمرسل اليه، وهي بذلك تحول اللامرئي من الافكار والانفعالات المدركة لتحتل مراميز، تبعاً لطبيعة البنية الحضارية، فيرى (سانتيانا): "ان الموضوع ـ الصورة، والفكرة ـ الصورة، المثارة وهما سبب التداعي او الترابط، حيث الادراك الذهني يخضع له الموضوع يلتصق بالتجربة ولونها وموضوعها بحيث يبدو كامناً فيه "[٣٧].

إنه قدرة على الرابط بين الجمال في التعبير وموضوعه ينشأ من التجربة الماضية في ان للخبرة دورها في تحويل الادراك الحسي الى موضوع. **كما في الشكل (٢)**

وان الشعور بالجمال ما هو الا استثارة تتطلب الاخفاء او الاظهار، وانها إستثارة وجدانية تتضمن مجموعة من التأثيرات الانفعالية التي تضفي خياراتها على المضمون بدلالة وجدانية تختلف باختلاف الارتباطات من ايحاء وانفعال، ليولد لدى القوة التعبيرية حيث الموضوع والشكل، الفنان او انسان العراق القديم محاولة لبناء الفكرة الدلالية.

فالفنان (الباث) المنفذ للعمل الفني والمرسل للافكار الى المشاهد المتلقي لهذه الافكار والعلاقات الاتصالية المنتظمة في مراحل انتاج العمل التطوري على اقرار ضمني بالدخول في مستوى يحمل تأثيراض بالمستوى نفسه (ذلك حينما يكون التأثير واقعاً على طبيعة وشكل الرسالة عن طريق الاشارات والحركات والالوان، وعناصر التكوين التي تنتظم داخل التكوين)[٣٨].

لذا انطلق البحث من الاسس العلمية لنظرية الجمال في محاولة لخلق نظرية تطبيقية في التوصيل الابلاغي للجمالية متخذة منهجه البنائي لما تعنيه في مجموعها وفي كل مستويات العناصر الدلالية والجمالية بالتالي، ذلك من لغتها، وفي حواريتها الجدلية مابين (الدال والمدلول) ومالايترتب عليه من لذة الشكل المتكيفة بدقة مع عمليات الايقاع وكفاءة التلقي للابنية الموسيقية الكامنة تحت رسالة شعرية)[٣٩].فالجمالية

٣٥- حلمي مطر، اميرة: الفلسفة اليونانية، دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٨٨، ص٢٤٨.
٣٦- البصري، ايلاف سعد، : وظيفة الابلاغ في الرسوم العراقية والمصرية القديمة، ط١، بغداد، ٢٠٠٨، . ص١٨.
٣٧- ستولنتيز، جيروم: النقد الفني /دراسة جمالية وفلسفية، بيروت، ١٩٨١، ص٣٨٢.
٣٨- البصري، ايلاف سعد : وظيفة الابلاغ في الرسوم العراقية والمصرية القديمة، مصدر سابق، ص٣٠.
٣٩- فضل، صلاح: نظرية البنائية في النقد الادبي، مصدر سابق، ص٣٨٢.

في معناها تلعب بالشكل الرمزي البصري ومايشع من ايحاءات وخصائص طبقاً للجمال الدلالي لكل رمز، وفق البنية التي تعنى بهيكلة الشكل، كونها الهيكل التوصيلي لها وللرسالة.

وتتمثل الرسالة الجمالية بأنها تتطلب حضوراً توقيتياً آنياً وآخر تطوري تاريخي، فلاينبغي ان يشمل الوصف التوقيتي للانتاج التشكيلي في مرحلة ما، بل يفترض ان يمس التقليد لمرحلة قادمة (فكل مراحله يتم التمييز فيها بين اشكال ثابتة واخرى مجددة، متحركة في اساس الى ان التشفير بنية اولية تستند الى بنية أخرى. كما في التالي:

حضارة جرمو..... حضارة حسونة.....حضارة سامراء.....حضارةحلف

.....حضارة العبيد.....الالف الرابع ق.م

وكذلك المخطط التالي:

حضارة جرمو....تفاصيل.....انظمة تزيين

الالوان /الخطوط/ الحجوم / الاشكال

وقد توظف الخامة (الباث) للابلاغ التشفيري على انجاز العمل الفني كمادة الطين في الفخار النحتي ومنه العراقي القديم وبالتحديد فترة قبل الكتابة، لما لها من خصوصية جمالية ودلالات رمزية عرفها الفنان الانسان - فمن خلالها امكن وجود الخلود والبقاء للقدسية (في تنوعاتها) فهي دلالة صلبة بعد حرقها ومقاومتها لمتغيرات الزمن، وبذلك تؤدي الخامة الوظيفة المضمون "وهي استقراء للسطوح والاشكال الخارجية المعبرة عن المستوى الاول لافكار الفنان "[٤٠]. مما شكلت ضرورة تكافؤية حتمت على الفنان الانتقال من الواقعية الى التجريد الرمزي، او التجريد الجمالي الذي عبر عنه بحالة من الرجوع الى الحلم.

ولاجل الوقوف على بنى التشفير في المعنى وفي اظهار او اخفاء الجوانب الفكرية والجمالية - الاستتيكية - يتعرض الباحث الى اهم الخصائص للمنهج السيميائي، لما يخدمه في ذلك وتحقيق هدف البحث في ا لتعرف على الدلالات الجمالية :

المحايثة اذ انها خاصية يتكىء عليها المنهج الداخلي للنص، باعتباره العلاقة التي يقوم عليها العمل الادبي (الفني) ومحيطه الخارجي، وينشد من سياقي ثقافي وحضاري موسوم بخصوصيات جوهرية الى تأسيس مستوى عميق للنص (بمعنى ان التشفير يتطلب الاستقراء الداخلي للوظيفة النصية التي تسهم في توليد الدلالة، ولاتهمنا العلاقات الخارجية ولا الحيثيات السوسيو - تاريخية والاقتصادية التي أفرزت عمل المبدع)[٤١].

ولاجل ان يبقى التأثير الجمالي قائما وجد الباحث في مرتكزات السيمياء دور ومنها :

التبنين ويعد ثمرة المزاوجة بين العلامة والبنية، ثمرة تبنين العلاقات، فلا يمكن فهم التشفير الا من خلال الاختلاف في المعنى والقائمة على البنيات والدوال، (والتحليل هنا كشف عن شكل المضمون وتحديد الاختلافات في العلاقات الموجودة بين العناصر الداخلية للنسق او النظام)[٤٢].

و الكلية وهي ثالث خصائص طبيعة الموضوع التشفيري، لما له من اهتمام في الخطاب الخطاب او بعده السردي، أي انها تدرس الكليات العامة وتنظيمها وانتاجها والقدرة على انتاج النص.

ولعلنا نتجه الى توظيف الحجم في الجمالية كونه احد الانساق الشكلية، فليس من شك في ان الزقورة او الهرم في كل من العراق ومصر القديمتين، يهدف الى خلق منظومة اتصال بين

٤٠- كامل ، عادل: الفن التشكيلي المعاصر في العراق ،بغداد ، ١٩٨٤، ص١٢٢.

٤١- محمد جسام، بلاسم: التحليل السيميائي لفن الرسم المبادىء والتطبيقات ، مصدر سابق، ص١٣.

٤٢- نفس المصدر ، ص١٤

السماء والارض على الرغم من اختلاف البنية الفكرية لكلا الشكلين، وان الحجوم هنا اتخذت خصوصية لمشاهديها ببث الرسالة الجمالية ووجوب التقديس والاحترام، فضلاً عن اتجاهها المثلث والصعود الى الاعلى، في توظيف علاماتي للارتقاء "وان مستويات المعنى ليست الحقيقة سوى بنية من بنيات التفاعل بين النص والقارىء"[٤٣]. **الشكل (٣).**

كما ان الانساق الشكلية تتميز بكونها انساقاً علامية يرتبط بعضها ببعض بعلاقات ظاهرة وكامنة، وهذا النسق يحقق الخطاب الجمالي، ويكون بمثابة شرط ضروري في اية عملية رسالاتية على صعيد الفنون والاداب، تحمل خطاباً دلالياً وجمالياً يعمل على ادراك الرسالة كظاهرة ايصالاتية عبر شكلانيتها ❖بالاعتماد على تصورها كشيء، في احصاء البعد الجمالي، وهذا يؤدي الى اكتشاف الجانب اللغوي/الفني وجانب البنية، لما لها من مظهر دلالي وجمالي، المخطط التالي :

المظهر الجمالي..... لغة جمالية.....انظمة بصرية

الجمالية

المظهر لدلالي.....حكاية شيء ما.....جانب صائت

خصائص عاطفية ووجدانية واخرى حرية التلقي

وازاء ما اندرج من تأكيد للبنية الجمالية، وجد الباحث الخاصية الجمالية لاشعورية وهي شعورية في الابنية الانثروبولوجية التي كشف عنها (ليفي شتراوس) : " فاذا كان النحو هو الهيكل التجريدي النظري للشعر، فأنه نموذج يكمن في كل بيت من القصيدة ويحدد المعالم التي لاتتغير للامثلة المختلفة، كما يضع حدود التغيرات التي تطرأ عليها "[٤٤]. اذ يؤلف التشفير علاقات العمل الفني الباطنية التي تؤسس ابنيتها وتقوم على تنظيم أجزائها وتتحكم في أولويات الوجود الشكلي للمضمون، لذا فهي تنطلق من الركائز التي كانت تشكل قاعدة وتعمل بشكل متفاعل في تشييد وقراءة المنجز الفني. المخطط التالي :

المرسل.....الرسالة الجمالية.....المرسل اليه

حوارية الجمال

لذ يعمل المنجز الفني العراقي القديم(في حدود البحث) على أساس :

١. تكون الرموز والعلامات الجمالية، كوحدات دلالية تأويلية تقود بنية الشكل نحو جماليته، وبدورها تبحث في فك تلك الجمالية، او وفق العلاقات الشكلية والعلامات التي تقود الى تحديد القيمة الجمالية.
٢. الحجم يمكن ان يعمل وبشكل مستمر على ايجاد قوالب من البنيات الثابتة والمتغيرة تسعى لتوثيق مسار المهيمنات وتأكيد قيمتها.
٣. التكرارسياق موسيقي يفعل هيكلية الجمال ويحفظها ويكررها، فهي تنطلق في الاداء الخاضع للشفرة الاجتماعي.
٤. بنية الجمالية وايصالها يرتبط بالمفاهيم، كونها تتبنى مستويات من البنى الصغيرة وتنظمها في كل واحد اكبر واوسع افقاً.

٤٣- شرفي، عبد الكريم : من فلسفات التأويل الى نظريات القراءة، ط١، منشورات الاختلاف، الجزائر، ٢٠٠٧، ص١٩١.
❖الشكلانية هنا ليس المقصود بها شكلانية الروسية بل هي خاصية بالشكل في حدود البحث.
٤٤- فضل، صلاح : نظرية البنائية في النقد الادبي، مصدر سابق، ص٣٩٨.

٥. يفصح البناء الحركي عن وجود ايحائي وابلاغي يفسر خصوصية الفكرة في كلية الاندماج في وحدة فعالة.

٦. التمركز هو محور الابلاغ الجمالي ويجتمع في بؤرة معينة.

ويرى (سوسير) : الاشارة اللغوية ذات معنى يفصل اختلافها عن الاشارات الاخرى ولايوجد في نظام علم اللغة الا الاختلاف، المعنى ليس كامناً في الاشارة اللغوية ولكنه وظيفي، ينتج عن اختلاف الاشارة عن الاشارات الاخرى [٤٥]. والفنون تموضع الحقيقة الذاتية وانها حقيقة نوعية وواقعية لكنها تختلف عن نوعية الحياة الفعلية.

وترى(لانجر) : ان الفن شكل تعبيري ولايمكن فصل الصورة عن التعبير والا لم يعد هناك مثل هذه الصورة المعبرة [٤٦]، فمن خلال الصورة الذهنية ينطلق التعبير والصورة الفنية هنا هي صورة استدلالية وفي الوقت نفسه صورة مدركة وهي معبرة عن صورة ذات معنى فضلاً عن انها صورة حية وديناميكية.

إلا ان (شوبنهاور) له رأي في ان الصورة ليست مهمة بقدر التعبير، ان المهم في الفن ومايعطيه معناه الحقيقي ليس فقط ان ينقل (الصور) فالجوهري في الفن هو التعبير لا الصورة.

أما (مدرسة براغ) : جاكوبسن، جان موكاروفسكي: " مثلث افكاراً نظموها على نحو اكثر ثباتاً ضمن اطار لغويات سوسير، فالقصائد تراكيب وظيفية تحكمها مجموعة علاقات معقدة الدال والمدلول "[٤٧].

ومن خلال الدلالة تفرع الطرح السوسيري الى اتجاهات في مجال الادب وتحليل الخطاب ولكن (بارت) ارتبط بتقاليد (سوسير) وافاد من نظريته المتعلقة بالدال والمدلول، ودراسة الانظمة الدالة (اللغوية او الاشارات غير اللغوية)، وان اللغة هي مجموع العلامات والاشارات، وليس كلمات وتراكيب.

اذ تميز (بارت) في تحليل الاساطير في ثقافة المجتمع ونظامها اللغوي (الدال، المدلول، العلامة)، والبارتية في لفنون تمثل(الدلالة، الشكل، المفهوم) وبذلك هي اتحاد الشكل والمفهوم في الاسطورة [٤٨].

والدلالة تقوم باظهار المضامين الشكلية في محاولة لايجاد شكل من اشكال التفسير المعرفي بما يتلائم والفلسفة، اذ ان تصور الاشياء بمعزل عن التجارب الحسية يقودنا الى المثالية، اذ ترى" ان الاشياء في الطبيعة لاوجود لها الا من خلال عقل يعيها "[٤٩].فالوجود التشفيري يبدأ بمحاكاة الصور الحسية وينتهي لعالم قائم بذاته، اذ انه يعبر عن تظافر في العناصر الشكلية والمضمونية.

الا ان (كانط) يرى ان الفن تمثيلاً لفكرة في ذهن الفنان، وتمثيل للحقيقة والصورة الذهنية الدالة لا مصدر لها سوى الاحساسات، وفكرة الشكل استعيرت من العالم الخارجي ولم تنبثق من الذهن "فلا وجود للصورة القبلية للفكر في بلوغ فكرة الشكل " [٥٠].

عليه يستقرىء الباحث ان للفنون انماطاً جمالية وتصويراً للواقع، والدوال الجمالية عبارة عن اشياء محسوسة والكلام تجريد لامعنى له وان الفخار النحتي واقعي، اما ما يخص الفخار غير التصويري فأنه يكنى على مستوى المدلول، غير ان الدال التصويري يعد صورة وايقونة لهذا الواقع ولكن دونما صورة (الرسالة

٤٥- محمد جسام ، بلاسم : المصدر سابق ، ص١٥.

٤٦- حكيم ، راضي : فلسفة الفن عند سوزان لانجر ، دار الشؤون الثقافية ، ط١ ، ١٩٨٦ ، ص٤١.

٤٧- حكيم ، راضي : نفس المصدر نفس المكان.

٤٨- الرويلي ، ميجان : دليل الناقد الادبي ، مصدر سابق ، ص١١٣.

٤٩- كامل ، فؤاد وآخرون : الموسوعة الفلسفية المختصرة ، دار القلم للنشر، بيروت، ١٩٨٣ ، ص٣٩٦.

٥٠- مطلب ، مجيد محمود : تاريخ المعرفة منذ الاغريق حتى ابن رشد ، دار الجاحظ للنشر ، بغداد ، ١٩٨٠ ، ص٨٨.

❖السياق : هو الوضعية الملموسة في توضيح وتطبيق المقاصد تخص الزمان والمكان ، هوية المتكلمين او الفاعلين، من اجل فهم كل مايقال او يرسم.

الجمالية لاتكمن في ايصال المعنى بل في القيمة التي تحملها في ذاتها، انها شيء ورسالة وتكون هذه الفرضية السمة الاساسة لما حدده ـ جاكوبسن ـ

بالوظيفة الشعرية باعتبار ان الفن ذاتي فأنه يؤثر في الفاعل أي يلامسه انطباعياً ويؤثر فعله علينا جسدياً ونفسياً، واما العلم فهو موضوعي وهو يبني الشيء)[٥١]. لذا فالانساق الجمالية تضطلع بمهمة مضاعفة في التمثيل للمجهول ويقع خارج نطاق التشبيهات المنطقية وهي ادوات الامساك باللامرئي والفائق الوصف واللامعقول وهي تمسك بشكل عام بالتجربة النفسية المجردة عبر التجربة العلمية للحواس.

قد يكون الرمز الجمالي علامة تنتج بقصد النيابة عن علامات اخرى مرادفة لها ومن هنا يصبح الرمز دالاً على شيء ليس له وجه ايقوني، وتدخل في انواعه الشعارات والشارات، والشكل الرمزي هو احد الوسائط المتعددة والبنيات المفهومية والمنطقية (والشكل الرمزي ليس سلبياً ولكن دائماً هو عنصر تعبيري ما دام ليس له نسخة عن الواقع، بل هو بمعنى من المعاني يخلق هذا الواقع، والاشكال الرمزية تكون نسقاً)[٥٢].ويعد الرمز مفهوماً سيميائياً ولكن يمكن قراءته من زاوية المضمون والوظيفة، وله كما لعناصر البنية التحويلية كيان تحولي، فهناك في الرمزية تحولات بظواهرها الاجتماعية، اذ ان الانسان يتمثلها بتمثل الاشياء "ان التحول الرمزي لعناصر الواقع الى مفاهيم هي اكتمال قدرة الفكر، وليس الفك مجرد انعكاس للواقع "[٥٣].والفن انعكاس مفهومي لذلك الواقع والذي يتخذ الرمز اداة تبرر اهداف الشكل الفني الايصالية، ولايمكن اختزال أي من الرموز على حساب الاخرى فهو نظام مركب.**الشكل (٤).**

لقد بين (البنيويون) ان الاحداث والظواهر والاشياء ليس لها وظيفة ثقافية الا لما لها من معنى، والتي هي اعراف وتقاليد تؤلف الجمالية الخاصة بالثقافة الواحدة، والاسلوب البنيوي وضع التسلسل المنطقي للشكل والمعنى عن طريق ربطه بنظام الوظائف والمعاير التي يعتمد عليها الحدث، والمعنى هو القدر لذي يحسم الى شفرة)[٥٤]. فالشفرة استيعاب المجهول للمعلوم والذي يمنح المجهول بنيته ثم معناه في علوم الفلك ودورات الشمس والقمر ومراكز النجوم وعلاقاتها بالبشر والالهة على سبيل المثال. **الشكل (٥).**

دلالة المرجع

يعتبر المرجع او النظام القبلي الذي يوجد في كل ما هو مختبىء، يمثل النسغ الصاعد والنازل في بنائية النبات، ويطلق عليه المرجع التداولي، اذ هو يرتبط بالمرسل ويسلط الضوء على السياق من فرز اجتماعي وسايكولوجي يمهد الطريق الى المألوف الذي يعرف بالمفهوم الاعتباطي للعلامة والذي يتجه الى اقصاء الشيء واحلال المدلول محله، فأن كان الخطاب اجتماعياً تكف الرابطة بين الدال والمدلول عن ا تكون اعتباطية لكنها لا تكف عن اعتباطيتها لدى الذات المتلمة، وتتعلق تأثيرية الدال والمدلول بحكم القصدية، وفي "الرمز تكون اعتباطية تتطلب حضور الفاعل المفسر لعمل الرابط الدال" [٥٥]. كتمثيل القرون عند الالهة.**الشكل (٦).**

ولاجل تحقيق الاكتفاء الذاتي خارج المرجع لابد من تأسيس علاقة الدال بالمدلول وفق مفهوم الاعتباطية والذي يعتمد النموذج الالسني كبنية رمزية صرفة يمكن ان تؤدي فعلها بذاتها الى ما لانهاية، اذ يتطلب استحضار المظاهر الحسية في توليف العمل الفني على صعيد الظاهر، بغض ا لنظرعن فيما ستكون

٥١- محمد جسام، بلاسم : التحليل السيميائي لفن الرسم ،مصدر سابق ،ص٢٠.

٥٢- داسكال ، مارسيلو : الاتجاهات السيميولوجية المعاصرة ،ت: حميد الحمداني، الدار البيضاء، ١٩٨٧، ص٦١.

٥٣- سبيلا ، محمد : الفلسفة الحديثة ،در الامان للتوزيع والنشر ،المغرب، ١٩٩١، ص١٥٨.

٥٤- راي ، وليم : المعنى الادبي من الظاهراتية الى التفكيك ،ت: يوئيل يوسف، ط١، دار المأمون للنشر ، ١٩٨٧، ص١٢٥.

٥٥- هوكز، ترنس : البنيوية وعلم الاشارة، ط١، بغداد ،١٩٨٦، ص١١٩.

عليه القيمة الظاهرية، والتي بدورها مجموعة من الاشارات تقترب او تشابه العالم الواقعي، وذلك يفضي الى التغلغل فكرياً في العمل الفني لاظهار محتوى الكائنات والاشياء المحمولة عليه.[٥٦].

وهكذا يسعى النص الفني او الادبي للالتصاق بمرجعيته، فأن ابرز ما يطبعه هو ذلك الغياب المادي المباشر مع الحضور الرمزي الذي يتحول فيه ـ المرجع ـ الى دليل صوري يكون بمثابة القرين للنص ووفق (جماليته) من صورية واشارية، فقيمة الجمال لايمكن تميزه الا بعد تميز البنية الشكلية من بين البنى الاخرى، مما يعطي صورة تمثل محاكاة ذات طابع رمزي، الا ان صورة المشهد هي ماديتها المنطوقة والعناصر الفكرية والعاطفية الدالة، والتي تعرب عن محاكاة رمزية. وان العلامات لايمكنها ان تخوض ـ كمرجعية منفردة ـ في حالة حضورها ولما يتطلبه الغياب، ولن تكتف بذاتيتها في العمل الفني او التكوين، وان العلاقات عدت مرجعاً ذاتياً لكن الغياب واقع خارج النص، متخيل وهو الذي يحدد طاقة العمل الفني وقابليته على الامتداد والتقلص والتكثيف من حيث المعنى، وذلك لاينفصل عن السياق فهو الذي يفرض نفسه في التفكيك والاهتداء الى سنن المرجع وهو الذي يتحكم في برمجة علائق العمل الفني الداخلية

ويربط بدرجات التمظهر الشكلي" فلا يمكن فهم قصيدة نبطية حتى وان استمع اليها الف مرة، لانه لانملك سياق هذه القصيدة" [٥٧].

وبهذا يتسنى تفسير العمل الفني التشكيلي، برغم الاقرار بتأكيد العرف الاجتماعي والسياقي في الاستناد لما بلغته المشاعر الانسانية من نضج، فلابد من الاخذ بالذوق السائد في عصره حتى وان بدأ يفتقر الى العقلانية، ذلك ا منظومة التشفير في الفن جدلية بين التقاليد والاساليب السائدة تندرج في ضوء " محاولة تحويل المؤشرات من دلائل الى دلائل متصورة، ومن مقصودة الى اشارات"[٥٨].اي ان ثبات المعنى او استحداث معان جديدة تحول اشاري يحتكم الى المعنى وينتج تحت ظروف قدرة الانسان المبدع على انتاج جمالي.

لذا نؤكد ا الدال صورة سمعية ـ كتابية ـ تتحول الى صورة ذهنية تزيح صورة الشيء الواقعي، فأن النسق في ينكفيء خلف داله من (خط/لون/حجم/كتلة/ شكل) وبذلك في احالة الحضور المادي في صورة ما تحمل على إزاحة المرجع، الى الظهور او الاختفاء، لذا فالظهور ايقنة الشكل بأحد دواله السالفة الذكر، مما أوجد حضورا لما عرف بالبحث في فخاره النحتي.**الشكل(٧).**

كما اتصفت العقيدة الدينية في العراق القديم بعدد من الصفات عرفت بمبدأ الحيوية او الاعتقاد بوجود قوى او ارواح كامنة خفية من المظاهر الطبيعية والكونية المختلفة كـ(السماء والقمر والكواكب والريح والارض والمياه والنبات، وتجسيدها على هيئة آلهة مثلت بشكل علامات رمزية دالة بمضامينها الروحية، وكذلك فهي ذات صفات تشبه البشر ـ مشبهة ـ " سواء في اسماء الالهة ووظائفها ام في المعتقدات الدينية والطقوس"[٥٩]. في نشدان التقرب منها والنيل من حضوتها طمعاً وخوفاً." وان يواجهها بالمحاكاة في الفن "وان اداة الفن هي اداة تغريب الاشياء واداة الشكل الذي اصبح صعباً أي الاداة التي تطيل من صعوبة الادراك واطالته، لان عمليى الادراك في الفن هي غاية بذاتها ولابد من اطالتها" [٦٠]لدى شكلوفسكي. في

٥٦- محمد جسام، بلاسم : دراسات في بنية الفن ،ط، دار الرائد العلمية ، عمان، ٢٠٠٤، ص٣٤٢.

٥٧- الغذامي ، عبد الله : الخطيئة والتفكير من البنيوية الى التشريحية ،ط١، النادي الادبي الثقافي، جدة، ١٩٨٥، ص٨.

٥٨- محمد جسام، بلاسم :التحليل السيميائي لفن الرسم ،مصدر سابق ،ص١٨.

٥٩- عبد الواحد، فاضل وآخر : عادات وتقاليد الشعوب القديمة ، مؤسسة دار الكتاب للطباعة ، جامعة الموصل، ١٩٧٩، ص١٠٩.

٦٠- هولب ، روبرت : نظرية التلقي ،ت: عز الدين اسماعيل ،ط١.١٩٩٤، ص٧٦.

نزوح الفن الى تقديم صفة التجريد مقابل انحسار الشكل الواقعي فاحتل الرمز مكانة بارزة في حدود الادراك البصري.

السياق الدلالي

تعتزم البنية الشكلية والمضامينية وتتبنى الفكرة المفاهيمية التي يبثها الفخار النحتي - في حدود البحث - كخطاب فكري للتعبير عن معطيات البيئة وضغوطها التي تمارسها على الانسان حيث بلورت تلك المفاهيم في المعتقد الديني بدلالات التشكيل، فضلاً عن الدوافع المخلقة والمصاحبة من الميثولوجيا والسوسيولوجيا، المنطلقة من حاضنها الاشمل السياق، فالسياق سياق اللغة واساليب الكلام وديناميك التعامل اللغوي، ويقصد به" الوضعية الملموسة التي توضع وتنطق من خلال المقاصد، تخص الزمان والمكان وهوية المتكلمين وكل مانحن في حاجة اليه من أجل فهم وتقويم ما يقال"[٦١]. وبذلك يحدد مبدأ الوعي والفعل على اساس القصدية، بعد فرضه بشيء ما، وافضل سبلها "تعني التخيل او التصور "[٦٢].والسياق يعمل بعد تمثل المتحرك افتراضاً

بالزمان، فتقاس الاشياء بمعزل عن أي تأثير من بيئة وظروف واحوال في الوعي، والقصد هي بدائل تفترض وجود الفاعل في ايجاد قوالب نصية في تمرير اخبار السياق، فالاشياء مسميات تلعب دوراً بعد تفعيل اللغة بوصفها نظاماً من أنظمة الوعي لاتعرف زمناً غير زمانها، لكنها علاقة المعنى التي تتجه في تسميتها للاشياء ووصفه لها.

والسياق يعتمد في العمل الفني على تجاور(الوحدات) العناصر في الاسلوب والتقنية، اذ يتم ترتيبها ورصفها ف وحدات منتظمة تستند الى معنى يعتمد على الذي سبقه والذي يليه، ومن ثم تتولد معلومات تنتظم او تدخل في وحدة الخطاب الفني[٦٣]. ذلك ان السياق يقوم بوظيفة حامل الرسالة التي تصل الى المتلقي ليفك رموزها زشفراتها ثم يستدرج المعنى، حيث الصورة المفاهيمية للنظام الاجتماعي هي اساس التحليل السوسيولوجي.

فقد ذهب (كامر) في تقسيمه للسياق الى :-

السياق..... عاطفي.....يحدد درجة الانفعال

لغوي..... الموقف.....يبحث في الخارج

ثقافي.... المحيط الثقافي والاجتماعي

وعند تحديد درجة القوة للسياق تحدد بشيء مألوف لحالة ما، بالاشارة الى التعبير الذي قد يحدد الموقف فيما بعد والى مستويات الثقافة لاجتماعية، وبذا يرجح للسياق ان يشكل حركة الفكر وانجازاته"يقوم علة حضور الخطاب وشهادة النص وان تميزها يكمن سابقاً في الخطاب الشفوي

بوصفه حدثاً زمنياً تحكمه قوانين زوال الخطاب بوصفه حدثاً يخترق الزمن "[٦٤].انه كل ما يقال ويرسم"فيمكن ان تمر الاشارات كاخبار لتمرير كل الاخبار السياقية الضرورية للفهم الجيد"[٦٥].

فقد اعتبره(ياكوبسن) :هو الطاقة المرجعية التي تمثل خلفية الرسالة وتمكن المتلقي من تفسيرها، فالرسالة تقضي اتصالاً بين المتكلم والمخاطب، قد تكون شفوية او بصرية او الكترونية، ذلك يحررها الى صياغة

٦١- أرمنكو، فرانسوا: المقاربة التداولية ،ت: سعيد علوش، مركز الانماء القومي، الدار البيضاء، ١٩٨٦، ص٩.

٦٢- راي ، وليم : المعنى الادبي من الظاهراتية الى التفكيكية ،ت: يوئيل يوسف، دار المأمون للترجمة، بغداد، ١٩٨٧، ص١٧.

٦٣- البصري، ايلاف سعد: وظيفة الابلاغ في الرسوم الجدارية العراقية والمصرية القديمة ،ط١، بغداد، ٢٠٠٨، ص٣٧.

٦٤- عياش ، منذر: الكتابة الثانية وفاتحة المتعة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ١٩٩٨، ص٦٢.

٦٥- ارمنكو، فرانسوا: المقاربة التداولية ،مصدر سابق ،ص٦٢.

بشكل شفرة ما كلام او ارقام او رسوم او كتابة او اشكال صوتية، وتعنى في اشارة الى سياقها الذي يفهمه كل من المتكلم والمخاطب، الباث والمتلقي، في ضوء رسالة تعني شيئاً.[٦٦].

والسياق الدلالي يعمل على الشكل من ناحية وعلى المضمون في اخرى، واذا ماكان بمفهومه المسبق يتكون من عناصر تخضع الى قوانين يتم تركيبها وتوزيعها داخل النص مثل قوانين تركيب الكلمات في جمل هو " كل مجموعة من الرموز المختلفة في الوظائف...تقوم بين اطرافها علاقة من التكيف المتبادل"[٦٧].وان مجموعة العلاقات تحكم وحدات تضامنها، ولاجل الوصول الى المعنى يتطلب فض للوحدات السياقية لتؤدي فك تشفيرها.

وعبر هذا المعطى قدم البيئة على اساس خطاباتها البيئية تجاه موجوداتها، مما أفضى الى تحقيق نوع من الاتصال جعل من الآنية الفخارية فترة محددة لمواسم الحصاد، ونقل الظواهر التي تعطي الأثر في سليط الضوء على خصوصية الفكر لتجعل من البيئة ومعطياتها سياقاً في " ان متطلبات حياة الجماعات القروية والتي دخلت مرحلة جديدة من انتاج القوت، كان السبب وراء اختراع الفخار لاول مرة"[٦٨].اذ كانت اوعية من الطين المجفف بالشمس والمطلية بالجبس من الداخل، في تحديدها للوظيفة في تقرير الحجم والشكل وفي نقلها للاحاسيس حيث الدور المتواصل يعني ايصال المعنى الذي لايخلو من تأكيد الشفرة" ايجاد نظام للايصال ليتضمن قدراً من المعاني الجمالية للرموز المستعملة "[٦٩].

ومن اللافت للنظر ان اغلب تلك الجماليات تعبر عن المعتقدات المتبناة من قبل الانسان ليكسبها تنظيماً يتحكم في بنائية اساليب التشكيل، وبدوره اسلوب خطاب يعتمد على الادراك العقلي

ويحال الى ضرورة، بعد ان تخضع الى عملية توزيع في العناصر، مجموعة الرموز المختلفة في الوظائف تقوم بين اطرافها علاقة من التكيف المتبادل، وهنا يتأكد انتاج قوى جمالية تتصل بالطبيعة مرة وبطبيعة البشر اخرى. كما في **الشكل (٨)**.

ويشير المخطط الهرمي التالي الى بنية السياق في العراق القديم في ان المتعبدين والشعائر والطقوس، هي التيتؤسس القاعدة لاعلى الهرم في بناء الصورة الجمالية (حدود البحث): (أ)

السياق الدلالي العراقي القديم

بنية الفكـــــر

المعتقد الديني... الدين...فكرة الاله

المتعبد...شعائر وطقوس واعراف... تكوين الصورة

المخطط(ب):

السياق الدلالي في الفخار النحتي

مبالغة...حركات...تفاصيل...تزيين...علامات... الوان...رموز...اشارات

ومما تقدم فإن كل شيء في الحياة والفن التشكيلي محكوم بسياق يؤدي تجاور وحداته الى انتاج معان منها مايبدو واضحاً، والآخر ينضوي بطريقة لاتفصح عن مباشريتها، بعد ان توحي الى معنىما، تتوضح عن طريق العملية الذهنية والادراكية التي ارتكزت الى المخططات الآنفة الذكر لمعرفة السياق الحاكم، ولإنارة الغموض داخل البنية النصية من خلال ابراز وسائلها الدلالية التى يحملها، ومن ثم ينقل لنا الرسالة ذات

٦٦- محمد جسام ،بلاسم: التحليل السيميائي لفن الرسم، مصدر سابق، ص١٧.
٦٧- فضل ، صلاح : نظرية البنائية في النقد الادبي، مصدر سابق ، ص٣٢٥.
٦٨- وليم.م.واخر: الفترة الاشورية ،تنقيبات تل الاربجية، ١٩٣٣، ص٢٢٠.
٦٩- نوبلر ،ناثان :حوار الرؤية، مصدر سابق، ص٧٢.

الدلالات الجمالية التي لاتنفك ان تكشف عن معانيها بفضل الوحدة السيادية والمتنوعة في تبنيها التنوع الفخاري في الآنية والتميثيلات..الخ والتي تعد احد مفاتيح الحضور بين المرسل والمرسل اليه.

اذ لم تقتصر وظيفة الجمال والدلالات الايقونية الا على توصيل الاسس الدينية وبضمنها الاسس الفردانية والذاتية المنضوية تحت ذلك، في توظيف لمظاهر بنائية المضمون، فذهبت في انساق تمثلها فيما بعد الى ورود ماهو حيواني و متراكب، في استعارة شكلانية ركزت على القوة التعبيرية العالية والكامنة كطاقة فيها، فبالرغم من الاختزال والتجريد والتبسيط في النظام الشكلاني، الا انها اعلنت عن ولادتها داخل المعابد، في ان الفن والدين عملا جنباً الى جنب، حتى في الحضارات المتعاقبة على العراق القديم في سومروغيرها.

المبحث الثاني

تطبيقات الدلالات الجمالية في الفخار النحتي العراقي القديم

اشتغالات الجمال والدلالة في المنتج الفخاري

عد الانسان العراقي في عصوره قبل التاريخية القديمة منظماً لمتطلبات مابعده في نقل معطيات الفكروالظاهرة، بعد تجديد أساليبه في التجريب، فكانت بمثابة الوسيط الحيوي والمهم من حوله، اذ ارتبط بمدلولات ودلالات المظاهر الاستهلاكية اكثر من كونه إبداعاً" المشاهد الطبيعية المستمدة من بيئة الفخاري الطبيعية، وللعامل الاقتصادي والاجتماعي دور كبير في رسم معالمها"[٧٠].

وهذا تأكيد على حرفية الخطاب الفخاري باعتباره نوع من انواع الاتصال، اوجدته الاواني الفخارية والتميثيلات الصغيرة في معطاها البيئي الاول في الوظيفة، اذ تعامل سياق الفخار وفق نظام المحسوسات عندما تطورت استخداماته عبر مرور الزمن، لتكون ذات اهتمامات معبرة عن الطقوس والشعائر والممارسات الحية الي افرزتها بيئوية الارض" الدمى❖الانثوية الصغيرة والخفيفة الحمل، لما لها من دور يختلف عن رسوم الكهوف، في احتضانها لمفاهيم الخصب"[٧١].

ففي وحدة الرسالة المتضمنة دائرة الارض، كان المعطى البيئي قوة سارية بتكوين (التماثيل الصغيرة)تبث خطاباً بحركات صادرة عن انفعال جمعي، وكان التعبير فيها واضحاً ويقترن بالصورة الذهنية والمحسوسة، وفق نظام تغير البيئة (فهو ترابط بين جمال التعبير وموضوعه، حيث القيمة الجمالية قدرة تمثل الشكل واللون والخط والمضمون).وعلم الجمال او السمة الجمالية ليس بديلاً عن الفن، وانما يظهر الرسالة المكتوبة بشكلها الرمزي والبصري على انها بنية تشترك في امكانية إخراج الظاهرة الى الواقع.

ولما كان البناء الشكلي وانظمته العلائقية في الاعمال الفنية ذات دور فاعل في ايصال المفهوم الفكري الى الظهور، عبر دراسة بنائية القوانين الداخلية والوظائف التي تحكم ذلك البناء، تمثل في دور تفعيل المفاهيم الثاوية خلف شكلانيتها نحو المعنى، واتباع رؤية واعية ومنظمة لقيد التحليل والتركيب في علاقات الظاهرة الفنية، ويبصر ذلك في المنتج العراقي لما قبل الكتابة من فخاره النحتي البشري، في ايضاح المفاهيم المرتبطة بابلاغه عن الافكار الاجتماعية، بغية

الكشف في المهيمنات المتحكمة لاعمال كضاغط بيئي او مرجعية زمنية او تاريخية او الانعكاسات الفكرية الاجتماعية، والوقوف على حدود الشكل الفني وعناصره وانظمته.

٧٠- ملوان.م.واخر: الفترة الاشورية، حفريات تل الاربجية ،العراق، ١٩٣٣، ص٢٢٠.

❖ الدمى الانثوية: يرد خطأ تسميتها بالدمى، فهي تميثيلات صغيرة.للمزيدانظر: جمالية الاعمال الفخارية النحتية في حضارتي العراق ومصر القديمتين، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الفنون الجميلة، جامعة بابل، ٢٠٠٧، ص١٥٨.

٧١- السواح ، فراس: دين الانسان ،مصدر سابق، ص١٥٧.

فالعمل النحتي فيه رسالة تتبنى العديد من الشفرات والرموز تحدد وتنفتح من خلال السياق الذي يحكم الرسالة بنظام ويرتب وحداته المختلفة والمستندة الى التركيب والتوزيع "كونها تفصح عن دلالات وقدرة المتلقي في فك رموزها"[٧٢].حيث الشفرة تتحكم في انتاج الرسالة وتلقيها ثم العمل الفني، اذ ان العمل الفني قبل ان يكون، فهو صورة وتعبير وشكل ورمز، تتوجه الى العقل وتوحي بالمعاني من خلال التعبير، وهنا تكتسب وظيفة ابلاغية ترتكز عل التأثر في لجهة المتجهة اليها.

فالبنية الجمالية تفصح عن حقيقتها باعتبارها جمالاً يهدف الى ايصال رسالته على مستوى الشكل الظاهري وعلى مستوى البطن المشفر، فلابد لها ان تتبنى نسقاً فرعياً يمثل العلامة والاشارة والايحاء، فالتشفير يكون غير كاف عند الفنان "انما ينبغي ان يجد له وظيفة في بنائية التشكيل"[٧٣].

وان الجمال يعرف وفق مسارالحدث الذي يظهر فيه، ويفسر لما يؤديه، اذ يكون وحدة موضوعية دلالية تقتصر على الفعل لا الشخصية، ولعل (بروب) ممثل الشكلانيين الروس تعامل مع الاشكال السردية من خلال نموذج التحليل الشكلي والوظائفي " تحقيقاً يعتمد ابعاد الشخصيات ومسوغاتها، واقتصر على الافعال التي تبقى ثابتة مهما تغيرت الشخصيات وهذه الافعال تتفاوت بالاهمية والحضور وقد لاتكون مجتمعة"[٧٤]. هكذا يصبح المظهر الدلالي والجمالي للمنحوتات الفخارية لغة ترتبط بظاهرة اعلامية ملموسة، وتشتمل على مظهري الدال والاستتك، حيث الاهتمام بالجمال يضفي ميادين اعلامية عامة وخاصة في التلقي الجمالي ليشتمل الرسائل الدقيقة التي لاتقتصر أهميتها على المعلومات التي تقدمها، ولكن الى جوارها تستخدم مجموعة من التأثيرات الفنية الاخرى.

فالمظهر الدلالي يعتبر الرسالة نتيجة لمجموعة من العناصر المتجمعة طبقاً لبعض احتمالات الظهور المستخلصة من توزيع الرموز العامة وقوانينها التي تصلح لأن يتعرف عليها أفراد جماعة انسانية تحددها اللغة او الاصلاح.**كما في الشكل(٩).**

اما المظهر الجمالي فهو يعتمد على التنوع الذي تقوم به(الرسالة ـ الجمالية) في استخدام الرموز[٧٥].لذا فأن فعل الطبقة الذي طغى عليه فعاليات الحمل والولادة والنمو والموت، ماهي الا عمليات تجري ضمن المألوف لتحدث ايقاعاً فكرياً في بيئته الحضارية بالشكل الذي يجعل من الفخار النحتي سياقاً دلاليا.

فيرى (ارسطو) :ان الترتيب ين الاجزاء يكون له قول الفصل في تقرير جمالية الشكل، فهو الذي يجعل من الظاهرة الفنية على قدر من التماسك، فيما تكون صناعته هو اضفاء شكل جديد غير طبيعي على مادة موجودة مسبقاً بشكلها الطبيعي الخاص بها والذي تعرف به[٧٦].كما في **الشكل (١٠).**

ولعل البنية السطحية الجمالية توحي بالشكل، الا "ان البنية العميقة تمتاز بمحدوديتها"[٧٧].فهي تستقطب حالات البنية السطحية وتكون مسؤولة عن ارسال المعنى الذي يوضح معطيات الشكل، وانها تعمل بمستوى الغياب، وهي ملتزمة بالغموض والتي يكمن الايهام في بنيتها السطحية.

حيث الاشكال في العراق القديم محكومة بمحيط الفنان/ الانسان وبيئته، ويتجلى ذلك في اغلب اعمال فترات (جرمو ـ حسونة ـ سامراء ـ حلف ـ العبيد)(٦٧٥٠ق.م ـ٣٥٠٠ق.م)فقد عمد الفخاري الى تحويل الاشكال المرئية الى علامات ورموز مجردة، يرمز من خلالها الى طقس ديني مثلاً، حتى اصبحت بمرور

٧٢- سعد البصري ، ايلاف : وظيفة الابلاغ في الرسوم الجدارية العراقية والمصرية القديمة، مصدر سابق، ص١٨.

٧٣- العذاري، انغام سعدون طه: بنية التعبير في المنحوتات الفخارية والخزفية في العراق القديم، اطروحة دكتوراه، كلية الفنون الجميلة، جامعة بغداد، ٢٠٠٤، ص٢٥٤.

٧٤- بروب، فلاديمير: مورفولوجيا الحكاية الخرافية ، ط١، ت: ابوبكر احمد، النادي الادبي السعودي، ١٩٨٩، ص٢٧.

٧٥- فضل ، صلاح: نظرية البنائية في النقد الادبي، مصدر سابق، ص٣٩٣.

٧٦- ستولنتز، جيروم: النقد الفني، مصدر سابق، ص١٧.

٧٧- الطعان ، صبحي: مصدر سابق، ص٤٣٦.

الوقت تأخذ طابعاً جمالياً بالاضافة الى طابعها الديني.[٧٨] **.الشكل (١١).**العينة ١٨.٢٣ ، مجوفة لاداء غرض طقسي.

وهكذا تجلت الاشكال النحتية لمعان ودلالات غنية بتعبيراتها من خلال الاهتمام بالشكل ، فغدت الآنية والنماذج الفخارية بهيئة علامات ذات بنائية هندسية كالمربعات والمستطيلات والمثلثات والمعينات والدوائر والنجوم وجلها"علامات قصد بها الفنان الرمز ليكون القوة الدائمة "[٧٩].حيث النفوذ الى الجوهريات عن طريق الحركة والحياة والتي شبهت بعلاما ت ورموز ، لتصبح خلاصة أفكار ترتبط بالمفاهيم الرياضية واضفاء المثالية بوصفها مصادر جمالية ، وهو الفهم الروحي والاجتماعي في حركة المفاهيم الفكرية ، وبمثابة تكثيف للافكار بخطاب التشكيل الذي يعتبر قوى مثقلة بمضامين عقلية تؤدي فعلها الميثولوجي. كما في **الشكل(١٢).**

كما وتعد الخامة غلاف العمل الفني التي تقرر كيفيات الاخراج من حيث الشكل والفضاء ومعالجة الملمس وكذلك تقرر الخصائص المشتركة بين الخطاب الجمالي والدلالي لدى المتلقي والذات ، فهي ذات منظومة تتقارب في اشتغالاتها ذات الاصل الاستبطاني التأملي والحدسي ان جاز التعبير ، بما يمنحها فرادة واصالة ابداعية بحيث تشكل مرجعيات اساسية في الخطاب البصري[٨٠]. اي انها تنسج واقعية الحدث الممتزجة بواقعية التخيل المرتكز الى الحس الديني بمحمولاته الخرافية والاسطورية. **الشكل (١٣).**

يستقرىء الباحث ان خامة الطين واحدة من اكثر وأثرى الخامات التي استخدمت في التعبير والابلاغ عن الجمال ، لما اظهره الفنان من نقل للواقع بكل طاقاته وفي الحرص على صياغة الشكلانية المصحوبة بشكلانية المضمون ، بالايحاء بالحيوية التي تظهر الاجساد الانثوية والذكرية بحالة ناطقة.وبذلك ساعدت الخامة الباث الجمالي على انجاز العمل الفني بخصوصية جمالية مفعمة بالدلالة الرمزية وفق وسائل الحرق والتلوين(اثبت علمياً ان صلابة القطع الفخارية تتزايد بشكل كبير اذا وصل التفاعل في تركيبها الفخاري مرحلة تأسيس بلورات الملايت مع السليكا الحرة بفعل الحرارة العالية وتبدأ بلورات الطين بالتفكك والتحلل وذلك يؤسس تداخلا للالومينا والسليكا انصهارياً لتكوين بلورات أبرية لشكل من نوع الملايت)[٨١].

كما ووظف الحجم للابلاغ في الجمال ، بكونه احد الانساق الشكلية للمضمون ولعل (الهرم والزقورة) منظومتي اتصال بين الارض والسماء على الرغم من اختلاف البنية الفكرية لكلا الشكلين المقدسين المتجهين نحو السماء ، فهو رمز للترابط والعلاقة بين الشكل ونظام وظيفته ، الذي يتجاوز مبررات الخطاب الى ابعد من زمانيته بحيث يتخذ من مقوماته صلاحية لكل الازمان ، وهذا سر دلالات الجمال في الحجم والمعنى ، يقوم على العملية التواصلية في خلق التوازن بين كل من بنية الرسالة المتلقاة وبنية الرسالة الجمالية.

اذ ان جميع عناصر الانموذج ـ في حدود البحث ـ تمتلك قيمة تواصلية في ايصال الرسالة للمتلقي وتتمثل في السطوح والكتل والحجوم والخطوط والالوان ، وانها تجد ذاتها في وظيفتها الجمالية ، في انها التواصلية التي تبدو في الفنون والادب والرسم والنحت ولاتظهر في بعضها الآخر[٨٢].

وان تفسير حالة الوظيفة الجمالية ماهو الا تفسير لحالة الخطاب بعد الرجوع والبحث في الواقع ، لان السياق كيان تمثل بالمفهوم الفني بالتعبير عن العلاقة مع الواقع فكان استمراراً لحقيقة

٧٨- الكناني ، محمد : التحوير والاختزال المفهوم والمعنى في الفن التشكيلي ، دار الجماهير للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٢ ، ص٩.
٧٩- بارو ، اندريه : سومر فنونها وحضارتها ، ت : عيسى سلمان ، مطبعة الاديب ، ، بغداد ، ١٩٧٥ ، ص٩٢.
٨٠- وادي ، علي شناوة : السطح التصويري بين التخيل والمنطق والتأويل ، مطبعة الصادق ، الحلة ، ٢٠٠٧ ، ص١٣.
٨١- البدري ، علي حيدر : التقنيات العلمية لفن الخزف ، ط١ ، بغداد ، ٢٠٠٠ ، ص١٣.
٨٢- مبارك ، حنون : دروس في السيميائيات ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، ١٩٨٧ ، ص٨.

ألم الانسان او توقعه، او سخطه، بالمقدرة على التأثير وفق الرموز الدلالية المقنعة في غاياتها الطقوسية المرمزة برموز روحية بوصفها قوى فاعلة في افكار الخصب. **كما في الشكل (١٤).**

ولم يقتصر التفكير الانساني على الانية كنوع من انواع الفخار، وانما لتمثيل جوانب في السياق عبر فعاليات الطقوس ذات الاثار الهامة في النشوء الدلالي(مجموعة من التماثيل البشرية الانثوية كسلسلة تاريخية طويلة تمتد لتشمل تماثيل الالهة الام، ظهرت في بلاد الرافدين باعداد كبيرة وبتاريخ مقارب)[٨٣].متمثلة برموز مادية وروحية وبفهم جمالي ليلعب دوراً علمياً فيالحياة عبر ملامح الفكر السائدة مع الفن في خطه الاتصالي الوظيفي.

ان مايطالعنا بهذه الفترات، ان المنتج من الالواح المجسمة ذات حجوم كمية، كانت ذات اثر في المعنى المتداول بكونه كياناً عضوياً يحدده انسجام نوعي، مرده الى الاسلوبية في أصل نشأتها، وبالتالي فأن كل موجود هو نص كما ان كل صورة علامة، وكل نص هو موجود يعالج معالجة الموجودا الاخرى."وان الموجود النصاني جملة علائقية إحالية مكتفية بذاتها، حتى لتكاد تكون مغلقة، ومعنى كونها علائقية انها مجموعة حدود لاقوام لكل منها بذاته، وهي مكتفية بذاتها"[٨٤].فالروابط التي تقيمها مع غيرها ؤلف جملة أخرى وهكذا بلا نهاية.

وقد كانت دلالات الجمال هي التي اطلقته ليظل الفن نتاجاً سياقياً واداتها التعبير، .باعتبار ان المعنى منحه الانطباع الحسي والذهني في الواقع واضافة الطقوس تيار محسوس من العوامل السيكولوجية، اذ يتواجد في عالم الواقع الغيبي الى الداخل ويغلفه بحركات طقوسية اخرى تمتزج مع ذهنية الانسان، فالطقوس السحرية علاماتية بين الساحر والمسحور، تشكل بينية الاداء بين المرسل والمرسل اليه، من حيث المبدأ والاعلاقة الدلالية قامت على الربط بينهما(الفكر والاداء) تحت اشراف الزمان والمكان، وانه التعاطف لسد ثغرات التركيب الحضاري في تكون حدث مستقبلي لا آني، يعطي الداينمية والقوة "القدرة على التحكم في الكائن بالحصول على جزء منه، بل ان الدم هو جوهر الحياة الحقيقي"[٨٥].

كان التعبير أحد الاجزاء المهمة في اداء وفعل الجمال، بل وعمليته التواصلية، المستندة الى التصورات الدينية والممتزجة بمفهوم سحري يستعين بها فقد يمثل(جسداً انثوياً مما يراه في عالم الطبيعة فهو يستدعي مفردات انثوية، يستعين بها من اجل مفاهيمية التعبير ويتجاوز الجسد

الانثوي الى ما وراءه)[٨٦].فهي معادلة في التمثيل والانعكاس داخل العمل التشكيلي بانواعه عبر سياقه الزماني والمكاني والهادف الى بيان المعنى، الذي افضى بهذه الخصوصية، وامتلك الروحية المحددة، لما تثيره الانطباعات والافكار في كل المجتمع.كما في الالهة عشتار الهة الحب والحرب.**كما في الشكل(١٥).**

ان الفن كما يراه(ارنست كاسيير): هو كشف عن الواقع والتعبير، فهو يعرض ان الفن يكشف عن عالم جديد للصور المعقولة بعد ان تجلى بتحويل مستمر واقامتها من جديد، عن طريق القوى

الحيوية اللامعقولة"[٨٧].وهذا مايمكن ملاحظته في نماذج البحث من حيث المبالغة وتحوير اجزاء من الجسم واختزالها احيانا في منطقة الرأس المبالغة في اجزاء الجسم البشري واختزال اخرى...وجعل بعضها بهيئة بشرية، معضمها ذات عقائد دينية.

٨٣- فرانكفورت واخرون : ماقبل الفلسفة ، ت: جبرا ابراهيم جبرا، منشورا مكتبة الحياة، ١٩٦٠، ص٢٧.
٨٤- المسدي ، عبد السلام : الاسلوبية والاسلوب، ط٣، الدار البيضاء ب ت ، ص١١٣-١١٤.
٨٥- فشر ، آرنست: الاشتراكية والفن ، ت: اسعد حليم، القاهرة، ١٩٧١، ص٣١٠.
٨٦- السواح ، فراس: دين الانسان ، مصدر سابق، ص١٥٣.
٨٧- ابراهيم ، وفاء: دراسات في الجمال والفن ، دار غريب للطباعة، مصر، ٢٠٠٠، ص١٧٩.

ولعل تماثيل العبادة ومنهم المتعبدين تحمل الشكلية وفيها حالات من الاستغراق والتأمل والخشوع كمطيات جمالية تفصح بالطقوسية، فهي صيغ بنائية لنوع من الاتصال بين الافراد، والتي ترتقي ببنية الانسان لنوع من الرأي والشعور الكامن في حضور الدالول الظاهرالجمالي. **الشكل(١٦).**

لقد تعالقت الدلالية في بنية نماذج التشكيل العراقي القديم في طبيعة بلاغية علاماتية، داخل التكوين العام، ويتم ذلك ابتداءاً من الوحدة الصغرى في التكوين حتى آخر علامة دلالية تتخذ بتشفير معين، وفقاً لمدلولها الرمزي البصري، حتى مدلولها التام الكامل، بوصفه عملاً فنياً تحكمه العلامة لرموزه وأجزائه، وهو بمثابة شفرة لنظامها العام ضمن حدود الدلالة لاجزائها وكلها المتكامل.الا ان التباين الحضاري له الاثر البلغ عبر مساراته التاريخية في خلق مشكلة للتباين شديدة الارتباط بين الفنون والنظم المؤثرة فيها، والذي ادى الى تغيير هيئات الاعمال وحملها للرموز والدلالات استنادا الى قوة تأثرها باصطراع الافكار والفلسفات التي تقوم عليها هذه النظم(لهذا نجد ان الاعمال الفنية تتأرجح مابين الدلالات والرموز، وتعد الاثار شاهدا مهما على النشاط الحضاري ومصدرا اساسياً لدراسة الطرز الفنية القديمة وتطورها من عصر الى آخر لمعرفة الدوافع الابداعية ومختلف الموضوعات التي عني بها الفنانون، مثل الموضوعات الدينية او التي تتصل بمظاهر الحياة اليومية)[٨٨].

لذا تميزت اغلب الظواهر والدلالات كأستعمال الماء الفوار، والذي يصب من الآنية، رموزاً دينية مثلت الخصب وسبقت زمانها وعرفت عن هويات الاوليين. **الشكل(١٧).**

لقد أثرت المعتقدات السحرية والطقوس الاجتماعية بشكل واضح على الفكر القديم من خلال الرموز والاشكال كالمنحوتات والاختام والرسوم الجدارية كظاهرة سكب الماء المقدس والسوائل والمياه الفوارة في المناسك والطقوس الدينية (لم يكن البخور لوحده هو الوسيلة الوحيدة للتطهير وطرد الارواح، بل كان سكب السوائل ـ الماء والزيت ـ هو السبيل، ويتم بشكل خاص عند الزواج، حيث يسكب على رأس العروس، وربما كان يصاحب نوع من الاغتسال، كما كان سكب الزيت يصاحب تنصيب او تتويج الملك)[٨٩].

ان الفكر العراقي القديم ينتج اشكاله (رموز) البيئة المحيطة به، ويحولها الى منظومة اشكال مصورة في بنية اعماله الفنية، وبذلك تتحول الظواهر الى رموز ومفاهيم، ماهي الا تكثيف للافكار بخطاب التشكيل، كالاشكال الطبيعية المنظورة، تتم الاستعاضة عنها بصلة روحية غير مرئية، بعد ان تتحول الى رموز صورية في بنية النصوص(الباث او المرسل غالباً مايكون خاضعاً لضغوط المحركات البيئية والطبيعية وسطوة الحاكم والملك السياسية)[٩٠]، وهي السياق العام للتجربة الفنية لاجل بلوغ المشفر منها. اذ يعمل المرسل على استدعاء مفردات متعارف عليها كالحيوانات مثلا، ثم صياغتها من مجرد اشكال طبيعية الى مرمزة ودالة في خطاب روحي وتعبيري متداول (جسم من الفخار على شكل جرة كروية الشكل ذات رقبة طويلة تتميز في انتظام شكلها تزاوج مابين الرسم والنحت، استغلت كتلية الجرة لتنفيذ جسم المرأة) يمتد الشكل الى فكرة الخصب والتكاثر والتجدد والنماء، وفي استغلال فكرة التوالد للمرأة الولادة باعتبارها رمزاً في عوالم العراق القديم. كما في **الشكل(١٨).**

ولعل(رولان بارت) قد ساق حدي العلامة الجمالية (الشكل)و(المفهوم)، وسمى حدي العلامة اللسانية بالدال والمدلول، فقد رأى ان بامكان الدال ان يحتوي على اكثر من دال واحد، وهذا حال المفهوم

٨٨- الدباغ، تقي: مقدمة في علم الآثار، منشورات الجاحظ، بغداد، ١٩٨١، ص٧١.
٨٩- الماجدي، خزعل: متون سومر، الاهلية للنشر والتوزيع، ط١، الاردن/عمان، ١٩٩٨، ص٣١٦.
٩٠- سعد البصري، ايلاف: مصدر سابق، ص٨١.

الجمالي، حينما عالج الاسطورة من خلال بنية ثلاثية النظام "الدال والمدلول ونتاج اجتماعهما (العلامة) اذ تتحول العلامة الى دوال لها دلالتها ضمن مرحلة ارفع"[٩١].والدال يمثل جسم العلامة وهو المحسوس المادي المرتبط علائقياً، بالمفهوم المعنوي للاشتغال، ومن علاقات الدال والمدلول تقوم علية الاشارة.ذلك ان علم الدلالة البنائي يمثل الوحدة الدلالية جزء من بنائية التشكيل او النص، حيث حيوان الثورتمثل في سردية حملت معناها في(الخصب، الالوهية، الحيوان ذاته).**كما في الشكل(١٩).**

وكما العلامة تحولية في معناها فهي تأويلية (ان البنية المضمنة في البنية العميقة والواردة دلالياً هي المتعلقة بالعلاقات المحورية، وتعرف كل العلاقات المحورية انطلاقاً من السطح، ومن ثم ان البنية السطحية الجمالية وحدها هي الواردة بالنسبة للتأويل الدلالي) [٩٢].عليه تتجه الدلالة نحو التضايف بين الدال والمدلول.

ولايمكن اهمال الجوانب المؤثرة والمهيمنة في نشوء الشفرة او عملية التشفير، فقد وجد الباحث ضرورة التطرق اليها واغناء بحثه في تسليط الضوء على اهم الابعاد في ذلك:

ففي البعد الاجتماعي نجد ان الابداع الفني المتمرحل في تتابعية الزمن العراقي القديم، لم يكن سوى عجلة تدور لتتخطى زمنها، من حيث تكميم الموضوع والايحاء اليه بشتى صنوف التعبير، فجاءت (ادراك الابعاد البيئية والفكرية هي اساس في تكوين الثقافة العامة للعصر او الحقبة الزمنية التي وجد فيها العمل الفني حيث عبر عن ثقافة ذلك العصر)[٩٣].

وعند تتبع التطور التاريخي للمجتمعات العراقية، نجدها لاتخلو من النشاطات الفكرية على مستوى المجتمح الاقتصادي (هذ التطور ساهم في قيام اقتصاد اصبح الصيد فيه مسألة ثانوية بالمقارنة مع الرعي والزراعة اللتان أضحتا قاعدتين راسختين لاقدم الحضارات في العالم القديم)[٩٤]، وهنا صنع ادواته المنزلية والحاجوية من الخامات المجاورة له من حجارة وعظام وقرون واصداف، فتنوعت الصناعات من المنحوتات والاختام والتماثيل والحلي والاسلحة والادوات الزراعية وغيرها.

ان الانسان صنع معبوداته التي كانت تجسد القوى والمظاهر المؤثرة في خصوبة الارض والحيوان وذاته ايضا، فجسدها على هيئة آلهة تمثل الارض والخصب والقوى المؤثرة في الطبيعة والتي وجدت في القرى الاولى ـ جرمو /حسونة /تل الصوان ـ وهكذا فسرة الدمى الطينية المكتشفة في المواقع القديمة، والتي تمثل إمرأة حبلى عارية بانوثتها، على انها تجسد فكرة الخصوبة والتكاثر وتعبر عن افكار سحرية خاصة بالخصوبة[٩٥].ويرجع سبب تقديس الخصوبة الى انها كانت العامل الاهم والاساسي الذي يتحكم في حياته، لذا كثرة الانتاج لاتتوفر الا من خلال الخصوبة بعد نزول الامطار او وجود الماء. وبعد حلول الالف السادس قبل الميلاد، وفي المناطق الجنوبية من العراق، دفع تذبذب الامطار بالانسان، الى ان يتجه بعبادته الى قدسية العوامل الطبيعية والنظر الى الماء على انه اساس الحياة مع تقليل الاهتمام بالخصوبة، لأن الخصوبة بدت لاقيمة لها بدون مطر ذي كمية كافية لنمو الزرع.

وعليه ان غالبية الاعمال الفنية المرتبطة بهذه الاشكال المنتجة حملت في خصوصتها دلالتان، اولها الطبيعة الشيئية للعمل، وثانيها الرمز الذهني، وان الدال الجمالي للمرأة حسب مارآه المجتمع الزراعي تكمن

٩١- الرويلي، ميجان: دليل الناقد الادبي، المركز الثقافي العربي، ط٢، بيروت، ٢٠٠٠، ص١١٣.
٩٢- الفهري، عبد القادر الفاسي : اللسانيات واللغة العربية ،ج١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٢/٤٥.
٩٣- هوينغ، رينيه: الفن سبيبله وتأويله، مصدر سابق، ص٤٥.
٩٤- الدباغ، تقي: الثورة الزراعية والقرون الاولى ،ج١، نخبة من الباحثين، دا الحرية للطباعة والنشر، بغداد، ١٩٨٥، ص١٢٠.
٩٥- سليمان، عامر :العراق في التاريخ القديم ـ موجز التاريخ الحضاري ، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، ١٩٧٣، ص١١٤.

في فكرة الخصب، اذ صرف الشكل عن الواقع لغاية ابراز الايمان الرمزي بها، فعني ببدانتها، لما تعنيه انثى للجنس، فعمد الى تجسيدها بتمثيلات انثوية مفعمة بمغزى ولوائح تعنى بجماليتها..

المؤشرات في الاطار النظري

١. إعتمد البنية البصرية في تأسيس الجمالية على عكس الواقع بصفة التعبيروالتجريد، كالتفاصيل الفنية وواقعيتها، و ايجاد إبلاغها وايصالها.
٢. امتلكت الاشكال والاعمال الفنية قيمة جمالية جراء ماعرف بالبنية الدلالية الاشارية.
٣. ان وحدة التناسق والتناغم في تفصيل الجسد البشري كبناء وحدة النص تعود الى السياق في الخامة.
٤. الجمال تمثيل ذهني عده فنان العراق القديم لرسم اشكاله الوظيفية.
٥. لقد رافق التحول في الاشارة والعلامة الحركية الفترات التاريخية مما شكل انتقالاً متتالياً في(جرمو /حسونه/سامراء/حلف/ العبيد/ ومابعدها من عصور).
٦. للوعي الحضاري وتحوله الظاهري افراز للعديد من الرسائل الجمالية الاساسية والفرعية المبالغ فيها.
٧. للجميل شكلانية ومضمونية اجتثت من الوعي الاجتماعي، مؤسسة عملاً اجتماعياً تعبيرياً في الحجم.
٨. تمثل التدليل كوسيلة اتصال، الاشارات، الايماءات، والرموز وسائل يمكن ان تؤلف اتصالية وفق لغتها، و وحدات مؤتلفة ومحركة للعمل الفني في التكرار الخطي او النقطي.
٩. ٩.الايحاء والرمز والخطوط والالوان والحركات توحي الى مكملاتها خارج التشكيل الفني في عملية متحدة بالجمال كوسيلة ابلاغية.
١٠. ارتبط مفهوم الجمال بالمفردات كتعبير وتداخل بالحدث الرمزي شكلاً وفعلاً، فالرمز والاشارة والعلامة قادرة لتمثيله.
١١. المحافظة على خبرات الوعي الثقافي جراء العقيدة والافكار.
١٢. بنية التعبير والتشبيه لجوء الى عدد من الجماليات.
١٣. استثارة الحواس والقدرة العقلية آليات ورود المعطى الجمالي.
١٤. امتازت العلامة بالثنائية (الدال والمدلول) منذ عصور ماقبل التاريخ.
١٥. حاول الانسان ان يحول الاشكال او الاشياء المحسوسة في الواقع المرئي الى صورة ذهنية علامية جمالية.

الفصل الثالث

اجراءات البحث

اولا: الاطار المنهجي للتحليل مجتمع البحث

عينة البحث

اداة البحث

اسلوب البحث

تحليل العينة

ثانياً: محور الدراسة التحليلية/نماذج الفخار النحتي العراقي القديم(٦٧٥٠ق.م/٣٥٠٠ق.م)

أ.مجتمع البحث

اعتمد مجتمع البحث على القاعدة التأسيسية لاحتضان عينة البحث، ويمكن ان تؤلف مجتمعاً متكامل التفاصيل، والمجتمع شمل منجزات الفخار النحتي البشري من العراق القديم، وهي منجزات تشكيلية متنوعة الموضوعات والقيم الشكلية، تم جمعها بفحص وقراءة ودراسة الاشكال المنشورة في تقارير الاكتشافات الاثارية وسجلات ومجلات في مخازن المتحف العراقي، وكتب وتقارير ومصادر التاريخ وتاريخ الفن والدراسات النقدية.

ب.عينة البحث

بغية تحقيق هدف البحث في تعرُف الدلالات الجمالية لنماذج الاعمال من الفخار النحتي، تم اختيار عينة البحث قصدياً للوصول الى نتائج اكثر موضوعية، وقد استدعى ذلك الباحث الى تناول المنهج الوصفي التاريخي اذ قام الباحث باختيار (٢١) عملاً موزعة على اغلب فترات حدود البحث.وفقاً للمبررات التالية:

١. في العينات يمكن استقراء تحوُل في عملية البناء الفني والفكري والتقني الجمالي.
٢. اخذ الباحث بعين الاعتبار اختياره لعينة بحثه آراء بعض من ذوي الخبرة والاختصاص(التاريخ والفنون)
٣. اعتماد مؤشرات الاطار النظري في تحليل العينة.

ج.اداة التحليل

استناداً الى ما جاء من تأسيس معرفي، فأنه يمكن التأكيد على العناصر والسمات الفنية التي تشكل بنية التشفير في الفنون التشكيلية العراقية القديمة(الفخار النحتي -)، والتي ظهرت بها الدراسة في الفصل الثاني، كما إستخدمت كأداة للبحث في الدراسة الوصفية التحليلية(التاريخية) لعينة البحث، والاستعانة ببعض الخبراء من ذوي الخبرة[٩٦] لما تتطلبه آلية الدراسة والتي تركزت بآلالية التالية:

الوظيفة/ الحركة / الحجم / المبالغة/ التركيز/ التكرار/ الابلاغ/ الرمز والاشارة/ العلامة/ التجريد والواقعية / الابلاغ التقني والسردي/ الخط / اللون/ الملمس/ المادة الخام.بوصفها سمات الاعمال الفخارية (في حدود البحث).

محور الدراسة التحليلية

نماذج الفخار النحتي من عصور قبل التاريخ في العراق القديم

اقتصرت الاعمال الفنية في هذه الحقب على النماذج الفخارية النحتية، غير المزججة، حيث لم يكن التزجيج قد عرف بعد كتقنية فنية، تبدأ بالفترة الحضارية بين(٦٧٥٠ق.م -٣٥٠٠ق.م) وسميت بـ جرمو /حسونة /سامراء/حلف/ العبيد، فيظهر من تفحص نسق مجتمع البحث من ناحيته الشكلية الدالة والمضمونية، انها تناوبت بداية الاقصاء الواضح للرأس البشري الانثوي في الاشكال والابقاء على الاثداء واختزال للاطراف بشكل قصدي، فضلاً عن وجود المبالغة كسمة شكلانية تهدف الى ايصال وتواصل ابلاغها التشفيري عبر التضخيم والتضاؤل، وراعى الفنان استخدام لون شي النار بالاحمر والاصفر.

وصف النماذج ودراستها/ التطبيقات

عينة الفخار النحتي العراقي القديم

انموذج (١) امرأة /سامراء النصف الثاني من عصر سامراء

---

٩٦ -ذوي الخبرة:

: الاستاذ الدكتور محمد عبد فيحان/فلسفة مسرح/ كلية الاداب /جامعة أهل البيت

الاستاذ الدكتور خليل جودة عبد دهش /اختصاص فلسفة تاريخ/ معهد اعداد المعلمين/كربلاء

الاستاذ الدكتور محمود عجمي الكلابي/اختصاص نحت/كلية الفنون الجميلة/جامعة بابل/

التسلسل(١٢)في مجتمع البحث من الالف السادس ق.م/ المتحف العراقي

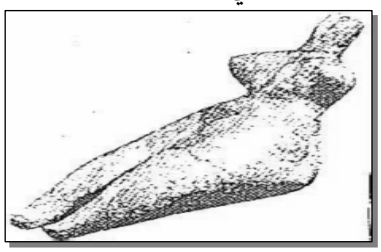

Oates,J. the baked clay,fig-42_1.

الوصف العام

انموذج لامرأة من الفخار النحتي (لوح مجسم) تستلقي على عجزها بامتداه لخط الارض بزاوية رياضية هندسية (٤٥)درجة هندسية، وتخفض ظهرها قليلا، مع تغيب لملامح الوجه، واليدين مختفيتان، في حين تمثل الصدر باثدائه وبشكل بروزمنفرج الزاوية الة خارج الصدر /الجسم. شغل الانموذج من مادة الطين المشوي بالنار حد الاحتراق والنضج ليبلغ درجة من الصلادة.تناوب في لونيته كل من الاحمر والاسود(حسب المصدر) في الظهوربحمم الشوي، وهي علامة للسطح المشكل.يتموضع الانموذج في تباينات الجسد المستند من حالة الاستلقاء غير التام والثابت والمستقر الى العجز والساقين، في استعارة واضحة من واقع الجسد الانثوي.

التحليل

الامرأة تشبيه شكلي ومضموني كعلامة ايقونية جمالية، تستلقي الى الارض.ويمثل خط الارض زاوية هندسية(١٨٠درجة) كامتداد أفقي فيما لو اتخذ مع امتداد الجسد، تركز الحجم المهم في اجزاء تتابعية، اذ انه ينوء بمحمولات متعددة في بنية الشكل (الاستلقاء)، فالجزء السفلي من الجسم ضخم ممتد مبالغ فيه، عديم الاطراف(مختزل)ينفتح حد الاعلان عن جمالية، اما اعلى الجسد تمثل بالضمور واختزال اليدين، والاثداء تنفرج الى الخارج القريب من الصدر كمثرية الشكل بارزة.بغية ادراكه عيانياً، كما وضعت علامة المثلث ناتئة وغائرة

في منطقة الاتصال الجنسي(مركز الجسد) وعلامة اخرى (وشم) على جانب الورك الايسر بشكل دائرة ببنية خطية، بينما نزعت اغلب ملامح الوجه فضلاً عن ضمور في شكلانيته.

الشكل يتعدد فيه الموقف العلاماتي، فالوشم/ علامة رمزية دائرية/ المثلث الاخصابي علامة رمزية، الاثداء علامة رمزية، اليدين شفرة لعلامة مضمونية /جزء رمزية، الورك شفرة علامة مضمونية /اشارية، الرأس المغيب /حجم صغير علامة رمزية، الساقان تطابق/اشاري.

يهيمن شكل الجسد على احتواء الفضاء المجسم من خلال حجمه ولونه في تشاكل بنيتين الدلالية والشكلية، وفي تأكيد للون الاسود+ اللون الاحمر=جسد ممتد.

وضمور اليدين+تضخيم الورك= اقتراب /جمال

لذا تقوم العلاقة في بنائية التشفير بين الجسد والمتلقي:

بعد.. /لون.. /جمال

اقتراب../تضخيم../ تشجيع

ويمكن ملاحظة اتجاه الجسد في استلقائه، انه حضور المرسل ويدعة افكه، وغياب الاتجاه المقابل الاخر هو الفاض المرسل اليه، انه بنية ذات اتجاهين في وحدتين تمثل بفكرة الجدل الشكلي:

جسد المرأة + علامات اشارية (المثلث /الوشم) = ظهور

جسد المرأة + لون احمر(علامة رمزية) = جمال للرجل

لذا تعمل الشفرة في لونيتها الحرة كعلامة علائقية ترمز الى الوجود(الرجل والمرأة).بينما يعمل الجسد كعلامة ايقونية تدل على الخصب والجنس.

ترتكز انظمة التحاور الشكلي وفق ثنائية الدلالات امرأة= حضور.

اما انظمة تحاورالمداليل في البحث عن الرجل= غياب.

ولبناء علاقة الدالول رجل X امرأة =لذة /متعة/انفعال.

مربع الرأس =مثلثين، الصدر(الاثداء)=مخروطين، الجسد= مثلث متساوي الساقين.

ففي **الحركة** ثبوت واستقرار وهناك تباين واضح في ان المرجع لهذه الاشكال ديني طقسي استقراء لما هو تعبدي ايقوني، اما المرأة فانها ذات حجم =كبير، اللون= حار، الحركة ساكنة.

وبذا يكون التنظيم العلامي على مستوى الشكل الجمالي (الشكل والدلالة): المرأة =قوة حاضرة، الجسد = ضعف مغيب.

الخط واللون ان الزاوية التي تم فيها ظهور الجسد(٤٥درجة)اوجد استمراراً لانحناء الجسد، واعلان خط منحني، يلازم الشكل في القدمين المختزلين والعجز والاذرع بالاضافة الى الرأس، فلا وجود للحدة في تمظهر الشكل المؤكد على الحركة والوضوح، إذ انه يضعف الجسد، اذا ماامتلك الخطوط الحادة كقاعدة هندسية تفضي الى أنظمة علائقية، كما عدت استدلالاً شكليا.

تعمل بنائية الشكل على جدلية الحاضر /الغائب في صراعها المتكافىء امرأة Xرجل، بينما لايتمثل التكافؤ حينما يكون الجسد استعراض دعائي بعمل رمزي عام، من هنا وجدت مسلمات الجمال في الجسد الشهوي والجميل بهذا الوضع، وفي الانا والاخر.

وحينما نرصد الانموذج نجده ينطوي على جملة من الشفرات المتعددة، فهي رسالة تتوسط الباعث والمستلم، وبذلك الخطاب الديني يرتكز في معناه الى كخطاب عميق اكثر جرأة وتحدياً لاستمرار النوع البشري.وفي رأي (ارنولد هاوزر) :ان الكهنة والحكام هم اول من استخدم الفنانين في الورش كالمعابد والقصور...وانجاز اعظم قدر ممكن من الانتاج الفني في ذلك العصر.

الباث الرسالةالجمالية المستلم

امرأة جسد/امرة الرجل/الاله/الكاهن

فالمرأة تمثل خطاباً انثوياً شكل نسقاً، يعكس مفاهيمه الاجتماعية بين المرسل والمخاطب ضمن الحياة/الزمن/الديمومة، عليه يغدو التحول وارداً في بنائية الرسالة عبرجمالها، فلا شكل امرأة بلا اشارة مستقبلية، كما انها الآن الحالي الذي يتداعى الى آن ثان هو المستقبل.

المرأة_____ جمال_____ لذة

فالهيمنة للجمال يكون حيث الانوثة في سكون الحركة، انتظار دائم، يعني علامات اشارية ورمزية تخلق نوع من التحدي السيو- فسيولوجي يكيف الانوذج الى مابعد في وضوح للجسد، ولكن في اختفاء المرمز حيث القوة.

انموذج (٢)

التسلسل (٩)في مجتمع البحث

إمرأة / النصف الثاني من عصر سامراء

من الالف السادس ق.م/المتحف العراقي -رقم

Oates,J. the baked clay,fig-39.

الوصف العام

انموذج من الفخار النحتي ثلاثي الابعاد، لنسق انثوي، تكعيبي الصورة، ذو اذرع تلتقي امام الجسد وبالقرب من البطن، والساقان يلتقيان بهيئة الجلوس (القرفصاء). ضمت اليدين الى الجسد، والارجل ايضا، مما شكل وحدتين رئيسيتين شكلتا مثلثين علوي وسفلي، قطعا بصرياً بالتخصير في منطقة البطن. يستقر على الارض بزاوية (١٨٠)درجة.

التحليل

يعد البحث في هكذا نماذج هو البحث في الاصول المعرفية وهو كشف لتداخل الظواهر البصرية، لما اوجده الانموذج من عمليات تحيط صلة الشيء بمتفاعله، فالجمال الموثق على ظاهر الصورة وواقعه المتغير يدل على محتوى الترميز الواقعي للانموذج، لذا تمثله بفن التحرر المشاع في المواصفة الاجتماعية الجمالية منها آنذاك، في ان بنائية الشكل الصوري لايعد ايقنة وحضور، وانما غياب وبناء في الخيال وفي المعنى، وتوظيف المثلية في التوجه للذوق وتغيير لصيغ الادراك وطريقة الاستلام للرسائل الصورية.

لقد تحول الشكل الواقعي من دور جرمو والتجريدي في دور حسونة الى الواقعي التجريدي، في تهجين يدعو الى الرؤية الجمعية التي اوجدت السياق، اذ تعمل على تحطيم بنية الشكل لصالح الشكل وايجاد بنية اخرى، بالرغم من تداخل وأجنسة الفكرة في منظومتها التصويرية أي:

الواقعي/الجسد/الجمالي = التجريدي/الفكرة /قليل الجمال (حذف اجزاء من الجسم)

في ضرورة ايديولوجية تعنى بالتراكيب الوظيفية والابلاغية، حتى تتداخل التعبيرية في الاشكال مابين واقعية الجسد و تجريدية الفكرة.

الا ان الرأس ظل يلتزم خصوصيته في الابتعاد عن التشكيل (الجمالي)وتمثيله ينبثق من التوجه والضغوط الاجتماعية :

الرأس= غياب، الجسد= حضور.

الرأس =اشارة/مغيبة/اشارة جمالية

الجسد= اشارة /حاضرة، فالاقتران بظهور الرأس يقترن بطريقة حلول الجمال، لما احتفظت بوجودها كجزء فعال في العملية الجمالية.

عليه يغدو القانون الجمعي مصاحباً لبنية الصورة في اعلان شكلانية الشكل، والتي قد تعنى الالزام باكمال الشكل كبنية ايقو- صورية. فالتجريد في الصورة(اللوح المجسم)يعني امتلاكه لسمة التكعيبية وتهيأة المحفز لذهنية الابتكار، ولاثبات منطقة اكتمال النظام العملي التحليلي والتركيبي، وصحته كقيمة معرفية بين الحاجة في المضمون والمتحققة في الشكل."ان الابداع التشكيلي على مر التاريخ تركيب واع تسيطر عليه ذهنية الفنان على آلية عملية اعادة تنظيم وتركيب نظم العلاقات في لتشكيل مستندة الى مرجعيات معرفية ترتبط ببنية الفكركماً وكيفاً"[٩٧].

وتأتي ادوار القطع الجسدية في بنية الشكل كفعل زماني، والتوقف بالقطع ينمي قوة السرد في دائرة من التوقفات والحركة والالغاء والتفصيل، ولم يكن القطع اعتباطياً، وانما شكل مع انحناءات الجسم تجانساً يمكن تمييزه، فكانت القطوعات وقفات مدروسة تعطي الشكل علامة اشارية بعدية جديدة تساهم في القراءة التعبيرية وفق شفرتها.

المضمون يستعير البناء التركيبي للشكلنة في صورتها المجسمة(شكل مستويين /مخروط اعلى قاعدته الى الاعلى، ومخروط سفلي قاعدته الى اسفل الانموذج)وبدور المخروط يعني دائرة القاعدة استمرار حيوي

٩٧- زهير صاحب: دراسات في بنية الفن، مصدر سابق، ص٤٤.

ملىء بالطاقة، ومثلث تتم قراءته وفق شفرة المجتمع بالاخصاب والجنس.والمتمثل بمثلث متساوي الساقين للساقين وتدلي الثديين، مع تغيب للمثلث الجنسي.

مثلث=اخصاب+جنس

دائرة= ديومة/الحياة/الجنس/الاخصاب

غياب المثلث الجنسي+حضور مثلث الاثداء= حضور الجسد

تقوم ايقنة الانموذج على نظام التضاد مع الاقتراب من الثنائيات في:

ثنائية المرأة× الرجل=ظهور× تخفي

فالاتجاه علامة، اذ ان الشكل موقف = المعنى /المضمون الثاوي اتجاه اخر ومعاكس.

ومن ناحية الحجم يمكن الاستدلال على مستويين من الحجوم هما تضاد شكلي عكسي في الجزء العلوي ومقابله السفلي.

تعمل الخطوط الحادة في اعلان التجريد كتبسيط بعدي يشغل مهيمناً فكري لآلية الشفرة فهة يحدد نمذجته عبر الاكتاف وتلاقي اليدين ليستمر الى انكفاء القدمين وتضخيم الاصابع ليسجل توازي

ببنية المضمون الي ترافق النمذجة وتقلص حاصل العلامات برمزية صراع المضمون، وتقليص الوحدات الخطية بالتالي.والذي هو بدوره تقليص للون واقتصاد في الدهشة واعلان جمالي.

حيث الباعث المؤثر يقوم بدور بث الرسالة الجمالية في فضاء غير محدود ربما يشكل انتهاءاً لعدد من الرجال وليس رجل واحد، لذا تقوم جمالية الانموذج بالتعددية، وانه المؤثر عليه، في حين ان الرسالة هي التأثير.

المؤثر.....التأثير.....المؤثر عليه

الباث.....الرسالة الجمالية.....المرسل اليه

الانوثة تمثل فعل المعنى الحركي، والحركة الى الداخل لا الى الخارج، استمرار.

ضمورالرأس+تجريد+مرئي الشكل+ترميز اجزاء

يولد التكرار في الزمن جراء تعدد القراءة في المعنى، وينتج تعبيرا من تماثل اللغة الجمالية، فالحركة في استقرار اليدين امام البطن تعني الالتزام بالعرف الاجتماعي والذي يمثل هيمنة اولى في البنائية، أي تمركز ثقلاتي في المسح البصري، يلامس معناه المندرج خلف الحركة، اذ ان تحولات تشكيل اليد بهذه الصفة ديدن سابق ولاحق في الحضارة، وامتداد دلالي عبر بعديه الافقي والعميق، ليشكل بالتالي جمال زماني، تتكرر في انبساط الساق اليمنى وانثناء اليسرى.

اليد = ابلاغ جمالي / قبلي، الدلالة = لامرئية/بعدية

الزمن = اثداءمتدلية + ايدي متشابكة + ارجل منطوية

ومن هنا يتعزز الموقف في ابلاغ الجمال لاعلان خصوصيته في الحركة، الخط، والاجزاء، لتؤكد المضمون، العميق، فهي ليست مضموناً لشكل ما، وانما ائتلاف لعلاقات زمانية مكانية عليه تعنى الجمالية في الحركة والمسافات بين العلامات، مما يفعلها في الانتشار السطحي والعلاماتي ينزاح الى الانتظام.

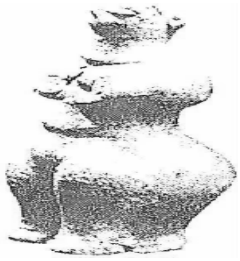

انموذج (٣)

التسلسل (١٨)في مجتمع البحث
إمرأة / حلف اوائل الالف الخامس ق.م
المتحف العراقي -

الوصف العام

في الانموذج العيني من عصر حلف يتمثل التضخيم لاعضاء الورك وضمور الصدر الانثوي لامرأة صنعت من الفخار النحتي (الطين المشوي بالنار) وبشكل يتناسب عكسيا ومبحث نظام الرياضيات، فالشكل تعبير سوسيولوجي جمالي ابلاغي يحتفي بوظائفه في الاماكن المقدسة ويبتعد عن الاحتفاظ به في البيوت والقبور، اذ بنيته تقوم على أساس من الجلوس، تستند الساقين الى الداخل من الجسد، وتتشابك الايدي حول الصدر، في حين برز الرأس بمواجهة امامية تعبيرية لاستقبال القادمين، وفي اغلب الاحيان يظهر اللون الفخاري بفعل النار ودرجة الشوي، اذ مال الانموذج الى اللونين الاسود والاحمر.

التحليل:

ركبت أجزاء الشكل ليعنى بوظيفة الخزن للمواد السائلة منها البشرية، وما علاقة الجزئين العلوي والسفلي، فقد تميز العلوي بالمثلث داخل الدائرة

ولعل المخطط يبين ذلك: والمثلث الاكبر
كان في الجزء السفلي والذي بدوره يحتوي
على دائرتين كبيرتين كوحدتي بناء هندسي.

واذا ماتناولنا الجزء العلوي في حركة الاذرع الملتوية والملتفة الى داخل الصدر نراها تحيط بالاثداء وهو اشعار حسي يبعث برسالته الجمالية عبر التصغير وعلى العكس من الجزء السفلي المبالغ به والذي يمتلك ذات الخاصية الجمالية في التكبير، أي بتفاعل حركة الاثداء بالتحسس الذاتي او مع الاخر بالنسبة لاشراك الرجل، واستشعارها في انشاد عملية الاختلاط الجنسي، وهنا تبرز الاثارة الانثوية في تعقب الذكر، فيرتبط التعبير الجمالي بمحتوى اللذة، ويحصل الاحتفاظ بالسوائل الذكرية في علاقة تبادل، وان السوائل مصدها الجزء الاسفل لكل منهما، وكما الوجود الذكري مرهون بالرجل كذلك الانثوي بالمرأة، وان الشكل الفخاري في الانموذج شكله:

الورك العريض+ الصدر الصغير +المثلث الاخصابي المكتنز

وبالتالي شكل صورة اجتماعية ذات قيمة جسدية تتصف بالاخصاب.

اما الابلاغ في الشكل يؤكد الصورة الجنسية في ذلك العصر، ويحرر الخطاب الجنسي من القيود في ظل المعابد، في حين ان صناعة النسخ الصغيرة تأتي باعدادها صورة عن الكبيرة منها لتشكل سمة جمالية في التكرار، والتضخيم سمة جمالية تنصب في التركيز على بعض الاعضاء دون غيرها.

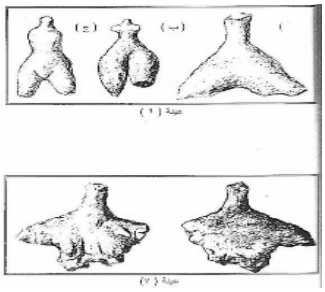

انموذج (٤)

الموضوع/ فخارنحتي/انثوي(امرأة)
الفترة الزمنية/حسونه /الالف ٦/٧ق.م
المصدر
Read.a.jarmo figurines&other clay objects, 1988,f. 158.la

الوصف العام والتحليل

يمثل الانموذج ثلاث مقاطع من الجسد الانثوي البشري (ا/ب/ج) في حين تمثل الانموذج (٢)مقطعا لصدر انثوي بشري عاري من الملابس صنع من مادة الطين المشوي بالنار، ويتقابل بحركاته في حذف الذراعين وتضخيم الساقين واقعي في تصوير اجزاء الجسم، خالي من وضع التفاصيل بوجود اختلاف البنية الشكلية، فأتخذت طريقة التمثيل من وضع الوقوف المنتظم اقترانا بشكل المخاريط الهندسية ذوات القاعدة الى الاسفل والرأس الى الاعلى، فهو يقترب نحو البناء الهندسي والى الواقعية، لتحقيق الشرط الرياضي في علاقات الاجزاء، بحيث ارتبط الجسد بالايحاء الدلالي في جمالية الاستقرار والديمومة والاتجاه الاشاري.

كما تمثلت العلاقات في العمل الفني الفخاري بارتباطها بالتقنية وامتلاكه القيمة التواصلية في الابلاغ الرسالاتي منه الاجتماعي في تركيب مادة الطين في العصور ماقبل التاريخية /حسونة، فقد منحت الخامة تعبيرا اكثر تلقائية وابلغ معنى، والتأكيد على اليات وجود الجميل ولعله كان يقاس بالقدرات في الدال الجسدي.

ولعل اشكال حسونة الفخارية ذات قواعد عريضة ورؤوس مستدقة، وتقتصر على استخدامها هيأة المثلث كتمثل رمزي يوحي بالتصور الاخصابي الباعث للذة والجنس من ناحية والمتصل بالدلالات الاجتماعية من اخرى، والذي لايبتعد عن الرؤية الفكرية والاجتماعية التي تضفي قيمة جمالية من خلال عناصر التكوين والمضافة الى المعنى في (الامرأة الانثى)، فبدت صيغة الاعمال في التوزيع الكتلي وفي معالجة السطوح بعدم اظهار التشريح والاهتمام بالتفاصيل ودقة التعبير الجمالي في التكوين، ومن خلال ليونة الخط في الحركة يبرز الفنان جمال المرأة في مفاتنها ليجد بذلك آليات تطبيق الدلالات الجمالية في فخاره النحتي.

ومن هنا اظهر الفنان بساطة الواقع التمثيلي في الجسد الانثوي في الاهتمام بالخط الخارجي لجسد الامرأة، وتعامله بدقة مع العمل، مما يؤكد قدرته بما كان يفكر به، فعالج موضوعاته ببراعة من خلال الشكل، المثلث او المخروط، فضلا عن ما امتاز به من اعمال طواعية في ليونة تضمن توجيه الانظار صوب الجسد(الذكري والانثوي)وهي استعارات استلهمها من الواقع الحياتي البشري، ،وبالتالي اخضع بنية الشكل الى اقصاء بعض الاجزاء، وبما تستدعيه القصدية في قطع الرأس او الذراعين او الساقين، وفق غايات للاتصال والانقطاع الابلاغي، لكنه لم يبين التشوهات بل هي جزء من الابلاغ الجمالي الذي يتوقف على مطابقة الشكل او عدمه، وبذلك حقق الفعل الشكلي الجمالي بحركة الانفراج في الساقين في الصورة(أ) او الالتحام في (ب).

ولعل الانتقال البصري يهدف الى التركيز على الجزء دون الكل لينتمي بالتالي الى دائرة التعبير الجمالي في الالغاء، ولم يكن ذلك سوى اقامة الشفرة الجمالية الاجتماعية.

وهنا تجسدت الدلالات الجمالية عبر الابعاد الفكرية وماتحمله من قيمة في فنون التكوين /طور حسونة، في اعلان جسد المرأة رمز اخصابي في الفكر العراقي القديم، والذي اوجد داله الجمالي وفق الملمس البصري والادراك الحسي، ليؤكد الانشاء التصويري المبسط والمترابط في ايضاح الفكرة موضوعة الجنس، وبذلك تم ابراز القيمة السطحية كقيمة مدركة في منح الشعور باللذة والسعادة لتشكل الدهشة الآنية جراء التواصل عنصرا هاما في القيمة الجمالية ضمن تشكيل هدف الموضوع.

انموذج(٥)

الموضوع/فخارنحتي/انثوي(امرأة)

الفترة الزمني/ : سامراء /منتصف الالف السادس ق.م:

المصدر/ Oates,J,Chega, mami,1967,f.28.c

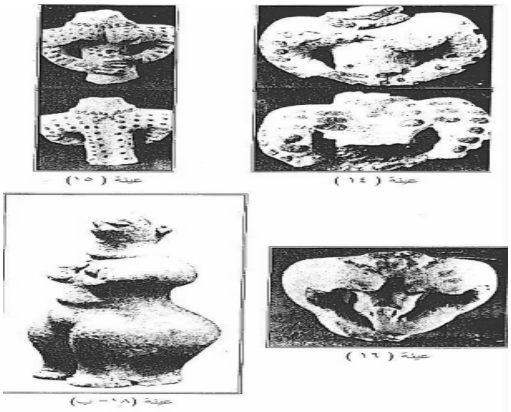

الوصف العام والتحليل

يمثل الانموذج الانثوي (١٤/١٥/١٦) اشكالا من الفخار النحتي من مادة الطين انصاف الجسد، اذ تضع قلادة /بشكل حبات من الطين، بمثابة اكسسوارات تجميلية حول الرقبة وتضع كلتا يديها امام جسدها وفي مقابل منطقة(السرة) يخلو الجسد من الرأس، لكنه لم يخلو في بنيته من الاشارات والرموز والعرمات الموزعة بشكل لااعتباطي وعلى السطوح الامامية والخلفية للاشكال، اذ تفاوتت النقاط في مساحة استدارتها، وربما تشكل شيئانية الملابس، كما ووزعت النقاط على الذراعين، لتؤسس في تصميمها ايقونية التواصل الجمالي مابين جلود حيوانت كالنمر والفهد، وتأثر الانسان بطبيعة الغابات ومحتوياتها، وانها احد وسائل اعلان الموضة في عصره ليشكل التطابق والتشابه كرموز ودلالات تقترب من ظاهرة الاخصاب ذاتها.

كما يرتبط الجسد البشري باستلهام الفنان للعادات والتقاليد والطقوس السائدة انذاك، وبالاخص ان تحقيق الفعل البشري المرتبط بالفن، ماهو الا حضورا بالفعل، بدليل استخدام الرموز وتوزيعها وارتباط الفعل الجنسي او الاخصابي بجسد المرأة الموشاة بالنقاط كدلالات جمالية لاتخلو من الفكرة والتشفير، تدل على مايقترن بالحكم الجمالي في الفكر العراقي القديم، في دلالة هي الاخرى تنم على اهمية المرأة كعنصر اساسي باعث للحياة والاستئناس، في مشهد ان الملامح الجسدية دلالة اغوائية افادت بمحصلاتها الرؤية الحضارية التي لم تغب عن تصوير الفنان، فأتجه بدوره الى تبسيط الاشكال الواقعية وابتعد عن التفاصيل في التشريح للايدي، لكنه لم يختزلها او يجردها، لتصب في صالح الفكرة، في الشبه والتشبيه التي لاتنفك ان استندت الى المعتقدات الاجتماعية الخالصة، فتعمد الفنان في طور سامراء في عصر ماقبل التاريخ ان يخلص الى تمثيل الجسد كسابقه فنان حسونة ليقترب بدوره من المعتقد الاخصابي والميل نحو رمزية الواقع في التشكيل والتكوين واعتماد المبالغة بالتصغير او التكبير ويظهر في الاثداء والايدي، واعتماد الانحناءات او الزوايا كحكم سردي جمالي.بمعنى ان:

الاثداء= رسالة جمالية

الايدي = رسالة ابلاغية

التكبير او التصغير =جمالية

وبذلك امكن رصد التوازنات الهندسية للشكل في الاستقرار على اسطوانية الجسد التي استدعت التوازن في التقاء الايدي امام البطن، وهي تقابلات دلالية وظيفية في الاعلان عن رشاقة الشكل الحي او المشبه منه، واستقرار البنية الجمالية فاستدعت الضرورة الوظيفة ثم التوازن ف سيادة الجزء على الكل، وفي احالة الجسد الرشيق الى تمثيل الفتيات البواكر، ومن جراء ماتقدم ان العلاقات البنائية في عناصر الشكل للنماذج المصورة تستدعي وجود الاغلاق ف التركيب المحتوي على:

اسطوانة الجسد+ مثلث الجزء العلوي من الجسد+ دائرة/كرات الاثداء

وهكذا يؤدي الاحتفاظ بالحركة فعل الاستقرار وتشكيل الخطاب الجمالي، ناهيك عن الاتجهات الحركية المعنية بانواع التقابلات المستقرة والقلقة والمتوازنة وجلها ترتبط بالحجم، فلو تمكن الفنان من زيادة ارتفاع

الاسطوانة ربما يكون في عدم استقرار الامتداد في الفضاء، بمعنى ان الدراية شكلت الدلالة الجمالية وانتقلت الى تمثيل الواقعي من الاشياء وفق الصورة المدركة.

الفصل الرابع

النتائج ومناقشتها

بعد ان فرغ البحث من دراسة الدلالات الجمالية كعملية قصدية وخصوصية في البنائي العلامي والاشاري والرمزي، ومناقشة وتحليل موضوع العينة، في ضوء عدد من المفاهيم الجمالية الشكلية وعلى مستوى المضمون، وتقصي العلاقة بين مساراتها وحركات تشكيلها، وتتبع المنطلقات في بنائية الفكر الثقافي والحضاري، واجراء الدراسة التطبيقية، توصل الباحث الى عدد من النتائج تمثلت في النتائج العامة الآتية :

١ــ ازدياد الحركة كفعل جمالي وقلة التشخيص واقتراب الشكل من واقعيته في مرحلة البدايات.(الانموذج ١٢/١٤/١٥)

٢ـ انعكاس حركة الشكل على الانشاء البنائي في جزئيه العلوي والسفلي، دالاً لعدد من السمات الجمالية خلف النص.الانموذج(٨/٩/١٠)

٣ـ ازدياد التأكيد على عدمية التلوين واعتبار اللون الاحمر والاسود والاصفر هي السائدة.

٤ـ تفاوت الملمس بين الخشونة والنعومة ذلك يؤكد حرية استخدام الضوء والظل في العمل الفني.في النماذج كافة

٥ـ تتمركز بنية الجمال في عدة حالات منها ماكان دينيا او دنيوياً.

٦ـ ظهر المضمون كبنية مهيمنة في التاريخ الطبقي، فهو موحد ومشاع.

٧ـ تواكب الجمال الحركي في حراك الشكل بغية نضوج الفكر لصالح الفكر.

٨ـ التشبيه بنية عرفية علاماتية وايقونية بذات الوقت.نماذج الجسد الانساني

٩ـ انغلاق الشكل لايعني انغلاق المعنى، بل كان انفتاح محايث في المدلول.

١٠ـ ان نماذج الفخار النحتي لاتقرأ من الدال الاجتماعي، وانما يكمن بوظيفة الدال بكونه علامة تحول الى الدال الوجودي، حيث تنبع البنية التشبيهية فيه للاستبدال والتناوب بين التجريد والواقع.الانموذج(١١/١٢/١٦)

١١ـ تمثل الشكل بالايقنة الجمالية والدلالية الكامنة في هيمنته على نسبية الشكل.

١٢ـ تمثل شكلانية المضمون بالايقنة المطلقة عن طريق الموضوع الاجتماعي

١٣ـ الحضور سمة الدلالي الجمالي في الاشكال وانغلاقها بصفة الانفتاح.

١٤ـ الغياب الجزئي سمة المدلول من المعنى وافتاح بصفة الانغلاق.

١٥ـ التجريد وحدة شكلية ومضمونية التزمت بتشاكليتها بين بنيتين في الشكل والمعنى متخذة من الرسالة الجمالية ستاراً لها.

١٦ ـ تعد الفترة الحضارية فترة نفعية ووظيفية عبر تشكيل الحجوم في العينة(١.٢) ذات النسق الانثوي في اداء اعتباري لوجوده، وتكوين قيم دلالية وظيفية يتم فهمها خلال مقارنتها بما سبقها من انساق لاحقة"يعتمد على القيم الخلافية كونها ضرورة مقابلة لمجموعات مختلفة من الظواهر وتنظيمها لابالرغم من اختلافها"[٩٨].

٩٨- مكي عمرا راجي: خصائص المنهج البنيوي، محاضرة القيت على طلبة الدكتوراه في الفن والسيمياء، كلية الفنون الجميلة، جامعة بابل، في ٢٠/١/٢٠٠٩.

١٧ـ وفي الحدود البارزة من التحليل نجد المبالغة تستقرىء في جماليتها والتي كانت من اهم الخصائص الجسدية الانثوية التي ظهرت في بنية الجزء السفلي، واحياناً في جزئه السفلي،

ـ كما امتاز الجسد بالضمور والاختزال، ومايمكن رصده ان الورك او الصدر والاذرع والارجل هي وحدات دالة، تقوم بصفة التضمين للجمالية وفق تعبيريتها وغاياتها، مع انضواء العلاقات بين الاجزاء المتحكمة في بنية النسق، ناهيك عن بثها للخطاب الجمعي.

١٨ـ المبالغة سمة دلالية جمالية اتضحت في تدلي الاثداء على البطن العينة(١ـ أ، ب) وفي مقابلة الورك العريض والكبير الحجم يتشكل التبادل معرباً عن هيمنة تسترعي التركيز في اخرى العينة(١ ،أ)صدر متدلي +ورك ضامر، بينما العينة(١ ، ب) الصدر ضامروتواجد للارجل الاطراف، (الانموذج(١٨)

١٩ـ تميزت العلاقات البنائية بوحدات مترابطة وظيفياً ودلالياً في بنيتها، ولايمكن الغاء أي منها ليؤثر على علاقات الوحدات فيتغير سلوكها الدلالي، فالعلاقة المتبادلة بين الجزئين الاعلى والاسفل علاقة تبادل دلالي.(الانموذج ٣/٤/٥)

٢٠ ـ ومن اللافت للنظر ان علاقة الاجزاء خاضعة لفعل الجمال في اغلب نماذج الاعمال فعند اندماج منطقة الصدر بالاذرع يتطلب المبالغة في حجم الورك العينة(٥،٤،٣)

٢١ـ تستقر الاهمية.في التأكيد على منطقة دون غيرها كوظيفة معرفة(الجنس، الاخصاب) فهو محتوى للفكرة التي تتمثلها المرأة / الانثى، لما لها من خاصية فسيولوجية تستقرأ اثناء المحاولة لاالبصرية وانما اللمسية.(الانموذج(١٨)

٢٢ ـ لقد تطلب اجراء المبالغة تحويراً للرؤس في استكمال للقيمة الدلالية التي لاتنفك في تأكيدها عن القيمة الجمالية، ذلك ان الحرفي/الفنان/الانسان تمكن من اكمال البناء الشكلي، لكنه ترك الاقتران الجمعي من ناحية جنسينية، مغيباً ذاته في عرفها الاجتماعي، في الوقت الذي احتفظت العينة(٤) باختلاف واضح في تمظهر الرأس، وتلك ضرورة في احتماء الرسالة الجمالية ببنيتها وبنية الشكل في الاشارة لأهميته.(الانموذج١٨أ/١٨ ب)

٢٣ـ وبالرغم من وجود التناقض الايجابي بين العينا ت، نجد خضوع الاشكال لوظائفية ورغبات النفس البشرية التي مكنت من الانزياح نحو الفكرةوحضورها المستمر، فلا فرق بين البنيتين لحاضرة والغائبة في التعادل الدال= المدلول، أي الشكل= المضمون كونهما وجهي صفحة واحدة في فلسفة التاريخ، ويستمر اندماج الايدي في العينة(٩،٨)الى الجسم، مما قابله في الحركة وفي بناء الفعل المعني.

٢٤ـ. ان الانساق الشكلية وعاء البواطن، تميز بكونه نسق علامي ارتبط بعضه ببعض بعلاقات ظاهرة واخرى كامنة، حيث النسق تحقيق للخطاب وبمثابة شرط ضروري في اية عملية تواصلية، اذ المستوى الظاهري التزم امتثاله في الشكل والوحدات الروائية للموضوع، في حين ان المستوى الباطني والبنيوي ينتظم بتمظهره الخطابي، ولعل الظهور السردي في الايماء جدلية ذاتية للرمز المحمل بدلالة النسق في شكلانية الاشكال ودلالاتها المضامينية، فيما تخلق من تواصلية بين العمل والمتلقي بدلالة الاستمرار.(الانموذج٨/٩)

٢٥. الرسالة الجمالية تكشف عن معناها العميق ويوحي بشيء ما خلف السمات الشكلية، فهي تنحو منحى المستوى الباطني او الداخلي البعيد عن التمظهر الخارجي، في حين ان المتمثل بالاشكال الذكرية والانثوية تقوم على توظيف الشكل والاحداث في موضوعاتها لايصال معنى فكري من خلال نظم العلاقات الشكلية بدلالة عنصر اللون الاحادي للجسد الذي يفعل القيمة الابلاغية للجمال، وهذا المعنى الفكري يتمظهر مرات في تجسيد العوالم السيكولوجية الذاتية(الشهوة/والغريزية) وادخاله عالم الادراك المؤلف من الالوان والاشكال بنوع بث الخطاب.(الانوذج ١٨/١١/١٢/١٠)

الاستنتاجات

اسفر البحث عن عدد من الاستنتاجات التي صاغت الرؤية الكلية لبنية الجمال ماقبل التاريخ من العراق القديم في فخاره النحتي: ويمكن تلخيصه بالآتي:-

١. التارجح في المبالغة والهيمنة وفقاً لوظائفية الجزء، كعلاقة الاثداء والوروك في التصغير والتعظيم، وافساح المجال امام دلالية الاشكال.
٢. تمثلت بنية الجمال في الحضور والغياب للنسق والمعاني وبعلاقات اتجاه في تحقيق الابلاغ وآلياته في التوصيل.
٣. شكلت الاعلامية والاعلان في الاجتماعية والوظيفية اداءاً اوجدته بنية الجمال في وضعيات الجلوس والوقوف والاستلقاء بهدف تحقيق قراءة قادمة.

التوصيات

يوصي الباحث بالاتي:

نظراً لما لاقاه الباحث في عدم الحصول على المصورات الملونة، لذا يوصي بضرورة توفير المصادر الاجنبية او المحلية المصورة والخاصة بالمتحف العراقي التي تتعلق بالدراسة، من مصورات تشكل للباحث المصادر اللازمة للاطلاع عن كثب، فذلك يدلى الى الوقوف على اهمية اللون باعتباره مسلمة حقيقية في السيمياء الجمالي.

المقترحات

يرتأي الباحث اكمال الدراسة الحالية بعدد من المواضيع التي تدعم حضورة بالاتي:

١. التحليلي والتركيبي الجمالي في نمذجة اللوح المجسم من الفخار النحتي.
٢. تكعيبية صورة المعنى التشكيلي الجمالي لنماذج الفخار النحتي(نماذج مختارة).
٣. الجمالي والالواح الثلاثية الابعاد بين التسطحية والسطح.
٤. المعادلات السيو- رمزية في جداريات آشور.
٥. بنية الاختلاف في الخطاب الجمالي القديم.

ثبت المصادر والمراجع باللغات العربية والاجنبية

القرآن الكريم

١. الانصاري .ابن منظور، جمال الدين بن مكرم، :لسان العرب، ج١٣، الموسوعة المصرية العامة للتأليف والنشر، الدار المصرية للتاليف والترجمة، القاهرة، ب ت.
٢. ابو ريان، محمد علي: فلسفة الجمال، ط١، الدار القومية للطباعة، ١٩٦٤.
٣. الاحمد، سامي سعيد: الادارة ونظام الحكم في حضارة العراق.ج٢، نخبة من الباحثين، دار الحرية، بغداد، ١٩٨٥.
٤. الاصفهاني، ابو قاسم : المفردات في غريب القران، تحقيق محمد سعيد، بيروت، ب ت.
٥. ارمنكو، فرانسوا: المقاربة التداولية، تكسعيد علوش، مركز الانماء العربي، الدار البيضاء، ١٩٨٦.
٦. البدري، علي حيدر: التقنيات العلمية لفن الخزف، ط١، بغداد، ٢٠٠٠.
٧.بارو، اندريه : سومر فنونها وحضارتها، ت: عيسى سلمان، وسليم طه، بغداد، ١٩٧٩.
٨.برتللمي، جان: بحث في علم الجمال، ت: انور عبد العزيز ونظمي لوقا، دار النهظة المصلاية، القاهرة، ١٩٧٠.

٩. بروب، فلاديمير: مورفولوجيا الحكاية الخرافية، ط١.ت: ابو بكر احمد، النادي الادبي السعودي، ١٩٨٩.
١٠. بياجيه، جان : البنيوية، ت: عارف منيمة، منشورات عويدات، بيروت، ١٩٧١.
١١. بير.ف.زيما : نحو سيميولوجيا النص، مجلة العرب والفكر العربي، مركز الانماء العربي، ع/١٩٨٩
١٢. الجرجاني، علي بن محمد: التعريفات، مكتبة لبنان، ١٩٦١.
١٣. حكيم، راضي : فلسفة الفن عند سوزان لانجر: ط١، دار الشؤون العامة، بغداد، ١٩٨٦.
١٤. الداوي، عبد الرزاق: موت الانسان في الخطاب الفلسفي المعاصر، ط١، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٢.
١٥ . الدباغ تقي: مقدمة في علم الآثار، منشورات الجاحظ، بغداد، ١٩٨١
١٦ . داسكال، مارسيلو : الاتجاهات السيميولوجية المعاصرة، ت: حميد الحمداني، الدار البيضاء، ١٩٨٧.
١٧. الرازي، محمد بن ابي بكر: مختار الصحاح، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨١،
١٨. الرازي، محمد بن ابي بكر: مختار الصحاح، الكويت، ١٩٨٣.
١٩. الرويلي، ميجان : دليل الناقد الادبي، ط٣، الدار البيضاء، ٢٠٠٢.
٢٠. راي، وليم : المعنى الادبي من الظاهراتية الى التفكيك، ط١، ت: يوئيل يوسف، دار المأمون للنشر، بغداد، ١٩٨٧.
٢١ . ريد، هربرت، : معنى الفن، ١٩٨٦.
٢٢. روجرز، فرانكلين : الشعر والرسم، ت: مي مظفر، دار المأمون للطباعة والنشر، بغداد، ١٩٩٠.
٢٣ . زيما.ف.بيير: نحو سوسيولوجيا النص الادبي، مجلة العرب والفكر العالمي، مركز الانماء العربي، ع١٩٨٩,٥.
٢٤ . السواح.فراس : دين الانسان، دار علاء الدين للتوزيع والترجمة والنشر، دمشق، ١٩٩٤.
٢٥ . سبيلا، محمد وعبد السلام بن عبد العالي: الفلسفة الحديثة، دار الامان للنشر والتوزيع، الرباط، ١٩٩١.
٢٦ . ستولنيتز، جوريوم: النقد الفني دراسة جمالة وفلسفية، ت: فؤاد زكريا، بيروت، ١٩٨١.
٢٧ . سوريواتيان : الجمالية عبر العصور، ط١، ت: ميشال عاصي، منشورات عويدات، بيروت، ١٩٧٤، .
٢٨ . شرفي، عبد الكريم: من فلسفات التأويل الى نظريات القراءة، ط١، منشورات الاختلاف، الجزائر، ٢٠٠٧.
٢٩ . شلق، علي : الفن والجمال، المؤسسة الجامعية للدراسات، ١٩٨٢.
٣٠ . صليبا، .جميل: المعجم الفلسفي، ج١، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٧٢.
٣١ . الضاهر، احمد الزاوي: ترتيب القاموس المحيط، ط٣، عيسى الباري الحلبي وشركاه، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ب.ت.
٣٢. الطعان، صبحي : بنية النص الكبرى، عالم الفكر، الكويت، ١٩٩٢.
٣٣. عادل كامل : الفن التشكيلي المعاصر في العراق، بغداد، ١٩٨٤.
٣٤. عبد الله ابراهيم واخرون : معرفة الآخر، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٠.
٣٥ . عياش، منذر: الكتابة الثانية وفاتحة المتعة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ١٩٩٨..

٣٦ . الغذامي، عبد الله واخرون: الخطيئة والتفكير من البنيوية الى التشريحية، ط١، النادي الادبي الثقافي، جدة، ١٩٨٥.
٣٧ . عبد الواحد، لؤلؤة : الجمالية، سلسلة الكتب المترجمة، دار الرشيد، بغداد، ب.ت.
٣٨ . فاضل عبد الواحد وآخر: عادات وتقاليد الشعوب القديمة، مؤسسة دار الكتب للطباعة، جامعة الموصل، ١٩٧٩.
٣٩ . فضل، صلاح : نظرية البنائية في النقد الادبي، ط١، القاهرة، ١٩٨٠.
٤٠فؤاد كامل واخرون : الموسوعة الفلسفية المختصرة، دار القلم، بيروت، ١٩٨٣.
٤١. فوكو، ميشيل: تكنولوجيا الخطاب تكنولوجيا السلطة تكنولوجيا السيطرة على الجسد، ت: محمد علي الكبيسي، تونس، ١٩٩٣.
٤٢. فرانكفورت واخرون: ماقبل الفلسفة، ت: جبرا ابراهيم جبرا، منشورات مكتبة الحياة، ١٩٦٠.
٤٣ . فشر، ارنست : الاشتراكية والفن، ت: اسعد سليم، القاهرة، ١٩٧١.
(٥٢)
٤٤ . كريزويل، اديث: عصر البنيوية، ت: جابر عصفور، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٥.
٤٥. كامل فؤاد واخرون : الموسوعة الفلسفية المختصرة، دار العلم، بيروت، ١٩٨٣.
٤٦ . الماجدي خزعل : متون سومر، الاهلية للنشر والتوزيع، ط١، الاردن/عمان، ١٩٩٨
٤٧ . المديني، احمد: في اصول الخطاب النقدي الجديد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٩.
٤٨ . مجيد محمود مطلب : تاريخ المعرفة منذ الاغريق حتى ابن رشد، دار الجاحظ للنشر، بغداد، ١٩٨٠.
٤٩. ماكدونيل، ديان: مقدمة في نظريات الخطاب، ت: عز الدين اسماعيل، المكتبة الاكاديمية، القاهرة، ٢٠٠١.
٥٠ . محمود زيدان : كانط فلسفته النظرية، ط٣، دار المعارف، الاسكندرية، مصر، ١٩٧٩.
٥١ . مدكور، ابراهيم: المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية، القاهرة، ١٩٧٩.
٥٢ . اميرة حلمي مطر: الفلسفة اليونانية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٨.
٥٣ . مطر.اميرة حلمي: فلسفة الجمال نشأتها وتطورها، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٣.
٥٤ . مسعود، جبران: رائد الطلاب، بيروت، ١٩٦٧.
٥٥ . ملوان.م. واخر: الفترة الاشورية(حفريات تل الاربجية)، العراق، ١٩٣٣.
٥٦ . نجم عبد حيدر: دراسات في بنية الفن، مكتبة الرائد العلمية، عجمان، ٢٠٠٤.
٥٧ . نوبلر، ناثان : حوار الرؤية، ط١، ت: فخري خليل، بغداد، ١٩٧٨.
٥٨. هوكنز، ترنس: البنيوية وعلم الاشارة، ط١، ت: مجيد الماشطة، بغداد، ١٩٨٦.
٥٩ . هنتر، مهند : الفلسفة وانواعها ومشكلاتها، ط٧، تر: فؤاد زكريا، الانجلو، القاهرة، ب.ت.
٦٠ . هولب، روبرت: نظرية التلقي، ت: عز الدين اسماعيل، ط١٩٩٤،١.
٦١ . وادي، على شناوة : السطح التصويري بين التخيل والمنطق والتأويل، مطبعة الحلة، ٢٠٠٧.
٦٢ . وليم.م.واخر: الفترة الاشورية(تنقيبات تل الاربجية)، ١٩٣٣.
٦٣. حامد عباس مخيف : محاضرات فلسفة التاريخ القيت على طلبة الدكتوراه، كلية الفنون الجميلة، جامعة بابل، في ٢٠٠٩/١/٢٠.ص٦.
٦٤. مكي عمران راجي: خصائص المنهج البنيوي، محاضرة القيت على طلبة الدكتوراه في فن السيمياء، كلية الفنون الجميلة، جامعة بابل، في ٢٠٠٩/١/٢٠.

٦٥. بلاسم محمد جاسم : التحليل السيميائي لفن الرسم، اطروحة دكتوراه/غير منشورة، كلية الفنون الجميلة، جامعة بغداد، ١٩٩٩.

المصادر الاجنبية/المصورات

1.Read.a.jarmo figurines&other clay objects,1988,.
2.D.umm Kirikbrid dabaghiyah,1972.
3. Merpert,N,&Munchajev,R.Excavation at YarmTep.1970.
4. Merpert,N,&Munchajev.The Invesigations of the sovid,1977.
5. Oates,J,The Baked clay,1966.
6. Oates,J,Chega mami,1967,
7. Mallwan,M&Rose,c.Tprehistoric Assyria,1935.
8. Oppenhein,M.Tell Halaf,1952,
9. Strammenger,E.The Art ofMesopotamia,1964,.
10. Tobler,A.Exacavation at Tepeqawra,1950,
11 Tobler,A.Excavation at Tepegawra,1950.f.13.a.

(١/أ)

الملاحق /مصورات اشكال الاطار النظري

شكل(١)

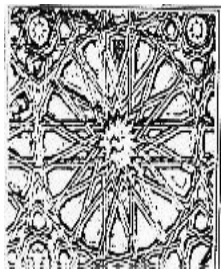

شكل(٢)

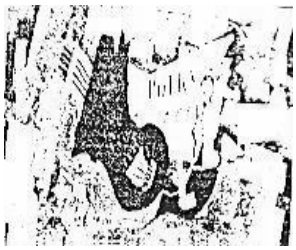

شكل(٣)

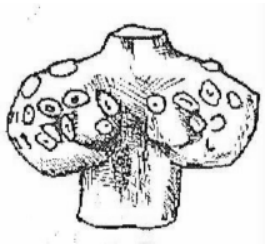

شكل(٤)

شكل(٦)

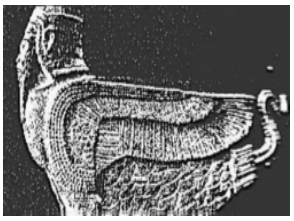

شكل(٥)

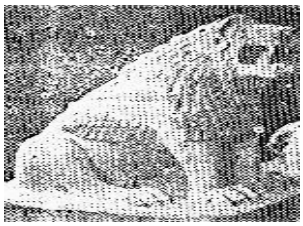

شكل(٨)

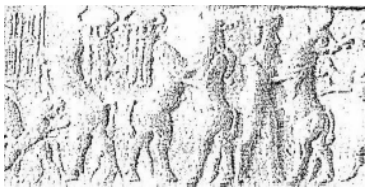

شكل(٧)

(٢)

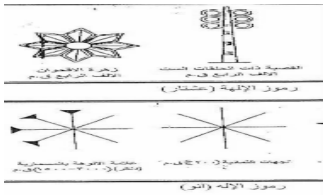

شكل(١٠)

شكل(٩)

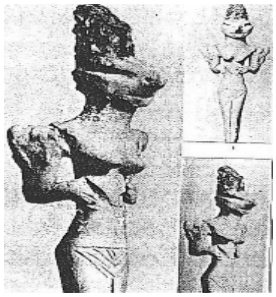

شكل(١٢)

شكل(١١)

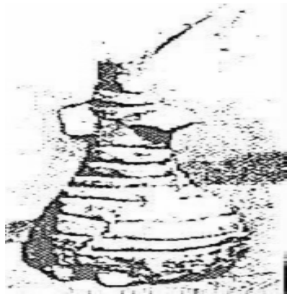

شكل(١٤)

شكل(١٣)

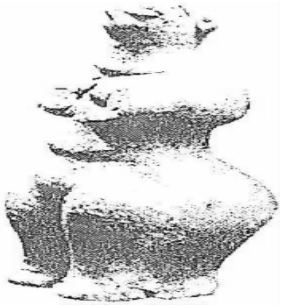

شكل(١٦)

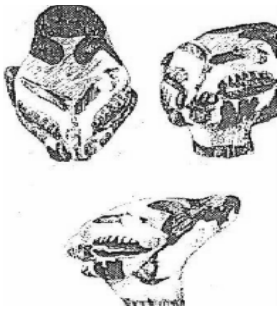

شكل(١٥)

(٣)

شكل(١٨)

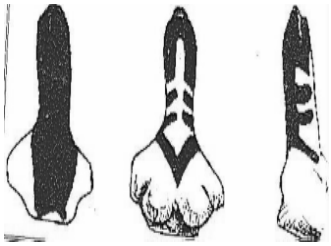

شكل(١٧)

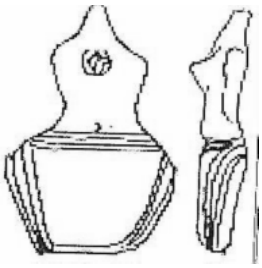

(ملحق٢/أ)

❖النماذج الممثلة لمجتمع البحث/الفخار النحتي العراقي القديم

❖النماذج الممثلة لعينة البحث

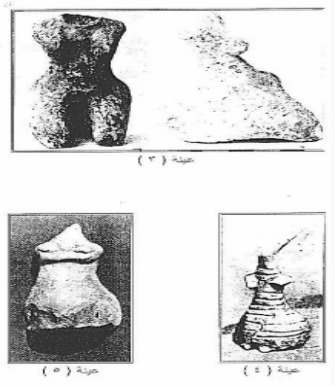

نموذج(١)(٢)(٣)(٤)(٥)

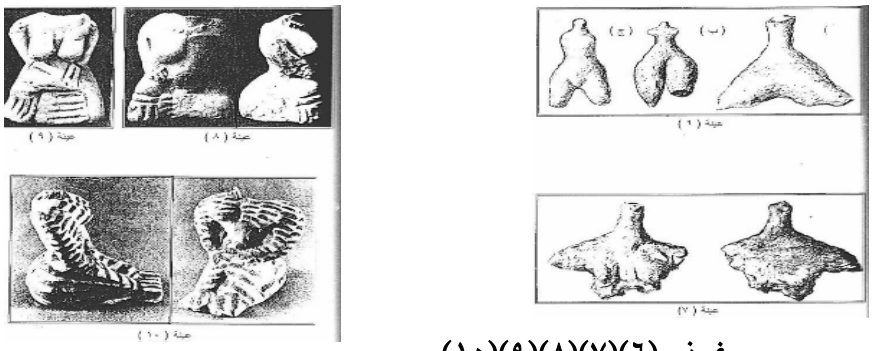

نموذج (٦)(٧)(٨)(٩)(١٠)

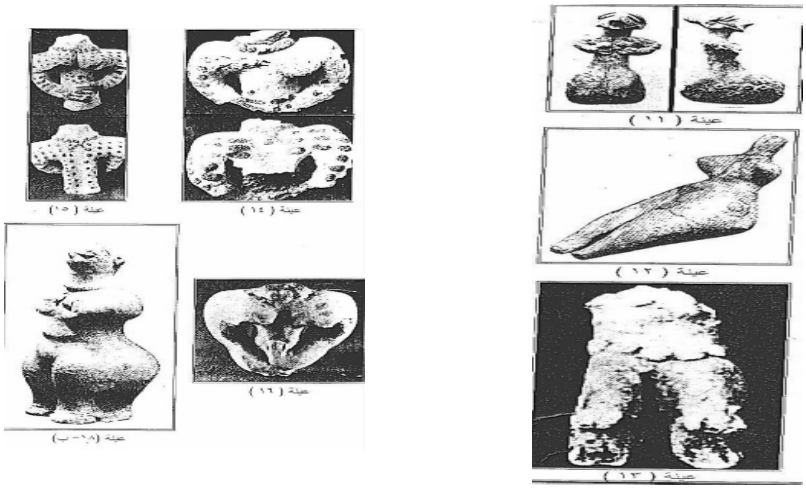

نموذج(١١)(١٢)(١٣)(١٤)(١٥)(١٦)

(ملحق٢/ب)

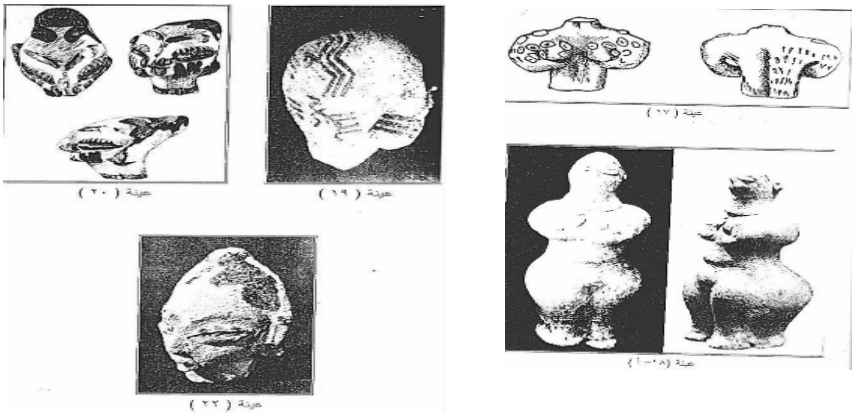

نموذج(١٧)(١٨) (١٩)(٢٠)(٢٢)

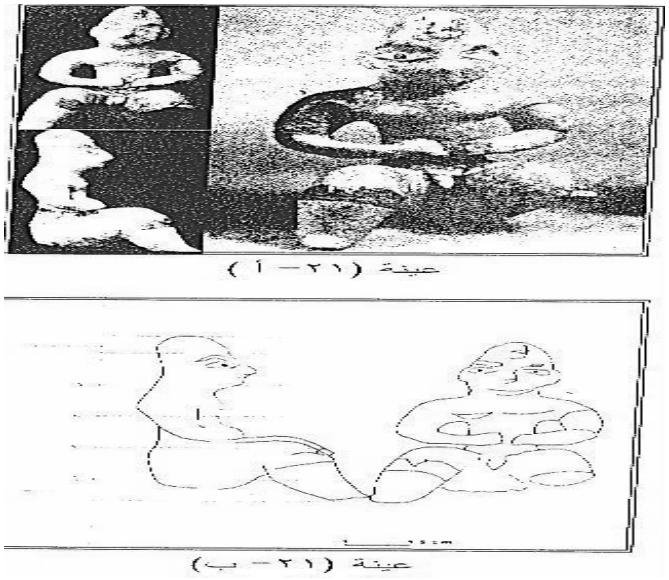

نموذج(٢١)

شعر قيس بن سعد الأنصاري

دراسة في الأداء الموضوعي

م. د حسن حبيب الكريطي*

ملخص البحث:

يعد قيس بن سعد الأنصاري واحداً من الشعراء البارزين في العصر الإسلامي، فضلاً عن كونه مقاتلاً شجاعاً، اشترك في معارك الدعوة الإسلامية إلى جانب الرسول الكريم محمد ﷺ، وكان حاملاً لراية الأنصار، مثلما حارب مع الإمام علي عليه السلام في حروبه كلها، حتى عده الخصوم من ألد أعدائهم لمواقفه هذه.

جاء هذا البحث ليسلّط الضوء على هذا الشاعر؛ الذي أهملته المصادر، فعرَّفنا به وبالمنزلة التي كان يحظى بها، بدءاً من محاربته مع الرسول الكريم ﷺ، ثمَّ صحبته الإمام علي عليه السلام ووقوفه إلى جانبه، والدفاع عنه، وموالاته الإمام الحسن عليه السلام.

وتناول البحث الأداء الموضوع في شعره، فتم الحديث عن غرض الفخر، بوصفه من أكثر الأغراض الموجودة في ديوانه، وقد كرَّسه للفخر بجيش المسلمين منذ أوائل الدعوة الإسلامية، ومن ثمَّ جيش الإمام علي عليه السلام الذي اشترك معه في حروبه المختلفة، تلاه غرض المديح، وقد خصَّه بالإمام علي عليه السلام، وأخيراً التهديد والوعيد؛ الذي خص به خصوم الإسلام، وتبع ذلك جدول بأعداد القصائد والمقطوعات والأراجيز، ثمَّ خاتمة البحث، وفيها أبرز النتائج التي توصل إليها، وأخيراً قائمة المصادر والمراجع.

المقدمة:

الحمد لله الذي جعل الحمد مفتاحاً لذكره، وسبباً من فضله، ودليلاً على آلائه وعظمته، والصلاة والسلام على خير خلقه، وخاتم رسله؛ أبي القاسم محمد، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وأصحابه الغر الميامين... أما بعد؛

فالشاعر قيس بن سعد الأنصاري واحد من الشعراء العرب البارزين الذين كان لهم أثر كبير في تأريخ الإسلام، وكان يحمل راية الأنصار مع النبي ﷺ، وأحد أصحاب الإمام علي عليه السلام، المخلصين، تميز من

* جامعة كربلاء – كلية التربية قسم اللغة العربية

أقرانه الشعراء المقاتلين بنسبه المعروف، وقد تكفّل هذا الشاعر بنصرة الإمام علي عليه السلام في حروبه التي خاضها جميعاً فكان مفتخراً ومادحاً.

جاء هذا البحث ليسلّط الضوء على هذا الشاعر الذي تناثرت أشعاره في بطون أمّات الكتب الأدبية والتأريخية مثل كتاب الإصابة في تمييز الصحابة، وكتاب أنساب الأشراف، وتأريخ دمشق، وكتاب الأعلام، وغيرها، وقد اعتمدنا في الدراسة على ديوانه الذي جمعه وحققه الأستاذ قيس العطّار؛ الذي بذل فيه جهداً محموداً، حتى أظهره على النحو الذي بين أيدينا، فكانت هذه الدراسة بعنوان: (شعر قيس بن سعد الأنصاري – دراسة في الأداء الموضوعي)، وقد تناولنا فيه أبرز الموضوعات الشعرية التي طرقها، فتم توزيعها على ثلاثة مباحث، فكان المبحث الأول في غرض الفخر، ، وهو عبارة عن مجموعة من القصائد والمقطوعات التي قالها مفتخراً بأصحابه من جيش الإمام علي عليه السلام، وكذلك مجموعة من الأراجيز التي قالها في ساحات الحرب مفتخراً بنفسه، وتلاه المبحث الثاني في غرض المديح الذي كرّسه لمدح الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على شكل قصائد ومقطوعات شعرية، وأخيراً جاء المبحث الثالث، والذي اختص بالتهديد والوعيد، الذي تضمن قصائد ومقطوعات وجهها إلى خصومه في ساحات القتال، أو غيرها، أو جاءت للاحتجاج معهم لنصرة أصحابه. ثم وضعنا في نهاية هذه الموضوعات جدولاً يتضمن أعداد القصائد، والمقطوعات، والأراجيز، لبيان عدد الأبيات التي قالها الشاعر بحسب الموضوعات الشعرية، مع ذكر البحور التي نظمت عليها هذه الأشعار، وقوافي كل قصيدة ومقطوعة وأرجوزة.

وأخيراً جاءت الخاتمة لتبين أهم النتائج التي توصّل إليها البحث، وتلاها قائمة المصادر والمراجع. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين...

التمهيد:

جوانب من حياة الشاعر:

هو قيس بن سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة الأنصاري الخزرجي المدني، وال، صحابي، من دهاة العرب، ذو الرأي والمكيدة في الحرب، والنجدة، وأحد الأجواد المشهورين، كان شريف قومه غير مدافع، ومن بيت سيادتهم، وكان يحمل راية الأنصار مع النبي محمد[1] صلى الله عليه وآله وسلم، يكنّى بـ (أبي الفضل)، و (أبي عبد الله)، و (أبي عبد الملك)، وذكر بعضهم أنّ كنيته (أبو القاسم)[2].

لم تذكر المصادر التي بين أيدينا تأريخ ولادته، ولكن محقق الديوان الأستاذ قيس العطّار أشار إلى بعض القرائن التي نتفق معه فيها، نستطيع من خلالها أن نحدد بصورة تقريبية سنة ولادته، منها:

١. إنّ سعداً كان نقيب بني ساعدة، وأحد النقباء الاثني عشر؛ الذين انتخبوا للرسول صلى الله عليه وآله وسلم في بيعة العقبة فبايعوه، فكان قيس أنبههم فأجاب الإسلام، وصحّة إسلامه هذه تقتضي أن يكون بالغاً، مما يعني أنّ عمره كان ثلاثة عشر عاماً كحد متوسط للبلوغ قبل الهجرة النبوية الشريفة.
٢. كان قيس من المشاركين في غزوة بدر في السنة الثانية للهجرة، وهذا ما ذكره هو في إحدى قصائده[3]، ومعنى هذا أنّه كان في سن يؤهله للقتال إذا ما علمنا أنّه كان حاملاً راية الأنصار في هذه المعركة مثلما ذكرنا آنفاً.

---

(١) ينظر: الإصابة ٣ / ٢٤٩، والأعلام ٥ / ٢٠٦.
(٢) ينظر: الإصابة ٣ / ٢٤٩، وديوان قيس بن سعد الأنصاري / ١٠.
(٣) في إشارة إلى قصيدته الحادية عشرة في الديوان (أنعم الله بالشهادة علينا) التي قال فيها:

إنّنا إنّنا الذين إذا الفتـ ـح شهدنا وخيبراً وحنينـا

٣. هناك بعض الروايات تشير إلى أنَّ قيساً بن سعد كان من أقران عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة، وذكروا أنَّ قيساً أكبر من عبد الله[٤]، وإذا ما علمنا أنَّه في وفاة الرسول ﷺ في السنة الحادية عشرة للهجرة؛ كان عمر عبد الله سبع سنين، فلا يمكن أن يكون الفارق بينهما أكثر من عشرين عاماً، وإلاّ لما عدَّ من الأقران، وعلى أساس ذلك قد يكون عمر قيس عند وفاة الرسول ﷺ سبعة وعشرين عاماً[٥].

ومن خلال ما تقدَّم يمكن أن نقرِّر أنَّ ولادة قيس بن سعد كانت بين (١٠ – ١٥) قبل الهجرة النبوية الشريفة.

وكان قيس بن سعد شيخاً، كريماً، شجاعاً، من أطول الناس وأجملهم، يركب الفرس المسرف، ورجلاه تخطّان في الأرض، ولم يكن في وجهه شعر[٦].

ويعد في الطبقة الأولى من أصحاب الإمام علي بن أبي الطالب عليه السلام، وشارك في حروبه الثلاث (الجمل، وصفين، والنهروان)، مثلما شارك مع الإمام الحسن عليه السلام في حربه وصلحه[٧].

ولاّه الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام مصر سنة (٣٦ – ٣٧ هـ)[٨] مخاطباً إياه: « سر إلى مصر فقد وليتكها، واخرج إلى رحلك، واجمع إليك ثقاتك، ومن أحببت أن يصحبك حتّى تأتيها ومعك جند، فإنَّ ذلك رعب لعدوك، وأعز لوليك »[٩] فضاق به معاوية وأعجزته فيه الحيلة، « وكايد فيه علياً عليه السلام، ففطن علي بمكيدته، فلم يزل به ابن الأشعث وأهل الكوفة حتّى عزل قيساً، وولّى محمد بن أبي بكر ففسدت عليه مصر »[١٠].

توفي قيس بن سعد في آخر خلافة معاوية سنة ٥٨هـ؛ إذ هرب من معاوية، وسكن تفليس، ومات فيها في ولاية مروان بن الحكم على المدينة[١١].

موضوعات شعر قيس بن سعد الأنصاري:

من خلال استقراء ديوان الشاعر؛ وجدنا أنَّه اقتصر على بعض الأغراض الشعريَّة دون سواها، وكان غرض الفخر أكثر حضوراً من غيره، يليه غرض المديح، وهناك أغراض أخرى جاءت متفرقة في بعض القصائد والمقطوعات الشعرية.

لقد استطاع الشاعر من خلال هذه الأغراض أن يكشف لنا عن كونه أحد الشعراء المبدعين، فضلاً عن كونه مقاتلاً، وفارساً؛ شهدت له ساحات الحرب والوغى، فكان يتعامل مع الأحداث المحيطة به تفاعلاً إيجابيّاً، عبَّر من خلاله عن تجربة شعرية صادقة.

بعد بدر وتلك قاصمة الظهـ ـر وأحد وبالنضير ثنينـا
وبيوم الأحزاب قد علم النّا س شفينا من قبلكم واشتفينا

الديوان / ١٠٣.

(٤) ينظر: الإصابة ٢ / ٩٩.

(٥) الديوان / ١٢.

(٦) ينظر: الأعلام ٥ / ٢٠٦، الإصابة ٢٤٩/٣، مقاتل الطالبيين /٧٩، الجمل / ٢٤٣.

(٧) الإصابة ٢٤٩/٣، شهداء صفين / ٣٣٣، الديوان ١٧.

(٨) ينظر: الغارات / ١٢٧، ١٤٠، ١٦٤، ٢١٣، وينظر: الأعلام ٥ / ٢٠٦.

(٩) كتاب الجمل وصفين والنهروان / ٢٢٧، وينظر: وقعة صفين / ١٢٨، ٢٠٨.

(١٠) شهداء صفين: ٣٣٣.

(١١) ينظر: الأعلام ٥ / ٢٠٦، الديوان / ٤٨ وما بعدها؛ إذ عرض محقق الديوان بعض الروايات حول وفاة الشاعر والقرائن التي تدل على أن وفاته كانت سنة ٥٨هـ.

والشيء اللافت للانتباه في ديوانه؛ أنَّه اعتمد على الشعر المباشر؛ الذي يشتمل على غرض واحد، أو متعدد الأغراض، والذي يلجأ إليه الشعراء عادة في أبواب الوصايا، وفي بعض المديح والهجاء، والقصائد التي تكون الخطابة فيها أنجع في الأداء[١٢]، فترك المقدمة، والدخول في الغرض مباشرة هو الأقرب إلى تحقيق ما يصبو إليه الشاعر لإبراز عاطفته، وتجربته الشعرية، على العكس من التزامه بهيكليّة البناء التقليدي للقصيدة.

وعلى وفق هذا النمط من الشعر المباشر، جاءت أشعار قيس بن سعد في قصائد، ومقطوعات وأراجيز، ونتف شعرية، فالقصائد ما بلغت سبعة أبيات، أو عشرة، قال ابن رشيق القيرواني (ت ٤٥٦هـ) « وقيل: إذا بلغت الأبيات السبعة فهي قصيدة، ولهذا كان الإيطاء بعد سبعة غير معيب عند أحد من الناس، ومن الناس من لا يعد القصيدة إلاّ ما بلغ العشرة وجاوزها ولو ببيت واحد »[١٣]، والمقطوعات ما كان دون العشرة، أما النتف فما دون الأربعة أبيات.

ويبدو أنَّ الشاعر قيس بن سعد كان مشغولاً عن العناية الفنية بشعره، باعتماده على الشعر المباشر، وذلك لما كان يحيط به من أحداث سياسية وحربية على الساحة، الأمر الذي لم يدع مجالاً للتأمل والتروّي ليضع تمهيداً لها، علماً أنَّ هذه الأشعار قد تحقق غرضاً فنيّاً إذا كانت الظروف مهيّأة لها، وسنتناول الأداء الموضوعي لدى شاعرنا على وفق الموضوعات التي طرقها، والتي توزعت على شكل قصائد ومقطوعات شعرية وأراجيز ونتف، وعلى النحو الآتي:

المبحث الأول: الفخر:

يعد موضوع الفخر من الموضوعات البارزة في الشعر العربي على مدى عصوره المختلفة، وله ألوان متعددة، منها « فخر ذاتي، وفخر حربي سياسي، وفخر ديني ... »[١٤]، وقد وجدنا أنَّ الفخر الذاتي والجماعي كانا أكثر وضوحاً من غيرهما لدى الشاعر، وذلك لأنَّ أغلب أشعاره التي قالها كانت في الحروب التي خاضها مع الإمام علي عليه السلام، وخصوصاً حرب صفّين؛ التي شغلت أكثر من نصف قصائد الديوان.

ومن أوضح ملامح الفخر الجماعي في شعره دفاعه عن أصحابه من جيش الإمام علي عليه السلام في صفّين، ونصرته إياهم؛ إذ قال[١٥]: (البسيط)

هلاّ سألت بنا والخيل سائحة ... تحت العجاجة والفرسان تطّرد

فالشاعر يصوّر سرعة خيله ونشاطها، وما تثيره من غبار في مسيرها نحو المعركة، وكأنَّه هنا يسير على خطى الشعراء الجاهليين في حديثهم عن الخيل في الحرب، مثلما قال النابغة الذبياني: (البسيط)

خيلٌ صيامٌ وخيلٌ غير صائمة ... تحت العجاج وأخرى محذوّة خدما[١٦]

فيما نراه في قصيدة أخرى يضفي على أصحابه أشد صفات الشجاعة، والإباء، حين يرى أنَّهم الموقدون للحرب، وشعلة بيد الإمام علي عليه السلام، فقال[١٧]: (البسيط)

---

(١٢) ينظر: المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها ٣ / ٨٦٩.

(١٣) العمدة ١ / ١٨٨.

(١٤) فنون الأدب العربي – الفخر / ٥.

(١٥) الديوان / ٧٣، سائحة: جارية، سريعة الجري، العجاجة: واحدة العجاج وهو الغبار أو ما تورثه الريح، والمراد هنا عجاجة الحرب. تطرد: إطراد الشيء متابعة بعضه بعضاً، وبعير مطرد هو المتتابع في سيره، ولا يكبو، قال أبو النجم:

فعجت من مطرد فهدي. ينظر: لسان العرب ٢ / ١٠٩، ٦٥٦.

(١٦) ديوان النابغة الذبياني / ٢٢٢، ٢٢٣.

(١٧) الديوان / ٨٤، أنكاص: الصاد مبدلة من السين، الأنكاس جمع نكس وهو الرجل الضعيف. لسان العرب ٤/٣٣٧

فالحرب توقدها الأنصار مشعلـة والطيّبون رجال غير أنكـاص

ولـه قـصيدة يفتخـر فيهـا برجـال العـراق ؛ الـذين جـاؤوا إلى الـشام لخـوض غمـار الحـرب بكـلِّ عـزم وإصرار[١٨]: (المتقارب)

أتتك الرجـال رجال العـراق تقود إلى الشام خيلاً عتاقـا[١٩]
لحـاق الأباطـل قُـبَّ البطـون تعيد الحزونة سهلاً دقاقـا[٢٠]
دعـاهم علـيٌّ إلى خطّـة أتـوه المقـاد لـه والمـساقـا[٢١]

فبعد أن بيَّن الـشاعر شـجاعة أصـحابه الـذين جـاؤوا علـى خيـل جربـت ميـادين الحـرب كـثيراً ؛ لأنَّهـا « تقشعر إذا حمي وطيس المعركة، وترعد كما يرعد الإنسان»[٢٢]، فهي خيول ضامرة البطون، غير مترهلـة، قد تعودت على خـوض نـزالات الحـروب وهـذه مـن الـصفات الـتي لا بـد مـن توفرهـا في الخيـول الـتي يـتم اختيارها للحرب، فالفارس يريد منها الـسرعة الـتي تعينـه علـى ملاحقـة خـصمه في سـاحة المعركـة، الأمـر الذي يبعد فيه الفرس الكبير في السن أو الحامل لعدم الإفادة منها في هذا المجال، وقد أشار – فيمـا بعـد – إلى الخطّة التي وضعها لهم أمير المؤمنين علي بن أبـي طالـب عليه السلام بعقلـه الفـذ فـاتوه منقـادين، ومنـساقين، كيف لا، وهو « فذ، من أفذاذ العقل، وهو بذلك قطب الإسلام، وموسوعة المعارف العربيّة »[٢٣].

ثمَّ كشف الشاعر عن فروسيَّة أصحاب الإمام علي عليه السلام في وقعة الجمل[١]، قائلاً[٢٤]: (المتقارب)

فنحن الفـوارس يـوم الزبيـر وطلحة إذ أبدت الحرب ساقـا[٢٥]
ودارت رحاهـا علـى قطبهـا ودارت كـؤوس المنايـا دهاقـا
خضبن الرماح وبيض السيوف وكـان النـزال هنـاك اعتناقـا

ويبدو من خلال هذه الأبيات أنَّ الشاعر قد وصـل إلى ذروة فخـره الجمـاعي باصـحابه، فنـراه يـشير إلى حرب الجمل وما دار فيهـا، والانتـصار الكـبير الـذي حققـه أصـحاب الإمـام علـي عليه السلام، إذ جعلـوا الرمـاح مخضبة بدم القتلى من خصومهم، وقد استطاع هذا الشاعر أن يـبين لنـا عـبر هـذه الـصورة الميدانيـة للمعركـة

(١٨) الديوان / ٨٩.
(١٩) عتاق: جمع عتيق يقال فرس عتيق مثل كريم وزناً، والجمع عتاق مثل كرام.
(٢٠) لحاق: لحق لحوقاً أي ضمر، ولصق بطنه. قب البطون: أي ضوامر البطون، وقب بطن الفرس فهو أقب أذا لحقت خاصرتاه بحالبيه.
(٢١) ينظر: لسان العرب ١/٦٠٥. الحزونة: الخشونة، والحزن: المكان الغليظ الخشن. الدقاق: فتات كل شيء، وما اندق من الشيء هو التراب اللين الذي كسحته الريح من الأرض. ينظر: لسان العرب ٥ / ٨٤٥.
(٢٢) أتوه المقاد له والمساقا أي أتوه منقادين ومنساقين له، فالمقاد والمساق مصدران معرفان بالألف واللام مؤولان بنكرة لأن مذهب الجمهور من النحويين يرى أن الحال لا يكون إلا نكرة كقول الأعشى:
غراء فرعاء مصقول عوارضها تمشي الهوينا كما يمشي الوجي الوحل
فتقديرها تمشي هوينا. ينظر: ديوان الأعشى ٦ / ٥٥.
(٢٣) ينظر: الخيل في الشعر الجاهلي / ١١٠.
(٢٤) الإمام علي عليه السلام نموذج الإنسانية / ١٣٨، والكلام هو للمفكر المسيحي جورج جرداق.
(٢٥) وهي أول حرب كانت بين طائفتين من المسلمين، وقعت سنة ٣٦هـ بقيادة عائشة وطلحة والزبير ضد جيش الإمام علي (عليه السلام)، وكانت من أصعب الحروب لدى المسلمين ولدى فقهائهم. ينظر: الجمل والنصرة لسيد العترة في حرب البصرة / ٢١.
(٢٦) الديوان / ٨٩.
(٢٧) الساق لغة الأمر الشديد وكشفه مثل في شدة الأمر، ومنه قوله تعالى: ((يوم يكشف عن ساق)) القلم / ٤٢. ينظر: لسان العرب ٥/٩٠٨.

شجاعة أصحابه الذين أدركوا طبيعة المعركة وحقيقة الصراع، فجسَّدوا « صورة الفارس المسلم الواثق من أنه يقف مع الحق، ومن أنَّه ملاق النصر أو الشهادة »[٢٦].

فيما نجده – في قصيدة أخرى – يتحدّى معاوية بأبطالهم، ويدعوه للتداعي في الحرب لثقته من نسبهم الرفيع الذي يفخرون به أيَّما فخر، فقال[٢٧]: (الخفيف)

إن برزنا بالجمع نلقك بالجمـ ـع وإن شئت محضة أسرينـا[٢٨]
إن تشا فارس له فارس منـ ـنا وإن شئت باللّفيف التقينـا
فالقنـا في اللّفيف نلقك في الخز رج ندعوه في حربنا أبوينـا[٢٩]

ويصف التفاف الخزرج حول الإمام علي عليه السلام ونصرتهم إياه في حروبه، بأنَّهم كالإكليل الذي يوضع حول الرأس، قائلاً[٣٠]: (الخفيف)

ثمَّ حامت عليه من سلف الخـز رج قومٌ كأنَّهم الإكليـل

ومن سمات الفخر أن يلجأ الشاعر إلى أسلوب التوكيد لبيان إحدى الحقائق، ففي إحدى قصائده التي توعَّد بها معاوية في حرب صفّين، أراد الشاعر أن يبين له شجاعة أصحابه، ورسوخ إيمانهم، مؤكِّداً أيام كفاحه في زمن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقتاله في حروبه، وكأنَّه لا يستطيع أن ينفكَّ عن ذلك الجهاد الصادق، والأيّام الجميلة التي قضاها في كنف رسول الله مدافعاً عن الدين الإسلامي الحنيف، فها هو يتذكّر تلك الحروب التي خاضها مفتخراً[٣١]، فقال[٣٢]: (الخفيف)

إنَّنا إنَّنا الذين إذا الفتـ ـح شهدنا وخيبراً وحنينـا
بعد بدر وتلك قاصمة الظهـ ـر وأحد وبالنضير ثنينـا
وبيوم الأحزاب قد علم النّا س شفينا من قبلكم واشتفينا

ويرى أحد الباحثين أنَّ هذه القصيدة جسدت انتماء صفّين إلى الصراع نفسه الذي انتمت إليه بدر وأحد وحنين والأحزاب[٣٣].

ونجد لدى الشاعر في بعض الأحيان امتزاج الفخر الفردي بالفخر الجماعي، لذوبان شخصية الفرد بالجماعة نتيجة الأواصر الوثيقة التي تربط الشاعر بقومه وأصحابه فنراه يتحدَّث بصوت الجماعة في معرض فخره بالأنصار، فيذكر مواقفهم المشرفة مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومع أمير المؤمنين عليه السلام، ومع الإمام الحسن عليه السلام، ومن ذلك قصيدته التي قالها في صفّين بعد اشتداد القتال ومصرع عمار بن ياسر[٣٤]، إذ انبرى قائلاً[٣٥]: (البسيط)

---

(٢٦) الخطاب الشعري في معركة صفين، مجلة المنهاج / ٢٢٢.
(٢٧) الديوان / ١٠٣.
(٢٨) محضة: المحض اللبن الخالص بلا رغوة، والمحضة: الخالصة. ينظر: لسان العرب ٤ / ٦٥٦.
(٢٩) ندعو في حروبنا أبوينا: وهو الاعتزاز في الحرب، وهو أن يقول أنا فلان بن فلان لأنهم يتداعون بأسمائهم وهو التداعي والادعاء.
(٣٠) الديوان / ٩٣.
(٣١) م. ن / ٦٤.
(٣٢) م. ن / ١٠٣.
(٣٣) الدكتور عبد المجيد زراقط في بحثه الموسوم (الخطاب الشعري في معركة صفين)، المنشور في مجلة المنهاج / ٢١٣.
(٣٤) حينما اشتد القتال في صفين، واشتد ظمأ عمار بن ياسر أتته امرأة طويلة اليدين تحمل أداة فيها ضياح من لبن فقال حين شرب: ((الجنة تحت الأسنة، اليوم ألقى الأحبة، محمداً وحزبه... والله لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لعلمنا أننا على الحق وهم على الباطل)) ثم حمل وحمل عليه ابن جون السكوني وأبو العادية الفزاري، فأما أبو العادية فطعنه، وأما ابن جون فاحتزَّ رأسه وقد كان ذو القلاع

ما ضرَّ من كانت الأنصار عصبتـه ... أن لا يكون له من غيرهم أحـد
قوم إذا حاربوا طالت أكفّهـم ... بالمشرفيّـة حتّى يفتح البلـد
والناس حرب لنا في الله كلّهـم ... مستجمعون فما ناموا ولا فقـدوا
هذا اللواء الذي كنّـا نحفّ بـه ... مع النبي وجبريـل لنا مـدد
فاليوم ننصره حتى يقيـم لـه ... أهل الشنان ومن في دينـه أود

ومثلما كان حضور الفخر الجماعي في شعر قيس بن سعد ؛ نجده قد عنى بالفخر الشخصي ؛ الذي يعد ضرباً واسعاً من ضروب الفخر، يميل إليه الشاعر في إظهار ذاته في موقف يدفعه إلى التميّز من قبيلته، أو الانتصاب بوجه العدو، ذاكراً محاسنه وصفاته الفردية، والتغني بالنفس بدافع حربي[٣٦].

وكان قيس في بعض قصائده ومقطوعاته وأراجيزه يفخر بنفسه وخصوصاً أمام أعدائه، وفخره هذا نتيجة طبيعية لشاعر مثله، لأنّه يمتلك جميع مقومات الفخر المادية والمعنوية ومؤهلاتها، من دين، وحسب، ونسب، وجاه، وشجاعة، فقد تحمّل مسؤولية كبيرة في الدفاع عن جيش الإمام علي عليه السلام في قتاله وشعره، حتّى أصبح محطّ إعجاب قومه وأصحابه.

وقد يرى الشاعر – في بعض الأحيان – وهو يفخر بنفسه أنَّ الحاجة إلى المقطوعة الشعرية تبدو ملحة ؛ لأنَّ بعض المقدمات لا يناسبها القصيدة لمنافاتها مقتضى الحال الذي يفرض عليه الاختصار والإيجاز، فضلاً عن أنَّ المقطوعة تتطلب السرعة في القول، والسرعة في إيصال الشعر إلى أذهان السامعين[٣٧]، ولنراه في هذه المقطوعة التي يقول فيها[٣٨]: (الطويل)

وإني من الحيِّ اليمانـي لَسيِّـد ... وما الناس إلاّ سيد ومسـود
فكدهم بمثلـي إنَّ مثلي عليهـم ... شديد وخلقي في الرجال مديـد
وفضّلني في الناس أصل ووالـد ... وباع به أعلو الرجال مديـد

فنلحظ هنا أنَّ الشاعر يفخر اعتزازاً بنفسه، ونسبه، وخلقه، فهو سيد من سادات أهل اليمن، « ومن أهل عز وجود وشرف، وكانت له ولاية زعماء الخزرج »[٣٩]، وقد أفاد من أسلوبي التوكيد والقصر لبيان هذا الاعتزاز بنفسه، لأنهما أضافا للنص روحاً جديدة بينت لنا بما لا يقبل الشك قدرة الشاعر وبراعته في توظيف هذين الأسلوبين بما يتلاءم وطبيعة القول، فهو يحتاج إلى أن يظهر لخصومه فخره بنفسه، لأن الخصم لا يمتلك المؤهلات التي تؤهله ليكون قريناً له في المقارنة، فالفوارق كبيرة بينهما.

ومثلما يحتاج الشاعر المقطوعة، فقد يحتاج الأرجوزة ليقولها بديهة وارتجالاً في المناسبات المختلفة من حياته، ليعبر عن صدق انفعالاته، بعيداً عن المبالغة، وهذا ما وجدناه في إحدى أرجوزاته، التي قال فيها[٤٠]: (الرجز)

أنا ابن سعد وأبي عبـادة

يسمع عمرو بن العاص يقول: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله لعمار بن ياسر: ((تقتلك الفئة الباغية وآخر شربة تشربها ضياح من لبن)). ينظر: وقعة صفين / ٣٤١.

(٣٥) الديوان / ٧٣.

(٣٦) ينظر: تأريخ الأدب العربي، بلاشير ٢ / ٢٧٩.

(٣٧) ينظر: الشعر في حرب داحس والغبراء / ٢٠٣، ٢٠٤.

(٣٨) الديوان / ٧٦.

(٣٩) م. ن / ١١.

(٤٠) م. ن / 81.

والخزرجيون رجال سـادة
ليس فراري في الوغى بعادة
إن الفرار للفتى قـلادة
يا ذا الجلال لقّني الشهـادة
شهادة تتبعها سعـادة
فالقتل خير من عناق غـادة
تفزعني بالحيض والولادة
حتى متى تثني لي الوسـادة

ويبدو الشاعر في هذه الأبيات الموجزة المشطورة مفتخراً بنفسه على غرار ما جاء في مقطوعته السابقة، ونرى أنّه سلك في هذا الأمر مسلك أغلب الشعراء؛ إذ إنّ أول ما يفخرون به الأب؛ الذي عادة ما يقترن اسم الشاعر باسمه، ويعد فخر قيس بأبيه واقعياً، فإذا ذكر اسمه مقترناً باسم أبيه فقد عرفه الآخرون[41].

والذي نلحظه في هذه الأرجوزة، أن الحالة النفسيّة التي كان عليها الشاعر وهو ينزل إلى ساحة المعركة في حرب صفّين، لم تمهله التقديم والخوض في موضوعات أخرى؛ لأنّ أجواء الحرب المشحونة لا تساعده على ذلك، فغاية ما يبغيه القائل هنا التعريف بنفسه عندما ينزل إلى ساحة القتال.

يتبيّن لنا من الأشعار المتقدمة أنّ فخر قيس بن سعد لم يكن من قبيل التبجّح والإدعاء على غرار ما كان سائداً لدى بعض الشعراء، فإن فخر بنسبه فهو ابن سعد الأنصاري، الصحابي المعروف، وإن فخر بشجاعته فلا ريب في ذلك لأنه كان يحمل راية الأنصار مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومن أشهر أصحاب الإمام علي عليه السلام الذين دافعوا عنه بكل بسالة وقوة.

أما فخره الجماعي فكان يمثل دفاعاً حقيقياً عن أصحابه وإظهار شجاعتهم مع الخصوم والأعداء، إذ كانوا يمتلكون من المؤهلات ما يستحقون أن يظهرها لهم الشاعر، ولذلك وجدنا أنّ غرض الفخر لديه كان صادقاً ومعبراً لا مبالغة فيه.

المبحث الثاني: المديح:

المديح من فنون الشعر العربي البارزة والمعروفة، وغاية الشاعر فيه تخليد قيم الممدوح التي يترسم فيها صور الإعجاب والثناء، وقد عدّه بعضهم « تعداداً لجميل المزايا، ووصف الشمائل الكريمة وإظهار التقدير العظيم الذي يكنّه الشاعر لمن توافرت فيهم هذه المزايا »[42].

وقد ورد المديح في شعر قيس بن سعد لاقتناعه بأهليّة الممدوح، فكيف إذا كان الممدوح هو الإمام علي عليه السلام، ومن بعده الإمام الحسن عليه السلام، فهم ركيزة العقيدة التي يؤمن بها الشاعر، ونقطة الانطلاق التي تكمن محبة الشاعر الصادقة لهم، والتي كانت سبباً في الخلاف بينه وبين خصومه.

ومن ذلك قوله في الإمام علي[43] عليه السلام: (الطويل)

مضى وبقي لعد النبي محمّـد عليه سلام الله عوداً وباديـا[44]

(٤١) يروى أن شاعرنا كانت تسميه العرب (قصير النسب) فإذا قلت قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري، علم أنه صاحب رسول الله وعلي والحسن عليهم السلام وحين ولاه الإمام علي عليه السلام مصر كتب له: ((وقد بعثت لكم قيس بن سعد الأنصاري أميراً... فلم يزد في تعريفه لأهل مصر وتوليته عليهم على ذكر اسمه واسم أبيه وانتسابه للأنصار)) ينظر: وقعة صفين / ١٢٨، ٢٠٨، كتاب الجمل وصفين والنهروان / ٢٢٧.

(٤٢) فن المديح وتطوره / ١٤.

(٤٣) الديوان / ١٠٧.

(٤٤) أي عوداً وبادئاً.

فيا ليت شعري والحوادث جمّـة علي أيما ترجو وتخشى الأمانيا[٤٥]
على أنَّ فيه للمحارب مطمعـاً أم أنّك تبغي الملك تحويه باقيا

وهناك قصيدة أخرى مدح فيها الإمام علياً عليه السلام مؤكّداً أحقيّته بالخلافة؛ لما فيه من صفات نفسية وخلقية ومناقب لا يجاريه فيها أحد، وكما يقول الأستاذ الخليلي: «كان علي أمة مستقلة بذاتها، تحكي عقلية الدهر، وتعبر عن نضج الزمان، وتصور نهاية المراحل سمو البشرية، وقمة المجد، فليس من الصحيح أن يقاس عليّ أفراد فهو نسيج وحده»[٤٦].

يقول قيس بن سعد[٤٧]: (البسيط)

حتّى تطيعوا علياً إنَّ طاعتـه دين عليه يثيب الواحد الصمـد
من ذا له في قريش مثل حالتـه في كل معمعة أو مثله أحـد
لو عدَّد الناس ما فيه لما برحت تثنى الخناصر حتّى ينفد العدد[٤٨]

لقد بيَّن الشاعر لأصحابة أنَّ إطاعة الإمام علي عليه السلام هي دين عليهم وفيها مثابة الله تعالى، وإن استعرضوا عن مثيل له في قريش لم يجدوا أحداً مثله في الإقدام والشجاعة في الحروب كلها، والتي أثبت فيها دفاعه عن الدين الإسلامي الحنيف، ونصرة النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، ثم أشار الشاعر إلى الفضائل الجمة التي حملها الإمام عليه السلام، ولو عدد الناس هذه الفضائل لكان هو المبتدأ به في جميعها حتى ينتهي تعدادها. لقد ركّز الشاعر في مدائحه للإمام علي عليه السلام على الشجاعة التي اشتهر بها، وبلغت حدّاً لا يمكن لأحد أن ينكرها، فهي شجاعة شهدت لها ساحات الحرب، فكان فيها الإمام كالليث المدافع عن عرينه، قال الشاعر[٤٩]: (البسيط)

ما في عليٍّ لأهلِ الشام من طمـع ليث العرين وأفعى بين أعيـاصٍ[٥٠]

وكانَّ الشاعر يريد هنا أن يبين لأهل الشام أو يدعوهم إلى العودة إلى التأريخ قليلاً، وتذكّر الحوادث التأريخيَّة البارزة، والحروب التي حدثت، وكان فيها دور الإمام بارزاً، بما ينم عن شجاعة حقيقية، وإيمان راسخ، وعقيدة ثابتة..

وفي قصيدة أخرى يمدح فيها الإمام علياً عليه السلام مؤكّداً أنَّه خير البشر، قال فيها[٥١]: (الطويل)

جزى الله أهل الكوفة اليوم نصرة أجابوا ولم يأتوا بخذلان من خذلْ
وقالوا عليٌّ خير حافٍ وناعـل رضينا به من ناقضي العهد من بدلْ

فهو يطلب الجزاء لأهل الكوفة على نصرتهم الإمام علياً عليه السلام في يوم الجمل؛ إذ لم يأتوا مع خذلان الخاذلين، وهو عندما يذكر صفة الإمام هذه لا لأجل المديح فحسب، وإنما للاحتجاج على مناوئيه بذلك أيضاً.

ويصرّح الشاعر في إحدى قصائده باعتقاده بوصاية الإمام علي عليه السلام في الكوفة، فلا يتردد في مدح الإمام الحسن عليه السلام قائلاً[٥٢]: (الطويل)

---

(٤٥) الأماني جمع أمنية وهي ما يحبه الإنسان ويقدر أن يصير إليه.
(٤٦) الإمام علي نموذج الإنسانية / ١٤١.
(٤٧) الديوان / ٧٣.
(٤٨) تثنى الخناصر: يقال بفلان تثنى الخناصر أي تبتدئ إذا ذكر أشكاله. ينظر: لسان العرب ٣ / ٢٤٥. ومعناه أن الناس لو عددوا فضائله (عليه السلام) لكان هو المبتدأ به في جميع الفضائل حتى ينتهي تعدادها.
(٤٩) الديوان / ٨٤.
(٥٠) الأعياص جمع عيص وهو أصول الشجر، أو السدر الملتف الأصول والشجر الملتف النابت بعضه في أصول بعض. ينظر: لسان العرب ٤ / ٥٠٦، وقد أراد هنا شدة منعة الإمام (عليه السلام) وعزته.
(٥١) الديوان / ٩٧.

أتاكم سليل المصطفى ووصيِّـه وأنتم بحمد الله عارضة النّـدي[٥٣]

ونلحظ هنا أنَّ الشاعر عبّر عن الإمام علي عليه السلام بالوصي تعبيراً صريحاً من دون مبالغة ؛ ليكشف لنا عن حقيقة ثابتة لديه ، وإيمان راسخ في الوجدان.

ومن الطبيعي أن يؤكد الشاعر قيس بن سعد المشهود له بالولاء والتضحية والإخلاص في سبيل الدين والعقيدة إمامة علي بن أبي طالب عليه السلام ، فقال[٥٤] : (الخفيف)

وعليٌّ إمامنـا لا سـواه في كتابٍ أتى به التنـزيل
حين قال النبيُّ : من كنت مولا ه عليٌّ هذا دليـل

فالشاعر هاهنا يشير إلى قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ)[٥٥] ، في إشارة واضحة إلى واقعة الغدير الشهيرة[٥٦].

وهناك رجز آخر للشاعر بحق الإمام علي عليه السلام ، قال فيه[٥٧] : (الرجز)

هذا عليٌّ وابن عمِّ المصطفـى
أول من أجابـه ممّن دعـا
هذا الإمام لا نبالي من غـوى

فالإمام علي عليه السلام هو ابن عم المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وأول من أجاب دعوته للإسلام.

يتضح مما تقدّم أنَّ مديح قيس بن سعد قد اختصَّ أغلبه بالإمام علي عليه السلام ، وتناول شخصيته وأخلاقه وصفاته ومواقفه في الحروب التي خاضها ضد أعدائه ، وكان مديحاً يخلو من المبالغة والغلو ، لأنَّ ما عرف عن الإمام من سيرة عظيمة تغني أيَّ شاعر عن المبالغة في وصفه ومديحه.

كذلك فإنَّ مديحه الإمام الحسن عليه السلام يخلو من المبالغة لأن الشاعر وبعد استشهاد الإمام علي عليه السلام التحق بالإمام الحسن عليه السلام وصحبه حتّى صلحه مع معاوية[٥٨].

٣. التهديد والوعيد:

من الموضوعات الأخرى التي حفل ديوان الشاعر بها ؛ التهديد والوعيد ، وهما موضوعان طرقهما الشعراء منذ العصر الجاهلي ، حتّى إن بعض النقاد أشار إليهما بوصفهما من الهجاء ، قال ابن رشيق القيرواني : « كان العقلاء من الشعراء وذوو الحزم يتوعدون بالهجاء ، ويحذرون من سوء الأحدوثة ، ولا

---

(٥٢) م. ن / ٧٩.

(٥٣) السليل : السيف المسلول ، وجاء هنا بمعنى الولد ويراد به الإمام الحسن (عليه السلام) أي سليل المصطفى وسليل وصيه. عارضة الندي : الندي هو كالنادي بمعنى مجلس القوم وعارضة الشيء وسطه وما يستقبلك منه ، ويرى السيد محقق الديوان أن الخطاب موجه إلى أهل الكوفة. ينظر الديوان / هامش ٨٠.

(٥٤) الديوان / ٩٣.

(٥٥) المائدة / ٦٧.

(٥٦) تنظر تفاصيل هذه الواقعة كاملة في : موسوعة الغدير ٢ / ٣١ – ٣٦.

(٥٧) الديوان / ١١٧.

(٥٨) يروى أن قيساً بن سعد لمّا سمع بصلح الإمام الحسن (عليه السلام) مع معاوية قال : (الطويل)

أتاني بأرض العال من أرض مسكـن بأنَّ إمام الحق أضحى مسلمـا
فما زلت مذ رنبئته متلـدداً أراعي نجوماً خاشع القلب ناجما

الديوان / ٩٩.

يمضون القول إلاّ لضرورة لا يحسن السكوت عليها »[٥٩]، ويتضمن التهديد إنذار الأعداء، وتحذيرهم من مغبّة طغيانهم، أما الوعيد، فيتوعد الشاعر الأعداء بالقتل والتنكيل إن لم يرجعوا إلى الطريق السوي[٦٠].

وقد استعمل الشاعر هذا الغرض في مواجهة خصومه وهجائهم وخصوصاً في أيام حربهم للإمام علي عليه السلام، فكانت أغلب الموضوعات موجهة إلى معاوية وأصحابه، وجاءت عبر أبيات شعرية متفرقة، شكّلت مجموعة من القصائد والمقطوعات والأراجيز الشعرية، بيد أننا نجد تهديداته في معظم الأحيان شديدة اللهجة، قد زادت فيها انفعالاته حتّى وصلت إلى درجة الوعيد، فمن ذلك قوله مخاطباً معاوية[٦١]: (المتقارب)

معاويَ قد كنت رخو الخناق ... فألقحت حرباً تضيق الخناقا[٦٢]
تشيب النواهد قبل المشيب ... متى ما تذقها تذمُّ المذاقا[٦٣]
فإن يكن الشام قد أصفيت ... عليك ابنَ هند فإنَّ العراقا
أجابت عليّاً إلى دعوة ... تعزّ العدى وتذلُّ النفاقا[٦٤]

إذ أحسن الشاعر استعمال ألفاظه ومجانسة بعضها للبعض الآخر، فضلاً عن الصورة التي رسمها لنا من خلال مشيب النواهد، وإنما خص النواهد لأن رجالهن تقتل في الحرب فيسرع إليهن الشيب، وهي صورةٍ تدل على براعة الشاعر وقدرة على إجادة فن القول على الرغم من شدة انفعاله النفسي والذي كان واضحاً فيه.

أما في قوله[٦٥]: (الخفيف)

يا ابن هند أين الفرار من الموت وللموت في الفجاج ذيول[٦٦]

وقوله[٦٧]: (الخفيف)

يا ابن هند دع التوثّب في الحرب إذا نحن في البلاء نأينا

فإنَّ الشاعر في هذين البيتين يخاطب معاوية مستعيناً بإحدى المثالب التي دأب الشعراء عليها من أجل الحط من منزلة الشخص، فقد ذكر هند بنت عتبة (أم معاوية) في إشارة واضحة إلى ما قامت به هذه المرأة من تقطيع جسد الحمزة عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأكلت كبده، حتّى سميت (آكلة الأكباد)، فالتصقت بها هذه المثلبة حتى ألقت بظلالها على معاوية.

---

(٥٩) العمدة ١ / ٢٦٣.
(٦٠) ينظر: شعر أبي طالب دراسة أدبية / ٢٣٨.
(٦١) الديوان / ٨٩.
(٦٢)ألقح الحرب: سعّرها من قولهم حرب لاقح. الخناق: الحبل الذي يخنق به.
(٦٣) نهد الثدي نهوداً إذا كعب وانتبر، ونهدت المرأة تنهد وهي ناهد وناهدة. ينظر: لسان العرب ٨٠٧/٢،
(٦٤) تعز العدى: بمعنى تغلب العدى وتقهرهم، عزه عزاً أي قهره وغلبه.
(٦٥)الديوان / ٩٣.
(٦٦)الفجاج: جمع الفج وهو الطريق الواسع بين جبلين، وهو أوسع من الشعب وما انخفض من الطرق، ومنه قوله تعالى: ((وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق)) الحج / ٢٧، . ينظر: لسان العرب ٢ / ١٢٨. ذيول: جمع ذيل وهو آخر كل شيء وذيل الثوب والأزرار، ذيل الموت القتلى الذين يقطرون في الحرب. ينظر: لسان العرب ٦ / ٣٥٧.
(٦٧) الديوان / ١٠٣.

ونجده – في جانب آخر – يعتمد أسلوب التهديد مستهزئاً بقوة خصمه، ومتوعداً إياه بأنَّه سيهزم إن حدث القتال، فقال[٦٨]: (الطويل)

وخوَّفنا العبسي خيلاً ذليلة ... ولله فيها وقعة هي ما هيا
ولم يبقَ إلاّ أن يقال لها اهربي ... فقد ركبوا جرداً تباري العواليا
وهذا عليٌّ مهدياً لك مثلها ... ولكنَّه أعيا عليك المكاديا[٦٩]
ولست بناجٍ من علي وصحبه ... ولو كنت في جابلق[٧٠] لم تك ناجيا

فعلى الرغم من أنّ هذه الأبيات نشتم منها رائحة الفخر، إلاّ أنه بدأها باستعمال هذه الصورة الترهيبية في تحذير خصمه إن أقدم للحرب، فهي دعوة له للتريث والتمهل، وإلا فهو يحذرهم بحرب كبيرة تجر عليهم الويلات، وتعود خيولهم ذليلة، وكأنها تمني النفس لو جاء أحدهم وأخرجها من ساحة القتال، فالموت سينتظرها إن جاء جيش الإمام علي عليه السلام، ولا فرار من ذلك حتى لو كان أحدهم في أبعد نقطة من ساحة المواجهة.

إنَّ من شأن هذه الصورة أن تثير الرعب والخوف والتردد في نفوس الخصوم، وقد نجح الشاعر في ذلك مظهراً تفانيه ودفاعه عن أصحابه، سواء في الألفاظ التي جاء بها، أم في صورة الخيل الذليلة المنهزمة في ساحة المعركة، والتي كانت تتمنى الهروب منها لعدم قدرتها على مواجهة الفرسان الذين جاؤوا للقتال.

من خلال ما تقدم نرى أنَّ الشاعر قيس بن سعد قد طرق هذا الغرض لأنه يتماشى مع ما يريد إيصاله إلى خصومه، وقد حتمته ظروف الحروب المتوالية التي اشترك فيها، أو مواقف معينة تغضبه، فيثور بركان انفعاله، فيتهدد ويتوعد.

جدول يبين مجموع قصائد الشاعر في الديوان

ت	رقم القصيدة في الديوان	عدد الأبيات	الموضوع الشعري	البحر الشعري	القافية
١	١	١٢	الفخر	البسيط	أحدُ
٢	٥	١١	المديح	البسيط	العاصِ
٣	٦	١١	الفخر	المتقارب	الخناقا
٤	٧	١٠	الفخر	الخفيف	الوكيلُ
٥	١١	١٢	الفخر	الخفيف	نأينا
٦	١٣	١٢	الفخر	الطويل	الأفاعيا
مجموع الأبيات: (٦٨) ثمان وستون بيتاً					

(٦٨)م. ن / ١٠٧.

(٦٩)المكادي: اسم مكان من أكدى الرجل إذا لم يظفر بحاجته.

(٧٠)جابلق: بالياء المفتوحة وسكون اللام مدينة بأقصى المغرب، واهلها من ولد عاد وأهل جابرس من ثمود، ففي كل واحدةٍ منها بقايا ولد موسى (عليه السلام) وفيها خطب الإمام الحسن بن علي (عليه السلام) بعد الصلح مع معاوية قائلاً: أيها الناس إنكم لو نظرتم ما بين جابرس وجابلق ما وجدتم ابن نبي غيري وغير أخي. ينظر: معجم البلدان ٢ / ٢١.

جدول يبين مجموع المقطوعات الشعرية في الديوان

ت	رقم المقطوعة في الديوان	عدد الأبيات	الموضوع الشعري	البحر الشعري	القافية
١	٢	٥	الفخر	الطويل	شهودُ
٢	٣	٧	المديح	الطويل	محمدِ
٣	٨	٥	المديح	الطويل	خذلَ
٤	١٠	٨	التهديد والوعيد	الكامل	الركبانُ
مجموع الأبيات: (٢٥) خمسة وعشرون بيتـاً					

جدول يبين مجموع الأرجوزات الشعرية في الديوان

ت	رقم المقطوعة في الديوان	عدد الأبيات	الموضوع الشعري	البحر الشعري	القافية
١	٤	٩	الفخر	الرجز	عبادهْ
٢	١٤	٦	التهديد والوعيد	الرجز	معاويه
٣	١٥	٤	التهديد والوعيد	الرجز	معاويه
٤	١٧	٣	المديح	الرجز	المصطفى
مجموع الأبيات: (٢٢) اثنان وعشرون بيتـاً					

جدول يبين مجموع النتف الشعرية في الديوان

ت	رقم المقطوعة في الديوان	عدد الأبيات	الموضوع الشعري	البحر الشعري	القافية
١	٩	٢	الفخر	الطويل	مسلما
٢	١٢	١	التهديد والوعيد	البسيط	السيافين
٣	١٦	٣	التهديد والوعيد	الطويل	معاويه
مجموع الأبيات: (٦) ستة أبيات					

الخاتمة:

بعد هذه الرحلة الممتعة في ديوان الشاعر قيس بن سعد الأنصاري؛ التي حاولنا فيها دراسة الأداء الموضوعي في شعره، ومعرفة أبرز الأغراض التي طرقها، يمكن تسجيل النتائج الآتية:

- وظف الشاعر جل شعره في الدفاع عن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وأصحابه وجيشه الذي شارك معه في حروبه المختلفة، وخصوصاً حرب صفّين؛ إذ حظيت هذه الحرب بأكثر من نصف قصائد الشاعر.

- اقتصر شعره على ثلاثة أغراض شعرية دون سواها من الأغراض الأخرى، فكان غرض الفخر الأكثر حضوراً لديه، تلاه غرض المديح، ثم التهديد والوعيد.
- لم يتطرق الشاعر في شعره إلى أغراض معروفة مثل الرثاء والغزل وغيرهما، وذلك لانشغاله في الحروب التي اشترك فيها مقاتلاً، فلا مجال للغزل، أو رثاء الموتى.
- تميَّزت قصائده في الفخر والمديح بحرارة العاطفة والصدق، كونه يمدح الإمام عليّاً عليه السلام، ويفخر بجيشه، وهو أحد مقاتلي هذا الجيش، ومن أصحاب الإمام الذين دافعوا عنه بأنفسهم في جميع حروبه، وكذلك فخره بنفسه والتعريف بشخصه أمام خصومه.
- كان إلى جانب فخره بجيش الإمام علي عليه السلام يلجأ إلى التهديد والوعيد إلى أعدائه عندما يواجهونهم في ساحات القتال، على الرغم من أن شعره في هذا المجال كان أقل نسبة من الفخر والمديح.
- تنوعت أشعاره بين قصائد شعرية ومقطوعات وأراجيز تبعاً للظروف المحيطة بمناسبة القول، وما موجود من قصائد في الديوان كان أكثر نسبة من المقطوعات والأراجيز، بيد أنه كان يميل إلى نظم القصائد خارج أوقات الحروب، أما المقطوعات فإن أغلبها نظمها في أثناء المعارك، وبالنسبة للأراجيز فإنه كان يميل إليها في ساحات المعارك وفي ذروة المواجهة مع الأعداء للتعريف بنفسه، وبث الرعب والخوف في صفوف الخصم.
- ظهر واضحاً تداخل أغراضه الشعرية بعضها مع البعض الآخر، لأنه كان يريد من أشعاره أن تمثّل الحالة الشعورية التي كان عليها وهو بمواجهة الأحداث المترامية التي يعيشها، وقد استطاع من خلال هذا التنوع إيصال ما كان يصبو إليه إلى المتلقي سواءً أكان مفتخراً أم مادحاً له، أم مهدداً ومتوعداً، ونرى أنه نجح في تحقيق ذلك فكانت أشعاره إرضاءً لنزعته الفردية الانفعالية.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- الإصابة في تمييز الصحابة، أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٢٨هـ.
- الأعلام؛ قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء المستعربين والمستشرقين، خير الدين الزركلي، ط١٧، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ٢٠٠٧م.
- الإمام علي عليه السلام نموذج الإنسانية، صباح محسن كاظم / ط١، قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة العباسية المقدسة، كربلاء – ٢٠٠٩م.
- تأريخ الأدب العربي، ر. بلاشير، ترجمة د. إبراهيم الكيلاني، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٧٣م.
- الجمل وصفين والنهروان، أبو مخنف لوط بن يحيى الأزدي الكوفي(ت١٥٧هـ)، جمعه وحققه حسن السنيد، ط١، دار الإسلام، لندن، ٢٠٠٢م.
- الجمل، والنصرة لسيدة العترة في حرب البصرة، أبو عبد الله محمد بن محمد النعمان العكبري البغدادي (الشيخ المفيد) (ت١٤١٣هـ)، تحقيق علي مير شريفي، ط١، مكتب الإعلام الإسلامي، قم، ١٤١٣هـ.
- الخيل في الشعر الجاهلي؛ دراسة في ضوء الميثولوجيا والنقد الحديث، د. محمود الرغيشي، ط١، دار جرير، عمّان، الأردن، ٢٠٠٧م.

- ديوان الأعشى الكبير (ميمون بن قيس)، شرح وتعليق د. محمد محمد حسين، مكتبة الآداب بالجماميز، مصر، د. ت.
- ديوان قيس بن سعد الأنصاري، جمع وتحقيق وشرح قيس العطار، ط٢، مطبعة عترت، قم، إيران، ١٤٢١هـ.
- ديوان النابغة الذبياني، تحقيق محمد الطاهر بن عاشور، الشركة التونسية للتوزيع، ١٩٧٦م.
- شعر أبي طالب دراسة أدبية، د. هناء عباس كشكول، ط١، قم، إيران، ١٤٢٩هـ.
- الشعر في حرب داحس والغبراء، عادل جاسم البياتي، مطبعة ألآداب، النجف الأشرف، د. ت.
- شهداء صفين وحضور الصحابة والتابعين، السيد كريم السيد باقر آل تاج الدين، ط١، دار المحجة البيضاء، بيروت، لبنان، ٢٠٠٩م.
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، الحسن بن رشيق القيرواني(ت٤٥٦هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٤، دار الجيل، بيروت، لبنان، ١٩٧٢م.
- فن المديح وتطوره في الشعر العربي، أحمد أبو حاقة، ط١، منشورات دار الشرق الجديد، بيروت، لبنان، ١٩٦٢م.
- فنون الأدب العربي – الفن الغنائي – الفخر، حنا الفاخوري، لجنة أدباء الأقطار العربية، دار المعارف، مصر، د. ت.
- الغارات، أو الاستنفار والغارات، أبو إسحق إبراهيم بن محمد بن سعيد بن هلال المعروف بابن هلال الثقفي، تحقيق السيد عبد الزهراء الحسيني الخطيب، دار الأضواء، بيروت، ١٩٨٧م.
- لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري(ت٧١١هـ)، إعداد: د. إبراهيم شمس الدين، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م.
- المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، د. عبد الله الطيب المجذوب، ط١، مصر، ١٩٥٥م.
- معجم البلدان، الشيخ شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت٦٢٦هـ)، قدم له محمد عبد الرحمن مرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د. ت.
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، انتشارات إسلامي، طهران، ١٣٧٨هـ.
- مقاتل الطالبيين، الأصفهاني، تحقيق السيد أحمد الصقر، مطبعة ذوي القربى، قم، إيران، د. ت.
- موسوعة الغدير، العلامة الأميني، مؤسسة دائرة معارف الفقه الإسلامي، ط٤، قم، إيران، ٢٠٠٦م.
- وقعة صفين، نصر بن مزاحم المنقري (ت٢١٢هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط٢، المؤسسة العربية الحديثة، مطبعة المدني، المؤسسة السعودية، مصر، ١٣٨٢هـ.

المجلات:

- مجلة المنهاج، تصدر عن مركز الغدير للدراسات الإسلامية، العدد السادس، السنة الثانية، بيروت، لبنان، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

محطات الوجع عند السياب

دراسة نفسية في شعره

د. هاتو حميد حسن

المقدمة:

قبل الشروع في كتابة البحث، لا أريد أن أعيد أو أكرر ما قاله الدارسون عن المرأة في الشعر العربي، فدوران هذا الاسم، أصبح شِرعة عند الكثيرين[1].

بيد أني سأتناول الموضوع من زاوية أخرى، أرى انها جديرة بالدراسة، اخترت لها عنواناً هو (محطات الوجع عند السياب، دراسة نفسية في شعره) لا أقصد بالوجع الحالة الجسمية وما يطرأ عليها من تغيرات فسيولوجية، إنما سأركز على الحالة السايكولوجية للشاعر، وانعكاسها على شعره، وعلى الرغم من كثرة الدراسات التي تناولت السياب وشعره، تظل قاصرة فحياة الشاعر ما زال فيها محطات معتمة لم يكشف النقاب عنها بعد، وربما يلتقي معظم الشعراء في هذا الجانب، يعانون في حياتهم من إسقاطات ليست واضحة المعالم والكثير منهم لا يرغبون التصريح بها لأسباب مختلفة.

سنحاول في هذه الوريقات الاقتراب من تلك المحطات للوصول إلى الحقيقة.

وراء اختياري لهذا الموضوع سببان هما: الأول / فكرته جديدة. والثاني / ما كان يعانيه الشاعر من جوانب نفسية داخل وخارج أسرته وانعكاسها على شعره.

قوام البحث محوران رئيسان هما: -

الأول / عذابات السياب داخل أسرته.

الثاني / عذابات السياب خارج أسرته.

وما زالت آثار الشاعر محط أنظار الدارسين العرب وغيرهم، يفخر بها كل مثقف يحب التجديد في الشعر العربي الحديث.

---

(١) راجع أدب المرأة العراقية، بدوي احمد طبانه، دار العلم - القاهرة - ١٩٤٨.
و المرأة في الشعر الجاهلي وعلي الهاشمي – ط١ – بغداد – ١٩٦٠.
و صورة المرأة في الأدب العربي – د. داود سلوم – حلقة دراسية – بغداد – ١٩٧٨.
و الغزل، لجنة من الأدباء العرب، دار المعارف – القاهرة – لات.
و المرأة في شعر السياب، فرح غانم صالح – دار الشؤون الثقافية – ط١ – بغداد – ٢٠٠٨.

المحور الأول / عذابات السياب داخل أسرته:

ولد السياب عام ١٩٢٦ في قرية شبه ريفية، تسمى (جيكور) وهي قرية تابعة إلى أبي الخصيب الذي يقع إلى الجنوب من محافظة البصرة.

و(جيكور) تتميز عن غيرها من القرى بكثرة الأنهر والبساتين والطبيعة الساحرة وبساطة الحياة فيها.[٢]

تذكر المصادر التاريخية، أن السياب نشأ وعاش في (جيكور)[٣] منذ بداية حياته، وكانت طفولته سعيدة وعلاقاته طيبة مع أقرانه في البيت وخارجه[٤].

تعلق الشاعر لأول مرة بوالدته، أحبته ورعته رعاية خاصة واعتزت به أمام الآخرين لفطنته وذكائه، بيد أن هذه السعادة والهناء لم تدم طويلاً، سرعان ما خطفت يد المنون والدته وهو في الرابعة من عمره، إذ وافاها الأجل وهي في ريعان الشباب عام ١٩٣٢م.

تعرض السياب إلى صدمة عنيفة هزت كيانه وعصفت به، وأحدثت شرخاً كبيراً في حياته، سببت له أضطراباً انفعالياً حاداً ويمكن اكتشاف ذلك من مضمون الرسالة التي بعثها إلى صديقه خالد الشواف[*] يشكو فيها حرمانه جاء فيها: (حرمت عاطفة الأمومة وأنا ابن أربع...)[٥].

ذهب علماء النفس إلى أن يحدث تغيرات عند الفرد تغير في شخصيته ونموه وإسقاطات أخرى يظل يعاني منها طيلة حياته. وفقدان الأم يسبب الكبت النفسي أي شعور الفرد أنه فقد شيئاً ويمكن تعويضه عن طريق استرجاع الصور بين الحين والآخر، وفعلاً استذكر بدر ملاكه المفقود وحبيبته الغالية التي ضمته إلى صدرها الدافئ، وراح يخاطبها قائلاً:

ويسألون الليل عنك وهم لعودتك في انتظار ؟
الباب تقرعه الرياح لعل روحاً منك زار
هذا الغريب !! هو ابنك السهران يحرقه الحنين[٦]

أماه ليتك ترجعين

ونتيجة لهذا الكبت، عاد إلى نفسه فاستذكر ذلك الوجه البهي والدته مرة أخرى وكتب قصيدة جسد فيها لوعته وحنينه إلى قنديله المجهول فقال:

وتدعو من القبر أمي بنّي احتضني فبرد الردى في عروقي
فدفء عظامي ربما قد كسوت ذراعك والصدر احم الجراح
جراحي بقلبك أو مقليتك ولا تحرمنّ الخطى عن طريقي[٧]

لم يستطع السيطرة على هذا الجرح الغائر في أعماقه، وشعر بمرارة الفراق وكلما ضغط على أحاسيسه، هاجت تداعيات عاطفته، لذا راح يحث خطى أحزانه ووقف على قبر والدته وخاطبه قائلاً:

فيا قبرها افتح ذراعيك
أني لآت بلا ضجة دون آه ![٨]

---

(٢) معجم الشعراء العراقيين د. جعفر صادق ج٢ – نجف – ٢٠٠٨: ٥٨.
(٣) المرأة في شعر السياب، فرح غانم صالح – ط١ – بغداد – ٢٠٠٨: ٩.
(٤) بدر شاكر السياب، الأعمال الكاملة – دار الحرية – بغداد – ٢٠٠٠: ٣٨٧.
(*) خالد الشواف، شاعر عراقي ولد في بغداد ١٩٢٤، راجع شعراء عراقيون، منذر الجبوري – ط١ – بغداد – الات: ٢١.
(٥) بدر شاكر السياب، عيسى بلاطه، ط٤ – دار الشؤون – بغداد – ١٩٧١: ٢١٨، ١٤٢.
(٦) بدر شاكر السياب حياته وشعره: ٢١٨.
(٧) م.ن، الآثار الشعرية الكاملة: ٤٦.
(٨) بدر شاكر السياب، الآثار الشعرية الكاملة: ٤٦.

تتزاحم الذكريات وتمر بخاطره فكلما اختلى مع نفسه، وكأنه يبحث عن شيء مفقود، قلب صفحات الأيام لعله يعثر على ابتسامة أمه التي لم ينس إطلالتها كل صباح، وكلما حجّم من هواجسه، ثار بركان بؤسه واكتوى بحسرة أنفاسه قائلاً:

أمـــاه ليتـــك لم تغـــيبي خلـــف ســـور مـــن حجـــار
لا بـــاب فيـــه لكـــي أدق ولا نوافـــذ في الجـــدار !
كيـــف انطلقـــت علـــى طريـــق لا يعـــود الـــسائرون[9]
مـــن ظلمـــة صـــفراء فيـــه كأنهـــا غـــسق البحـــار

وعن غدر الدهر الذي أنشب أظفاره في حياته، لم ينس صورة ذلك الوجه وتلك الرقة التي تفوح شذا، تذكرها في قصيدة (سهر) فقال:

لقـــد رضـــعوا مـــن الثـــدي الـــذي لم تبلـــه الأجيـــال
ونـــاموا في حمـــى الأم الـــتي لا يـــستوي الأطفـــال
ولا الأشـــياء إلا في حماهـــا في حمـــى تـــرب وظلمـــاء[10].

وظلت صورتها ترافق ظله أينما ذهب، وكلما مرت عليه ملامح أمه بين النساء تستقر لوعته ولم يتوقف هذا الشريط المأساوي في حياته واستنجد بماضيه قائلاً:

أفيـــــــــاء جيكـــــــــور أهواهـــــــــا
كأنهـــا انـــسرحت مـــن قبرهـــا البـــالي
مـــن قـــبر أمـــي الـــتي صـــارت اضـــالعها التعبـــى وعيناهـــا
مـــن أرض جيكـــور ترعـــاني وأرعاهـــا[11]

وسرعان ما اكتشف نوايا والده، قرر الزواج من امرأة أخرى، اكتملت دائرة الأحزان، وتكسر سلم الأمل، إذ لا أم تحنو عليه ولا أب يرعاه فكان معترضاً على هذا القرار، ضاق صدره، ولم ير أباه منذ ذلك الحين، ظل شبح الإهمال المخيف يطارده أينما اتجه وكل ما قاله:

أبـــي منـــه قـــد جـــردتني النـــساء وأمـــي طواهـــا الـــردى المعجـــل
ومـــالي مـــن الـــدهر إلا رضـــاك فرحمـــاك فالـــدهر لا يعـــدل[12]

وهنا شعر انه مهمل كما يهمل الطفل في بعض الأحيان وسط أسرته فأصيب بالإحباط النفسي الحاد. واصل دراسته الابتدائية في مدرسة (المحمودية) في أبي الخصيب وتخرج منها عام ١٩٣٨[13]. غير أن الأجواء ما عادت ملائمة له إذ رأى وجهاً عبوساً آخر لا يشبه وجهه ملاكه مما اضطره الهروب من البيت. لم يشعر بالراحة والاطمئنان النفسي، ظل قلقاً لا يعرف مصيره لولا تدخل جدته في الوقت المناسب إذ انتشلته من هذا الضياع وأنقذته من واقعه المتردي، غير أن الدهر ما زال يطارده خطف جدته وعاد إلى مأساته وكل ما فعله هو الوفاء، رثاها في الأبيات الآتية:

جـــدتي مـــن أبـــث بعـــدك شـــكوا ي ؟ طـــواني الأســـى وقـــلّ معـــيني

---

(٩) م. ن، الآثار الشعرية الكاملة: ١٤٤.
(١٠) م.ن، الآثار الشعرية الكاملة: ٣٢١.
(١١) بدر شاكر السياب، الأعمال الشعرية الكاملة: ١٢٣.
(١٢) م. ن، ج١- ٢ – ناجي علوش – دار العودة – بيروت - ١٩٧١: ١٤.
(١٣) م. ن – دراسة فنية – حسن توفيق – ط١ – بيروت – ٤٨: ١٩٧٩.

أنـت يـا مـن فتحـت قلبـك بالأمـ ـس لحـبي أوصـدت قـبرك دونـي
فقليـل علـيّ أن اذرف الدمـ ـع ويقـضي علـيّ طـول أنـيني[١٤]

ومع كل تلك الظروف الهادئة نسبياً، لم ينس جرح نفسه الذي ما زال طرياً. راح يستفيد ويسترجع ترحاب والدته وشفافية ابتسامتها وصدرها الحاني، وبفقدان جدته وزواج أبيه المتسرع، زاد همه وانطوى على نفسه والانطواء على النفس مرض نفسي يعاني منه العامة والخاصة قد يكون شديداً وقد يكون خفيفاً، ومع هذا تمكن السياب من الإفلات من قبضة الإخطبوط القاتل من خلال انخراطه في المدرسة الإعدادية في العشّار وواصل دراسته فيها ومع هذا نظام التعليم الإعدادي هو الآخر لا يسمح باختلاط الجنسين فللذكور مدارسهم وللإناث مدارسهن، ولم تسنح الفرص التعرف على الجنس الآخر غير أن جذوة الميل إلى النساء بدأت بالتطور وهي بداية عابرة مع (هويله) وهذه راعية غنم تكبره سناً غير أنها كانت جميلة شاهدها السياب وأعجب بفتنتها ووصفها قائلاً:

تـذكرت سـرب الراعيـات علـى الربـا وبـين المراعـي في الريـاض الزواهـر
ورنـات أجـراس القطيـع كأنهـا تنهـد أقـداح علـى ثغـر شـاعر
أقـود قطيعـي خلفهـم محـاذراً وانظـر عـن نحـو فيحـسر نـاظري[١٥]

ثم أردفها بقصيدة أخرى بعنوان (أغنية الراعي) وتألم لمرضها[١٦]. وهذه القصائد إنما هي نزوة عابرة ليس إلا ثم جاء دور (وفيقه) وله صلة بها، كانت شابة جميلة أحبها حباً عذرياً غير انه حزن لزواجها، وظل خيال ابنة الجلبي معلقاً في ذاكرته لأنه يشاهدها كل صباح عند ذهابه إلى المدرسة وكناها بـ (هند) [١٧].

لا نريد أن نطيل الكلام فالشاعر أراد أن يعزز من أساليب لقاءاته غير انه لم يحصل على شيء، إذ ظل فؤاده متعلقاً بوالدته في كل حين.

وبعد أن استمر في غربته في الخارج، زاد همه وماساته، لا سيما تنقله من مستشفى إلى آخر، ساءت صحته أكثر، إذ لا يمكن السيطرة على مرضه.

أما زوجته هي الأخرى أصابها نوع من الإحباط فكانت تعاني من مرض زوجها كل ذلك انعكس على حياتها، وعلى الرغم من ملازمة زوجها داخل وخارج العراق، صبرت وتحملت وكان صبرها جميلاً فهي ليست غريبة عنه وأوصاها بما يأتي:

إقبـال يـا زوجـتي الحبيبـة
لا تعـذليني مـا المنايـا بيـدي
ولـست، لـو نجـوت بالمخلـدِ
كـوني لغـيلان رضـى وطيبـة
كـوني لـه أبـاً وأمـاً وارحمـي نحيبـه[١٨].

لا يمكن للإنسان تحمل المواقف المؤثرة وهذا ما يفسر عدم القدرة على السيطرة على توجيهات الفرد لا سيما عند حالات المرض. ولا نهوض بعد فاجعة الموت. والأبيات الآتية توضح هذا المفهوم:

أيهـا الـثلج رحمـاك، إنـي غريـب

---

(١٤) م. ن: دراسة فنية – حسن توفيق – ط١ – بيروت – ٧٣: ١٩٧٩.
(١٥) م. ن: الأعمال الشعرية الكاملة: ٤٣٣.
(١٦) رسائل السياب – ماجد السامرائي – بيروت – ١٩٧٥: ٢٠.
(١٧) بدر شاكر السياب – حسن توفيق: ٥٢.
(١٨) إقبال زوجة الشاعر، واسمها إقبال طه عبد الجليل، خريجة دار المعلمات في البصرة، راجع رسائل السياب، ماجد السامرائي – بيروت في ١٥٢: ١٩٧٥.

في بـــلاد مـــن الـــبرد والجـــوع ســـكرى
إن لـــي منـــزلاً في العـــراق الحبيـــب
حبيـــبتي فيـــه تعلـــك صـــخرا[19]
آه، لـــولاك يـــا داء مـــا عفـــت داري

وأخيراً توقف قلب بدر عام ١٩٦٤ في الكويت.

وصف الناقد جبرا إبراهيم جبرا حياة الشاعر داخل أسرته انه عاش مأساة درامية كبيرة. ما زلنا نتذكر فصولها كلما غادرت أسراب الطيور الجنوبية.

أن الهزات النفسية عند الأفراد، تولد شحنات ذاتية خفية لا يمكن التصدي لها، لذا لجأ السياب التعبير عنها وإفراغها في فنه الشعري.

مما تقدم يتضح، أن الأحداث التي عاشها الشاعر داخل أسرته ليست أحداثاً عابرة إنما هي مؤثرة لا يمكن تجاوزها، وظل اليأس يحفر في أنفاسه حتى الرمق الأخير.

إن كثرة الأمواج النفسية المتصارعة تترك بصماتها على حياة الإنسان وحينما تتزايد شراستها تولد شحنات قاسية لا يمكن الوقوف أمامها وهذا ما حدث لبدر.

أما معاناته الذاتية وحبه وشوقه وميله إلى النساء إنما هي بدايات لخوض غريزة النفس البشرية وميلها الطبيعي إلى الجنس الآخر وهذه ولدت فورات مؤثرة ظلت تغلي داخل النفس وهذا ما كان يعانيه السياب في تجاربه العاطفية الأولى وهي تجارب عفوية ظلت خيوطها معلقة في ذاكرته.

المحور الثاني / عذابات السياب خارج أسرته:

الانطلاقة الجديدة في حياة بدر، انتقاله إلى العاصمة بغداد وإكمال دراسته في دار المعلمين العالية، ومدينة بغداد تختلف عن محافظة البصرة من حيث السعة والحداثة وتوفر فرص اللهو، إنها بيئة غريبة عنه تحتاج إلى وقت للتكيف عليها، وأجواء دار المعلمين غير مألوفة عند بدر، فالتعليم فيها مختلط[20] وهو قريب من التعليم الجامعي اليوم.

الشيء اللافت للنظر، ان دار المعلمين في كل عام تنظم مهرجانات ومواسم ثقافية وأدبية لطلبتها، هذه الأجواء استقطبت اهتمام الشاعر واسهم فيها بشكل مباشر، وفتحت أمامه أضواء الشهرة، ربما هذه الأنشطة والممارسات الجديدة أسهمت إلى حد ما في نسيان الماضي، والنسيان قد يكون مفيداً وقد يكون ضاراً في أحيان أخرى فاستثمار الفرص وعقد اللقاءات الاجتماعية لعلها خففت بعضاً من معاناته وهذا ما فعله حقيقة ومكان اللقاء الأول مع طالبة تكبره سناً في الصف المنتهي اسمها (لبيبة).

تعرف عليها الشاعر من خلال الأنشطة تلك، شاركت (لبيبة) الشاعر في أوقاته وكانت تحبه وترحب به وتبتسم له، وشدها إليه أكثر أناقتها وجمالها المفرط وكان هناك نوعاً من الحرية في ارتداء الملابس واختيار الألوان غير أن التبرج ممنوع.

والمعروف عن الطالبات يتنافسن في المظهر الخارجي والاهتمام به، جذبت (لبيبة) بدراً وقويت العلاقة بينهما حتى إن الشاعر سماها (ذات المنديل الأحمر) يبدو أنها ترتدي منديلاً أو وشاحاً بهذا اللون وأشار إليها في بعض قصائده قائلاً:

(١٩) بدر شاكر السياب – الأعمال الكاملة – دار الحرية – ط٣ – بغداد – ١٣٦ : ٢٠٠٠.
(٢٠) بدر شاكر السياب – دار الحرية – بغداد – ٢٠٠٠ : ٣٨٥.

وتلـك... لأنهـا مـن العمـر اكـبر، أم لأن الحـسن أغراهـا
بـأني غـير كـف خلفـتني كلمـا شـرب النـدى ورق
وفـتح بـرعم مقلتهـا وشممـت ريّاهـا ؟
وأمـس رأيتهـا في موقـف للبـاص تنتظـر
فباعـدت الخطـى، ونأيـت عنهـا، لا أريـد القـرب منهـا[٢١]

لا ندري لماذا هذا النأي والعزوف عنها ؟ ربما لموقف حدث بينهما لم يذكره الشاعر في هذه الأبيات غير أن الإشارة واضحة.

تخرجت (لبيبة) ولم يعرف مصيرها، وانقطعت العلاقة بينهما[٢٢]، لم تترك بصمة واضحة في حياة الشاعر إنها مجرد صداقة عابرة.

نظم الشاعر ثلاث قصائد في ذات المنديل الأحمر وكلها على نغمة ومعنى واحد. هي (أغرودة، سأرها غداً، وخيالك) ومطلع هذه القصائد هي:

كفـى طرفـك اليـوم إن غـردا بقلـب جفـا الحـب واسـتكبرا
أراهـا غـداً، هـل أراهـا غـداً ؟ وأنـسى النـوم أم يحـول الـردى
لظلـك لـو يعلـم الجـدول علـى العـذب مـن مائـه منـزل[٢٣]

لم تمض مدة من العزلة والابتعاد عن الأضواء عاود علاقته وتعرف على طالبة جديدة اسمها (ديزي الأمير) وهذه شاعرة، وصفها بالاقحوانة لشفافية رقتها ثم تركها السياب لعدم جدوى العلاقة معها ولعل السبب المباشر في إنهاء العلاقة، اختلاف العادات والتقاليد بينهما، غير انه تأثر لوفاتها[٢٤] فيما بعد.

عاد بدر لنفسه واستذكر ذات المنديل الأحمر ولقصر مدة العلاقة معها، ما زالت في خاطره وظل طيفها يراوده في جميع الأوقات قائلاً:

مـشى العمـر مـا بيننـا فاصـلاً فمـن لـي بـأن أسـبق الموعـدا[٢٥]
ولكنـه الحـبُّ منـه الزمـان ثـوان، وممـا احتـواه المـدى
أراهـا فـانفض عنهـا الـسنين كمـا تـنفض الـريح بـرد النـدى

حاول السياب أن يجرب حظه مرة أخرى، فتعرف على الهوى البكر (لمعان البكري) وهذه ذات أساليب شيطانية في المراوغة، لم يكشفها بدر في بداية الأمر، وكانت تهدف من وراء سماع قصائد الشاعر إرضاء لغرورها، ثم أحس إنها لا توده فتركها.

وفي تجمع طلابي انجذب إلى ذات الصوت الطروب (اليس) وهذه مسيحية الديانة تشير المصادر إلى أن السياب أعجب بها وحاول التقرب منها، غير إنها عاملته بأسلوب جاف يختلف عن مثيلاتها، كانت ثقيلة في تصرفاتها حتى في ابتسامتها، ويرى بدر انها لو تبسمت لحولت حياته إلى نعيم كما صرح في الأبيات الآتية:

تـأبى الـيس علـيّ أن تبتـسما فـترد قلـبي هانئـاً منعمـا
يا صوتها الطروب الحنون ولا أدري إنـي سمعـت أرق منـه وأرخمـا

(٢١)بدر شاكر السياب – دار الحرية – بغداد – ٢٠٠٠ : ٣٣٣.
(٢٢) ديوان الشعر العربي في القرن العشرين – راضي صندوق – ج١ – ط١ – بيروت – ١٩٩٤ : ٣٤٣.
(٢٣) بدر شاكر السياب – دار العودة: ٤٢٠- ٤٢٤- ٤٩٤.
(٢٤) رسائل السياب – ماجد السامرائي – ط١ – بيروت – ١٩٧٥ :
(٢٥) بدر شاكر السياب: الأعمال الكاملة: ٤٣.

لـو عاشـق دنـف سـواي أحبهـا مثلـي تركـت لـه الهـوى فتنعمـا[٢٦]

لم يتوقف اندفاع السياب نحو المرأة إنما ظل يحوم في ميدانها، تعرف على طالبة اسمها (مادلين) وهذه[٢٧] لها ميول شعرية غير أنها يهودية الديانة. بعد أن عرف ديانتها قطع علاقته بها.

آما علاقته بالكاتبة البلجيكية (لوك نوران) والممرضة (ليلى) جاءت مصادفة، فالأولى جاءت إلى لبنان وترجمت بعض أشعاره، غير أن فتنتها هي التي جذبت بدراً إليها، وليلى ممرضة تعمل في المستشفى وهي ملاك في الحسن والرشاقة، أراد أن يتزوجها فعلاً غير أن حضور زوجته إلى المستشفى افسد عليه كل شيء[٢٨].

هناك نقطتان مهمتان هما:ـ

الأولى: إن تعدد التجارب العاطفية عادة ما يكون فاشلاً لأنها لا أساس متين لها والميل إلى هذه أو تلك يأتي من باب الإعجاب، وهذا ما يحصل عادة في المجتمعات الطلابية.

والثانية: تعدد الأساليب النسوية تجاه الرجال كثيرة فيها ما يجذب عن قصد لغرض قضاء الوقت وإمتاع النفس واللهو الفارغ ومنها ما لا يجذب وهذه قد تكون ارحم من الأولى من حيث الخطورة وسرعان ما تصاب الأساليب الخبيثة بخيبة أمل وتفشل هي الأخرى.

ومسلسل التعامل مع المرأة ما زال يعرض أمام بدر، غير أن القناة هذه المرة توقفت عن محطة (لميعة)[*] التي أطلق عليها (الإمبراطورة) وهناك مشتركات واختلافات بينهما، المشتركات الشعر فكلاهما شاعر وهما من المنطقة الجنوبية وينتميان[٢٩] إلى الحزب الشيوعي العراقي، فبرنامجهما واحد، وهذا يتطلب تعدد اللقاءات حتى أنه دعاها لزيارة قريته (جيكور) ولبت الدعوة.

والاختلافات إن لميعة من عائلة برجوازية كبيرة وبدر من عائلة متوسطة الحال، وهي صابئيه الديانة وبدر مسلم وإنها جميلة جداً وبدر لا يتمتع بهذه الصفة لم يكن وسيماً ومن باب الطرفة وفي يوم المقابلة في الدار شاهدته طالبة اسمها (نهاد) راحت تتهامس مع زميلاتها وقالت لإحداهن انظروا هذا طالب من الصين[٣٠]. فأجابها:

جئـــت مـــن أقـــصى الـــبلاد كـــي أرى وجـــه نهـــاد[٣١].

وانقطعت العلاقة بينهما غير إنهما استمرا في نظم الشعر.

وأشار إلى هذه العلاقة في بعض قصائده منها:

سأهواك حتى تجف الادمع في عيني وتنهار أضلعي الواهية[٣٢].

وقال:

ذكرتك يا لميعة والدجى ثلج وأمطار[٣٣]

---

(٢٦) م. ن: ٤٨

(٢٧) شعر بدر شاكر السياب – حسن توفيق: ١٣٨- ١٤٦.

28 بدر شاكر السياب – حياته وشعره – عيسى بلاطة: ١٣٦.

(*) لعلها الشاعرة لميعة عباس عمارة، ولدت عام ١٩٢٩ في بغداد، راجع شعراء عراقيون: ١٣٤.

(٢٩) شعر بدر شاكر السياب – حسن توفيق: ١٤٨.

(٣٠)شعر بدر شاكر السياب – حسن توفيق: ٥٦ – ٥٧.

(٣١) شعر بدر شاكر السياب – حسن توفيق: ١٤٨.

(٣٢) بدر شاكر السياب – الأعمال الشعرية: ٨٥.

(٣٣) م. ن: ٨٠.

وبعد أن فشل في جميع تجاربه العاطفية لجا إلى العمل السياسي وهو هروب واضح من واقعه المتردي وتراجع النمو العاطفي عنده ومشى في طريق لا يعرف أين نهايته؟ انظم إلى الحزب الشيوعي عام ١٩٤٦ وربما قبل ذلك، أراد بذلك أن يحقق أمرين هما: -

أولاً: نسيان الماضي ومآسيه.

ثانياً: التعويض عن فرص جديدة لجذب الأنظار إليه لأنه يحب الشهرة. فتعرض إلى مواقف قاسية أنسته حياته، عذب وفصل وتوقف وطرد إلى غير ذلك من نتائج العمل السياسي، يصف المرحلة التي عاشها قائلاً:

وعلـــــــــى الرصـــــــــيف
جوعـــان يبحـــث عـــن رغيـــف
والـــشارع الممتـــد يزخـــر بـــالجموع
مـــــن ثـــــائرين مزمجـــــرين
فليـــــــسقط المـــــــستعمرون
يـــا... يـــسقط المـــستعمرون[٣٤]
ودفاعه عن ؟؟؟؟ وتأثره بهم فقال:
من ليس لديه من الجاسوسية جذور
لا يتهم بالتجسس، الناس الواعين
والـــذي ينبعـــث منـــه نـــتن الخيانـــة
يفتري على المناضلين إنهم خائنون[٣٥]

وعلى الرغم من خوض تجربة العمل السياسي وتنقله في الوظائف لم تلمس انه مارس الحب الحقيقي إنما هو حب من طرف واحد، حب الحياة، وظل يعاني من الفراغ الاجتماعي.

مما تقدم يتبين أن الشاعر سلك مسلكين تجاه المرأة:

الأول: التصريح بأسماء من عقد معهن علاقة أو صداقة عابرة كما مر في ثنايا البحث.

والثاني: الرمز، أي ما كان يخفي شيئاً في نفسه، فهو يرمز إلى المرأة فقط ورمزه جاء شاملاً لجوانب الحياة عامة. لذلك اعتمد على أسماء وردت في شعره منها عربية وأخرى أجنبية منها (ميدوزا، أوديب، جوكست، افروديت، فاوست، هيلين، تموز، عشتار، ... الخ) وما هذه الأسماء إلا تعبير عن سعة إطلاعه وثقافته وأما تطعيم شعره بهذه الأسماء لدورها التاريخي وربما يقصد بها الإشارة إلى ماضيه.

وأخيراً نقول: إن السياب لم يكتو بنار الحب الحقيقي، إذ لم يخوض تجربة عاطفية صادقة وما مرَّ به مجرد علاقات وصداقات سطحية فرضتها طبيعة العلاقة الثقافية والدراسية. ومثل هذه الصلات عادة ما تكون فاشلة لا تسفر عن شيء انه حب عذري بريء. وجاء التعويض عن طريق عقد الصلات وإقامة العلاقات أو بالعمل السياسي وهذا ما فعله السياب في حياته.

عذابات الشاعر الخارجية لم تتوقف ومحطات الوجع ظلت تراوده في كل لحظة تركت بصماتها على نفسه وانعكست أثارها على شعره فيما بعد.

المصـــادر

- أدب المرأة العراقية، بدوي احمد طبانه، دار العلم القاهرة - ١٩٤٨.

(٣٤) رسائل السياب – ماجد السامرائي – بيروت – ١٩٧٥: ٨٥.
(٣٥) م. ن: ٦٨.

- بدر شاكر السياب – حياته وشعره – عيسى بلاطه – ط١ – دار الشؤون – بغداد – ١٩٧١.
- بدر شاكر السياب – دراسة في حياته وشعره – إحسان عباس – بيروت – ١٩٦٩.
- ديوان بدر شاكر السياب – م١- ٢ – ناجي علوش – دار العودة – بيروت – ١٩٧١.
- ديوان الشعر العربي في القرن العشرين – راضي صندوق – ج١ ط١ – القاهرة – ١٩٩٤.
- رسائل السياب – ماجد السامرائي – دار الطليعة – بيروت – لات.
- السياب – عبد الجبار عباس – دار الشؤون الفنية - بغداد لات.
- شعر بدر شاكر السياب – دراسة فنية وفكرية – حسن توفيق – الموسوعة العربية – بيروت، ١٩٧٩.
- شعراء عراقيون – منذر الجبوري – ط١ – بغداد لات.
- صورة المرأة في الأدب العربي – د. داود سلوم – حلقة دراسية – بغداد، ١٩٧٨.
- الغزل – لجنة من أدباء العرب – دار المعارف – القاهرة لات .
- المرأة في الشعر الجاهلي – د. علي الهاشمي – ط١ – بغداد، ١٩٦٠.
- المرأة في شعر السياب – فرح صالح – دار الشؤون الفنية – ط١ – بغداد، ٢٠٠٨.
- معجم الشعراء العراقيين – د. جعفر صادق – ج٢ – نجف، ٢٠٠٨.

موقف الحوزة العلمية من القضايا القومية

بين عامي١٩٢٥ـ ١٩٥٦

م.م. احمد باقر علوان الشريفي

المقدمة :

تعد الحوزة العلمية في مدينة كربلاء والنجف الاشرف من الحوزات التاريخية ولها مكانتها الدينية والسياسية ليس في العراق فحسب وإنما في الوطن العربي والعالم الإسلامي.

ولا أريد هنا ان أتحدث عن هذه المؤسسة الواسعة وعن تاريخها الطويل وإنما اخترت موقف هذه المؤسسة من بعض القضايا القومية وتأثيرها في الحركة السياسية بشكل بسيط جدا.

حيث قسم البحث على أربعة مباحث تناول المبحث الأول الموقف من الثورة السورية الكبرى وتطرق المبحث الثاني للعلاقات بين الحوزة العلمية مع إمارة الاحواز العربية. وعرج المبحث الثالث على قضية الريف المراكشي في المغرب ومساندة المدن المقدسة لهذه القضية وبين المبحث الرابع الموقف المشرف للحوزة من قضية العرب الكبرى قضية فلسطين.

اعتمد البحث عدداً من المصادر كان أهمها مخطوط الدكتور حسن عيسى الحكيم، (مفصل تاريخ مدينة النجف). وبعض الكتب القيمة وعدداً من الصحف والمجلات العراقية.

ان الهدف من هذه الدراسة هو عرض للأحداث والمواقف السياسية الوطنية المباركة البارزة التي كانت تنطلق من أروقة الحوزة المباركة في المدن المقدسة ومساندة رجال الدين في العراق لكل إخوانهم المسلمين في العالم العربي.

وأرجو ان أكون قد وفقت في بحثي ليكون ذلك أسهاما متواضعا في كتابة تاريخ هذه المؤسسة الدينية العملاقة.

المبحث الأول : **موقف الحوزة العلمية من الثورة السورية الكبرى عام ١٩٢٥.**

كان من ابرز الأهداف التي يشهدها الشعب العربي في سوريا بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى بناء دولة مستقلة في سوريا. وكانت الظروف ملائمة لقيام مثل هذه الدولة إذ أن المجتمع العربي في سوريا كان يحظى بقسط كبير من الوعي الوطني والقومي والثقافة والتقدم يمكنه من إدارة شؤونه بنفسه غير ان الدوائر الاستعمارية وفي مقدمتها فرنسا حالت دون تحقيق الهدف المذكور. فبعد معركة ميسلون (١٤- تموز

١٩٢٠)[١].

فرضت فرنسا بالقوة احتلال دمشق حيث فرض عليها في (٢٤- تموز١٩٢٢) الصفة القانونية للاحتلال الفرنسي، الذي كان احد الأسباب الرئيسية التي عملت على اندلاع الثورة السورية الكبرى[٢].

وقف العراق الى جانب شقيقته سوريا ملكا وحكومة وشعبا. فقد كان الموقف الرسمي متمثلا بالملك فيصل الذي لم تشغله مشاكل العراق وظروفه الداخلية عن مواصلة دعمه للقضية السورية[٣].

وعند اندلاع الثورة السورية الكبرى دعمتها الحكومة العراقية دعما ماليا و عسكريا بصوره سريه. كما وقفت الأحزاب السياسية العراقية وقفة مشرفه في مساندة الثورة السورية واستنكار الممارسات التعسفية للسلطات الفرنسية في سوريه[٤] أما موقف الحوزة العلمية في النجف وكربلاء المقدسة، فقد كان للروح القومية والتمسك بالديانة الإسلامية المغروسة في مشاعر الشعب العراقي الدور الأول في مساندة كل الحركات التحررية العربية وقد كانت سورية في مقدمة الأقطار التي جاهد العراقيون لمساعدتها وكانت مساعدتهم يوم ذاك تتم عن طريق إعلان الفتاوى الدينية وإقامة المظاهرات وتقديم الاحتجاجات ونشر المقالات وجمع التبرعات وغير ذلك.

وحالما وصلت الى العراق إنباء الثورة السورية الكبرى ومن ثم قيام السلطات الفرنسية بقصف دمشق اضطربت الجماهير في العراق. فقامت في بغداد المظاهرات الصاخبة وعقدت التجمعات الضخمة في جامع الحيدر خانه حيث أقيمت صلاة الغائب على أرواح شهداء الثورة السورية وألقيت في هذا التجمع القصائد والخطب الحماسية لإثارة همم العراقيين تجاه إخوانهم في سوريه، كما انتخب المجتمعون لجنه مؤلفه من خمسة عشر شخصا كان الشيخ جعفر الشبيبي احدهم[٥] لغرض تقديم الاحتجاجات الى قناصل الدول الأجنبية في بغداد[٦] لم تقتصر هذه التجمعات و تأليف اللجان على مدينة بغداد لوحدها بل شملت الكثير من مدن العراق، ولم تشأ الحوزة العلمية في كربلاء والنجف الاشرف أن تتأخر عن أداء هذا الغرض المقدس الشريف فتم تاليف لجنه لجمع التبرعات لإسعاف منكوبي سوريا يرأسه عباس الكليدار[٧]

وبلغ مجموع ما تم جمعه من التبرعات في مدينة النجف الاشرف وحدها أكثر من (٦٥٣) ربيه[٨].

وكان الكتاب والشعراء والمثقفون في كربلاء و النجف الاشرف قد وقفوا إلى جانب الشعب السوري متضامنين مع رجال الدين في المؤسسة الدينية ضد الاستعمار الفرنسي فكتبت جريده النجف في العدد (٦٨) في (٧ كانون الثاني ١٩٢٧) مقالة افتتاحيه كبيره بعنوان ((العواطف الوطنية السامية لتضميد جراح الإنسانية

١- في (١٤- تموز١٩٢٠) وجه الجنرال الفرنسي غورو إنذارا شديد اللهجة الى الملك فيصل الأول وعلى الرغم من قبول الملك فيصل وحكومته هذا الإنذار إلا أن ذلك لم يوقف زحف غورو وإصراره على احتلال دمشق حيث جرت معركة ميسلون التي انتهت باحتلال القوات الفرنسية لدمشق وإنهاء الحكم العربي فيها

٢- كان من أسباب اندلاع الثورة السورية الكبرى فرض الانتداب الفرنسي بالقوة، العسكرية المباشرة وسوء الإدارة الفرنسية، وخنق حرية التعبير والرأي. انظر: سلامه عبيد، الثورة السورية في ضوء وثائق لم تنشر، (بيروت/١٩٧١) ؛ إحسان هندي ؛ كفاح الشعب السوري، (دمشق/١٩٦٢) ذوقان قرقوط ؛ تطور الحركة الوطنية في سوريا (١٩٢٠- ١٩٢٩)، (بيروت/١٩٧٥).

٣- انظر صباح مهدي ويس الدليمي، الثورة السورية الكبرى وموقف الرأي العام العراقي منها (١٩٢٥- ١٩٢٧) رسالة ماجستير غير منشوره مقدمه إلى كلية الآداب/جامعة بغداد/١٩٨٩، ص١٦٢- ١٦٥.

٤- صباح مهدي ويس الدليمي، المصدر السابق، ص١٦٦- ١٦٧.

٥- اما باقي الاعضاء منهم، نعمان الاعظمي، جعفر ابو التمن، عبد الحميد كنه، ياسين الخضيري، عبد اللطيف حلمي، شقيق ثوري، قاسم العلوي، عبد الغفور البدري، داود السعدي، احمد سمينه، ابراهيم حلمي، صادق حبه، علي محمود، مجيد مكيه، جريدة العراق (١٣- تشرين الاول ١٩٢٥).

٦- جريدة العالم العربي ؛(٣٠ تشرين الاول ١٩٢٥).

٧- جريدة النجف، ١٤- ٢٧ كانون الثاني ١٩٢٧.

٨- المصدر نفسه.

المتألمة - جروح سوريا الدامية)) تطرقت فيها الى نكبة سوريا ومعاناتها من الاستعمار الفرنسي التي لا يهونها عزاء ولا مواساة ودعت أبناء العروبة بتقديم الدعم للثورة السورية عن طريق تقديم التبرعات الى لجنة إسعاف منكوبي سوريا في كربلاء والنجف الاشرف أو عن طريق أي مكان آخر[٩].

كما استقبلت جماهير مدينة كربلاء والنجف بترحيب بالغ وفد الثورة السورية الذي زار المدن العراقية المقدسة لجمع التبرعات لإعانة المنكوبين، والذي كان برئاسة حسن الحكيم، وعضويه كل من عبد اللطيف حسين العسلي، والشاعر محمود الشريف، عبد الرحمن الشهبندر، حيث حلوا ضيوفا على رئيس البلدية واستمرت مدينة كربلاء تتابع باهتمام بالغ أخبار الشعب العربي في سوريا حتى تحقق جلاء القوات الفرنسية في (١٩٤٦)[١٠].

المبحث الثاني : علاقة الحوزة العلمية بأمارة الأحواز.

تعود صلات المدن المقدسة (كربلاء النجف) بأمارة الأحواز وسكانها العرب منذ أواخر القرن التاسع عشر، حيث كانت تربطهم مع هذه المدن علاقات وثيقة بحكم الصلات الدينية العليا، فكان اتصالهم بالنجف وكربلاء المقدسة مستمرا باعتبارهما مركزي المرجعية الدينية العليا وبحكم هذا المركز كانت الاحواز ومدنها في حاجه دائمة لاستبيان رأي الحوزة العلمية في الكثير من القضايا التي تمر بها بما فيها السياسية.

ولكن عدم استجابة الشيخ خزعل عام (١٩١٤) لفتاوى الجهاد التي صدرت في كربلاء ضد البريطانيين لاعتقاده بان رجال الدين كانوا يعملون تحت ضغط من الحكومة العثمانية وان التزاماته تجعله يقف على الحياد قد ولد القطيعه بينه وبين النجف وكربلاء حتى ان الشيخ عبد الكريم الجزائري كتب له يقول ((لقد فرق الإسلام بيني وبينك)) بسبب عدم استجابته لنداء الجهاد[١١].

حاول الشيخ خزعل استرضاء رجال الدين في كربلاء والنجف وتبرير موقفه ولكن دون جدوى حتى عام (١٩١٨) بعد فشل ثورة النجف وصدور أحكام الإعدام والنفي بحق أبطالها وكان منهم السيد محمد علي بحر العلوم والشيخ محمود اجواد الجزائري حيث حكم عليهما بالإعدام ثم أبدل الحكم إلى النفي إلى الهند ولكن تدخل الشيخ جعفر وتوسطه لدى البريطانيين جعلهم يوافقون على إقامتهم عنده في المحمرة وفي محاوله منه لنيل رضا رجال الدين عنه وإصلاح ما قد سبق منه لكنه لم يكن موفقا في مسعاه حيث ظهر ذلك واضحا عندما رشح نفسه لعرش العراق فلم ينل تأييد النجف التام واستمر الفتور في العلاقات بين الحوزة العلمية الدينية والشيخ خزعل حتى عام (١٩٢٥) حينما غدر رئيس الوزراء الإيراني رضا خان به واحتل الإمارة وبدأ التيار المعادي للقومية العربية بإزالة كل اثر عربي في المنطقة عن طريق كل الروابط التي تربط الاحواز بالوطن العربي الام.

عند ذلك استغاث عرب المنطقة بإخوانهم في العراق ولكن لا من مغيث، فولوا وجوههم نحو الحوزة العلمية يستصرخون رجال الدين للتدخل في أمر تلك الإجراءات فوصلت النجف برقيه من علماء الدين في مدينة الاحواز[١٢]موجهة إلى رجال الدين في الحوزة العلمية قالوا فيها ((أن علماء وسادات عرب استان يشكون أحوالهم من ضغط أمراء الدولة الإيرانية الذي كان يقضي على العرب فاضطروهم إلى الهجرة عن الأوطان مشتتين أيدي سبأ وقد هتكت منهم كل حرمه وأخذت الأموال بلا حق فلا مانع يمنعهم ولا قانون

٩- جريدة النجف، ١٤- ٢٧ كانون الثاني ١٩٢٧.

١٠- حسن الحكيم، مذكراتي صفحات من تاريخ سوريه الحديث (١٩٢٠- ١٩٥٨). (بيروت، دار الكتاب الجديد، ١٩٦٥)، ص ٣٨٣.

١١- جعفر الخليلي، هكذا عرفتهم، ج١، ص ٣٧٣- ٣٧٤.

١٢- ومنهم عبد المحسن الخاقاني، عبد الحميد بن عباس الخاقاني، سعيد بن هاشم، علوان بن سيد شرف، عبد الله الحاج صلبوخ، منصور بن عباس، جاسم بن الحاج ناصر...

يدفعهم والباقون يستغيثون طالبين المساعدة الاسلامية)) [١٣].

وقفت المؤسسة الدينية الشيعية مع الشعب العربي في الاحواز في محنته ضد الحكومة الإيرانية حيث تشكلت شبه جمعية برئاسة الشيخ هادي آل كاشف الغطاء لمناصرة الشعب العربي في الاحواز، وقدمت مذكرة الى عصبة الأمم طالبت فيها بإجراء استفتاء في المنطقة لمعرفة رأي الشعب العربي في الاحواز فيما يخص الانضمام إلى إيران او الانفصال عنها[١٤]

وذكر الشيخ جعفر محبوبه بأن الشيخ محمد رضا بن الشيخ هادي آل كاشف الغطاء قد عمل جاهدا على ألحاق الاحواز العربية إلى العراق على اعتبار انها جزء منه، وقدم بذلك تقريرا مسهباً لمجلس عصبة الأمم، وراجع في ذلك الكثير من الشخصيات السياسية، إلا أن الأجل المحتوم لم يمكنه من الاستمرار في مهمته القومية [١٥].

واستمرت المدن المقدسة في التنديد بالاحتلال الإيراني في كل مناسبة وعند وفاة الشيخ خزعل في معتقله في طهران في (٢٦- مايس- ١٩٣٦) حاول أولاده نقل جثمانه إلى النجف الاشرف ليدفن في مقبرة الأسرة، إلا أن رضا شاه رفض ذلك فدفن في طهران لمدة ستة عشر عاما حتى سمحت الحكومة الإيرانية بنقل جثمانه عام (١٩٥٥) إلى مقبرة الأسرة في وادي السلام وعند وصول الجثمان إلى النجف كان في استقباله قائم مقام النجف ورئيس البلدية ووجوه النجف والأعيان ووزع منشور بين الناس يدعوهم لحضور مراسم التشييع[١٦] ويتحدث عن مواقفه الوطنية وقد أغلقت الأسواق، وانتظم رجال الدين والأهالي في مسيرة وأطلقوا الأهازيج الشعبية وهم يشيدون بعروبة الشيخ خزعل ونضاله[١٧].

المبحث الثالث : الموقف من ثورة الريف في المغرب.

قسم المغرب قبل الحرب العلمية الأولى على ثلاث مناطق الأولى منطقة نفوذ فرنسي وتشمل مراكش، والثانية منطقة نفوذ أسباني مركزها تطوان، والثالثة طنجه التي بقيت تحت الإدارة الدولية.

وقد تصدى الشعب العربي في المغرب للغزو الأجنبي وتحدى قرارات التقسيم وأعلن رفضه لها وتمسكه بمبدأ الحفاظ على الوحدة والاستقلال. فبعد إعلان الحماية في (آذار ١٩١٢) حدثت في المغرب ثورة عارمة في (١٧ نيسان ١٩١٢) وامتدت إلى مختلف أنحاء البلاد. وبعد الحرب العالمية الأولى اندلعت الثورة مجدداً في اعنف صورها في عهد الأمير محمد عبد الكريم الخطابي الذي نجح في قيادة حركة المقاومة المسلحة وتعبئة الجماهير للكفاح حتى بدأت ثورة الريف تأخذ أبعادا سياسية وتنظيمية في داخل البلاد بحيث تجاوزت المقاومة العسكرية إلى محاولة بناء دولة حديثة تمثلت بجمهورية الريف. أدى هذا الحدث إلى التحالف الفرنسي الاسباني الذي تمّ ما بين (١٩٢٥ — ١٩٢٦) وترجيح كفة المستعمرين فأدى ذلك إلى سقوط جمهورية الريف واستسلام الأمير عبد الكريم الخطابي[١٨].

وقف الشعب العراقي إلى جانب الشعب العربي في المغرب، وخصوصا أبناء مدينة كربلاء والنجف الاشرف في جهاده ضد الفرنسيين والأسبان، فقد كان لفرض فرنسا حمايتها على مراكش صدىً واضحاً في أرجاء الحوزة العلمية حيث شاع التذمر وأقيمت المظاهرات الاحتجاجية لنصرة مراكش، ألقيت فيها

١٣- مصطفى عبد القادر النجار، التاريخ السياسي لإمارة عرب استان، ١٨٩٧- ١٩٢٥ (القاهرة، دار التعارف، ١٩٧١)، ص ٢٥٤.
١٤- حسن عيسى الحكيم، مفصل تأريخ مدينة النجف، مخطوط لدى مؤلفه في النجف ورقه ٣٦١- ٣٦٢.
١٥- جعفر محبوبه ماضي النجف وحاضرها، ط٢، (النجف/ مطبعة الأدب، ١٩٥٨)، ص٢٥٤.
١٦- إنعام مهدي علي السلمان، حكم الشيخ خزعل في الاحواز، ١٨٩٧- ١٩٢٥، (بغداد/١٩٨٥)، ص ١٨٤- ١٨٦.
١٧- حسن عيسى الحكيم، المصدر السابق، ورقه ١٦٢.
١٨- إبراهيم خليل أحمد، تاريخ الوطن العربي الحديث والمعاصر، (الموصل / ١٩٨٨)، ص٢٣٢.

الخطب والكلمات والقصائد المعبرة عن رفض الشعب العراقي لأعمال فرنسا واسبانيا في المغرب، وقد استمرت مدينة النجف وكربلاء تؤيد نضال الشعب العربي في المغرب إلى ما بعد ثورة العشرين[١٩].

وقد نشرت جريدة النجف مقالاً تحت اسم مستعار فضحت فيه أساليب فرنسا الوحشية في التعامل مع أبناء الشعب العربي في المغرب حيث تقول : (أي ذنب جناه إخواننا الريفيون غير قيامهم ودعوتهم لتحرير أنفسهم من رقّ عبودية الأسبان لهم ولا يكادون يزيلون الأسبان عنهم حتى قامت عليهم فرنسا الزاعمة إنها أعظم الدول تحدثاً ورقياً وانتصارا للإنسانية ودفاعا عنها بل هي الوحيدة بذلك بزعمها، فحملت على الريف بكل ما تملك من حول وطول وآلات وغازات وسموم حتى شقت البطون وقتلت الأطفال...)[٢٠]

كما نشرت الجريدة نفسها في (١٨ حزيران ١٩٢٦) قصيدة للشيخ ورجل الدين محمد علي اليعقوبي بعنوان " بطل الريف " حيّا فيها الزعيم المغربي عبد الكريم الخطابي ونضاله الطويل ضد فرنسا واسبانيا حيث يقول :

يا بطل الريف عليك السلام ... في الحرب والسلم رعيت الذمام
رضيت بالعهد وصنت الحمى ... ان الوفا بالعهد فرض لزام
أنبأنا البرق بان العدى ... قد ادركت منك المنى والمرام
يا أسد الحرب ومقدامها ... كيف استباح القوم منك الاجام[٢١]

وفي قصيدة اخرى عكس الشاعر الروح القومية التي تملكت العراق حينما وصلت أخبار المقاومة العربية لمجاهدي الريف في المغرب فراح يكسب ذلك الشعور متمنيا مشاركتهم في جهادهم والاستشهاد على ارض المغرب، معبرا بذلك عن وحدة المصير العربي حيث يقول :

أحبائي على الريف ... لقد حن لكم قلبي
أعدتم سالف المجد ... وقمتم عنه للذب
وقفتم في ميادين ... الوغى جنباً الى جنب
إلا يا ليتني معكم ... لا قضي في الوغى نحبي[٢٢]

كما كتب من شعراء النجف ومن رجال الحوزة العلمية الكثير من القصائد في نصرة الشعب العربي في المغرب معبرين بذلك عن عمق الرابطة القومية بين طرفي الوطن العربي رغم بعد المسافات ومنهم الشيخ محمد علي اليعقوبي، الشيخ محمد جواد الشبيبي، صالح الجعفري وكثيرين غيرهم.[٢٣]

موقف الحوزة العلمية من القضية الفلسطينية :

كانت المدن المقدسة خصوصا النجف وكربلاء في مقدمة المدن العربية التي أولت اهتماما كبيرا بقضايا العرب القومية بشكل عام وقضية فلسطين بشكل خاص، فقد تحسس رجال الدين بالخطر الصهيوني على الأمة العربية منذ صدور وعد بلفور (١٩١٧)، حيث اخذ الشعب العراقي بشكل عام ينشد لفلسطين، ويمد يد العون والمساعدة الى الشعب العربي الفلسطيني ماديا وأدبيا ويخصها بالعديد من التجمعات والاحتفالات

١٩- ينظر : حسن عيسى الحكيم، مصدر سابق، ورقة ٣٤٩.
٢٠- جريدة النجف، العدد٢٥، السنة ١٩٢٥.
٢١- المصدر نفسه، ١٨ حزيران ١٩٢٦.
٢٢- مليحة عزيز حسون الدعمي، الحس القومي في الشعر النجفي المعاصر، ١٩٢٠ – ١٩٧٠، رسالة دكتوراه غير منشورة مقدمة الى كلية التربية للبنات، جامعة الكوفة، ١٩٩٥، ص١٣٤.
٢٣- قامت جمعية الرابطة العلمية والأدبية في كربلاء والنجف بجمع هذه القصائد وإصدارها في ديوان خاص أسمته (جهاد المغرب العربي) وقد صدر الديوان عام ١٩٧٥ عند زيارة الملك محمد الخامس لمدينة النجف. حسن عيسى الحكيم، المصدر السابق، ورقة ٣٥٠.

العامة، حتى أصبح حديث فلسطين مادة الشاعر والأديب العراقي وحديث المجالس والتجمعات الدينية[٢٤]

حينما تصاعدت حركة المقاومة العربية الفلسطينية في (آب ١٩٢٩)، واتخذت طابع الثورة الواسعة، كان السبب المباشر لذلك ما يعرف بـ (حادثة البراق) وهي حادثة معروفة، انعكست أحداث الثورة في النجف و بين رجال الدين خصوصاً، فاستنكر شعراؤها بقصائدهم أعمال الصهاينة ومساندة البريطانيين لهم، وحيوا إخوانهم العرب بالكثير منها، ومنها قصيدة الشاعر صالح الجعفري :

فلسطين هي ام الرزايا ... وهي اليوم سامة حربية
شب بركانها في القدس ولكن ... عم كل الجزيرة العربية
فببغداد ضجة وهياج ... وببيروت رنة ورزية
نحن لم نعقد اليوم مضاء ... لا ولم نعدم النفوس الأبية[٢٥]

وعند استشهاد الشيخ عز الدين القسام في (١٩٣٥) أثناء أحدى المعارك مع القوات الصهيونية في فلسطين، كان لهذا الحادث الأثر الكبير في أروقة الحوزة العلمية في النجف وكربلاء، فأقيمت مظاهرة ألقيت فيها الخطب الحماسية الوطنية التي تندد بالاستعمار البريطاني والوجود الصهيوني في فلسطين[٢٦].

وحينما تأسست (جمعية الدفاع عن فلسطين) في بغداد عام (١٩٣٦) برئاسة العميد طه الهاشمي، زار وفد منها تشكل من محمد مهدي كبة، وسعيد الحاج ثابت، وعيسى طه، كربلاء والنجف، واجتمعوا برجال الدين وحصلوا من الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، وغيره من رجال الدين على الفتاوى التي تلزم المسلمين بالجهاد لنصرة فلسطين وبذل النفس والمال في سبيل ذلك[٢٧].

وعلى اثر قرار (لجنة بل) بتقسيم فلسطين الى ثلاث مناطق عربية ويهودية وبريطانية، عقدت الحوزة العلمية بجميع مراجعها العظام العديد من الاجتماعات في النجف وكربلاء المقدسة أسفرت عن تقديم الاحتجاجات البرقية الى ملوك العرب والإسلام من قبل رجال الدين والشخصيات الوطنية، وكلها تستنكر بأشد لهجة فكرة التقسيم وتطالب بالتدخل في هذه القضية التي شغلت العرب والمسلمين. كما تقرر اعتبار يوم (٢٦ تموز ١٩٣٧) يوم فلسطين في كربلاء والنجف حيث أضربت المدينتان بالكامل وخرجت المظاهرات العامة إلى الأضرحة المقدسة وكلها تهتف لفلسطين وعروبة فلسطين وتستنكر التقسيم الذي جاءت به بريطانيا[٢٨].

كما نشرت مجلة الاعتدال في عدد شهر آب (١٩٣٧) مقالة افتتاحية بعنوان (يوم فلسطين المشهود في النجف المقدسة) تطرقت فيه إلى مظاهرات رجال الدين التي خصصوها لوطنهم الثاني فلسطين، وأشادت بالموقف القومي لهم، كما نشرت العديد من القصائد والخطب التي ألقيت في الصحن الشريف[٢٩]

كما نشرت مجلة الهاتف في افتتاحيتها مقالة بعنوان (محنة فلسطين والنجف) وعت فيه ابناء البلاد إلى دعم مجاهدي فلسطين ماديا لأعانتهم على جهادهم المقدس وقالت ان التظاهر والاحتجاج لا يكفي[٣٠].

وعند وصول (اللجنة الفنية للتقسيم) برئاسة جون ووهيد إلى فلسطين في عام (١٩٣٩) اضرب السكان

٢٤- ان الشعر العربي النجفي الذي قيل في فلسطين لو تسنى له ان يجمع سواءً المطبوع منه او المخطوط، لكان يمكن ان يشكل ديوانا ضخما يتعذر على اي مدينة عربية ان تنتج مثله.

٢٥- عبد الستار علو الجنابي، تاريخ النجف السياسي، ١٩٢١ – ١٩٤١، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة الى كلية الاداب جامعة الكوفة، ١٩٩٧، ص١٥٣.

٢٦- حسن عيسى الحكيم، مصدر سابق، الورقة، ٣٦٣.

٢٧- محمد مهدي كبه، مذكراتي في صميم الأحداث ١٩١٨ – ١٩٥٨، بيروت، دار الطليعة ١٩٦٥، ص ٥٩ – ٦٠.

٢٨- مجلة الاعتدال، آب، ١٩٣٧.

٢٩- مجلة الهاتف، ٢٨ آب، ١٩٣٧.

٣٠- المصدر نفسه.

العرب في فلسطين رافضين كل مشروع يرمي (إلى أقامة دولة لليهود) واحتل الثوار الفلسطينيون مواقعهم في مدينة القدس القديمة للدفاع عنها كما تم تأليف (مجلس القيادة الأعلى) للثورة وتقرر الاستمرار في الكفاح الفلسطيني وتعميم الثورة لتشمل كل فلسطين.

وهنا أضافت المدن المقدسة يوما آخر لأيامها الفلسطينية حيث تجلى الشعور القومي الثائر حين اعتبر يوم (١٦- مايس ١٩٣٨) يوما فلسطينيا فأضربت مدينة كربلاء برمتها و أغلقت الأسواق وعطلت المدارس واجتمع العلماء والزعماء والشباب وتظاهروا محتجين على ما يجري في فلسطين وهم يهتفون بحياة الأمة وحياة فلسطين وفي ختام التظاهرة أبرق الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء إلى مفتي القدس أمين الحسيني والمندوب السامي) هاجت مدينة كربلاء والنجف الاشرف لفكرة التقسيم المشؤومة، يطلبون منا فتاوى الجهاد الديني، نشكر جهودكم وبسالة عرب فلسطين المجاهدين دام النصر لهم).

كما أبرق الشيخ عبد الكريم الجزائري الى الملك غازي يقول (...أن بلاد ثاني ألحرمين فلسطين البلاد المقدسة الإسلامية تستنجد بملوك الإسلام مما حل بها من الاضطهاد والتنكيل وعزم تقسيمها على مشردي الآفاق الصهيونيين الأمر الذي أزعج الإسلام والعرب فالنجدة والغوث لأبنائكم العرب وبلادكم بلاد الإسلام والله ناصركم)[٣١]

وفي (٢٨ تشرين الأول ١٩٣٨) احتجت النجف الاشرف بجميع حوزاتها الدينية وشرائحها الاجتماعية على سعي الصهيونية العالمية لدفع الحكومة الأمريكية للتدخل في فلسطين والتزام جانب الصهاينة فيها حيث بعثت العديد من الهيئات والشخصيات النجفية رسائل احتجاج الى السفير الأمريكي في بغداد لابلاغ حكومته عن سخطهم للمحاولات الصهيونية لجر الحكومة الأمريكية الى جانبهم، وجاء في برقية (جمعية الرابطة العلمية والأدبية) (ان على أمريكا ان تعلم ان بلاد العرب للعرب كما هي أمريكا للأمريكيين)[٣٢]

كما أرسل الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء كتابا الى اللجنة العليا لجمعية الدفاع عن فلسطين في بغداد، استنكر فيه أعمال الانكليز والصهاينة في فلسطين ودعى ملوك العرب والمسلمين إلى ان يكونوا كصلاح الدين ورجالات العرب الفاتحين، كما خاطب المسلمين بوجوب نصرة مجاهدي فلسطين، وختم كتابه بتحية نضال مجاهدي فلسطين، وصمودهم أمام الأعداء[٣٣].

وأشارت جريدة العالم العربي في (١٢ تشرين الثاني ١٩٣٨) إلى ان جمعية الدفاع عن فلسطين في العراق / فرع كربلاء، قامت بعدة نشاطات منها جمع التبرعات وإقامة المهرجانات الأدبية، وعندما قام مفتي القدس الحاج محمد أمين الحسيني بزيارة بغداد، أبدى أهالي كربلاء والنجف استعدادهم للتضحية من اجل فلسطين أثناء مقابلة الوفد الذي كان برئاسة الشيخ عبد الرسول كاشف الغطاء الذي زار الحسيني في بغداد[٣٤].

الخاتمة

من خلال دراسة المواقف التي لتخذتها الحوزة العلمية في النجف وكربلاء تجاه القضايا العربية بين عامي ١٩٢٥ – ١٩٥٦ م توصل الباحث إلى ان الحوزة العلمية كمؤسسة دينية لها أهميتها الخاصة ومكانتها المتميزة في العراق والعالم العربي. حيث ساهمت بشكل فعال في رسم صورة الحدث السياسي في العراق وشاركت في جميع الأحداث العربية والإسلامية الرامية للتحرير والاستقلال.

٣١- مجلة الهاتف النجفية، ٢٠ مايس، ١٩٣٨.
٣٢- مجلة الهاتف النجفية، ٤ تشرين الثاني، ١٩٣٨.
٣٣- المصدر السابق، ١٢ تشرين الثاني ١٩٣٨.
٣٤- جريدة العالم العربي، ١٢ تشرين الثاني ١٩٣٨، حسن عيسى الحكيم، المصدر نفسه، ورقة ٣٦٣.

كما كان لوجود هذه المؤسسة في مدينة كربلاء والنجف قد دفع رجال الحركة الوطنية والقومية للتنسيق مع رجال الدين في إصدار الفتاوى التي تحرم تدنيس الأراضي الإسلامية من قبل الاستعمار الأجنبي. حيث امتزج الشعور الوطني بالشعور القومي والإنساني لتشكيل النشاط السياسي في المدن المقدسة ولم يقف عند الحدود الإقليمية للعراق، بل تعداه إلى الأقطار العربية والإسلامية فكانت الحوزة العلمية خير نصير للشعوب المناهضة للاستعمار والصهيونية والعبودية، فثارت المدن المقدسة بفعل رجال الدين مرات ومرات وضحت بالكثير من أبنائها دفاعا عن كرامة الوطن وحريته وحفاظاً على أصالة الرسالة الإسلامية.

والخلاصة.. لابد من القول ان انتشار الوعي والثقافة وكثرة الاجتماعات بين صفوف رجال الحوزة العلمية، أسهم بشكل فاعل في إظهار دور هذه المؤسسة السياسي على مستوى الوطن والعالم الإسلامي.

المصادر

أولاً : المخطوطات :

حسن عيسى الحكيم : مفصل تاريخ مدينة النجف، مخطوط محفوظ في خزانة مؤلفه في النجف الاشرف.

ثانياً : الرسائل الجامعية :

١. صباح مهدي ويس الدليمي، الثورة السورية الكبرى وموقف الرأي العام العراقي منها ١٩٢٥ – ١٩٢٧، رسالة ماجستير غير منشورة، مقدمة الى كلية الاداب / جامعة بغداد، ١٩٨٩.
٢. عبد الستار علو الجنابي، تاريخ النجف السياسي، ١٩٢١- ١٩٤١، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة الى كلية الآداب جامعة الكوفة، ١٩٩٧.
٣. مليحة عزيز حسون الدعمي، الحس القومي في الشعر النجفي المعاصر ١٩٢٠ – ١٩٧٠، رسالة دكتوراه مقدمة الى كلية التربية للبنات / جامعة الكوفة ١٩٩٥.

ثالثاً : الكتب :

١. إبراهيم خليل احمد، تاريخ الوطن العربي الحديث والمعاصر، (الموصل ١٩٨٩).
٢. إنعام مهدي علي السلمان، حكم الشيخ خزعل في الاهواز، ١٨٩٧ – ١٩٢٥، (بغداد ١٩٨٥).
٣. جعفر باقر محبوبة، ماضي النجف وحاضرها، ط٢، (النجف : مطبعة الآداب، ١٩٥٨).
٤. جعفر الخليلي، هكذا عرفتهم، ج١ (بغداد : دار التعارف، ١٩٦٣)
٥. حسن الحكيم، مذكراتي صفحات من تاريخ سورية الحديث ١٩٢٠ – ١٩٥٨ (بيروت، دار الكتاب الجديد، ١٩٦٥)
٦. محمد امين دوغان، الحقيقة كما رأيتها في العراق، (بيروت، دار الشعب، ١٩٦٢).
٧. محمد مهدي كية، مذكراتي في صميم الإحداث ١٩١٨ – ١٩٥٨، (بيروت، دار الطليعة، ١٩٦٥).
٨. مصطفى عبد القادر النجار، التاريخ السياسي لأمارة عربستان العربية ١٨٩٧ – ١٩٢٥، القاهرة، دار التعارف، ١٩٧١).

رابعا : الصحف والمجلات :

جريدة الاستقلال.
جريدة العالم العربي
جريدة العراق
جريدة الاعتدال
مجلة الهاتف.

خلاصات البحوث

باللغة الانكليزية

He was also the existence of this institution in the city of Karbala and Najaf, the men had been paid the national movement and national coordination with the clerics to issue fatwas that prohibit the desecration of Islamic lands by foreign colonialism. Where mixed with a sense of national feeling and national humanitarian form of political activity in the holy cities did not stop when the territorial boundaries of Iraq, but went to Arab and Islamic countries were Hawza best champion of the peoples against imperialism and Zionism and slavery, then fuss holy cities by the clergy times and times and sacrificed much of her sons to defend the dignity of the homeland, freedom and to preserve the authenticity of the Islamic message .

As conclusion.. We have to say that the spread of culture and awareness and frequent meetings among the scientific men of the estate, contributed effectively to show the role of this institution on the political level of the nation and the Islamic world.

The Poetry of Qais Bin Sa'd Al-Ansari: A study of the Objective Performance

Dr. Hasan Habib Al-Kredhy

Abstract:

Qais Bin Sa'd Al-Ansari is considered one of the prominent poets in the Islamic Era let alone his being a valiant warrior participating in the battles of the Islamic Call with the Prophet Muhammad (P.B.U.H.) He was the bearer of the Ansar (Supporters) banner and he also fought with Al-Imam Ali Bin Abi Talib (P.B.U.H.) in all of his wars.

The paper is an attempt to shed light on this poet who did not receive due attention. Hence, the paper tries to focus on his merit and the status he used to have among Muslims. The paper discusses the objective performance in his poetry, first by tackling his singing of the praises of his genealogy and the Islamic army. Then this study discusses the poet's glorification of Al-Imam Ali's army where he was a warrior. After that, encomium follows which is dedicated to Al-Imam Ali (P.B.U.H.), finally, the threats he addressed to his enemies. Following the previously mentioned purposes, is a table of the poems mentioned in his Divan which came in the form of poems or stanzas and ultimately the paper ends up with a conclusion where the results are summarized.

The stance of the scientific circle on the national issues between the period from 1925 to 1956.

By: Asst. Lecture A'lae Ahmad Baqer Alwan Al-Sharifi

Abstract:

By examining the positions taken by the seminary (Hawza) in Najaf and Karbala towards Arab issues between 1925-1956 AD The researcher came to the Hawza as a religious institution are of particular importance and prominent position in Iraq and the Arab world. Where it has actively participated in shaping the political events in Iraq and participated in all events the Arab and Islamic efforts for liberation and independence .

Thus those procedures held in a sense of dramatics particple exhibited in the international plays.

The research over shows the dramatics Contexualization concept expressed in apoemtry , prose language , which had been composed Since the classical , creek

The interrational plays herotics luxuriant , e g khilous , sopholculous , Eurrbiodius

Cirphantous , and the Roman arena , Written by cynkue.

There after the outcomes of the dramatics poetries are turned into the neoclassic potentials known as Elizabthian mock , Written by the writer of plays , willian shakes

Written by the writer of plays , willian shakes.

Peare production during the neoclassical inspiration in france and over-viewed by the pioneer writers Corian, Rassen and Muleur

Thus the dramatics poetry took the fare the international Classical development adopted by the scientific modern schools potertial.

Hussien Ali Mahfodh:
The pioneer of the Persian culture in Iraq.

By: Asst. Lecture A'lae Abd-Al-Kadhem

ABSTBACT

The Navrative Scene adapted by the scholars that woud be noratted in amodern historical phenomenon,for the rest of the nation as aworidwide, called" the great saddle" it could be expresse in an optimal or narrowing the gap, to cutting the bridge for the people who over- shade their own generatic climates . I, therefore deal with the major atmospheric phenomenia of of Dr, hussain Ali mahfouth lectue exhibetied for the student of the avabic department in 1971- 72 , Persian language literature, the lecture over shown the peoms of the four major peote e.g.ALpherdosee, production of alshahenshai , saadi ALshirazi, omar AL-Khayam and jalal Al- DIN Al- romi those peots were the pioneer of establishing the global Persian culture in the world. and in Iraq specific

Effort of reformers as presenting in front of us in temporary as misary image of the deprivation of his people truthfully . This is imortal by litertature life .

Mary Sabry says that " the poetry of the poet was humanitarian tendency with emotional purposes " .

3. The poet his utilized from what has been built his Cultare . He employs what has been learned of religion position in Al – Najaf and what thoughts he learned from his ehont to reinforce his style , present his ideas in better way . Therefore , what I have mentioned above appear in many stules that the poet expresses present ideas and his influences by holy Quran .
4. The vary style of the poem has distributed either in request or telling . we find in request command , for bidding , interrogative and call whereas , telling nominal sentences , verbal sentence and condition sentences , …..etc . suchas the verb compliment " Naám " and the verb lihle " hás " . the poet means in variety to prepare a proper style of idea which he wants to present it . He achieves his goal perfectly . I t is obvious that he has knowledge in langnage.
5. In spite of the poet exposes his thoughts , in sharp ironic but he doesnt forget those repressed people . He mentions them in many lines of poetry .
6. The poet uses better selection of the rime . He has selected the complete measure as it has quieted and proper rhyme of "meem" Al Muhariza be kasra comes to he long for quietnes that what the poet wants to reveal the meaning of sleep , even if was ironic , that to suit the voice with verb of sleep . the poet threats that boys sap of starvation so by the rhy them thy will reach to sleep or to long this action . Although the poet dosent reveal the truth .

The development of poetic styles in the language of the international drama.
(The classical ones as an example).

Dr. Mohammad Abed Feyan

ABSTRACTS

The potential poeticaless approaches prevailed in the Universal dramatic language,I n the eyes of major schoars , researchers and the critiguers.

the often has strong economic status than the host country for investment"but he
foresaw the matter to arbitration by using its means of settling disputes that may arise
and the exclusion of the national judiciary as well as the attempt to impose the
requirement of consistency by which the legislative authority to limit the host country
for investment in the use of judicial immunity and prevent the issuance of any
legislation that would weaken the economic or legal status to foreign investors
in his investment.

Ironic style in the poem of Tanwemat jaah " For Al – Jawahri

Asst. Prof. Dr. Ali Rahim Hadi Al-Hilo.

Abstract

Anyone wants to go in the poetic world of Al – Jawahir finds it aglobal poetic world , like asee and I don't exaggerate if I say that any one wants to make sail in it will drown in his deep see in which he will be puzzled by his thoughts , and will fly in his higher human sense .

Full with emotions that grown with truth full expressions that give the meaning with better image and higher accuracy , specially wher he talks a bout repressed people that will reinforce relation of the poet with human principles .

He glows the feeling of repressed people .

Mary Basry says that "the poet believed in masses of the people , expressed their hope full and sufferance " .

His poem " Tanwemat AL – Jea'h is one of his poems in which the poet flys in his thaughts , style , and beauty to embody sadness of his people . he adopts as follow :-

1. The poet interests to use siwple expressions . we don't exaggeration if we say the he speaks language of repressed people themselves , use their utterances , transfer their thoughts through sharp ironic . this represents the highest degree of literature .
2. The poet selects humanitarian subjects even if the subject is the poets essential and first case .

Stylistic approach to Sura «Sad»

Nasrollah Shameli

Assistant professor Somayeh Hassanalian
PhD student of Arabic literature, University of Isfahan

Abstract:

No doupt that the Qur'anic expression contains secrets and aesthetics and artistic touches and images which show that the Quran art intended to support this opinion that it isn't people speech.

So, this research is going to study Sura «Sad» using a stylistic approach, which focuses on data General Linguistic and deals with the role of image and music sounds and vocabularies in Sura, and stadies semantic features of words and the accuracy of vocabulary selection in the sura and tracking stylistic phenomena in the sura and the meanings associated like repetition, and the question, and interested in Images, based on analogy and metaphor, and real images.

Based on the results of this study, it has been proved that balance intended in the rhythm of Sura like repetition is an important element in increasing the pace of this beautiful one chapter, in addition to the consistency of these voices, and that the words in sura characterized by precision in the choice and the power of influence in the recipient and that the technical consistency has emerged between the different images and rhetoric of the real clearly.

Key words: stylistic, Surat «Sad», the voice level, semantic, Images.

The role of arbitration agreement in solving the disputes of foreign investment contracts.

By: Asst. Lecture Rasha Mousa Mohammad

Abstract

The issue of resolving disputes in the contracts of foreign investment from the important

Issues that the foreigni investor is then identified and cared at all stages of contracting and to fears of an attempt of the host country for investment. especially , developing,

countries ,including the payment of judicial immunity , the foreign investor although

of a simplified post election and determine the nature of this participation in terms of being right or function performed by Iraqi citizens as well as terms of electoral participation as a candidate and voters, and this is what we shall in the first section of Find the second part will take care to study forms of electoral participation and of the two phases are the stage of the nomination and the voting phase and finally "determine the rules of Alantahabi force in Iraq to choose members of the Iraqi Council of Representatives and this is what we did discuss in Section III.

The attitude of shiek Mohammed Taqi Al-Shirazi Al-Ha'eri towards the referendum in Iraq (1918-1919)

Dr.Jasem Mohammad Ibrahim Al yasari

Abastarct

It is abviou that AL-Shak Mohemmed Iaqi AL-Shirazidid not declear his loyality to his country Iran in which he was born ,but he always stood helping all Muslims who suffered torture in different nations ,in Iraq or Iran or others.he always ,declared his loyality to his religion and that reflected his love to Musilms in different countries

.

Although he was persion,he directed his motives and he was all ready ,so clear,to the nationality and fvied to make islamic unity on the nght basesthat was clear from his aims and slogans who always calledfor.And it is clear that from his wnting and letters to AL Sharif Hussein in AL-Hjaz-which ensured the principles of unity,Islamic unity

.

He was clear-minded politican man ,he fought many politicall battals In Iraq and a braad So he could enforced Britain clearly in ALNajaf and karbala to give Iraqi people nights and freedam..

AL- Shirazi evocked Iranian street to refused (Iranian-Brtain) documents in (1919)and that resulted in its cancel later ,also his letters to the presedent of united states of America "Wilson" these and other attitudes made real confusion to Bntaion that made them shawed their respeet to himinorder to win his loyality on their sides ,but they couldn't Succeed in their attempts.

The political and electoral participation of the most important areas covered by the process of re-construction, they should be re-organized and built to ensure a sound political life and build an Iraqi state on the basis of a constitutional democracy, safeguarding human rights and respect the Iraqi society.

And the Iraqi citizens to be conscious of its role in this process, especially at the level of active participation in the electoral process a vote "and rated" driven "this sense of national necessity to contribute to nation-building and awareness of the individual importance of the role played by when participating in the parliamentary elections and choosing the right people and the righteous for the responsibilities the parliamentary office of representative in the House due to "the seriousness of this office's practice members of the House of Representatives of the role of important and influential as The importance of the parliament (the House of Representatives) by looking at the functions centered in the issuance, amend and repeal laws, commensurate with the needs of the community and not repeat the dictatorship through the role of parliament to choose the President of the Republic, and control of government performance and accountability of government officials, in addition to the role of parliament in the peaceful transfer of power by the will of the masses through the nomination of parliament to the Prime Minister and the control and supervision of public funds through the ratification of the general budget and monitoring its implementation and the achievement of equal opportunities among the people because everyone is entitled to participate in political life as a candidate and voters and ensure the rights of all the components of the Iraqi people, as have the opportunity to represent each component of these components in the parliament.

Research problem

The participation of the Iraqi people in the experiences of previous election, and on the basis of the Elections Law No. (16) for the year 2005 resulted in the maturity of the electoral awareness among citizens of Iraq and the consequent demand that the electoral systems different from what has been applied in the experiment the previous election and it was amending the election law Law No. (26) for the year 2009, is according to the Iraqi legislature in creating an electoral system in line with the requirements of the Iraqi public and the desire of political entities and to achieve the political stability of Iraq and to preserve the cohesion of social fabric?

Research plan

I must refer the electoral law in any country to most of the procedural issues relating to the electoral process, and between that and should define the concept

The usage impact of the constitutional formula on the performance of the Arabic language students at the Institute of Teacher preparation By: Asst. Lecture Leith Sahib Shakir

By: Asst. Lecture Leith Sahib Shakir

Abastarct

The research aims at finding new methods and ways in teaching the grammar of Arabic language.

Due to the significance of Arabic grammar as an important branch of the Arabic language so the researcher use a new way and this is the " compiled assessment style " to teach this subject to the third – year students in the teacher training institute to show the influence of this style in impoving the stuent's achievement in this snbject.

The researcher use the experimental approach for the research and condncted his research on the stndents of the third year stndents in the teacher training institnte and he concluded many resuts and recomm endation whith an mentioned in the research .

Legal regulation for the election of members of the Iraqi Council of Representatives for 2010

By: Asst. Lecture Rawafed Mohammad Ali Al-Taiiar

Abastarct

(A Study in Iraqi election law No. 16 of 2005 as amended and electoral systems)

With the collapse of the dictatorial regime in Iraq and liberate the Iraqi people from the Fire opened up to all the sons of this people, opportunities for broad participation in the rebuilding of the country and its reconstruction and extricate itself from the quagmire of underdevelopment, which got him the previous regime and the construction process, which started since the first moments of the fall of the former regime, a historical process of large multi-fields and levels and, most importantly in this process is that it requires the participation of all people "where men and women.

THE ETHESTIC OF FORMATION PRINCIPLS STRUCTURE MODREN EUROPEN PAINTING

D.Mohamed Abid Feahan
T.Mohamed Ubied
T.Hazim Aboodi

Abastarct

Following to the decree of the technical school surveying structure aucllils impuct on certain pheronenig preveals that the current thought developmet dropped the major ouhine fcertain imaytcand inspirutivr surrealism objectives arena. The secend chapter deuls with the theoritical franework of th mechunis m implicutive of the laceration aspects descovery across the philosophic seymentations impacts. the last division illustrate the environment climates which is mentioned into the cross section of the reserch chapter three analysis the methods and the instructions that shawn the objectives preveals from certain fiatures like colour and hard mode scripts foreseable into the researh. chater four illustrate the research findings out comes and the core objectives struetuve of the schools teatmmts aswell as the sources of references in both english and arabics for further consultan cles.

A Summary of Arabic Researches

in English

خلاصة البحث بالعربية

طول الجملة وتعقيدها في قصص محختارة للكاتبتين
فرجينيا وولف وكاثرين مانسفيلد

تتقصى هذه الدراسة طول الجملة في اللغة الانكليزية ضمن اطار اسلوبي باعتبارهما اثنين من الخصائص المهمة في النصوص القصصية، وعليه فانهما يمثلان حقلا كامنا للبحث والدراسة في ميدان الاسلوبية وبناءا على ذلك تتكفل هذه الدراسة من خلال تحري وظيفة طول وتعقيد الجملة القصصية استقصاء علاقتهما بالاسلوبية لكاتب عن اخر.

تهدف الدراسة الى تقصي العلاقة بين طول وتعقيد الجملة من ناحية، والاسلوب الشخصي للكاتب من ناحية اخرى. وقد اختيرت الكاتبتان فرجينيا وولف وكاثرين مانسفيلد كما اختيرت قصة قصيرة لكل منهما لغرض التحليل الاسلوبي .

ان النتائج المستحصلة من القسم التحليلي في الدراسة تقيم الدليل على وجود فروقات اسلوبية بارزة لدى الكاتبتين في طول وتعقيد الجملة في القصص القصيرة المختارة للتحليل العملي.

تشمل الدراسة على مقدمة واربعة مباحث ، وقد خصص المبحث الاول لاعطاء شرح مفصل لمفهوم الاسلوبية والمعلم الاسلوبي، كما يعرض بعض النماذج في التحليل الاسلوبي.

اما المبحث التاني فيتناول التعاريق الموضوعة لمفهوم الجملةوطولها وتعقيدها.

ويزودنا المبحث الثالث بنتائج التحليل الاسلوبي لطول وتعقيد الجملة في القصص القصيرة المختارة.

اما المبحث الرابع فقد كرس لعرض الاستنتاجات المتمخضة من الدراسة.

- Jakobson, R. (1961) Closing Statement: Linguistics and Poetics in Sebeok T.A. 1960. Style in Language. Massachusetts: The M.I.T Press. P. 350-77.
- Jesperson, O. (1933) Essentials of English Grammar. London: George Alln & Unwin Ltd.
- James, H. 2001. Rhetoric and Stylistics: Some Basic Issues in the Analysis of Discourse. http://www.soc.hawaii.rhetoric.htm.
- Joos, M. (1961) The Five Clocks: A Linguistic Excursion into the Five Styles of English Usage. New York: Harcourt, Brace and World.
- Leech, G. and M.H. Short. (1981) Style in Fiction. London: Longman Group Limited.
- Leech, G. and Svartvik, J. (1994) A Communicative grammar of English. London: Longman Group Limited.
- Lees, R.B. (1969) Multiply-Ambiguous Adjectival Constructions in English: The English Language 2. Cambridge: Cambridge University Press; 257-268.
- Lucas, F.L. (1960) Style. London: Longman Group Limited.
- Lucas, F.L.(1974) Introduction to Theoretical Linguistics. London: Oxford University Press .
- Lynch, J.(2001) A Guide to Grammar and Style.
http://www.athena.english.edu.20k.htm..
- Mustafa, F. (1998) A Comparative Study of Modern and Classical Styles of Story-Telling in Modern Arabic Literature. (Unpublished Mphil Thesis). Victoria University Manshester.
- Onions, C.T. 1965. Modern Syntax. London: Routledge and Kegan Paul.
- Palmer, F.R. (1972) The English Verb. London: Longman Group Limited.
- Quirk, R., S. Greenbaum, G. Leech, and J. Svartrik. (1985) A Comprehensive Grammar of the English Language. London: Longman Group Limited.
- Renkema, J. (1993) Discourse Studies: An Introductory Textbook. Amesterdam: John Benjamins Publishing Company.
- Riffaterre, M. (1969) Criteria for Style Analysis. Word 15: 154-74.

- Turner, G.W. (1973) Stylistics. Harmondsworth: Penguin.
- Widdoson, H.G. 1975. Stylistics and the Teaching of Literature. London: Longman Group Limited.

No.23	No.68	The Least Complex Sentence
1	1	Number of Clause

Concerning the second hypothesis of the study, namely, Virginia Woolf tends to use longer and more complex sentences in her short stories , the analysis has provided positive evidence to the effect that Mansfield uses more multiple subordinate clauses than simpler sentences in her short stories.

Table (6):
Sentence Length in the Data

Mansfield	Woolf	Details
106	91	No.of Sentence
2	1	Shortest Sentences (in Words)
59	145	Longest Sentences (in Words)
		Mean Sentence Length
		Most Frequent Sentence Length in words)

References

-Bloomfield, L.(1933) Language. New York: Holt Rinehart& Winston.

- Bradford, R. (1997) Stylistics. London: Routledge Kegan.
- Carter, K. (ed.)(1982) Language and Literature: An Introductory Reader in Stylistics. London: Unwin Hyman Ltd.
- Chapman, R. (1973) Linguistics and Literature: An Introduction to Literary Stylistics. London: Edward Arnold.
- Chatman, S. (1971) Stylistics. N.Y, V. I.
- Crystal, D. (1996) Rediscover Grammar. London: Longman.
- ---------- (1991) A Dictionary of Linguistics and Phonetics. Oxford: Basil Blackwell Ltd.
- ----------. and D. Davy.(1969) Investigating English Style. London: Longman Group Ltd.
- Darbyshire, (1971) A Grammar of Style. London: Andre Deutsch Limited.
- Eckersley, C.E. and J.M. Eckersley. (1972) A Comprehensive English Grammar for Foreign Students. London: Longman Group Ltd.
- Enkvist, N.E. (1973) Linguistic Stylistics. Paris: Mouton.
- Fowler, R. (1966) Linguistic Theory and the Study of Literature. In Fowler, R. 1966. Essay on Style and Language. London: Routledge and Kegan Paul.
- Galperin, J.R. (1977) Stylistics. Moscow: Moscow Higher School Publication.
- Huddelston, R. (1988) English Grammar: An Outline. Cambridge: Cambridge University Press.
- Haynes, J. (1989) Introducing Stylistics. London: Unwin Hyman.

											1	1	101
									1		1	2	102
										1	1	2	193
							1					1	104
							1		1	1	1	4	105
							1				1	2	106

Section Four: Results, Conclusions and Suggestions

Results

In this section, results of the analysis are set against each other and compared. The main aim of such a juxtaposition is to explore how far the differentials in the data of each short story which allow inferences about the distinctive features of their style. Another aim is to show how sentence length and complexity (i.e. form) correlate with meaning (i.e. function) used in their texts.

This section starts with comparison of sentence length in the stories of both writers. Then, the stories are compared in terms of sentence complexity.

Regarding the hypothesis of 1 of the study which says that there is a positive correlation between the length of a sentence and it degree of complexity . The result of the study confirms the validity of this hypothesis. The analysis of the study provides concrete evidence that the longer the sentence is, the more complex. This runs counter to the claim put forward by certain styloanalysts, which says that sentence length doesn't necessarily lead to its complexity. For example, Crystal's Dictionary of Linguistics and Phonetics (1997:218) maintains that there is no correlation between the length of a linguistic unit and its structural or functional complexity. This statement confirms an earlier one (Crystal, 1971:204) which says that small sentences could be expanded to apparently infinite length following certain procedures .

The correlation between sentence length and its complexity in the data is illustrated in Table 5 and the shortest sentences in the data are always the least complex ones.

Table (5):
The Correlation between Sentence Length and Complexity

Mansfield	Woolf	Details
No.24	No.80	The Longest Sentence
59	145	Number of Words
No.24	No.80	The Most Complex sentence
1	18	Number of Clauses
No.23	No.68	The Shortest Sentence
1	1	Number of Words

		1	1	1	3	60				1	1	3	16
	1		1	1	3	61		1	2	1	1	5	17
				1	1	62					1	1	18
1				1	2	63					1	1	19
		1	1	1	3	64	1	1		1	1	4	20
			1	1	2	65	2			1	1	4	21
1	1			1	3	66		1	1		1	3	22
	1		1	1	3	67	1					1	23
	2	1		1	4	68	2	2	2	2	1	9	24
				1	1	69			1	1	1	3	25
		1	1	1	3	70	3			1	1	5	26
				1	1	71		2			1	3	27
				1	1	72	1	1	1		1	4	28
	2			1	3	73	1	2	2	1	1	7	29
						74		1	4	1	1	7	30
	2	1		1	4	75	1				1	2	31
	1	1	2	1	5	76					1	1	32
		1		1	2	77	2		1	3	1	7	33
	1			1	2	78	1				1	2	34
		1	1	1	3	79					1	1	35
			2	1	3	80					1	1	36
		2	1	1	4	81		1	1		1	3	37
			1	1	2	82			4		1	5	38
	1	3	1	1	6	83			1		1	2	39
3	2	1	2	1	9	84					1	1	40
1	1			1	3	85		1			1	2	41
			1	1	2	86		1			1	2	42
1				1	2	87		1			1	2	43
	1	2		1	4	88				1	1	2	44
							VP	NP	Coor.	Sub.	2	N	S.
											1	2	89
									2		1	3	90
											1	1	91
									3		1	5	92
									1		1	2	93
									1	1	1	3	94
											1	1	95
											1	1	96
							1					1	97
							1	1				2	98
								1	1		1	3	100

1		2		1	4	75	2	2	2	3	1	10	31
2		1		1	4	76	3	3	2	1	1	10	32
6	2	5	4	1	20	77	5			1	1	7	33
				1	1	78	1	2		1	1	5	34
				1	1	79					1	1	35
2	2	7	6	1	18	80	2	1	4	3	1	11	36
1			1	1	3	81	1	4	5		1	11	37
	7	3	1	1	12	82		1	2	1	1	5	38
		3	1	1	5	83	1			1	1	3	39
				1	1	84	2		2		1	5	40
1	2	2	1	1	7	85		2	2		1	5	41
1	3	1	2	1	8	86	2	2	2	5	1	13	42
1		2	1	1	5	87	2	1	1		1	5	43
1					1	88	1					1	44
							VP	NP	Coor.	Sub.	M.	N.	S.
							2					2	89
							3	2				5	90
								1	3	2	1	7	91

3.3.2 Sentence Complexity in Mansfield's The Little Girl

Mansfield's short story The Little Girl consists of (405) clauses, in which (191) are finite clauses, (40) are subordinate clauses, (61) coordinate clauses, (69) non-finite clauses, and (38) verbless clauses. These figures are illustrated in Table (4) below:

Table (4):
Sentence Complexity of Mansfield's The Little Girl

VL	NF	Coor	Sub	M	N	S.	VL	NF	Coor	Sub	M	N	S
1				1	2	45			1	1	1	3	1
			1	1	2	46		1	1	1	1	4	2
				1	1	47	1	1	1		1	3	3
	1		1	1	3	48		2			1	3	4
			1	1	2	49		1			1	2	5
				1	1	50					1	1	6
		1		1	2	51					1	1	7
				1	1	52	1		2	1	1	5	8
			1	1	2	53	1		2	1	1	5	9
1		1	1	1	4	54	2	2	2		1	7	10
	3	1	1	1	6	55			1	1	1	4	11
1				1	2	56	2		2		1	5	12
			1	1	2	57					1	1	13
2	1			1	4	58					1	1	14
				1	1	59					1	1	15

			0.14	2	104	0.90	13	78		4	52	1.05	15	26

3.3 Sentence Complexity in the Data

3.3.1 Sentence Complexity in the Data in Woolf's Kew Gardens

Woolf's short story Kew Gardens consists of (679) clauses, in which (239) are finite clauses. (82) are subordinate clauses, (102) coordinate clauses, (145) non-finite clauses, and (111) verbless clauses. Significantly, the mean of multiple clauses per sentence stands at: These figures are illustrated in Table (3) below:

Table (3):
Sentence Complexity of Woolf's Kew Gardens

VP	NP	Coor.	Sub.	M.	N.	S.	VP	NP	Coor.	Sub.	M.	N.	S.
1					1	45		5	6	2	1	14	1
1					1	46	1	2	1	1	1	6	2
			1	1	2	47	2	2	1	2	1	8	3
	2	3		1	6	48	1	2	2		1	6	4
1		1	1	1	4	49	1	1	1	1	1	5	5
1	2	1	2	1	7	50	2			1	1	4	6
3	2	1	2	1	9	51		3		2	1	6	7
3	1	1	1	1	7	52	1	1		1	1	4	8
3			1	1	6	53				1	1	2	9
6			1	1	8	54		1	1		1	3	10
3					3	55	1	1		1	1	4	11
4	1			1	6	56		3	3	2	1	9	12
1	2	5	1	1	10	57	1		1	3	1	6	13
1	2	2	1	1	6	58	2	1	3		1	7	14
1	3		1	1	6	59					1	1	15
1	3		1	1	6	60					1	1	16
		2	1		3	61					1	1	17
	3			1	4	62	1		1	1	1	4	18
2	4	1	6	1	14	63		1			1	2	19
3		2	1	1	7	64					1	1	20
		1		1	2	65	1	1			1	3	21
2	2	1	1	1	8	66	2	1	2		1	6	22
			1	1	2	67	2					2	23
				1	1	68	2					2	24
				1	1	69	1	1			1	3	25
1	1			1	3	70	1		1			2	26
1				1	2	71		1		1		2	27
				1	1	72	2	1	1	2	1	7	28
1			1	1	3	73	2		1		1	4	29
1		2		1	4	74	1	1	3		1	6	30

expressed via the shortest sentences. The remaining (14) short sentences are either descriptive or narrator comment.

(1) sentence is the longest in the text, consisting of (59) lexical items. No sentence of them contains more than(100) lexical items .

The remaining medium size sentences- those consisting of (10-48) lexical items each comprise the greater portion of the text, both in terms of sentence. This suggest a preference for medium-size sentences. The previous mentioned results are outlined in Table (2) below:

Table (2):
Sentence Number and Length in Mansfield's The Little Girl

%	No.of W	S.No	%	No.of W	S.No	%	No.of W	S.No	%	No.of W	S.N	%	No.of W	S.No
1.05	15	105	1.32	19	79	0.21	3	53		13	27	0.90	13	1
	9	106	0.70	10	80	1.46	21	54		25	28	1.74	25	2
			1.53	22	81	2.02	29	55		39	29	1.60	23	3
			0.49	7	82	0.83	12	56		22	30	1.32	19	4
			1.88	27	83	0.70	10	57		4	31	0.49	7	5
			2.51	36	84	0.56	8	58		7	32	0.35	5	6
			0.97	14	85	0.28	4	59		39	33	0.56	8	7
			0.42	6	86	0.62	9	60		11	34	0.97	14	8
			0.49	7	87	1.18	17	61		6	35	1.39	20	9
			1.67	24	88	0.42	6	62		4	36	2.02	29	10
			1.05	15	89	0.62	9	63		17	37	1.67	24	11
			1.32	19	90	1.81	26	64		31	38	1.05	15	12
			0.35	5	91	0.56	8	65		11	39	0.35	5	13
			2.09	30	92	0.83	12	66		10	40	0.28	4	14
			0.62	9	93	0.90	13	67		5	41	0.21	3	15
			0.90	13	94	1.05	15	68		6	42	0.47	14	16
			0.56	8	95	0.35	5	69		14	43	1.88	27	17
			0.42	6	96	1.39	20	70		3	44	0.21	3	18
			0.14	2	97	0.56	8	71		7	45	0.49	7	19
			0.90	13	98	0.28	4	72		3	46	1.11	16	20
			0.83	12	99	1.32	19	73		9	47	1.18	17	21
			1.11	16	100	1.95	28	74		17	48	0.90	13	22
			0.56	8	101	2.02	29	75		4	49	0.14	2	23
			0.35	5	102	0.76	11	76		2	50	4.12	59	24
			0.42	6	103	1.18	17	77		11	51	1.05	15	25

This suggests a preference for medium-size sentences. The previous mentioned results are outlined in Table (1) below:

Table (1):
Sentence Number and Length in Virginia Woolf's Kew Gardens

%	No.of W	S.No	%	No.of W	S.No	%	No.of W	S.No	%	No.of W	S.No
0.22	6	79	1.56	43	53	0.43	12	27	2.48	68	1
5.28	145	80	1.13	31	54	1.78	49	28	1.56	43	2
0.33	9	81	1.24	34	55	0.14	4	29	1.86	51	3
2.66	73	82	0.91	25	56	1.75	48	30	2.07	57	4
1.93	53	83	1.75	48	57	2.04	56	31	1.16	32	5
0.14	4	84	1.02	28	58	2.04	56	32	1.38	38	6
3.50	96	85	0.87	24	59	1.71	47	33	1.34	37	7
2.26	62	86	0.87	24	60	1.05	29	34	0.84	23	8
1.53	42	87	0.47	13	61	0.22	6	35	0.36	10	9
0.03	1	88	0.80	22	62	2.18	60	36	0.73	20	10
0.07	2	89	2.26	62	63	1.71	47	37	0.87	24	11
1.02	28	90	1.35	37	64	0.76	21	38	1.27	35	12
2.18	60	91	0.47	13	65	1.02	28	39	1.71	47	13
			1.75	48	66	0.87	24	40	1.05	29	14
			0.22	6	67	0.40	11	41	0.25	7	15
			0.03	1	68	2.005	55	42	0.18	5	16
			0.18	5	69	0.84	23	43	0.25	7	17
			9.25	7	70	0.03	1	44	0.58	16	18
			0.14	4	71	0.03	1	45	0.29	8	19
			0.14	4	72	0.10	3	46	0.18	5	20
			0.33	9	73	0.80	22	47	0.65	18	21
			0.29	8	74	0.69	19	48	0.84	23	22
			0.58	16	75	0.94	26	49	0.36	10	23
			0.91	25	76	1.97	54	50	0.14	4	24
			3.57	98	77	1.78	49	51	1.09	30	25
			0.07	2	78	1.16	32	52	0.40	11	26

3.2.3 Styloanalysis of Mansfield's Short Story The Little Girl

Finally, the analysis moves to Mansfield's short story. This short story consists of (106) sentences of different lengths, the shortest of which consists of (2) lexical items, and the longest contains (59) lexical items. The whole story consists of (1431) lexical items. Out of the total (106) sentences, thirty one sentences have a range of (1 - 9_) lexical items only, comprising (253) of the whole text. Significantly,(26) of these sentences are either direct or indirect speeches. This suggests that speech presentation in this story is particularly

Mansfield's Short Story (The Little girl) explores what goes on in the mind of Kezia, the little girl who has developed the childishly wrong impression that her father is a figure to be feared and avoided though every morning the father is keen to come into the nursery room and kiss her goodbye before going to work. Her dread is renewed when he returns home from work in the evening, and she is required to pull off his boots. She stutters whenever he addresses her. The objects she carries at his presence, such as the tea cups or spectacles, shake as her hands jog like that of an old lady. She sees him as a fearful giant with big hands, neck, mouth and a load voice.

A week before her father's birthday, her grandmother advises her to make him a pincushion for a present out of a piece of yellow silk. Kezia indulges in work and innocently stuffs the pincushion with her father's personal papers shredding them into pieces. When her mistake is discovered, her father punishes her with a ruler.

So, to Kezia, her father was a quite dreadful person, not as good as the father of their neighbours, the Macdonalds, whose children have been watched by her as they play with their father in the garden and freely "turn the hose on him."

One day, her mother falls ill and goes down town with her grandmother while Kezia is left alone at home with her father. When she sleeps at night, she sees nightmares and makes up shivering only to see her father beside her bed, with a candle in his hand. She tells him of her nightmare and he takes her into his arm and lets her sleep beside him in his bed. There, Kezia sees for the first time that her father is not so big and fearful after all, and realizes her childish mistake, feeling that her father has a really big heart.

3.2.2 Styloanalysis of Woolf's Short Story Kew Gardens

This story consists of (91) sentences of different lengths, the shortest of which consists of (1) lexical items, and the longest contains (96) lexical items. The whole story consists of (2743) lexical items. Out of the total (91) sentences, twenty six sentences have a range of (1 - 9_) lexical items only, comprising (136) of the whole text. Significantly, twenty six of these sentences are either direct or indirect speeches. This suggests that speech presentation in this story is particularly expressed via the shortest sentences. The remaining short sentences are either descriptive or narrator comment.

(17) sentences are the longest in the text, consisting of (720) lexical items of the whole text. One sentence of them contains more than (100) lexical items.

The remaining medium size sentences- those consisting of (10-48) lexical items each comprise the greater portion of the text, both in terms of sentence.

The data consists of two short stories, one written by Virginia Woolf (1919): Kew Gardens and one by Katherine Mansfield: The Little Girl (1912) .The selection of these two writers has been motivated by the following considerations:

1.They are well-known. Contemporaneous writers of short stories in English, belonging to the same generation and literary age;

2.They also show special interest in the use of the stream of consciousness as a narration technique.

3.2 General Themes of the Data

Virginia Woolf's short story (Kew Gardens) is a descriptive short story that offers a panoramic sketch of Kew Gardens revolving around an oval flower toed with its colourful petals and leaves stirred by the breeze. Around this flower bed, we can see the figures of men, women, and children visiting the garden and moving here and there among the flowers, insects, and trees.

The first couple described are Simon and his wife Eleanor, accompanied by her two children: Caroline and Hubert. Simon remembers how fifteen years ago he came to this same garden with Lily and sat by the lake. He also remembers how he begged Lily to marry him, but she refused. He tells his wife about this past story and the wife shows considerate understanding. She also tells her husband how she used, twenty years before, to come to this very place to paint water-lilies; and how she was once kissed on the back of her neck by an old gray-haired woman.

Then the description shifts to a snail trying to move in the oval flowerbed. Two men, one young and one old come to the flowerbed, and the older man discusses the flow of the great number of spirits of those men who are killed daily because of the on-going war. He also remembers his trip as a young man to the forests of Uruguay with a beautiful young woman. The old man does all the talking, making a lot of gestures. These two men are followed by two elderly women who are eavesdropping and scrutinizing the old man’s gestures, unable to catch his words. The two women then stop at the oval flowerbed, look at the plants, and decide to go and have some tea in the garden’s café.

Another couple, a young man and a young woman, are described next. They sit together, hand in hand, at the same flowerbed. Then, they, too, decide to go and have some tea.

The description then goes back to the flowerbed, the blue vapor, the heat, birds, butterflies, palm house, the drone of the flying airplanes, and the shapes of men, women and children spotted upon the horizon. There were human voices of passions and desires, omnibuses, motors, city murmurs as well as myriads of flowers, flashing their colours into the air.

With subject like: Her mother having left the house, they
helped Mary in her duties.
4–ed participle
without subject like: Fulled with smocking, I left the place.
b.with subject like: They left the office and went home, the job finished.

According to Crystal (1996:1)) Non-finite subordinate clauses can be divided to three types; one for each of the non-finite forms of the verb:

1.Infinitive clauses which have nominal , adjectival and adverbial functions , e.g.

(2: 52)

a. To have a successful career was their goal. (nominal: S)

b. I hope to see you next week. (nominal : dO)

c. The chairmen called a meeting to discuss the report. (adverbial: A of purpose)

There are several interesting conclusions to be found in the report. (adjectival: postmodifier of noun)

2–ing-clauses which have nominal, adjectival and adverbial functions

(2.53)

Skiing in the mountains is great fun. (nominal:S)

The firemen stopped smoking pot. (nominal: dO)

The car coming down the road belonged to Jacob. (adjectival: postmodifier of noun)

They were getting bored with lunching with the same people every day. (nominal: complement of preposition)

Having discussed the matter, the board made its decision. (adverbial: A of time)

2.Past participle clauses which have adverbial and adverbial functions.

(2.54)

The house is near a lake surrounded by beautiful hills. (adjectival: postmodifier of noun)

When asked to contribute, she gave them a piece of her mind. (adverbial: A of time)

Section Three: Data Selection and Analysis

3.1 Introduction

This section is specified to presenting the procedure of data selection and its stylistic analysis by means of statistics to explore the possibility of getting at objective inferences based on solid linguistic evidence.

2.3 Clause Types: Verb Element

Analysed by structural type,Quirk et al (1972: 722)), Leech and Sartvik (1994:249) there are three main classes:

Finite clause: a clause whose V element is a finite verb phrase, e.g.,

(2. 47)

Jack has visited London.

Because Jack is teaching, he. . .

Non-Finite clause: a clause whose V element is non-finite verb phrase, e.g.,

(2.48)

Having cleaned the rooms, she. . .

For Jack to solve the problem was a . . .

Verbless clause: a clause containing no V element (but otherwise generally analysable in terms of one or more clause elements)

(2. 49)

Although always helpful, Marry . . .

Marry, then in London, was . . .

All these types may themselves have subordinate clauses which are finite, non-finite, or verbless. The following example includes verbless clause which has a finite clause within it:

(2. 50)

Although always helpful when her mother was a way,she . ..

The finite clause always contains a subject and a predicate, except in the cases of commands and ellipsis , e.g.,

(2. 51)

a. Be careful

b.Jack was the winner in 2001, and John (was the winner) in 2002.

In contrast, non–finite clauses can be constructed without a subject, and usually are. Quirk et al (1982:310) distinguish four classes of non-finite clause:

Infinitive with to

without subject like: The best thing would be to tell every body the truth.

with subject like: The best thing would be for you to tell everybody the truth

2.Infinitive without to

without subject like: All he did was put it on the table.

with subject like: Rather than Mary do it, I'd like to give the job to Lucy.

3–ing participle

without subject like: Leaving the chicken, he ate the cake.

Our soldiers risk their lives in order that we live safely.

6.Concession (meaning ‘I concede that . . .’ , ‘I grant that . . .’). These clauses are introduced by though, although, even though, occasionally by even if, wherever, whenever, however + adjective), whether . . . or not, no matter whether . . . or not, e.g.,

(2.38)

Though(although) he tried hard, he was not successful.

(2.39)

However rich people are, they always seem anxious to make more money.

Comparison. These clauses can be expressed by one of the following : so, such, as in the principal clause), than (preceded by a comparative in the principal clause), e.g.,

(2.40)

She can’t run as/so fast as he can.

(2.41)

I can’t cook as well as my mother can.

Another type of comparative clause has the construction ‘The . . . comparative . . . the . . . comparative’, e.g.,

(2.42)

The more you work, the more you earn.

Condition (or Supposition), which indicate on what condition a thing happens, happened or will happen. These clauses are introduced by the conjunctions if, unless(= if not), whether, as long as, or that (after supposing, provided, on condition)e.g.,

(2.43)

I shall go if you asks me.

(2. 44)

I shan’t come unless she needs me.

Result. A clause of simple result is introduced by so that , e.g.,

(2.45)

I received my wages yesterday, so that I can now pay what I owe you.

This construction differs from the similar construction introducing a clause of purpose, in that it is not followed by may, might or should.

A clause of result associated with degree is introduced by so . . . that, such . . . that or so . . . as to , e.g.,

(2.46)

The rain was so heavy that we stayed at home.

(2: 27)

I am certain that I shut the door.

4. Adverb Clauses

Adverb clauses do the work of adverbs. The main types of adverb clauses are those of manner, place, time, reason, purpose, concession, comparison, condition and result.

Manner, which indicate how an action is done, e.g.,

(2. 28)

Henry did the work as it ought to be done.

Adverb Clauses of manner are usually introduced by the conjunctions as, as if, as though, followed by a past subjunctive, e.g.,

(2. 29)

You look as if (= as you would look if) you had seen a ghost.

Place, which indicate where an action was done, e.g.,

(2. 30)

Fools rush in where angles fear to tread.

Time, which indicate when an action was done. These clauses can be introduced by a number of conjunctions, e.g., when, while, after, before, until, since, as, as soon as.

(2. 31)

She learned English before she came to England.

Reason (or Cause), which indicate why an action was done. These clauses are generally introduced by because, since, as, seeing that, now that, e.g.

(2.32)

He sold the house because it was too small.

(2.33)

Since /as/ seeing that /now that/ you won't help me, I must clean the house myself.

Clauses beginning with as, since, seeing that, usually precede the principal clause; those beginning with because usually come after it, e.g.,

(2.34)

As my mother is away at present, I have a great many extra jobs to do.

(2.35)

I have a great many extra jobs to do because my mother is away at present.

5. Purpose. These clauses are usually introduced by so that, in order that, and the somewhat archaic lest (modern: for fear that; so that . . . not).

(2.36)

Some people eat so that they may live.

(2. 37)

Sometimes a part of a sentence is given front position and is introduced by it is (or some other form of the verb to be singular number) and followed by an adjective clause, e.g.

(2.19)

It is work that we want, not charity.

2. **Noun Clauses**

A noun clause is one which does the work of a noun. It may be:

1. The object of a verb, e.g.

(2. 20)

George said (that) he was pleased to welcome our Italian friends.

This is the most usual function.

An object clause, i.e., a noun clause that is the object of a verb may be:

a statement, direct or indirect, e.g.,

(2.21)

a. He said, 'The matter will be settled tomorrow'.

b. He told me (that) the car had been crushed.

a question, direct or indirect, e.g.

(2.22)

a. He said, 'Where do you live?'

b. He asked me where I lived.

c. Can you tell me what the time is?

The subject of a verb, e.g.,

(2: 23)

What you are ding seems very difficult.

A subject noun clause always precedes its principal clause. The verbal predicate of subject clauses is almost always the verb to be or a verb with a similar meaning.

The object of a preposition, e.g.,

(2: 24)

He only laughed at what we said.

The complement of a verb, e.g.,

(2: 25)

The problem is that he does not really study.

In apposition to a noun, e.g.,

(2: 26)

The fact that the prisoner was guilty was plain to everyone.

6.Used with a number of predicative adjectives, like certain, glad, sorry, etc.,

Both these clauses define the antecedent and give it its definite connotation; they indicate which student out of a number of students, which book out of thousands of books. So clauses of this type are called defining clauses.

If the adjective clause could be omitted and the rest of the sentence would still perfectly understood , then it is a non-defining one :

(2. 13)

Bernard Shaw, who wrote Pygmalion, died in 1950.

My brother, who had been on a visit to Jordan, arrived at Baghdad yesterday..

The adjective clauses here are a kind of parenthesis, a causal remark, an aside or an explanation. They could be written between brackets or dashes, e.g.

(2. 14)

a. Bernard Shaw(who wrote Pygmalion) died in 1950.

b. My brother, who had been on a visit to Jordan- arrived at Baghdad yesterday.

Relative Clauses Introduced by other Words (when, where, why)

Adjective clauses are introduced by who, whom, which, and that as well as where, when, why if these words have the meaning in which, at which, for which, etc., e.g.

(2.15)

a. The place where Macbeth met the witches was a desolate health.

b.I remember the day when she first wore that pink dress, I know the reason why he was so angry.

In the above examples the adjective clause is a defining one; but when and where can also introduce non defining clauses, e.g.,

(2. 16)

a. We will put off the picnic until next week, when the

b. weather may be better.

Other words used to introduce adjective clauses are but and as. For example, a noun is a negative sentence is sometimes qualified by an adjective clause introduced by but:

(2. 17)

There's not a man here but would like to be in your place.

After same and such an adjective clause is usually introduced by as, e.g.,

(2.18)

I shall be surprised if he does this the same way as I do.

2.2. Adjective Clauses with Formal Subject 'It'

2.1.3 Complex Sentence

According to Palmer (1972:79)complex sentence is a way in which two sentences may form a large sentence when one of the sentences functions as part of the other.

A complex sentence consists of only one main clause plus one or more subordinate clauses :

(2:9)

She telephoned while you were out.

MC SC

Subordination is known by different names like rank-shifting, downgrading and more recently embedding , when one sentence is embedded in another. The traditional grammars referred to this as subordination and talked about the embodied sentence as a subordinate clause. Embedding is of incorporating a clause within another clause (Poole,1999:89). Sentences found in literary prose are characterized by several bound clauses, often-embedded one within another (Wright and Hope,1996:140).

2.2 Clause Functional Types

Adjective Clauses

Adjective clauses (sometimes called attributive clauses or relative clause) qualify nouns. The noun qualified is usually called the antecedent and the relative clause follows the antecedent, e.g.,

That is the house that I would like to buy.

The antecedent is the noun which the relative pronoun refers back to like:

(2: 10)

The car which crashed into the tree was totally wrecked.

The tree which the car crashed into was an oak

Sometimes the adjective clause divides the main clause, e.g.,

(2: 11)

The house that I would like to buy is not for sale.

An adjective clause is basically introduced by a relative pronoun (that, which, who, etc.).

Adjective Clauses can be divided to defining intransitive and non-defining Clauses (or non-restrictive).

If the adjective clause is a necessary part of the idea, it is a defining one:

(2: 12)

a. The student who answered the question *was John.*

b. The book which you lent me was interesting.

I.Declaratives are sentences in which the subject is overt and generally precedes the verb:

(2:2) Pauline gave Tom a digital watch for his birthday. (SVO1O2PP)

II. Interrogatives are sentences that are formally marked in one of two ways:

i. Yes-no interrogatives: the operator is placed in front of the subject:

(2:3)Did Pauline give Tom a digital watch for his birthday?

ii. Wh-interogatives: the interrogative wh-element is positioned initially:

(2:4) What did Pauline give Tom for his birthday?

III. Imperatives are sentences which normally have no overt grammatical subject, and whose verb has the base form:

(2:5) Give me a digital watch for my birthday.

IV. Exclamatives are sentences which have an initial phrase introduced by what or how, usually with subject-verb order:

(2:6) What a fine watch he received for his birthday!

2.1.2. Compound Sentence

A compound (double or multiple) sentence can be defined as two or more sentences joined by a conjunction or coordinator (Eckersly & Eckersly, 1972:319). Each of the sentences composing the compound sentence can stand independently e.g.,

(2.7)

a. I am teaching you English and you are listening to me.

b. Do you understand that or is the point still not clear?

Sentences like these are called compound , double or, multiple sentences.

Leech and Svartvik (1994:266) states that in coordination, equivalent units are linked by and , or but. So, coordination is realized in terms of coordinated phrases as well as clauses.

Crystal (1996:3) maintains that it is a sentence with two (or more) main clauses joined by co-ordination conjunction in the same way as the separate parts of a single clause can be. All of the clauses making up the compound sentence are co-ordinate, i.e., equal in rank.

In compound sentences the subject or the auxiliary verb, or both, may be omitted in the second clause if they are the same as those in the first clause, e.g.,

(2:8)

a. The sun is shining and the birds are singing.

Section Two :Sentence Length and Complexity

2.1 The Notion Sentence

Although native speakers of English know intuitively what a sentence is and how to use it, the term sentence is difficult to define neatly. Crystal (1971:200) concludes that it is highly that there will ever be best definition of a term like sentence.

A sentence can be defined as a group of words, or in some cases a single word, which expresses a statement, a command or an expression of wish, a question, or an exclamation (Onions,1965:3):

(2.1)

I am an engineer. (Statement)

Speak ! (Command)

How do you do? (Question)

How it thunders! (Exclamation)

However, the two chief components necessary to every grammatically complete sentence are the subject and the predicate. The subject of the sentence names the person, the place, the thing or the condition which the sentence is talking about by means of the predicate. The predicate is that part of the sentence that asserts or tells something about the subject (Jespersen,1933:110 ; Palmer, 1974:55).

The Structuralists define the sentence as a statistic linguistic entity, i.e., “an independent form not included in any larger form” or “the minimal independent grammatical term”. (Bloomfield, 1933:170).

Similarly, Crystal’s Dictionary of Linguistics and Phonetics (1997:347) thinks that the sentence is “the largest structural unit in terms of which the grammar of a language is organized”.

Quirk et al. (1985:47) hold that the sentence is the highest ranking unit of grammar and that the purpose of a grammatical description of English is to define, by means of whatever description apparatus may be necessary (i.e. rules, categories etc.), what counts as grammatical sentence in English.

2.1.1 Simple Sentence

Quirk et al. (1985:47) define the simple sentence as the sentence that consists of a single independent clause and use the term multiple sentence to subsume both complex and compound sentences.

Sentences is classified into three types (ibid: 987): simple which consists of a single clause, in which each of its elements (subject, verb, object, adverbial . . . etc.) is realized by a sub-clausal unit, i.e., a phrase:

You can borrow my car. (SVO)

Simple sentences may be divided into four major stylistic types:

Generally , looking at style in a text , one is not interested in choices in isolation but at a pattern of choices which belongs to the text as a whole i.e, a chosen feature must be seen in relation to other features , “against the background of the pervasive tendency of preferences in the text (ibid:42).

The process of measuring style is to find out what is distinctive about the style of a certain corpus or text and to work out the frequencies of the features it contains and then to measure the figures against equivalent figures which are normal. Therefore, style is to be measured in terms of deviations either higher or lower frequencies from the norms (ibid :43).

Since the ideal of a completely objective description of style is a myth , the norm is not an absolute norm but a relative one . So, the process of measuring style is to compare the corpus whose style is under scrutiny with one or more comparable corpuses . (ibid:51).There are as many measures as there are relative norms .(ibid:53).

Within the relative norm, which determine the more general expectation of language , there is a secondary norm which is attained by stylistic consistency in that text (ibid:55). Then appears the phenomenon of internal deviation in a text through which the features of language within that text may depart from the norms of that text. Such phenomenon explains the prominence of an ordinary , even banal piece of language which seems to gain its impact from the context in which it is found.

But how the frequency of a particular feature can be determined ? Leech and Short (1981:66) present two ways: either by working out the number of times it occurs per x, where x is some standard general measure including the features being counted ; as counting the number of nouns per words not per sentence, or to express the frequency in terms of the ratio of occurrences of one category to occurrences of another . The categories to compare are ones which are immediately in contrast with another ,as comparing the ratio of nouns to adjectives (ibid).

1.6 Discussion of the Previous Models of Stylistics

All the models discussed in this chapter tackle the important notion style, though from different perspectives. Crystal and Davey (1969) concentrate on the language of conversation , unscripted commentary, religion, newspaper reporting and legal documents only. Enkvist (1973) emphasise that any stylistic feature must be compared with a certain norm, whether textual or extratextual.

Leech and Short(1981) is the most relevant model to this study which, in turn, draws on the previous models cited in subsection(1.5.5).

1.5.4 Galperin's Model (1977)

This model shows that differentiation exists in literary language due to the differences in the actual situations in which language is used and the aims of communication (Galperin , 1977:48).

Consequently , there are two varieties of literary language : the spoken and written . The spoken language is considered primary and the written secondary simply because the speaker may use other means in addition , such as intonation, gestures , and tones in his voice quality in order to give the utterance some kind of melody and to effect its general meaning. The spoken language involve the presence of speaker /interlocutor whereas the written varity presupposes the absence of both simply because the speaker cannot view language from outside and there must be an interlocutor to react whereas in the written variety , the speaker can look upon his utterance objectively with an opportunity to correct and improve his variety before it reaches to the interlocutor (ibid).

Stylistics tries to analyse the expressive means and stylistic devices of the language which are based on some significant structural point in an utterance , whether it consists of one sentence or a string of sentences . The utterances are patterned as neutral or non stylistic as the sentences are patterned as simple , compound or complex. Such patterns are called as "stylistic patterns" since they help to establish the norm of syntactical usage . Such patterns are viewed as variants of the general syntactical models of the language i.e, syntax is not a new material that is coined but new relation i.e, a definite combination of grammatical forms . (ibid:191).

Galperin defines the term "utterance" as a stylistic term to be a means to denote a certain span of speech in which coherence, interdependence of the elements , one definite idea , and the purport of the writer may be observed (ibid).

To achieve the purport of the writer , which is to make the desired impact on the reader, the syntactical units are connected to achieve the desired effect and it is often by the manner they are connected that the desired effect is served (ibid).

1.5.5 Leech and Short's Model (1981)

Leech and short (1981: 11-12) limit the domain of style to written literary texts because they are the best representatives of their author, period and it is possible to see how language serves a particular artistic function . As a relational term , style reflects the person who use the linguistic habits; the way language is used ; the period , genre, school of writing or some combination of these.

or professional activity being engaged in . For example , the language of public worship advertising, science, or low (ibid:71).

The term status is related to different factors as formality, informality , respect , politeness, deference , intimacy , kinship relations , business relations and hierarchic relations in general.

The dimension of modality allows a description of the linguistic features which are correctable with the specific purpose of an utterance which leads the user to adopt one feature rather than another , and to produce spoken or written format of his language which may be given a descriptive lable (ibid).

Singularity is a cover –term for those personal and occupational features which are only related to individual user . In other words, it describes those linguistic and idiosyncratic features which are regarded as markers of an authorship if they appear in a person's usage . Therefore , there is a contrast between singularity and personality in the sense that the former is relatively continuous , permanent, and not to be manipulated in short or nonlinguistic, whereas the latter is short, temporary , and manipulatable (ibid:76).

Additionally, there are some situational categories that must be distinguished within each dimension , such as formal, informal legal, religious, etc. (ibid:82) .These categories are in turn called "stylistic features" which correlate with the distinctiveness of a situation and operate at some or all of the phonological, grammatical , and lexical level (ibid:83).

1.5.3 Enkvist's Model (1973)

Enkvist (1973:17) states that one way of defining styles is by regarding them as variations that correlate with contexts and situations like Crystal and Davy, Enkvist (ibid) sheds light on other variations as temporal, regional , social dialect as well as ideolect . He introduces the term "linguistic diatype" to include all the different subvariations mentioned above.

Style means differences since it is defined as a variety of language. Such differences can be analysed and described in terms of comparison . The comparison is important to show ranges of linguistic variation in specific situation, and in each situation the recipient of a message has some exceptions about the massage i.e, it has a certain type of situation /bound language . If the expectations are fulfilled, the message has conformed to the style usually associated with the situation and the message has a high stylisticality. If they are disappointed, the message departs from the usual style and has a low stylisticiy (ibid:22).

speaker's skin. Intimate style has two systematic features : i) extraction and ii) jargon.

Formal style is designed to inform . Its dominating character is the absence of participation which infects the speaker as well as the hearer. The speaker may speak as if he were not present avoiding words such as "I , me, mine" , but except "one". And as such , the speaker protects both the text and himself from involvement. The defining features of formal style is i) detachment, and ii) cohesion.

Frozen style is for people who are to remain social strangers and it is a style for print and declamation. Unlike the consultative style , it lacks participation and intonation . However, it gains two things : the reader can reread . The rereading is reconsidering the text rather than rescanning (ibid:41) and , revealing (ibid:49). Frozen style is called " anti-formal style " because it reverses the aims of formal style by subordinating information to involvement (ibid:50).

1.5.2 Crystal and Davy's Model (1969)

This model offers certain dimensions of style, consisting of categories that are situationally based with reference to sets of linguistic features called " stylistic features". These dimensions are individuality, dialect, time, discourse , medium, province , status , modality and singularity .

Individuality refers to those permanent features of the speech or writing habits, which identify someone as a specific person , distinguish the person from other users of the same language, or the same varity of the language . This term is also used to cover both psychological and physical personal trails which could give rise to phonetic and graphic distinctiveness of any kind (Crystal and Davy, 1969:66).

Dialect refers to features which can be used to give an indication of the person's place of geographical origin of his location on a nonlinguistically based social scale.

The dimension of time includes temporal features of an utterance of an individual which indicate exclusively diachronic information. Such information is of primary importance in any historical study of English, both in the general sense of the development of the language as a whole , and in the particular sense of the development of the habits of a single human being (ibid).

Discourse includes two types variability in language :i) medium which can be either speech or writing , and ii) participation in the language event which can be monologue or dialogue (ibid).

Province features identify an utterance with those variables in an extra – linguistic context which one defined with references to the kind of occupational

By combining literary discrimination and linguistic discrimination in this way , the concentration is laid to those particular features of style which call for more investigation . Such prominent features of style are called style marker. (Leech and Short , 1981:69).

1.5 Some relevant Models of Stylistic Analysis

1.5.1 Joos (1961)

Joos (1961:11) introduces four usage-scales of native central English: i) age; ii)style ; iii) breadth and ; iv) responsibility . These four scales are essentially independent ; therefore , relation among them are not identities . In other words, it is not a condition that , for example , a formal style is used by a mature person . These four scales are shown in the following table:

Table (1) the Four Usage –scales of English

Age	Style	Breadth	Responsibility
senile	Frozen	genteel	best
mature	formal	puristic	better
teanage	consultative	standard	good
child	casual	provincial	fair
baby	intimate	popular	bad

The five styles tabulated above are termed “five clocks” by Joos.

However, it is not a must that a speaker must be confine to a single style for one occasion , so it is possible to shift to another style even within the sentence. On the other hand, no two “neighbouring” styles are used alternatively and it is anti-social to shift , for example , form casual to formal , Joos, 196: 19).

Joos clarifies these five styles in the following terms :

consultative style has two defining features : i) the speaker supplies background information since he is not going to be understood without it, and ii) the addressee participates continuously . As such consultative style is the norm of communicating with strangers who speak the speaker’s language but whose personal stock of information may be different (ibid:23).

However , it is a hard work to treat the listener as a stranger in the long run . There must be a try to form a social group with him by means of using the casual style.

Casual style is used for friends , acquaintances , and those who are strangers treated as insiders. Unlike consultative style, there is an absence of background information and no reliance on the listener’s participation since the addressee will understand without such aids (ibid) . The defining features of casual style are i) ellipsis, and ii) slang.

Intimate style excludes any public information , and avoids giving the addressee information from outside the speaker’s skin (as Joos calls it) . It is used to inform , or remind, the addressee of some unexpected feeling inside the

There are two techniques of extra structuring that are important in some styles of modern literary discourse :foregrounding and parallelism.

Foregrounding , in literary works , is a process of giving special attention to elements of language which are crucial to a particular effect or meaning. This is often achieved by using them in unusual contexts or unusually in relation to "norm" of syntax, lexis, discourse, and genre.

Parallelism , or equivalence , on the other hand, consists of the introduction and "foregrounding" of regularities in the language (Leech , 1969 : 62-9; Carter, 1981 : 281). By parallelism , or balance , Jakobson (1961:423) means the apportionment of invariant and variable of all levels of linguistic forms. Such apportionment of patterned recurrences creates unique seguental meanings .

1.4 The Notion of Stylistic Marker

In the light of what has been mentioned in (3.4), stylistic analysis is seen as selective in a way that a method of stylistic analysis must select some features and ignore others , some studies concentrate on just one feature and others on a mere handful features (Leech and Short, 1981:69).

If the densities of certain features are appreciably different in two texts: the studied text and differentiating norm , then these features are style markers, i.e, stylistically significant features (Enkvist, 1973:23).

The norm chosen for comparison with a text must have a definite contextual relationship with the text i.e, the norm chosen is contextually relevant as a background for the text. For example, if we read a sonnet, we are more likely to compare it with other sonnets rather than with a telephone book or a newspaper article. This matching process results in identifying , classifying , and interrelating the densities of linguistic features that make the text different from the norm. Features whose densities are significantly different in the text in comparison with the norm are style markers for the text in relation to the norm used . A change of a norm may result in a different inventory of style markers (ibid:26).

However , if the density of a given feature is roughly the same in the text and the norm, that feature is, in terms of comparison, stylistically unmarked or neutral . In other words, the results of comparison are entirely dependent on the choice of norm , their impressions of its style will be different (ibid:23).

A question which may arise is how to select the features? It is assumed that stylistics investigates the relation between the writer's artistic achievement and how it is achieved through language . It studies the relationship between the significance of a text , and the linguistic characteristics in which they are manifest . This implies two criteria of relevance for the selection of stylistic features: a literary criterion and a linguistic criterion . These two criteria coverage in the concept of foregrounding.

Chapman(1973:11) defines stylistics as the linguistic study of different styles.

1.2 Style and Literature

Though linguistics deals with a cluster of subjects of various complex historical origin , Fowler (1966:3) suggests narrowing the field of linguistics by confiding it to learning about language through the study of literary texts, and exploring its relation with literary criticism . However there is no real standards to distinguish a verbal structure that is literary from one that is not. Only the contextual criteria can explain why the term “literature” is used at a certain time for a certain text (ibid:11).

Joos (1961:51) defines literature as “that text which the community insists on having repeated from time to time intact” . Literary style is any written individual form of literary intent i.e, the style of an author or of a single poem or even of one isolatable passage (Riffaterre, 1959:155). Style in this sense is understood to be an emphasis added to the information conveyed by the linguistic structure, so language expresses and style stress (ibid). This means that stylistics is seen as the study of literary discourse from a linguistic orientation. Even the morphological make – up of the term “stylistics” suggests that it is a means of linking literary criticism as well as linguistics because “style” is related to the former and “istics” is related to the latter (Widdoson, 1975:3).

When considered as a mediation between language and literature , stylistics can be used to identify and name the distinguishing features of literary texts, and to specify the generic and structural subdivisions of literature (Bradford, 1997:1).

Literary texts are characterized by the use of a range of techniques or devices which promote defomiliarization (i.e, making strange) (Fowler, 1996:57).Defamiliarization is the use of some strategy to force us to look and to be critical in such a way that “the old and habitual is judged as if it is new and unusual . One must speak of the ordinary as if it is unfamiliar” (ibid).

Most of the defamiliarizing devices of modern literature involve breaking the rules i.e deviation (ibid:23).

Such a process implies the difference between the normal frequency of a feature , and its frequency in the text or corpus (Leech and Short, 1981:48) . Deviation comes out as a result of choice, whether conscious or not (Darbyshire, 1971:100). When speaking about deviation , norm should be presupposed . For Enkvist (1973:26), “norm” is considered as a “ set of patterns which we choose in accordance with their contextual relevance” . Thus when analysing features of a text , they are compared with those of the norm in order to specify the differences.

Galperin (1977:9) defines style as the correspondence between thought and its expression. It is shown in the way sentences are arranged to convey the ideas and to get response (ibid:10). Style can also be seen as either the quality of language communicating precise emotions and the thoughts or the result of an "author's success compelling language to conform to his made of experience". Consequently, the term style can be seen as a rhetorical term concerned with the "embellishment of language viewed as something that hinders understanding.

Viewed from a different angle , Galperin (ibid) asserts that the term style is often used to refer to "individual style" which deals with the "peculiarities of a writer's individual manner of using language means to achieve the effect he desires". Similarly, Chatman (1977: 30) considers style as a "product of individual choices and patterns of choices among linguistic possibilities". In other words, style is considered as a fingerprint since each language user has some idiosyncratic features that distinguish him from others using the same language or variety of language (ibid). According to this view , style is the reflection of the writer's character because it reflects the writer's own experience, education , understanding and his way of putting forward his ideas that differentiate him from others (Mustafa, 1998:17).

From another perspective, there are some definitions of style that

deal with the text itself by investigating and analyzing its linguistic features (Haynes, 1989:13). Most linguists and stylists agree that in order to identify what is distinctive in the style of a certain corpus or text, the analyst has to work out the frequencies of the features it contains and then measures these features against the equivalent features which are normal for the language in question (James,2001). Style is then measured in terms of the characteristics or in terms of deviation from the norm.

Thus the term style is a board term which is widely used to involve techniques, methods, strategies, grammars and procedures that one may acquire (Corder, 1979:287).

Defining style leads to the definition of stylistics as a process of literary text analysis which starts from a basic assumption that the primary interpretative procedures used in the reading of the literary text are linguistic procedures (Carter, 1982:4).

Turner (1973:7) maintains that since linguistics is the science of describing language and showing how it works; "stylistics is that part of linguistics which concentrates on variation in the use of language often but not exclusively with special attention to the most conscious and complex uses of language in literature".

Sentence Length and Complexity
In Selected Short Stories of
Virginia Woolf and Katherine Mansfield

Shaima' Abdul Hussein Al-Mi'mar

Section One: Style and Stylistic Analysis

1.1 Style and Stylistics

Many definitions of the word style have been proposed. The English word style is derived from the Latin word “Stilus” meaning a “pen” or a pointed stick of bone or metal used as a writing implement to inscribe wax tables. As the inscriptions produced differ according to the style used, the term was then metaphorically applied to the “different ways” in which a person can express himself in speech as well as in writing (Lucas, 1974.15; Renkema, 1993: 96).

As a general term, Lynch 2001 says that one can talk about style in artichtecture, literature , behavior, linguistics , dress, and in other fields of human activity . Though widely used, it is important to mention that there is no one a greed-upon definition of the term style due to the differences in the writers, personal preferences, judgments , and attitudes

In classical Latin, the word style means “ a man’s way of writing” and his “way of expressing” as when we talk about Shakespeare’s style or the style of Joyce.

practical linguists and teachers of language consider style as the ability to write clearly , correctly and in a manner calculated to interest the readers (Lucas , 1960:33). Such a definition is regarded as rigid, self-sustained, and inflexible since in the linguistic analysis, style is not something to be characterized as “good “ or “bad”..., or is confined to written language , or to literature, or to any single aspect of language (Chapman , 1973:12).

Binding Theory accounts for relations among anaphors (himself),pronominals (him) ,and referring expressions (John) ,and their possible antecedents in sentences .

In general ,pronouns and anaphors have opposite distribution .Anaphors have to be bound in some local domain ,whilst pronouns had to be free ,but is not bound ,in that same domain ,and referring expressions had to be free everywhere .

References

-Cook ,V.J. and Mark New son(1996)Chomsky's Universal Grammar. Oxford :Black well publishers ltd.

-Falk ,Julia S.(1978)linguistics and language. New York :John Willy and Sons .

-Farrokhpey Mahmud (1999 a.)Fundamental Concepts in Linguistics. Tehran :Sokhan .

-Farrokhpey ,Mahmud (1999 b.)Government and Binding Chomsky's language theory . Tehran:sokhan.

- Fromkin ,Victorai ;Robert Rodman ;Nina Hyams (2003)An Introduction to language .USA:Heinle.

- Johnson, Keith and Helen Johnson(eds.)(1999) Encyclopedic Dictionary of Applied Linguistics . UK :Blackwell.

-Lyons ,John (1973)Chomsky. Great Britain :Collins and Co. ltd.

-Radford ,Andrew (2004)Minimalist Syntax. Cambridge :Cambridge University press.

-Schmitt ,Norbert (ed.)(2002)An Introduction to Applied Linguistics .USA :Arnold.

-Sells ,Peter (1985)Lectures on Contemporary syntactic Theories .USA :CSLI .

-Smith ,Neil (1999)Chomsky :Ideas and Ideals. Cambridge :Cambridge University press.

-Wikibooks (retrieved 2010)Conlang /Advanced /Grammar /Government Binding Theory.

, http://www.en.wikibook.org from the World Wide Web.

The three principles of the Binding Theory must become as follow:

A-An anaphor must be bound by it's antecedent within it's binding local domain.

B-A pronoun must be free in its binding local domain .

C-An R-expression must be free.(wikibooks ,2010:1-6 ;sells ,1985:70)

Binding Theory and UG:

It is mentioned earlier in this term paper that UG is not concerned with information specific to one language.

One approve is the principle of the Binding Theory .These principles are couched at a level of abstraction that may be used for any human language .Though we may find some differences with the actual sentences of Chinese ,Russian ,Arabic ,Chomsky insists that the differences are in the ways languages use these principles but in the principles themselves .

(15)Huda re?et nafsaha: fi: almir?a:t .

Huda saw herself in the mirror.

In (15) the anaphor nafsaha: if bound to its antecedent huda .

another example

(16) qa:lat Fatima inna Huda re?et nafsaha: fi: almir?a:t.

Fatima said that Huda saw herself in the mirror.

In (16)the anaphor nafsaha: is bound to Huda ,(it antecedent in the same local domain),not to Fatima.

Another example

(17)qa:lat Fatima hiye re?et nafsaha: fi: almir?a:t

In (17)the pronominal may bound to Fatima ,an antecedent outside the domain or may be free and in this case it refers to a third entity not mentioned in the sentence .

From (15),(16),and (17) we can conclude that Arabic language has all the principles of the Binding Theory .

Conclusion

The theory of Universal Grammar holds that there are certain fundamental grammatical ideas which all human possess ,without having to learn them .All human are endowed biologically with these ideas .Universal Grammar acts as a way to explain how language acquisition works in human by showing the most basic rules that all languages have to follow .

The basic idea of Universal Grammar , that there are foundational rules in common among all humans .

One of these basic ideas is the Binding Theory.

(8)John said [that Pat saw him in the mirror].

In this sentence him is bound to John in the main clause .

In the other some third Party altogether is involved .

(9)John said [that Pat saw him in the mirror].

But him can not have Pat ,the subject of its own clause ,as antecedent .So it can be concluded that pronominals can either have an antecedent within another clause in the same complex sentence or refer outside the sentence altogether ;In this case it can be said that pronominals are free within their own clause since their reference must always go outside it.

From what is mentioned ,three principles of the Binding Theory can now be summed up to show the difference between anaphors ,pronominals and referring expressions :

A-Anaphors are bound within the clause .

B-Pronominals are free within the clause .

C-referring expressions always free.

Domains

The three principles mentioned for the Binding Theory need additional information ,look at the sentence:

(10)John said he saw himself in the mirror

By principle A the anaphor himself is bound to he within the embedded clause.

(11)John said [he saw himself in the mirror].

By principles B the pronominal he is free within its clause and so may co-refer with John outside the embedded clause or may refer to someone else not mentioned .

(12)John said[he saw himself in the mirror].

or

(13)John said he saw himself in the mirror .

According to this case the speaker must know not only the syntactic category to which the words belong but also the relevant local domain ,(a binding domain is the clause that contains the anaphor(

The reason why ‘ the local domain’ is needed additional explanation can be put. consider the following example :

(14)John saw that himself was reflected in the mirror.

What we notice about (14)is that the antecedent is outside the clause ,i.e. himself is bound to John which is outside the embedded clause. Clearly principle A needs a revision to include the notion of local domain i.e. to include a logicality constraint (a rule that involves nearness).

pronominal , another person is being talked about who is not mentioned .So it is clear that John and him do not refer to the same person .

Take another example :

(3) John saw himself in the mirror

While John ,as before ,refers to someone outside the sentence, himself refers to the same person as John.

This information obtained not from knowing who John is but from knowing the syntactic relationship between John and himself ,that is ,from the internal structure of the sentence .so John and himself corefer to the same entity , thus they are assigned the same index (i) i.e. co-index .

(4) John saw himself in the mirror

Here part of Chomsky's Binding Theory can be inferred that is “if an expression is in a certain structural relationship to another and is co-indexed with it ,it is bound to it (Cook ,1996:62). ”

In the preceding examples himself is bound to John and has the same index ;him is not bound John and has a different index.

In (1), (3) ,and(4) three word-classes are mentioned :referring expressions ,anaphors and pronominals . Noun such as John are classed as referring expressions in that their reference is necessarily to something in the discourse outside the sentence rather than to some other element in the sentence .Anaphors such as himself ,made up of subgroups such as reflexives ,however ,always have antecedents in the sentence rather than outside it . pronominals ,such as him do not have anticedents that are nouns within the same clause .

This analysis goes another way when faced with more complex data, such as : (5)John said that pat saw himself in the mirror .

Here himself does not refer to the same person as John although it is in the same sentence .From this ,it is concluded that the important category seems to be the clause rather than the sentence ;Anaphors such as himself is bound to an NP within the same clause ,this can be made clear when square brackets are used in the examples :

(6)John said [that pat saw himself in the mirror].

Put it another way it can be said : Anaphors such as himself must have antecedents within their own clause ; they are bound inside it .

Pronominals are the opposite in that they must not have an antecedent within the same clause .Thus in a sentence such as :

(7)John said that Pat saw him in the mirror.

Two possible interpretations can be obtained ,i.e. :

6- Binding theory.

The last sub theory of this list ,i.e. Binding theory will be the main concern of this term paper and it will be studied in detail.

Binding Theory:

Binding Theories tries to state whether expression in the sentence may refer to same entities as other expressions or refer to some entities outside the sentence .In other words Binding Theory deals with the expressing of the relationships among the categories of NP in a sentence .

Word Classes Involved in Binding Theory :

Three classes of words are involved in Binding Theory

1-Reffering Expressions

Any noun such as John ,Ahmad ,is classed as referring expression .This person is not otherwise mention overtly ,i.e. its reference is necessarily to something in world outside the sentence .

2-Pronominals

Words such as him ,her .. etc. belong to the class of pronominals.

3-Anophors

Anaphors may be

a-Reflexives (e.g. himself ,herself …)

b-Reciprocal (e.g. each other …).

So Binding theory is basically concerned with showing how pronouns and other types of noun relate to each other but is extends the antecedent /pronoun relationship to other categories in a rigorous fashion.

Types of relationship may exist between the categories of a sentence .Using examples will illustrate those types of relationship .

(1)John saw him in the mirror

First of all the reflexive and its antecedent ,(The NP on which a reflexive is dependent for its interpretation is the antecedent of the reflexive),must agree with respect to the nominal features of person ,gender ,and number .Lack of agreement leads to ungrammaticality as in (2).

(2)*Jack hurt herself .

Going back to (1) we find that there is some entity to which John may be used to refer . so John is a referring expression (r- expression).This person (John)is not otherwise mentioned overtly .To know who is being talked about means knowing which person called (John)is referred to from other information than that contained in the sentence .The same applies to him ,known as a

Some principles of Universal Grammar:

some principles of Universal grammar will be presented to see how Universal Grammar works:

1-Structure-Dependency:

According to this principle ,structure dependency means“ the knowledge of language relies on the structural relationship in the sentence rather than on the sequence of words (Cook etal. ,1996:4).”In other words a sentence can not be analyzed as having a certain hierarchical structure.

Example : He will come back.

This simple sentence is not a sequence of four words :He, will, come and back. Rather each of this sentence is structure dependent ,that is ,each word belongs to a structure or category .

2-The Head parameter

Head parameter specifies the order of elements in language .

Although all languages have the feature of structural dependency ,but they may differ in the placement of the head within each phrase .some languages have the head on the left of the complement (English),other have it on the right on the complement (Japanese)(Cook ,et. al. ,1996:14).

3-The projection principle

This principles states that “ properties of lexical items should remain constant throughout the derivation (Radford ,2004:473).”

4-Category selection (C-selection)

The lexical item restricts the semantic kind of its arguments . So according to this principle the lexical entry selects possible complements that may go with it (Cook etal. ,1996:164).

The Subtheories of Universal Grammar

Chomsky postulates a set of subcategories which interact with one another .Each one of these subcategories deals with some central area of grammatical enquiry ,besides each of these theories (or subtheories)comprises a principle or sets of principles .

The subtheories of Universal Grammar are the following :

1-X-bar theory.

2-Theta theory .

3-Case theory .

4-Bounding theory.

5-Government theory.

Rationalism

A rather different approach to the problem of acquisition of knowledge has been that of the rationalists (or nativists). According to them , man's capacity for language is specialized component of his biological make-up .In other words, the structure of language is to a considerable degree specified biologically .The child is seen as coming to the language learning task equipped with much inborn knowledge of language structure.

According to Chomsky the child is born with same Language Acquisition Device(LAD)which provides an abstract specification of the range of possible and impossible roles and structure in natural language .With the help of this inborn faculty (LAD)the child is able to account for the grammaticality and ungrammaticality of certain sentences and rules he is faced with.

Chomsky insisted that the structure dependency principle, which specifies that all grammatical rules are structure dependent ,is part of the innate system of biologically between principle of Universal Grammar which constitute the human language faculty.

Thus according to Chomsky we should expect that all languages will share certain universal properties in common .These certain universal properties is governed by what Chomsky calls Universal Grammar (Falk .1978:4-11; Farrokhpey ,1999:a,b ;Schmitt ,2002:6).

The Theory of Universal Grammar

Chomsky describes language as a property of the human mind .He has said of this property :"Universal Grammar (UG)is the system of principles ,conditions and rules that are elements of or properties of all human languages (Farrokhpey ,1999b:203). "

All humans beings share part of their knowledge of language no matter which language they speak. Universal Grammar with the common inheritance .Universal Grammar is concerned with the internal structure of the human mind .According to UG theory , the speaker (of any language)knows a set of principles that apply to all language.

The theory of Universal Grammar also holds that the speaker knows parameters that vary in different languages.

Acquiring language means how these principles apply to a particular language and which value is appropriate for each parameter.

discussed the general features of the things with which human language deals ,as well as the way these features are expressed in Latin. They claimed that all languages have the same parts of speech and other general grammatical Categories.

Bloomfield and his followers established a school of linguistics called structuralism ,which gave up the traditional style of imposing Latin grammars on other languages under their study . Structuralists tried to study language by certain educative operations called segmentation and classification ,in other words , structuralists claimed that language is a structure with levels (or layers)and inter-related parts .

Structuralists had as their aims :

a-To describe the current spoken language (they ignored the written form of language);

b- To limit their area of study to the form of language ,i.e. ,phonology and morphology ; and

c- To carry out this description by means of systematic and rigorous procedure called discovery procedures.

Empiricism

During the period when Bloomfield was writing his book called language (1933), an empirical approach to psychology ,called behaviorism was being developed by J.B. Watson . Bloomfield became acquainted with its promise and accomplishments .Bloomfield adopted the behavioristic psychology as one of the ways of stating meaning .

Bloomfield in his mechanistic approach to the issue of meaning strongly believed that the only useful generation about language are inductive generalization .

According to the behavioristic attitude of empiricists [i.e. structuralists], certain general principles of learning that are common to all organisms are enough to account for the cognitive structure which humans acquire . These general laws governing learning , are reinforcement ,frequency and contiguity of occurrence ,which can explain verbal response , the innate abilities required are relatively simple ones such as the ability to form associations between stimulus and response .So the empiricist believes that no linguistic structure is innate ; such a structure has to be learned .

Trends of grammar

1-The traditional grammars

Traditional grammars have been in use since five centuries B.C and have played a significant role in the appearance of modern linguistic theories such as Government and Binding(GB) and Universal Grammar (UG).

Traditional grammars are generally based on four bases :

a- The Ancient Greeks.

b- The Romans .

c- The Modisate [Medieval Linguistic period].

d- The General Grammars [speculative grammars].

A brief glance will be given on each one

A-The Ancient Greeks

For the ancient Greeks of the fifth century before Christ ,grammar was part of philosophy . That is to say ,grammar was a part of the scholar's research about the nature of the world around them.

It was Stoics (fourth century B.C),among all Greek philosopher ,who gave the most attention to language .The use precise technical terminology to discuss language. One of the most fundamental distinctions they made was that between form and meaning ,the signifier and the signified respectively . They distinguished nouns, verbs ,conjunctions and articles .They also develop inflection ,i.e. ,they relationship between such forms as (pen ,pens)or (drink ,drank ,drunk).

B- The Romans

The most famous Roman scolars were Donatus (fourth century A.D)and Priscian (sixth century A.D). These authors constructed Latin grammars on the Greek models.

C- The Modistae

The linguists in the middle ages were called modistae .Great advances were made in the grammatical analysis of Latin by these medieval scolars and have become part of what we think of as traditional grammar.

D- General Grammars (or Speculative Grammars)

General Grammars of 17th and 18th centuries claimed that the structure of various languages ,and especially Latin ,embodies universally valid laws of logic.

The general grammarians tried to discover the principles through which the word as a sign was related on the one hand to the human intellect and on the other hand to the thing it represented , or signified .It was assumed that those principles were constant and universal . These grammars tried to deal with features found in any human language , not in one particular language . They were after universals ,common features of human language . Such a grammars

He has been there ever since ,although a large part of each year is devoted to traveling around the world giving countless lectures and interviews .

Chomsky's output is vast :he has published about seventy-five books ,hundred's of articles ,and written tens of thousands of letters(Smith, 1999:4).

Chomsky's position is not only unique within linguistics at the present time ,but is probably unprecedented in the whole history of the subject .His first book ,syntactic structure ,published in 1957, short and relatively non-technical though it was ,revolutionized the scientific study of language (longs ,1973:9). Syntactic structure was a threat to the structuralist's domination over the field of linguistic when it appeared on the scene .

Because of the publication of this book and Chomsky's and Chomsky's other book called aspects of the theory of syntax (1965), by 1970 transformational generative grammar had become the established linguistic theory (Farrokhpey, 1999:67).

By any criterion Chomsky's achievement is vast. As the guiding spirit of the cognitive revolution, he has been instrumental is chaining our view not just of language but of human nature .

By contrast ,there are areas such as the evolution of language that ,because of the impossibility of getting relative evidence ,seem to be mysteries .

That language is the result of evolution seems to be undeniable ; that we can say anything interesting about how it evolved seems dubious .

The development of grammar

About 1630 , the German philosopher Alsted first used the term general grammar as distinct from special grammar. He believed that the function of a general grammar was to reveal those features which relate to the method and etiology of grammatical concepts.

They are common to all languages .Pointing out that general grammar is the pattern ‘norma’ of every particular grammar.

Three and half centuries before Alsted ,the scholar Robert kildwardby held that linguists should be concerned with discovering the nature of language in general. Kildwardby was so concerned with universal grammar that he excluded consideration of the characteristics of particular languages ,which he believed to be as irrelevant to a science of grammar .kildwardby was perhaps too much of a universalist (Fromkin etal. ,2003:19).

A short brief history of the approaches to the grammars in the past may help to understand the new and recent concerns in the theory of language (i.e. grammars).

BINDING THEORY

By: Muhsin Ali Shreeb

Introduction

Over the history of applied linguistics ,different theories of learning have been proposed to account for how grammar is learned .During the middle of the previous century ,for instance ,grammar learning was though to take place through a process of verbal habit formation .

In 1986 Chomsky made a new idea to emerge ,that is, the universality of grammar .Chomsky poisted that children are born with an understanding of the way languages work ,which was referred to as Universal Grammar.

Universal Grammar (UG)is a complex theory which involves abstract and complicated sub-theories . UG is concerned with internal structure of the human mind .

It is ,thus , psychologically oriented. This theory holds that the speaker knows a set of principles that apply to all languages .According to this theory the speaker knows as well a lot of parameters that vary within clearly defined limits from one language to another . This theory holds that acquiring language means learning how these principles apply to a particular language and which value is suitable for each parameter .

This term paper tries to shed light on a small part of Chomsky's Universal Grammar ,i.e. Binding Theory. Binding Theory ,unlike Chomsky's other models ,does not rely on rules pre se ,but rather on principles .

It is because ,according to UG ,knowledge of language dose not consist of rules as such but of underlying principles from which individual rules are derived.

In general ,Binding Theory accounts for relations among anaphors (like :himself),pronominals (like him), and referring expressions (like John)and their possible antecedents in sentences .

Chomsky

Chomsky was born on 7 December 1928. from the age of two he spent ten years in a progressive Deweyite school in Philadelphia ,After finishing high school he attended the University of Pennsylvania where he met Zellig Harris ,a leading linguist and political theorist ,who had a profound influence on his life.

He graduated in 1949 and after two years (1951) he became one of the Society of Fellows at Harvard ,from where he moved to the Massachusetts Institute of Technology in 1955.

being - and all the sciences that man needed to make life, can be explained.

And because Ameer Al-Mumneen knowledge is part of the prophet knowledge so it is the same side with the revelation and therefore its bright facts like the sun so that scientists from all sorts must study and gain knowledge from it and open paths which are still closed in the face of the scientists.

Ameer Al-Mumneen who said "ask me before you miss me because I am the one who knows paths of heaven more than earth paths."

From all these, Nahj Al-Belaga deserve more attention from the scientists of all sorts to explore what man unable to know.

It is an invitation to the research centers in universities to put its attention towards Nahj Al-Belaga to unlock many of the puzzles and secrets which still distract the minds of the scientists.

Editorial Issue

The Knowledge of Nahj Al-Belaga

Nahj Al-Belaga is what Al-shreef Al-Redi chosen from orations, speeches, invocations which are classified into three parts. The first is concerned with orations and commands. The second deals with books and message, while the third with wisdom and preachment.

These are chosen according to some restrictions and certain standards so that it begins with those that are considered of the best hand writing then books, then the best of wisdom and literature and each one has a separate section. All these are what Al-Shreef Al-Redi had chosen from Ameer Al-Mumneen (peace be upon him) speeches in certain occasions or his comments on events or his answers to different questions he was been asked for.

There are certain orations in which Imam Ali (peace be upon him) mentioned valuable facts about the universe, life and creation and also certain thing man suffered form during his life. So these are true sciences included in this great book which Ameer Al-Mumneen poured in from his knowledge in nature culclation, engineering, philosophy, history, figh, and ethics so if the prophet of God (P.B.U.K.D.) is the city of knowledge, Iman Ali (P.B.U.H.) is its gate as it is mentimed in The history of Bagdad (11/48): Al-Mustadrik Ala Sahihein (3/137); Mujama'a Al-Zwoed (9/114); Al-Mujam Al-Kebeer (11/407); Tathkiret Al-Hufad'h (4/1231); Lisan Al-Mizan (1/179); Mizan Al-Isteeab (3/1102) Thehdheeb Alesma'a (1/319).

From all these, Imam Ali (P.B.U.H.) is the key to all sciences. By him all kinds of knowledge - intellectual, natural and human

Stylistic approach to Sura «Sad» Nasrollah Shameli 161
Assistant professor Somayeh Hassanalian
PhD student of Arabic literature, University of Isfahan.

The role of arbitration agreement in solving the disputes of foreign investment contracts. 179
Asst. Lecture Rasha Mousa Mohammad

Ironic style in the poem of Tanwemat jaah "
For Al – Jawahri 201
Asst. Prof. Dr. Ali Rahim Hadi Al-Hilo.

international drama (The classical ones as an example)..... 218
Dr. Mohammad Abed Feyan..

The security council's Right of veto. (A study from the perspective of the international Law. 235
Dr. Mohammad Hosein Kadhom Al-Isawi.

Hussien Ali Mahfodh: The pioneer of the Persian culture in Iraq. 255
Asst. Lecture A'lae Abd-Al-Kadhem

The beautiful aspects of the ancient Iraqi art of pottery (pre-history) 269
Asst. Lecture Hazim Aboudy Karim

The Poetry of Qais Bin Sa'd Al-Ansari: A study of the Objective Performance 314
Dr. Hasan Habib Al-Kredhy.

Al-Sayab's stages (or stations) of agony. (A psychological study of his poems).. 329
Dr. Hatu Hamid Hasan

The stance of the scientific circle on the national issues between the period from 1925 to 1956. 338
Asst. Lecture Ahmad Baqer Alwan Al-Sharifi

Contents

Editorial 5

BINDING THEORY 7

MUHSIN ALI SHREEB

SENTENCE LENGTH AND COMPLEXITY IN SELECTED SHORT STORIES OF .... VIRGINIA WOOLF AND KATHERINE MANSFIELD 18

SHAIMA' ABDUL HUSSEIN AL-MI'MAR

Contents of Arabic Researches

Nahaj Al-Balagga" between the author's reference of authenticity and the text documentation. (A study on the book of Nahaj Al-Balagga).....5.

Asst. Prof. Dr. Masnoor Mathkoor Shalash

Dr. Sabri Ibrahim Alseiied'

Ibn Al-Arandas Al-Hilly (1436) **19**

Asst. Prof Dr. Mohammad Hasan Mohi-Al-Din

Superstition in Quran, Narration, literature **44**

Dr. Khalil Bastan

THE ETHESTIC OF FORMATION PRINCIPLS STRUCTURE MODREN EUROPEN PAINTING **55**

D.Mohamed Abid Feahan

Asst,Lecture Mohamed Ubied

Asst,Lecture Hazim Aboodi..

The usage impact of the constitutional formula on the performance of the Arabic language students at the Institute of Teacher preparation **73**

Asst. Lecture Leith Sahib Shakir

Legal regulation for the election of members of the Iraqi Council of Representatives for 2010 .....**101**

Asst. Lecture Rawafed Mohammad Ali Al-Taiiar

The attitude of shiek Mohammed Taqi Al-Shirazi Al-Ha'eri towards the referendum in Iraq (1918-1919).....**146**

Dr. Jasim Mohammad Ibrahim Al-Yasari.

Consultant staff

Prof. Dr.
Hassan A. Al-Zaal

Prof. Dr.
Hakim M. Mohammed

Prof.Dr.
Nadhim Shiko.

Prof. Dr.
Khadija Al-Hadithy.

Prof.Dr.
Abbas Zboon Al-Abboodi

Prof. Dr.
Subhe N. Hussein

Prof. Dr.
Hadi Hussein Al-Gara'awi

In The Name Of Allah Most Gracious, Most Merciful

ISSN 1819-2033

issue:11

Ahlulbait

Refereed Journal (Quarterly)
Issued By Ahlulbait University

Chief Editor
prof.Dr. Abbood J Al-Hilli

Editorial Secretary
Dr. Baqer Jawad Al-Zajajy

Editors
Dr. Mohammed A. Al-Khateeb
Dr. Hassan Hantoush Rashid
Dr. Hakmat Aobaid Hassan
Dr. Mehdi Dakhel Al-Aobaidi
Dr. Kamal Abed-Hamed Al-Ziyara
Dr. Abid Hamza Muhsin

Karbala, Fatimah-al-Zahra street, P.O.Box: 1019,Tel: 351257-9
karbala@ahlulbaitonline.com ، www.ahlulbaitonline.com